جمهورية مصر العربية

مجمع اللغة العربية

اللهجات العربية

الفصحى والعامية

(١)

جمع وإعداد

ثروت عبد السميع

المحرر بالمجمع

مراجعة

د. محمد حماد

الخبير بالمجمع

إشراف

د. كمال بشر

نائب رئيس المجمع

مقرر لجنة اللهجات

القاهرة

١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

جمهورية مصر العربية
مجمع اللغة العربية

اللهجات العربية

الفصحى والعامية

(١)

جمع وإعداد
ثروت عبد السميع
المحرر بالمجمع

مراجعة
د. محمد حماد
الخبير بالمجمع

إشراف
د. كمال بشر
نائب رئيس المجمع
مقرر لجنة اللهجات

القاهرة
١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

تنفيذاً لتعليمات الأستاذ الدكتور محمود حافظ

رئيس المجمع

قام بالإشراف على تنفيذ هذه الطبعة كل من:

أ. شعبان عبد العاطي عطية

.... وكيل الوزارة

أ. أحمد حامد حسين

.... المدير العام للشئون المالية والإدارية

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

المحتويات

ثالثاً – ألفاظ بين الفصحى والعامية:

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم
الأستاذ الدكتور كمال بشر
نائب رئيس المجمع

بحوث هذا الكتاب - بجزأيه - تمثل جهودًا متواضعة من أعمال المجمع، ولجنة اللهجات. وهي بحوث تنصرف في مجموعها إلى موضوع مهم، وهو النظر في الفصحى والعامية والعلاقة بينهما، أملاً في أن تقود هذه النظرة إلى استيعاب موقع كلٍّ من اللغتين في المجتمع العربي.

هذا إلى صدور جزء سابق، يختصّ النظر فيه في اللهجات العربية، قديمها وحديثها، بوصفه ممهدًا لمحتويات هذين الجزأين.

وتتسم بحوث هذين الجزأين بالتركيز على دراسة اللهجات وظواهرها التي ربما تخفى على كثير من الدارسين، ومن هنا كان الاهتمام بهذا الموضوع بجوانبه المختلفة.

ومن هنا أيضًا كان على لجنة اللهجات أن تقوم باستقراءٍ للألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة الأقطار العربية، بمستوياتها المختلفة، ومحاولة تدوينها، مسترشدين في ذلك كله بلهجة القاهرة.

ويذكر أن المجمع وافق على مقترح الأستاذ الزيات، الذي يقضي بما يلي:

١- تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس، على أن يراعي نصّ هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة، ولم يعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال.

٢- لا مانع من قبول السماع من المحدثين، على أن تدرس كلّ كلمة على حدة، قبل إقرارها.

ومعلوم أن العاميات تحتوي على كثير من الألفاظ التي يمكن ردها إلى الفصحى، وفي الإمكان جمع الألفاظ والعبارات والأساليب العامية، وتصحيح ما يمكن تصحيحه منها، ورده إلى الفصحى في أقرب صورة من صورها - ما أمكن ذلك. ومعلوم أن الحياة المعاصرة قد اقتضت استخدام كثير من ألفاظ العامية وأساليبها، وما يكتب له الشيوع من كل ذلك يستوجب النظر فيه.

وينبغي أن نقرر هنا: أن هذا العمل (البحث في اللهجات) ليس دعوة إلى العاميات، ونبذ الفصحى، إنما القصد منه هو بيان العلاقة بين القبيلين، ومحاولة الربط بينهما، لوصل العامية بالفصحى، والارتقاء بها.

وكل هذا لا يحول دون دراستها، لاستخراج الألفاظ الفصيحة الصحيحة المستعملة فيها، أو التي أصابها التحريف، أو لحقها شيء من التصرف، للتقريب بينها وبين الفصحى، وللتنبيه على ما يشيع فيها من أخطاء.

وهناك كلمات جديدة استحدثت، وجب ضمها إلى المعجم العربي؛ لأن اللغة تخضع لتأثير البيئة، احتماعيًّا وثقافيًّا...إلخ. فكما أن هناك كلمات تندثر وتختفي. هناك كلمات تستجد ويكتب لها الميلاد. والبحث في هذا الموضوع يقتضي التريث في تسجيل العامي، ودقة التحري، لكيلا ينشأ خطأ في التسجيل، ونحن هنا قدمنا كل ما كتب في العاميات، للإفادة مما يوافق القواعد منه، وتدعو الضرورة إلى قبوله، وعدم إغفال الألفاظ الفصيحة الموجودة في هذه العاميات، التي يخشى المثقفون استخدامها لمجرد جريانها في اللغة الدراجة.

وتنطلق الدراسات الواردة في هذين الجزأين من هذا الهدف، حيث امتازت بمعالجتها لقضية "الفصحى والعامية" من عدة وجوه، وبعنايتها باستخراج ما في اللهجات من كلمات تمتّ بوشيجة للفصحى، وبرصدها للعديد من الظواهر المشتركة بين الفصحى والعامية، والصراع بينهما، ووسائل التقريب بينهما أيضا، وبإلقائها الضوء على "الفصحى والعامية في وسائل الإعلام"، المسموع منه والمكتوب.

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وبعد

فهذه بحوث **"في العلاقة بين الفصحى والعامية"** بعضها تقدمت به لجنة اللهجات إلى المجمع، وبعضها الآخر تمّ جمعه من تراث المجمع، في محاضر جلسات المجمع، ومجلته، وذلك لتكتمل الفائدة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في التصدير للكتاب الأول: "اللهجات العربية، بحوث ودراسات".

وتلك البحوث بجمعها - وإن تفاوتت مناحي المعالجة - خيط واحد، وهو تركيزها على دراسة اللهجات الحديثة وارتباطها باللغة الفصحى، ودراستها للتحريفات التي تحدث في العاميات، وعلى ما يتخذ من خطوات للتخلص من تلك الثنائية، من خلال الاستقراء والتسجيل، وهى إحدى مهامّ المجمع، الذي اهتم بإصلاح الخطأ الذي يطرأ على اللغة الأدبية الفصيحة من طريق اللهجات العامية، واهتم أيضًا باستنباط الأصل الذي يعود إليه بعض الألفاظ الموجودة - أو الشائعة- في العاميات. فهناك ألفاظ وأساليب في اللهجات العامية يقتضي الأمر دراستها، واستخلاص ما يصلح منها لتسجيله في المعجم العربي، وهذا هو ما يهدف أليه قسم من تلك البحوث، لكي يتسنى لنا ضم تلك الألفاظ والأساليب إلى الجهود التي تقوم بها لجنة "الألفاظ والأساليب" بالمجمع في هذا المجال.

ومن بين الأصوات التي نادت بدراسة العامية الأستاذ "محمود تيمور"حيث يرى بين الفصحى والعامية ستارًا موهومًا، يجب أن نجلوه عن العيون، وأن تسميتها بالعامية قد جنت عليها،ويقترح تسميتها:"العامية... الفصحى"،في بحثه القيم - الوارد بهذا الكتاب - الذي يحمل العنوان نفسه.

ونظرًا للتقارب والتداخل بين موضوعات تلك البحوث، وصعوبة الفصل الدقيق بينها، بدا من الصعب تقسيمها تقسيمًا دقيقًا — ومن ثَمَّ حرنا في تقسيمها بين التصنيف بحسب الموضوع، وبين جمع بحوث كل كاتب، مجتمعة، على حدة. ولكنا-

ولإلقاء مزيدٍ من الضوء على المحاور التي دارت حولها تلك البحوث - آثرنا تصنيفها بحسب الموضوعات، بقدر الإمكان.

وحاولنا التماس بعض الخيوط الفرعية، التي يمكن الاعتماد عليها في تقسيم تلك البحوث، فلاحظنا أن البحوث - في مجملها - تدور حول: الفصحى وعامياتها المحلية، وبعض الظواهر المشتركة بينهما، والصراع والتقريب بينهما، والفصحى والعامية في المسرح ووسائل الإعلام.

وقد صدر الكتاب الأول عن "اللهجات العربية"، وضمّ بحوثًا حول: دراسة اللهجات، والمؤلفات التي كتبت حول اللهجة العربية العامية، وطريقة كتابة اللهجات بحروف عربية ... وبحوثًا أخرى تتناول اللهجات القديمة، ولغات بعض القبائل- والمصطلحات اللغوية، والخصائص اللغوية لها - وبعض الظواهر الموجودة في تلك اللهجات. وقد اشتمل القسم الثالث والأخير منه على بحوث: **في اللهجات العامية المحلية**، دار معظمها حول تاريخ اللهجة المصرية وخصائصها، وبعضها للحديث عن لهجات قلب الجزيرة العربية، واليمن، والسودان، وليبيا، ولبنان، وسورية، والشام، والعراق، وتونس، والمغرب؛ وتتمة لما سبق، آثرنا أن يبدأ القسم الأول من بحوث هذا الجزء بما يتناول **"علاقة الفصحى بعاميّاتها المحلية"**، لما بين القسمين من اتصال، أو تداخل وتشابه في أسلوب المعالجة.

وضخامة المادة المتوافرة اقتضت واستلزمت صدورها في جزأين، اشتمل الأول منهما على ثلاثة أقسام، هي:

أولاً – بين الفصحى وعامياتها المحلية.

ثانيًا – ظواهر مشتركة بين الفصحى والعامية.

ثالثًا – ألفاظ بين الفصحى والعامية.

ورتبت بحوث كل قسم من تلك الأقسام ترتيبًا زمنيًّا، من الأقدم إلى الأحدث، بقدر المستطاع، ماعدا القسم الأول، الذي قسم بحسب الموقع الجغرافي، واشتمل الجزء الثاني من هذا العمل على الأقسام التالية:

أولاً- الصّراع بين الفصحى والعامية.

ثانيًا- التقريب بين الفصحى والعامية.

ثالثًا- المجامع والتدوين ودورهما في المحافظة على اللغة والتقريب بين الفصحى والعامية.

رابعًا- الفصحى والعامية في وسائل الإعلام.

وما من شك في أن جمع تلك البحوث والدراسات، التي تعالج قضية العلاقة بين الفصحى والعامية له أهمية بالنسبة للكثيرين، كالمهتمين بتفصيح الألفاظ العامية، وأيضاً أولئك الذين يستخدمون كلمات العامة في الوصف والتصوير، كالقصاصين، والروائيين.

ونظن أن عملاً كهذا - بما يحويه بأجزائه- من بحوث قيمة ومتنوعة، كان بحاجة إلى معجم للألفاظ المدروسة التي وردت به، وهي كثيرة جدًا. ولم نستطع دراستها - للتخلص من التكرار الذي يحدث من جراء إعادة درس بعض تلك الألفاظ - بالمجمع - مرة أخرى، وبحاجة أيضًا إلى كشّافات تفصيلية، لرؤوس موضوعاته ومسائله، ومعانيه؛ لما تمتاز به تلك البحوث من ثراء، وتنوّع، وفكر عميق، لكتّاب كبار، الأمر الذي قد يسهم في تيسير الإفادة للباحثين في هذا الموضوع، فربما تيسر القيام بذلك مستقبلاً.

فنسأل الله التوفيق .... وعليه تعالى قصد السبيل.

ثروت عبد السميع محمد

أولاً:

بين الفصحى وعامياتها المحليّة

العربية في السودان(*)

للدكتور عبد الله الطيب

(عضو المجمع)

هذا عنوان كتاب قيم ألفه أحد السابقين إلى ربط السودان بهذا المجمع الكريم. بل قل أحد اثنين هما فاتحة من كرم بعضوية هذا المجمع من أبناء السودان. وذانك الشيخ العلامة الفقيه محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر سابقًا، والشيخ العلامة عبد الله عبد الرحمن الضرير أستاذ العربية بكلية غوردون سابقًا، وقد تشرفت بزمالته حينًا قصيرًا من الدهر ولكن عرفته قبل ذلك ومن بعد، رحمهما الله رحمة واسعة. وأحسن المرحوم الوزير يحيى الفضلي- رحمه الله - إذ أعاد طبع العربية في السودان. وأحسن جماعة من أقارب المرحوم الشيخ محمد نور الحسن؛ إذ أعادوا طبع تفسير "سورة النجم" ومؤلفات أخرى.

هذا وما أريد في هذه الكلمة أن أتحدث عن هذين العالمين الجليلين ولا عن كتابيهما. ولكني أردت أنه لا يدخلني تجاوز عن بعض الحديث عنهما في طائلة عتاب جرير حيث قال:

تمرون الديار ولم تعوجوا   كلامكمو عليّ إذن حرام

الذي أريد أن أتناوله هنا هو إثارة موضوع دخول العربية في بلاد السودان متى دخلت؟ وكيف دخلت؟ وقد قرأت بعض ما كتب حول هذا المجال لا فيه نفسه — من بعض علمائنا ومؤرخينا في السودان، مثل: الأستاذ محمد عبد الرحيم صاحب نفثات اليراع، وأستاذنا الجليل مكي شبيكة، وتلميذه النابه الأستاذ يوسف فضل،

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين، يوم الأربعاء، الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٩٩م. ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص٥١.

والشيخ الدكتور الريح العايـــد الـــروس وما كتبه فضلاء العلماء المصريين ومنهم من ألـــمّ بالسودان أو عمل فيه، على رأس هؤلاء الدكتور محمد عوض محمد، ثم الدكتور محمد عبد العزيز أمين عبد المجيد، والدكتور عبد المجيد عابدين، رحمهم الله جميعًا.

وقد كتب عن العربية واللغة في السودان غير هؤلاء، على رأسهم الأستاذ نعيم شقير صاحب "تأريخ السودان"، والأستاذ عبد الحليم اليازجي صاحب "الحركة الأدبية في السودان"، والسير" هرولد ماكمايكل" صاحب "القبائـــل العربيـــة في الـــسودان" والأستاذ "هايلسون" صاحب "اللغة العربية في السودان" بالإنجليزية، والدكتور عـــون الشريف صاحب "موسوعة القبائل السودانية" و"اللغة الدارجة في الســـودان"- هؤلاء من تحضرني أسماؤهم وغيرهم كثيـــر ممن عسى أن أكون قرأت لهم ثم ندّت عنهـــم الذاكـــرة ومن غيرهم، ومن الجيل الذى تلا زماننا عدد كبير.

وقد وجدت في "الروض الأنف" الذى هو شرح لسيرة ابن هشام، وهو معروف متداول، أنه زعم أن العربية كانت معروفة في بلاد الحبشة قبل الإسلام. وقصة ســيف ابن ذي يزن تدل على شيء من ذلك. كذلك خبر قراءة سيدنا جعفر لسورة مريم عند النجاشي من غير تراجمة يُفْهِمُون معناها، وفي الحديث أن التراجمة مما يكونون حضورًا عند ملوك الأعاجم كخبر أبي سفيان مع هرقل ملك الروم الذى في البخاري.

وفي كتاب للأستاذ يوسف فضل بعنوان "تأريخ السودان وأفريقيـــا" في الجـــزء الثاني منه: " إن العربية قد وصلت إلى بلدنا السودان قبل الإسلام، وأن العرب أنفسهم قد كان منهم بالسودان عدد قبل الإسلام. غير أن العدد الأكبر قدم من طريق مـــصر بسبب المعادن من ذهب وزمرّد، ثم في زمان المماليك قد وقع ضغط وظلم على عـــرب صعيد مصر فرحلوا إلى السودان". وقد عجبت من ذهاب الأستاذ بروفسور" يوســـف فضل" هذا المذهب في أمر المماليك، مع سماعي من المرحوم الدكتور حسن فتحي-رحمه

الله - في بعض أحاديثه أيام عيد القاهرة الألفي سنة ١٩٦٩م حديث ثناء طيب على عصر المماليك. وقد سمعت من بعد ومن قبل غيره يذهبون هذا المذهب. وأنا خاصة لا أنسى في نفسي للمماليك أنهم أصحاب موقعة عين حالوت سنة ٦٥٨هـ وأنهم كانوا حماة الأزهر، وأن بردة المديح وهمزيته وما تلا ذلك من تخميس وتسبيع وتسيع لهاتين الدرّتين في مدح نبينا المحبوب - صلى الله عليه وسلم - قد كان أكثره في زمانهم فرحمهم الله وعفا عنهم،إن يك بعض ما زعمه البروفسور يوسف فضل صحيحًا.

على أن البروفسور يوسف فضل بتفصيله وبحثه الدقيق يذكر أن عربًا كثيرين استوطنوا بلاد المريس من أرض النوبة، واستعجموا لما كثرت مصاهرتهم لهم. وشرح البروفسور يوسف فضل اسم المريس بأنه هو الذي أطلقه العرب على إقليم "النوبة" بين "أسوان" إلى "دنقلة" أو دونها شيئًا، ولم يشرح ما أسماه المريس، أهو من المرس أى الحبل؛ إذ كان البحارة يضطرون إلى جر المراكب بالحبال في هذا الإقليم، أم هو من المريسة؟ وهي شراب ضعيف الإسكار يصنع من الذرة ويُمْرَس بالأيدي، مثل أن يجعل في آنية الشراب، وكلمة "سيرقوسا" التي تطلق على الجعّة في أرض إسبانيا لعلها خلط من كلمتي "شربات" وينحى بالألف نحو الواو مثل الموصوف في النحو بأنه ألف التفخيم في لسان أهل الحجاز، ومريسة — من مرست شيئًا في الماء إذا وضعته فيه لينقع. عندي أن اشتقاقه من حبل جرّ المراكب أقوى وأشبه؛ لأنهم كانوا يجرون المراكب في زمن التحاريق في أرض الجنادل- والمرس بالتحريك: الحبل، وهي في عاميتنا فصيحة. وأهل النوبة ذوو تجربة قديمة في الملاحة والعمل البحري.

وفي كتاب "تاريخ العفر" أي الدناكل، للدكتور هاشم الشاميّ (أصله من الشام، ولكنه أثيوبي معاصر) أن أول أساطيل البحار صنعها المصريون، وكان أولها إبحارًا على عهد سحر رع، في حوالى سنة (٢٣٠٠ ق.م)، وكان بحارته نوبيين من

جزيرة الفيلة بأسوان، وهم الذين دلوه على معرفتهم البحر وأغْروه أن يمكنهم من أسطول يسيرون به إلى أرض بنط.

والحديث عن أرض بنط هذه ،وأصلها قد يطول، ولعلّ مزيجًا من العاملين باللسانيات والآثار والحفريات والتأريخ أن يكونوا أدرى من كاتب هذه الأسطر بالنظر في أمرها. وإنما أكتفي في هذا المجال المختصر الحدس أن أشير إلى جواز وجود صلة بينها وبين فنج وكفنجة، اسم قبيلتين بالسودان الشمالي، وكنج كوش الذى يقال: إنه سبق سيدنا إبراهيم الخليل إلى معرفة التوحيد، ويدعي الفرس أنه سبق زرادشت وكان فيهم. وزعم الأزرقي أن الفرس كانوا يحجون إلى البيت الحرام قبل الإسلام بزمان يضعف دعواهم سبق "كنج كوشهم" لإبراهيم الخليل، وكلمة "زنج" ليست ببعيدة الجرس من كلمة "ماقزوا" التي تطلق على المجوس في بلاد هوسا، وزعم أحد فضلاء الباحثين عندنا بالسودان أن كلمة "فونج" ليست بعيدة من كلمة "فينيقيا" وهذا باب واسع.

وفي كتاب "تأريخ أفريقية والسودان" ،الذى أشرت إليه آنفًا: أن بعض العرب سكنوا بلاد المريس، وصاهروا فيها واستعجموا. وفي كتاب "سبائك الذهب" في أنساب العرب: أن قبيلة يقال لها: الحدربة (أحسبها من الحضارمة)، سكنوا مع البجاة واستعجموا.

وقد يرى بعض الباحثين أن بلاد البجاة وبلاد النوبة غربلت العرب إلى داخل السودان، بدليل الذى شهده ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي من وجود بعض الكواهلة مع إبلهم أو ماشيتهم بمراعي سواكن. وقد صار "الكواهلة" من بعد إلى أرض "كردفان" "والنيل الأبيض". وقد قدم الرشايدة في القرن التاسع عشر الميلادي من المشرق من طريق البحر الأحمر، فأقاموا بشرق السودان ثم تسربوا إلى داخليته، وهم

يتكلمون عربية مشرقية اللهجة، كأنها من شرقي نجد أو العراق. مع هذا عندي أن تمكن العربية من وسط السودان دون أطرافه، مع عجمة هذه الأطراف وتمكن العجمة منـــها حتى لقد تؤثر على الوافدين العرب حين يؤثرون الإقامة فيها، كأنه منبئ أنه ينبغـــي أن يكون للعربية أصل قديم أصيل في الوسط. ويقوي هذا الحدس أن العربية التي في وسط السودان، على وجود تشابه مابينها وبين عربية الحجاز والأردن وصعيد مصر وبعـــض اليمن الشمالي، مختلفة في جوهرها، كثيرة المادة، لاتزال تحتفظ بصيغة المبني للمجهـــول ونون النسوة، وضروب من التكسير والمصادر، مثل: فِعّال، وتِفعّال،الأول: نحو كِضّاب بإمالة الألف وقلب الذال ضادًا كما يحدث كثيرًا في لهجة السودان، وهي كِذّاب الـــتي في سورة "عمّ"، وتِفرق، بكسر التاء، وكسر الراء المشدّدة، صيغة من التفـــراق، الـــتي نسبها المعرّى إلى تأبط شرًّا في "طيف ابنة الحر"، إذ كنا نواصلها ثَمَّ.

وإتباع نون النسوة الفعل الماضي بدون تسكين آخره، ذكره سيبويه في إلحاقهـــا بنحو ردّ في قولهم: ردّن — وهو مطرد عام عن كل فعل ماض، عنـــدنا نقـــول: ردَّنْ وقالَنْ.

ومن صيغ المبني للمجهول "فِعِل "كقِتِل وضِرِب، وأما الموسوعة اللغوية فواسعة وفيها الاستعمال النادر، وذكر غير واحد من مؤرخي اليونان: أن العرب كانوا بشرق النيل، من عند مصر إلى أرض علوة ،وذلك شرقي الخرطوم، من هؤلاء إسترابو، وذكر هيرودوتس مشاركتهم لدارا الأول في حرب ماراثون ، والراجح أن غـــرب النيل كان يحكمـــه النوبـــة أو الكوشيـــون، الذيـــن يقال لهم: العنـــج، عنـــدنا بالســـودان ويسميهـــم التأريخ .بمروى القديمة. وقد خبرني المرحوم الدكتور" أمير مصطفى "عـــالم الآثار المصري أن عنج معناها حاكم. وهل عنخ تحريف عنج؟ وهل فنج بعيد من ذلك أو قريب ؟ الله أعلم.

والغالب على الظن أن العرب استوطنوا أرض شرق النيل، بدليل وجود آبار هما غاية في العمق – ففي ناحية شرق شندي في منطقة المصورات بئر نحو ستين باعًا، منحوتة من رأسها إلى مكان الماء في الحجر، وهي وحدها موضع الماء ذي المدد، وكل ماحولها -حتى ما احتفره الإنجليز وركبوا عليه الطلمبات- لايستمر سحب الماء منه طويلاً. وفي ناحية الثميد بالبطانة إلى جهة الشرق نحو نهر أتبرا بئر مبدؤها نحواً من ثلاثين باعًا، ثم الحفر اتجاهًا أفقيًا نحو باعين أو ثلاثة، ثم ينحدر عموديًا حتى يصل الماء بعد نحو سبعين أو ثمانين باعًا – أكثر من مئة متر- هذا الحفر للآبار عربيّ النسخ. وما يزال الأعراب أهل البادية إلى يومنا هذا هم أعرف الناس بحفرها، وهم القنّاؤون، مثل: هدهد سيدنا سليمان -عليه السلام.

وسمعت من أهل الأخبار الموثوق بهم عندنا أن إحدى القبائل طغت على قبيلة أخرى بأرض البطانة وكادت تستأصلها. وكان لهذه القبيلة المغلوبة علم عند كبيرها، فخبر زعيم القبيلة الغالبة بأمر مرض يعروه كان يكتمه، يقال: إنه كان نوعًا من الصرع الموسمي. وأعلمه أنه يقدر على مداواته كما قد قدر على حدسه من غير أن يخبره به أحد،. ولما داواه، وكان اشترط عليه إذا داواه أن يكافئه بما يطلبه منه، سأله أن يسمح له أن يحتفر بئرًا حيث يقف به حماره. فاحتفر بئرًا وجاءت شراذم من بقايا قبيلته فالتفوا حولها، وجاءت القبيلة الغالبة تبغي منعهم فشكاهم إلى رئيسهم، فقال لهم رئيسهم: إني أذنت له أن يحتفر بئرًا حتى في يافوخ رؤوسكم، قالوا: وجعل الشيخ البصير اللبيب بين حين وآخر، على بعد زمن بين كل حينين، يحتفر بئرًا حيث يقف به حماره ، ياله من حمار فطين، وما مر جيل حتى كاثرت القبيلة التي كادت تستأصل حتى صارت هي أكثر القبائل عدًّا ومددًا بأرض البطانة.

هذا ويقال: إن سبب غلبة العرب على الوسط آخـر الأمـر نـشأت مـن المصاهرة. وعرف من كانوا هم أهل الدولة بغرب النيل من جعل وراثة السلطة والملك لأولاد البنات، خلافًا للعرب الذين كانوا عند كثير منهم الأخذ بقول القائل:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ولله الحمد أولاً وأخيرًا، وله العلم كله، وهو القائل في كتابه العزيز: ﴿وفـوق كل ذي علم عليم﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا.

* * *

العامية الليبية
من فصحى تدرَّجت إلى دارجة تفصَّحت(*)

للدكتور علي فهمي خشيم
(عضو المجمع المراسل)

يروي العبدري[1] في رحلته عند مروره بالإقليم الشرقي من ليبيا:

" وعرب برقة اليوم من أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضًا فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره، وهم الآن على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا ما لا قدر له بالإضافة إلى مايعربون" .

ويذكر ما حدث له :

" سألت بدويًّا لقيته يسقي إبله بالحصوى[2] عن ماء يقال له: أبو شمال هل نمر عليه؟ - وذكرته بالواو في موضع الخفض على عادة أهل الغرب (المغرب) فقال لي: نعم.. تطؤون أبا شمال. وأثبت النون في الفعل ونصب المفعول، وليس في الغرب "المغرب" عربي "أعرابي" ولا حضري يفعل ذلك".ويضيف :

"مررنا بأطفال منهم يلعبون فقال لنا واحد منهم: ياحجّاج! معكم شيء تبيعونه؟ وأثبت النون وسكّن الهاء للوقف"..

وأيضًا:

(*) ألقي هذا البحث فى الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين، يوم الأربعاء، الموافق ١٠من مارس سنة ١٩٩٩م ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص ٦٩. (سبق لنا نشر بحث: أ. محمد فريد أبي حديد: بعض ملاحظات في اللهجة العربية الليبية وصلتها بالفصحى، انظر كتاب اللهجات العربية، ص ٥٠٩. كما سبق بحث العربية في تونس بين الفصحى والعامية للشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، ص ٦٢٢ ويمكن أن يندرجا ضمن بحوث هذا القسم).

(١) محمد العبدري البلنسي قام برحلته حاجًا من حاحة بالمغرب الأقصى سنة ٦٨٨هـ. طبع قسم منها في الجزائر بتحقيق الأستاذ أحمد بن جدّو- دون تاريخ. والمرجع هنا: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات، إعداد وتصنيف: د.محمد يوسف نجم، ود. إحسان عباس. دار ليبيا للنشر والتوزيع ،بنغازي ١٩٦٨م ص ١١ - ١١٢.

(٢) اسم موقع.

" ورأيت أعرابيًّا منهم قد ألحت عليه امرأة تسأله من طعام معه، فقال لها: والله ما تذوقينه ! فأتى بضمير المخاطبة على وجهه، وأثبت النون وسكّن الهاء "..هذا عن الإعراب عند الأعراب في برقة. أما عن الألفاظ فيحكي العبدري:

" سمعت شخصًا ينشد في الركب مكتري رحالة (راحلة): من يكري زاملة؟ فسمعه بدوي، فقال له : أعندك الزاملة؟ فقال :نعم. قال : فلا تقل: من يكري؟، وقل من يستكري).

ويقول : "وأما نادر ألفاظ اللغة وماجرت عادة أهل الغرب بتفسيره، فهم حتى الآن يتحاورون به على سجيتهم، فمن ذلك أن شخصًا منهم وقف عليَّ بموضع نزولي من محل الركب، وكانت الترعة منه بعيدة، فقال لي: يا سيدي! تدعني أظهر؟ يعني: أخرج. وسألت شخصًا منهم عن الطريق، فقال لي:إذا ظهرتم من الغابة فخذوا صوب كذا،يعني : إذا خرجتم منها[١]... وسمعت صبيًّا منهم ينادي في الركب: ياحجاج! من يشتري الصفيف؟ فلم يفهم منه أكثر الناس، فقلت له: اللحم معك؟ فقال: نعم. وأبرز لحم ظبي مقدد[٢] ...

وسألت شخصًا عن ماء: هل هو معين؟ فقال لي: هو غدق[٣]، هذا اللفظ فسره أبو عبيد في (غريبه)...وسمعت آخر، وقد ازدحم الناس في مضيق، وهو يقول : "تنحوا عن الدرب"...

ويختم بتعليقه:

---

(١) يعلق:"هذا اللفظ قد أكثر فيه أهل المغرب في تفسير قول عروة بن الزبير(رضى الله عنه): لقد حدثتني عائشة - رضي الله عنها- زوج الرسول-صلى الله عليه وسلم - أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يصلي العصر والشمس في حجرتها قبل أن تظهر، وأتوا عليه بشواهد وأمثال ".

(٢) يعلق على كلمة (الصفيف): "وهذا اللفظ قد ذكره مالك [ابن أنس] رضي الله عنه في (الموطأ) فقال بإثر الحديث: قال مالك -رضى الله عنه -: والصفيف: القديد".

(٣) ويعلق: " هذا اللفظ فسره أبو عبيد في (غريبه) ".

وفي (اللسان): المعين: الماء الظاهر الجاري من عين أو منبع. والغَدَق: ماء المطر الكثير العام.

"وما يتكلمون به من الغريب أكثر من أن يحصى"..

كانت هذه الملاحظات التي أبداها العبدري أواخر القرن السابع الهجري. غير أن بدو برقة اليوم، مثلهم مثل سائر البدو في ليبيا، لم يعودوا يعربون ولا يثبتون نون المخاطب الجمع أو المؤنث في الأفعال[١]. وما نظن أحدًا منهم يعرف الصفيف أو الغدق أو المعين، وإن كانت (ظهر) بمعنى (خرج) و(صوب) بمعنى (جهة، ناحية) لا تزالان مستعملتين[٢].

ولا ريب في أن (فصاحة) أعراب برقة يومذاك قياسًا بـــ (عامية) المغرب راجعة، كما لاحظ الرحالة ذاته، إلى أنه لم يكثر ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم

---

(١) نلاحظ أن هذه النون موجودة الآن في لهجة عرب الخليج، بالإضافة إليها عند الإسناد إلى جمع المذكر الغائب. أما إسنادها إلى جمع المؤنث في الفعل فلا تزال في ليبيا (مصراتة وما شرقها) في حين أن هذا الجمع يعامل معاملة جمع المذكر في طرابلس وما حولها، كما هو الحال في مصر.

(٢) بقية من غريب اللفظ موجودة حتى اليوم لدى بدو منطقة الجبل الأخضر وطبرق؛ إذ يقول البدوي لصاحبه يدعوه إلى الجلوس: " طنن ع الديسة يارا " أي: اجلس على الحصيرة يا رجل! وفي مادة "طنا" في (اللسان): أطنى: إذا مال إلى الطنى وهو البساط. فنام عليه كسلاً. والأرجح أن فعل الأمر عند البدو [طنن] أصله "اطنِ" أما "الديسة" بمعنى الحصيرة، فإن تسميتها راجعة إلى أنها تعمل من نبات ينمو على أطراف المستنقعات يدعى "الديس " وأما " يارا" بمعنى "يارجل" فمن القطع المعروف عند بعض قبائل العرب.

وفي صبا الكاتب كان يسمع أحيانًا ألفاظًا فصيحة جدًا تجري على ألسنة العامة، والنساء بصورة خاصة، في بلدته مصراتة (٢٠٠ كليو متر شرقي طرابلس العاصمة) من مثل القول:

عيت (عائلة) فلان جو (جاءوا) بقضهم وقضيضهم. وتنطق القاف هنا معقودة، أو القول: وقعد (أي: ظل) هذا ديدانه (ديدنه -أي دأبه). غير أن هذه المفردات وأمثالها اختفت، أوكادت أن تختفي من الاستعمال الآن؛ إذ يستعمل تعبير "كلهم" بدلاً من "قضهم وقضيضهم " وكلمة مدادم بدلاً من ديدنه.. (ديدانة في النطق اللهجي بمد الدال الثانية) مع هذا تظل ألفاظ فصيحة تبدو عند الوهلة الأولى غريبة على السمع، فلاتفهم إلا بإرجاعها إلى أصلها الفصيح. مثال ذلك الفعل "يستغابط" بمعنى: يسارع إلى، وهي دالها الفصيحة "يستبق" أبدلت القاف غينًا وقلبت قلبًا مكانيًا بإسباق الغين (القاف) الباء ومدت، وزيدت الطاء، ونسمع تعبيرًا مثل: (أحيش) بإمالة الياء ،وأصله في العربية (من حيث)، وكذلك "اشحنه" وعربيته "حيث إن" وهناك "شنو/ اشنوه" (أي شيء هو)، و"علاش/ عليش" (على أي شيء)، "ليش" (لأي شيء) وغيرها،هذا كثير مما له نظائر في اللهجات العربية الأخرى، وهكذا يمكن متابعة الفصيح الذي ظل فصيحًا أو أصابه اللحن، أو جرت عليه قوانين الإبدال والقلب المكاني.. إلخ.

بغيره)، فقد كانوا يحيون في عزلة شبه كاملة تكتنفهم الصحراء من شرق وغرب وجنوب والبحر من شمال. وهكذا ظلوا على عربيتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الإعراب إلا ما لا قدر له بالإضافة إلى ما يعربون.

هذا الواقع من فصاحة البدو الأميين بسبب العزلة تقابله عامية الحضر حتى عند المتعلمين منهم، بل عند خاصة المتعلمين، في المدن التي تعرضت لاختلاط أهلها بالأجانب بسبب الغزو والاحتلال، أو عن طريق المعاملات التجارية، وإذا لم يكن بين أيدينا مصادر تتحدث في هذا المجال في العصر الذي كتب فيه العبدري للمقارنة، فإن لنا مثلاً في (يوميات) حسن الفقيه حسن(*) الذي كان يسجل (يومياته) مدة أربعين عامًا في عهد حاكم طرابلس "يوسف باشا القرمانلي" منذ نحو مئتي عام، ويعتبر من خلصاء الحاكم وصفوة المتعلمين يومذاك؛ فقد كانت لغته خليطًا من الدارجة الممعنة في عاميتها، وكثير جدًّا من الألفاظ الأعجمية،كلها أوجلها، في حاجة إلى شرح للقارئ اليوم، بل للقارئ الليبي، وإن كان طرابلسيًّا قحًّا؛ إذ يستعصي عليه فهم الكثير من الألفاظ والجمل، إلا ببيان دلالتها في ذلك الزمان(١).

من المؤكد أن جملة أسباب أدت إلى انحدار الدارجة الليبية إلى العامية وكثرة الدخيل فيها، من بينها توالى غزو البلاد من قبل القوى الأجنبية واحتلالها مرات كثيرة، وتنوع هذا الاحتلال، مما ترك الأثر الكبير في تنوع الدخيل، ثم فقر البلاد،

(*) نشر مركز الجهاد للدراسات التاريخية، الجزء الأول منها باسم (الحوليات الليبية) ،تحقيق: محمد الأسطى، وعمار جحيدر ١٩٨٤م، وحسن الفقيه حسن (١٧٨٠ – ١٨٦٦) هو الجد الثاني للأستاذ علي الفقيه حسن الذي كان عضو بمجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق، وتوفى سنة ١٩٨٠ م.

(١) لنقرأ هذا المقطع على سبيل المثال: " خرجوا فسيانات انقليز من المراكب المذكورين أعلاه إلى المنشية، دخلوا الشوارع على قولهم منهم واحد طاح به واحد عربي جلد عليه بنيار عطاه عدده دورو وطلقه ولن يعرفوه" ص ٥٩٧. أو هذا المقطع: " بعتوا إلى حوشنا أربع متارد حلاوات وحولي صادة وحولي بالفضة سماوي وكردية وسوابيت حنة" ص ٦٤٠. وقد احتاج المحققان إلى إحدى وأربعين صفحة لوضع معجم للألفاظ التي يعسر فهمها في هذه (اليوميات) إضافة إلى الشروح المسهبة على المتن ذاته.

الذى ساعد على رسوخه القتال الضاري بين أهلها والغازين أو فيما بينهم أنفسهم، مما أدى إلى إهمال مصادر الحياة المستقرة من زراعة وصناعة، وكانت النتيجة إهمال التعليم وانتشار الأمية والجهل، حتى أصبح القارئون قلة يعدون على أصابع اليد في البلدة الواحدة أحيانًا.

ويقدم لنا الرحالة المغاربة بالذات الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم في رحلاتهم صورًا قاتمة عن مدى التخلف الذي مرت به البلاد على مدى قرون من الزمان، وعن المستوى العلمي والثقافي، وتبعًا لذلك المستوى اللغوي[١]. ويذكر العياشي[٢] أنه زار زاوية الشيخ أحمد زروق[٣] في بلدة مصراته وصلينا الجمعة بالمسجد الجامع وهو الذي كان الشيخ يصلي فيه، وخطب إمام المسجد من ورقة، وليته أحسن القراءة منها، فإنه كان يتوقف حتى في آيات من القرآن العظيم، وأسفت لذلك المكان مع شرفه بجوار الشيخ وكونه واسطة البلد كيف يسند الأمر فيه إلى غير أهله ويوضع في غير محله؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد". وإذا كان هذا الخطيب لا يحسن القراءة حتى في آيات القرآن العظيم فكيف الحال عند عامة الناس؟

لقد كانت الأمية ضاربة أطنابها بشكل مفجع، وطبيعي أن تنحدر الدارجة تبعًا لذلك. وحتى عهد قريب كانت الأمية سمة المجتمع الليبي، ويذكر الكاتب أنه لم يكن في ليبيا كلها يوم أعلن استقلالها (سنة ١٩٥١م) سوى عدد أصابع اليد الواحدة من خريجي الجامعات (من مصر وإيطاليا)، ولم تكن ثمة مدرسة ثانوية سوى واحدة في طرابلس، ولا مدرسة ابتدائية في منطقة مصراته (يقدر اليوم عدد سكانها بحوالي نصف

---

(١) انظر في هذا: كتاب (ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات) للدكتور محمد يوسف نجم، والدكتور إحسان عباس.

(٢) عبد الله بن محمد أبو سالم العياشي(توفي ١٠٩٠ هـ)الرحلة العياشية. المصدر السابق، ص٢٠٧.

(٣) عن هذا الشيخ الصوفي العالم وعن حياته وآثاره العلمية وطريقته الصوفية انظر للكاتب: أحمد زروق والزروقية.

مليون نسمة) إلا واحدة. والكاتب نفسه كان في الدفعة الأولى التي حصلت على الشهادة الإعدادية، ثم الثانوية العامة، اللتين أنشئتا أول مرة في جيله (*).

هذا كله أدى إلى (تدرُّج) العامية الليبية، أي أن تصبح دارجة ففسدت الألسنة حيث تكثر فيها الألفاظ الأجنبية بشكل ملحوظ، وتحرف الألفاظ العربية الفصيحة حتى لاتبين نطقًا ودلالة، مما جعل هذه اللهجة تبدو غير مفهومة كأنها رطانة.

في الصفحات التالية بعض أمثلة من الدخيل الذى صار جزءًا لا تستبين عجمته في هذه اللهجة، ولا يدري أغلب أهلها أنه دخيل، بحيث صار يجري على الألسنة مألوفًا ولا يفكر الناس في تعريبه إلا إذا حسبوه من العاميّ الدارج وأرادوا الحديث بالفصحى. أما الدخيل الواضح فأمر آخر صار أهل ليبيا يتجنبونه ويبحثون عن لفظ عربي يستبدلونه به، وهو مايخص شأن التعريب العام.

الدخيل :

تحوي الدارجة الليبية نوعين من الدخيل:قديم وحديث.وبعض هذا الدخيل صار من صلب اللهجة، ولا يفطن إليه إلا بالتمعن الطويل، وهـذا هو الذى يعنينا هنا، وبعضه يسهل التعرف عليه بيسر لوضوح عجمته(١).

(*) يختلف الوضع اليوم تمامًا بعد مرور نصف قرن؛ إذ تبلغ طاقة استيعاب من هم في سن الدراسة١٠٠% ولاتخلو قرية من مدرسة، وعدد المدارس الإعدادية والثانوية لايقع تحت حصر. ويكفي القول: إن في ليبيا اليوم ١٤ (أربع عشرة) جامعة بكلياتها المتعددة في شتى مجالات التخصص، ويبلغ الطلاب المسجلون في الجامعات لسنة ١٩٩٨-١٩٩٩م نحو ١٦٥,٠٠٠ طالب-عدا الآلاف الذين تخرجوا منذ إنشاء نواة (الجامعة الليبية) سنة ١٩٥٤م في بنغازي (كلية الآداب والتربية، ثم كلية الاقتصاد والتجارة) ولا يكاد يوجد أمي واحد في من هم تحت سن الثلاثين، كما أن نسبة تعليم المرأة تعتبر نسبة عالية جدًا مقارنة بمجتمعات أخرى.

(١) يرى الكاتب أن عددًا كبيرًا مما يسمى"الدخيل" هو في أصله البعيد عربي الأثلة، استعجم حين "اقترضه" الآخرون. فاليونانيةgaidouros نجدها في مادة (حضر) العربية، بدلالة الحصان،..Konido في مادة(قنط)، ومنها: القنوط: اليأس التام. وهكذا. ولكن هذا موضوع آخر يعكس الآية إذ يجعل "الدخيل"عربيًا دخيلاً في اللغات الأخرى، عاد إلى العربية محرفًا!

الدخيل القديم:

من الدخيل القديم ما يرجع إلى عهود اليونان والرومان، وبعضه جاء من لهجات عروبية غير العربية العدنانية، من أمثلة ذلك :

من اليونانية:

(جادور)-(حصان، فرس). يونانيته gaidour (os) بمعنى (حمار).

(كوتي)-(صندوق[١]) يونانيتهVKi(s) oto.

(قلعاوي) - (البطيخ الأصفر، يدعى في بعض البلدان العربية: شمام[٢]) هو في اليونانية: Kolokufi.

(قنط) - (ربط بقوة) في اليونانية Konido (ربط، حاك، شبك) قارن الإنجليزية Knot.

من اللاتينية:

(بيثر) (الياء ممالة، وتنطق الثاء تاء مثناة في بعض المناطق: ضرب معين من التين)، هو من اللاتينية bifer (الذي يطرح ثمره مرتين في السنة، كما هو المعروف عن هذا النوع من التين حرفيًا: يجلب، يحضر، يحمل، مرتين).

(إيقس) (القاف معقودة، تقال للحصان كي يقف، وفي البربرية: حصان).

في اللاتينية equs (حصان).

(ارميكي) (الياء ممالة =يتكلم بلغة غير مفهومة) في اللاتينية Aramicu(s)= آرامي، لا تفهم لغته.

---

(١) كلمة "صندوق" ذاتها يونانية وهي ذات صلة بـ sandalon (خشب/ شجر الصندل)ويقال: إن اسم "الكويت" تصغير لـ "كوتي" التي صار معناها "قارب"، وفي اليونانية Kivotos tou nou noe (سفينة نوح). ويقال: إن "قارب" هي الأخرى يونانية "Karabi"؛ لأن أهل الكويت كانوا معروفين باستعمال المراكب في الصيد، والتقاط اللؤلؤ خاصة!

(٢) "الشمام" في ليبيا بطيخ أصفر صغير الحجم يشبه الحنظل، إلا إنه حلو. ولا صلة للقلعاوي بالقلعة. هذا يشبه ما في الجزيرة "خربز" نجده في اليونانية " Karbouzi ".

(سنَّاري) (في بعض النطق: اسْفِنّاري، سفراني) - (نبات الجزر) في اللاتينية syna-ro (s).

من الدخيل العبري:

(خنّاب)-(لص[١]، سارق، والمصدر: خنبة، والفعل: يخنب[٢]) في العبرية: "خنب". (مزّال) (حظ، سعد. يقال: طاح مزّاله، أي : كان سيِّئ الحظ) في العبرية: مزّال[٣] = حظ.

(بنيم)-(حجارة،أحجار.والمفرد: بنيمة) في العبرية : بنيم [٤] (صيغة الجمع)= أحجار.

من الدخيل البربري:

كثير جدًّا من المفردات في الدارجة الليبية جاءها من البربرية، مثال ذلك:

(بازين)-(أكلة تشبه العصيدة، قبيبة من العجين المطبوخ حولها المرق).

(تفونة) - (سمينة، في البربرية) (تافوناست) =(بقرة)على التشبيه.

(ساقم)- (مغرفة للطبيخ).

(سبسي) - (لفافة تبغ،دخينة،"سيجارة").

(سورية) - (قميص).

(فكرونة) - (سلحفاة).

---

(١) يذهب بعض الباحثين إلى أن العربية "لص" معربة عن اليونانية" les (tos)".

(٢) يبدو أن العبرية"خنب" تكافئ العربية "خلب"أو"كلب" قارن الإنجليزيةKlephty وهي من اليونانية. وقد سرى لفظ" كْلفِتي" في الدارجة الليبية بمعنى"سارق" في الأربعينيات نتيجة وجود عساكر الاحتلال البريطاني وقواعده. لكنه انقرض الآن وبطل استعماله.

(٣) تقابل العربية"منــزل" وذلك لأن الحظ مرتبط في التصور التقليدي القديم بمنــزل (برج، أو نجم) الإنسان يوم ولادته. ومن هنا جاء التعبير العربي" الطالع" (حسن الطالع /سوء الطالع) أي طلوع النجم يوم ولادة المرء.

(٤) في العروبية العتيقة يؤدي الجذر" ب ن" معنى الحجرية. في المصرية القديمة"ب ن" (حجر) وتضاعف"بن بن"(مسلة حجرية/رمز عبادة الشمس) قارن: بنية إبراهيم(اسم للكعبة -المشرفة)ومنها كذلك " بن (ابن) بمعنى "ولد" كأن الوالد يبني ولده وتبدل النون راء"ب ر " في عدد من اللغات العروبية، ونرى أن أحد الأسماء الحسنى (البارى / البارئ) بمعنى الخالق من هذا المأتى، ومنه (البرية) (الخلق / المخلوقون) ...إلخ.

(ترفاس) - (كمأ).

من الدخيل السرياني:

نلاحظ تأثير السريانية في التعريف(اللواحق بصفة خاصة) أكثر منه في المفردات.

في الدارجة الليبية تزاد الواو والنون للتصغير، فيقـــال :"صـــغيرون" (صـــغير)، "كليبون" (كليب - تصغير المصغر)، عفريتون (عفريت) وحتى كبيّرون (تصغير "كبير") ظرفونة:(وعاء صغير من سعف النخل، ظرف مؤنث "ظرفون").

وتحفون(من "تحف"،بمعنى" تحفة"، طرفة)،زعبون (مبدلـــة الجـــيم زايًـــا مـــن "جعبون"مقلوب"عجبون"- من العجب[١]) .

وتزاد السين في آخر بعض الكلمات من مثل:

(كرموس)-(كرم،وتعني شجرة التين[٢]).

(فرطاس)- (أقرع[٣]).

(قطّوس[٤]) (قط، هرة، تطلق على المذكر والمؤنث وتؤنث أحيانًا : قطوســـة،والجمع: قطاطيس، وقطاطس).

ملاحظة:

من الغريب أن يلاحظ المرء أن عددًا كبيرًا من ألفاظ مايدعى (اللغة السرية)، أو (اللغة الخفية) أعني لغة التعبير عن الأعضاء التناسلية والعورة، يرجع إلى لغات منـــدثرة كالأكادية والسومرية، وهي ظلت ألفاظاً مطمورة متداولة متوارثة، جيلاً بعد جيـــل،

---

(١) قارن الدارجة المصرية: يتعاجب /معجباني.

(٢) نفس التسمية في تونس، وفيها كما في ليبيا وبقية أقطار المغرب العربي الكبير يدعى شجر التين" كـــرم" وثمرتـــه" كرموس" في حين أن الكرمة شجرة العنب في الفصحى. ويبدو أن التسمية جاءت من أن الشجرتين كلتيهما فيهمـــا ورق كثير يُظلل (يكرم)ماتحته، فاشتركتا في التسمية. أما السين في كرموس فمزيدة ربما من السريانية للتصغير.

(٣) لكن قارن مادة" فرطس" في (اللسان): فرطيسة الخنـــزير وفرطوسته: أنفه. وأنف فرطاس: عريض. ربمـــا كـــان للشبه في زوال الشعر مابين رأس الأقرع والأنف.

(٤) من هذا تكون دخيلة من اللاتينية "gattus"(هر/هـــرة) قـــارن الإيطاليـــة "gatto " والفرنـــسية "chatte" والإنجليزية " cat".

ولعل عدم تقييدها هو الذي حافظ على وجودها بدلاً من أن تتعرض للاندثار، وهذه- في حد ذاتها- **مسألة في حاجة إلى درس وبحث**، إذ ما الذي جاء بهذه المفردات الخاصة جدًّا من أقصى المشرق إلى أرض المغرب لتظل بقية من تلك اللغات المنقرضة مستعملة حتى اليوم؟

كما توجد مفردات عروبية قديمة، من مثل:(زقطي) - (حاذق، ذكي)، وهي في الأكادية (زقاتو) وكلمة (تُكاميَّة) (عقدة "الجرد" اللباس الوطني الليبي، على الكتف اليسرى)، في الكنعانية (ث ك م)-كتف.

الدخيل الحديث:

جاء في أغلبه جراء الغزو والاحتلال اللذين تعرضت لهما ليبيا من القوى الاستعمارية المختلفة، فقد احتلت البلاد من قبل الأتراك العثمانيين مرتين لمدة طويلة، كذلك احتل الإسبان طرابلس نحو عشرين عامًا، ثم فرسان القديس يوحنا، واستعمرها الإيطاليون من أوائل القرن العشرين حتى أواسطه، واحتل الفرنسيون جنوبها بعد الحرب العالمية الثانية، أما البريطانيون فكانوا في إقليمها الشرقي، كما كانوا يشاركون الأمريكان احتلال إقليمها الغربي.

هذه أمثلة مما دخل اللهجة الليبية الدارجة وصار جزءًا منها:

الدخيل التركي:

نلاحظه في مجالين أساسيين: الطعام والمطبخ وأدواتهما، ثم الثياب وما يتصل بهما، مع بعض المفردات القليلة في ما يتعلق بأثاث المنزل[١]:

---

(١) نلاحظ أن لهجات أخرى مختلفة تشارك اللهجة الليبية هذه الأسماء، لاشتراك الأقطار العربية في وقوعها تحت السيطرة التركية. وما أقدمه هنا مجرد أمثلة فقط.

في الطعام والمطبخ:

كيما، ضولمة، براك، بوريك، طباهج، كفتة (كلها أسماء أصناف من الطعام)طاجين، طاوة، بكرج، سزوة، كاشيك، كوريك، كوهان، فنجال (أدوات مطبخ).

في الثياب: ترليك (حذاء نسائي)، تستمال (عصابة رأس)،كردان (حلية من الذهب)، شخشير (جورب-فارسية)، كندرة (حذاء رجالي)، كادار (حذاء عسكري)كلباك (غطاء للرأس).

مفردات أخرى في الحياة العامة:

شيشمة (حنفية، صنبور)، كشلة (معسكر، قلعة)، مندار (فراش للجلوس. في الدارجة المصرية: شلتة)، شيشة (قنينة)، شيش (زجاج)، رقيلة (نارجيلة) بظله (نتن، سافل).

من الدخيل الإسباني:

الغريب أن تأثير الإسبانية يكاد أن يقتصر على تسميات أوراق اللعب (تدعى في الدارجة الليبية: كارطة، والفعل: يكرِّط=يلعب الورق) من مثل:

رَيْ (الملك/في الدارجة المصرية: الشايب) Re.

كاوان(الولد) في الإسبانية cabalero (فارس[1]).

موجيرة(البنت) في الإسبانيةmujcra.

والأعداد:

لاص (الأول، واحد).

دوس (اثنان).

---

(١) لأن الصورة القديمة على هذه الورقة كانت صورة فارس يمتطي حصانًا.

تريس (ممالة. ثلاثة) وهكذا :كواترو، شِنْكوِي، شيش(ممالة) لكن السبعة تظل (سبعة). ثم الألوان ديناري، اصباطة، بصطون، كُبّـــي. وأسمـــاء الألعـــاب: رونـــدا، بازقـــة، اشُكبَّه..إلخ.

ونظرًا لقرب الإسبانية والإيطالية، فإن بعض المفردات هنا مشتركة بين اللغتين اللاتينيتي الأصل.

من الدخيل الفرنسي:

رغم أن الفرنسيين لم يحتلوا سوى الإقليم الجنوبي من ليبيا (فزان)، ولفترة قصيرة نسبيًّا(١٩٤٥-١٩٥٦)وظلوا معسكرين في عاصمته(سبها)فإن عـــددًا مـــن الألفـــاظ الفرنسية دخل اللهجة الليبية، ربما عن طريق اختلاط الليبيين والتونسيين، من ذلك : زوفري (سوقي[١]).

إمريقَل (الياء ممالة والقاف معقودة) "مستريح. هانيء. دون مشاكل[٢] Reglaire

" يقاجي (القاف معقودة. "يراهن" /يخاطر) gager.

يدّمدر (ينام) dormir (وفي الإيطالية dormire).

كرفي (سخرة) corvee.

نلاحظ هنا أيضًا أن هذه المفردات موجودة في الإيطالية، لقربها من الفرنسية.

---

(١) هناك تعبيران آخران:" سفتول" -والفعل: يسفتل. وهو ذو صلة بينة بالعربية (سفل): سافل، سفلة. و" عـــسكر سوسة" ويجمع: عساكر سوسة، و"سوسة" هذه مدينة في تونس كما أنها بلدة في الجبل الأخضر في ليبيا. وليس مـــن المعروف إلى أي"السوستين" ينسب هذا العسكر (العسكري) العابث. أما " زوفري" فأصلها Zouave Quvrier (عمل زواوة) وزواوة قبيلة فى الجزائر كان بعض أفرادها في الجيش الفرنسي.

(٢) هناك تعبيرات أخرى من مثل" امبحيح" (متبحبح)، امربّخ (من العربية" ربـــخ = اســـترخى) "زابـــط" (قـــارن الدارجة المصرية" مزأطط")،"امفرشك".ويقال: فرشكو، والاسم: تفرشيك. ربما من الإيطالية fresco قارن الإنجليزيـــة fresh.

من الدخيل الإنجليزي:

عرفت الإنجليزية بعد الحرب العالمية الثانية بانتهاء الاحتلال الإيطالي وبداية تعليم تلك اللغة في المدارس. ومنذ ذلك الحين دخلت مفردات إنجليزية في صلب اللهجة الليبية وصارت تتداول على ألسنة العامة، منها على سبيل المثال:

كنصل (قاطع، امتنع عن الحديث أو اللقاء مع غيره).

وتفعّل : يكنصل. في الإنجليزية CANCEL.

المنقيط (بقاف معقودة بمعنى: البوابة الرئيسية) من الإنجليزية MAIN GATE (بوابة قاعدة جوية على مشارف طرابلس الشرقية).

يلف (يكذب، يبالغ في ما يروي) الإنجليزية pluff.

ورشة (محل العمل الصناعي أو الصيانة) WORKSHOP.

كلفتيّ (لص) KLEPHTY.

الدخيل الإيطالي :

بدأ الاحتلال الإيطالي في ليبيا سنة ١٩١١م وانتهى سنة ١٩٤٣م ورغم أن سيطرة الاستعمار الإيطالي لم تكتمل؛ بسبب المقاومة العنيفة المستمرة التي جابه بها الليبيون الغزو الاستعماري، إلا في سنة ١٩٣١م بإعدام شيخ الشهداء عمر المختار، فإن تأثير اللغة الإيطالية في اللهجة الليبية كان شديدًا لعاملين : أولهما-: أن الإيطاليين فرضوا استعمال لغتهم بالقوة في جميع مناحي الحياة إبان حكمهم، ومنعوا التعليم بالعربية إلا في "الكتاتيب" الأهلية، التي كان عملها يقتصر على تحفيظ القرآن الكريم. وثانيهما – أن جالية إيطالية كبيرة ظلت في البلاد تسيطر على جوانب كبيرة من الحياة العامة في التجارة والصناعة والمصارف والمستشفيات حتى سنة ١٩٧٠م يوم طردوا جماعيًّا بفعل قيام الثورة، وقد كان من النادر جدًّا – في جيل الكاتب – من لايمكنه التفاهم، ولو بأقل مستوى بالإيطالية، وبذا دخلت مفردات إيطالية كثيرة اللهجة الليبية وصارت جزءًا منها تستعمل دون الانتباه إلى أصلها حتى اليوم – رغم مرور ثلاثة

عقود من التعريب المتواصل، مع ملاحظة أن عددًا هائلاً من المفردات الإيطالية بطـــل استعماله بفضل التعريب ولكن عددًا آخر ظل مستعملاً مفعلاً ومصرفًا..دون حـــرج، من ذلك مثلاً:

يفلتش (يستعمل إحدى إشارتي الدوران الجانبيتين في السيارة).

يدّرس (يوقف السيارة في مكان ما، الدارجة المصرية" يركن ").

(يسمن الخروف ونحوه).

يمشكي (يخلط أوراق اللعب، وتستعمل مجازًا كذلك).

يكورب (ينعطف في الطريق وتستعمل مجازًا).

يزبندي (ينحرف عن الطريق).

يبردي (لهواء إطار السيارة. الدارجة المصرية " ينفس ").

يتعفلق (يغضب كدرًا. الدارجة المصرية: يتحمق، يتحمئ).

زقرلُّو (صرصار).

ازنيلّو (شاب رخو).

قاقابوندو (أفّاق).

طاولة (منضدة).

ستوفُأ (موقد).

بريزة (قابس النور الكهربائي في الجدار. الدارجة المصرية " كوبس ").

سبينه (" وصلة" النور القابسة).

آنتينًا(هوائي البث الإذاعي واللاسلكي).

بومبا (مضخة).

الدارجة تتفصح:

يبدو للدارس أن ثمة تطورًا مذهلاً في الدارجة الليبية خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة من هذا القرن الذي شارف على نهايته في اتجاهين: التخلص من الدخيل، واستعمال الفصيح بدلاً من الحوشي أو الغريب. وكان هذا بفضل جملة عوامل منها:

١- انتشار التعليم بالعربية بدءًا من سنة ١٩٤٣م (انتهاء السيطرة الاستعمارية الإيطالية).

٢- اختلاط عرب ليبيا بإخوتهم العرب الآخرين، وبخاصة عرب مصر، عن طريق سفرهم إلى مصر (وكانوا محرومين منه أيام الاحتلال) ومجيء أعداد وافرة من المدرسين المصريين للتعليم في المدارس الليبية، إلى جانب ورود الصحف والمجلات وسماعهم الإذاعات، ورؤيتهم أشرطة الخيالة (السينما) التي كانت تستعمل اللهجة المصرية بمفردات عربية الأصل، فوجد فيها الليبيون عِوضًا عن الإيطالية.

٣-كراهية الليبيين للاستعمار الإيطالي، الذي فرض عليهم لغة غير لغتهم، ونكل بهم وقتل نصفهم وشرد ربع سكان البلاد، فصاروا لاجئين في الأقطار المجاورة.

٤-وهذا هو العامل الأهم : قيام الثورة ١٩٦٩م المؤمنة قيادتها إيمانًا مطلقًا بضرورة سيادة العربية على المستويين العام والخاص.

التعريب العام:

بدأت عملية التعريب العام منذ الشهر الأول لقيام الثورة الليبية، ففي جريدة (الثورة) بدأت تظهر على الصفحة الأولى منها تعليمات محددة بأنه يمنع استعمال المفردات الأجنبية في الأوراق الرسمية منعًا باتًّا، وأن من يخالف ذلك سيتعرض للعقاب. كما صدر الأمر الفوري بمحو أية كتابة على اللافتات والإعلانات بغير العربية، واستبدال التسميات العربية بالتسميات الأجنبية للمحلات والمتاجر والمقاهي

والصيدليات وما إليها بسبيل. وفي الصفحة الأولى من جريدة (الثورة) التي صدرت بُعيْد تفجر ثورة الفاتح كانت تنشر جداول بـ"قل"و"لا تقل": قل: (مصرف) ولا تقل: (بنك). قل: (هاتف) ولاتقل: (تليفون). قل: (بريد) ولا تقل: (بوسطة). قل:(رصيف) ولا تقل: (مرشبيدي). قل: (مطلبة) ولا تقل (فاتورة). قل: (خيالة) ولا تقل (سينما) قل: (دراجة) ولا تقل: (بشكليط) قل: (صيدلية) ولاتقل: (فرماشيا). قل: (مستشفى) ولا تقل: (سبيتار).قل: (قلم) ولا تقل: (بينا).. إلخ وكان عدد قليل من الليبيين يعرفون صاحب هذه "التعريبات".

وقد استمر تيار التعريب سنوات طويلة، حتى بات الأمر مألوفًا في يومنا هذا فلا تجد في طول البلاد وعرضها مظهرًا واحدًا من مظاهر اللغات الأجنبية على الإطلاق، وبلغ أمر التعريب العام مداه بإبطال استعمال أي حرف أعجمي في الأوراق الرسمية حتى تلك الموجهة إلى السفارات والشركات الأجنبية ذات الصلة بليبيا، وكذلك في جوازات السفر الليبية التي كانت مكتوبة بالعربية فقط، وطلب من أي أجنبي يبغي دخول البلاد أن يكون جواز سفره مكتوبًا بالعربية إلى جانب لغة بلاده، ثم سهل الأمر بقبول ملصق بالجواز رسمي يحمل" ترجمة" عربية لما يحويه من معلومات وبيانات.

هذه السياسة الحازمة يسندها قرار ثوري حاسم أثمرت بصورة تبعث على الإعجاب؛ فقد صار من المخجل أن ينطق الليبي اليوم لفظًا أجنبيًا يدري أنه أجنبي، سوى ما تسرب إلى اللهجة وصار جزءًا منها دون أن يفطن إلى مصدره. فلا أحد يقول (تليفزيون) مثلاً إلا ويشعر بالحرج؛ لأنه نسي أن يقول:(الإذاعة المرئية) أو (المرئية)، أو يقول: (ميكروفون) بدلاً من (ناقل الصوت) أو (مكبر الصوت) حسب الحال. بل إن التعريب بلغ الفلاحين الذين يقولون الآن: (مضخة) الماء بعد أن كانوا يقولون: (بومبا). وتسمع بائع الفاكهة يسمي نوعًا من البرتقال (الحسناء) بعد أن كان يدعوها (بيلادونا) وهي الإيطالية bella donna (حرفيًا: السيدة الجميلة = الحسناء) ولم يعد

تلميذ واحد يستعمل (متيتا) أو (قوما) بل (ممحاة) أو باللهجة (محاية)، أو (بـــادجيلا) فيقول: (صحيفة.) وبعد أن كان يسمى المدرس (مايسترو) صار يدعوه (الأستاذ). وفي المستشفى (الممرضة) وليست (السوريلا) و(الإبرة) وليس (الشرنقة) و(الشاش) وليس (الفاشا)، و(المرهم) وليس (البوماطا). وليس من أحد اليوم يقول: (اتريـــك) وإنمـــا (الكهرباء) ولا تسمع (سيقاريا) أو (لفندريا) أو (كافتريا) ونحوها، وإنما هـــي (محـــل نجارة)و(مغسلة) و(مقهى).. وهلم جرا.. وإن ظلت بعض المفردات مستعملـــة مثـــل (لامبا) التي لم تجر (مصباح) بدلاً منها على الألسنة.

الملاحظة الغريبة فعلاً تتضح في مجالين: المجال الرياضي، حيث يبدو التعريب العام شاملاً، فقد انتفت تمامًا تسميات في لعبة كرة القدم مثلاً، كانت بالإيطالية ثم بالإنجليزية لتتعرب تعربًا كاملاً، كذلك الأمر فى تسميات الألعاب الأخرى. ولعل السبب يعود إلى أن هذه التسميات والمصطلحات الرياضية منتشرة علـــى صـــفحات الـــصحف وفي الإذاعات، فكانت هذه الوسائل الإعلامية أداة لنشر تعريبها بشكل واف بين الشباب.

أما المجال الثاني فهو ما يتعلق بالسيارات وتسميات أجهزتها المختلفـــة حيـــث أخفق التعريب هنا إخفاقًا تامًّا، رغم أن كتيبات التعليمات الخاصة بالسيارات المختلفة، وهي مستوردة كلها، مكتوبة بالعربية بقرار، ولعل السبب هنا راجع إلى ضيق نطـــاق استعمال هذه المصطلحات والتسميات في محلات صيانة السيارات.

لكن كيف نفسر أن المفردات الأجنبية (إيطالية في الغالب) لاتزال على الألسنة؟ فلا أحد - إلا النادر - يقول: (العادم) بل(مرميتا)، ولا(الكـــابح) بـــل (فرينـــو) ولا (مبدال) بل (مارشا) ولا (مقود) بل (دومان) ولا (إشارة جانبية) بل(فليتـــشا)، ولا(إشارة توقف) بل (صطوب) ولا (كابح يدوي) بل (فرينو مانو) ولا (تـــأخر) بـــل (مارشا انديترو،كسكسة في اللهجة المصرية). صحيح أن الليبيين يـــسمون المـــصابيح (فنارات) ويقولون: (مساحات) مثلاً لماسحات الماء عن زجاج السيارة الأمامي، لكن

مفردات أجزائها الداخلية من مثل (بونتيني) و(راداتوري) و(كاربوراتوري)و(بومبا) وغيرها هي المستعملة، وإن كانوا استعملوا "الشمعة"تسمية لشعلة الاحتراق ويجمعونها على (شماعي) بدلاً من شموع أو شمعات.

ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا بكون الإيطاليين - قبل طردهم سنة ١٩٧٠م - كانوا هم أصحاب محلات صيانة السيارات وإصلاحها قبل أن يحل الليبيون محلــهم، فظل ما يتعلق بها إيطاليًا قحًا، أو محرفًا، ربما لضيق نطاق استعمال مصطلحاته فنيًا وعدم تناول وسائل الإعلام المؤثرة في الناس لها على وجه العموم.

إذا كان التعريب قد جرى بهذه القوة والسرعة لما هو معروفة عجمتــه، فــإن الرغبة الشديدة في تفصيح اللهجة عند الليبيين أدت إلى إحلال مفردات يــرون أنهـــا الأفصح، بدلاً من مفردات أخرى كانت دارجة ترجع أصلاً إلى لغـــات أوربيـــة، أو التركية، أو إلى اللهجة البربرية، أو هي عربية قديمة أهملت لحسبانها غير فصيحة. وهذا تطـــور ملاحظ محمود، نتيجته اقتراب الدارجة الليبية من أخواتها - في المشرق خاصة - وقلة "الغريب" على الأسماع فيها. في الجدول التالي بعض الأمثلة:

المفردة المهملة	البديل الغالب اليوم
حُكة (عربية قديمة : حُقّ)	علبة
فوشيكة (تركية: فشك)	رصاصة
غدرية(من "غدر" العربية)	مسدس
متريوز(إيطالية)	رشاش
كشلة (تركية : قشلاق)	ثكنة
بالاص (إيطالية : بالاسو)	عمارة
شياتة (تركية)	فرشاة(تنطق:فرشة)
صباط (إسبانية)	حذاء

دلمنت (تحريف: ديناميت)	لغم
ترمفي(اسم علامة تجارية)	دراجة نارية
كامبو (إيطالية)	معسكر/مخيم
أسانسير(فرنسية)	مصعد
حسّان(عربية من "حسن")	حلاق
زنفليقة(تركية)	جماعة/مجموعة
يملعق(من" لعق" = لحس)	يلِّيس (شامية)
بطمة (إنجليزية bottom)	زر
كباسة (مدفن الفضلات)	محل القمامة
نوالة (بربرية: تانوالت)	مطبخ
مفرطة (بربرية: تافراطت)	مكنسة
أروال(بربرية: أروال)	مخزن
مغازة(فرنسية)	متجر
كريولة/براندة (تركية/إيطالية)	سرير
شاطار(تركية)	مشجب
قجر(إسبانية)	درج
زينقو (إيطالية)	صفيح
قداحة(عربية)	ولاّعة
صابون امَسَّك (مُمَسَّك)	صابون وجه
كازوزة	مشروب
يسَّحَّم(يستحم) في البحر مثلاً	يسبح / يعوم
يطوّق(يختال) / طوّاق	يغتر/مغرور
الفقي (الفقيه)	الشيخ/الإمام
قصّ (عملية جراحية)	عملية

طبّاخ(المقصود محل الطعام)	مطعم
بطناجي (بطنجي)	أكول
مرايات (للنظر)	نظارات
شبّاحة (مرآة)	مراية
سترة / بسطران	كبّوط /بالطو
سدرية (صدرية)	فرملة
يطوّر/ يحسّن (شعر الرأس)	يحلق
خفية (شرطة سرية)	أمن سري
يسبّس	يدخّن
السلطان	العريس
عساس	حارس
شيشيد (تركية)	مخبز
حمالة (عربية)	شاحنة
كرهبة (كهرباء)	سيارة
بابور (الأصل = بخار) سفينة	باخرة
جردينا (إيطالية)	حديقة
يازيلو (إيطالية)	روضة (أطفال)
برقز (إيطالية)	تقاعد
رومي (عربية نسبة إلى روما)	أوربي
صاقاط (عربية من "سقط")	معوق/معاق
سبسي (بربرية)	سيقاره
روشن (تركية/ فارسية)	نافذة / شباك
بُرّط (بورت)	ميناء

ملاحظة لافتة للنظر:

كثير من المفردات الدارجة، دون اعتبار لأصلها، بطل استعمالها لسبب بسيط، هو أن مسمياها لم تعد مستعملة في الحياة اليومية في ليبيا لتطور الحياة، عامها وخاصها، والجيل الجديد لم يعد يعرفها؛ لأنه لم يعد يسمعها أصلاً، وكثيرًا ما يتعمد الكاتب ذكر مفردات كان يستعملها جيله أمام أبنائه (أكبرهم جاوز الثلاثين من عمره) وأمام شبان من الجنسين، بعضهم حضري وبعضهم ريفي، فكانوا يندهشون لسماعها، ويسألون عن معناها، وقد لايفهمون المعنى؛ لأهم لا يعرفون المسمى، من ذلك مثلاً :

وريتة (حبل قديم متآكل، يوقد طرفه فيظل مشتعلاً مدة طويلة لتقبس منه النار). الآن يستعمل: الثقاب،(يسمى في ليبيا:الوقيد) وصار يدعى: الكبريت - بتأثير اللهجة المصرية، أوالولاعة (القداحة) بدلاً من :الوريتة (عربيتها: الأريثة التي تؤرث النار).

السقّاطة:(رتاج خشبي للباب من أعلاه، يقفل به من الداخل) حلت محله الأقفال الحديثة المتطورة.

عين الزرزور: (شباك كان على الشرفات به ثقوب يرى من بداخل الشرفة غيره ولا يُرى) لم يعد مستعملاً؛ بسبب تحرر المرأة من قيود البيت/ السجن وخروجها إلى العمل والشارع.

وفي ميدان الزراعة خاصة أهملت مفردات كثيرة؛ لبطلان استعمال مسمياها من مثل:

كجرّ (حيث تجرُّ الدابة الحبل من البئر وإليها).

دلو(مايُدلى في البئر لاستخراج الماء).

كُرِّيّه (بكرة الحبل الكبيرة).

ستوكة (بكرة الحبل الصغيرة).

ميدة(جابية صغيرة تستقبل الماء من الدلو).

جناح السانية (أحد جدارين مدرجين يبنيان على جانبي البئر، تثبت فيهما خشبة في وسطها البكرة).

ساروت (مجرى الماء من "الجابية" إلى المزروعات).

ورغم أن أغلب هذه المفردات عربي الأصل فقد انقرض، أو كاد، لتغير وسائل الزراعة والري. وهذا مجرد مثال ينطبق على مجالات أخرى من الحياة في ليبيا التي تطورت بصورة واضحة، وتبدلت لغتها اليومية بحكم هذا التطور اجتماعيًّا واقتصاديًّا.

مما يمكن الحديث عنه لتفسير تفصح الدارجة الليبية أمر قد يبدو بعيدًا عن أذهان غير العرب الليبيين، وهو تجربة ناجحة جدًّا في هذا المجال؛ فقد دأبت الإذاعات المسموعة والمرئية على نقل جلسات (المؤتمرات الشعبية) التي تكوِّن أساس نظام الحكم في ليبيا، وكذلك جلسات (مؤتمر الشعب العام)نقلاً مباشرًا في مختلف المناطق. وقد تستمر هذه الجلسات، المذاعة " على الهواء" أسابيع عديدة، وكان المتحدثون باختلاف مستوياتهم من التعليم والثقافة ومن الجنسين، يعلمون أن كلامهم يسمع مباشرة و"يقيم" من قبل الآخرين، من حيث المضمون واللغة على حد سواء.

ومن هنا كان حرص المتحدث على استعمال الفصحى بقدر ما أمكنه، يدفعه إلى هذا إحساسه بضرورة أن يكون حديثه"أفصح" ما أمكن، إلى جانب التيار العام الذي يستهجن استعمال الدخيل أو الدارج مما يمثل ضغطًا اجتماعيًّا قويًّا، والسياسة الرسمية التي "تمنع" استعمال الدخيل منعاً باتًّا في الإدارات العامة وتعاقب مستعمله، وتسعى إلى وضع البديل العربي مكانه.

هذه السياسة الإذاعية- إن جاز التعبير-استمرت منذ نحو ربع قرن من الزمان. وعن سبيلها يلاحظ تطور كبير في الدارجة الليبية نحو الفصحى على ألسنة عامة الناس. كما يلاحظ كذلك أن المتحدثين في الندوات الإذاعية يحرصون على الكلام الفصيح..وإن لم يعربوا أو خانهم التوفيق في الإعراب والنطق الصحيح، بل إن

"المتدخلين" في بعض البرامج المباشرة عن طريق الهاتف، وقد لا يكونون على درجة عالية من التعليم، يحاولون دائمًا التعبير بالفصحى.

والحقيقة أن عرب ليبيا يتأذون كثيرًا من سماع بعض نشرات الأخبار في إذاعات عربية أخرى تذاع بالدارجة المحلية، كما يجرحهم حرص إذاعات معينة على تقديم برامجها بها. وهم يزدادون غيظًا من سماع "المناقشات" العلمية والثقافية والسياسية تجري بدارجة قطر من الأقطار، ويرون أن ثمة "سياسة" وراء هذا الأمر تنحو نحو تغليب هذه اللهجة أو تلك مما يدخل في باب (صراع اللهجات)، وهو أمر بالغ الخطر، لعل الأنظار تلتفت إليه، ولعله يناقش باستفاضة وجدية في المؤتمرات والندوات.

هناك ظاهرة أخرى في مجال تفصّح الدارجة الليبية جديرة بالنظر والاهتمام، بل المتابعة واستخلاص النتائج، أعني لغة الأطفال خصوصًا، فالملاحظ أن هذه اللغة أميل إلى الفصحى. وأدرك شخصيًّا أن لغة أولادي تختلف كثيرًا عن لغتي يوم كنت في سنهم، وهي أفصح من لغة الكبار بصورة ملحوظة، وإذا كان للتعليم أثره الذي لاينكر فإن السنوات العشر، وبخاصة الأخيرة منها، كانت ذات أثر أعمق وأوسع جاء من طريق عجيب، أعني مسلسلات مايدعى في ليبيا "الرسوم المتحركة" (في أقطار أخرى: أفلام الكرتون - وهما كلمتان أعجميتان).

هذه الرسوم المتحركة تنطق شخصياتها المحبوبة جدًّا بالعربية الفصيحة في حوارها، كما أن التعليق المصاحب لها فصيح كذلك. وقد كان لهذا الاتجاه المبارك تأثيره المحمود في تعويد الأطفال المتابعين لهذه الرسوم بشغف زائد النطق بالفصحى ترديدًا لما يسمعون. وكثيرًا جدًّا ما أسمع الأطفال يتحاورون - وهم يلعبون- بلغة هذه الشخصيات يقلدونها تقليدًا محكمًا جميلاً. لذا فإن ترجمة بعض قنوات التلفزة العربية حوار هذه الرسوم إلى لهجة دارجة في قطر من الأقطار تدعو للأسف، وتجب محاربتها والوقوف في وجهها، ذلك لأنها تغلب لهجة ذاك القطر، أو تحاول أن تفعل، من جهة، وهي الخاسرة؛ لأن هذه اللهجة قد تكون غير مفهومة في قطر آخر، وقد تؤدي إلى

تشبث أقطار أخرى بلهجاتها من جهة أخرى، إلى جانب كونها دعوة إلى "تلهيج" اللغة المشتركة، مما يؤدي إلى أذى كبير يبعد الفصحى ويغلب اللهجات. والجميع يـدركون خطر هذا الاتجاه، كما يدركون الأثر الكبير الذي تتركه هذه الرسوم المتحركة في لغة الأطفال.

ليس هذا فحسب، بل إن ثمة ظاهرة أخـرى محمـودة كـذلك يـثنى علـى أصحابها الثناء كله، وهي تقديم ما يعرف بـ "المسلـسلات المكـسيكية" بالعربيـة الفصحى، بصرف النظر عن محتواها ومضمونها؛ فهي لا ريب أدت إلى تغليب الفصحى على الدارجة وكان لها أثر واضح. فهل يمكن أن ننتبه إلى هذا الأمر؟

هل يمكن أن نسمع ونرى المسلسلات الإذاعية العربية تقدم لنا بلغتنا المـشتركة بدلاً من هذه اللهجات المحلية، التي يمعن البعض في اختيار أكثر الألفاظ والتعابير غرابـةً عند غير أهلها فلا تكاد تفهم؟ ألا ينبغي العمل، وبقوة في سبيل (توحيـد اللـهجات) وتقريبها بعضها من بعض باستعمال (اللغة المشتركة) ميسَّرة بقدر الإمكان، إن كنـا عاجزين عن (توحيد الأمة) سياسيًّا واقتصاديًّا على الأقل؟

هذه مهمة العلماء وقضية المؤمنين، وهي أمانة عظيمة لا يحملها إلا من أخلـص لأمته وصدق في خدمتها، حتى تتبوأ مكانتها اللائقة بها تحت الشمس وبين أمم الأرض.

* * *

كلمات من صميم اللغة، لا تستعمل إلا بمدينة الجزائر (*)

للأستاذ أحمد توفيق المدني

(عضو المجمع)

أيها الأعلام المبجلون:

إن من أسعده الحظ فرأى مدينة الجزائر اليوم، رأى حقيقة أمرًا عجبًا،لا يكاد يصدقه العقل وليس له من نظير، حسب اعتقادي، في أي بلد من بلاد العالم: رأى مدينة تجاوز عدد سكانها مليونًا ونصف مليون من الناس، قد أقبلوا على الاكتراع من مناهل العربية الخالدة، إقبال شراهة ونهم، وقد بذلت حكومة الثورة الجزائرية ما لم تبذله حكومة أخرى، خلال هذه السنوات العشر من سنة الاستقلال الغالي الثمن، فأنفقت زهاء الأربعين بالمائة من مواردها الضخمة في سبيل التعليم والتعليم العربي بالذات، فكانت دور العلم تخرج من الأرض بسرعة مذهلة بين ابتدائية وثانوية وعليا، حتى لم يبق اليوم بهذه المدينة التي علا صيتها قديمًا وحديثاً طالب واحد أو طالبة، لا يجد له مقعدًا في مدرسة حيه، وأقبل الأساتذة من جزائريين ومن مختلف الشعوب العربية، يلقنون أبناءنا لغة آبائهم وأجدادهم، فيتلقفها الطلاب تلقف الأرض الظامئة لقطرات المزن التي تحييها، ناهيك أنه يوجد اليوم بالجمهورية الجزائرية، ذات الستة عشر مليون من السكان، ثلاثة ملايين من مختلف الطبقات من الطلبة، يتعلمون جميعًا اللغة العربية، بينما كانوا في آخر سنوات الرجس الاستعماري لا يتجاوز عددهم الثمانمائة ألف طالب، لا يتلقون شيئًا من العربية، إذ كانت محرمة عليهم تحريمًا قاطعًا، ويعامل معلموها معاملة المجرمين، ويعاقبون أشد العقاب.

هذه هي حالتنا اليوم، والحمد لله، لكني أود أن أحدثكم عن الحالة التي رأيتها بهذه المدينة منذ خمسين سنة، أيام أبعدتني سلطة الاستعمار عن تونس، التي بها ولدت وتثقفت وجاهدت، إلى مدينة الجزائر موطن آبائي، ومرتع جهاد أجدادي.

(*) ألقي البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر الدورة الأربعين، في ٢٧ من فبراير سنة ١٩٧٤م. (ويمكن أن يدرج هذا البحث ضمن البحوث التي تعالج الألفاظ بين الفصحى والعامية).

لا أستطيع أيها الأعلام أن أقصّ عليكم قصة ذلك العهد المؤلم البغيض، عهد صبّ فيه الاستعمار قرابة قرن كامل جام نقمته، وسلط سوط عذاب على شعب عربي أصيل مكافح، فحارب دينه وحرم عليه استعمال لغته، وضيق على رجاله سبل الحياة، فتشردوا ذات اليمين وذات الشمال، وأسكن بين ظهراني الباقين منهم نحوًا من ستماية ألف أوربي، ذاقوا من الحياة عسيلتها، وارتشفوا كؤوس السعادة والهناء حتى الثمالة، لم يبق بمدينة الجزائر التي كانت تدعى خلال ثلاثة قرون: دار الجهاد، لم يبق بها إلا نحو العشر فقط من سكانها الأقدمين، فكانت أقلية في المدينة تافهة، أذل من اليتيم على مائدة اللئيم، و لم أعرف بالعاصمة يومئذ إلا مدرسة عربية أهلية واحدة، لا يتجاوز عدد تلاميذها، ذكورًا وإناثًا ماية طفل فمن جراء كل هذا، ومن أجل حاجة الجزائريين للعمل مع الفرنسيين أعمالاً دنيا، ومن مشاركة الجزائريين قهرًا وإجبارًا في العمل العسكري الفرنسي، ومن فقدهم كل أثر من آثار التعليم العربي استعجمت الألسنة، وتبلبلت اللغة، وصار الجزائريون أصحاب المدينة خاصة، يتكلمون لغة هي مزيج من بقايا اللغة العربية، ومن كلمات فرنسية كثيرة جدًّا، أدخلوها ضمن قوالب عربية مشوهة، مما جعل أحد رجال الصحافة المصرية، وقد زار الجزائر زيارة خاطفة، يكتب عن لغة أهلها فيقول: إنها تشبه لغة أهل مالطا.

وعلى سبيل المثال، أذكر جملة كنت استظهرت بها في "كتاب الجزائر" الذي أخرجته سنة ١٩٣١م، حكاية عن صديق حدثني فقال بالحرف: " أنا يا خويا" "نكريتيكي" هذا الناس كان "الد فوار" متاعهم يعملوا "الراينيون" في السيركل "يدسكيتيو" مثل ما يجبوا ويليفيوا السينانس "وقت اللي يجبوا، وما يلقاوش اشكون" "يسيبوهم" فأنتم ترون سادتي أن هذا السيد لم يستطع أن يعبر عن رأيه في قضية بسيطة إلا باستعمال كلمات فرنسية قد مسخت مسخًا؛ لأنه يجهل هذه الكلمات العربية على التوالي.(أنتقد - الواجب - الاجتماع - النادي - يتفاوضون - يرفعون الجلسة - يتجسس عليهم). كان هذا طبعًا قبل، إنشائنا لنادي الترقي، وقبل تأسيسنا لجمعية العلماء المسلمين.

إلا أني أثناء هذه الصدمة الكبرى التي أصابتني في الصميم، كنت أتصل ويا لسعادتي، ببعض الأوساط العائلية الجزائرية، فرأيت عجبًا آخر، يكاد يضاهي أو يفوق عجبي من حالة العربية عند الطبقات التي ذكرت. وجدت الأوساط العائلية الجزائرية وخاصة السيدات، سليمة من هذه اللكنة سلامة تامة، فلم تكن السيدة تستعمل في لغتها كلمة واحدة فرنسية. كانت تجهل العربية قراءة وكتابة، وكانت لا تعرف من أمور الدين إلا ما أخذته عن أمها، إلا أنها كانت تستعمل العامية الجزائرية الأصيلة، وهي كجميع اللهجات العامية عند الشعوب العربية المختلفة، كلام عربي صريح فصيح، لا يخضع لقواعد الإعراب، ولا تختلف فيه لهجة عن أخرى إلا باستعمال كلمات من المترادف، تدل على نفس المعنى.

ثم ازداد عجبي عندما كنت أسمع الفينة بعد الفينة، وفي مناسبات شتى كلمات من صميم العربية، أخذت بعد حين أسجلها كلما سمعتها، فتجمع لدي من ذلك مقدار غير قليل، ثم تجولت جولة فاحص مدقق في كامل البلاد الجزائرية، إلى أقصى صحرائها، ووجدت العروبة الحقة ماثلة للعيان، لدى عدد جم من قبائل بني بلال وبني سليم، التي بقيت بمنأى عن الاستعمار ورجاله، تكتنفها الرمال بين خيامها وإبلها وسائمتها، ثم تجولت بعد ذلك ببلاد المغرب الأقصى الشقيق الصديق، ولم ينل منه الاستعمار القاسي ما ناله من الجزائر، ووجدت العربية الحية لا تزال أصيلة فيه، لها كيانها ومدارسها ومعاهدها المختلفة، لكنني لم أسمع خلال جولاتي العديدة به، ولا بتونس، ولا ببقية البلاد الجزائرية، تلك الكلمات الفريدة التي كنت أسمعها في كلام العائلات بمدينة الجزائر، فتكون لدي اليقين بأن هذه الكلمات، وهي من صميم اللغة، لا تستعمل في الشمال الإفريقي، وخاصة بكامل الجزائرية، إلا بمدينة الجزائر العاصمة، وبحثت القضية فلم أجد لها إلا مبررًا تاريخيًّا واحداً، سوف يكون ختاماً لحديثي.

من أهم تلك الكلمات التي سجلتها:

١- حرم عليه الماء والمرعى - تقال في إنسان أسرف في خصام إنسان وضيق عليه السبل.

٢- يضرب الصدر بالمدر - تقال في المترعج الحيران الذي يضرب صدره بالطين.

٣- يترنح - يتمايل سُكرًا يمينًا ويسارًا.

٤- العاتق - وجمعها العواتق، الصبية في سن الزواج.

٥- الشورى - الشوار - جهاز العروس.

٦- المكدود - الرجل الذى ساء حاله بعد نعمة.

٧- الجالع، الجلاعة - الذي لا يستحي من شيء .

٨- الشنافر - الشفاه الغليظة جدًّا.

٩- الفاحشة - الأمور المحرمة جنسيًّا.

١٠- الصَّر - البرد الشديد.

١١- الحوب - الذنب - حوّب أي ارتكب ذنبًا.

١٢- مختال - مغتر بنفسه الى درجة أنه لا يخالط الناس.

١٣- الخــَرْص - قول المرء كلامًا لا يفهم معناه فهو خرّاص.

١٤- الخوالف - النساء - تقال غالبًا لسيدات الطبقة الفقيرة.

١٥- الزنجار - صدأ النحاس.

١٦- زنجر - زنجر النحاس أو غيره من المعادن إذا علاه الصدأ.

١٧- الكالح - الرجل العابس.

١٨- السوأة - عضو التناسل عند الجنسين.

١٩- رميم - تقال للشيء القديم البالي .

٢٠- الأبهر - يقولون: تعب إلى أن تقطع أباهره - أي الوريد الأبهر.

٢١- راع فهو رائع - تقال للصغير إذا خرج عن المعقول وأفزع.

٢٢- بالجزاف - أي بمقدار لا يكاد يعد.

٢٣- بوه - كلمة تقال بكثرة عند الغضب، أو أثناء المحن والمصائب.

٢٤- مزعوق - قبيح الصورة. من قولهم: سمع صيحة مفزعة.

٢٥- الزعوقة - قباحة الصورة - شبهت بالماء المر الذي لا يشرب.

٢٦ - النعاق - الصوت المرتفع القبيح كصوت الغراب. يقولون: الزعوقة والنعوقة.

٢٧- الدعقة - الحملة والصيحة.

٢٨- أدعقه للخارج - أي أبعده للخارج - من كلمة أدعق أي فر وعدا.

٢٩- متريك - جالس جلسة مرتاحة هانئة. وفي القرآن الشريف:" على الآرائك متكئين".

٣٠- متبيت - أو متبيتة، أي أصاب زوجًا وبيتًا.

٣١- بأيمان البيعة - يقولونها عندما يغلظون القسم .

٣٢- كالبلسم على الجرح - تقال في الرجل الناصح العامل المفيد الحاضر عند الحاجة إليه.

٣٣- تغاشى - أي غشي عليه وألم به ما أفقده الحس والحركة.

٣٤-استقصى - أي سأل عن إنسان أو عن أمر.

٣٥- غاول - يغاول، غاول: أسرع في السير.

٣٦- فحا - الدجاجة والحروف، من فحا الباب، أي فتحه.

هذا ما أردت، أيها السادة الأعلام، إماطة اللثام عنه، أمام مؤتمركم الكريم. وأود الآن أن أذكر، بصفة موجزة، الأسباب الحقيقية التي مكنت بقاء هذه الكلمات على قيد الحياة، ضمن مدينة تعمد الاستعمار فيها طمس العربية، فانفردت بها خلال كامل القطر الجزائري، إن لم أقل المغرب العربي. إن هذا السبب تاريخي لا محالة.

فمدينة الجزائر كانت منذ خمسة قرون، قبل الوجود العثماني وقبل الاحتلال الفرنسي، موطنًا خصبًا لقبيلة الثعالبة الشهيرة، وهي من أكثر قبائل العرب قومًا وأفصحها لساناً، وقد تدفقت القبيلة على سهول متيجة على أثر الغزوة الهلالية فاستوطنتها، وجعلت مدينة الجزائر قصبة لها، وطاب لها الاستقرار فيها، فجعلتها جنة يانعة منذ سنة ٥٤٨ هجرية.

وقد ذكرها البكري، فقال عنها:"هي مدينة جليلة، قديمة البنيان، وفيها آثار للأول . . .

ولها أسواق ومسجد جامع، ومرساها مأمون له عين عذبة (لا تزال موجودة إلى الآن) يقصد إليه أهل السفن من إفريقيا والأندلس وغيرهم. (وقال عنها الشريف الإدريسي في نزهة المشتاق: (مدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون عذبة على البحر-،ومن آبار، وهي عامرة آهلة، وتجاراتها مربحة، وأسواقها قائمة وصناعتها نافقة).

أما محمد بن محمد العبدري، فقد زارها سنة ٦٨٨ هجرية، وقال عنها: وهي مدينة تستلفت لحسنها نظر الناظر ويقف على جمالها خاطر الخاطر، قد حوت مزيتي البر والبحر، وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق، وسور معجز وثيق، وأبواب محكمة العمل، يسرح الطرف فيها حتى يمل.

واستقل الثعالبة بالملك في المدينة وكامل سهل متيجة، ولعبوا دورًا مرموقا في السياسة والحرب بالمغرب الأوسط، طيلة أيام الخلفاء الموحدين، وكان الحكم فيهم لفرع سباع بن ثعلبة، من ولد ثعلب بن بكر بن صقيل، وطال عليهم الأمد في الحكم، إلى أن آلت الإمارة فيهم للشيخ سالم بن إبراهيم، المقارع الجسور.

فبعد كفاح مرير ونضال بطولي، قضت نهائيًّا على إمارته زوابع السياسة التي كانت تدور بين بجاية وتلمسان، فأخذه السلطان أبو حمو التلمساني غدرًا، وقتله بعد تأمينه قعصًا بالرماح، فزالت بذلك إمارة الثعالبة بمدينة الجزائر، إلا أنها لا تزال بقاياها تسكن العاصمة وسهل متيجة، وإليهم أعزو تلك الكلمات التي لا تزال مدينة الجزائر تتداولها، ولا ريب أنها كانت فيما سلف أكثر من ذلك وأثرى، ولو أتيح للثعالبي اليوم أن يتكلم لتمثّل بقول الشاعر:

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

وشكرًا جزيلاً لكم، أيها السادة الأعلام.

* * *

العامية والفصحى في القاهرة والرباط(*)

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

(عضو المجمع)

في هذا الجمع الحافل نحيي بكلّ اعتزاز وإكبار اليوبيل الذهبي لظهور مجمعنا الموقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كمجمع رائد، أخذ على نفسه منذ اللحظة الأولى إمداد العروبة بالرصيد الأصيل للغة الضاد، لغة العلم والحضارة والتكنولوجية، وقد وفي في شمولية نادرة وعمق وبعد كبيرين بهذا الوعد الخطير، مما جعل منه المنتدى العروبي الوالد الذي برهن بمنجزاته الرائعة عبر خمسة عقود من السنين على أن لغة القرآن كانت ولا تزال منبع الكلمة الرصينة الجزلة الطيعة، ذات المحتوى العلمي والحضاري الدقيق.

وقد كان لإبداعات مجمعنا - الذي يضم في رحابه العامرة أقطاب الفكر وجهابذة العلم من أبناء الوطن العربي - القول الفصل في سيولة الكلمة وشيوعها فهنيئاً لمجمعنا بعيده الذهبي، وهنيئاً للعروبة بهذا الكيان الذي تنضوي تحت رايته معتزة فخورة.

أما البحث الذي اخترناه لهذه المناسبة الفذة فهو موضوع نال من رعاية مجمعنا الحظ الأوفر، وسيكون إسهامنا فيه متواضعاً يستمد أصالته وبعده من المنهج البناء الذي ركز أسيسته مجمع اللغة العربية في مئات الدراسات والبحوث التي أبدعها أعضاؤه الموقرون من مختلف أنحاء العروبة.

العامية هي ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين (البيان والتبيين ج١ص١١١) وقد لاحظ أن في كل مدينة ألسنة ذلقة، غير أن اللحن كان فاشياً في العوام (ص ١١١). وقد تحدث أحمد أمين عن العامية في القرن الرابع، فقال: "إن اللغة العامية أصبح معترفاً بها، يبحث في ألفاظها وأساليبها، وينتقى منها خيرها إلا بعض علماء كأبي العلاء المعري (ظهر الإسلام ج ٢ ص ١٠٠).

(*) نشر هذا البحث بمجلة المجمع بالجزء الثالث والخمسين (العيد الخمسيني)، ص ٢١٤. (والقاهرة أسست في القرن الرابع الهجري، والرباط في القرن السادس). (ويصح أن يدرج هذا البحث ضمن بحوث: الألفاظ بين الفصحى والعامية).

وأغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين الفصحى والعامية حتى ما يتصل بالقلب والإبدال والتسهيل، والترخيم والنحت وغير ذلك، وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة تجعلها في بعض الأحايين أكثر إيغالاً في القلب والتسهيل.

ولهذه الوحدة الأصلية أمثلة لا تنفرد بها العامية في قطر عربي دون آخر بل تمس اللهجات الدارجة في معظم أجزاء العالم العربي، فمن مجال التخفيف في اللسان الفصيح والتي أثرت في ألسنة العامة وجود مترادفات يختلف بعضها عن بعض بإضافة حرف واحد، وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومي أخفها نطقاً، وإن كان أكثرها أحرفاً مما يؤكد أن عقلية العامية لا تنحرف عادة عن الأصيل إلا إذا لم تجد في صيغه ما يتفق وطبيعتها الميالة إلى التسهيل.

وتوجد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجات، من أهدافها استقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى، وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية، وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقياساً، وترتكز اللجنة في هذا البحث على تنقل القبائل لما له من أثر كبير في لهجات الأقاليم وتطورها واختلافها. (مجلة المجمع جزء ٧)

وهناك **مترادفات** يختلف ترتيب حروفها مثل جبذ وجذب (جبذ) وخربش وخرشب العمل، أي لم يتقنه.

أما **النحت** فأمثلته كثيرة:

ويلمه، وهي منحوتة من أصلها (ويل لأمه).

صبَّحه، أي قال له: صباح الخير.

مسّاه: قال له: مساء الخير.

تويّل: قال: يا ويلي.

فَسَّقَه: قال له: يا فاسق.

ما شا الله (ما شاء الله) - ما طيبو (ما أطيبه) - مَحْلاه (ما أحلاه) إلخ.

ومن أمثلة **الإتباع** أو **الإبدال** بنفس المعنى:

العُجَر والبُجَر - حَيْصَ بَيْص - هين لين (سهل) - هش بش (مسرور) - الكوع والبوع (كعو وبعو) - الجوع والنوع - شيطان لَيْطان - حَسَن بَسَن... إلخ.

وهناك مئات الكلمات تحكي الأصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان.

أما الصيغ فكثيراً ما تتخذ نفس الوزن في العامية والفصحى، للتدليل على نفس المدركات، كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقاطة والتظاهر والتشبيه أو التشبه والوصف مثلً كتر (مكنوز)، وعلاج (دواء)، ووقف (موقوف)، وغضب (مغضوب)، وتفاقر (أظهر الفقر)، وتباكى، وتحامق، وتجاهل، وتماوت، وتناعس، وتشيطن، وتفحل، وتفرعن، وتفرنج، وتمدن، وتوحش، وبخل، وجهل، وسفه، وضعف، وفسق، وغلط، وكفر، وأحمق (أي موصوف بالحمق)، وأبله، وأعمى.

ويجمع المذكر في اللسانين بإضافة تاء مربوطة إلى المفرد، مثل: حمّارة (أصحاب الحمير) وخيّالة، ورحّالة، وعسّالة (أصحاب العسل). وتشترك الفصحى والعامية في الاشتقاق المنطقي من ألفاظ ذات معنى حسي مجرد، كالحمام (من حمّ الماء) أي سخنه ومخدة: من الخد، والسماء: من سما، أي ارتفع.

وقد تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى وخفت أوجه الاختلاف بما استوثق إذ ذاك من صلات في الأسواق الإقليمية والمبادلات التجارية والمصاهرات.

وقد لعبت قريش دوراً هاماً في انتقاء أجود اللغات، فنسقت واجتبت أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها أفضل لغاتهم (لسان العرب)، فترل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة تحت راية الإسلام بالرغم من الفوارق القبلية البسيطة التي ساندها أحرف القرآن السبعة. وقد احتفظت ألسنة جهوية مميزات خاصة" من حيث التصريف والهيئة والإبدال وأوجه الإعراب والبناء" (متن اللغة ج١ ص ٤٧) فقريش مثلاً تفتح نون المضارعة وأسد تكسرها والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها، أما

الاختلاف في الأسماء فلا يكاد يظهر إلا في لغة حمير التي ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها (المدية الحميرية بدل السكين مثلاً).

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب في مظاهر مختلفة كالإظهار والإدغام، والإشمام والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتسهيل والإبدال، وهو اختلاف في الصور الظاهرة لمخارج الحروف مع وحدة اللفظ، وقد عرف العرب منها قديماً العنعنة عند تميم وقيس (إبدال الهمزة عيناً)، والكشكشة والكسكسة عند ربيعة (إبدال كاف الخطاب شيناً)، والغمغمة عند قضاعة (وهي إخفاء بعض الحروف)، والفحفحة عند هذيل (إبدال الحاء عيناً مثل حتى وعتى)، واللخلخانية في عمان واليمن (وهي حذف همزة ما شاء الله) (مشا الله)، والتلتلة في بهراء، وهي كسر تاء المضارعة (تِلعب)، والوتم عند أهل اليمن (قلب السين المتطرفة تاء كالنات في الناس).

وقد لاحظ الأستاذ فريد أبو حديد (مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ ص٢٠٥) أن حركة الكسر تكاد تكون شائعة في كثير من الدول العربية، مثال ذلك كسر آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤنثة المخاطبة، فيقولون في الشرق: أنت مالك (يقول المغاربة: مالك بفتح اللام) وهي لهجة لخم التي تكسر ما قبل كاف المخاطبة.

والوكم والوهم عند ربيعة وكلب (كسر كاف الخطاب وهاء الضمير) (عليكم عنهم)، والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار (وهي قلب العين الساكنة قبل الطاء نوناً) (أنطى - أعطى)، ومازالت مظاهر ذلك إلى الآن عند الأعراب.

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الألفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن في اللغة الموحدة نفسها اختلافاً في الأبنية من لغتين إلى ثلاث عشرة لغة(عباءة-عباية إلخ).

وقد أرجعت أصول الكلمات الواردة في القرآن إلى خمسين لهجة من لهجات القبائل علاوة على وجود كلمات معربة.

وظهر الانحراف في الحركات الإعرابية منذ صدر الإسلام، فسار العوام في منهجهم المنحرف، واستفحل هذا الزيغ اللغوي باختلاط العرب بالأعاجم بعد الفتوح فهب علماء اللغة لتقويم العامية وإرجاعها إلى أصالتها الفصحى، وتجلى هذا المجهود في "أدب الكاتب " لابن قتيبة "و"درة الغواص" للحريري فخف البون بين الفصحى والعامية إذا روعيت شساعته في اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية في جميع مظاهرها لغة عربية محرفة الشكل غير مضبوطة القواعد.

وتجلى هذا الانحراف كما سنرى في عامية الشمالين الشرقي والغربي للقارة الإفريقية أي مصر والمغرب.

وقد أشار الثعالبي في فقه اللغة (طبعة ١٣٧٨ - ١٩٥٩ -القاهرة ص ٤٥٠) إلى أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية أوصلها إلى مائة وواحد وأربعين، منها: البيَّاع والدلاَّل والبقَّال والجمَّال والطرَّاز والخياط، والند والبخور والغالية والحناء والمضربة والقمري والربعة والخرج والدواة والمرفع والفتيلة والمجمرة والمزارق والطبل والشكال والقلة والهريسة والعصيدة. وقد دخلت كلها في عامية البلدين.

ثم ذكر (ص٤٥٣) أسماء تفردت بها الفرس فعربها العرب أو تركوها، منها: الإبريق والكوز والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور والسميذ والكعك والسكتجين والجلنجبين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجبيل والسوسن والياسمين والمسك والعنبر والكافور والقرنفل.

وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي لا بكيفية مباشرة كما هو الحال في مصر؛ لأن المغرب ظل في منحىً عن التأثيرات الفارسية.

ويختلف هذا التأثير في الأقطار العربية الأخرى، ولعل الدخيل من الفارسية في لغة العراقيين يوازي الدخيل فيها من التركية خلافاً لما عليه الحال في مصر، فإن معظم الدخيل فيها في لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الإفرنجية (محمد رضا الشبيبي مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ج ٨ ص ١٣١).

وديوان العراق لم ينقل من الفارسية إلى العربية إلا في عهد الحجاج الذي أمر بذلك كاتبه صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون - المجلد الأول القسم الثاني ص ٤٣٧).

وكذلك الأمر بالنسبة للغة التركية، مثل: باشا وبكرج (إناء معدني) وخازوق وتخوزق (التخوزق) وسنجق وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء)، وطوبجى (مدفعي) وصابونجي وجبدولي (صدرية)، وجامكية (مرتب عسكري في عهد الموحدين)، وخواجي (تاجر)، وبابوشة (بابوج)، وبازار وباشادور وبرنامج... إلخ.

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية – على ما يقال:

ياقوت، وملوخية، ومصطكى، ولوبياء، ولجنة، وكروياء، وكرنب، وكافور، وقيطون ، وقيراط، وقيثارة، وقنطرة، وقنب، وقمقم، وقلم، وقصدير، وقرنفل، وقرميد، وقانون، وقالب، وقارب ، وقادوس، وفندق، وفنار، وفلس، وفص، وفخ، وطاجن، ورطل، ودلفين، ودرهم ، وتؤلول، وبلغم، وبجماط، وبطاقة، وبارود، وأوقية ، وإقليم، والألماس، والرز.

أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية ألفاظاً، يقال بأن منها: إسطبل، وبوق، ودينار، وسجل، وصراط، وصاقور، وطرطور، وقرصان، وفرن، وقفة، وقلنسوة، وقميص، وقنديل، وقنصار، وكوفية، ومد (مكيال) ، ومنديل ، وميل ...إلخ.

وبينما كان التأثير الإسباني في اللهجة المصرية منعدماً إذا به يتخذ طابعاً عميقاً بالنسبة للعامية المغربية؛ نظرًا للتبادل الموصول بين الأندلس والمغرب خلال الحكم الإسلامي، أي طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمئة عام، بعد ذلك احتل البرتغاليون والإسبان في غضونها مراكز هامة في شواطئ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقي من المغرب.

وقد ذكر برونو Brunot (هسيريس ١٩٤٩ - العددان الثالث والرابع) أن اللغة الرومانية اللاتينية أمدت العامية عن طريق الفصحى بألفاظ مثل مد وقصر، أو مباشرة

بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور، وذكر أن لفظ قنديل (candi) مقتبس من اللفظ العربي quindid وأن الكفتة مأخوذة من التركية.

ولاحظ في مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا أن وفرة الألفاظ الإسبانية الدخيلة في هذه المفردات تدعو إلى نسبة بعض الكلمات إلى أصل يوناني لاتيني: وهذا الغلط هو الذي وقع فيه سيموني Simondt في معجمه glosaris حيث ذكر مثلاً أن الشابل alose مستمد من اللفظ اللاتيني sapidus. وقد أعطى (برونو) صورة عن مروح التأثيرات الأجنبية في العامية البحرية بالرباط وسلا، فذكر أنه بالإضافة إلى ٤٥٦ لفظًا عربياً يوجد ٢١٧ كلمة إسبانية، و ٣٠ لاتينية يونانية، و ٦ فرنسية وإيطالية، و ٦ إنجليزية، وكلمة واحدة برتغالية، وعشر كلمات بربرية، وعشر تركية، وإحدى عشرة كلمة مشكوك في مصدرها، وذلك من مجموع يبلغ ٧٥٣ لفظة، ويلاحظ هنا قوة تأثير العربية الفصحى بالنسبة إلى موانئ أخرى في المغرب مثل مستغانم بالجزائر، ففي الرباط مثلاً تسمى chaloupe بالعشارية، وفي مستغانم ببوطة من bota الإسبانية.

على أن البرتغالية قد تأثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يراسلون بالعجمية التي كانت عبارة عن برتغالية مملوءة بالألفاظ المغربية، وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك coissac de chaurelrére ص ٢٧٣)

ولعل أول نواة حضارية عربية يلقاها المغرب بعد الفتح الإسلامي قد جاءته عن طريق القيروان التي بدأت تنصهر فيها الحضارة الأموية بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على الهجرة، فأقيمت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته مصر والشام.

فأول مسجد على النسق المعماري الإسلامي في المغرب هو ذلك الذي بناه سعيد بن صالح الحميري في نكور في نهاية القرن الأول، استمد في تصميمه من جامع الإسكندرية التي ظلت مهبط الرواد المغاربة، وعلى رأسهم الصوفي أحمد البدوي دفين

طنطا، وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري، الذي لم يعرف بعد المقرنصات ولا التعاريج العربية.

والواقع أن انعدام الاقتباس من الطبيعة والإمعان في دراسة الرياضيات ونزعة الإبداع حدث بمسلمي الأندلس والقيروان ومصر ثم المغرب إلى التسطيرات الهندسية الساذجة ... مما يبرز تأثير الأندلس إحداث الموالي الصقالبة لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر ١٩١١ ص ٩٧).

أو منح اسم القاهرة تيمناً وإجلالاً لمركز في قلب الأطلس بقبيلة بني دويران، ولعل الوحدة السياسية التي حققتها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجلت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الأندلسي والفنين المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء، وبذلك تعززت الوصلة بين جناحي العروبة، واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول.

وقد كان للأندلس أثر على بعض مظاهر الحضارة المصرية، نظراً لهجرة طائفة من الغرناطيين إلى بلاد الكنانة ففي عام ١٠١٩ هـ هاجرت ألوف الأندلسيين إلى فاس وألوف إلى تلمسان وجمهورهم من تونس، فتسلط عليهم الأعراب ونهبوا أموالهم في تلمسان وفاس، وسلم أكثرهم في تونس، وتطوان وسلا وفسحة الجزائر، ووصل جماعة إلى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن النفح ص ١٠١).

ففي الحقل العمراني يلاحظ أن " قصر البديع" الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (٩٨٦هـ-١٠٠٢هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية، كتبت في أبهائها الأشعار بمرمر أسود في أبيض تذكرنا بروائع الأندلس فمن شعر أبي فارس عبد العزيز القشتالي يصف فن هذه الروائع:

فإنما والتبر سال خلالها   وشيٌ وفضةٌ تربها كافور

وكأن أرض قراره ديباجة   قد زان طرازها تشجير

وكأن موج البركتين أمامه　　حركات سحب صافحته دبور
صفت بضفتها تماثل فضة　　ملك النفوس بحسنها تصوير

وقد كتب بجدران (المصرية) المطلة على الرياض:

باكر لدى من السرور كؤوساً　　وارض النديم أهلة وشموسا

(المصرية أي الغرفة الواقعة في طبقة عليا (العليا بالفصحى)، ولعل لوجود طبقات في الأبنية منذ القديم بمصر أثراً في هذه التسمية).

ولا يخفى ما لتوازي الأصلين: القبطي والبربري من أثر في تكييف كثير من أوجه الشبه بين العاميتين، بالإضافة إلى تأثير مظاهر الأصالة العربية في فصحى المغرب وعاميتها عن طريق القوافل التجارية ومراكب الحجيج ورسل الفكر من كبار الرحالين منذ القرن الهجرى الثاني، لعظيم ما اكتسبوه على طول منازلهم بأرض الكنانة.

لقد كان لكثير من القبائل العربية التي دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قريش التي نزل بها القرآن، ولكن تطورها اللغوي لم يخرج عن النطاق العادي في تبادل التأثير بين الفصيح والعامي؛ لأن المغرب ظل بعيداً عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية، وعاش في إطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف أقل بين الفصيح والعامي، ويتجلى ذلك في المصطلحات المستعملة في كثير من مرافق الحياة، ولعل أبرز مظهر لعراقة المحتد العربي في قبيلة أو إقليم يتجلى في صفاء لسانها، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الأرومة على عنصرين هما: الموطن والعجمة (التاريخ ج ٦ ص ٩٦). وإن كان الموقع الجغرافي لا يمثل في نظرنا عاملاً جوهرياً لإمكانية الهجرة في فترات سالفة.

ومن الصعب أن نميز بعد التفاعل اللغوي الناتج عن ارتباط الأقاليم بين ما جد وما تلد في هذه اللهجة، غير أننا إذا قارنا بين المصطلحات المستعملة في هذه القبيلة والتي تتبع المستعرب الفرنسي لوبينياك عام ١٩١٦م الكثير منها في كتابه "نصوص عربية في زعير" (طبعة باريس ١٩٥٢) لمسنا مدى الصفاء الملحوظ في الكثير من

الكلمات التي درجت على ألسنة العامة من أهل زعير، مما لا نجد له مثيلاً إلا عند القبائل التي لا يتطرق الشك إلى عروبتها كالشاوية، وقد أشار كثير ممن درس أنساب الفصائل السلالية المغربية إلى أن القبائل الرحالة في سهول المغرب الغربية وأقاليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبتها الأصلية التي طبعتها منذ الفتوح الأولى، وقد أثر ذلك حتى في العنصر البربري حيث لوحظ أن عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الألفاظ العربية (حضارة العرب - غوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص ٢٥٠)، ولا يخفى ما تتسم به لهجات الأندلس وإفريقيا الشمالية من صفاء رغم عدم تقيدها بالهندام الشكلي للفظ، ورغم الألفاظ البربرية التي تسربت إلى الأقاليم العربية نفسها، على أن الكثير من الكلمات التي يزعم بعض اللغويين رطانتها يتضح أصلها العربي بعد التحليل، فقد نشرت مثلاً مجلة مجمع اللغة العربية (ج ٨ ص ٣٢٦ عام ١٩٥٥) بحثاً للأستاذ شارل كوينتز خبير لجنة اللهجات حول " أثر اللغة البربرية في عربية المغرب"[(١)] أورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع إلى أصل بربري، وقد وفق الأستاذ في طائفة من الكلمات، ولكنه لم يتحر في مقارنة الأصل العربي المحتمل لطائفة أخرى مثل:

١-أملوس (الوحل) الذي تمكن مقارنته باللفظ العربي (الملس) وخاصة الملص بمعنى الزلق؛ إذ أعظم خاصية في الوحل أنه مدعاة للزلق.

٢-داليس (الخيزران) bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف، ومعروف أن الخيزران لا يترعرع إلا في الحرارة وفيه عشرات الأنواع.

٣- المازوزي (الأخير من النتاج) ويظهر أنه مشتق من (مزز) الفصحى حيث يقال: فعلته على مزز، أي على مهل فالمازوزي يأتي متأخراً كأنه يتهمل في انبثاقه.

٤- قطوس (قط): من مميزات العامية سواء في المغرب أو بعض الأقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل أو فعلل أو أفعل إلى فعلول مثل أحمق

(١) البحث منشور بكتاب "اللهجات العربية، بحوث ودراسات" ص ٦٢٢.

وحمقوق أو حموق، وبط (كالبطة في السمن) وبطبوط وخنفر أو مخنفر وخنفور، فيمكن القول إذن بأن قط العربية أعطت قطوس العامية.

٥-أقراب وهو الخرج أو الجراب من القراب؛ لأن أداة التعريف بالبربرية هي الهمزة للمذكر والتاء المتصدرة أي في أول الكلمة، والمتسكعة أي في آخرها.

٦-ساط بمعنى نفخ، ولعلها من ساط الفحم، أي خط بعضه ببعض ليتقد كله، إذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر، والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك. والنفخ، وقد ورد في (المعجم الوسيط) أن المسعر هو الخشبة التي تسوط بها الوقود في التنور.

٧-كفس بمعنى لطخ بسواد أو فضح، أصلها كفس أي اعوج، والتكفاس بالعامية الاعوجاج... إلخ وتحدث "كرد علي" عن " عجائب اللهجات"[(١)] (مجلة مجمع اللغة العربية ج ٧ ص ١٢٨ سنة ١٩٥٣) فقال:

" لعل الدخيل كان نادراً في أرض الأندلس؛ لأن الأمويين توخوا الوحدة في كل شيء"، إلى أن قال:"وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات، نقلها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التي نزلوها: مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام، ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه بلهجات اليمن والحجاز، والأندلس استعملت ألفاظاً فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام".

-لاحظ فليش Fleisch في "المدخل لدراسة اللغات السامية"(ص١٠١):

أن لهجة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة، ويعني بذلك أنها لا تتقيد كثيراً بالأوزان والصيغ.

وإذا أردنا أن نبلور مدى تأثير لهجة مصر في المغرب وجب أن ننظر بين عاميتي القاهرة والرباط، إذ التوافق ملحوظ في اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا

(١) راجع، ص ٢١١ من هذا الكتاب.

خلاف بسيط في الشكل مثل: بات وباح، يبات ويبوح، بكسر فاء المضارع في القاهرة وبتسكينه في الرباط، وقد نشرت بمجلة (مجمع اللغة العربية ج ٧ ص ٣١٩) تسعاً وخمسين كلمة بصدد دراستها للهجة القاهرية[١]، ولاحظنا من بينها خمساً وثلاثين لفظة مشتركة في المادة عدا الخلاف الشكلي المذكور) ومن أمثلة ذلك بخس يبخس بكسر الخاء في القاهرة وفتحها بالرباط، وبدا يبدى (ق) ويبدا(ر)، وبرق يبرق وبرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر)، وبطأ يبطئ بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر)، وبل (ق) عوض بلل (ر)، يضاف إلى ذلك تباين خفيف في النطق (ترقيقاً وتفخيماً وإمالة ...إلخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة كالتركية على نسق التأثير السرياني والنبطي في الشام،وهنالك نورد مفردات تفاعلت خلال التاريخ في نطاق مؤثرات واحدة أو مختلفة:

أبو جعران: كنية الجعل بوجعران.

أبو علي: الرجل اللطيف الكريم (مصر) وأبا علال في المغرب، كناية عن الفقر المدقع.

اتسرق: أي انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال: انسرأ في (مصر).

أعشاري: أي عشرى نسبة إلى عشرة (مصر والمغرب).

إمتا: أي متى (ويقال أيضاً: يمتى في المغرب وميته بالإمالة في الصعيد المصري).

انفضح: بمعنى افتضح في مصر، ويحتفظ المغرب باللفظ الفصيح وهو افتضح؛ لأن المغرب لا يستعمل صيغة انفعل إلا لمعنى المطاوعة.

انقرع (مصر) أي لزم حده من قرع فهو قرع، إذا ارتدع، ويقال في المغرب: اتقرع (بالقاف المعقوف).

أورعينيه (مصر) قلعهما أو عورهما، ويقال: خور عينيه بالمغرب، ولعل الكلمتين من قار يقور قوراً، بمعنى العور.

---

(١) نشرت بكتاب اللهجات، ص٩

أيس: لغة في يئس، وهي مستعملة في البلدين.

أيش: بمعنى أي شيء؟ خفف منه نص عليه ابن السِّيد في (شرح أدب الكاتب) وصرحوا بأنه سمع من العرب (شفاء الغليل ص ١٥) ، (أيش).

باب الفتوح: أحد أبواب القاهرة وفاس.

بابوج: بابوش (كلمة فارسية) حذاء.

باس: قبّل، والبوس: التقبيل، يقال بأنه فارسي معرب. (شفاء الغليل).

باسل: فلان باسل أو كلامه باسل، أي ثقيل لا معنى له.

الباع: مقياس يمتد من طرف أصابع اليد إلى طرف أصابع الأخرى. وتقول العامة في مصر والمغرب: "فلان باعه طويل" أي له قدرة ونفوذ.

بتاع:هذا الشيء بتاع فلان، أي متاعه أو في ملكه (متاع بالمغرب).

بحلق بعينيه، أي حدق النظر وحملق.

برّا، أي في الخارج، ومنه براني أي غريب وأجنبي.

البربر: لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة لبربرهم، أي كثرة كلامهم وجلبة لسانهم، ويطلقه العرب في المغرب على سكانه الأصليين لنفس السبب.

برطم: تكلم بكلام غير مفهوم (بركم في المغرب).

برمكي: معناه في مصر فاقد الغيرة ذو أعمال جنسية شائنة، أما في المغرب فمعناها الكريم، نظرًا لكون البرامكة كانوا في عهد الرشيد موصوفين بذلك.

بريمة: مثقب (لعلها مشتقة في الإيطالية barrena).

البزبوز: القصبة أو القضيب المجوف، ويطلقه المغاربة على أنبوب الصنبور.

بسبس: دعوة الهر إلى الطعام، يقال له: بس بس (بفتح الباء في المغرب وكسرها بمصر).

البشماط: المرادف العربي للبشماط هو الكبنة، أي الخبز اليابس (المخصص) البقسماط في (مصر).

بشويش: (بفتح الباء في المغرب) أي بتؤدة وهدوء، يقال: (تكلم بشويش).

البصارة: تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابل وبصل وسمن.

بصبص الكلب بذنبه: حركه.

بطال: عاطل من العمل ، تعطل الأجير فهو بطال.

بطنطة: ضريبة التجارة.

البعبع: ما يخوف به الصبيان (بعو بالمغرب).

البعصوص: أي العظم الصغير الذي بين أليتي الإنسان، ويستعمل عامة المغـــرب الكلمة الفصحى.

بعيد: يقال: هو البعيد أي الأجنبي.

بغل: فلان بغل أي غبي، ومن العادات المشتركة بين مصر والمغرب: أن البغلة إذا حملت وولدت، فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا.

البقال: حسب القاموس بمعنى بياع الأطعمة عامية، والصحيح البدال، وقد ورد في فقه اللغة أن البقال بمعنى بائع البقول، معربة عن الفارسية (المغرب ومصر).

بكرج: وعاء القهوة، ويسمى في المغرب بقرح ومقرج، وهي كلمـــة تركيـــة معناها غلاية.

البلغة: حذاء من جلد أصفر" ويظهر أن أصله من فاس في المغرب؛ لأنهم ينادون عليها البلغة الفاسية " (قاموس العادات... إلخ أحمد أمين ص ٩٥).

بندير: آلة للطرب كالدف، ولعل أصلها إسباني (bandera).

بنديرة: العلم وهي إيطالية babdiera.

بهدله: أي احتقره واستخف به. (لطائف المنن للشعراني ج ١ ص ١٧٥).

البوري: سمك ينسب إلى قرية بساحل مصر قرب دمياط، وذلك حسب ياقوت. (شفاء الغليل ص ٤٦).

بوغاز: أي مضيق كلمة تركية، عربيها الزقاق كغراب، وهو مجاز البحر مثل ما بين طنجة والجزيرة الخضراء (المغرب ومصر).

بونية: عربيها جمع الكف (القاموس)، وهي فرنسية الأصل (المغرب ومصر).

بياع: أي بائع مثل بياع الرؤوس (عربيها الرأس)، وبياع الزجاج (عربيها الزجاجي). (مصر والمغرب)

تأفف: أي قلق وغضب فكأنه يقول لمن يخاطبه: أف بك.

تبهر: أي عجب من أبهر أي جاء بالعجب وأصل انبهر: تأثر بأشعة الشمس ووهجها، وقد اقتبس العامة في مصر نفس المعنى من كلمة عربية أخرى، وهي وهر فيقولون: انوهر أي انبهر وعجب، إذ الوهر توهج الشمس، ويستعمل المغاربة أيضاً تفهر بالفاء.

التربيعة: مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغربية من بلغ وبطاطين (أحمد أمين- قاموس العادات ص ٩٦)، وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص١١٥). والربيعة (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد في المغرب نفس المعنى.

ترزي.. الخياط، وهو من الدرز أي الثوب بالفارسية وبنودرز: الخياطون، ويقال الدراز بالمغرب، وهي من الطراز أي صاحب الطراز.

تعبان: أي متعب و لم يعرف عند العرب على ما يظهر. (مصر والمغرب).

تعنطز فلان: تكبر وتجنب الناس، ويسمي المغاربة العبيد وأولاد الإماء العناطيز؛ لأنهم يعيشون عادة معزولين عن الناس.

تفرج على لعبة: تفكه بالنظر إليها.

تفرشح: جلس وفرج ما بين رجليه. ويقال في المغرب: تفرشخ بالخاء بدل الحاء المهملة بمعنى جلس مادًّا رجليه (ولها في المغرب معنى آخر حيث يقال: تفرشخ البطيخ بمعنى تكسر)، وتستعمل لفظتا فسخ وفشخ في مصر بهذا المعنى.

تفنظز: كلمة يونانية معناها تريض phantasic وتوجد في العامية المغربية، ولعلها اقتبست من الكلمة الفرنسية fantasic لألعاب الفروسية التي كانت تسمى قبل بالتبوريدة (أي اللعبة بالبارود).

تكابوا على الشيء: بمعنى ازدحموا عليه، واشتهرت في مصر خاصة اتكببوا (بكسر الباء الأولى وتشديدها).

تكرع: تجشأ، ويقال: تبعج في الشام، ولعلها من تجرع الماء: إذا بلعه فالجشاء من لوازم تجرع الماء.

تمسخر ومسخرة: فلان يتمسخر بك (بيتمسخر في مصر، أي يهزأ بك).

تندة: مقتبسة من Tente الفرنسية، بمعنى: ظلة أو خباء، وعربيها: الزفل، وهو حسب القاموس ظلة تتخذ فوق السطوح تقي من حر البحر ونداه.

تنهد: أي تنفس الصعداء، وعربيها تنفس وزفر.

جاب الشيء: جاء به.

جاحم: أي دفع نفسه وسط آخرين، وقد لاحظ الدكتور أحمد عيسى في محكمه أنها من الجحيم، ويظهر أنها من زاحم مزاحمة وزحامًا، بمعنى مدافعة الناس.

جرجر: أي جر وجذب، ويقال: بأنها سريانية الأصل، وقد اقتبسها المغاربة من العربية الفصحى لا من السريانية التي لم تؤثر في العامية المغربية؛ نظرًا لانعدام كل صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخياً.

الجعيدي: الجعد من الرجال: المجتمع المتداخل المدمج، ويطلق في مصر على من قل ذوقه وكياسته، وفي المغرب على الضعيف البنية، كأن أجزاء جسمه تندمج في بعضها.

جلبية: جلباب أو قميص (جلابية بالمغرب).

جليطة: بتسكين اللام في مصر وتشديدها في المغرب، معناها: الخلط وعدم الإتقان، تقول: فلان جليط عمله إذا لم يتقنه (جلط في المغرب ومنها الإتباع المغربي: خلّط جلّط).

جواني براني.

الجوخ: نوع من النسيج، والجوخة كلمة فارسية معناها: الكساء من الصوف.

الجوق: فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقى، ويقال بألها تركية الأصل.

حاف: خبز حاف أي من غير إدام.

حب الرشاد: عربيها الحرف (المخصص) ويستعمل عامة المغـرب الكلمـتين وخاصة الحرف.

الحجاب: الحرز اشتهر باستعماله المصريون، ويعمله المغاربة للتحصن ويطلق عليه في كل من المغرب ومصر لفظ الحرز.

الحرقة: ما يجده الإنسان عندما يطعم شيئًا محرقًا، أي حارًا أو دسماً يثير نوعًا من التخمة في معدته.

الحريرة: دقيق يطبخ بلبن أو دسم (القاموس) (مصر والمغرب).

الحريف: الزبون، وحريفك معاملتك في حرفتك والزبون مولد (القـاموس)، وتستعمل عامة في لفظة زبون المولدة، وعامة المغرب كلمة حريف.

الحشيش: الكيف القديم، ولعل منه اسم الحشاشين، أي القرامطة شرابي الحشيش

حط: بمعنى وضع اشتهرت في عامية مصر والمغرب وتستعمل في الفصحى في مثل العبارة التالية: حط الله عنه الوزر، أي وضعه عنه.

الحفا: عدم لبس شيء في الرجل.

حمّص القهوة: قلاها على النار، وهي عربية- حسب الأزهري (حبٌّ محمّص، أي مقلوٌّ).

حوائج: ما يلزم الإنسان من ملابس وغيرها.

الخازوق: الخشبة كانت تستعمل قديمًا لإعدام المجرمين، وهي مـن الخـزق أي الطعن بالرمح، وقد دخلت إلى مصر عن طريق التركية، ولا ندرى كيف تـسربت إلى المغرب؟ فهل تم ذلك في عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية إلى المغرب، أم عن طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عدة آلاف بمصر ولاسيما في عهد العلويين؟

خربشه: خدشه وخمشه.

خربق عمله: أفسده (تستبدل العامة في مصر بالقاف الألف فتقول: خربأ).

خرخش: أي صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة، وفي مصر لأزيز الصدر.

خردة: قطع الحديد المستعمل، وهي كلمة فارسية مقتبسة من الخرثى الفصحى على ما يظهر.

الخس: بقل عريض الورق يؤكل نيئاً (مصر والمغرب).

خلاه: خلاه في المحل أي ترك، يقال: خله في المحل أي اتركه حتى تعود إليه.

خمسة وخميسة: عبارة عن كف فيها خمسة أصابع يزعمون أنها تدفع العين (أحمد أمين - قاموس ١٩٥). وقد عرفت في إفريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجيين وتوجد صورة لها في (متحف باردو) بتونس، ويقال في المغرب خمسة لخماس بدل خمسة وخميسة في مصر، ويسميها الفرنسيون: يد فاطمة.

الخنفسة: أي غير الجميلة، وفي المثل المصري "الخنفسة عند أمها عروسة " ويقابله المثل المغربي: (كل خنفوش عند مو غزال) (كل خنفسة لدى أمها غزالة).

الخوا: بكسر الخاء (وتسكينها بالمغرب أي الفراغ، يقال: شربت على الخوا، أي على الريق، والخواء فراغ المعدة من الطعام.

خواجه: كانت تطلق في الأصل على الأعيان والتجار ثم أطلقت على الأجنبي بمصر، ولكن المغرب احتفظ بمعناها الأصيل، وهي لفظة فارسية معناها سيد (مصر والمغرب والشام).

خوخ الفاكهة: فهي مخوخة أي فارغة القلب لالب فيها.

الخوخة: تطلق غالبًا على الباب الصغير في قلب الباب الكبير، وعربيها حسب القاموس هو الخادعة.

الدادة: المربية، ودادا كلمة فارسية معناها: خادم ومربية.

دحدح فلان: مشى على مهل أو تقارب خطوه من سرعة ، والدحداح في المغرب القصير وتلك هي صفة سير كل من قصر جسمه.

درابزين: الحاجز الحامي في السطح أو الدرج (دربوز بالمغرب).

دربكة: الطبل الصغير، وهي فارسية عربيها الكوبة التي أشار إليها صاحب القاموس.

الدرفة: درفة الباب أي مصراعها، وهو من الدفة بمعنى الجنب، ويستعمل العامة في المغرب لفظة دفة بدل درفة في مصر.

درويش: فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع). (مصر والمغرب).

الدشيش: دشيش الفول: طحينه، وهي من جش الحب إذا دقه، ويقال: الدشيشة في المغرب (الطحين المدقوق).

دغري: مشى الرجل دغري أي قدمًا لا يلوي على شيء، ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعني مستقيم أو طوغري التركية.

الدمغة: الطابع والتنبر، ويقال أيضًا: التمغة بالمغرب، وهي فارسية (من التمغ أو الطمغ).

دندن: غنى بصوت أو آلة موسيقية.

دهست السيارة الرجل: أي داسته ودعسته، وتستعمل العامة بالمغرب معس بهذا المعني مستبدلة الدال ميماً.

الدوار: معروف في ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر احتماعية كالأمير والمدير والمعلم وغيرهم، فهي نواة حضرية، وأصلها فارسي (داوار) وهي بمعنى القرية بالمغرب.

رأس مشعنن: أي منتفش الشعر أشعث.

الرزمة من الثياب: ما شد في ثوب واحد.

رغرغت عينه بالدمع: أي اغرورقت (غرغرت بالمغرب).

الرقاق: الخبز الرقيق، واحدها رقاقة (رقاقة بالمغرب).

الرقعة: عربية معناها البطاقة استعيرت لرقعة الشطرنج، وهي دخيلة حسب (شفاء الغليل) ومن أدواتها المعروفة كذلك في عامية مصر والمغرب البيدق والرخ والفرز والفرس والشاه.

الزريبة: المكان الذي تنام فيه البهائم، وهي فصحى.

زعا: صاح من الزعق (زعق بالمغرب).

زعلوك: أي صعلوك، وقد ورد زعلوك بضم الزأي بمعنى القصير المجتمع العضل، ويطلق بالمغرب خاصة على شديد المراس وصعب الطبع، (مصر والمغرب).

زغرتت النساء في الأفراح: من الزغردة، وهي هدير الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد بين ألسنهن وأصابعهن.

زفر: ريحة زفرة أي منتنة، وهي رائحة بعض الأطعمة كاللحم والجبن وهو من الزفر أي شدة ورائحة الطيب أو النتن.

زلا: أي زلق (زلق بالمغرب).

الزلط: يقول المصريون: فلان رأسه زلط لا شعر فيه، وفي الجزائر: " فلان أزلط من فار الجامع" وهو المدلول المغربي للزلط بمعنى الفقر.

الزمت: شدة الحر ووقوف الريح، وهي من زمته إذا خنقه.

زنبيل: وعاء من خوص، وهو المعنى العربي الأصيل، ويطلق في المغرب خاصة على وعاء من نحاس.

الزواق: النقش بالألوان، وهو من الزاووق أي الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق.

السبوع: اليوم السابع من ولادة الطفل، والسبوع لغة في الأسبوع.

السبيل: صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس في قارعة الطريق، ولعله من السبل بحركتين أي المطر الهاطل والسبيل أي الطريق.

ستف: رتب وهي من صففه أو صفصفه فاصطف، وهو مصطف (مستف).

سطل: بمعنى بقرج ولكن له عروة خاصة، وهو ستل بالفارسية (situla) باللاتينية.

السقاء والسقا: موزع الماء على البيوت (مصر) وهو المسمى القراب بالمغرب لحمله القربة على ظهره، والقربة هي السقاء (بكسر السين).

سك الباب: سدها، ويقال في المغرب أيضًا: سكرها، وهي سريانية وهو فى مصر سنكر بزيادة النون.

السميد: لون من ألوان الدقيق وهو معرب عن الفارسية (فقه اللغة) واستعمله الحريرى في مقاماته، ويقال: السميد بالمغرب والسميط بمصر.

السوة: (بكسر السين في مصر وفتحها في المغرب)أسفل البطن وهي من السواة بمعنى الفرج، ولكنها أطلقت خاصة على الدبر.

سيأ الأرض: غسلها (سيق بالمغرب) وهي من صيا رأسه: غسله فلم ينقه. (متن اللغة).

السيفون: مجرى خاص للماء أصله siphon (مصر والمغرب).

شاف: أي تطاول ونظر.

شألب: أي سقلب بمعنى صرع، وأصلها قلب، وهي شائعة أيضًا في الشام (شقلب بالمغرب).

الشايط: الطعام الذي يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته فيرمى، والشايط في المغرب: هو كل ما يرمى.

الشربات: الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد للمناسبات المفرحة.

الشربة: الحساء الذي يقدم قبل الطعام، ومقابلها التركي حوربا.

شرشر الماء: أي خر بمعنى: اشتد سيله.

شرمط: مزق (اشرمط في مصر)، وذكر الدكتور أحمد عيسى في " المحكم في أصول الكلمات العامية" أنه من اثر نمط السقاء: إذا انفتح والإثر نماط

اطمحرار السقاء إذا راب ورغا، ففي ذلك معنى التمـزق " ويظهـر لي في أن أصـل شرمط: شرم فهو أشرم إذا انشق وتمـزق وتـشرم أي تمـزق، وأصـل تـشرمط: تشرمت (تاء التأنيث). وقد تكون مـن الـشرط بمعـنى الـشق فتكـون المـيم زائدة.

شقافة: أي شظية الخزف، والشقف: الخزف المكسر (شقفة بتسكين القاف في المغرب).

الشكال: أي رباط العقال للفرس، ولعلها فارسية دخيلة في الفصحى.

شكم الدابة: شد فمها بالشكيمة.

الشنطة: الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابس (ويطلق في المغرب على الحقيبـة)، وأصلها تركي على ما يظهر (جنته).

شوشة: شعر قمة الرأس ومعناها بالسريانية: كبة القطن، وتطلق في المغرب على أزرار الحرير السوداء المتدلية من الطربوش.

شوية: أعطني شوية أي شيئًا يسيرًا.

الشياط: رائحة الاحتراق.

الشيت: نوع من القماش (أصلها هندي).

الشين: علامة النفي في اللهجتين مثلاً: فلان ما جاش، أي لم يأت (أصـلها لم يأت شيء) وما كلتش أي لم آكل شيئًا، وأخذتش حاجة أي هل أخـذت شـيئًا؟ (وأضيفت حاجة لزيادة البيان).

صرصع: صاح بصوت عال، وهي من فرفر وتستبدل العين حاءً بالمغرب فيقال: صرصح.

صنارة: حديدة الصيد.

صنايعى: نسبة إلى الجمع، وهو صنائع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعـه: صنايعية بمصر والمغرب.

صينية: طبق يجهز فيه الطعام، ويطلق في المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كؤوس الشراب، وهو منسوب منذ العهد الجاهلي إلى الصين التي يستورد منها.

طابور: صف من العساكر (التابور تركية).

طاجن: وعاء للطبخ (كلمة يونانية).

الطار: محرف عن إطار الأعجمية، وعربيه: الدف، وقد دخل في عامية مصر والمغرب وغيرهما (ويقول عامة المغرب: طر).

طاقة: كوة.

طاقية: ما يلبس على الرأس، ولعلها مشتقة من تقية أي وقاية الرأس من الحر والقر.

طبطب على الولد: ربته.

طربوش: قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الرأس كلمة فارسية (أشار إليها ابن دحية في تفسير حديث " يلبسون الشعر " أي السرابيش.

طز: كلمة يقولها الإنسان إذا شاهد شيئاً رديئاً أو قبيحاً، فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطتز بالتركية، وقد عربت).

الطقس: حال الجو من حر أو برد.

طنجرة: وعاء للقلي أو الطبخ (تنجرة أو طنجرة تركيتان)، والطنجير بالمغرب معناه: الطنجرة الكبرى.

عافر الرجل: بذل جهده ليقوم بعمل (تعافر بالمغرب).

عبد للاوي: نسبة إلى عبد الله ومنه البطيخ العبدلاوي.

عربية أو عربة: عاميتان مرادفهما العربي عجلة، وأطلق على مركب ذي عجل تجره الخيل، والعربية هي الشائعة عند عامة مصر والمغرب.

عرقان: فصيحة بمعنى عرق (المصباح) يقال: عرقان في مصر والمغرب.

العرقسوس: عرق نباتي حلو يمتص.

عيان: مريض، ومدلوله الأصيل في الفصحى من الإعياء في الأمر والمشي لا في المرض (القاموس) (مصر والمغرب).

عيط: نادى، والعيطة في المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف.

العينة: النموذج من السلع (العينة بتسكين الياء في المغرب).

غامق: لون أسود غامض أي شديد السواد، ومقابله فاتح: إذا خف لونه.

غرقان في الدين:أي غريق فيه بحيث لا يستطيع أداءه.

الغريبة: نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكر، ويكثر فيه السمن (أحمد أمين ص ٢٩٩).

فتافيت: ما تبقى من قطع الخبز على المائدة، من فته: إذا دقه (فتايت بالمغرب).

الفدان: وحدة المقاييس المصرية أو الممرات، وهو لفظ نبطي (شفاء الغليل)، ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعى.

الفرت: (بكسر الفاء) الكرش، وأصله الفرث (وهو بفتح الفاء في المغرب).

فرتك: قطّع ومزّق مثل الذر.

فرجتة: ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم، ويقال بأن أصلها يونانى، وأن الأتراك اقتبسوها، وتطلق في المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهو منفرج من الأمام؛ لذلك لا يبعد أن يكون أصلها عربيًّا.

فرحان: فرح (القاموس) يقال: فرحان بمصر والمغرب.

فرم: أي قطع وكسر، وهي سريانية الأصل على ما يقال، ولعلها دخلت إلى المغرب عن طريق الفصحى، نظراً لانعدام التأثيرات السريانية في اللهجة المغربية، وهي تطلق في المغرب على الكسر الجزئي كفرم الأسنان أو الكأس.

فش: أي فتح، ويقال في المغرب: فش الوطب أي أفرغه من الهواء، وفي المثل: فشه فش الوطب أي أزال نفخته وكبرياءه.

الفشار: الكذاب المغالى في كلامه.

فقس الطائر البيضة: فضخها.

الفقي (بالهمزة وكسر الفاء): الفقيه.

الفلقة: الآلة تمسك بها الأقدام في الكتاب لضرب الصبيان، ويقال بأنها يونانية اقتبس منها الفرنسيون palanque.

فلوكة: سفينة صغيرة، وهي من الفلك أي المركب.

فلصو: أي زيف، وزائف درهم فلصو أي زائف، وأصلها إسباني (falso) أو إنجليزي (false) (مصر وشمال المغرب)، ويمكن مقارنتها بكلمة فلس وإفلاس العربية.

فميلية: أسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب، وهي من اللفظ الفرنسي famille

الفنطزية: نوع من اللعب بالبارود على صهوة الخيل، وهي يونانية أخذ منها العربيون fantazia.

قارب: سفينة صغيرة وهي يونانية على ما قيل، عربت.

القراع: مرض جلد الرأس، وأصله القرع بحركتين أي بثر يخرج بالرأس (القرعة بتسكين الراء في المغرب).

قرنص من البرد: تقبض، ويقال في المغرب: حنية مقرنصة أو مقربصة بالباء، أي متقبضة النقش والترخيم.

القرينة: الجنية تكون مع الشخص.

القصرية: الوعاء يتبول فيه، ولعلها من اللاتينية gastrum ومعناها: إناء مجوف وتطلق في المغرب على وعاء مجوف لعجن الخبز.

قطع اللبن ولبن قاطع: بمعنى حامض (وانقطع الحليب في المغرب أو تقطع أي لم يصلح لأن يغلى أو يروب؛ نظراً لعدم طراوته، ولعلها من قطع الخمرة بالماء مزجها (متن اللغة).

القفطان: من الملابس الخاصة بالرجال في مصر ويلبسها حتى النساء بالمغرب، وأصلها: قفتان التركية المقتبسة هي أيضاً من خفتان الفارسية.

قفقف من البرد: ارتعش، وهي فصيحة تستعمل في مصر والمغرب.

قلع ملابسه: أي خلعها وهي بحركتين في مصر إلا أنها مشددة اللام بالمغرب حيث تستعمل بمعنى الانتزاع كقلع الأسنان أو تقليع الحجارة من الأرض وهو معنى فصيح.

القهاوي: المقاهي.

قورمة: مأخوذة من قاورمة التركية وهي لحم يطبخ بالبصل (المغرب ومصر).

كاكي: تقول: كاكت الدجاجة أي صوتت عند البيض، وأصلها: قاقت وتستعمل العامة بالمغرب هذا اللفظ فتقول: الدجاجة تقاقي.

كانى مانى: يقال بأنها تركية ومعناها كيت وكيت بمعنى الإكثار من الكلام عن طريق التلميح والكناية، ويقول العامة في المغرب: كيني ميني.

وأكد الدكتور أحمد أمين بأنهما كلمتان قبطيتان فكانى معناها: السمن، والثانية العسل، وهي في الأصل: خلط السمن بالعسل ثم استعمل في خلط صحيح الكلام بفاسده ثم في الكلام غير المفهوم (قاموس العادات... إلخ ص ٣٣٣).

كاوح أو أوح: في مصر من كافح أي قاتل وناضل، وتستعمل في المغرب في المكابرة وتروج عند عامة المغرب كلمة: كافح الفصحى في نفس المعنى.

الكباب: قطع صغيرة من اللحم تشوى في السفافيد، ويظن ياقوت أنه فارسي عربه المولدون. (شفاء الغليل ص ١٧٤).

كح: سعل (كحكح بالمغرب) وهي ترديد للمحاكاة أو على نسق جرجر بدل جر.

كرنفال: مسخرة، أصلها فرنسي carnaval (مصر والمغرب).

الكسكس: طعام معروف بالمغرب خاصة يكس أي يدق من القمح، فهو مكسوس ومكسكس ويسمى الكسكس بالمغرب.

كش كش: بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه، وهو في المغرب بضم الكاف.

الكفتة: (بضم الكاف في مصر وفتحها بالمغرب) اللحم المهرم أي المقطع قطعاً صغاراً (ويقال في عامية مصر والشام المفروم) ويقال بأن اللفظ فارسي دخل إلى التركية، ومنها إلى بعض العاميات العربية كالمصرية والمغربية.

كفي القدر: أي قلبها (كفحها بالمغرب).

الكمنجة: بمعنى الرباب معرب حسب "شفاء الغليل".

الكوارع: الكراع مستدق الساق عند البقر والغنم، وجمعه: أكراع وأكارع، وتجمعه العامة بمصر والمغرب على كوارع.

كورجة: باع كورجة أي بلا وزن ولاكيل ولا عد، وهي تركية معناها: العمى، ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الأعمى بدون تبصر.

الكيب في مصر:هو الحصير من ألياف البردي، وهي من اللفظة التركية كيب، ومعناها: غطاء، وتستعملها العامة في المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب يجعل فوق الدكاكين على نسق الإفريز، والاستعمال المغربي أقرب إلى الأصل التركي.

الكوشة: موقد الحمام، وعربيها: الأتون، وتستعمل الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لأتون الآجر، وهو بيت يطبخ فيه الآجر.

كومبانية: شركة (campagnie) (مصر: والمغرب).

الكيف: بعض أنواع التبغ (يقال له في مصر: حسن كيف).

لبارح = البارحة: أي الليلة الماضية ويقال في مصر: إمبارح باستبدال أم من أل على لغة حمير لقوله عليه السلام:" ليس من أمبر أمصيام في أمسفر".

اللبخة: دواء كالمرهم يوضع حارًّا أو بارداً فوق العضو لألم (اللبخة).

الألثغ: من في لسانه عسر في نطق بعض الحروف كإبدال الراء غيناً بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول العامة بمصر: الذغ بإبدال الثاء ذالاً.

لهط الرجل في الأكل: أي ازدرد اللقم الكبرى بدون مضغ، وتستعمل في المغرب خاصة للتعبير عن إظهار التلهف في الطعام، ولفظه لهف جارية أيضاً بهذا المعنى في البلدين.

ليلة الحنة: هي التي تسبق عادة الزواج، وللحمام والحناء فلها أهمية، وليلة الدخلة: الزفاف والبناء.

مبلّم (بكسر الميم في مصر وبتسكينها في المغرب) أي ساكت لا ينبس ببنت شفة.

المتختخ: أي المسترخي من كثرة الماء (بكسر الميم في مصر وبتسكينها في المغرب).

المترد: وعاء اللبن والثريد، وأصله المثرد.

امخروع: ضعيف لا يقدر على العمل.

مخطوف: لون مخطوف أي أصفر.

مخوّخ: فارغ اللب.

مدغمس: عين مدغمسة أي ضعيفة البصر، يستعمل عامة المغرب خاصة مدعمش (بالعين المهملة).

مزنجر: أي يعلوه الصدأ أو الزنجار.

مسوكر: جواب مسوجر أو مسوكر، أي مؤمن عليه أو مضمون (assicurase).

المضربة النجاد: المخيطة بالقطن (المصباح)(يقال: مضربية في مصر).

المعجون: خليط لتخدير الأعصاب.

الملابطة: المصاعرة (الملاكطة بالمغرب).

ملط: في مصر، وأملط: في المغرب: أي أملط لاشعر على جسده.

الميت: يتقارب المثلان المصري والمغربي " الضرب في الميت حرام "(مصر)" البكاء على الميت خسارة " (المغرب).

الميضة: المرحاض.

نخشوش (بالنون في مصر) وتخشوش (بالتاء في المغرب): إذا دخل الماء في خيشومه فأثار قلقه واضطرابه.

نش الذباب: أي طرده.

نغز: أي حرض ونغزه بإبرة أي وخزه، وفي الفصحى نخس.

نقر: (نكر في المغرب) بالكاف المفخم أي أكثر من الكلام المؤلف، نكر عليه أي لمزه بالكلام المؤلم.

نَّه هُوْ: للطفل لإغرائه بالنوم، ويسمى غناء الأطفال بالتركية نـــيني، والمهـــد بالفارسية نانو.

نونو: الطفل الحديث الولادة (مصر)، وهو من الكلمة الفارسية: نو. ويقال في المغرب: نيون، لكل جديد في لغة الأطفال.

نينة: معناها أم جدة، وأصلها ننة الفارسية، وقد اقتبسها الأتـــراك ثم العـــرب ويستعمل عامة المغرب نانة (التي ترخم نه) وكثيراً ما يصف المغاربة الجدة بـــ: " حنينة " فيقولون: جدتى الحنينة، ولا يبعد أن تكون نينة مرخمة عنها بحذف الأول على غـــير قياس تسهيلاً.

هبهب الكلب: نبح.

هجّالة: عزب ويقال: عزباء (الأزهري) وتستعمل في المغرب خاصـــة بمعـــنى الأرملة، وهي من متجالة الفصحى.

هطّل فلان (بتشديد الطاء في مصر وتخفيفها في المغرب): استرخى.

الهمج: الطبقات الوضيعة من الناس، وأصله البعوض في العربية، ثم أطلق علـــى كل رذيل من القوم.

هيه: ترد زجر للطفل إذا استعملت ياؤها ممدودة، هاه: هي كلمة وعيد حـــتى للكبار بمعنى حذار حذار.

الوحش (بفتح الواو في المغرب وكسرها في مصر) أي الرذيل من الناس.

ورديان: أي الحارس، أصلها (gardiano) الإيطالية أو (garabien) الفرنسية أو (warden) بالإنجليزية، وقد اشتق منها المصريون والمغاربة الوردية، واستعمل عامة المغرب كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الجمارك.

يوغورت: اللبن الرائب في التركية، وقد دخلت إلى المغرب أخيرًا عن طريق الكلمة الفرنسية) yogourt.

* * *

اهتمام المغاربة بالتأليف حول:

العامي والفصيح(*)

للدكتور عبد الهادي التازي

(عضو المجمع)

لم يقل اهتمام المغاربة عن اهتمام إخوانهم بالمشرق من الذين ألفوا أو كتبوا في موضوع "العامي والفصيح"، وهكذا فكما ظهرت عدة كتب وتآليف هنا مما كان يعني بلحن العامة من أمثال: كتاب "ما تلحن فيه العوام" لأبي الحسن على بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩= ٨٠٥)، وأمثال "درة الغواص في أوهام الخواص" للقاسم بن علي الحريري (ت ٥١٦=١١٢٢)، مع "التكملة فيما تغلط فيه العامة" لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت٥٤٠ =١١٤٥)، "وتقويم اللسان" لعبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧=١٢٠١) و" التنبيه على غلط الجاهل والنبيه" لابن كمال باشا- أحمد بن سليمان (ت ٩٤٠ =١٥٣٤)-، و "شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل" للشهاب الخفاجي - (١٠٤٩ =١٦٣٩) ...إلخ.

كما ظهرت تلك الكتب في المشرق وجدنا أن المغاربة – وهم يصيخون دائمًا بآذانهم لكل ما يسمعونه من قول - يقومون بدورهم لإثراء التأليف في هذا المجال، وهكذا نجد كتاب "لحن العوام" لأبي بكر محمد بن حسن الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (٣٧٩ =١٩٨٩) الذي يعد من أقدم اللغويين العرب الذين اهتموا باللحن في الغرب الإسلامي[1] على نحو ما سمعناه عن الكسائي في بلاد المشرق، كما نجد تأليفا في "لحن العامة" لمحمد بن أحمد اللخمي السبتي الذي كان معاصرًا للحريري والجواليقى، والذي

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات مؤتمر الدورة السادسة والخمسين، المنعقدة يوم الأربعاء الموافق ٧ من مارس سنة١٩٩٠م، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء السادس والستين، ص ١٥٠. (ويمكن أن ينضّم هذا البحث إلى بحثي الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف "اللهجة العربية العامية" راجع كتاب: اللهجات العربية، بحوث ودراسات، ص١٤).

كان يتصدر للتدريس عام (٥٥٧ هـ= ١١٦١م)، وقد جمع ابن هشام السبتي عددًا من الملاحظات، هي التي نشرها سنة (٥٠٧ هـ= ١٢١٠م)ابن الشاري وابن عطية. وقد قام محمد بن هاني اللخمي السبتي المتوفي بجبل طارق سنة ٧٣٣ = ١٣٣٢، قام – بعد ابن هاشم بقرن – بترتيب تلك الملاحظات ونشرها بعنوان " كتاب إنشاد الفوال وإرشاد السُّؤَّال "، هذا إلى كتاب " الفوائد العامة في لحن العامة " لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١ = ١٣٤٠) الذي هو والد محرر مذكرات ابن بطوطة، وكذلك مختصر ابن جعفر بن علي بن خاتمة الأنصاري، الذي ولد في المرية، وتوفي بعد سنة (٧٧٠ هـ= ١٣٦٩م)[١].

وأعتقد أن حركة العلماء لم تتوقف في هذا الصدد الذي يحتاج إلى متابعات متوالية. لكنا نقتصر في حديثنا اليوم على المحاولات التي ظهرت أثناء القرن الماضي عندما حرك بعض المستشرقين هذا الموضوع في الشمال الإفريقي، الذي أصبح سائرًا في عجلة الاستعمار الأوربي.

وأريد أن أقصر حديثي اليوم عن بعض المحاولات التي ظهرت أواسط هذا القرن، ونقف بالخصوص على مخطوطة سترى النور قريبًا، وهي من تأليف الشيخ أحمد الصبيحي السلاوي – رحمه الله –:

" إرجاع بعض الدارج بالمغرب إلى حظيرة أصله العربي"[٢].

المؤلف في سطور:

ولد المؤلف بسلا في صفر (١٣٠٠هـ=١٨٨٣م) حيث درس على علمائها قبل أن يرحل إلى فاس، حيث جامعة القرويين للأخذ عن كبار علمائها.

---

(١) جورج كولان: حول العامية في المغرب والأندلس، بمجلة اللسان العربي العدد الثاني، رمضان ١٣٨٤هـ=يناير ١٩٦٥م).

(٢) الكتاب الآن من تحبيس نجلي المؤلف، الأستاذين: عبد الهادي وعبد الغني على الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، التي رحب طبعًا محافظها الأستاذ عبد الله الصبيحي بالوقف، وعمل على تحقيق الرغبة الأصلية للمؤلف في تهييء أسباب الطبع والنشر، حيث قدم له الدكتور محمد حجي.

عاد لمدينة سلا ليتولى عددًا من الوظائف الإدارية إلى جانب ممارسته للتدريس، ثم عين ناظرًا لأوقاف مدينة أسفي عام(١٣٣٦هـ=١٩١٨م)، ثم عهد إليه بنظارة الأحباس الكبرى والصغرى بمكناس إضافة إلى أحباس الحرمين الشريفين حيث ظل في هذه الوظيفة نحوًا من سبع عشرة سنة، عاد بعدها إلى مسقط رأسه للإشراف كذلك على نظارة الأحباس إلى أن أدركه أجله بها يوم ١٥ من محرم (١٣٦٣هـ= ١٢ من يناير عام ١٩٤٤م).

مؤلفاته:

كان الأستاذ الصبيحي من العلماء المتفتحين، الذين ظلوا على صلة بواقع أمتهم يكتب ويحاور ويسجل ويؤلف.

ويذكر الإدريسي القيطوني في تأليفه (معجم المطبوعات المغربية) تقديم عبد الله كنون أن للصبيحي هذا عدة مؤلفات تزيد على العشرين، منها: "باكورة الزبدة في تاريخ أسفي وعبدة"، وقد طبع له بالمغرب:

أولاً: **"إرجاع بعض الدارج بالمغرب إلى حظيرة أصله العربي"** (وهي محاضرة كان ألقاها بالمؤتمر الثامن لمعهد الدروس العليا) ثاني المحاضرات، وقد نشرت بذيل العدد التاسع من مجلة المغرب التي كانت تصدر بالرباط (١٣٥٢هـ=١٩٣٢م) – المطبعة الوطنية بالرباط في ٤٤ صفحة.

ثانيًا: أصول أسباب الرقي الحقيقي، وهي رسالة إلى أهل المغرب الأقصى في نصيحتهم بالأخذ بالأسباب الصحيحة للوصول إلى المجد.

ثالثًا: الأمثال العامية عند المرأة المغربية، طبع أولاً على الحجر بفاس، مع ترجمته إلى اللغة الفرنسية بقلم عبد القادر بن شهيدة، ٣٥٨ صفحة.

رابعًا: الرحلة الثانية إلى مصر – المطبعة الوطنية بالرباط ١٣٣٣ هـ، ٢٤ صفحة.

خامسا: في بعض العادات المغربية، مطبعة أندري بفاس، ١٣٤٤ هـ، ٣٢ صفحة[1].

وقد تجلى اهتمام الشيخ بهذا التأليف في أمرين اثنين:

أولهما: أنه شد الرحلة إلى مصر للاستفادة من المجهودات التي سبقته حول هذا الموضوع في أرض الكنانة، ويقوم بالمقارنات والمفارقات في استعمال الألفاظ.

ثانيهما: اقتناعه بالجهد الذي بذله، وهو الأمر الذي تفسره توصيته بتحبيس الكتاب وطبعه للانتفاع به على مجال واسع.

ويظهر لي أن هدف الشيخ من كتابة هذا المعجم هو شعوره بأن هناك فراغا ملحوظًا إزاء الاشتغال بهذا الجانب من لدن بني وطنه على الخصوص، وهو الأمر الذي يترجم عنه شد الرحلة إلى مصر، وإلا لو أخذناه بعدم التنقيب بادئ ذي بدء فيما يروج حواليه من تقييدات ومقالات عن العامي والفصيح.

وهكذا يفيدنا أنه اطلع على فهرس دار الكتب المصرية لسنة ١٩٢٦م، فوجد ما نيف على العشرة من الكتب المؤلفة في دارج مصر والشام، " وهناك اطلعت يقول الشيخ الصبيحي – بدار الكتب المصرية على سبعة عشر كتابًا، واطلعت بالخزانة الزكية على ثلاثة كتب كلها حول موضوع دارج مصر والشام. ..".

ومن الطريف أن نعرف أن الشيخ الصبيحي خطط لزيارة مجمع اللغة العربية الذي كان حديث عهد بالإنشاء،وكان كذلك يعتزم الاجتماع بالأستاذ إسكندر عيسى المعلوف، لكن الله لم يقيض له ذلك على حد تعبيره، لأن الوقت وقت عطلة وهو- أي المعلوف- شامي الدار.

---

(١) ذكر الإدريسي مصادره كذلك: الأدب العربي في المغرب الأقصى ج Hص ٦٢ – بيوتات سلا – مخطوط جواهر الكمال – ٦٠ فهرس المخطوطات العربية ١٤٧/٢ – معجم المؤلفين ٣٦٨/١٣ – إدريسي بن الماحي الإدريسي، معجم المطبوعات المغربية، طبع بعناية ولده عبد الوهاب نيابة عن الأسرة، مطابع سلا ١٩٨٨م، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

وبهذه المناسبة يفيدنا الصبيحى أن العلامة أحمد تيمور باشا كان يشتغل بمعجم اللغة المصرية العامية في الحين الذي كان يقتصر فيه المعلوف على اللهجات العامية في بلاده[(١)].

لقد عاكست الأقدار أيضًا الشيخ الصبيحى في البرنامج الذي هيأه لزيارته مصر؛ فقد كان على صلة بالمراسلة مع شيخ العروبة العلامة أحمد زكي باشا، وأخبره بقدومه على مصر، وهنا ساق نص جواب أحمد زكي الذي حرره بالجيزة بتاريخ ٩ من صفر ١٣٥٢هـ الموافق ٢٢ من مايو ١٩٣٤م، وقد جاء فيه ما يلي: " نعم أشرقت على دار العروبة أنوار كتاب كريم صادر من مكناس الزيتون بالمغرب الأقصى، وفيه مافيه من براعة وبلاغة، إلى جانب ما انطوى عليه من دلائل الاطلاع الواسع وآيات العلم المتين".

وبعد أن يعبر "أحمد زكي" عن حيرته في الحصول على عنوان الشيخ الصبيحي، الأمر الذي كان يدفع به إلى التَّفكير في الاستفسار عنه بواسطة جريدة الأهرام، يذكر أن خطابًا ثانيًا وصله من الصبيحى يميط فيه اللثام عن شخصه ويزوده بمحاضرته: "إرجاع بعض الدارج في المغرب الأقصى إلى حظيرة أصله العربي".

وهنا يخاطب "أحمد زكى" زميله في المغرب:

"قرأت المحاضرة التي ازدانت بها مجلة المغرب، فرأيتك ياسيِّدى قد جعلتها نبراسًا للمعجم الذي جمعت أنت موادَّه، والذي أخذت على نفسك بالرحلة إلى ديار المشرق لتهذيبه واستكماله تجديدًا لِلسُّنَّة التي جرى عليها أجدادك الأمجاد أيام ازدهار العلم في ربوع "الفردوس الإسلامي المفقود" و أيام كانت دولة المغرب الأقصى في عزها الشَّامخ

---

(١) نشر بهذه المناسبة إلى بعض المصادر الأجنبية التي كانت ظاهرة على ذلك العهد نذكر مثلا:

Charbonneau, M.A. ١٨٥٥: observations sur l'origine et la formation du langage arabe marocain , in journal astiatique Budgett-Meakin , J.E ١٨٩١ An inti oduction to the arabic of Maroco, London. Co

Colin, G.S. Sur l'arabe Marocain de l'epoque almohade, Hesp .١٩٣٠ un Document nouveau sur l'arabe dialectal d'occident, Hep . ٩٣١.

Reched Hamzaoui: l'A cademiedcmie de langue Arabe du caire, Tunis ١٩٧٥.

وسلطاها الفعلي الوطيد الأركان، فلعلّ التوفيق يسعفك أنت وأمثالك من الأمير ابـن زيدان إلى الخبير الكتاني [١] من إخوانك القائمين برفع الراية في المغـرب الأقـصى، في فاس، ومكناس، وفي مراكش، ورباط الفتح إلى ما حول ذلك من العـرائش وطنجـة وتطوان." ونحن في القاهرة نـزدهي كلما طلع علينا شعاع نورٍ أتى مـن برقـة إلى القيروان إلى تلمسان، إلى فاس البيضاء.

"وعملاً بالسنة التي تفخر بها دار العروبة أقول لكم من الآن: أهـلاً بمقـدمك القريب وستجدني في خدمتك منذ اليوم الذي تحظى فيه القاهرة بنـزول غوثك إليها، وغيثك عليها، ونحن نترقب طلوع شمسك من المغرب لتجديد الحياة الفكرية بين الشرق و الغرب، ولتوثيق دعائم الارتباط بين مكناس الزيتون وجيزة الفسطاط".

لقد كان هذا الجواب من شيخ العروبة بمثابة الحافز الأكبر الذي شجع الشيخ الصبيحي على الاتّجاه نحو مصر.

هذا وقد ساق الصبيحى جردًا بالكتب التي وقف عليها بالدّيار المصرية، معلقًـا على ذلك بأها لم تفده في موضوعه الخاص بالمغرب سوى بعض كلمات لَخَّصها لبيان أسمائها وأسماءِ مؤلفيها وموضوعاها، مع اقتطاف بعض ما يناسب المغاربة منـها غـير متردد في إبداءِ الملاحظة على بعض تلك الكلمات.

وأرى من المفيد أن أستعرض أسماء تلك المؤلفات التي استرعت انتباه الباحـث المغربي قبل أزيد من ستين سنة:

أوَّلاً: "أُصول الكلمات العامية" لحسن توفيق العدل، مدرس التربية وتاريخ أدب اللغة بمدرسة المعلمين العربية الرسالة الأُولى طبعها المؤلف عام (١٣١٧ هـ=١٨٩٩م).

ثانيًا: "الدرر السنية في الألفاظ العاميَّة وما يقابلها من العربية" تأليف حسين فتـوح ومحمد علي عبد الرحمن، طبعة المؤلف عام (١٣٢٦هـ= ١٩٠٨م)

ثالثًا: "تهذيب الألفاظ العاميَّة" للشِّيخ محمد الدسوقي، المدرس بالمدرسة الأميريـة،طبع المؤلف عام (١٣٣١هـ=١٩١٣م)، كتاب حسن في جزءين.

---

(١) إبراهيم الترزي: التراث المجمعي في خمسين عامًا. القاهرة:١٩٨٤

رابعًا:" لفّ القماط علي تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعــرب والــدخيل والأغلاط"، لأبي الطيب القتوجي بهوبال.

خامسًا: "قاموس العوام" لحليم دموس، طبع المؤلف عام ١٩٢٣ فيما تنطق به عــوام لبنان فقط.

سادسًا: "الدليل إلى مرادف العامي والدخيل"، طبع المؤلف رشيد عطية اللباني.

سابعًا: "التحفة الوفائية في اللغة العامية المصرية" طبع المؤلف عام ١٣١٠.

ثامنًا: "معجم الألفاظ الحديثة"، لمحمد دياب، طبع المؤلف عام ١٣٣٧.

تاسعًا: كتاب **"مميزات لغة العرب وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها وفائــدة علم التاريخ من ذلك"** لحفني أفندي ناصف، طبع سنة ١٣٠٥.

عاشرًا: "تهذيب العامي والمحرف" لحسن البدراوي، طبع عام ١٣٣٢.

الحادي عشر: "الرد على قاموس العوام"، لحليم دموس من سليم الجندي، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق – نشر بالمقتبس من ١١ شوال إلى ٢١ منه ٣٤- ١٩٢٣م)

الثاني عشر: "بيان عام في قاموس العوام". رد حليم على الجندي.

الثالث عشر: "لوائح في كلام عرب شمال ناحية تازة" للسيد جورج كولان، طبــع بمصر عام ١٩٢٠م.

الرابع عشر:" بحر العوَّام فيما أصاب فيه العوام" لمحمد بن إبراهيم بن الحنبلى القادري الحنفي (مخطوط).

الخامس عشر: "المحرف والعامي"، لحليم فهمي ناظر المدرسة القبطية الخيرية بدمنهور، طبع سنة ١٩٢٣م.

السادس عشر: "رسالة الألفاظ العامية ومرادفها بالعربية" لمسيو أوبيد، طبــع ســنة ١٩٠٨م.

السابع عشر:"التحفة الوفائية بتبيين اللغات العامية المصرية"، للــسيد محمــد وفــاء القرنوي، أمين مخازن دار الكتب المصرية، وصل إلى باب آخــر الــشين في مجلــدين مخطوطين، عدد ١٠٨ بفهرسة دار الكتب المصرية.

الثامن عشر: "أمثال الجزائر والمغرب"، لابن شنب، طبع سنة ١٩٠٧م.

التاسع عشر: "حكايات أهل العرائش" للمسيو سموني، طبع مدريد سنة ١٩١٣م.

العشرون: "التحفة الأدبية في الأمثال العربية"، تأليف نصري نصير، طبع المؤلف.

هذا وقد جاء في جريدة الأهرام الصادرة يوم ٣ من مارس سنة ١٩٣٤م:

أن الأستاذ إسكندر عيسى المعلوف له – تحت الطبع– " معجم العامي والدخيل في خصوص لهجات سورية ولبنان "وهو – كما يروى الصبيحي – مطول في أصول الألفاظ العامية والدخيلة ورد الأولى إلى نصابها الفصيح أو وضع ما يقابلها ويسد مسدها، وأنه، أي المعلوف كان قد لبى اقتراح المستشرقين سنة ١٨٩٨م بشأن اللغة العامية ولهجاتها فكتب مقالات متعددة في مجلة " المنار " البيروتية.

وبعد أن يستعرض الشيخ أمثلة مما أتت به جريدة الأهرام(١) ينقل عنها أن مثال هذا المعجم العامي الذي لا يزال مخطوطًا يقع في نحو ألفي صفحة، وفيه كثير مما يحتاج إليه المنشئون والمعربون لاسيما إرجاع الكلمات إلى صوابها الفصيح.

جولة في كتاب الصبيحي:

يحتوي الكتاب على **مقدمة** يستهلها المؤلف بهذه الكلمات " كثير من الدارج بالمغرب يظنه بعض الناس وأحيانًا بعض علمائنا ليس بعربي، والحال أنه أو أصله ثابت في كتب اللغة العربية المعتبرة، وليس هذا ببدع ولا غريب عند من علم أن العامة الناطقين بهذا الدارج إنما هم سلالة أو ورثة أولئك الأعراب الأقحاح الداخلين للمغرب أفواجًا عظيمة مرة بعد أخرى بلغة اتسعت مادتها حتى لما وجدته أمامها فأثرت أثرها البالغ، الذي توارثه الجيل عن الجيل، إلى أن وصل إلى عامة اليوم أحيانًا بدون تغيير

---

(١) يذكر منها (القبرية) التي يكتب فيها اسم دفين القبر الواردة في رحلة ابن بطوطة، والبارجة التي ذكرها البيروني، وهي زورق الهندي مشتقة من "بيرجة" في لغتهم؛ وذكرها المقدسي والبلاذري أيضاً؛ وسمى بها (القرمان)؛ لأنهم كانوا يتخذونها لحرفتهم، والروى القبطية التي ذكرها المقريزي وأبو المحاسن لتعريف سعة الأرض وتثمينها وفرض الضرائب عليها (Cadastre) والمشكاة الحبشي الوارد في القرآن، والسجل اللاتينية الواردة في القرآن، واليوبيل العبرية.

أصلاً وغالبًا ببعض تغييرات يأتي التمثيل لها، وكلها عند إمعان النظر ترجع لقصد تسهيل النطق وتخفيف وطأته عند كثرة دوران الكلمة في الاستعمال ".

ويلاحظ أن كل الذين تناولوا هذا الموضوع أكدوا أن العامي بالمغرب أقرب إلى العربية الفصحى من أي جهة أخرى في العالم العربي[1]؛ نظرًا لكونهم- أي المغاربة- ظلوا على صلة بالأندلس التي كان لسان ملوكها – وهم عرب بني أمية هو اللسان السائد في مدن المغرب وقراه على ما سنرى.

وقد ختم مقدمته بهذه الملاحظة التي لا تخلو من فائدة:

"وحيث إنه في أثناء البحث تحققت أوكادت تتحقق بربرية بعض الكلمات، أو تحقق – أو كاد – أنها غير عربية ولا بربرية بل فارسية أو تركية أو... أو. ..فإني لم أرد أن أضيع هذا الناتج أيضًا، بل أثبته في ذيل الكتاب حتى ينظر فيه العارفون باللغات المتخصصون لهذا النوع فيها، فأهل مكة أدرى بشعابها، ثم أنني أقصد بالدارج في المغرب ما درج فيه قبل نحو ثلاثين سنة، أي قبل ما ابتدأ سيل الواردين عليه يتدفق من أوربيين وغيرهم حيث كثر الدخيل جدًّا جدًّا ...".

وقبل أن يأتي بنص المعجم مهد له بسبعة فصول، بين في **الفصل الأول** فيها مضمون المعجم وشمول العربي فيه للدخيل، الذي استعملته العرب في كلامهم، وأثبتوه في معاجمهم وأدبياتهم.

وقد بين في **الفصل الثاني** من التأليف أن جميع الدارج الذي يحتوى عليه المعجم يرجع إلى أحد ستة أقسام:

الأول: ما هو عربي بجميع حروفه وحركاته، وإنما لاكته ألسنة العامة فتجنبته الخاصة: (الزز).

---

(١) لاحظنا هذا في المعلومات التي قدمها لنا الزبيدى الأندلسي الإشبيلى، كما لا حظناها في كل الذين تناولوا هذا الموضوع، ونذكر على سبيل من هؤلاء: الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، في كتابه " لهجة شمال المغرب" نشر دار الكاتب العربي والنشر بالقاهرة ١٣٨٨ - ١٩٦٨م .

الثاني: ما أصله أيضا عربي، وغيرته العامة قليلاً أو كثيرًا: (واخًا) .

الثالث: ما اللفظ فيه مركب من كلمتين تركيبًا مزجيًا: (السطرمية) .

الرابع: ما الصيغة فيه غير عربية، ولكن المادة عربية (أجذال) .

الخامس: ما اللفظ فيه منسوب إلى بلدة أو نحوها: (السلوقي) .

السادس: ما اللفظ فيه وصف في الأصل، وحذف موصوفه للعلم به:(السَّلْهم) .

أما **الفصل الثالث** من التأليف فقد خصصه لذكر القواعد أو شبه القواعد التي تعتمدها العامة في تغيير الفصل الفصيح بقصد التخفيف وتسهيل النطق ... وهو فصل طريف وغني بالقواعد فعلاً.

وأفاد في **الفصل الرابع** أنه تجنب في هذا المعجم ما يتصل بالنبات والأعشاب لطولها وتشعيبها، وهنا صارح القارئ بأنه لا يتحرج من ذكر بعض المفردات التي تجنبها الآباءُ اليسوعيون في قواميسهم الأخيرة موكدًا أنه كما لا حياء في الدين لا حياء في اللغة! !

وقد تناول **الفصل الخامس** جرد سائر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في معجمه، ويلاحظ أنه في بعض هوامشه لهذا الفصل أتى بكلام مستفيض عن لفظة مدريد التي قال: إن عروبتها أفلتت من شيخ العروبة أحمد زكي فيما صححه من أسماء البلدان بالأندلس وإسبانيا، ولكنها لم تفلت الأستاذ محمد مسعود: ماء جريت بجريط، مدريد..

أما عن **الفصل السادس** فهو الذي تحدث فيه عمَّا دعاه للرحلة إلى مصر رغبة في إثراء معلوماته حول موضوع العامي والفصيح.

و لم يفت الصبيحي أن يدلى برأيه حول بعض المرويات التي لم يقتنع بها على نحو ما علق به على ما ورد في محاضرات "اليوسى" أن علياً رأى النبي – صلى الله عليه وسلم– فشكا إليه علته فقال: أطعموه الكسكسون (بزيادة النون)، لقد رفض الصبيحي ذلك قائلا إن اللغة كالشريعة لا تُبدَّل بالمنامات! !

ويختم هذه الفصول **بالفصل السابع** الذي تحدث فيه عن منهجه في ترتيب الكلمات، وأنه يراعي بدء الكلمة في النطق الدارج، ولو كان ساكنًا، والعرب لا تبتدئ بساكن.

وقبل أن يأخذ في المعجم يأتي بلائحة لكل المفردات التي اشتمل عليها المعجم (نحو ألف كلمة) واضعًا أمامها حرف العين إذا كانت عربية، وحرف الباء إذا كانت بربرية، وحرف الغين إذا كانت غير هذا ولا ذاك.

ومن المهم أن نعرف أن مراجع الشيخ الصبيحي موثوقة وتعتبر- إلى الآن- مصادر يلجأ إليها الباحث، ومنها القديم والحديث؛ فهو يرجع إلى المعاجم الأصلية والمعاجم الفرعية، فيها ما ألفه أساتذة عرب من أمثال الأستاذ ابن شنب في قاموسه حول الدخيل من التركية والفارسية، ومنها ما حرره مستشرقون مستعربون من مختلف الجنسيات من أمثال البروفيسور ديلفان في دروسه حول قراءة العربية العامية، وقد خصص للمراجع الفصل الخامس برمته ليساعد القارئ على العودة إلى الأصول.

وهذه نماذج من المفردات الواردة اخترنا منها مفردًا واحدًا من كل حرف:

(١) أفراثي: من مادة الفَرْق.

(٢) بندق: بندق حدَّق النظر.

(٣) تكَّة: ما تربط به السراويل. (ولا تاء مثلثة في الدارج) .

(٤) جنْوى: السكين نسبة إلى (جنوة) من أقدم الجمهوريات التي كان لها بالمغرب اتصال.

(٥) حيَّانا: هل حي أنا؟!

(٦) خَزُونى: وتد حاد الرأس.

(٧) داز: مرّ (ولا ذال معجمة في الدارج) داز على برقة!

(٨) رقَّاص: ساعى البريد.

(٩) زفَّان: رقاص.

(١٠) طرّ: آلة موسيقى[(١)]

(١١) كعبى: سيّئ الحظ.

(١٢) الحنطة: الحرفة والمهنة[(٢)].

(١٣) ما شكماك: ما شكمك،ما جعل لك الشكيمة.

(١٤) نيابوه: عضُّوه بأنيابهم.

(١٥) صقلبية: نوع من الغرف.

(١٦) ضماد: (ولا ظاء مشللة في الدارج) تحتاج الضمادة عند الإصابة

(١٧) عزْرى: عزب.

(١٨) غشيم: لا يعرف شيئًا.

(١٩) فتاراس: في الإثارات أصبح أثرًا بعد عين.

(٢٠) قرماط: مقطوع الأُذن.

(٢١) سلهم: البهرنوس.

(٢٢) شوارى: العدل.

(٢٣) هودُ: نــزل.

(٢٤) واخّا[(٣)]:

(٢٥) يارخ: يرخّب.

---

(١) هنا استطرد الشيخ الصبيحي بذكر سائر آلات الموسيقى مع ترجمتها نقلاً عما كتبه د. محمد شريف بك في جريدة الأهرام بتاريخ ٢١/٤/١٩٣٥م.

(٢) ذكر الشيخ الصبيحي زهاء ثمانين حنطة عرفها كمحتسب. انظر ع. زمامة في (اللسان العربي العدد ٤ غشت) ١٩٦٦م.

(٣) تتردد هذه الكلمة على لسان المغاربة بمعنى: نعم، ويذكر الصبيحي أن أصلها أخي... أي أخي كلامك كلامي شددوا الخاء تمكنًا من النطق بحرف الحلق الصعب المخرج وأبدلوا الهمزة في الماضي واوا، نظير إبدالها في المضارع والمصدر، وهذا الإبدال في لفظة أخي بالخصوص حكاه ابن السكيت كما في المصباح المنير للفيومي لغة يمنية، ولي هنا سؤال مع الشيخ الصبيحي! ماذا يقول في معنى آخر لكلمة واخا: بمعنى (بالرغم من) واخا ما وصلني فإني سآتي لك!!.

الخاتمة:

وعلى نحو ما خططه الشيخ فإن **القسم الثاني** من المعجم يتناول الدارج المغربي من أصل أمازيغي، وهو بدوره غني بالمفردات التي يوجد من بينها (كسكسو) الذي تصرف بعضهم فيه فسموه (الكسكس، ومن بينها (صيفط) بمعنى أرسل، ومنها (الساروت) بمعنى المفتاح.

وقد خصص **القسم الثالث** من المعجم الدارج المغربي الذي ليس بعربي ولا بربري، ولكنه تركي أو فارسي أو إسباني أو لاتيني أو ...

ويذكر من هذه المفردات (بزطام) بمعنى الخرج الصغير (تركية)، والتمَّاك لخفّ (تركي)، وكلمة دغري بمعنى مستقيم (تركية)، وريال: عملة (إسباني)، وزمنطوط بمعنى اللص (إيطالية)، ولالة للسيدة المحترمة (فارسية)، والبزماط نوع من الخبز، والبنديرا: الراية، والكوفرى (الصندوق)، والفرتوتة: هيجان البحر(لاتينية)، الهينون: الإبان (عبرية)، ومقالة للبرج (إيطالية تركية)، وكانا بمعنى عقل تام (إسبانية)، وسلكوط للذى لا عمل له " Saligot " والشرغو لنوع جيد من السمكة (إسبانية) "SARCO"، وفي الأرجوزة الشقرونية:

أفضله على العموم البوري[1] ودون هذا الشرغ

و(يليخ): يفلت (عبرية) من المثل الدارج (براخا ولا يليخ).

وعلى نحو العادة المعروفة لدى العلماء المتواضعين وجدنا الشيخ الصبيحى يعتذر عن التقصير مؤكدًا أن هذا الكتاب لا يزال فيه له ولغيره مجال، أو معترفًا بالجميل للذين أمدوه أو ساعدوه، وفي صدرهم ابن عمه شيخنا العلامة السيد محمد بن الطيب الصبيحي باشا، مدينة سلا والماهر في عدة لغات الحسين الزعري ... والأستاذ الكبير الشيخ برادة مدير دار الكتب المصرية، وكذا الأستاذ محمد الخضر التونسي، ثم المصري

---

(١) تكملة البيت هكذا. لا نهملن فضله الضروري، ودون هذا الشرغ، ثم الشابل والكل للاصلاح، قالوا: قابل
Rachad Hamzoui : lAcdémie dc Jangue Arabe du Caire, Tunis ١٩٧٥

عضو المجمع اللغوي الملكي بمصر[١] والأستاذ أحمد ربيع، الكاتب العام لدار العروبة قائم مقام المرحوم الأستاذ أحمد زكي.

وإذا ما تجاوزنا الشيخ الصبيحي الذي ألف كتابه في الثلاثينيات، فسنجد أن الأستاذ الراحل عبد الله كنون كان من بين الذين اشتغلوا بهذا الموضوع الشيق فكتب عنه في مجموعة "التعاشيب" مقالاً تحت عنوان: "العامية المغربية" أكد فيه انطباعات من سبقه من الذين كتبوا حول الموضوع أمثال الزبيدي الأندلسي الإشبيلي سالف الذكر من " أن الكثير من عامية المغرب أقرب إلى اللسان الفصيح، في الحين الذي ابتعدت عامية الأقطار الأخرى عن اللغة بالرغم من قرب تلك الأقطار من موطن العروبة الأصلي وبعد المغرب عنه!

وقد تساءل الأستاذ كنون عن السبب في ذلك، وذكر أن الجواب سهل، وهو يتخلص في أن استقلال المغرب لم يتطاول عليه الحكم التركي، في حين أن هذا الحكم قد شمل سائر البلاد العربية وعمر فيها قرابة ستة قرون فقضى على جميع ماكان فيها للعربية من مجد وسمو، وبقيت ترفع رأسًا إلى زمن الانبعاث في عصر محمد على[٢]،وفي مقال له آخر بعنوان: " عاميتنا والمعجمية" ظهر ضمن مجموعة: " خل وبقل " يؤكد كنون أن هناك من المغاربة من كان لا يتكلم إلا بكلام معرب حتى في الأحوال العادية كالوزير عبد المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٩ هـ) ، وكان أبوعلي اليوسي (ت ١١٠٢ هـ) يقول: لوشئت أن أتكلم إلا بالشعر لفعلت!

وإذا كان كنون اقتصر في مقاله الأول على ذكر بعض الألفاظ العامية، من غير ترتيب هجائي، التي ترجع إلى أصل عربي، فإنه في المقال الثاني قدم لنا لائحة مرتبة على

---

(١) إبراهيم الترزي: التراث المجمعي في خمسين عاماً-القاهرة ١٩٨٤ .

(٢) ينبغي أن نذكّر هنا بلوحة جميلة لمحمد على، توجد بالقلعة، تمثله يستمع لشكاوى بعض المصريين الذين كانوا تحدثون باللغة العربية التي كان محمد على لا يعرفها! لقد جلس إلى جانبه الترجمان ينقل إليه باللسان التركي مايقوله الفلاحون باللغة العربية.!!

الحروف ابتدأها بالبخنق وهو الخرقة التي تقنع بها الجارية،وانتهي بها إلى كلمة الوقيد بمعنى الكبريت.

ونفس الانطباع بأن "العامية المغربية أقرب إلى الفصحى" نجده فيما كتبه عدد من العلماء المغاربة الذين تناولوا موضوع "العامي والفصيح" من أمثال الشيخ المختار السوسي، الذي جمع خمسة آلاف كلمة من أصل عربي، وأمثال الأستاذ محمد الفاسي الذي كتب عن الأمثال المغربية باللغة العربية العامية(٢) ... وأمثال الفقيه محمد داود- رحمه الله- وهو عالم من العلماء الذين برزوا في الكتابة حول الفصحى والعامية.

ومن الدقة في القول وجدنا أن الفقيه داود يقسم اللغة العربية التي يتكلم بها العرب والمستعربون في عصرنا إلى ثلاثة أقسام:

الأول: العربية الفصحى.

الثاني: العربية العامية المثقفة.

الثالث: العربية العامية الدارجة(٣).

ونرى من البر هنا أن نشيد بالجهد العظيم، الذي بذله المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية في سبيل تنويرنا حول الموضوع، بما نشرته مجلته "اللسان العربي" من بحوث جادة مهمة لعدد من علماء المغرب والمشرق، الذي نذكر من بينهم الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله الذي أثرى هذه المواضيع(٢)، كما نرى دينًا

---

(١) مجلة تطوان ٦ سنة ١٩٦١م، وقد عقب عليه الأستاذ أحمد محمد صالح في العدد ٧ سنة ١٩٦٢م الذي أشرف على إخراجه المركز الجامعي للبحث العلمي، هذا ويتحدث الأستاذ محمد ابن تاويت – في الهامش عن أنه يعرف كتاباً ألف بالإنجليزية في ثلاثة أجزاء، جمع فيه ثلاثة آلاف مثل مغربي كلها عربية وتبدو عليها اللهجة الشمالية.

(٢) محمد داود: بين الفصحى والعامية، مجلة اللسان العربي، العدد الثاني رمضان ١٦/١٩٦٥/ ١٣٨٤هـ العامية بين الرباط والقاهرة، دعوة الحق ١٩٨٩م.

عبد العزيز بن عبد الله: نحو تفصيح العامية في الوطن العربي، دراسات مقارنة بين العاميات العربية ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي.

(٣) مجلة اللسان العربي، الرباط ج ٢- ١٩٦٢ (٢) طبع دار المغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦.

علينا أن ننوه بكتاب "معجم المعاجم" الذي تطلب من زميلنا الأستاذ أحمد الشرقاوي إقباله ربع قرن من العمل الجاد، وقد خصص فصلاً منه لمعاجم التصويب اللغوي[١].

وقد صدر للأستاذ محمد الحلوى قبل سنتين كتاب يحمل اسم: "معجم الفصحى في العامية المغربية" ذكر في مقدمته بما قاله أسلافه من أن أبرز ظاهرة تبدو للباحث في اللسان المغربي هي ارتفاع نسبة الفصيح فيه واتفاق مخارجه التي تنم عن أصله وتدلك على عروبته، وتختلف هذه النسبة نفسها بين أجزاء الوطن،ففي الحاضرة تعيش كلمات عربية لا تحيا في البادية، بينما تعيش في البادية كلمات لا مكان لها في الحاضرة، وإلى جانب الفصيح المدرج نجد كلمات مولدة: تركية وفارسية ويونانية تعاملنا معها كما تعاملنا مع العربي ...

وقد سلك الأستاذ الحلوي نهج سلفه الشيخ الصبيحي فمهد لمعجمه الواسع نسبيًا بما سماه: " نحويات لابد منها " ضمنها الضوابط التي يلتزم بها العامي وهو يتكلم ...!

بقى لي أن أعلق بعد هذا العرض عن اهتمام المغاربة بالعامي والفصيح، أعلق بأن جميع المحاولات التي تمت في هذا الصدد – بالرغم من جديتها ومصداقيتها – إلا أنها تظل في نظري ناقصة وتحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب، الذي لا يقتصر على عمل فرد واحد في مكان ما محدود، ولكنه يتجاوز إلى العمل الجماعي الموزع على المدن والقرى والصحارى والجبال التي يحتضنها البلد الواحد لماذا نقول هذا؟ لأننا بحكم التجربة والممارسة اقتنعنا أشد ما يكون الاقتناع بأن الذي يكتب عن المغرب مثلاً لا يمكنه أن يصل إلى الحقيقة المنشودة، إذا كانت اتصالاته لا تتجاوز المدينة، وخاصة إذا كان يبحث في القسم الثالث الذي تحدث عنه الفقيه داود[١] سالف الذكر، ولهذا فإن

---

(١) مطبعة المعارف الجديدة، الرباط ١٩٨٨.

(١) داود: بين الفصحى والعامية... مجلة اللسان للعربي، يناير ١٩٦٥، ثم: معجم اللغة العربية بتطوان، الذي أعتقد أنه ردّ غير مباشر للأستاذ دواد على كتاب للدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، صاحب كتاب "لهجة شمال المغرب، تطوان ما حولها)). القاهرة ١٣٨٨ هـ– ١٩٦٨م.

من المهم أن تتضافر جهود الباحثين في كل موقع لتقوم بعملية جـــرد شـــاملة تخـــضع لترتيب مخطط له سلفًا ... سيما ونحن نعرف أن المصطلح الواحد يختلف من مكان إلى مكان، بل إنه يختلف من استعمال أسرة إلى أسرة ....وهذا نفس الاســـتنتاج الـــذي وصل إليه الأستاذ داود عندما ذكر أن "الدارج فيه لهجات كثيرة تختلـــف بـــاختلاف الأقطار، بل تجد في القطر العربي الواحد عدة لهجات قد تعد بالعشرات" ... ومعـــنى كل هذا أن المفردات التي نقدمها اليوم لمنطقة ما من المناطق العربية، لا يتعدى استعمالها تلك المنطقة الصغيرة والمحدودة!

ويبقى علينا أن نتحلى بالصبر لنتمشى من هذه المعاجم بمرور الزمن معتمـــدين على من يساعدنا هنا وهناك ... وبهذا الصدد أقترح– من الآن– أن يظل هذا الموضوع مفتوحًا في مجمعنا لفترة تمكننا من تجنيد كل الطاقات في مختلف الجهات من أجل تقديم حصيلة أكثر شمولاً وأوفر مادة.

* * *

بين الفصحى والعامية بالمغرب(*)

للدكتور عبد الهادي التازي

(عضو المجمع)

اهتم المغاربة اهتمامًا كبيرًا بالبحث حول أصول الكلمات العامية في اللغة العربية، ولابد لي هنا أن أحيل على البحث الذي خصصته لمجمعنا الموقر في دورته السادسة والخمسين سنة ١٩٩٠م، والذي فصَّلتُ فيه الموضوع عندما قدمتُ أمام المجمع تأليفًا مغربيًّا للشيخ أحمد الصبيحي - رحمه الله - يحمل عنوان: "إرجاع بعض الدارج بالمغرب إلى حظيرة أصله العربي"، ذلك التقديم الذي أرجو أن يضاف إلى أعمال مؤتمر المجمع لهذه الدورة الخامسة والستين.

والآن وبعد مضي تسع سنوات على الموضوع، نلاحظ أن اهتمام المثقفين بالمغرب يتزايد بالموضوع، حيث تطالعنا الصحف من يوم لآخر بالبحث عن هذا التعبير أو ذاك، ومن الطريف في هذا الصدد أن نسجل أنهم جميعًا يشاركون في هذا الحوار، محاولين بكل ما استطاعوا أن يبحثوا عن حضور الدَّارج في المعجمات العربية.

وأذكر هنا للفائدة أن الأستاذ الشاعر المعروف محمد الحلوى أخذ على عاتقه الكتابة حول موضوع الفصحى في العامية المغربية، ومن هنا كان معجمه الذي أصدرتْه عام ١٩٨٨م شركةُ النشر والتوزيع بالدار البيضاء تحت عنوان" معجم الفصحى من العامية المغربية"... ولم يقف الأستاذ الحلوى عند هذا الحد ولكنه عودنا على أن نقرأ له مقالاتٍ متتابعةً على صفحات (العلم) التي توزع على نطاق واسع داخل المغرب وخارجه.

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين، يوم الأربعاء الموافق ١٠ من مارس سنة ١٩٩٩م. ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص ٩٥.

ويتتبع الأستاذ الحلوى بعنايةٍ طائفةً من العبارات والألفاظ الدارجة التي تجري على ألسنة المغاربة.

والمهم في الموضوع أن تعليقاته لا تبقى بدون تعقيب، حيث نشهد عددًا كبيرًا من الأساتذة يتعقبون أقواله تارة بالتزكية والتأييد، وتارة أخرى بالمعلومات التي يضيفونها إلى ما يقوله مستدلين محتجين بهذا الأثر أو ذاك.

ولعلَّ من المفيد أن نعرف أن هذا الموضوع لم يبق مقتصرًا على العامية المغربية، ولكنه تعداه أيضًا إلى العامية المصرية والسورية! لماذا؟ لأن المسلسلاتِ والأفلامَ الشرقية عندما دخلت بيوت المغرب تسربت معها كذلك لهجات القاهرة ودمشق، وأخذ عامتنا بدورهم يستعملون تلك الألفاظ وكأنها من دارجتهم ...!

وهكذا أمسى المغاربة اليوم يهتمون أيضًا بدارج المصريين، ودارج السوريين على نحو ما كان بالأمس من اهتمام أحمد تيمور باشا بلهجة ديار مصر، واهتمام إسكندر معلوف بلهجة الشام.

وقد أشاد الأستاذ الحلوى، وقبله زميلنا الراحل الشيخ عبد الله كنون، بأصالة السليقة العربية عند المغاربة وتمكُّنهم من قواعد اللغة العربية، وأن من المغاربة من كان لا يتكلم إلا بكلام معرَّب حتى في الأحوال العادية[١].

وقد ألقت بعضُ الحالات في العامية المغربية الضوءَ على الموضوع، ومكَّنت من عدة ملاحظات:

أولاً: أن اللسان الدارج الذي كان إفرازًا أفرزته الفصحى لم يُفقد - في أغلب الحالات - الكلمة العربية بِنْيَتَها وطبيعتَها رغم ما تَداولها من ألسن لم تكن العربية لغتها.

ثانيًا: أن توظيف العامة للكلمات واستعمالهم لها لم يكن عفويًّا، ففي كثيرٍ من الحالات نُفاجأ بأمثال وتشبيهاتٍ وصور تنمُّ عن تذوقٍ للمعاني وإحساس بالجمال.

---

(١) معجم الفصحى، ص ٩.

ثالثًا: أن استعمال العامي لم يُبعد الكلمةَ الفصيحة عن مدلولها العربي السليم، كذلك فهو لم يشوِّهْما بما يُبعدها عن جَرْسها وإيقاعها، والتغييرُ الذي يلحقها يكاد ينحصر في تغيير حركاتها أو قلْب بعض حروفها.

رابعًا: أن صدر عاميتنا لم يضق عن احتضان الدخيل الذي استعملته إلى جانب اللفظ العربي للهجتها المحلية وهكذا فإلى جانب " الفصيح المُدَرج " نجد كلماتٍ مولدةً تركية وفارسية ويونانية وأمازيغية كذلك، وتعاملت معها كما تعاملت مع اللغة العربية[1].

ومن المهم أن نذكر هنا أن الأستاذ الحلوى قبل أن يقوم بجرد المفردات والتعابير بلغ إلى ثمانية وعشرين وسبعمئة مفرد ضمَّنها زهاء أربعةً وستين مثلاً زادت في توضيح المقصود، قبل ذلك أتى بما سماه (نحويات لابد منها) حيث أكد أن العامية المغربية كغيرها من اللّهجات فيها ما يمكن اعتباره ضوابط يلتزم بها العامي وهو يتكلم.. وعَى تلك الضوابط من والديه في المترل أو أقرانه في الشارع.

ويذكر الحلوى نماذج من هذه النَّحويات التي نشاطره الرأي فيها، فمثلاً تلتزم العامة الحرف (تا) أو(كا) في كل مضارعٍ يدل على الحاضر، فهم يقولون: فلان تيتعلّم أو كيتعلم... إلخ، ويستعلمون الحرف (أش) كأداة للاستفهام بمعنى: كيف، كقولهم: أش خبرك؟ أش حالك؟ وبمعنى ماذا أيضًا في مثل: أش عملت؟ أش قضيت؟، ويستعملون كلمة (باش) ومعناها بأي شيء؟ في مثل قولنا: باش طبع كتابه؟

ويستعملون كلمة (مناش) بمعنى من أي شيء؟ كقولهم: مناش ربحت؟، ويستعملون (فوقاش) بمعنى متىٰ؟ فوقاش سافر؟، ويستعملون كلمة (ماشي) في محل السّين الداخلة على المضارع مثلا، ماشي نسافر غدًا، أي سأسافر غدًا ويستعملون كلمة (ياك لاباس) بمعنى ماذا حصل؟ ويستعملون كلمة (ناشْ) من كل الأفعال المنفية يختمون بها الفعل: قولهم ما عملْناش، ما شارَ كْناش!

---

(١) المصدر السابق ص ١٢

ومن المفيد أن نعرف أن طريقة المبني للمجهول في الدارجة تختلف عن ما نعرفه في العربية، وهكذا نستعمل للدلالة على المجهول حرفين (أت) بتاء مشددة فنقول في فلان ضُرِب: فلان اتضرَب، وفي قُطِع الثوب: الثوب اتقطّع!

ومن الملاحظ كذلك أنه لا توجد نون للنسوة عندنا في الدراجة، هكذا فإن واو الجمع وحدها هي التي تستعمل للذكور والإناث، فنقول: الرجال خرجوا والنساء خرجوا، كما نستعمل مثل ذلك للمثنى مذكرًا ومؤنثًا، نقول مثلاً: فاطمة وزينب خرجوا!

ولَكَمْ كان زملاؤنا الأساتذة المصريون الذين وردوا على المغرب للتعليم في المعاهد المغربية يلاحظون مخاطبتَنا للمذكر بتاء التأنيث، يسمع أحدُنا وهو يخاطب أخَاه أو ابنه: علاش تأخرتِ؟ علاش تكلمتِ؟

هذا إلى أنّ دارجتنا تبتدئ بالساكن: شْرَب الولد.. خْرَج الأستاذ. ومن المفيد كذلك أن نعرف أن الدارجة بالمغرب لا يوجد بها "همزة " للمتكلم، وأن حرف النون وحده هو الذي يستعمل للجمع وللمتكلم الواحد، فيقال: أنا غَدًّ نْسافر! وتقول حاكيًا لوفدٍ أو جماعة: "حْنا غدًّا نسافرو! .

ولا يكتفى في الدارجة بالنون في الدلالة على الجمع في المضارع لكننا نلحق إلى جانب النون في البداية واو الجمع في الآخر، فنقول:نتعلمُوا، نسافروا، وينكر الاسم المفرد بذكر لفظة(واحد)قبل الاسم المقصود تنكيره، وهكذا نقول.. واحد الرجل!واحد المرأة!

وتقلب العامة هاء الغائب واوًا، وتنقل الضمة إلى ما قبلها، فى مثل: عِوَض قَالَ، نقول: قالْ لُو، وعَمِل له: عمل لُو، ومن كلامهم: الغايب مالو شوار، فالواو عوض الهاء..

وكان مما يلاحظ في هذا الصدد قلب الحروف، وهي ظاهرة متفشية في عاميتنا وهي لا تخضع لضوابط ثابتةٍ، ولكنها وليدة الحس اللغوي الذي تتوفر عليه العامية، وهناك عدة أمثلة لما نقول:

الهمزة مثلاً قد تقلب قافًا عكس ما يحصل عند إخواننا المصريين عندما يقلبون القاف همزة في غير كلمة (القرآن) وكلمة (القاهرة) !

وقلب الجيم دالاً فعوض جاز يقال: داز، وعوض جسارة.. دسَارة، وقلب الدال طاءً، عربد: عربط، وقلب الشين جيمًا: المشحاح، المجحاح.

وقلب الكاف همزة (كما أرسلنا فيكم رسولاً) : (أما أرسلنا فيئم رسولاً) !

وكان من العبارات العامية التي أوردها الحلوى قولنا: وقعت السرقة مثلاً في النهار (كهار)، جعل الحلوى كلمة كهار مأخوذةً من كهر النهار: ارتفع واشتدت حرارته، لكن الأستاذ صالح البكار، وهو سفير تونس في المغرب يرى أن كلمة (كهار) أصلها (جهار) ونحن نعلم قولهم:" كلّ ما يكمكِم يُجمجم أو يقمقم "، ويعلق الحلوى على ما ورد لي في تفسير كلمة السنداس التي جاءت في رحلة ابن بطوطة فيقول: إن السنداس كلمة عامية تعني الثقب والمجرى الذي يكون في بناية المرحاض.

ويأتي بكلماتٍ جديدةٍ نحو (المكفط) بمعنى المشمّر، والمشاوشة لنوعٍ من الصراع يعتمد على الأرجل، والمصاقرة التي تعتمد على السيف والعصا.

وقد كان من جديد ما قرأنا حول موضوع الألوان عند العامة، أنها أي العامة وظّفت الطبيعة بأشكالها في تشخيص الألوان وتحديدها، وقد ظهر حبهم وافتتانهم بها في مظاهر شتى من حياتهم في الاحتفاء بالربيع والمهاداة بالزهور، وغرسِها في البيوت وتكريم الموتى بها في المقابر، ونظمها قلائد تزين بها الأعناق، وأكاليلَ تُتوج بها الرؤوس، فمن السماء وزرقتها جاء اللونُ السماوي وضوء الصباح، ومن الأرض جاء اللون الحجري والرمادي، ومن الزهور جاء اللون الوردي والقرنفُلي واللون القيقلاني،

ومن الفواكه والمشروبات جاء النعت بالخُوخي والبنَاني والقُوقي والقرعـي والخيـاري واللوزي والرماني والفلي والقزبري والخمْري والقهوي و(طاب ما طاب) هذا إلى اللون الزيتي والسمني والليموني والبرقوقي. ومن الطيور أخذوا النعـت بـاللون الكنـاري والحمامي والفاختي، ومن الحيوان اللون الجملي، لأنه يشبه وَبَـر الجمال، ومما يندرج في أخذ النعوت من الطبيعة نعتهم الثوب مثلاً بالخابوري بمعنى الأصفر الفاقع اللـون، وهو في الأصل شجر له نور أصفر.

وقد كنت آثرت في الثمانينيات الحديث عن كلمة تُستعمل بكثرة في المغـرب تنعت بها السيدةُ المنحدرة من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أية سيدة تتميز بخـلالٍ رفيعةٍ نبيلة، هذه الكلمة هي (لالّة) التي قلت عنها في أحد تآليفي[1] اعتمادًا على بعض المصادر التركية[2]: قلت إنها من أصل تركي، لكن الأستاذ السفير صالح البكري سالف الذكر نشر رسالةً مفتوحةً في جريدة (العلم) في عـددها بتـاريخ٢٣ يوليـة ١٩٩٧م يتساءل عن حقيقة الكلمة، واستطرد بإثارة عدد من المواضيع التي استحقت من القراء جملةً من التدخلات والاستفسارات والإضافات المفيدة جدًّا للذين يهتمون بصلة العامية مع الفصحى.

وهكذا قرأنا للزميل الدكتور عباس الصوري تعليقًا مليئًا بالفوائد التي كنـا في حاجة إليها، مثل صلة الكلمة بلغة الولوف السينيغالية.

كما قرأنا للسيد محمد كمال الخمليشي تعليقًا رجع فيـه إلى كتـاب الـشيخ الصبيحي سالف الذكر، وتبعه تعليق لأحدهم بتوقيع الأستاذ ع.ب.

ثم كان تعليق السيد محمد الصبار الذي جعل عنوان كلمته هكذا: " لالّة أصلها: لالا الأمازيغية"، ثم كان تدخل السيد عبد السلام الشفيرة، الذي أثار أيضًا نقاطًـا فى

---

(١) د. التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد الأول ص ٨٣، رقم إيداع قانوني ١٩٨٦/٢٥م.

(٢) محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجيل، بيروت ١٣٧٩هـ = ١٩٧٧م، ص١٠٦.

غاية الأهمية مؤكدًا أن لغتنا العامية لغة البساطة والسهولة والوضوح، فيها ما هو منحرفٌ عن أصله الفصيح، إما بالنقصان أو بالحذف والإضافة أو بالتغيير أو بالنحت أو بالدخيل أو بالولادة، وينقل عن ابن الأعرابي: الأسماء كلها لعلة، خصت العرب ما خصت منها، من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله، فالإنسان سمي إنسانًا لنسيانه، والبهيمة سميت بهيمة؛ لأنها أبهمت عن العقل والتمييز.

وقد ختم هذا الحوار السيد علي العراقي بالميل إلى أن لفظ (لالا) ربما كان دخيلاً على اللغة العامية من أصل تركي.

لقد تعمدت ذكر كلّ هذه الأسماء لأبرز أن الحوار على أشده في الأوساط المغربية عبر الصحافة حول الفصيح " المدرج " أو رجوع الدارج إلى الفصحى، وقد تبع هذا الحوار نقاش جاد وحاد حول كلمة (المبرّز)، وهل أن صوابها بكسر الراء أو فتحها؟ ثم تبع هذا تعليق حول كلمة: خرج إلى التقاعد، أو أحيل على المعاش،أو استراحة المحارب تعريبًا للتعبير الفرنسي (Le repos du guerrier)

وقد كان مما أثار الانتباه حقًا ما ردده الأستاذ صالح البكاري في معلومة له جديدة بعنوان " (كيف: أداة تشبيه فاتت اللغويين) ، ونظرًا لأهمية هذه المعلومة وصلتها بأحد الأعضاء الراحلين في المجمع وهو أخونا محمد عبد السلام هارون محقق البيان والتبيين والحيوان للجاحظ، الذي جرد عشرات الألفاظ العربية مما لم يرد ذكره في المعاجم العربية التي بين أيدينا. أقول: لأهمية تلك المعلومة فإني أورد ملخصها هنا، قال الأستاذ البكاري:

ومن اللهجة التونسية أداة التشبيه (كيف) يقابلها في اللهجة المغربية (بحال) والناظر إلى هاتين الصيغتين يدرك ما بينهما من تقاربٍ في دلالتهما على الكيفية والحالة. وإذا قلت: فلان كيف فلان؛ فإن المعنى أنهما "زي بعض "، كما يقولون في مصر، وهكذا يتبين أن (كيف) الموسومة عند اللغويين بأنها أداة استفهام هي أيضًا أداة تشبيه، ولكن لا أثر لوظيفتها هذه في كتب اللغة والمعاجم.

ويقول الأستاذ البكارى: إن هذا الرأي تعزز عنده بما وجده في شعر دُرَيد بن الصِّمة حين يقول في وصف جري فرسه بصيغة المؤنث:

لها حَضَر كيف الحريقُ، وعقبها

كجسم الخَسِيف بعد معمعة الورد

وهو يشبه الفرس في عدوه بالنار كما قال العسكري في ديوان المعاني. ولا أدري - يقول البكاري - على أي أساس ورد لفظ الحريق بالرفع؛ إذ إنّ أدوات التشبيه كلها تجر بالإضافة، ويضيف الأستاذ البكاري إلى كلمة كيف كلمة (تقول) التي تستعمل في بلاد المغرب على أنها أداة تشبيه، وعلى نحو ما ورد فى ديوان دريد:

تقول هلالٌ خارجٌ من غمامة

إذا جاء يجري في شَلِيل وقَوْنَس

ومن اليسير استبدال كلمة (تقول) بكلمة (كأنه) ، وفي دارجتنا المغربية تعبير: (سُلَيمان تقول أباه يونس) يعني كأنه أبوه! وهكذا احتفظت كلمة (تقول) أيضًا باستعمال وظيفي فات اللغويين.

السادة الزملاء الأعزاء:

ذلك حديثي الموجز عن اهتمام المغاربة بقضية الفصيح والعاميّ ببلادنا. وأرجو أن أنبه - لكي أكون أمينًا في بحثي - إلى أن هناك اهتمامات تجلت فيما كتبه المستشرقون على شكل معاجم أو مقالات تعتمد على الاستقراء والتتبع، وهي لا تخلو من فائدة لمن يهتم بإرجاع العامي إلى الفصيح، علاوة على أن أولئك المستعربين قد يهتمون أيضًا بقضية رجوع اللهجة البربرية أو بعضها إلى الأصول العربية، وهذا أعدكم بتناوله بتفصيل إن شاء الله في مرحلة مقبلة.

* * *

حول معاجم اللغة العامية المغربية(*)

عرض تاريخي

للدكتور محمد بن شريفة

(عضو المجمع المراسل)

مما يلفت النظر ويدعو إلى الانتباه إقبال الباحثين الأجانب على دراسة العاميات العربية، واهتمامهم بتدوين ألفاظها ونصوصها، وليس ذلك الإقبال وهذا الاهتمام مما ظهر في العصر الحديث، فقد وجد منذ عهد بعيد، ولا شك أن لهذه الظاهرة بواعث وأسبابًا وأغراضًا وأهدافًا، ومن أبرزها ما يتصل بالتبشير ويقترن بالاستعمار، وتوجد أمثلة عديدة في هذين الموضوعين أذكر منها فيما يتعلق بعامية الغرب الإسلامي مثال الراهب القطلاني ريموند مرتين، الذي ألف في منتصف القرن السابع الهجري معجما عربيًّا لاتينيًّا وآخر لاتينيًّا عربيًّا حسب العامية الأندلسية.

وكان هذا الراهب قد بلغ في اللغة العربية فصيحها وعاميها مبلغًا كبيرًا، وبلغ به الغرور أنه ادعى القدرة على معارضة القرآن الكريم، ويوجد في أول المعجم المذكور(١) نموذج يدل على سفاهة رأيه وتفاهة عقله، فهذا الراهب قد تعلم العربية ليحاول بها تنصير المسلمين في الأندلس والمغرب، وليحاجج علماءهم ويجادلهم.

وفي كتاب المعيار(٢) نص كامل لمناظرة جرت في مدينة مرسية بين الراهب وبين العالم الأديب المرسي أبي الحسين علي ابن رشيق(٣)، ويفهم منها أن الراهب

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة السادسة من جلسات الدورة الخامسة والستين، يوم الخميس، الموافق ١١ من مارس ١٩٩٩م، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص ١٣٥.

(١) انظر النموذج المذكور في مقدمة الجزء الأول ص XVI وص XVII.

(٢) المعيار ١١: ١٥٥ – ١٥٨ نشر وزارة الأوقاف المغربية.

(٣) ترجمته فى الإحاطة.

المذكوركان عارفًا بمقامات الحريري[١] وله تآليف في المجادلة بين الأديان ظهر فيها اطلاعه على كتب الغزالي وغيره[٢].

ويعد هذا الراهب مع الراهب "رامن لل" من المؤسسين للاستشراق الأوربي[٣]. وأضيف إلى هذا المثال الراهب بدرو دي ألكالا[٤] الذي ألف في نهاية القرن التاسع الهجري(الخامس عشر الميلادي) معجمًا في العامية الأندلسية أيضًا، وهو يمثل لهجة أهل غرناطة وما يتصل بها. أما معجم ريموند مرتين فإنه يمثل لهجة أهل شرق الأندلس.

وقد جاء بعد هذين الراهبين رهبان آخرون دونوا ألفاظ العامية المغربية كما سمعوها في زمنهم، وكان آخرهم الراهب الإسباني J.LERCHUNDI الذي أكمل في مدينة طنجة معجمه الإسباني العربي عام ١٨٩٢م[٥]، وقد مر أزيد من قرن على ما فيه من كلمات واستعمالات كانت شائعة في شمال المغرب.

وأما اهتمام الأجانب بدراسة العاميات العربية لأغراض استعمارية فقد نشأ عندما فكر الأوروبيون في غزو البلاد العربية واستعمارها فأسسوا لذلك مدارس منها في فرنسا على سبيل المثال - مدرسة اللغات الشرقية الحية: École des Langues Orientales Vivantes، وتوسعوا في هذا الشأن بعد تسلطهم على البلدان العربية وتحكمهم فيها فأحدثوا معاهد عليا لدراسة اللهجات العربية العامية واللهجات

---

(١) انظر كلام الراهب المذكورعن المقامات واستشهاده ببيتي الحريري "اللذين أسكتا كل نافث، وأمنا أن يعززا بثالث" في المعيار ١١: ١٥٧.

(٢) تاريخ الفكر الأندلسي تأليف بالنثيا وترجمة حسين مؤنس ٥٤٠- ٥٤٢.

(٣) انظر دراستنا حول الجذور التاريخية للاستعراب الإسباني في كتاب المغرب في الدراسات الاستشراقية. مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ١٩٩٣م.

(٤) انظر فيه مقدمة الجزء الأول من تكملة المعاجم العربية لدوزي:ص X.

(٥) Vocabulario Espanol Arabico : XV.

الأمازيغية لتعليم أطرهم المختلفة، وألفت كتب في قواعد هذه اللهجات ووضعت معاجم في مفرداتها، وكانت تمنح فيها شهادات مختلفة، ومن هذه المعاهد على سبيل المثال أيضًا المعهد الذي أسس بالرباط في عهد الحماية الفرنسية، وسمي "معهد الأبحاث العليا المغربية "Institut des Hautes Études Marocaines، وقد نشر هذا المعهد من بدايته سنة ١٩١٥م إلى نهايته سنة ١٩٥٩م عددًا كبيرًا جدًّا من النصوص في اللهجات العامية العربية واللهجات الأمازيغية على اختلافها.

وقد عني أحد الدارسين في المغرب[١] بوضع فهرس تحليلي باللغة الفرنسية لهذه المنشورات، وهو من المطبوعات الأخيرة لكلية الآداب في الرباط[٢]، ونشرت هذه الكلية أيضًا كتابًا باللغة الفرنسية اشتمل على عناوين الأبحاث والدراسات التي أنجزت في موضوع اللغات واللهجات في المغرب خلال ثلاثين سنة وهذا عنوانه[٣]:

Langue et Société au Maghreb, Bilan et Perspectives

ومن الواضح أن هذا الاهتمام الكبير باللهجات المغربية في عهد الحماية لم يكن بريئًا ولا خالصًا لوجه العلم، وإنما كان نتيجة تخطيط استعماري بعيد المرامي، وهذا ما كشف عنه المستعرب الفرنسي الشهير جورج كولان الذي كانت سلطات الحماية الفرنسية ترجع إليه وتستشيره في المسألة اللغوية بالمغرب، فقد كتب هذا المستعرب في الأربعينيات بحثًا عالج فيه مشكلة اللغة في المغرب واستبعد ما كان يطالب به الشباب المغربي المثقف من نشر الفصحى، واعتبر إحلال الفصحى محل الدارجة أمرًا عسيرًا واقترح - فيما اقترح - حلّين: أحدهما: "تعميم الدارجة التي

---

(١) هو السيد جادة القيم على مكتبة كلية الآداب بالرباط.

(٢) Bibliographic Analytique des Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines ١٩١٥ - ١٩٥٩

(٣) هو من مطبوعات كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٨٩م.

يفهمها الجميع واتخاذها كلغة للثقافة"، والآخر: هو "تعميم اللغة الفرنسية في المغرب وجعلها وسيلة للثقافة وحدها".

وقد أثار هذا البحث ردودًا في الصحافة المغربية والمصرية، ورد عليه الأستاذ المرحوم عبد الله كنون ردًّا جميلاً دافع فيه عن الفصحى وانتقد ما ذهب إليه كولان من أن عامية المغرب هي أبعد عن الفصحى من عامية مصر والشام والعراق، وقرر أنها من أقرب اللهجات إلى الفصحى؛ لكثرة ما تشتمل عليه من التراكيب الصحيحة والكلمات الفصيحة، وساق طائفة من هذه الكلمات، وختم رده بأن بحث كولان المذكور أملته عليه السياسة، وأنه كشف فيه عن نوايا الاستعمار الذي كان يعمل جاهدًا على إضعاف اللغة العربية وإهمالها(١).

ومن المعروف أن الاستعمار الفرنسي فرض اللغة الفرنسية وجعل منها لغة رسمية للتعليم والإدارة، ولم يعد للغة العربية وجود إلا في القضاء الشرعي والتعليم الديني، ثم إنه قرر اللهجة العربية العامية واللهجات الأمازيغية في الإذاعة والمعاهد ذات الأغراض الاستعمارية، ولكن الحركة الوطنية قاومت هذه السياسة، وأنشأت مدارس حرة كانت لغة التعليم فيها هي العربية الفصحى. وقد كان لهذه المدارس وللمعاهد الدينية،كجامعة القرويين وغيرها، أثر عظيم في الحفاظ على الهوية الوطنية واللغة العربية خلال عهد الحماية الفرنسية.

ولما انتهي هذا العهد وقع تغيير الكثير من مظاهره وآثاره، ومنها على سبيل المثال معهد الأبحاث العليا الذي سبقت الإشارة إليه، فقد أنشئت فيه كلية الآداب بالرباط وحلت محله، ووقع إلغاء تعليم اللهجات العربية المغربية الأمازيغية، ولكن الفرنسيين وغيرهم تبنوها في معاهدهم ببلداهم قاصدين بذلك إثارة النعرة وإيقاظ الفتنة.

---

(١) انظر بحث الأستاذ عبد الله كنون في كتابه "التعاشيب" من ص ١١٩ إلى ص ١٣٥.

وأذكر بعد هذا أن الباعث على الاعتراض الذي كان لدى الوطنيين المغاربة على تعليم اللهجات ودراستها، هو الخوف على اللغة العربية الفصحى مما يضارها وينافسها، فإذا انتفى هذا السبب فلا بأس من الالتفات إلى اللهجات والاعتناء بتراثها؛ لأن في هذا إغناء للفصحى وثراء للهوية.

ومن هنا وجدنا الأستاذ المرحوم محمد الفاسي العضو الراحل عن هذا المجمع يخرج بعد الاستقلال أعمالاً متعددة في الأدبيات العامية واللهجات العربية والأمازيغية، كالأمثال العامية، والحكايات الشعبية، والأزجال المغربية التي تعرف بالملحون، وقد توج هذه الأعمال بإخراج معلمة الملحون التي نشرتها أكاديمية المملكة المغربية في عدة أجزاء.

كما أن الأستاذ المرحوم عبد الله كنون العضو الراحل عن هذا المجمع قدم في بعض مؤتمرات هذا المجمع بحثًا عنوانه: عاميتنا والمعجمية، سرد فيه طائفة من ألفاظ العامية المغربية التي توجد - كما ينطقها المغاربة - في المعاجم العربية القديمة، وقد رتبها على حروف الهجاء(١).

وأذكر هنا أني لما التحقت بجامعة القاهرة لتحضير الدكتوراه قصدت المرحوم عبد العزيز الأهواني، الذي عرفته في المغرب؛ إذ كان أول مستشار ثقافي لمصر في المغرب ورغبت إليه أن أحضر بإشرافه موضوعًا في الأدب العربي على عهد الموحدين، وجرى خلال المحادثة ذكر أمثال عوام الأندلس التي نشرها في الكتاب التذكاري المهدى إلى عميد الأدب العربي، فقلت له: إن لدي مخطوطًا يشتمل على مجموعة أقدم وأعظم من التي نشرها، فأشار عليَّ بتسجيلها موضوعًا للدكتوراه، وكانت إشارته حكمًا،وطاعته غنمًا؛ إذ حصلت بفضله وفضل أستاذنا الدكتور شوقي ضيف وأستاذنا المرحوم عبد الحميد يونس على هذه الدرجة العلمية بمرتبة الشرف الأولى مع

---

(١) نشر هذا البحث في كتاب "خل وبقل" من ص٥٩ إلى ص ٨٧.

التوصية بطبع الأطروحة، وقد طبعت بمطبعة محمد الخامس الجامعية في جزأين، وغدت من المصادر الأساسية لدراسة العامية الأندلسية التاريخية والمجتمع الأندلسي القديم، ولما قدم الأخ الزميل الدكتور عباس الجراري بعد زمن يسير من وصولي إلى القاهرة سجل بإشراف أستاذنا الأهواني أيضًا موضوع القصيدة في الشعر الملحون المغربي، وقد حصل بها على الدرجة العلمية نفسها، وطبعت في المغرب كذلك، وأصبحت مرجعًا في بابها.

لقد كان لأستاذنا المرحوم الأهواني ولزميله أستاذنا المرحوم عبد الحميد يونس اعتناء معروف بالآداب الشعبية ودفاع عنها، يقول الأهواني -رحمه الله- في كتابه "الزجل في الأندلس": "لقد كان ابن خلدون جريئًا وكان سابقًا لأبناء عصره حين أعلن أن الشعر ليس مقصورًا على العرب، وأن البلاغة ليست وقفًا على اللغة المعربة، وكان واسع الأفق حين ضمن مقدمته نماذج من الشعر الملحون ودافع عنه، وأحسب أننا في العصر الحاضر لم نعد في حاجة إلى الدفاع عن هذه الفنون التي اتخذت العامية أداة التعبير فيها، ولم نعد في حاجة إلى القول بضرورة معرفتها وإلى تبرير دراستها(١)".

أنتقل بعد هذا المدخل إلى الحديث عن "معاجم العامية المغربية"، فأبدأ بالإشارة إلى أن أقدمها يرقى إلى القرن الرابع، وأعني به كتاب "لحن العامة" الذي ألفه اللغوي الأندلسي الكبير أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ، وهو مطبوع(٢)، وقد جمع فيه الكلمات التي أفسدتها العامة في الأندلس، إما بإحالة لفظها أو بوضعها في غير موضعها، ولكن الزبيدي اقتصر على لحن الخواص، ولم يجتلب ما أفسده الدهماء، ومع ذلك فإنه يعتبر أول من رصد مظاهر التغيير التي حدثت في اللغة العربية

---

(١) الزجل في الأندلس، مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية: هـ، ٩.

(٢) طبع بمصر في سنة ١٩٦٤م بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، ثم طبع بالكويت سنة ١٩٦٨م بتحقيق الدكتور عبد العزيز مطر.

بالأندلس، وقد جاء بعد الزبيدي لغوي مغربي هو أبو عبد الله بن هشام السبتي المتوفى سنة ٥٧٧ هجرية فتوسع في عرض مظاهر اللحن الطارئة على اللغة العربية في المغرب والأندلس وأسمى كتابه "المدخل إلى تقويم اللسان"، وكان أستاذنا المرحوم عبد العزيز الأهواني أول من درس هذا الكتاب ونشر ما ورد فيه من ألفاظ مغربية وأمثال عامية[١] ثم نشر بعد ذلك مرتين[٢]. وما يزال عدد كبير من الألفاظ والأمثال العامية التي دونها ابن هشام السبتي في القرن معروفًا ومستعملاً في العامية المغربية إلى اليوم.

وفي القرن الثامن الهجري عني ثلاثة من أعلام الأندلس والمغرب بموضوع لحن العامة وهم: أبو عبد الله محمد بن هانئ السبتي المتوفى سنة ٧٣٣ هجرية، وأبو عبد الله ابن جزي المتوفى سنة ٧٤١ هجرية، وأبو جعفر أحمد بن خاتمة المتوفى سنة ٧٧٠ هجرية.

ولكن هؤلاء الأعلام لم يضيفوا شيئًا ذا بال وكان جل اهتمامهم منصرفًا إلى ترتيب الألفاظ التي جمعها ابن هشام السبتي مع تهذيبها وتقريبها، وذلك حسبما يظهر من كتاب ابن خاتمة الذي أسماه: "إنشاد الضوال وإرشاد السوال"[٣] ثم جاء مؤلف من أهل القرن التاسع الهجري - فيما يبدو - فاختصر كتاب ابن خاتمة الذي كان هو أيضًا اختصارًا لكتاب ابن هانئ السبتي،وقد نشر المستعرب كولان هذا الاختصار الأخير الذي لا يعرف مؤلفه في مجلة هسبيرس[٤].

---

(١) نشرت الألفاظ المغربية في مجلة معهد المخطوطات العربية في الجزأين الأول والثاني من المجلد الثالث سنة ١٩٥٧م.

(٢) نشر أول مرة مجزءًا بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، ثم نشر مرة ثانية كاملاً بتحقيق المستعرب الإسباني خوسيه بيرس لاثرو.

(٣) يوجد هذا التأليف مخطوطًا ضمن مجموع في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم ١٢٣١٥.

(٤) انظر المجلد ١٣سنة١٩٣١م، وأعاد الأستاذ إبراهيم السامرائي نشره في كتابه "نصوص ودراسات عربية وإفريقية" ووهم في نسبته إلى ابن خاتمة.

وفي أواخر القرن التاسع أو أوائل القرن العاشر للهجرة أُلِّف مجهول كتاباً سماه: الجمانة في إزالة الرطانة"وقد نشره الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب العضو الراحل عن هذا المجمع[١] ويتعلق معظم ما في هذا الكتاب بتحول الصيغ، وهو في جملته إضافة جيدة في الموضوع، ويقدم صورة واضحة لما كانت عليه اللهجة الحضرية التونسية في زمن المؤلف.

إن اعتبار هذه الكتب من قبيل المعاجم لا يخلو من التجوز، وهي في جملتها تنتمي إلى طائفة من كتب التصويب اللغوي التي ظهرت في مشرق العالم العربي ومغربه[٢]، ولعل الرسالة المنسوبة إلى الكسائي في لحن العوام هي أول ما ألف في هذا الباب[٣].

وثمة معاجم أخرى في عامية الغرب الإسلامي هي التي يصدق عليها اسم المعاجم حقيقة،وقد ألفها أجانب مستعربون في عصور مختلفة وهي ثنائية اللغة، وأولها معجم لاتيني عربي عنوانه: - Glossarium Lation Arabicum ومؤلفه مجهول من أهل القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ،و لم أتمكن من الوصول إليه الآن كي أصفه، ويوجد وصف وتحليل لمحتواه العام في مقدمة تكملة المعاجم العربية لدوزي الذي استعمله وقال: إن الحصيلة التي استخرجها منه أقل غنى من سواه[٤].

ويأتي بعد هذا حسب الترتيب التاريخي المعجم الذي ذكرناه فيما سبق، وهو المعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني ريموند مرتين من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري) ، ويتألف هذا المعجم من قسمين كبيرين: القسم الأول عربي - لاتيني، يبدأ بالكلمة العربية ثم المقابل اللاتيني، والقسم الثاني

---

(١) طبع كتاب "الجمانة" في مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٣م.

(٢) انظر إحصاء لها في "معجم المعاجم" لأحمد الشرقاوي إقبال من ص٦٦ إلى ص٨٩.

(٣) طبعت هذه الرسالة بعناية عبد العزيز الميمني.

(٤) تكملة المعاجم ج١ صVlll وصix.

لاتيني - عربي، وفي هذا القسم لا يكتفي بمقابل عربي وإنما يؤتى بمرادفات واشتقاقات وتصاريف وتراكيب في كل مادة، ومن هذا تظهر القيمة الكبيرة لهذا المعجم، ومما يتميز به الشكل التام الذي يعرف به كيفية النطق في كل كلمة.

وليس من غرضي الآن تقديم خلاصة ما عن طبيعة العامية كما تبدو في هذا المعجم، ولكني أشير إلى أن عددًا من مظاهرها يلتقي مع ما في كتب لحن العامة التي سبق ذكرها، كما أن عددًا كبيرًا من ألفاظ هذا المعجم ما تزال موجودة في العامية المغربية إلى اليوم، وسأقتطف مادة واحدة من القسم الثاني من هذا المعجم تدل على طريقته،جاء في شرح كلمة FLALA ما يلي: "لمة لمات - زجاجة زجاجات - دبلة دبل - قطيع قطعان - علالة علالات - سعدية سعديات - طاهرية طاهريات وطواهر - فياشة فياشات - مرشة - مرشات - قارورة قوارير - إبريق أباريق[(١)]".

فهذه كلها أسماء أواني متقاربة ومنها ما هو فصيح كإبريق وأباريق، وقارورة وقوارير، وزجاجة وزجاجات، ومنها ما هو من قبيل الألفاظ الأندلسية المغربية، مثل كلمة القطيع، وقد شرحها ابن سعيد في المغرب بأنها قنينة طويلة العنق، ومثلها العلالة التي فسرها ابن هشام اللخمي بأنها نوع من الزجاج طويل العنق، والكلمتان واردتان في الأشعار والأزجال الأندلسية والمغربية، ولكن العلالة ترد عند ابن قزمان بلفظ العلال، وما تزال مسموعة هكذا، وكلمة مرشة تطلق على قارورة تملأ بماء الزهر يرش به الضيوف ولا يخلو منها أي بيت مغربي، وكلمات لمة وذبلة وفياشة كلها أسماء أوان من الزجاج، ولكنها لم تعد مسموعة في الدارجة المغربية اليوم، وأما طاهرية وطاهريات وسعدية وسعديات فإنها حسب اجتهادنا أسماء أنواع من الأواني الزجاجية استعملت بمدينة مرسية في عهد بني طاهر وبني سعد ابن مردنيش[(٢)].

---

(١) انظر ص ٣٨٨ من القسم الثاني من المعجم المذكور.

(٢) لعل دوزي وهم حين قرأ كلمتي طاهرية وطاهريات بالظاء المشالة ونسبها إلى السلطان الظاهر بيبرس كما نسب السعديات إلى من اسمه الشيخ سعد الدين راجع مادة طاهرية في معجم دوزي.

إن هذا المعجم يشتمل على ثروة هائلة من الألفاظ الأندلسية والمغربية التي كانت مستعملة في العصر الوسيط بالغرب الإسلامي، وما يزال كثير منها مسموعًا في بلدان المغرب الكبير، ومنها -على سبيل المثال- الكلمات التالية:

البراح (أي المنادي) ص ٥٣٢، الرقاص (من يمشي بالبريد) ص ٣٢٨، السباط (النعل) ص ٣٨٥، الزفاط (الكذاب) ص ٢٥٣، البسالة (الفضول) ص ٣٢٨، الدبيلة (الهم) ص ٢٤٥، الحواس (السارق وقاطع الطريق) ص ٥٣٢، السماط (الزقاق) ص٢٧٦، الزرع (القمح) ص ٢٧١، الخدية (المخدة) ص٢٦٣، الخوخة (باب صغير) ص ٥٢٥، القندورة (الدراعة) ص ٢٧٧، القرينة (الكابوس) ص٢٧٢، الطروس (الكلب) ص ٢٧٩، الخطارة (نوع من السواقي) ص٢٩١، الفحص (البيداء) ص٢٧٧، أم الحسن (العندليب) ص٥٢٢، الطيفور (نوع من الصحون) ص٤٧٤، المرجع (مسلحة في الحقل) ص٢٣٥، البندير (الدف) ص٦١٠، المخفية (نوع من الصحون)، الحضار (الكتاب) ص٢٧٢، القنوط (القصبة والكلخة) ص٢٥٤، شرابي (صيدلاني) ص٢٤٧، الشرجب (النافذة) ص١٥٠، القبلة (الجنوب)، الجوف (الشمال) ص٢٠٠، الطياب (الصحو) ٥٧٧.

وقد قدر الله أن تذهب العين ويبقى الأثر، فقد فجع شرق الأندلس بذهاب العربية وأهلها من هذه الجهة الواسعة، وبقي الكلام الذي كانوا يتخاطبون به مجموعًا في هذا المعجم الذي عني بنشره المستعرب الإيطالي سكيا باريللي SCHIA PARELLI وطبع في روما عام ١٨٧١م.

وثمة معجم ثالث يأتي بعد المعجم المذكور من حيث الترتيب التاريخي، ولا يقل عنه قيمة وأهمية، وهو معجم الراهب الإسباني بدرو دي ألكالا الذي نشر في غرناطة عام ١٥٠٥م، وهو كسابقه أُلّف بقصد الاستعانة به على تنصير المسلمين الذين بقوا تحت الذمة، وقد قام العضو الزميل فيديريكو كورينتي بإعادة ترتيب هذا

المعجم على أساس جذور الكلمات مع تعليقات وتدقيقات المتخصص المتمكن[١]، ومن أبرز المظاهر اللغوية في هذا المعجم الذي كتبت فيه الكلمات العربية بحروف لاتينية مظهر الإمالة التي عرفت بها اللهجة الغرناطية، كما ذكر ذلك ابن الخطيب[٢] وغيره، فهم يقولون: بيب وميل ونيس في باب ومال وناس، وقد سخر الشاعر المغربي عبد العزيز الملزوزي لما زار الجزيرة الخضراء مع السلطان المريني، وسمع إمامًا فيها يصلي بالناس، وهو يقرأ سورة "قل أعوذ برب الناس" بإمالة أهل البلد الشديدة، فقال من شعر له:

* قد بدل الوسواس بالوسويس *

*وكذلك الخناس بالخنيس[٣] *

وأشير بعد هذا إلى عمل يتصل بمعجم "ألكالا" قام به راهب طليطلي اسمه: PATRICIO DE LATORE فقد قام هذا الراهب - الذي عاش في المغرب وسكن طنجة - بإعادة النظر في معجم ألكالا فقد كتب ألفاظه بالحروف اللاتينية، وأضاف كلمات ومعاني جديدة ووضع له العنوان العربي التالي:

"سراج في اللغة العجمية، المنقولة من اللغة الإسبانيولية إلى العربية". وتحت هذا ما يلي:

VOCABULISTA CASTELLANO ARABICO

وقد طبع هذا المعجم في المطبعة الملكية بمدريد سنه ١٨٠٥م[١]. إن هذا الراهب الطليطلي يعتبر استمرارًا للمذكورين قبله في الحرص على تعلم اللغة العربية

---

(١) عنوانه: Elléxico Arabc Andalusi

.. Segun P. dc Alcala Madrid ١٩٨٨

(٢) انظر "الإحاطة" لابن الخطيب ج١ ص١٣٤.

(٣) من مقامة نشرناها في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بالرباط سنة ١٩٧٧م.

عامة، واللغة العامية المغربية خاصة لغرض التبشير كما قلنا سابقًا، ويمتاز عمل هـــذا الراهب بأنه يفيد في تصور التطور الذي وقع في العامية في وقته كما أنه سجل عددا من الأمثال المسموعة يومئذ كقولهم:

"ما هو العيب على من حرث في السطح العيب على من خمس عليه".

ومما يلحق بهذه المعاجم المعجم الذي ألفه المستعرب الإسباني وعنوانه:

Francisco Javier Simonet D. Glosario de Voces Ibericas y Latinas Usadas Entre Ios Moz Arabes.

وقد جمع فيه الألفاظ التي كان يستعملها المستعربون، وهم النصارى الــذين عاشوا في ظل دولة الإسلام في الأندلس، وكانوا يتكلمون ويتعاملون بلغة عربية فيها آثار رومانثية، وقد طبع هذا المعجم الذي يقع في جزأين بمدريد سنة ١٨٨٨م. وكان هو والمعاجم التي ذكرها قبله من مصادر المستعرب الهولندي دوزي في معجمه المفيد الذي أسماه " تكملة المعاجم العربية " وشهرته تغنينا عن الحديث عنه. وسنختم هذه السلسلة من معاجم اللهجات المغربية بمعجم يمثل اللهجة الدارجة بمدينة طنجة وشمال المغرب في سنة ١٨٩٢م. ونعني به معجم الراهب J.LERCHONDI وعنوانه:

Vocabulario Espanol Arabico، وقد طبع هذا القاموس عدة مرات وكان مرجعًا للإسبان العاملين في مصالح الحماية الإسبانية بشمال المغرب، وكذلك لدى أعــضاء البعثة الكاثوليكية الإسبانية، التي كان مقرها في مدينة طنجة، ويبدو أن إقامة ســفراء الدول الأجنبية وقناصلها في هذه المدينة كان مما دعا إلى تدوين اللهجة العامية فيهــا من أجل التفاهم بها مع الأهالي، وقد ذكر وليام مرسيه W.MARCAIS في مقدمــة كتابه Textes Arabes de Tanger أن نصوصًا من لهجة طنجة جمعها عــدد مــن

---

(١) انظر كتاب Braulio Justel Calabozo حول هذا الراهب الطليطلي، وهو من مطبوعات دير الأسكوريال سنة ١٩٩١م.

مستعربين أجانب، وقد اشتمل كتابه المذكور على نصوص متنوعة من هذه اللهجة، شفعها بمعجم شرح فيه الألفاظ الواردة فيها، ورتبها على الحروف الهجائية، وهي على درجة عالية من المعرفة اللغوية والتوثيق الواسع والإحالات الغنية، ولا عجب في هذا فقد كان الرجل من شيوخ الاستعراب في فرنسا، وقد تتلمذ على يديه عدد من المستعربين الفرنسيين في مدرسة اللغات الشرقية الحية، ومن أبرزهم "كولان" الذي حقق ونشر نصوصًا عربية وعامية مختلفة، وكتب أبحاثًا متنوعة في اللهجات، وترك معجمًا شاملاً في العامية ظهر بعد وفاته في طبعتين: إحداهما بإشراف السيد زكية العراقي، من معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، والأخرى قام بها "ألفريد دوبريمار، الأستاذ بجامعة إيكس.

وبعدُ، فهذا عرض عام لمعاجم العامية المغربية التي وضعت قديمًا وحديثًا، وقد سردتها سردًا تاريخيًّا، مكتفيًا بما له قيمة لغوية وعلمية واضحة، وكنت أنوي أن أشفع هذا السرد المعجمي بسرد آخر لنصوص العامية المغربية المنشورة من أزجال وأمثال وحكايات، وما أُلّف من قواعد وضوابط في مختلف اللهجات المغربية، ولكن وحدة الموضوع جعلتني أكتفي بما ذكرت، وقد سبق لي أن أنجزت بعض الدراسات في أمثال العامية المغربية وأزجالها(١).

وأود أن أشير إلى قيمة هذه النصوص وتلك المعاجم في دراسة مظاهر التطور اللغوي في البلاد العربية عبر العصور، وهو التطور الذي تحدث عنه ابن خلدون في المقدمة(٢)، وقام باحثون غربيون وعرب بدراسته، وكان منهم الألماني يوهان فك

---

(١) أمثال العوام في الأندلس – القسم الأول من ص ٢٧٣ إلى ص ٣٠٠ مطبعة جامعة محمد الخامس ١٩٧٥م وملعبة الكفيف الزرهوني من ص ٤١ إلى ص ٥٠ والعامية الأندلسية المغربية بين أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني.فصلة من أعمال الملتقى الدولي حول التداخل اللغوي بين اللغة العربية واللغات الرومانثية في شبه الجزيرة الإيبيرية سرقسطة سنة ١٩٩٤م.

(٢) المقدمة (فصل في أن لغة أهل الحضر والأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة للغة مضر) .

الذي قدم عملاً جيدًا في هذا الباب، وقد أعجبتني العبارات التي ختم بها كتابه وهي قوله: "إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيًّا لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية وما عداها من الأقاليم الداخلـــة في المحيط الإسلامي رمزًا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية".

ولقد برهن جبروت التراث العربـــي التالد الخالد على أنه أقوى مـــن كـــل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر.

وإذا صدقت البوادر و لم تخطئ الدلائل فستحتفظ بهـــذا المقام العتيد من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنيـــة إسلامية"[١].

إيضـــــــاح

مرفق بهذا البحث تتمّة له تقع في ثلاثة أجزاء:

(أ) أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيي الزجالي (ق٧) وفوائدها اللغوية.

(ب) ملعبة الكفيف الزرهوني (ق٨) وقيمتها اللغوية.

(جـــ) العامية الأندلسية والمغربية في أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني.

* * *

---

(١) العربية — دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: ٢٣٤.

أ- أمثال العوام في الأندلس لأبي يحيى الزجالي (ق٧) وفوائدها اللغوية(*)

للدكتور/ محمد بنشريفة

- من المعروف أن للأمثال العامية الأندلسية وغيرها فوائد تاريخية واجتماعية وأدبية، ولهذه الأمثال أيضا قيمة لغوية لا تقل أهمية عن قيمتها من النواحي التاريخية والاجتماعية والأدبية، وهي بلا شك تضيف مادة جديدة إلى ما هو معروف حتى الآن من نصوص، ووثائق العامية في الأندلسية كأزجال ابن قزمان وغيرها من النصوص العامية، وكتلك السلسلة من المؤلفات الأندلسية في لحن العامة التي بدأها أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩) وتبعه ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧) وابن هانئ السبتي الإشبيلي (ت ٧٣٣) وابن جزي الغرناطي (ت٧٤١) وابن خاتمة (ت٧٧٠)، وتلك المعجمات الثلاثة التي أُلِّفَتْ في إسبانيا خلال القرون الوسطي وحوت كثيرا من مفردات العامية الأندلسية، مثل المعجم اللاتيني العربي:

Glossarium lation – arabicum الذي ألفه مجهول في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، والمعجم الذي ينسب إلى الراهب القطلاني "رمند مرتين"[1] من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) وعنوانه:Vocabulista in arabico والمعجم الذي ألفه الراهب "فراى بدور ألكالا" نحو سنة ١٥٠٥م بعنوان: Vocabulista arauigo.

وربما كانت الأمثال كالأزجال من أكثر هذه الوثائق قيمة في معرفة طبيعة العامية الأندلسية، وخصوصاً من حيث البناء والتركيب ومجال الاستعمال بوجه

(*) نشر بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص ١٥١.(لارتباط هذا البحث بالبحث السابق، لم أشأ أن أضعه ضمن بحوث الأمثال التي سترد لاحقًا في هذا الكتاب، ولكاتبه بحث آخر عن كلمة ظهير في الأندلس والمغرب ألقي في الجلسة التاسعة لمؤتمر الدورة ٦٤ ، ونشر بمجلة المجمع، ج ٨٨ ص١).

(١) انظر فيما كتب في "رمند مرتين" والقاموس المنسوب إليه ومؤلفاته الأخرى كتاب تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا (ترجمة د. مؤنس) من ص ٥٤٠ إلى ص ٥٤٢ والمصادر التي حال عليها ، وفي مجلة الأندلس مقالات حول معجمه المذكور.

عام، ذلك أن كتب لحن العامة والمعاجم المذكورة لا تعنى إلا بالألفاظ والمفردات ودلالاتها وتطوراتها، وقد اهتم جماعة من الباحثين بدراسة الناحية الصوتية في العامية الأندلسية مثل سيمونيت وشتايجر، وعكف الأستاذ كولان منذ زمن بعيد على استخراج قواعد عامة لها، ولعل هذه الأمثال تقدم مادة جديدة للمشتغلين بدراسة العامية الأندلسية.

وقد نشأت هذه العامية الأندلسية في ظروف تاريخية لا نكاد نعرف من أمرها شيئًا ذا بال مثلها في ذلك مثل سائر اللهجات العربية، وهي على كل حال ثمرة انتشار العربية في بيئات جديدة متعددة العناصر واللغات، ونتيجة اختلاط العرب الفاتحين بغيرهم من العجم والبربر، ومظهر لما يطرأ على العربية عادة من التبديل والتغيير حين يتكلم بها غير أهلها، وقد وصف ابن حزم بعض هذا الذي ظل يحدث في عامية الأندلس حتى عصره، فقال: " ونحن نجد العامة- يقصد عامة الأندلس - قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق، فنجدهم يقولون في العنب: العينب، وفي السوط: اسطوط، وفي ثلاثة دنانير: ثلثدا، وإذا تعرب البربري، فأراد أن يقول: الشجرة، قال: السجرة، وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء، فيقول: مهمدًا، إذا أراد أن يقول محمدًا[(١)]" ويشير إلى اختلاف عامية الأندلس بين بلد وآخر فيقول: "ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول: إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة،وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على من تأمله[(٢)] ونجد عند ابن شُهيد - معاصر ابن حزم - إشارة عامة ولكنها لا تخلو من دلالة حيث يقول في رسالة التوابع والزوابع - متحدثا

(١) الأحكام في أصول الأحكام :٢٣١.

(٢) المصدر نفسه: ١ : ٣١.

عن كلام معاصريه من الكُتَّاب فيما بينهم – بأنه: " ليس لسيبويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق ولا للبيان عليه سمة، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط[1] ".

وقبل ابن حزم وابن شُهيد ألف الزبيدي كتابه "لحن العوام" وأشار فيه إلى بعض مظاهر العامية في عصره كما سنذكر شيئًا من ذلك فيما بعد، وأشار المقدسي في القرن الرابع إلى لغة أهل الأندلس فقال: "ولغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم، ولهم لسان آخر يقارب الرومي"[2].

فالمقدسي يقرر هنا صعوبة العامية الأندلسية على فهم المشارقة، ومخالفتها لعامية المشرق كما قرر مسألة أخرى هي الازدواج اللغوي الذي سنشير إليه بعد قليل.

ويبدو أن ظهور الموشحات والأزجال كان مؤذنًا بأن العامية الأندلسية بلغت ذروة التكوين والاستقرار، وأصبحت لهجة أدبية تنافس الفصحى، فإذا وصلنا إلى القرن السابع الهجرى وجدنا ابن سعيد يصف لغة أهل الأندلس في عصره، فيقول: "مع أن كلام أهل الأندلس الشائع في الخواص والعوام كثير الانحراف عما تقتضيه أوضاع العربية، حتى لو أن شخصًا من العرب سمع كلام الشلوبيني أبي علي المشار إليه بعلم النحو في عصرنا الذي غربت تصانيفه وشرَّقت وهو يقرئ درسه لضحك بملء فيه من شدة التحريف الذي في لسانه، والخاص منهم إذا تكلم بالإعراب استثقلوه واستبردوه، ولكن ذلك مراعى عندهم في القراءات والرسائل[3] " وهذا يصور بُعْد ما بين لغة الكلام والتدريس ولغة الكتابة والإنشاء.

---

(١) التوابع والزوابع : ١١٧ .

(٢) أحسن التقاسيم : ٢٤٣ ط. دى خويه.

(٣) نفح الطيب: ١ : ٢٠٦.

وأخيرًا نجد ابن خلدون يقرر في مقدمته أن لغة أهل الأندلس لغة قائمة بنفسها، مباينة - بعض الشيء - للغة أهل المشرق وللغة أهل المغرب أيضا، وأنها متأثرة بعجمة الجلالقة" [١].

وقد اشتركت في تكوين العامية الأندلسية عوامل عديدة، نذكر منها ما يلي:

١-لهجات القبائل العربية الداخلة إلى الأندلس من قيسية ويمنية، وقد عني كل من ابن حزم في "الجمهرة" وابن غالب في "فرحة الأنفس" بتبيين المواقع التي استقرت بها الجماعات العربية الداخلة إلى الأندلس[٢]،وهي ممثلة لمعظم قبائل جزيرة العرب، ولا شك أن ذلك كان له أثر في تكوين العامية الأندلسية، ومن الواضح أن بعض الألفاظ والظواهر اللغوية في هذه العامية كالإمالة ترجع إلى لهجات عربية معينة، وثمة من المفردات التي شاع استعمالها في الأندلس ما نستطيع أن ننسبه إلى عرب الشام الداخلين إلى الأندلس، مثل كلمتي: أندر[٣] وإصطبل[٤]، والإمالة التي كانت غالبة على لسان أهل الأندلس قد تكون من تأثير القبائل التي تميل كتميم وقيس وأسد[٥]، وهي قبائل كانت تكوّن الجمهرة الغالبة في بعض جهات الأندلس.

ومن الكلمات الشائعة الاستعمال في الأندلس كلمة "القطاع" أي النقود، إذ نجدها كثيرًا في أمثال الأندلسيين وأزجالهم وعقودهم، بل إننا نجدها في شعرهم الفصيح، كقول ابن مسعود القرطبي:

---

(١) المقدمة : ٥٥٥ (المطبعة الأميرية).

(٢) انظر نفح الطيب ١: ٢٧٢ – ٢٧٤، والثبت الذي استخرجه الدكتور إحسان عباس من"الجمهرة" في كتابه "تاريخ الأدب الأندلسي": ١: ١٢-١٣.

(٣) انظر المثل رقم ٢٠٠ في النص.

(٤) لحن العوام للزبيدي :١٣٣.

(٥) الفصل الخامس من كتاب "في الدراسات القرآنية واللغوية-الإمالة في القراءات واللهجات العربية" للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.

فقُلتُ وأيْنَ النقدُ يا ابنةَ عزة

لقد جئتِها بلقاء منتنة نتّنًا فقالت: أديبٌ شاعرٌ متفننٌ حَوى من حُظُوظ الظرف في زعمه الأسنى بِلاَ قِطْعَة، هذي لعمْرُك هُجْنة فسرْ راشدا عنَّا فمالَك من مَعْنى(١).

وهذه الكلمة من لغة هذيل فيما يقول شارح القاموس[٢]، ونعرف مما ذكره ابن غالب أن قبيلة هذيل كانت بالأندلس، ومنازلهم بجهة أريولة من كورة تدمير[٣]، فهل تكون الكلمة شاعت في الأندلس بواسطتهم؟ وقليلاً ما نصادف هذه الكلمة في استعمال المشارقة، كقول شاعر عباسي:

كل حسْنٍ مفرّقٍ هو فِيهِ قد اجتمَعْ   قطَعَ الوصْلَ بينَنا إنَّهُ يبتغي القِطَعْ[٤]

ومما نحسب أنه من تأثير اللهجات العربية القديمة واستمرارها في العامية الأندلسية: كسر أول حروف المضارعة، وهو مطرد في المضارع من صيغة " فعَّل " مثل:

نِصَوَّب، تِصوَّب، يِصَوَّب ... إلخ.

وكذلك فِي صيغة " فَاعَلَ " مثل:

نِعَامَلْ، تِعَامَلْ، يِعَاملْ ... إلخ.

وقد يكون ثمة تأثير لعرب الجنوب وغيرهم في عامية الأندلس، وَلَعَلَّ مِن مَظَاهِره: إلحاق التاء بآخر ضمائر الغيبة: هوت = هو، هيت = هي، همت = هم، وقد جاء هذا في بعض الأمثال: مَنَاقِر اللَّحْم مُعَوَّجُ هِيَتُ (ابن عاصم ٧٦١).

---

(١) الذخيرة ١/ ٢ : ٧٨-٧٩.

(٢) انظر المثل رام ٢٣٧ في النص.

(٣) نفح الطيب ١: ٢٧٢.

(٤) حكاية أبي القاسم :١٣٣.

٢- ومنها العجمية el romance أو الإسبانية القديمة، ذلك أن سكان الأندلس عمومًا كانوا يعرفونها، ولدينا هنا شواهد عديدة في هذا الموضوع، ولعل أشهرها قول ابن حزم: " ودار بلي بالأندلس: الموضع المعروف باسمهم بشمالي قرطبة، وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم، لا يحسنون الكلام باللطينية، لكن بالعربية فقط، نساؤهم ورجالهم[1].

ومفهوم هذا أن القبائل العربية الأخرى كانت تحسن – إلى جانب العربية – الكلام بالعجمية، وفي قضاة قرطبة للخشني (ت٣٦١) نرى بعض القضاة والشهود والخصوم يتكلمون بها، فقد ذكر فى ترجمة القاضي سليمان بن أسود" أنه كان في وقته رجل من العدول يعرف بابن عمار كان يختلف إلى مجلس القاضي ويلزمه، ولا يقوم إلا بقيامه، وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد، قد أضناها الجهد، وغيّرها الجوع، فتقدمت امرأة إلى القاضي، فقالت له بالعجمية: ياقاضي انظر لشقيتك هذه، فقال لها بالعجمية: لست أنت شقيتي، إنما شقيتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار[2]. كما ورد في وصف أحد الشهود ما يلي: " وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى: ينير، وكان مقدمًا عند القضاة مقبول الشهادة مشهورًا في العامة بالخير وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء، وسألوه عن القاضي، فقال بالعجمية: ما أعرفه إلا أني سمعت الناس يقولون: إنه إنسان سوء، وصغره باللفظ العجمي[3]" وفي ترجمة الفقيه ابن العطار في المدارك نراه يحاور زوجة وكيله بضيعته بالعجمية، وكان مما قالت

(١) هكذا الضبط في النسخة م من "ري الأوام" فى المعاجم الأندلسية ، وكسر أول حروف المضارعة أو "التلتلة " فيه كلام كثير يراجع في محله من كتب اللغة.

(٢) قضاة قرطبة : ١١٧-١١٨.

(٣) المصدر نفسه : ٨٤.

بكلامها العجمي: سواد بيت تمضي إليه! فقال لها بمثل كلامها:" بل سواد بيت خرجتُ منه"(١).

ويرى الدكتور عبد العزيز الأهواني أن "وجود الخرجات الأعجمية في مخطوطات الموشحات الأندلسية دون شرح لمعاني ألفاظها دليل على أن هذه اللغة الأعجمية كانت معروفة لدى قراء الموشحات(٢) " وقد ظل الإلمام بعجمية الأندلس ظاهرة ملموسة إلى وقت متأخر لدى المؤلفين الأندلسيين؛ إذ نرى ابن الآبار على سبيل المثال يشرح – في مناسبات عديدة – أسماء الأعلام والأماكن الأعجمية.

وألفاظ عجمية الأندلس في كتب النبات أكثر منها في غيرها كما يبدو ذلك في كتاب "المفردات" لابن البيطار وكتاب "شرح أسماء العقار" وغيرهما. ويقول ابن البيطار في مقدمة المفردات:" وقد ذكرت كثيرًا منها كما يعرف في الأماكن التي تنسب إليها الأدوية المسطورة كالألفاظ البربرية واللاطينية-وهي عجمية الأندلس –؛ إذ كانت مشهورة عندنا وجارية في معظم كتبنا ".

أثرت عجمية الأندلس هذه في العامية العربية من وجوه مختلفة أحدها دخول كثير من مفرداتها في قاموس الاستعمال العامي، وقد أورد ابن هشام اللخمي طائفة من الألفاظ العجمية التي كانت جارية على لسان العامة بالأندلس في عصره، ومنها: أسباطه للخيزرانة التي يمسكها الملاح، ويجول لطرف التين، وبلنتة لما بكر من الشعير فطحن، والجيقة للضباب، وحبور لشقائق النعمان، والذنتيلة للطعام الذى يصنع عند نبات الأسنان للأطفال، والمرندة لما يتعجله الإنسان من الطعام قبل الغذاء(٣).

---

(١) الزجل في الأندلس : ٤٧.

(٢) المدارك٣-٤ : ٤٣٩(ط. بيروت).

(٣) انظر هذه الكلمات وما يقابلها في الإسبانية في ألفاظ مغربية: ١٤٦،١٤٢، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ٢٨٦، ٣١٣ على الترتيب.

ومن هذه المفردات العجمية الواردة في الأمثال: السبلين(ص٦) والرمشكل (ص٦) والمرجقال (ص١٨) والمول (ص٥٨) والقلبق (ص٩١) والبرغات (ص١١٤) وبردقون (ص١٤٠) وشنوغ (ص ١٤٤) وبرطال (ص٢٨) والبالـه (ص٢٨٧) والطمون(ص١٧٣) ودوش (ص٢١٤) وجره (ص٢٥٦) وقول(ص٣٢٤) والششون (ص٣٦٢) والليطرات (ص٣٦٤) والبلب (ص٣٢) وبشة (ص١٥٣) وغيرها.

ومن وجوه هذا التأثير تلك المقاطع والنهايات التي تضاف إلى الكلمات العربية مثل: مقطع un في آخر الاسم للدلالة على التكبير كخلدون وزيدون، وهو شائع في أسمائهم.

ولعل المؤرخ الرازي أقدم من أشار إلى هذا في نص نقله عنه الونشريسي في المعيار إذ يقول- في أثناء حديث عن ابن حفصون -: " فولد عمر بن جعفر حفصًا المعروف بحفصون – أريد به الكبير[1] " ومقطع – ero كقولهم: زلير (ص ٣١٨ في النص) فهي كلمة مركبة من الفعل العربي، زل والنهاية الإسبانية: ero ومقطع era كقولهم: خرجير (مثل ابن عاصم رقم ٢٤٤) وهي مركبة من الفعل العربي: خرج والنهاية الإسبانية: era ومقطع ote في مثل قولهم: منخروط (ص ٢٨٤) فهي مركبة من الاسم العربي منخر، والنهاية الإسبانية: ote، ومقطع elفي الاسم المذكر مثل ابن غفريل، فغفريل مركبة من غفر العربية والنهاية الإسبانية: el ومقطع ela في الاسم المؤنث مثل: شربالة للقدح (ألفاظ مغربية: ٢٩٤و Vocص ٦٣٨) فهي مركبة من المادة العربية شرب والنهاية الإسبانية:ela- ومثل حرالة أي حارة (Voc ص ٥١١) فهي مركبة من حارة والنهاية الإسبانية: -aelo ومقطع ello – المذكر

---

(١) المعيار : ٨١/١٥، ويبدو أن هذا النص غاب عن علم الأستاذ الجليل السيد عبد الله كنون، الذي ذهب – في مقالة له بعنوان :" هل اسم خلدون ونحوه مكبر على الطريقة الإسبانية، إلاّ أن دوزى هو أول من رأى هذا الرأي. (مجلة البحث العلمي ع ٣ ، س، ١).

ومقطع ella - للمؤنث في حالة التصغير. ولدينا بخصوص هذين المقطعين الأخيرين نص نقله ابن عبد الملك المراكشي عن النحوي المالقي ابن المرحل؛ إذ يقول في ترجمة ابن حوط الله: "وذكر لي شيخنا أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المالقي أن أصله حوطله، قال لي: وهو تصغير حوت مؤنث على عرف أهل ثغور شرق الأندلس وما صاقبها من البلاد كبلنسية وأنظارها التي منها أندة موضع سلف بني حوط الله، وتدريج ذلك أنهم يقولون للحوت والعود ونحوهما:الحَوت والعَود بفتح الحاء والعين،وينطقون بالتاء المعلوة طاء فيقولون في الحوت: الحوط ... ويلحقون الأسماء المصغرة في آخرها لامًا مشددة مضمومة في المذكر، ومفتوحة في المؤنث وهاءً ساكنة، فيقولون في حوت مذكرًا: حوطله،وفي حوت مؤنثًا: حوطله[1] "وهذا الشرح الذي نقله ابن عبد الملك عن ابن المرحل المالقي السبتي يدل على إلمام هذا النحوي العربي المشهور بقواعد النحو الإسباني القديم.

كما أن الألفاظ العربية نفسها اكتسبت في الاستعمال العامي معاني جديدة لم تكن لها في أصل الوضع، وظهرت مصطلحات خاصة وكنايات جديدة، فهم على سبيل المثال يقولون: فُلانة في قَميصها: للحائض.

نَمْشِي لجَولة: كناية عن قضاء الحاجة.

قَصير الرَّقَبة: للكافر بالنعمة.

جَبَّاد رَسن: كناية عن القواد.

مِنْ بَاب لبَابْ: كناية عن السائل.

طَالبْ عافية: كناية عن المسالم.

نعَدَّلْ اجْنَاب: كناية عن الضرب والتأديب.

مِنْ عَرض الفَحْص: أي بلا سبب[2]

---

(١) الذيل والتكملة١: ٣٥ (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط) ، وبغية الوعاة :٢: ٤٤ نقلاً عنه.

(٢) انظر Voc على الترتيب :٥٨١، ٥١٧، ٥٠٦، ٤٥٤، ٤٣١، ٤٧٧، ٤٧٤.

ونحن نجد كثيرًا من هذه الكنايات والاستعمالات الخاصة بهم في الأمثال وغيرها[١].

٣- البربرية، ومن الطبيعي أن يكون لها تأثير ما في العامية الأندلسية؛ لأن البربر كانوا يؤلفون قسمًا كبيرًا من سكان الأندلس، وكان تأثيرهم فيها من حيث النطق كما أشار إلى ذلك ابن حزم في النص السابق. ويبدو أن بعض التراكيب الخاصة في أسلوب العامية الأندلسية هي من أثر استعمال البربر والعجم للعربية وتكلمهم بها، وقد دخلت طائفة من الكلمات البربرية إلى عامية الأندلس، مثل: أدغض أي اللبأ، وأكدل أي المخصرة، وكرانة أي الضفدع[٢]، وأسمس للمأدبة،وتمغرة كذلك، وتفرمه للباز[٣]. ومن الكلمات البربرية التي استعملها ابن قزمان مرارًا كلمة: قليد أو إقليد، بمعنى أمير كقوله (زجل ٧٤).

مَحْبُوبي فالمِلاَحْ قليِّدْ والنَّاسُ عَبِيدْ

وكذلك كلمة "أشكدْ" وهي فعل أمر، بمعنى: تعال وأقبل، و"أُرول " بمعنى: اذهب. ونجدهما مستعملتين في أزجال ابن قزمان، كقوله (زجل ٤١):

---

(١) نذكر من صور توسعهم فى الاستعمال أنهم يستعملون فعل (قام)-على سبيل المثال-بمعنى (ثار) ، كما فى هذا المثل: قام قوم سو،ودبروا راى سو رقم (١٧٨٧) وكما جاء فى السميسر: وحب القيام عليهم إذا بالنصارى قمتم -وكما فى هذه الحكاية التى رواها المقرى وهى أن سليمان بن المرتضى الأموى مر يومًا بالمضحك المشهور بالزرافة "وقد أوقف...وحعل يقول له:ماذا رأيت فى القيام فى هذا الزمان ؟ أما رأيت كل ملك قام كيف خلع وقتل؟ والله إنك سيّئ الرأى، فقال له سليمان:وبم لبت هذا الثائر ؟ فقال : يا مولاى، بصفته : القائم! " ومثل هذا الاستعمال عند الآندلسيين قد يخفي على بعض المشتغلين بتراثهم، فقد علق بعضهم على هذه العبارة لابن الآبار فى التكملة : " وانتقل عن بلنسية مصروفًا بالقائم فيها على واليها " بما يلى:" أى بالوصى عليه القائم بأمره! ".

(٢) ألفاظ مغربية : ١٤٠ ، ١٤٤ ،٣٠٨.

(٣) Voc ٣١٨ ، ٢٠٤

يهْرب النَّحس مِني عَام مَتَى ما قل: أرْوَلْ

وترى السَّعْد مقبل متَى ما قِل: أشْكِد

وكلمة " أر"وهي فعل أمر معناه: هات، كقول ابن قزمان: (الزجـل في الأنـدلس: ٨٨)

أر ّقط ومُد يَدَك إنّي قَد مدَدْت أنا يَد

فاشَد ما عَلَى مَنْ يُمَاطِل أوْ يمحِج

وهذا الفعل مستعمل بكثرة في العامية المغربية، ولكـن بتخفيـف الـراء لا بتشديدها، كما يضبط في الأزجال الأندلسية كما نجـد عنـده: افْكِيّـي، أي أعطني، وأسلو، وهو اسم لطعام ما يزال معروفًا، ويبدو أن استعمال ابن قزمان لهذه الكلمات كان من قبيل التظرف أو التحبب إلى ممدوحيه من المرابطين.

ومن الكلمات البربرية التي وجدناها في الأمثال قولهم: "هراكس" أي تعـال (ص١٥٦) و"ترخص" أي البيسارة (ص٢٣٨)و" أغلال " (ص١٢٤).

ولكن تأثير العجمية والبربرية في العربية لا يقارن بتأثيرها الكبير فيهما، وهـو ليس من موضوعنا هنا.

وبعد هذا التمهيد نقدم فيما يلي عرضًا سـريعًا لبعـض القواعـد العامة في اللهجة الأندلسية من خلال الأمثال:

التنوين: "يجعلون كل منون منصوبًا أبدًا، ويكتبون اللفظة بمفردها مجردة مـن التنوين، ويكتبون بعدها ألفًا ونونًا مثل أن يكتبوا رجلاً" على هذه الصورة: "رجـل ان"[1] هذه قاعـدة استنبطها صفي الدين الحلي من قراءته للأزجال، وهي بارزة في الأمثال أيضًا، ورسم التنوين بالألف والنون نراه في المعاجم الأندلسية مثـل المعجـم

(١) العاطل الحالي : ١٨

المنسوب إلى رمند مرتين القطلوني[١] ومعجم بطرس القلعي[٢] وكذلك في بعض الوثائق المدونة بالعامية مثل الوثيقة الغرناطية التي نشرها الأستاذ كولان[٣]، ويدل ذلك على أن هذا التنوين المفتوح كان مستعملاً في كلام الأندلسيين العادي؛ وليس في الأزجال والأمثال فحسب، وهذا النوع من التنوين الذي يرسم بالألف والنون يقع في الأمثال دائمًا بين نعت ومنعوت كل منهما نكرة، سواء كان النعت مفردًا وهو الغالب كما في هذه الأمثال:

كَلَام انْ كثير في حَاجَة انْ يَسير (رقم ١١٢٣)

قرْدان مُهَاودْ أخْيَر مِنْ غزَال ان شَرودْ (رقم ١٨٠٢)

بَحَلْ زَفّ انْ ناقِصْ علَى حِمَارة انْ عَرْجَ (رقم ٦٣٧)

أو جملة كما في هذين المثلين:

الرَّقْصْ قُدَّام العُمي مجهودانْ لا يُرى عَمَلُ (رقم ٣٢٩)

جُوعَ انْ تُهَدَّدْ بالشَّبَعْ لسْ جُوعْ (رقم ٧٧٥)

وهو مفتوح دائمًا سواء كان الإعراب – على فرضه – يقتضي ذلك كما في هذا المثل:

مَنْ طَلَبْ دَيْن انْ قَديمْ طَلَب شَرَّ انْ جَديدْ. (رقم ١٣٨٢) أم لا، وقد يدغم الحرف المنون في مثله فلا تبدو " ان " هذه كما في المثل التالي:

مَال الاّ يَراهْ سيدُ الله لس يريدُ. (رقم ١٣٢٩)

والأصل حسب اصطلاحهم: مال ان لا يراه ...

وهذا التنوين يلحق الأسماء المنكرة فى حالة الإفراد كما تقدم وفي حالة الجمع، ومثال ذلك:

---

(١) انظر على سبيل المثال Voc ص ٢١٩.

(٢) انظر على سبيل المثال الكالا: ٢٣، ٤٢، ٢/٤٥، ٣/٣٣٢.

(٣) نشرت في المجلد الثالث من مجلة: Islamica بعنوان: Sur une charte hispano – arabe de ١٣١٢.

أشيات ان أخـــر. أي أشيـــاء أخرى. (الكالا: ٣-٣٣٢)؛ لأنهم يجمعون كلمـــة (شيء) على أشيات كما في قول ابن قزمان (الزجل في الأندلس:٧١):

والرَّبض لاَ شُيوخْ وَلاَ حُجَّاجْ
وأرامِلْ مِلاح بِلاَ أزْواج
ويَجُونِ طُولَ النَّهَار عن حَاجْ
وأشْيَات لِسْ يَنْبَغِي أنْ تُقَال

فهل هذا التنوين المفتوح دائمًا بقية من بقايا الإعراب في العامية؟ أو هو مـــن آثار إحدى اللهجات العربية الجنوبية القديمة؟ أو أنه ليس سوى ضرب من التفـــصح العامي؟ ومهما يكن فإننا نجد ظاهرة التنوين المفتوح هذه في أمثال الشام كقولهم فيما رواه نعوم شقير (ص ٢٨):

شَرطا في الحَقْلة ولا قِتالاً عالبَيْدَرْ

وهو كثير في الأمثال العامية السودانية كقولهم:

فُلان فارسًا أعْمى يصد الخيل وحْده
كَلْبًا ما تَسْعَاه عِند القَنِيصْ ما بتلقَاهْ
قَلْبا بالمَوَاصِي، نَاسِي[١].

وذكر الأستاذ عبد المجيد عابدين في كتابه عن "اللهجات السودانية" أن هـــذا التنوين " ظاهرة عامة في كلامهم في الشعر والنثر[٢]" ويوجد التنوين في أمثال بعض البلدان العربية الأخرى كمصر[١] ونجد [٢] ولكنه مكسور دائما، أما في العامية المغربية فلا يوجد التنوين في الكلام الجاري، ولكنه يوجد في الشعر الملحون.

---

(١) نعوم شقير، أمثال العوام في مصر والسودان والشام:١٢٨-١٢٩ وانظر أمثلة أخرى في ص.١٣٠.

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان:٩٦.

الإمالة: جاء في "الذيل والتكملة" لابن عبد الملك المراكشي في ترجمة ابن الرحاني ما يلي:"وبعضهم يكتبه الرحيني باعتبار إفراط الإمالة المستحكمة في لسان أهل الأندلس[١]" ووصف ابن الخطيب في "الإحاطة" ألسنة أهل غرناطة بالفصاحة العربية وقال: (وتغلب عليهم الإمالة"[٢]ونجد في مقامة" طرفة الظريف، في أهل الجزيرة وطريف" لعبد العزيز الملزوزي وصفًا حيًّا لغلبة الإمالة على ألسنة أهل الجزيرة الخضراء فهو يلاحظ – في جملة ما يلاحظ– أنه: "قد رجع سلامهم سليمًا،وكلامهم كليمًا، فقس على ذلك تصب، فإنه على ذلك المنهاج نصب" وقد راعه أنهم يقرؤون القرآن بإمالتهم الشديدة تلك، قال: ومن غريب ما اتفق لي فيها (أي في الجزيرة الخضراء)، حين كنت أوافيها، أني مررت بإمام يصلي بالناس، وهو يقرأ" قل أعوذ برب الناس": قد بدَّل "الوَسْواس" بالوَسْويس وكذلك "الخنَّاس" بالخنِّيس.

وكذلك بدَّل آية، في آيةٍ حتَّى "يوسْوِس في صُدور النّيس" فأمهلته ريثما أتم صلاته وقراءته، ولبس عباءته وملاءته فابتدأته بأشد العتاب، وقلت له: لم بدلت الكتاب؟ وإثمه على الذين يبدلونه، ووزره عليهم يحملونه، فأقسم أنه قرأه كذلك على قراء عصره، وإن تلك لغة أهل عدوته ومصره، فقلت:

يا أهْلَ أندلسٍ مالي رأيتُكم
أحدثتم في كتاب الله ألحانا
نَبذْتُموه وبدَّلْتُم مَعَانِيَه
عمَّا بمصْحف عُثْمانَ بن عفَّانا

---

(١) الذيل والتكملة : ٦ : ١٥٣(مخطوط باريس)

(٢) الإحاطة : ١ : ١٤٠ (ط. دار المعارف)

صَلُّوا الصَّلاة ولا ... هما سُوَرًا
فقَدْ رددتم علـــى ... فُرقانـــا
بدَّلتم القول حق قول خالقِنـــا
لقَدْ أتيـــتُم لعمــــرُ الله بُهتانـــا
وإنْ دَعَوتم لَحَنْتم في دُعـــائكُمُ
فكيفَ تَسْتوهبُون الدَّهْرَ غُفرانا
ربُّ العباد غنيٌّ عـــنْ دُعـــائكم
ونحنُ أيضا عن التأمين أغنانـــا

ثم يســـوق بعد هذا نوادر ركبـــها مما كان يسمع في كلام المتحـــاكمين في مجلس القاضي ابن عذرة قاضي الجزيرة الخضـــراء، ومدارهـــا على الاختـــلاف بينه وبين القاضي المذكور في الحكم بين المتقاضين بسبب الإمالة الواقعة في كلامهـــم؛ إذ كان الملزوزي يأخذ بظاهر اللفظ فيحكم بناء عليه، ويـــرده ابن عـــذرة العـــارف بكـــلام أهـــل بلـــده إلى الصواب، فهذا متداع يتوجه إلى القاضي قائلاً:

لي عند هذا يا بن عذرة ميـــل
والميل ميلـــي ســـاقه الحَميـــل

وهذا آخر يقول:

ألاَ قُلْ لابن عُذرة: يا فقيهـــا
حَمَى أحكامَهُ وحَوَى العُلوما
فُديتَ أصَابَ لي هذا حَميمـــا
فخلَّفه صـــريعا لَـــنْ يقُومـــا

ومهما يكن ما في هذه النصوص الواردة في هذه المقامة من عناصر الهزل، فإنها ذات دلالات واضحة في طبيعة الإمالة في الأندلس.

وقد ظلت هذه الظاهـــرة من السمات المميزة للأندلسيين المهاجرين – بعـــد الجـــلاء – إلى المغـــرب، جـــاء في ترجمة سيدي فرج الأندلسي المكناســـي الـــدار (القرن العاشر) من كتاب دوحة الناشر(٥٦-٦٠) أنه كانت " تغلب عليه الإمالـــة، شأن كلام الأندلس في ألسنتهم "، وما لاحظه ابن عبد الملك وابن الخطيـــب وابـــن عسكر تؤيده النصوص، ففي أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم نجد هذه الإمالة المفرطة التي تصبح فيها الألف ياء، وفيما يلي أمثلة منها في أمثال الزجـــالي مـــع الإشـــارة إلى صفحات النص: رسميل =رسمال(ص١٥) تريه = تراه (ص ٢٤) جـــي = جـــا (ص ١٥٤) حين = حان (ص ١٨٣) سينية = سانية (ص٣٥٠).

ومما ورد من ذلك في أمثال ابن عاصم مع الإشارة إلى أرقام الأمثال:

بيب = باب (رقم ٦٤٠) قزيز = قزّاز (رقم ٧٥٧) المكين = المكان (رقـــم ٥٥٣) فديـــن = فـــدان (رقم ٥٤٥) كينت = كانت (رقم ١٩٧) القيـــدوم = القـــادوم (رقم٧٦٢).

كما أن معاجم اللهجة الأندلسية والوثائق المدونة بها تبيـــن بوضـــوح مدى انتشار الإمالة في العامية الأندلسية، ولا سيما معجم "بطرس القلعي" حيث الكلمات تكتب بحروف لاتينية[١] ويكفي أن نشير هنا إلى أن عددًا كبيرًا من أسماء الأمـــاكن وغيرها تكتب في اللغة الإسبانية بصورة الإمالة، فمن ذلك: باجة Beja جيان Jaen

(١) مثل bib , mil , nic أي باب ، مال، ناس انظر: ALC ، ٢٦٦، ٢٧٢ ، ٣٥٩ وانظر أيضًا مبحث الإمالة عند STEIGER ص ٦٢ وص ٣١٤ وما بعدهما.

دانية Denia لاردة lerid بجانة pechina ومن الكلمات العربية المنتقلة إلى الإسبانية بصيغة الإمالة نذكر: السانية aceña والساقية acequia [(١)].

- لا وجود لهمزة المضارعة في العامية الأندلسية، فهم يستعملون النون للمتكلم المفرد كما تستعمل للمتكلم ومعه غيره مع التفريق بينهما بزيادة الواو في الحالة الأخيرة، وقد ورد هذا الاستعمال كثيرًا في الأمثال والأزجال، وفيما يلي أمثلة منه في أمثال الزجالي مع الإشارة إلى صفحات النص: نخذ = نأخذ = آخذ (ص ١٩) نصوب = أصوب (ص٢٢) أنا نعلم = أنا أعلمه (ص٢٧) أنا نبخرها = أنا أبخرها (ص٢٧) أنا نرش =أنا أرش (ص٢٧) أنا نطلقها = أنا أطلقها (ص ٢٧) أنا نسميه = أنا أسميه (ص ٢٨) ونكون أنا = وأكون أنا (ص ٢٣٠).

أما في حالة المتكلم ومعه غيره فيلحق بآخره واو الجماعة للتمييز بينهما كما في المثل التالي:

نَحن نَقْرَوْا ولس نَفْلَاحُ كَيْفَ لَوْ غَنّين (رقم ١٥٥١)

(١) انظر قائمة بالألفاظ الممالة المستخرجة من Alc.Voc عند STEIGER من ص ٣١٤ إلى ص ٣٣٢ ويفهم مما ذكره صاحب "طرفة الظريف ودوحة الناشر" أن الإمالة لم تكن معروفة في لهجات أهل المغرب أو في معظمها، ولكن اليوسي لاحظ مظهرا من مظاهر الإمالة في شمال المغرب عند أهل جبال الزبيب وجبل العلم، فذكر أن أهل هذه الجبال يكسرون الفتحة بعدها ألف، قال : "من جملة ما اتفق لي في هذه السفرة إلى جبال الزبيب وسفرات أخرى لزيارة الشيخ عبد السلام- رضي الله عنه- أني سمعت لغة لأهل تلك الجبال : يكسرون آخر الموقوف عليه فتتبعتها استقراء فوجدتها لها ضابط، وقد رأيت غيرهم من أهل الآفاق يسمعون عنهم ذلك، فيحكونه على غير وجه وينسبون إليهم ما لا يقولون جهلاً منهم بضوابطه، فإنهم لا يكسرون إلا الفتحة بعدها ألف: أما ألف لمقصورة كالدنيا، أو الممدودة كالسماء والطلباء والشرفاء أو الأصلية كالماء أو المقلوبة عن هاء التأنيث في مجرى العرف البقرة والشجرة والصحفة، فإن العوام من غيرهم يقولون في الوقف على هذه: البقرا والشجرا بألف، وهؤلاء يكسرون يقولون : البقري والشجري وتنقلب الألف ياء " .

ونجد هذا الاستعمال العامي يتسرب أحيانًا إلى أقلام بعض المؤلفين الأندلسيين، كما نرى في كتاب "التبيان" للأمير عبد الله بن بلقين، ومن أمثلة ذلك فيه:"وكنت مع هذا نأمر أهلها بالرفق"(ص ٨٩)"ولو أني نأمن مكره لأعلمته بالحال "(ص١١٥) " فراجعته نعلمه بحاجتي إلى ثمنه" (١٦١).

وما يزال هذا الاستعمال موجودًا في اللهجات المغربية عمومًا، وهو مما يميزها عن لهجات المشرق[١]، ويوجد هذا الاستعمال في لهجة السودان، وهو من تأثير لهجات المغرب[٢]وهو موجود أيضا في الإسكندرية.

-حرف الجر: في: يرد في الغالب متصلاً بالمجرور بعد حذف حرف الياء منه وفتح الفاء، مثال ذلك المثل:

رِجْل فَالجَبَلْ أخيَر مِنْ رِجْلْ فَالكَبَل. (رقم ٩٨١)

أي رِجْل في الجبل خير من رِجل في الكبل، وهذا كثير في الأمثال والأزجال.

- تتميز العامية الأندلسية - ومثلها العامية المغربية - بزيادة كاف في أول الفعل المضارع، فيقال في: يكتب، مثلاً: كيكتب، ومثال ذلك في الأمثال:

حَقّ لِسْ نُعْطَى، عِيَار القَفّ كنطلب (رقم ٨١١)

لَوْ أرِدْنَ مَنْ ذا الحَشِيشْ، كَنّملُوا قُفّ وَبَلّيشْ (رقم ١٢٣٥)

سَمعَتْ بنْت السُّلْطَان السَّاعي يَسْعَى، قَالَتْ: كِتَّعْمَلْ شَباتْ بِشَحَمْ.(رقم ١٨٤٥م)

أرْنَبْ تَكُل لَحَم؟ قَالْ: ياعَلَى بجَلْدي كِنّخلصْ (ابن عاصم رقم ٢٦٧)

وهذه الكاف (أو التاء أحيانًا) مطردة في العامية المغربية، مثل الباء والحاء اللتين تزادان في أول المضارع في العامية المصرية. أما في العامية الأندلسية فقد لاحظنا أنها غير مطردة، ولكنها ترد أحيانًا كما نرى فى الأمثال والأزجال، وقد تنبه لهذه الكاف

---

(١) انظر الجمانة في إزالة الرطانة :٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ .

(٢) عبد المجيد عابدين: من أصول اللهجات العربية في السودان : ٧٤ .

صفي الدين الحلي فى الفصل الذى عقده لبعض قواعد الاستعمال فى الأزجال الأندلسية من كتابه "العاطل الحالى" فقال:" ومنها إقامة الحرف الواحد مقام كلمة فيقيمون الكاف مقام كان التي ترفع الاسم وتنصب الخبر(*)" قال: "والأمثلة في ذلك كثيرة": ثم ساق في ذلك أمثلة عديدة، ومما مثل به قول مدغليس:

وكِنَّحْلَف أنْ لا نَعْشَقْ أبَدا.

قال: يريد "وكنا نحلف" ولكن هذا التأويل الذي ذهب إليه الصفي الحلي يجعل وظيفة هذه الكاف هي الدلالة على عمل الفعل في الزمن الماضي، فى حين أن وظيفتها في الاستعمال المغربي هي تخليص المضارع للدلالة على الحال فقط، والذي نراه من الأمثلة السابقة أنها تدل على الحال لا على الماضي. وفي معجم الراهب "رمند مرتين نراه" يرسم هذه الكاف منفصلة في أثناء تصاريف الأفعال إشارة إلى أنها تدخل عليها، ومهما يكن فإن هذه الكاف الشائعة في عامية المغرب لها أصل قديم في العامية الأندلسية.

- ذكر الزبيدي أن عامة الأندلس يقولون، فيما كان من الأفعال الثلاثية المعتلة العين مما لم يُسمَّ فاعله، بإلحاق الألف ويبنونه على أفعل نحو: أبيع الثوب، وأقيم على الرجل، وأخيف، وأدير به، وأسير به. والصواب في هذا إسقاط الألف فتقول: بيع الثوب، وخيف الرجل، ودير به، وقيم عليه، وسير به(١) "وقد وجدنا أمثلة من هذا الذي ذكره الزبيدي في أمثالهم، ومن ذلك قولهم: فُضُولْ سَوْدَ فى جَنِيزَ، مَشَتْ تِعَزّي أبِيعت في الأكْفَان (رقم١٧٤٣) والشاهد فيه: أبيعت في الأكفان أي بيعت. وقد كثر في الأمثال استعمال: أقيل، في موضع قيل، ومنه المثل:

(*) العاطل الحالي : ٤٧ .

(١) لحن العوام: ٢٠٤. تحقيق د. رمضان عبد التواب ، وكتاب لحن العامة: ١٠٩ تأليف د. عبد العزيز مطر.

إذا أقِلَّكْ حِمارْ، استخير الله وانْهَقْ. (رقم ٣٤) وأصلها: إذا أقيل لك، أي إذا قيل لك.. وكذلك في المثل: أقيل لجحا: لس تجلس قدام الفرن..(رقم ٢) فهي في هذا المثل ونحوه: أقيل، أي قيل بزيادة الألف التي ذكرها الزبيدي[1].

ويفهم من هذا أن المبني للمجهول من الثلاثي كان مستعملاً في العامية الأندلسية، وذلك ما نجد له أمثلة أخرى في الأمثال كقولهم:

البَالي يَيْبَعْ، والجَديدْ يُرفَعْ. (رقم ١٥٤)

العروسَ فِي الكُرسِي، ولس يُدْرا لِمْن هِي. (رقم ٢١٠)

لِسْ يُعَلَّم اليتيم البكا. (رقم ١١٧٣)

لِس يُعْمَل مِنْ فُولة ان وَجِدَ ترخص. (رقم ١٢١١)

قدرة الزِّفْت مَا يُطْبَخ فيها مُعَسَّلْ. (رقم ١٨٢٢)

أما في عامية المشرق فيبدو أن المبني للمجهول فقد منها منذ زمن قديم وحل محله صيغة " انفعل " جاء في "سهم الألحاظ في وهم الألفاظ " لابن الحنبلي: " ومن ذلك قولهم: انحفظ وانقرأ وانكتب، ففى ديباجة كتاب "الانفعال" للإمام الصاغانى أن انحفظ وانقرأ وانكتب مستحدث استحدثه المولدون[2].

- تسوى العامية الأندلسية في فعل الأمر بين المذكر والمؤنث، ومن الأمثلة على ذلك في أمثال الأندلسيين:
- عزيزَ: قُمْ رَحَّلْ، قالت: اصبَرْ نخُذْ نحي من الحَيط! (رقم ١٦٣٨)
- من الظواهر الصوتية في العامية الأندلسية إطالة الحركات حتى تصير الفتحة ألفًا، والضمة واوًا، والكسرة ياء، وقد نص الزبيدي على هذا في كتابه "لحن العوام"

---

(١) انظر الأمثال رقم ٦٣ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦.

(٢) نقلا عن كتاب: "لحن العامة والتطور اللغوي" للدكتور رمضان عبد التواب ص ٢٩٩ .

وساق أمثلة عديدة منها: قادوم وقطاع في قادوم وقطع، وعوش في عش، وطيراز، وتيلاد، وثيمار في طراز، وتلاد، وثمار، ويقول الزبيدي: " وقد أولعت العامة بإقحام الياء[١] "كما أن ابن حزم أشار إلى هذا في فقرته المقتضبة في العامية الأندلسية التي ذكرناها فيما سبق. ونحن نجد هذه الظاهرة في لغة الأمثال، وفيما يلي أمثلة منها مع الإشارة إلى صفحات النص:

بساط = بسطه (ص ٩٠) وساط= وسطه (ص٩٠) في أصباعك =في أصبعك (ص٩٤) يحضار= يحضر (ص١١٥) نعاش = نعش (ص١٢٠) مغراف= مغرف (ص١٣٣) مايلباس = ما يلبسون (ص١٤٧) نعمال = نعمل (ص١٥٢) رجاع = رجعوا (ص١٩٠=١٩١) لا يمور= لايمر (ص ١٤٥) ماعك - معك (ص٢٦٢،٢٤٥) ماع = معه (ص٢٥٤، ٢٧٦،٢٧٠) قطاع = قطع (ص٦٩، ٧٠،٢٤٤،٣٣٨) وقد لاحظ صفي الدين الحلي أيضًا في دراسته الأزجال "إشباع الحركات الثلاث حتى ينشأ عنها حرف يناسبها" وأتى بأمثلة عديدة من الأزجال الأندلسية [٢] وذكر السكوني أنهم كانوا يقولون في التكبير:

الله أكبار: بزيادة ألف بعد الباء، قال: وذلك لا يجوز. لأنه جمع كبر، وهو طبل صغير.

-حافظت العامية الأندلسية على الحروف اللثوية أو حروف ما بين الأسنان interdentales وهي الثاء، والذال، والظاء، وفي كل من أمثال الزجالي القرطبية وأمثال ابن عاصم الغرناطية أبواب للأمثال المبدوءة بهذه الحروف.

---

(١) "لحن العوام": ٧٦ ، وانظر د. عبد العزيز مطر ، لحن العامة ... : ١٠٧ – ١٠٨.

(٢)" العاطل الحالي" : ٣٩ وما بعدها . وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا وجود لإطالة الحركات في العامية المغربية إلا في كلمة أو كلمتين هما : علام = علم ، سلوم = سلم . انظر مقالة للأستاذ كولان في مجلة "هسبيريس" ١٩٣٠ ص ١٠٦-١٠٧.

-حافظت العامية الأندلسية على فصاحة بعض الأبنية والصيغ، ومن أمثلة ذلك:

المحافظة على كسر عين اسم الفاعل في مثل:

زايِد، ناقِصْ، جالِسْ، واقِفْ.. .إلخ.

في حين أن الفتح هو الشائع – منذ أيام الموحدين – في العامية المغربية ما خلا لهجة جبالة(١).

- حافظت على الهمزة من صيغة "أفعل " في مثل:

أفْقَرْ من ... إلخ(٢). وفي مثل:

أبيض، أحمر، أزرق(٣)...إلخ.

في حين أن الهمزة في مثل ما ذكرنا لا وجود لها في النطق المغربي الحالي.

-يشيع في النطق الأندلسي تحريك العين الساكنة في صيغ فَعْل، فِعْل، فُعْل مثل(٤):

ظَهَر، رِجَلْ، قُفَلْ. في العامية الأندلسية صور من الحذف والترخيم في أواخر الكلم، فكلمة (أين) تنطق وترسم (أى) بحذف النون، ومثال ذلك:

أيْ هي رُكبْتها، ثَمَّ، هِي تقبتْها. (رقم١٢٢)

أي هُو عيْنَكْ، ثم هُو يد غيرَكْ (رقم ٢٧٠).

يَا تُرى يَاكَبْشِي، أي تَرْعَى أو أيْ تَمْشِي. (رقم ٢١١٥)

ويكثر حذف النون هذه في المثنى خصوصًا في صيغ الأمثال، كما رواها ابن عاصم، ومن ذلك ما يلي:

---

(١) نجد هذا الفرق وغيره في ضبط أمثال الزجالي من نسخ "ريّ الاوام" فالضبط في النسخة القديمة التي نرمز لها بحرف (م) حسب النطق الأندلسي، أما في النسختين المحدثتين: س، ع فهو جار على النطق المغربي ، وكذلك الشأن فيما وقفنا عليه من نسخ "الحدائق" لابن عاصم الغرناطي .

(٢) انظر ما يتمثل به العوام على أفعل من ... في القسم الثاني من ص ١٠٨إلى ص ١١٨.

(٣) انظر القسم الثاني : ١٢٠-١٢١ وكذلك جدول STEIGER: ٩٨-٩٩ .

(٤) على هذا ضبط النسخة التي نرمز لها بحرف(م)، وانظر أيضا جدول STEIGER: ٨٩ -٩٠.

- نَكُونُوا نَفْسَيْ، نَسِيرُ صَفَّيْ. (رقم ٦٦٧)
- خُبْز المَقِيت: مرتَّيْ يُكَل. (رقم ٣٨٩)
- نفسي فَالقاربْ، قَال: مَنْ سَرَق القيدوم. (رقم ٧٦٢)
- نَفْسَي عَلَى الحاجَ: صاحبِ المَتَاعْ. (رقم٧٦٣)
- مَنْ اشْتَغَل بوتَدَيْ: واحِد يسع في سَوَّةْ. (رقم ٦٩٨)
- الفُولْ إذا نَوَّرْ، شَهْرَيْ يِدَوَّرْ. (رقم٢٠٤)

فقد حذفت نون المثنى في هذه الأمثال في كل من: نفسي، صفين، مرتين، نفسين، نفسين، بوتدين، شهرين[1]. ويبدو أنهم كانوا يجرون هذا الحذف في الأسماء المختومة بياء ونون حتى ولو لم تكن للتثنية، فقد ذكر مؤلف "الجمانة في إزالة الرطانة" أنهم يقولون: النسرى أي النسرين، والجني أي الجنين[2]، ومن صور هذا الترخيم قولهم في متاع: متا. وفي قدر: قد، وهذا كثير في الأمثال كقولهم:

- كَمْ تَكُل؟ قَالْ: مِنْ مَتَى مَنْ؟. (رقم١١٢٦)

أي من متاع من، وقولهم:

- شَبَرْ وعَقدْ مِنْ قَدْ مَتِ كُل أحَد. (رقم١٨٩٣)

أي من قدر متاع كل أحد. ومن أمثلة ذلك أيضا في أمثال ابن عاصم قولهم:

- أشْ يَرَى الأحْدَب حَدبةُ إلى متا غيرُ. (رقم١٠٣).
- ارحَمْني وارْحَم جَارتي مَتَا السَّاحِلْ. (رقم٢٥٧)

---

(١) نجد ظاهرة حذف نون المثنى بدون إضافة نحو مائتي، بدلاً من مائتين، وبيتي بدلاً من بيتين في نصوص العامية المصرية القديمة، كما تشهد بذلك وثائق البردى، ولعل الأصل فى ذلك كله تلك اللهجة العربية القديمة التي يشار إليها في بعض كتب النحو ، ومن أمثلتها المثل: بيضك ثنتا وبيضى مائتا . وقول الشاعر :

هما خطتا إما إسار ومنة   وإما دم والقتل بالحر أجدر

(٢) الجمانة : ٣٢ ، ٣٤ .

- كَلاَمَ الحَبيبْ يِبَكّي ومَتِ العَدو يِضَحّكْ. (رقم ٦٠٠)

ومن ذلك قولهم في الساعة: السا، كقول ابن قزمان:

- تَعْرِفْ اسْمَاها السَّا يقُل لَكْ لاَ.

فقوله: السا، يريد الساعة. قال الصفي الحلي: " وقد تداولوا هذه اللفظة كثيرًا في أزجالهم[١]". ويبدو أن مثل هذا الترخيم كان شائعًا عندهم؛ فإننا نجد ابن قزمان أيضًا يقول في عازب: عازي، وذلك قوله في مطلع أحد أزجاله: (زجل ٢١):

صرت عَازي وكَانْ لعَمْرى صواب

لِسْ نـزوَّجْ حتَّى يشيب الغراب

ومن ذلك أيضًا ما ذكره الزبيدي من أنهم يقولون للجلد الذي يبسط للطعام وغيره: " نطا" يريدون:"نطع" [٢] وقد يكون الحذف في وسط الكلمة كقولهم: تدأي تريد[٣]، و"تيدك " أي تريدك، كما في المثل:

- العُوَيْنِيتَ الذي تيدَك: مِنْ بَعِيد تضْحَك لَكْ. (ابن عاصم رقم ١٩٦) أي العيون التي تريدك تضحك لك من بعيد. وأبرز صور هذا الحذف ما ذكره ابن حزم من أنهم كانوا يقولون في ثلاثة دنانير: ثلشدا[٤].

ومن هذا القبيل قولهم في الاستفهام أو النفي: أش. وأصلها: أي شيء، كما في هذا المثل:

(١) "العاطل الحالي" : ٥٠ -٥١. وتجدر الإشارة إلى أن أهل مالطة لا ينطقون بالعين إذا وقعت في آخر الكلمة، مثل تلا = طلع، وقلا = قلع. انظر : الورقات للأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ج٣ ص ١٢٧.

(٢) "لحن العوام" : ٢٤.

(٣) الأمثال أرقام ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧ عند ابن عاصم.

(٤) الأحكام ١ : ٣٢.

- أشْ فَالكُفر من لذَة.

أي ماذا في الكفر.. أو ليس في الكفر..، وهي ترد خالصة للنفي في كثير من الأمثال التي رواها ابن عاصم، وتتصل أش بغيرها كما في المثل: اشْما لاَ يُدْرا؟ قـال: مَالاَ يُضْمَرْ. (رقم ٧١) فأشما: أي شيء ما[١] وكقـولهم في السـؤال مطلقًـا أو في السؤال عن العدد أو المسافة: أشحل وأشحال. وأصلها: أي شيء حال. ومن أمثلـة استعمالها في الأمثال قولهم:

أشْحَل بَيْنِي وبَيْن السما؟ (رقم ٩٣)، فهي هنا بمعنى كم، وفي العامية المغربية يقال في السؤال عن الثمن: بشحال أي بكم، وأصلها: بأي شيء حال ... [٢] ونجد أش هذه متصلة بأفعال وأسماء كقولهم:

- أشْتَغْمَل الكَيْسُ فالبَيْت الفارغْ. (رقم٢١٢) فأشتعمل: ما تعمل، وقد ورد هـذا مثل معربًا في رسالة الشقندي كما يلي: " وهب أنه كان يكون لكم مثله، فما تصنع الكيسة في البيت الفارغ[٣]" ومن أمثلة ذلك أيضًا: أشترقع = ماترقع أو ماذا ترقـع؟ (ص ٥٨ في النص) وأشيقل = ماذا يقال له؟ (ص ٥٩) وأشجلاس = ما جلوسـه؟ (ص٢٨٨) وأشكندخلن = من أدخلني؟ (ص٤٣). ومثل أش: عاش أو علش = على أي شيء؟ (ص١٥، ٣١٤) وهي تستعمل بمعـنى لمـاذا، وبـش= بـأي شـيء؟ (ص٣٨٣،٣١٥) وقد وردت في Voc وضع بماذا ولكى ولش = لأي شيء أي لماذا (ص٣١٥) وهذه الأخيرة مستعملة في معظم اللهجات العامية العربية منذ زمن بعيد.

-ذكر الزبيدي أمثلة عديدة مما كان يقع على لسان العامة في الأندلس مـن قلـب وإبدال بين الحروف، وبلغ ما عدده في مواضع متفرقة من حالات القلب والإبـدال

---

(١) انظر استعمالها أيضاً فى المثلين رقم ١٥٥ ، ورقم ١٧٣.

(٢) انظر استعمالها أيضاً فى المثلين رقم ١٥٧ ، ورقم ٢٣٥.

(٣) نفح الطيب ٤: ١٨٢.

نحو خمس عشرة حالة[١] وقد وجدنا بعض هذه الحالات في الأمثال، فمن ذلك إبدالهم النون ميمًا في مثل قولهم: حلزوم أي حلزون [٢]، وقد ورد هذا في المثل التالي:
حَلزومْ لِسْ معها أيْ تَدورْ، تَرْبِطْ فِي ذَنَبْهَا تورْ. (رقم ٨٠٧)

وإبدال التاء طاء كما في كلمة "است" التي نراها ترسم "اسط" في أمثال عديدة. وقد نقل ابن عبد الملك المراكشي أن أهل شرق الأندلس كانوا ينطقون التاء طاء فيقولون في حوت: حوط[٣]. وكذلك نجدهم يقلبون الدال طاء في بعض الكلمات كما في المثل: "شِيكَارةْ حَبْلسَ: يطَلّع فيها المُرْط للصُّمع". (رقم ١٨٩٠)
فالمرط = المرد جمع أمرد، ومن ذلك أيضًا إبدال الضاد دَالا كما في يمدغ = يمضغ، ومن هذا المثل: حَنِين أبِي زُرَيْق: يَمْدغْ الحَلْوَ للصِبْيَانْ. (رقم ٨٠٦)
وهكذا تنطق الكلمة في المغرب أيضًا. ومن إبدال القاف كافًا والصاد سينًا ما ورد فى المثل التالي:
"مَنْ ماعُ كرسَعَنٌ: الحَمَامْ تَتْبَاعَ" (رقم١٢٦١)
فكرسعن = قرصعنة. وهم يقولون: حك أي حق [٤]و"حكاك أي إحقاق[٥] وكفز أي قفز[٦] والكفز أي القفز[٧].

ويبدو أن هذا من أثر القاف المعقودة التى عُرِف بها الأندلسيون. وقد وُصف أبو حيان في "نفح الطيب" بما يلي: "عبارته فصيحة بلغة الأندلس، يعقد حرف القاف قريبا من الكاف، على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة، وسمعته يقول:

---

(١) انظر تصنيفًا لها في كتاب "لحن العامة" د. عبد العزيز مطر ص١٠٥ وما بعدها.
(٢) لحن العوام للزبيدي : ١٩٢.
(٣) الذيل والتكملة ١ : ٢٠ .
(٤) "لحن العوام للزبيدي" : ٦٨ .
(٥) انظر المثل رقم ٢٧٢.
(٦) المثل رقم ٣٧٣ ورقم ١١٤٨ ، ١١٥١.
(٧) المثل رقم ١٨٠٦.

ما في هذه البلاد (يعني مصر) من يعقد حرف القاف[١] " كما نجد هذا النص في "سلوة الأنفاس": " فقال لهم هذا عربي قوي، بالقاف القريبة من الكاف، كما ينطق به أهل الأندلس[٢]". وصاحب هذا النطق الموصوف هو العارف أبو الحسن علي صالح بن الأندلسي الغرناطي..

- والتصغير من سمات العامية الأندلسية الواضحة، ففي الأمثال والأزجال نلحظ شغف الأندلسيين وولعهم باستعمال التصغير في كلامهم، ونجد له مثالاً قديمًا يرقى إلى أيام عبد الرحمن الأوسط، جاء في "المُغرب" لابن سعيد ١: ١٢٥: "وذكر عبد الله بن الناصر في كتاب " العليل والقتيل": أن الأمير عبد الرحمن قال يومًا لابن الشمر على الشراب: ما فعلت غُفَيرتك التي كانت جرداء قد صارت أخياطها كالعروق؟ فقال: عملت منها لفائف لبُغَيْلك الأشهب " وبلغ من استحكام التصغير في لسان أهل الأندلس أنهم يغفلون عن بعض ما يقتضيه الأدب الديني، فقد انتقد عليهم السكوني الإشبيلي استعمال صيغة التصغير في مواطن لا يجوز فيها شرعًا. قال: "ويقول قائلهم: هذا مُصيحِف، ومُسيجِد، ومكيتب، وجويمع وما أشبه ذلك بالتصغير، وكل ذلك لايجوز؛ لأنه تصغير لما أمر الشرع بتعظيمه، وكذلك ما كان من شعائر الله سبحانه. قال الله سبحانه: " ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ".

وما يزال الميل إلى تصغير الكلمات سمة بارزة في اللغة الإسبانية ولهجات المغرب العربي، وهم يصغرون حتى الأشياء الصغيرة بطبيعتها، فيقولون في عجلة: عُجَيلَة وفي كِسرة: كُسَيرة، كما في هذه الأمثال: بَحَلْ فُمْ اعجَيَّلْ بالرَّغْوَ عَلِيهْ. (رقم ٦٢٢).

---

(١) "نفح الطيب" ٣: ٢٩٥.

(٢) "سلوة الأنفاس "٢: ٢٠٩.

- لسْ فَاللُّبَيْنَ ما تَرْضَعْ العُجَيْلَة. (رقم ١١٧٨)

- من اتَّكَل على مُرَيْقَة جَارَتْ أصْبَحَتْ كُسَيْرتُ لِراسُ - (رقم ١٢٩٠)

ونرى من هذه الأمثلة أن ثمة صيغتين في تصغير الثلاثي هما: فعيِّل بتشديد الياء، وفعيل الفصيحة، ولكن هذه الصيغة الثانية تنطق بسكون الأول وكسر الثاني في العامية المغربية، ويبدو من معجم "الكالا" - وهو يمثل لهجة أهل غرناطة - أنهم كانوا ينطقون فعيل في المذكر و"فعيلة" في المؤنث على وجهه الفصيح، أي بضم الأول وفتح الثاني.

ومن الكلمات المصغرة التي أوردها مضبوطة: خُبيزة، قُديرة، كُعيكة[1] ونجدهم يصغرون بعض الكلمات على نحو خاص فيقولون في تصغير رجل وراجل: رجيجل، بدل: رُجَيل، ورويْجل كما في المثل التالي:

- ثمَّ رجُل ورُجَيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ. (رقم٧٤٧)

ومن ذلك أيضًا قولهم في تصغير سوق: سقيقة، بدل سويقة، وذهب دوزي إلى أن هذا النوع من التصغير ظهر عند عامة الأندلسيين بعد أن فقدوا السليقة العربية تمامًا، ووقعوا تحت تأثير اللغة الإسبانية[2]، وقد بنى حكمه هذا حين وجد كلمة سقيقة في وثيقة غرناطية متأخرة[3].

وكما تكثر صيغ التصغير في الأمثال فإنها تكثر في الأزجال أيضا كقول ابن قزمان (زجل ١٠):

فَمِنَ التفّاح نُهَيْدات

---

(١) الكالا : ٣٤١ ، ٣٥٨ ، ٣٨٣ .

(٢) دوزى ، تكملة المعاجم العربية ١ : ٧٠٦.

(٣) هي الوثيقة التي نشرها كولان في المجلد الثالث من مجلة : islamica بعنوان Sur une charte hispano-arabe de ١٣١٢ .

ومنَ الدَّرْمَكْ خُدَيدَاتْ

ومنَ الجَوْهَر ضُرَيْسَات

ومن السُّكَّرْ فُمَيْمَه

ونراه صغر الفم، وهو مذكر تصغير تأنيث، وكذلك فعل مدغليس، إذ يقول (العاطل الحالي: ٤٦):

وفُمَيْمَه حُلْوا حَمْرا صَغِيرَه

بضُرَيْسَات دَقّ بَيْضَ مُسْتَوِيه

وقد ورد التصغير في بعض الأمثال للتعظيم كما في هذين المثلين: سَلَّطَ اللَّـــه عَلَى الدَّابَّة دُويبة. (رقم ١٨٤٩)

ثمّ رَجُلَ ورُجَيْجَلْ ويَحُجْ البَيْتْ. (رقم ٧٤٧)

وهو معنى من معاني التصغير ذكره النحاة، ومثلوا له بقول لبيد:

وكلُّ أناس سوف تدخلُ بينهم

دويهية تصفرُّ منها الأناملُ

-توجد التثنية في الأمثال العاميةِ الأندلسية، ولكنها ترد دائمًا بالياء والنون، ومثـــال ذلك:

- ضَرْبَتَيْن فَالرَّاسْ. (رقم ١٦٢٣)

- عَيْبَيْن فَالدَّرْهَم: نَاقِصْ ومَكْسُورُ.. (رقم ١٦٦٥)

أما في الضمائر فيستعمل ضمير الجمع للمثنى، كما في هذه الأمثال:

- "الأعمَى والأعْرَجْ مَا عَلَيْهِم حَرجْ". (رقم ١٥٣)

- "الغازي والفَار لا تِعلّمهُم بَاب الدار". ابن عاصم (رقم ١٧٦)

- "مَنْ بَاعْ لَحْي بلَحْيَ خَسَرْهُم جَمِيعا". (رقم ١٣٩٧)

ويستعمل الأندلسيون جمع المذكر السالم، حيث تستعمل الفصحى وبعض اللهجات العامية جمع التكسير، ومن ذلك قولهم: أضرسين أي أضراس، كما في هذا المثل:

- يَعْطِي الله الفُولْ لِمَن لاَ عِنْدُ أضرَسينْ. (رقم ٢١٤٣)

وقولهم: سنين أي أسنان، كما في المثل:

سَنِين أنْ خش، وقُلُوب أنْ غِش. (رقم٣٥١)

ومن ذلك أيضًا: أذرعين واسطين وادين ورجلين، أي أذرع وأستاه وأيدٍ وأرجل[1].

-ومن الأدوات المستعملة في الأمثال الأندلسية: بَحَل أو بحَالْ، وهي أداة تشبيه ومعناها مثل أو شبيه، ومع أن أصلها من كلمة حال أي هيئة وشكل، إلا أن هذا المعنى قد تنوسي فيما يبدو وأصبح ينظر إليها على أنها أداة تشبيه لا غير، تقوم مقام الكاف وغيرها من أدوات التشبيه الفصيحة.

-وهم يستعملون في التمني كلمة: يا عَلَى، بمعنى ليت، كقولهم: يَا عَلَى مُمَيَّزْ وينفَقْ عليه: قال: وإذا كان مميز ينفق على روح". (رقم ٢١٤٧)

" أرنَب تَكُل لَحْم؟ قالْ: يَا عَلَى بجلدي كنخاصْ". (رقم ٧٢)

يَا عَلَى بيَّاع الدَّقِيقْ يعقَلْ. (ابن عاصم رقم ٨٢٦)

فكلمة " يا على" في هذه الأمثال جميعًا بمعنى ليت، وهي واردة في الأزجال أيضًا كما في قول ابن قزمان:(العاطل الحالي: ٣٤ -٣٥):

إنَّمَا مذهَبِي الطَّلاَ

يا عَلَى منُّو بير ملاَ

---

(١) انظر الأمثال أرقام ٤٩٦ ، ٦٠٩ ، ٩٧٦.

كَان يكون ارْجُلى العُقَاب

ويَكُون فَمي الدَّلْـــو

وقوله أيضًا:(الزجل في الأندلس: ٩١)

يا على مزودا ملا بذهب

وخوابي ملا بدم العنب

كل من جا دخل أكل وشرب

ويكون جاري شيخا أعمى أصم

وقد استعمل " ليت "و" على " في زجل آخر؛ إذ يقول: (زجل ٦٧):

يَا بَيَاضْ بَيْت أم أبي ليتني كُنت أنَا أم

يَا على فُم نُمار كنقَبِّل فيه بفم

بل إننا نجد كلمـــة " يا على " هذه تتسلل إلى أساليبهم الفصيحة كمـــا في هذه الحكاية التي رواها ابن سعيد في ترجمة الزاهد أبي وهب عبد الرحيم العباسي إذ يقول: " وذكر الحجاري أن أبا وهب لقيه مرة غلام وغد بخـــارج قرطبـــة، فـــآذاه بلسانه، ثم أراد أن يرميه بطوبة، فجعل يبحث عنها، ويقول: يا على طوبة أضرب بها هذا الأحمق! فوقعت عين أبي وهب على طوبة، فقال له: هذه طوبة خذها فأبلغ بهـــا غرضك، فارتاع الغلام وأخذته كالرعدة (١)".

وكلمة "يا على" تشبه من حيث التركيب "ياريت" التي تستعمل في العاميـــة المصرية للمعنى نفسه، وذكر المرحوم أحمد تيمور أنها محرفة عن "يا ليـــت"(٢) فهـــل تكون كلمة "يا على" الأندلسية محرفة عن "لعل" بأن أضيفت إليها "يا" ثم خففـــت

(١) المغرب ١: ٥٩

(٢) الأمثال العامية: (المثل رقم ٣٠٦٤) الطبعة الثانية.

اللام من لعل أو عل فصارت "يا على"؟ قد يكون ذلك خصوصًا إذا لاحظنا عدم التدقيق في مواضع الترجي والتمني في الاستعمال العامي.

وقد وردت كلمة "يا على" في Voc ضمن أدوات التمني والترجي المستعملة بين الأندلسيين، وهي كما في المعجم المذكور (ص ٦٣٩): "عسى، ليت، يا على، ياليت، يا عسى، يا ليت شعري ". وأمَّا " يا" وحْدهَا، فهي ظرف رومانثي يكثر وروده في أزجال ابن قزمان، لكننا لانكاد نجده في الأمثال، ويمكن أن يكون منه هذا المثل:

"يا على بيّاع الدقيق يعقل". (ابن عاصم رقم ٨٢٦).

وللأستاذ إ.غ.غومس دراسة ممتازة في "يا" الظرفية هذه عند ابن قزمان انظر:

todo ben quzmán, III ,p,٤٣١

-وأشهر ظروف الزمان في العامية الأندلسية: "ذاب" أي الآن، وهي مستعملة كثيرًا في الأمثال والأزجال، وقد أشار إليها ابن هشام اللخمي في تقويم اللسان؛ إذ يقول:"ويقولون: جئته ذاب، والصواب:

جئته الساعة أو الآن[١]" وقد وردت في أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم بالإمالة كما في هذا المثل:

ذيبَ كن انتبَّهت جارتي لثقَب أذنيها. (رقم ٩٦٠)

وما تزال الكلمة مستعملة في المغرب بالدال المهملة هكذا: "داب"، وهي موجودة في اللهجة السودانية بلفظ: "دابو" يقال: الزول دابو جه، أي الرجل جاء الآن[٢]. وهي أيضًا في اللهجة المصرية: " دوب" كما في هذه العبارة: يا دوب جه، أي جاء منذ لحظة وجيزة[٣]، ولعلها انتقلت إليها من اللهجة المغربية.

---

(١) نقلاً عن : الفاظ مغربية: ٢٨٦

(٢) عبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان:١١٩.

(٣) عبد المجيد عابدين : من أصول اللهجات العربية في السودان:١١٩.

- ومن ظروف الزمان المستعملة في الأمثال ظرف: " بيدم أو بيدام، كما في المثلين التاليين:

- بَيْدَمْ تتقَنَّع الحَولَ، يَفتَرقْ سُوق الغَزْلْ. (رقم ٥٦٤)

بَيْدَمْ يِحي التِّرياقْ من بَيْت المَقْدسْ يَذْهَب صاحِب الوَجَعْ. (رقم ٥٦٥)[١].

وما تزال مستعملة في العامية المغربية، ولكن بسكون الدال، وفتح الميم مع مدها، هكذا: بيدما.

ويبدو أن هذه الصيغ محرفة عن: بينما، وأنهم قلبوا نونها دالاً، ويستعملون في هذا المعنى أيضا كلمة: مندام، وقد وردت الكلمتان في Voc ص ٤٣٧: مع: بينما، ريثما، خلال ما[١] كما يستعملون: "وقت أن" في موضع:"حين" كما في هذين المثلين: "وقَت أنْ حَضَر الصَّيْدْ غاب السُّلُوقِي". (رقم١٩٤٩)

"وَقْت انْ تَرْبَط القَرْع كنْبُوشَه". (رقم ١٩٧٤)

وهي ليست إلا كلمة "وقتا" بالتنوين المفتوح، الذي جرت عادتهم أن يرسموه "ان" كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وقد وردت الكلمة مع أخوات لها في Voc ص ٥٤٨ هي: "متى، إذا، وقت ان، حين عندما ".

طُلْ ما تَجِد أسْودْ، لا تِسَخَّرْ أبْيَضْ (رقم ١٠٦٤)

وكما في قول ابن قزمان: (العاطل الحالي: ٦٠):

اسْقِنِي بالكاسـاتْ

ياخي دُون علالِي

طُولْ مَا كَاسْ فِي الدُّنْيَا

لاَ تَسْل عن حَالِي

---

(١) انظر أمثلة أخرى في أمثال ابن عاصم رقم ٣١٣ وما بعده.

(٢) انظر أيضا دوزى ١: ١٣٣.

وفي Voc ص٥٤٨: " طول ما، ما دام " ومن الواضح أنها ليست سوى "طالما" الفصيحة أصابها التحريف.

ويستعملون في التعليل كلمة:" حرم فى " كما في قولهم:

- أجوع من زامل موقف الذي هدم الحيط حرم فى تبن (رقم٤٩٠) أي هدم الحائط طمعا في التبن الموجود في بنائه، ومثال ذلك أيضًا:

- حُرْم فَسَاعَ تمشوا فارْبَاع. (رقم ٨٠٠)

فهي في هذين المثلين بمعنى: من أجل أو في سبيل، وترد أيضًا بمعنى: "لماذا"، كما فى قول ابن قزمان يصف الرقيب (زجل رقم ٩):

ويفرق ما بين حبيب وحبيب

حرم بالله معيشقين ورقيب؟

أي لماذا بالله عاشقان ورقيب؟، ووردت الكلمة مع شبيهات لها تستعمل للاستفهام والعلية بحسب الجملة في Voc ص ٥٤٩، وهي: "لش، عن أش، لماذا لأي شيء، حرمه، فش، عنبتش".

-أما أسماء الإشارة فيبدو من تتبع الأمثال أنهم كانوا يستعملون: ذا للقريب كثيرًا (١) وقلَّ استعمالهم لهذا، وقد وردت في بعض الأمثال بالإمالة، هكذا: هيذ أي هذا (٢)، وكما آثروا استعمال ذاك في الإشارة للقريب للاختصار فيما يبدو آثروا أيضًا استعمال ذاك بدل ذلك، وكذا بدل هكذا (٣).

وورد استعمال "هي" اسم إشارة بمعنى هذه في المثل التالي:

---

(١) انظر استعمال ذا في الصفحات التالية من النص: ٢٣،١٣٩،١٢٣،١١٠،٢٤، ١٥١، ١٨٦ ، ١٨٨، ٢٢٥، ٢٣٠ ، ٢٤٦ ، ٢٩٦، ٣٤٣،٣٣٧،٣١٦.

(٢) انظر ص ٣٦١ من النص.

(٣) انظر ص ١٨٩ ، ٢٥٥.

مَنْ وُلِي على مَزْبَلَة بِدَ جَاجَة يَتَعَشَّى هي الليلَة (رقم ١٣٠٣)

أي هذه الليلة، وقد ذكر كل من الزبيدي في "لحن العوام" وابن هشام في "تقويم اللسان" أنهم كانوا يستعملون هو وهي في مواضع الإشارة، جاء في "لحن العوام": " ويقولون: أتيت هي الأيام وقعدت في هو المكان، والصواب أتيت تلك الأيام، وقعدت في ذلك المكان، وليست هذه المواضع من مواضع هو ولا هي" [1]وفي تقويم اللسان: "ويقولون قعدت في هو المكان، والصواب في ذلك المكان[2] "ويبدو أن هذا من تأثير أو بقايا العربية الجنوبية، ففي كتاب "المختصر في علم العربية الجنوبية القديمة" أن هذه اللغة تستعمل هو في الإشارة إلى المذكر و "هي" في الإشارة إلى المؤنث[3] ".

ويستعملون في الإشارة أيضًا كلمة: " تراه " أو " تريه " بالإمالة كما جاءت في المثل التالي:

أيْن اذنَكْ أَبو فُلان؟ قال: تَريه هنَا في ذَا المَكَان. (رقم ٨٤) فكلمة: تريه أي تراه معناها في المثل: ها هي، وجاء في Voc ص ٣٦٠ ما يلي: ها هُو، تراه، أما في الإشارة للجمع فتستعمل: " هَوْلَ " أي هؤلاء كما في voc ص٤٤٤ ومثالها قول مدغليس:

لسْ لَنا إلاَ نخَلّي الفُضُولْ

أشْ نَرى مَنُّو لهَوْلَ العَاشِقِينْ

يريد بقوله: " لهَوْلَ " " لهؤلاء[4] ".

-وأما بالنسبة لاسم الموصول فيبدو من الأمثال أن العامية الأندلسية احتفظت بالذي و لم تغيره إلى " اللي" كما أصبح الحال فيما بعد في معظم اللهجات العربية، إلا أننا

(١) "لحن العوام للزبيدي": ٢٥٢ "وألفاظ مغربية" للدكتور عبد العزيز الأهواني: ٣٢٠.

(٢) نقلاً عن "ألفاظ مغربية" ٣١٩.

(٣) "المختصر":٥.

(٤) "العاطل الحالي":٥٢.

نراهم يستعملون "الذي" للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع، فمن استعمال "الـذي" للمفرد المؤنث بدل "التي" قولهم:

- أعْجَزمن كَلْبْتَ بَنِي سَعِيدة:الذي مَاتَت بالعَطَشْ وذنبها فَالماء (رقم٤٩٥).

ومن استعمالها في حالة الجمع قولهم

- العُوينيت الذي تيدَك: مِنْ بَعِيدْ تضْحكْ لَكْ[1]. (ابن عاصم رقم ١٩٦):

وورد استعمال (اللى) فى زجل لابن قزمان، إذ يقول:

سُبْحن اللِّي جَمَع عَلَى قَلبَك كُل شَيء حَسَنْ[2]

يريد سبحان الذي، وأما في الأمثال فلم نقف على استعمال " اللي ".بمعنى الذي.

وصف ابن سعيد كلام أهل الأندلس بأنه منحرف عن أوضاع العربية الفصحى، وأنه مجانب للإعراب، بل ذكر أن الأندلسيين كانوا يستبردون من يعرب ويستثقلون من يتفصح، ولا شك أن ابن سعيد وصف ما سمع من لغة أهل عصره في أمصار الأندلس التي عاش فيها ولا سيما إشبيلية، وقد لا يختلف وصفه عن وصف من تقدمه.

أما ابن الخطيب فقد ذكر في وصفه لكلام أهل غرناطة أنه كان يتخلله إعراب كثير، ولعل في هذا ما قد يخالف — من الوجهة النظرية — قانون التطور اللغوي إلا أن يكون الأمر يتعلق بوصف مستويات لغوية مختلفة.

ومهما يكن من أمر فلو بحثنا عن مظاهر الإعراب في نصوص الأمثال الأندلسية سواء منها التي دونها الزجالي أو التي جمعها ابن عاصم لوجدنا أنها تقع ولكن بقلة ويمكن الوقوف عليها في القسم الثاني من الكتاب.

---

(١) انظر استعمال الذي في النص ص: ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، وابن عاصم رقم: ٢ ورقم ٣و ١٦ .

(٢) العاطل الحالي: ٥٠.

-سبق أن أشرنا إلى شيء من أثر "عجمية أهل الأندلس" في مفردات الأمثال، وثمة تأثير ملحوظ – ولكنه قليل – لهذه العجمية في تراكيب الأمثال، وتستطيع أن تلمح شيئًا من ذلك في الأمثال التالية على سبيل المثال:

- غبار الغنم كحول هو لعين السبع. (رقم ١٧٢٢)
- من لدغت الحي، من الحبل ينفر. (رقم ١٤٢٢)
- من مات ولد، ربيب يجيه لليل. (رقم ١٤٧٤)
- في عافية كان الزجاج قبل أن يشتري القط. (رقم ١٧٤٤)

ونتبين أثر التركيب العجمي في المثل الأول من خلال نظيره القشتالي القديم:

EL Polvo de La oveja, Alcohol es Para el Lobo

والشاهد عندنا في تركيب: كحول هو = Alcohol es

وكوننا نعتبر الصيغة القشتالية ترجمة للصيغة العربية لا يمنعنا من اعتبار المطابقة التامة في الترجمة دليلاً على ما نرى، وفي صيغة المثل العربي القديم:

غبار الغنم: كحل عين الذئب دليل آخر، كما أن تقديم المتعلق في المثل الثاني، وتقديم الفاعل في المثل الثالث، وتقديم الخبر في المثل الرابع لا يخلو من رائحة الأثر العجمي فيما نفترض، وإن كنا نعرف وقوع مثل هذا أيضًا في أساليب العربية الفصحى، ولعل مقارنة التركيب في الأمثال المذكورة بالتركيب في نظائرها المغربية والمشرقية تصلح دليلاً على هذا الافتراض. ومع ذلك فالأثر العجمي أو"الرومانثي" في ألفاظ الأمثال وتراكيبها قليل بالنسبة إلى الأثر الرومانثي في الأزجال.

(ب) ملْعبة الكفيف الزرهوني (ق٨) وقيمتها اللغوية(*)

للدكتور/ محمد بنشريفة

يرى المستعرب الفرنسي الأستاذ كولان أن جميع الأزجال المغربية التي ترجع إلى ما قبل العصر السعدي قد نظمت باللهجة الأندلسية التي كانت بفضل أزجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل "الكلاسيكية"، ويبدو أنه استند في إطلاق هذا الحكم على نماذج الأزجال المغربية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة، ومنها نموذج ملعبة الكفيف، ومع تضلّع الأستاذ كولان في اللهجات، وتمرسه بقراءتها ودراستها، فإن حكمه المذكور يظل قابلاً للنقاش، فإذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها، فإننا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عاميّة الأندلس، وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده أزجال الأندلسيين والمغاربة، فقال: "واعلم أن الذوق في معرفة البلاغة منها (أى من الأزجال) كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة، وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يحصّل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية، فلا يشعر الأندلسىّ بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب، ولا المغربى بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقى بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب؛ لأن اللّسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم مُدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته[1]" وهذا الذي يقولُه ابن خلدون لا ينفي طبعًا مستوى الفهم، فقد كانت أزجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر[2]، وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي معاصر الكفيف الزرهوني مروية في الأندلس إلى جانب أزجال مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي[3].

(*) نشر بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص ١٨٧.

(١) المقدمة: ١٤٧٤ – ١٤٧٥.

(٢) "الزجل في الأندلس" للدكتور الأهواني.

(٣) انظر "أزهار الرياض" ١: ١٢٣ و"وصف أفريقيا" ٢: ٦٤.

ومهما يكن الأمر فإن ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجل الأندلسي، وتشتمل على ألفاظ معروفة في هذه اللغة، ولعلها كانت من الألفاظ المشتركة بين عامية الأندلس وعامية المغرب، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الإشبيلي السبتي في كتابه "لحن العامة"[1]، وهذه طائفة منها:

- بلج أي أغلق الباب بالبلج أي المِغلاق.(انظر رقم ١٩٤)وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفي ALC ص٩٧ و.Voc ص٤٠،٥٢١ سيمونيت ص ٤٣٨ ودوزي ٤٣٨ويقال: البلاج- وجمعه بلاجة أو بَلاجين – لصاحب هذه الحرفة،وسوق البلاجين في فاس معروف إلى اليوم بهذا الاسم. انظر "بيوتات فاس": ٢٤ دار المنصور، وسمعت أن الكلمة مسموعة في منطقة الشاعر.

- ساف، وهو الباشق. انظر رقم ٩٧ ولحن العامة لابن هشام، ودوزي ١:٧٠٣ وما تزال الكلمة مسموعة في بعض المناطق بالمغرب.

- شابل، اسم سمك معروف إلى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار. انظر رقم ٤٠٨ وابن هشام، والزجالي ٢:١٤٠، ٤٣٧.

- شاشية، وهي القلنسوة. انظر رقم ٢٢٥ وابن هشام وVoc ص١٢٢وص ٢٨٠ و ALC ص ١١٧ وص١٤٣، ودوزى ١: ٨٠٢، وهى شائعة في المغرب.

- عاد بمعنى بعد. انظر رقم ١٧٠ وقد ذكرها الزبيدى وابن هشام ووردتفي ALC و Voc ودوزي ٢: ١٨٦ وماتزال مستعملة في المغرب.

ووردت مرارًا في أزجال ابن قزمان.

- فدان، للموضع الذي يحرث، أي الحقل، (رقم ٤٥٦) وهي عند ابن هشام والزبيدي، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى. وانظر دوزي٢:٢٤٦.

---

(١) انظر ما نشره الدكتور الأهواني في مجلة المخطوطات.

- قيطون، بمعنى خيمة، استعملها هذا المعنى ابن قزمان، وهي معروفة في المغرب. انظر رقم ٣٤٣.

- عصا موسى، وهي تسمية أندلسية للثريا. انظر رقم ٤٠٤.

- الزكروم: القفل والغلاق. رقم ٣٩١. وهي مدونة في Voc ص ١٨٨وما تزال مسموعة في المغرب.

- الزز بمعنى صفع القفا. رقم ٤٢٥. وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحة وعاميّة، وفي أمثال الزجالي وغيرها، وقد ذكرها الزبيدي في "تاج العروس" ثم قال: "وهي شائعة بالأندلس" وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا" أمثال العوام في الأندلس" ٢: ٢٣٧.

- برَّح بمعنى نادى، والبراح المنادي، رقم ٢٩٨.وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية، ووردت في أمثال الزجالي ٣٩٠،٢٣٠،٢:١٣٢.

- تور بمعنى حَسْكة أو شمعدان. رقم ٣٩٧، وقد وردت في الاستبصار: ٢٠ وفي أمثال الزجالي ٢: ٨٤ وهي في Voc ص٢٧٨.

- قارح بمعنى فرس، وجمعه: قُرّاح. رقم ١٤٥ووردت في أمثال الزجالي٢:٢٥٣.

- مُجّة بمعنى ثدْي. رقم ٤٤٠ والكلمة واردة في Voc ص ٤٦٧.

وممّا هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية أيضًا ما يلي:

- المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل: عاِدل، فاسِ، طائِل، سائس ... إلخ.

وهذا معروف في العامية الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب، وإليها ينتمي صاحب الملعبة، أما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح.

- المحافظة على صيغة اسم الموصول: الذي، فاستعماها هكذا متكرر في الملعبة، وهي المستعملة في أمثال الزجالي وأغلب النصوص الأندلسية العامية.

- ورود التنوين المفتوح، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجـــال، وقـــد تحدثت عنه في دراسة أمثال الزجالي. انظر ج ١ ص ٢٨١– ٢٨٢.

- استعمال " إكان " بمعنى لَوْ، وأصلها أن كان.انظر رقم٣٤١.

- استعمال "بحل" للتشبيه، وهو استعمال مـــا يـــزال جاريًا في اللهجة المغربيـــة إلى اليوم.

- استعمال "ترى" "وإذا به" انظر الأرقام ٢٠٢، ٤٢٧،٢٣٠، وهو استعمال أندلسي سجله معجم Voc ص ٣٦٠.

وتستعمل أيضًا بمعنى "ها هو" انظر دراستنا لأمثال الزجالي ج ١ ص ٢٩٨.

- استعمال "لس " أي ليس. رقم ١٩.

- استعمال "هَوْلَ " أي هؤلاء، رقم ٢٥٥، وترد كذلك في الأزجـــال الأندلـــسية (العاطل الحالي: ٥٠) وهي في معجم Voc ص ٤٤٤.

- استعمال "ذوك" بمعنى أولئك رقم ٢٥٥.

وقد وردت في الملعبة أمثال عامية توجد عند الزجالي وابن عاصم، ومنها:

- أش دعانا لراس الاقرع.. رقم ١١٠.

- الاعمش في حضرة العميا ...رقم ٣٥٠.

- لا مكان ولا إمكان. رقم ٤٦.

- إذا نـــزل لقضا عمت الأبصار. رقم ٦٧.

- زز قادسي. رقم ٤٢٥.

- در في غزولك. رقم ١٩١.وبعضها ما يزال مسموعًا إلى اليوم.

إن هذا التماثل بين ملعبة الكفيف الزرهوني وبين النصوص الأندلسية مـــن حيـــث الاستعمال يمكن تفسيره بما يلي:

- تأثر الزجال المغربي القديم بمحفوظه من الأزجال الأندلسية.

- اشتراك لهجتي الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ التي تعتبر ألفاظًا مغربية بالمعنى الواسع.

- تأثر لهجة منطقة جبالة التي ينتمي إليها الكفيف باللهجة الأندلسية بحكم القرب والجوار، ولأن أهل جبالة أو غمارة كانوا يقومون دائِمًا بفرض الجهاد في الأندلس ويتطوعون بدخولها من أجل ذلك ثم يعودون إلى ديارهم، ثم إن عددًا كبيرًا من الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة في أفواج متعاقبة فرارًا من الفتن التي كانت تنشأ في الأندلس، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة، ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها.

ومع ما ذكرناه من مؤثرات أندلسية في الملعبة، فإنها تحتفظ بخصائص محلية، هي خصائص لهجة جبالة، وهذه المنطقة تمْتَدفي شكل هلال من طنجة إلى تازا، وهي محفوفة بحزام من المدن هي النكور وبادس وتيجساس وتطوان وسبتة، والقصر الصغير وطنجة، وأصيلة، والقصر الكبير، والبصرة، واسْجَن، وبني تاودة، ووليلي وفاس، وقد انتشرت اللغة العربية في هذه المنطقة، بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية، وارتباطها بالمسالك التجارية، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها، وساعد في تعريبها أيضًا مجاورتها للأندلس وصلتها بها، وقيام إمارات إدريسية وغيرها فيها.

ويذكر الإدريسي أن القبائل المجاورة لفاس - حيث نشأ صاحب الملعبة - كانت تتكلم بالعربية، قال: "ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياتة وسلاجون"[1].

---

(١) "نزهة المشتاق": ٢٤٦ (الطبعة الإيطالية)

وقد درس المستعربون مثل بروفنسال وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الأولى من هذا القرن[1]، وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي تجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني.

ومن أبرزها:

- حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف:

مِنّا، أي منها. رقم ٧.

ما أصعبا، أي ما أصعبها. رقم ٥١.

ما أشرا، أي ما أشرها. رقم ٥١

شرقا، أي شرقها. رقم ٤٩. ومثل هذا كثير في الملعبة.

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون، ويفتح ما قبلها، كقوله:

ما شراها مليك ولا باعَهْ. (أي باعها) رقم ١٤.

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة أهل تطوان، فهم يقولون في المثل: إذا جاتْ تقودَهْ بشعرا.

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم ٥):

كانت إذا ذكرت كره خبْرا

وقال اسمَهْ يفرق الإخوان

أي كره خبرها، وقال: اسمها.

- حذف الهاء أيضًا من ضمير الغائبين (الغائبات) كما في قوله:

بينَم، أي بينهم. رقم ٢١٧.

---

(١) لبروفنسال كتاب في لهجة ورغة، ولكولان كتاب في لهجة تازة.

لَم، أي لهم. رقم ٣٤١.

عندمْ، أي عندهم. رقم ٣٣٩.

ومثل هذا متكرر في الملعبة، وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها.

- استعمال فعل "ألقى " بمعنى عمل كقوله:

- حتى ألقى سلسلاً لذاك الشأن.رقم ٣١.

وما تزال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء. وهي بـــالراء في لهجـــة غرناطة. انظر ALC وقاموس دوزي.

- استعمال "فاه" من الأسماء الخمسة، ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين أنه ما يزال موجودًا في لهجة جبالة.

وثمة بعض الظواهر الصوتية في رسم النسخة الخطية الوحيدة للملعبة، ككتابة الـــصاد سينًا في الكلمات التالية:

- السحرا، أي الصحراء. انظر الأرقام ٣٧،٣٦.

- يسورو = يصورو. رقم ٤٧.

- يسرح، أي يصرح. رقم ٥٨.

- التسريح = التصريح.رقم ٥٨.

- السح، أي الصح والصدق.رقم٢٦٧

- الحسرا = الحصرا. رقم ٣٥٢.

- الحسران، أي الحصران والحصار. رقم ٤٧١.

وكتابة الضاد دالاً مثل:

- ودحا= وضحى، أي وأضحى.رقم٢٢٤.

وكتابة الزاي جيمًا مثل البيجان أي البيزان. رقم ٣٣٦.

ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أو لهجة الناسخ المجهول؟ونشير بالمناسبة إلى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض. وقد أشرنا إلى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة.

ويبدو أن الكفيف كان يعرف الأمازيغية، فقد استعمل جملة من كلماتها، واستعان بها في بعض قوافيه، وها هي الكلمات الواردة في الملعبة:

- إيسان، أي الخيل رقم ١١٦.
- أسردان، أي البغال. رقم ١٤٢.
- أنـزران أي المطر. رقم ٢٣٦.
- إيمزدغن، أي السكان. رقم ٣٤٢.
- أزرزي، أي الكلفة المخزنية، ومنها الكلمة المعروفة الزّرْز، أي الحمال. رقم ٣٤٥
- غيلاس، أي النمر أو الذئب. رقم١١٤.
- تاسا، أي الوسط. رقم ٢٨٨.
- تيسدنان أي النساء. رقم ٢٢١.

ومن المعروف أن شيخ الزجّالين: "ابن قزمان" استعمل في أزجاله بعض الكلمات البربرية، مثل: أشكد.

ونشير في النهاية إلى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المستوى الفصيح، ويتجلى في طائفة كبيرة من الألفاظ المعجمية مثل الرّان، الزرق، القطعان، الشعراء، المعجر، الصافنات، وغيرها.

كما يتجلّى في التراكيب العربية التي لا ينقصها إلا الإعراب، ولا شك أن هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المتين من اللسان العربي المبين.

جـــ العامية الأندلسية والمغربية بين أمثال الزجالي وملعبة الكفيف الزرهوني(*)

للدكتور/ محمد بنشريفة

من المواضيع التي برز فيها الباحثون المستعربون وقصر فيها العرب الدارسون موضوع الخرجات العجمية الذي كان موضوع ندوتكم السابقة، وموضوع اللهجات العامية العربية الذي تدور حوله بحوث ندوة هذه السنة.

ويرجع تقصير الباحثين العرب في هذين الموضوعين إلى أسباب متعددة ومختلفة، منها عدم الخروج عما درج عليه الأسلاف من إهمال لأمثال هذه الموضوعات، وأنها لا تستحق أن تدون في المجلدات المخلدات، ومنها الخوف على اللغة العربية الفصحى ولا سيما بعد أن دعا بعضهم إلى استعمال العامية بدلاً من لغة القرآن، ومنها في الأخير أن موضوع الخرجات يتطلب معرفة باللهجات الرومانسية، وتوسعًا في أعاريض الأزجال والموشحات، وتضلعًا في الشعر الإسباني الذي تعرف مجاميعه بـ "الرومانثيرو"، وللأسباب التي ذكرناها وغيرها لم يبدأ إسهام الباحثين العرب في الموضوعين المذكورين إلا في العقود الأخيرة، وقد نشرت كلية الآداب في الرباط كتابًا يشتمل على ما كتب بمختلف اللغات مما له تعلق بهذين الموضوعين خلال مئة وثلاثين سنة، ويبدو من حصيلة هذا الكتاب مصداق ما قلناه(١).

إن العود إلى هذين الموضوعين في ندوتكم هو مما يدعى بالعود الأحمد، وذلك لكي نعرف ما ظهر من نصوص، وما جد من بحوث، ولكي يقع التلاقي ويحصل التعارف بين الجامعيين العاملين في هذا الميدان، وكما تعلمون فقد خلف الأعلام

(*) نشر بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والثمانين، ص ١٩٤.

(١) Languc et Sociètè au Maghreb, Bilan et Perspcctives.

الرواد جيل من الباحثين الكهول والشباب، ومنهم الذين دعوا إلى ندوتكم الأولى وهذه الثانية، وهم يواصلون الجهود ويتابعون البحوث ويصلون إلى نتائج جيدة، وإذا سمحتم فسأمثل لهم بالأستاذ فدريكو كورينتي المحرك والمنسق لهذه الندوة والتي قبلها زاده الله طاقة على العمل وتوفيقًا فيه.

وبعد، فإني سعيد بالمشاركة في هذه الندوة العلمية الدولية المخصصة لمدارسة المداخلة اللغوية بين العربية واللغات الرومانسية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

ومثيلاتها في سائر اللهجات العربية الثغرية، وقد اقترحت على اللجنة المنظمة أن أسهم بمقالة في محور لهجات الأندلس والمغرب، وأنا وإن لم يكن لي تخصص في الدرس اللغوي أو اللساني الحديث، فقد كان من قدري أن اشتغلت بتحقيق بعض النصوص العامية القديمة في الأمثال والأزجال، وقد طبع منها: " أمثال العوام للزجالي"و"ملعبة الكفيف الزرهوني"، ومما هو معد للطبع: "أمثال ابن عاصم" و"أمثال أبي مدين الفاسي "، و"أمثال مغربية قديمة " لمؤلف مجهول، ولعل اشتغالي بهذه النصوص وغيرها هو مبرر كوني بين الموجودين في هذه الندوة من اللغويين واللسانيين، ومن المعروف أن النصوص ولا سيما العامية منها هي المادة الأولى التي يقوم عليها عمل هؤلاء.

وإذا كنت سأعود إلى الكلام عن "أمثال الزجالي" و"ملعبة الزرهوني" فلأن بعض المشتغلين في هذا الميدان لم يقفوا عليهما أو لم يلتفتوا إليهما، ومن هؤلاء الشخص الذي استأجرته مؤسسة كونراد أديناور وانتدبته كلية الآداب بالرباط لوضع ببليوغرافية عن لهجات الغرب الإسلامي، وقد احتطب ما شاء أن يحتطب ولكنه أغفل "أمثال العوام في الأندلس" التي طبعت في مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية بفاس عام ١٩٧١م، "وملعبة الكفيف الزرهوني" التي طبعت في المطبعة الملكية بالرباط عام١٩٨٧م، وسواء أكان إغفال هذين العملين سهوًا أم قصدًا من جامع الببليوغرافية المذكورة فإنه مسؤول عما فعل أمام المؤسسة والكلية اللتين استأمنتاه على عمل أخل

بشيء من شرطه، ومسؤول أمام ضميره أو أمام همته، كما أن من جملة ما أغفلته هذه الببليوغرافية الناقصة ديوان الششتري بتحقيق النشار، وديوان ابن قزمـــان بتحقيـــق كورينتي، ولست أدري كيف لا يشتمل مسرد بليوغرافي حول اللهجة الأندلـــسية على النصوص الأربعة المذكورة مع أنها أطول النصوص وأهمها في هذه اللهجة.

ومهما يكن من أمر فإني أنتهز مناسبة هذه الندوة لأخبر الزملاء المنتدين بعزمي على إخراج طبعة جديدة مزيدة ومنقحة لكل من أمثال الزجالي وملعبـــة الكفيـــف، وفي انتظار ذلك أود أن أقتصر هنا على التعريف بقيمة هذين النصين وفائـــدتهما في تعميق معرفتنا باللهجة الأندلسية، وهي التي تتميز عن اللهجات العربية القديمة بتوفرها على معاجم ووثائق جعلت الدارسين يعرفونها أحسن من غيرها، فأما المعاجم فمنـــها كتب لحن العامة التي ألفها الزبيدي وابن هشام وابن هانئ وابن خاتمة، ومنها معاجم المسيحيين مثل المعجم المنسوب لريموند مرتين ومعجم بطرس القلعي. وأما الوثـــائق فنجدها في مجاميع الأمثال ودواوين الأزجال وغيرهما، ومن النـــوع الأول مجمـــوع الزجالي الذي نبدأ به فنقول:

تعتبر الأمثال شريحة من شرائح التعبير اللغوي ولونًا من ألوان القول أوفنًّا من فنونه، وقد ظلت في تقا ليد الدراسة الأدبية أدون فنون القول مقامًا، وأهونها شـــأنًا، وأقلها عناية واهتمامًا، ويستوي في هذا الأمثال الفصيحة والمولدة والعامية، و لم يقـــع الاتجاه إلى الاهتمام بهذه الأخيرة إلا في السنوات الأخيرة، ومما يلاحظ أن ثمة فراغًـــا بين ما يعرف باسم أمثال المولدين التي جمعها الميداني (٥١٨) وبين الأمثال العاميـــة المستعملة فى عصرنا، ولعل الأندلس تشكل استثناء، فقد دونت أمثالها العامية منذ أن برزت خطوط الشخصية الأندلسية، ووضحت معالـــم المجتمـــع الأندلســـي بـــدءًا بابن عبد ربه في "العقد"، ومرورًا بابن هشام اللخمي الإشبيلي ويحيى الزجـــالي وأبي بكر ابن عاصم، وختمًا بابن القفال[١].

---

(١) انظر الفصل الذي خصصناه لتاريخ الأمثال في الأندلس وذلك في القسم الأول من كتابنا.

تعتبر مجموعة الأمثال التي استخرجناها من كتاب "ري الأوام" للزجالي أكبر المجموعات الأندلسية وأهمها على الإطلاق، وقد بينا في دراستنا قيمتها التاريخية والاجتماعية والأدبية واللغوية، وسنقف في هذه المقالة عند بعض الملامح العامة في اللهجة الأندلسية، كما تبدو في الأمثال المذكورة، ولنرى كذلك مدى دلالتها ومطابقتها لما توصل إليه الباحثون في قواعد هذه اللهجة وخصائصها الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، ومن قدماء هؤلاء الباحثين كولان وشتايجر وأسين على سبيل المثال، ومن المحدثين كورينتي على سبيل المثال أيضًا؛ وتجدر الإشارة إلى أن بعض علمائنا الأقدمين نبهوا على بعض الظواهر اللغوية في لسان أهل الأندلس، مثل: الإمالة، والتصغير، والتنوين المنصوب، وإطالة الحركات، ووقوع القلب والإبدال في كلامهم، كإبدال النون ميمًا، وإبدال التاء طاء، وإبدال القاف كافًا أو نطقها معقودة، كما نبهوا على تغاير اللغات واللهجات في الأندلس، فلغة أهل فحص البلوط غير لغة أهل قرطبة، ولغة أهل شرق الأندلس تتميز عن غيرها، ولأهل الثغر لغتهم التي ظلوا معروفين بها حتى بعد لجوؤهم إلى مملكة غرناطة، أما كلام أهل غرناطة، فلعله الأكثر تدوينًا والأوضح سمة من سواه.

إن أمثال الزجالي- كما هي مرسومة ومشكولة في النسخة المروية عن مؤلفها – جاءت مؤكدة لكثير من المعطيات المبسوطة في دراسات، وعندما نشرتها في قسمين: دراسة ونصوص، كنت أطمع في أن تكون باعثة على الاهتمام بدراسة الأدبيات الشعبية واللهجات الأندلسية والمغربية في كلية الآداب، ولكني كنت في هذا كأشعب وأضرابه، فبعد مرور عشرين سنة على صدور تلكم الأمثال ظهر في الكلية المذكورة كتاب حول البحث اللغوي في المغرب خلال مئة وثلاثين سنة، ولم يرد فيه ذكر لأطروحتي، وأنا لا أريد هنا توجيه اللوم إلى المشرفين على إصدار هذا الكتاب، وإنما أريد تسجيل أمر بدا لي على جانب كبير من الغرابة، وقد يكون السبب فيه

سوء التوزيع أو سوء النية، أما سوء التوزيع فإني معترف بوقوعه وعارف بسببه، فقد طبع القسم الثاني قبل القسم الأول، وطبع من القسم الثاني ٢٠٠٠ نسخة و لم يطبع من القسم الأول إلا ١٠٠٠ نسخة، وهذا ما يدفعني إلى الاتجاه إلى دار نشر تضمن توزيعه في المغرب والمشرق، وأما سوء النية فهو شيء مفترض، لأن العدد الأول من مجلة كلية الآداب – وهي الكلية التي نشرت الكتاب المذكور – يحتوى على مقال طويل (من ص٢٥١ إلى ص٢٧١) كتبه محمد زنيبر في التعريف بأمثال الزجالي، وقد جاء في آخر هذا المقال ما يلي:

"ومجمل القول أن محمد بنشريفة فتح في هذا الفصل (يعنى الفصل الخاص بلغة الأمثال) بابًا من البحث الشيق والمفيد في تطور اللغة العربية من الفصحى إلى العامية، وفي المقارنة بين مختلف اللهجات الدارجة في العالم العربي المعاصر، ونغتنم الفرصة لنعبر عن تمنٍّ نقدمه للسلطات الجامعية ولكل المثقفين وهو أن تحظى اللهجات العامية باهتمام خاص في برامج الدراسة والبحث، ولا تبقى من المواضيع التي لا يلتفت إليها إلا المستشرقون " و لم يتحقق تمني زنيبر مثلما لم يتحقق طمعي.

وإذا كانت "أمثال الزجالي" وملعبة الكفيف الزرهوني قد ضاعتا أو لم تستدعيا إلى تلك "المأدبة" اللغوية التي كانت جَفَلَى لا نَقَرَى فإنها قد لقيت ترحيبًا خاصًّا لدى العارفين في المشرق والمغرب، وقد سمعت من الثناء عليها ما أخجل تواضعي، وليس هنا مقام الكلام في هذا، فلنرجع إلى الموضوع.

نظرًا لأن الموضوع العام لهذه الندوة الدولية هو التداخل بين اللغات فسأتحدث عن آثار التداخل بين العربية والعجمية في أمثال الزجالي وآثار التداخل بين العربية والبربرية في ملعبة الكفيف الزرهوني وسأبدأ الأول، فأقول:

لقد وردت نصوص متعددة تشير إلى أن أهل الأندلس عامة والعجم منهم خاصة، كانوا يعرفون العجمية (الرومانثية) وقد بنى الدارسون المحدثون من المؤرخين

واللغويين على هذا وجود الازدواجية أو التعددية اللغوية في المجتمع الأندلـــسي، وإذا كانت " خرجات " الأزجال وغيرها تشهد لهذا فإننا نلاحظ أن الأمثال، ومنها أمثال الزجالي وأمثال ابن عاصم، يندر فيها وجود الكلمات الأعجمية، وكـــان المنتظـــر حسب ما يذكـــر من انتشـــار العجمية في البيئات الشعبية أن يكون عدد الكلمات العجميـــة كثيـــرًا في الأمثال المذكورة، وأما أثر العجمية في الشعر الفصيح فإنه أندر من الكبريت الأحمر، وإذا كنا نجد ظرفاء عباسيين يملحون أشعارهم بكلمات فارسية، وظرفاء مصريـــين يملحـــون أبياهـــم بكلمات تركيـــة فإننا لا نجد مثل هذا لـــدى الشعـــراء الأندلسيـــين إلا نادرًا، ومن ذلك تلكم المداعبة المشهورة الـــتي جـــرت بمجلس عبد الرحمن الناصر بين عبد الملك بن جَهْور وأبي القاسم بن لُب، وفيها يقول هذا الأخير:

لولا حيائي من إمام الهدى
نخست بالمنخس "شو قُولُ"

و"شو قول" هي: su culo (١).

ومن ذلك أيضًا ما جاء في اقتباس الأنوار للرّشاطي (وهذه الشهرة مبنية على كلمة أعجمية): "وقّش: قرية بثغر الأندلس، قال بعض المُجّان:

جَارِية أبصرتُها ناهِدًا
في قَرْيَةٍ تُعْزى إلى وَقّش
قُلْتُ لِمَنْ نَهْدَاكِ يَا هَذِهِ
قَالَتْ بِرُومِيَّتِها: "تُوَشِ (٢)"

(١) راجع الخبر في البيان لابن عذاري .

(٢) اقتباس الأنوار (مخطوط) و لم يرد البيتان فيما طبع منه.

معنى توش: متاعك"[١]. وهذا رسمها بالحروف اللاتينية: tuas، وإيراد الرشاطي المحدّث للبيتين وشرحه للعبارة الأعجمية يدلّ على ظرفه ومعرفته بعجمية الأندلس، وهو أمر مقرّر ومؤكد، فقد كانت مربيته عجمية، وإذا كان مثل هذا نادرًا جدًا في الشعر الفصيح، فإنه شائع في الأزجال والموشحات، ولاسيما في الخرجات، ومع هذا فإن أثر العجمية في اللغة العربية الأندلسية هو في نظرنا دون ما يظنّ، وهذا مع احترامنا لجهود سيمونيت وغيره في هذا الميدان، ولعلّه من الطبيعي أن يكون أثر اللغة العربية في القشتالية وغيرها من لغات شبه الجزيرة هو الأقوى والأوضح، ويدلّ على ذلك قاموس الأكاديمية وغيره.

إن التأثير والتأثر بين العربية والعجمية في الأندلس يظهر في مستويات متعددة، نذكر منها ما يلي:

١- المستوى المعجمي أو مستوى الألفاظ، وهذا هو أبرز مستويات التداخل اللغوي في جزيرة الأندلس، والجانب الذي يعنيني هنا هو الألفاظ الرومانثية الداخلة أو الدخيلة في عربية أهل الأندلس، وهذه الألفاظ نجدها على الخصوص في كتب النبات مثل كتاب "المفردات" لابن البيطار[٢] وكتاب "عمدة الطبيب"لأبي الخير الإشبيلي[٣]، ومنه استخرج أسين بلاثيوس "معجم الألفاظ الرومانثية" المنشور عام ١٩٤٣م، كما نجد هذه الألفاظ في المعاجم الأندلسية (التي وضعها مسيحيون مثل Voc وAlc اللذين أشرت إليهما سابقًا، ونجد أيضًا شيئًا من هذه الألفاظ في كتب لحن العامة الأندلسية ولكنها قليلة، والذي نجده من هذا المستوى في أمثال الزجالي، حوالي ٢٥ كلمة.

---

(١) في voc ص ٦١٨: متاعك : tuas وهو تفسير مطابق لتفسير الرشاطي .

(٢) راجع عمل الأستاذ إبراهيم بن مراد في هذا الكتاب المطبوع قديمًا .

(٣) نشرته أكاديمية المملكة المغربية في مجلدين بإعداد الأستاذ محمد العربي الخطابي.

٢- ومن مستويات تأثير العجمية في العربية العامية بالأندلس تلكم المقاطع التي توجد في آخر بعض الكلمات العربية، وأشهرها وأكثرها مقطع "on" الذي جرى الأندلسيون على جعله في آخر الأسماء العربية، ومنها: زيد = زيدون، عمرو= عمرون، ويراد بهذا التكبير كما نصّ عليه المؤرخ الرازي(١) وقد ذكرت من هذه المقاطع سبع حالات وردت في أمثال الزجّالي وغيره، و لم يكن بعض علمائنا الأقدمين يجهلون معنى هذه المقاطع كما يدل على ذلك نص ورد في الذيل والتكملة(٢).

٣- ومن مستويات التأثير النّاشئ عن الاحتكاك باللغات الرومانثية في الأندلس واستعمال عجمها للغة العربية بروز بعض الحالات في الاستعمال اللغوي، مثل: تأنيث المذكّر، وتذكير المؤنّث، واستعمال الجمع محل المفرد، والمفرد محل الجمع وما أشبه ذلك، وقد فسّر الأستاذ خ.ب. لاثرو أمثلة عديدة وردت فى مدخل ابن هشام من هذا القبيل، ومن المعروف أن مثل هذا قد حصل أيضًا بسبب التداخل اللغوي والثقافي بين العربية والفارسية، والعربية والبربرية، ومن أشهر الأمثلة التي نضيفها إلى ما عدّده زميلنا المذكور كلمة باب التي يؤنثها عامّة أهل فاس ويسري غلطهم فيها إلى الخاصة، كما أن البربرية تؤنّث كلمة المسجد قياسًا على كلمة الكنيسة، وانسحب ذلك على كلمة جامع التي وردت مؤنّثة في بعض النصوص التاريخية، وما تزال هذا الاستعمال في شمال المغرب.

٤- وثمة مظهر آخر للتداخل بين العجمية والعربية في الأندلس نلحظ شيئًا منه على مستوى التركيب، ومن أمثلته في أمثال الزجّالي قولهم:

غُبَارُ الغَنَمِ كُحُول هُو لِعَيْن السَّبع(٣).

---

(١) يبدو أنّ الأستاذ كوريينق لم يهتم بهذا النص الذي ورد في المعيار للونشريسي .

(٢) الذيل والتكملة ١.

(٣) راجع أمثال العوام في الأندلس (القسم الثاني) .

فالمطابقة تامة بين التركيب العربي هنا والتركيب القشتالي وهو كما رواه سنتيلانا:
El polvo de la oveja, alcohol es para el lobo
وثمة أمثلة متعدّدة من هذا المستوى في أمثال الزجّالي وابن عاصم وكتب لحن العامة.

وبعد، فهذه مجرد إشارات عامّة إلى بعض ما يتعلق بالتداخل بين العربية والرومانثية في شبه الجزيرة الإيبيرية من خلال أمثال الزجالي، ومن المعلوم أن هذا القرطبي الأصيل بعد خروجه من قرطبة قضى شطرًا من حياته الأخيرة في مدينة مراكش التي دفن بها، ومن هنا فإن مجموعه في الأمثال يقدّم لنا كذلك شواهد على التداخل اللغوي بين العدوتين، ولاسيما على المستوى المعجمي أو القاموسي، وإنّه لأمر طبيعي أن يحصل هذا التداخل بعد ما يقرب من ثلاثة قرون من الوحدة بين المغرب والأندلس كانت مليئة بالتنقلات الكثيرة والمخالطات الواسعة ممّا من شأنه أن يقلص الفروق بين اللهجات العربية في الأندلس واللهجات العربية في العدوة، وأظنّ أن الأستاذ كولان كان على حق عند ما قال في معرض كلامه على "عامّية المغرب" في عصر الموحدين: "إنّ من حقّنا أن نتساءل إلى أي حدّ كانت العربية الدارجة في المغرب مخالفة للعربية الدارجة في الأندلس "(١).

قلت آنفًا: إن التداخل اللغوي بين العُدْوتين في هذا العصر كان شيئًا ملموسًا على مستوى الألفاظ المستعملة، وهذا ما تشهد له النصوص والمعاجم التي ترجع إلى تلك الحقبة، وسأورد أمثلة من هذه الألفاظ فيما يلي:

- قطيم: وصمة يعير بها من بهم شذوذ جنسي، وهي في Voc ص٥٨٣، وقد استعملت في الشعر الفصيح، ووردت في أمثال متعدّدة عند الزجالي رقم ١٦٥، ورقم ٣٨٤، ورقم٤٨٨، ورقم ٥٢٠، ورقم ٧٨٧، ورقم ٩٦١، ورقم ١٦٦٤. وقد كان

(١) هسبيريس ١٩٣٠م.

أبو العباس السبتي يتلفظ بهذه الكلمة كثيرًا (الأعلام للمراكشي ١: ٢٤٠) والكلمة غير مستعملة اليوم.

- قِطاع: درهم، وهي أيضًا في Voc ص ٤٩٤، وقد وردت في أمثال متعدّدة عند الزجّالي (انظر الفهرس) واستعملها ابن قزمان وغيره من الزجالين كما استعملها عبد الواحد ابن عاشر الفاسي الأندلسي الأصل في منظومته الفقهية، وذلك في قوله:

ثمَّ الصَّلاةُ والزَّكَاة في القِطَاع

والصَّوْمُ وَالحَجُّ عَلَى مَنِ اسْتَطَاع

والواقع أن الكلمة قاموسية فصيحة، جاء في القاموس للفيروزآبادي: قطاع ككتاب الدرهم، ولكن استعمالها شاع في الأندلس والمغرب في العصر الذي نتحدّث عنه، ثمّ إنّه لم يعد مستعملاً في العهود المتأخرة، ولهذا فإن المثل الذي كان يقال في زمن الموحدين بهذه الصيغة:

حاجة بقطاع: يهودي يقضيها. أصبحت صيغته بفاس في القرن الثاني عشر الهجري هكذا: حاجة بالدرهم: يهودي يقضيها.

- تَوْر (أي حسكة أو شمعدان) وهي من الكلمات المذكورة في Voc ص ٢٧٩ وقد وردت في أحد أمثال الزجالي رقم ٨٠٧، ونجدها مستعملة في مؤلفات العصر مثل كتاب الاستبصار (ص ٢٠) وقد رسمها محقق الكتاب بالثاء المعجمة، والكلمة قاموسية فصيحة، وهي واردة في الحديث، ولكن الجديد فيها هنا هو تطور الاستعمال من إناء يشرب فيه إلى شمعدان يستضاء به.

- الجوف (بمعنى الشمال) موجود في Voc وفيها أيضًا: ريح جوفي أي ريح الشمال، وهذا الاستعمال موجود في كتب الجغرافيا القديمة وكتب الوثائق، ونجده كذلك في الشعر الأندلسي، فمن ذلك قول ابن اللبّانة يمدح ابن الأفطس:

وقدْ كَانَ قُطرُ الجَوْفِ كَالجَوْفِ يشتكي

سَقامًا فَلَمّا زُرْتَهُ زارهُ الطبُّ[١]

فالجوف الأول معناه الشمال والثاني هو المعدة، ولابن الخطيب بيتان في السّها من النجوم الجوفية استخدم فيهما التورية بكلمة الجوف[٢] التي تحتمل معنيين كما رأينا، وإذا كانت كلمة القبلة بمعنى الجنوب ما تزال مستعملة، فإن كلمة الجوف التي كانت تستعمل بمعنى جهة الشمال لم يبق لها هذا المعنى في الاستعمال الحالي.

- قطيع أي قنينة طويلة العنق، وهي في قاموس Voc وجاءت في أمثال متعددَة عند الزجالي (انظر الفهرس) وهي واردة أيضًا في الأزجال والموشحات والأشعار، ومن ذلك قول ابن الطّبْي:

لا تَسْقِنِي إلاّ بكَاسٍ إذا

شَرِبْتُهَا تَمْلِكُ عَقْلِي جَميع

وَزَادَكَ اللهُ سُرُورًا إذا

سَقَيْتَنِي بِالْجَامِ أوْ بِالقَطِيع[٣]

وقول ابن الإفليلي:

صَحِبْتُ القَطِيعَ وَنَادَمْتُهُ

وَأصْبَحْتُ في شُرْبِهِ ذا انْقطاع

وأبْصَرتُ أنْسِي بِهِ وَحْدَهْ

كَأنْسِ الرَّضِيع بِثَدْي الرّضَاع[٤]

---

(١) المغرب لابن سعيد، والقلائد والذخيرة .

(٢) راجع ديوانه بتحقيق محمد مفتاح .

(٣) المغرب لابن سعيد .

(٤) نفسه .

ولم تعد هذه الكلمة المسموعة في طرب "الآلة" أو الموسيقا الأندلسية معروفة لدى عموم الناس.

– طرقون: صاحب الملاهي، وردت بهذا المعنى في Voc ويستفاد من نص لابن الخطيب في الإحاطة أنها كانت معروفة في أوّل عصر الموحّدين، ونقل مؤلف كتاب "المعزى" أن أهل مراكش كانوا يطلقون هذه الكلمة على أبي العباس السبتي على سبيل السخرية، وقد وردت الكلمة أيضًا في شعر للفقيه عمر الزجال، قال: وقد جلس الطرقون بالبعد مطرقًا يقول: نصيبي أو أبوح بكتماني[1]. – ضيف، ضيفة، بمعنى السيد والسيدة اللذين لهما خدم وحشم، والجمع أضياف، وقد جاء كل هذا في Voc ص٣٥٦، واستعمل في ثلاثة أمثال عند الزجالي رقم ٤٩٧ ورقم ١٣٣٩ ورقم ٢٠٦١.

وسجّل هذا الاستعمال بطرس القلعي، وعلى هذا الأساس نفهمه في رسالة لبوعبدل إلى الملكين الكاثوليكيين تبدأ هكذا: "إلى السلطات والسلطانة أضيافي ..." وقد ظل هذا الاستعمال معروفًا في المغرب، ونقف عليه في نصوص مختلفة، ومنها رسالة وجهها أهل مدينة أسفي إلى عما نويل الأول ملك البرتغال وهي تبدأ هكذا: "ضيفنا ومولانا السلطان ...".

–حلاّل، بمعنى لص ويجمع على حلالين. والكلمة بهذا المعنى في Voc ص ٤٠٢ واستعملها المؤرّخ البيدق بهذا المعنى، وقد وردت في أمثال الزجّالي.

وثمة كلمات ترجع في الأصل إلى العهد المذكور أو ما قبله، وما تزال حية إلى اليوم ومنها:

– بنّيس: إناء معين، والكلمة فيVoc ص٦٢٠ وتجمع على بنانيس، وقد وردت في نصوص أندلسية ومغربية متعددة وفي أمثال الزجالي رقم ٦، ثم تُنوسي الاستعمال

---

(١) أزهار الرياض المقرى، وراجع الكلمة في Voc ودوزي .

الأصلي وبقي الاستعمال المنقول إلى لقب أصبح علمًا مستعملاً إلى يومنا هذا تمامًا كما هو الشأن في كلمة برادة، وكلاهما الآن اسمان لعائلات كثيرة في المغرب.

- فنيش للبغل أو البردون، وهي في Voc ص٢٧٣ وتجمع على فنانيش، وقد ورد استعمال الفنيش في كتاب "الأنيس المطرب" لابن أبي زرع، وذلك في سياق خبر مقتل المستنصر الموحدي (ص٢٤٣)، ثم تنوسي هذا المعنى بعد أن نقل اللفظ إلى حقل الألقاب التي تصبح أسماء عائلية أو أسماء شهرة، وما يزال هذا الاسم العائلي معروفًا في المغرب إلى اليوم.

- فقّون. هذه الكلمة توجد كذلك في Voc ص ١٥٦ وهي مأخوذة من الكلمة العجمية: فيقه أي التّين (عمدة الطبيب ١: ١٤٧) والفقّون هو ما نسميه بالباكور، ثم إن هذا المعنى تنوسي وأصبحت الكلمة بعد ذلك شهرة لعائلة قسطينية أنجبت عددًا من الأعلام الذين يحملون اسم الفقون أو الفكون؛ وقد نجد أمثلة من هذه الكلماتِ الأسماءَ التي هي من بقايا زمن الموحدين.

ثمّ إنّ نسبة كبيرة من ألفاظ Vocabulista المستعملة في القرن السابع الهجري، وهو القرن الذي عاش فيه الزجّالي ما تزال مسموعة في بلدان المغرب الكبي، ومنها الكلمات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

البرّاح (أي المنادي) ص٥٣٢، الرقّاص (من يمشي بالبريد) ص٣٢٨، السبّاط (النعل) ص٥٨٥، الزفّاط (الكذاب) ص٢٥٣، البسالَة (الفضول) ص٣٢٨، الدبيلَة (الهم) ص ٢٤٥، الحوّاس (السارق وقاطع الطريق) ص٥٣٢، السِّماط (الزقاق) ومنه سماط العدول بفاس ص٢٧٦، الزرع (القمح) ص٢٧١ الخَدِّية (المخدَّة) ص٢٦٣، الخوخة (خوخة الباب) ص٥٢٥، القندورة (الدرّاعة)، القرنية (الكابوس) ص٢٧٢، الطروس (الكلب) ص٢٧٩، الخطّارات (معروفة في مراكش وغيرها) ص٢٩١، البجماط (نوع من البسكويت) ص٢٧٠، الفحص (البيداء) ص ٢٧٧، أم الحسن

(طائر مغرد) ص ٥٢٢، الطيفور (إناء للأكل) ص٤٧٤، الفكية (الفاكهة) ٤٠٠ المرجع (مساحة في الحقل) ص٢٣٥، الحنبل نوع من الغطاء) ص٦٠٢، البندير (نوع من الدف) ص٦١٠، المخفية (إناء للأكل) ٦٢٠، الحضار (الكتاب) ص٥٧٢. اسفنّارية (الجزر) ص٥١٢، القبلة (الجنوب) شائعة.

وهناك مظهر آخر من مظاهر التداخل بين لهجات الغرب الإسلامي في عهدي المرابطين والموحّدين، وهو المتعلّق بالبربرية أو اللسان الغربي أو اللغة الغربية وهي Algarabia في الإسبانية وCharabia في الفرنسية، وأثر تداخلها مع اللهجات العربية في الأندلس والمغرب ملحوظ على مستوى الألفاظ، وعلى مستوى التراكيب، فبالنّسبة إلى الأول نجد في Voc مثل هذه الكلمات: تفرمة (البازي) ص٢٦٤، أسمس (مأدبة، نوع معين من المآكل) ص٣١٨، والكلمة مستعملة في كتابات المؤرخ البيدق وغيره، تمغرة (وليمة معيّنة) ص٣١٨، كما نجد في كتب لحن العامة الأندلسية كلمات أخرى، منها: أدغص أي اللبأ، وأكزل، أي المخصرة، وكرانه، أي الضفدع (ألفاظ مغربية٤٠، ١٤٤، ٣٠٨)، وفي أمثال الزجالي طائفة منها أيضًا: ازغار، أي السهل، والبسيط، وأغلال، أي الحلزون، وترخص، أي البيسارة التي تعمل من الفول.

وأما أثر البربرية في لهجات الغرب الإسلامي على مستوى التركيب فله أمثلة، وقد ذكر بعضها الأستاذ كولان معتمدًا على نصوص ترجع إلى العصر الذي نتحدث عنه، وقد استعمل ابن قزمان كلمات معدودات من البربرية فى أزجاله على سبيل التظرف، ولكن استعماله لها يدلّ على أن هذه اللغة كانت مسموعة في الأندلس، وقد قصّ ابن مرزوق في المسند حكاية ابن زهد (ولعله أبو بكر الحفيد) مع أحد خلفاء بني عبد المؤمن (ولعله المنصور) فقد سمع أهل الحضرة (أي مراكش) يتخاطبون بينهم باللسان المصمودي فتشوّف لتعلّمه وعبّر للخليفة عن رغبته فأمر أن تكتب له هذه اللغة، وتذكُر الحكايةُ أن الخليفة سأل ابن زهر بعد مّدة طويلة عمّا حفظ منها

فأجابه بأنه لم يحفظ إلا كلمة واحدة هي أوشّي أي أعطني، ولما سمعها الخليفة أعطاه ما أرضاه وأمره أن يستمرّ في التعلّم ولّما مرت مدّة أخرى من الزمن، سأله هل حفظ شيئًا جديدًا؟ فأجابه بأنه حفظ كلمة أخرى هي "رنّو" ومعناها زدني، فضاعف لـه الخليفة العطاء، ومهما يكن أمر هذه الحكاية فإن كتب البلدان مثل المسالك والممالك للبكري، وكتب النبات مثل "المفردات" لابن البيطار تحتوي على عدد كـبير مـن الألفاظ البربرية في أسماء الأماكن والنبات مع ترجمتها إلى العربية، وفي الأخـير فـإن "التوبونيميا" البربرية ما تزال متجذرة في شبه الجزيرة الإيبيرية.

وآخر ما أشير إليه باختصار شديد في موضوع التداخل هو المتعلّق بالاختلاف في الشكل، فأمثال الزجّالي توجد منها رواية حسب النطق الأندلسي ورواية أخـرى متأخّرة حسب النطق المغربي، وهذا جانب يحتاج إلى تفصيل وتمثيل.

وإذا كانت " أمثال الزجّالي "ذات قيمة كبرى ومنفعـة عظمـى لدراسـة الأندلسية والمغربية في عصر الموحّدين، فإن "ملعبة الكفيف الزرهوني" لها نفس القيمة والمنفعة تقريبًا بالنسبة إلى حالة العامية في عهد بني مرين، وقد لقيت "أمثال الزجّالي" اعتناء خاصًا واستعمالاً واضحًا لدى كبار المعنيين بهذا الموضوع من أمثال أسـتاذي المرحوم عبد العزيز الأهواني وأستاذي إميليو غرسية غومث وأصـدقائي الأسـاتذة إحسان عباس، ومحمود على مكي ولا كرانخا وكوريينتي ولاثرو، أما ملعبة الكفيـف فإنه لم يمض عام وبعض عام على صـدورها حتى ظهـرت لها ترجمة إسبانية مـع مقدمة وتعليقات، وإني لفخور أن يقوم بهذا العمل شيخ المستشرقين في وقتنا ضـون إميليو الذي يعرف جيّدًا ما أظهره وأضمره من إعزاز لشخـصه وإجـلال لعلمـه، وليست هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها التلاقي بين أعمالي المتواضـعة وأعمالـه، فقـد تلاقينـا في الأمثـال الأندلسية؛ إذ طبعت أمثال العوام في الأنـدلس عـام

١٩٧١؛ وظهرت أعماله القيّمة عن الأمثال الأندلسية في مجلة الأندلس فيما بين عام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٢ ولهذا فإن كلّ واحد منا يحيل على الآخـــر فيما توجبه الأمانة العلمية، وقد يقع بيننا الاختلاف في القراءة أو الفهم، ولكنّي أستمع إليه دائمًا باهتمام واحترام، ولّما نشرت مقامة طرْفَة الظريف قـام سيادته بترجمتها ونـشرها في مجلـة STUDI LA ISLAMICA مع مقدمة نوّه فيها بطرافة النّص ومجهودي في تحقيقـه، ثم تواصلت إشاراته إلي، وإحالاته عليّ، في إصداراته الأخيرة حول "الحمراء" وفي كل مرّة أستفيد من إضافاته القيّمة، وأما ترجمته التي نعتها بأنها شخصية أو خاصّة فلـم أفهم معناها بالضبط، إذ من الواضح أنه لابدّ من نصّ يرتكز عليه في الترجمـة، ولا شك في أن ترجمـة أستاذنا الجليـل كانت ممكنة بفضل النص الذي نشرته وشرحته وعرّفت بصاحبه وظروفه، وأنا أعترف بأن الأستاذ الجليل لا يزاحـم في ميـدان الأزجال، فهو شـيخ الأجيال في هذا المجال، وإذا كنت قد سـكت عمـا يتعلـق بالجانب العروضـي فلأنه مشكل وموضوع شائك، وإذا كان سيادته قد بـتّ في الأمر فإن لغيره رأيًا آخر فيه.

أما قضية التوزيع والترتيب فإني أشكر الأستاذ على توجيهه فيه، وسأفيد مـن هذا التوجيه وغيره في طبعة قادمة ستكون مشكولة حسب عروض الملعبة، والواقع أن اهتمامي في هذه الطبعة كان منصبًّا على المضمون التاريخي وغيره في الـنص، أمـا الجانب الشكلي- ولا سيما العروضي منه -فقد توقّفت فيه وأجَلت النظر فيه، وعلى كل فإن هذه الملعبة ما كانت لتصبح قابلة للقراءة والفهم لولا المجهود الذي بذلتـه، والمأمول أن نعثر على نسخة جيدة منها قريبًا بإذن الله، ولنرجع الآن بعد هذه الجملة الاعتراضية إلى الجانب اللغوي في الملعبة، وسأنقل هنا ما كتبته في مقدمة الملعبة حول هذا الموضوع؛ نظرًا لأن توزيع طبعتها كان محدودًا، وها هو نصّه فيما يلي:

يرى المستعرب الفرنسي الأستاذ كولان أن جميع الأزجال المغربية التي ترجع إلى ما قبل العصر السعدي قد نظمت باللجهة الأندلسية التي كانت بفضل أزجال ابن قزمان وغيره لغة الزجل "الكلاسيكية" ويبدو أنه استند في إطلاق هذا الحكم على نماذج الأزجال المغربية التي أوردها ابن خلدون في المقدمة، ومنها نموذج ملعبة الكفيف، ومع تضلع الأستاذ كولان في اللهجات، وتمرسه بقراءتها ودراستها، فإن حكمه المذكور يظل قابلاً للنقاش، فإذا كنا نعرف الكثير عن اللهجة الأندلسية بفضل وفرة نصوصها، فإنّنا لا نعرف طبيعة العامية المغربية القديمة، ولا مبلغ الفرق بينها وبين عامية الأندلس، وهو فرق سجله ابن خلدون عقب سرده أزجال الأندلسيين والمغاربة فقال: "واعلم أنّ الذوق في معرفة البلاغة منها (أي من الأزجال) كلها إنما يحصل لمن خالط تلك اللغة، وكثر استعماله لها، ومخاطبته بين أجيالها، حتى يحصل ملكتها كما قلنا في اللغة العربية، فلا يشعر الأندلسي بالبلاغة التي في شعر أهل المغرب، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمشرق، ولا المشرقي بالبلاغة التي في شعر أهل الأندلس والمغرب؛ لأن اللسان الحضري وتراكيبه مختلفة فيهم، وكل واحد منهم مدرك بلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من أهل بلدته"[١] وهذا الذي يقوله ابن خلدون لا ينفي طبعاً مستوى الفهم؛ فقد كانت أزجال ابن قزمان مقروءة في العراق والشام ومصر[٢]، وكانت مزدوجات ابن شجاع التازي، معاصر الكفيف الزرهوني، مروية في الأندلس إلى جانب أزجال مدغليس وابن قزمان والدبّاغ المالقي.[٣]

(١) المقدمة : ١٤٧٤ -- ١٤٧٥

(٢) الزجل في الأندلس، للدكتور الأهواني .

(٣) انظر أزهار الرياض ١ : ١٢٣، ووصف أفريقيا ٢ : ٦٤ .

ومهما يكن الأمر فإن ملعبة الكفيف تستعمل فعلاً لغة الزجـل الأندلـسي، وتشتمل على ألفاظ معروفة في هذه اللغة، ولعلّها كانت من الألفاظ المشتركة بـين عامية الأندلس وعامية المغرب، فقد ذكر بعضها ابن هشام اللغوي الإشبيلي السبتي في كتابه "لحن العامة"(١) وهذه طائفة منها:

- بلج، أي أغلق الباب بالبلج أي المغلاق. انظر رقم ١٩٤ وقد وردت في لحن العامة لابن هشام وفي ALC ص٩٧وVoc ص٤٠،٥٢١ وسـيمونيت ص ٤٣٨، ودوزي ص٤٣٨، ويقال: البلاج – وجمعه بلاجة أو بلاجين – لصاحب هذه الحرفة، وسوق البلاجين في فاس معـروف إلى اليـوم بهـذا الاسم. (انظر بيوتات فاس: ٢٤ دار المنصورة) وسمعت أن الكلمة مسموعة في منطقة الشاعر.

- ساف، وهو الباشق. انظر رقم ٩٧ ولحن العامة لابن هشام، ودوزي ١: ٧٠٣ وما تزال الكلمة مسموعة في بعض المناطق بالمغرب.

- شابل، اسم سمك معروف إلى اليوم في المغرب يصطاد من الأنهار. انظر رقم ٤٠٨ وابن هشام، والزجالي ٢: ١٤٠،٤٣٧.

- شاشية، هي القلنسوة. انظر رقم ٢٢٥ وابـن هـشام وVoc ص١٢٢ وص٢٨٠ وALC ص١١٧ وص١٤٣ ودوزي و١: ٨٠٢ وهي شائعة في المغرب.

- عاد، بمعنى بعد. انظر رقم ١٧٠ وقد ذكرها الزبيدي وابـن هـشام ووردت في. ALC ودوزي٢: ١٨٦، وما تزال مستعملة في المغرب. ووردت مرارًا في أزجال ابن قزمان.

- فدان، للموضع الذي يحرث أي الحقل، (رقم ٤٥٦) وهـي عنـد ابـن هـشام والزبيدي، واستعملها ابن قزمان بهذا المعنى. وانظر دوزي ٢: ٢٦٤.

---

(١) انظر ما نشره الدكتور الأهواني في مجلة المخطوطات .

- قيطون بمعنى خيمة استعملها بهذا المعنى ابن قزمان وهي معروفة فى المغرب. انظر رقم ٣٤٣.

- عصا موسى، وهي تسمية أندلسية للثريا. انظر رقم ٤٠٤.

- الزكروم: القفل والغلاق. رقم ٣٧١. وهي مدونة في Voc ص ١٨٨، وما تزال مسموعة في المغرب.

- الزز، بمعنى صفع القفا. رقم ٤٢٥، وهي مستعملة في الشعر الأندلسي فصيحه وعاميه، وفي أمثال الزجالي وغيرها وقد ذكرها الزبيدي في تاج العروس ثم قال: "وهي شائعة بالأندلس" وانظر ما كتبناه حول الكلمة في كتابنا: "أمثال العوام في الأندلس "٢: ٢٣٧.

- برّح، بمعنى نادى، والبراح المنادي، رقم ٢٩٨. وهي كلمة شائعة في النصوص الأندلسية والمغربية، ووردت في أمثال الزجالي ٢: ١٣٢، ٢٣٠، ٣٩٠.

- تور، بمعنى حسكة أو شمعدان رقم ٣٩٧ وقد وردت فى الاستبصار: ٢٠ وفي أمثال الزجالي ٢: ١٨٤ وهي في Voc ص ٢٧٨.

- قارح، بمعنى فرس وجمعه قُراح. رقم ١٤٥. ووردت في أمثال الزجالي ٢: ٣٥٣.

- مُجّة، بمعنى ثدي. رقم ٤٤٠ والكلمة واردة في Voc ص ٤٦٧. ومما هو مشترك بين لهجة الملعبة واللهجة الأندلسية أيضًا ما يلي:

- المحافظة على كسر عين اسم الفاعل من الثلاثي مثل:

عادِل، فارِس، طائِل، سائِس... إلخ.

وهذا معروف في العامة الأندلسية وعامية منطقة جبالة في المغرب، وإليها ينتمي صاحب الملعبة، أما الشائع عند غير جبالة فهو الفتح.

- المحافظة على صيغة اسم الموصول: الذي. فاستعمالها هكذا متكرر في الملعبة، وهي المستعملة في أمثال الزجالي وأغلب النصوص الأندلسية العامية.

- ورود التنوين المفتوح، وهو نوع من التنوين شائع في الأمثال والأزجال، وقد تحدثت عنه في دراسة أمثال الزجالي. (انظر ج١ ص٢٨١-٢٨٢).

- استعمال "إكان" بمعنى لو، وأصلها أن كان، (انظر رقم ٣٤١).

استعمال " بحل" للتشبيه، وهو استعمال ما يزال جاريًا في اللهجة المغربية إلى اليوم.

- استعمال "ترى" بمعنى"وإذا به". انظر الأرقام ٢٠٢، ٢٣٠، ٤٢٧. وهو استعمال أندلسي سجله معجم Voc ص ٣٦٠.

- استعمال "لس" أي ليس. رقم١٩.

- استعمال "هَوْلَ" أي هؤلاء. رقم٢٥٥. وترد كذلك في الأزجال الأندلسية. (العاطل الحالى: ٥٠وهي في معجم Voc ص ٤٤٤.

- استعمال "ذوك" بمعنى أولئك رقم ٢٥٥.

وقد وردت في الملعبة أمثال عامية توجد عند الزجالي وابن عاصم ومنها:

اش دعانا لراس الاقرع ... رقم١١٠.

الأعمش في حضرة العميا ... رقم ٣٥٠.

المكان ولا إمكان. رقم ٤٦.

إذا نـزل لقضا عمت الأبصار. رقم ٦٧.

زز قادسي. رقم ٤٢٥.

در في غزولك. رقم ١٩١.

وبعضها ما يزال مسموعًا إلى اليوم.

إن هذا التماثل بين ملعبة الكفيف الزرهوني، وبين النصوص الأندلسية من حيث الاستعمال يمكن تفسيره بما يلي:

- تأثر الزجال المغربي القديم بمحفوظه من الأزجال الأندلسية.

- اشتراك لهجتيْ الأندلس والمغرب في عدد كبير من الألفاظ، التي تعتبر ألفاظا مغربية بالمعنى الواسع.

- تأثر لهجة منطقة جبالة التي ينتمي إليها الكفيف باللهجة الأندلسية بحكم القرب والجوار، لأن أهل جبالة أو غمارة كانوا يقومون دائمًا بفرض الجهاد في الأندلس ويتطوعون بدخولها من أجل ذلك ثم يعودون إلى ديارهم، ثم أن عددًا كبيرًا من الأندلسيين استقروا بمنطقة جبالة في أفواج متعاقبة، فرارًا من الفتن التي كانت تنشأ في الأندلس، وخلال فترة الجلاء عن القواعد والمدن المفقودة ثم بعد الخروج الأخير من غرناطة وتوابعها.

ومع ما ذكرناه من مؤثرات أندلسية في الملعبة، فإنها تحتفظ بخصائص محلية، هي خصائص لهجة جبالة، وهذه المنطقة تمتد في شكل هلال من طنجة إلى تازة، وهي محفوظة بحزام من المدن هي النّكون وبادِس وتيجساس وتطوان وسبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلة والقصر الكبير والبصرة وأسْجَن وبني تاودة ووليلى وفاس، وقد انتشرت اللغة العربية في هذه المنطقة بفضل قربها من هذه المراكز الحضرية، وارتباطها بالمسالك التجارية، وانتشار المدارس القرآنية وغيرها، وساعد في تعريبها أيضًا مجاورتها للأندلس وصلتها بها، وقيام إمارات إدريسية وغيرها فيها.

ويذكر الإدريسي أن القبائل المجاورة لفاس- حيث نشأ صاحب الملعبة — كانت تتكلم بالعربية، قال: "ويسكن حولها (فاس) قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون بالعربية، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول (بهاليل) وزواوة ومجاصة وغياثة وسلالجون".[١] وقد درس المستعربون، مثل: بروفنسال، وكولان هذه اللهجة الجبلية في العقود الأولى من هذا القرن،[٢] وما تزال محتفظة ببعض الخصائص التي نجدها في ملعبة الكفيف الزرهوني ومن أبرزها:

---

(١) نزهة المشتاق : ٢٤٦ (الطبعة الإيطالية).

(٢) لبروفسال كتاب في لهجة ورغة، ولكولان كتاب في لهجة تازة .

- حذف الهاء من ضمير الغائبة في مثل قول الكفيف:

مِنا أي منها. رقم ٧.

ما أصعبا أي ما أصعبها. رقم ٥١.

ما أشرا أي ما أشرها. رقم ٥١.

شرقا أي شرقها. رقم ٤٩.

ومثل هذا كثير في الملعبة.

وفي بعض الحالات نجد الشاعر يقف على الهاء المذكورة بالسكون ويفتح ما قبلها كقوله:

ما شراها مليك ولا باعَهْ. (أي باعها) رقم ١٤.

ومثل هذا الاستعمال معروف في لهجة أهل تطوان، فهم يقولون في المثل: إذا جات تقودَهْ بشعرا ....

وقد جمع الشاعر بين الاستعمالين في قوله (رقم ٥):

كانت إذا ذكرت كره خَبْرا

وقال اسْمَهْ يفرق الأخوان

أى كره خبرها، وقال: اسمها.

- حذف الهاء أيضًا من ضمير الغائبين والغائبات كما في قوله:

بينَمْ أي بينهم. رقم ٢١٧.

لم أي لهم. رقم ٣٤١.

عِنْدَمْ أي عندهم. رقم ٣٣٩.

ومثل هذا متكرر في الملعبة. وهو مما يميز لهجة جبالة عن غيرها.

- استعمال فعل " ألقى " بمعنى عمل كقوله:

حتى ألقى سلسلا لذاك الشان. رقم٣١.

وما تزال مسموعة في مناطق جبالة وقد تنطق بالراء. وهي بالراء في لهجة غرناطة. انظر ALC وقاموس دوزي.

- استعمال " فاه"من الأسماء الخمسة. ولا يوجد هذا الاستعمال في اللهجات العامية في حين أنه ما يزال موجودًا في لهجة جبالة.

وثمة بعض الظواهر الصوتية في رسم النسخة الخطية الوحيدة للملعبة ككتابة الصاد سينًا في الكلمات التالية:

- السحرا، أي الصحرا ء.انظر الأرقام ٣٦، ٣١٧.

- يسورو = يصورو. رقم ٤٧.

- يسرح، أي يصرح. رقم ٥٨.

- التسريح = التصريح. رقم ٥٨.

- السح أى=الصح والصدق رقم ٢٦٧.

- الحسرا = الحصرا. رقم ٣٥٢.

- الحسران، أي الحصران والحصار. رقم ٤٧١.

وكتابة الضاد دالاً مثل:

- ودحا = وضحى أي وأضحى. رقم ٢٢٤.

وكتابة الزاي جيمًا، مثل البيجان أي البيزان. رقم ٣٣٦.

وكتابة الجيم دالاً، مثل دشم أي جشم. رقم ٢٥٢.

ولكننا لا نعرف هل هذا يمثل لهجة جبالة أو لهجة الناسخ المجهول، ونشير بالمناسبة إلى الفرق الواضح في القراءة بين النسخة الخطية، وما ورد من الملعبة في مقدمة ابن خلدون وأزهار الرياض، وقد أشرنا إلى بعض هذه الفروق في حواشي الملعبة.

ويبدو أن الكفيف كان يعرف الأمازيغية، فقد استعمل جملة من كلماتها، واستعان بها في بعض قوافيه، وها هي الكلمات الواردة في الملعبة:

- ايسان، أي الخيل. رقم ١١٦.

- اسردان، أي البغال. رقم ١٤٢.

انزران، أي المطر. رقم ٢٣٦.

إيمزدغن، أي السكان. رقم ٣٤٢.

- أزرزي، أي الكلفة المخزنية، ومنها الكلمة المعروفة الزّرْزَاي أي الحمـــال، رقـــم ٣٤٥.

- غيلاس، أي النمر أو الذئب. رقم١١٤.

- تاسا، أي الوسط. رقم ٢٨٨.

- تيسدنان، أي النساء. رقم ٢٢١.

ومن المعروف أن شيخ الزجالين ابن قزمان استعمل في أزجاله بعض الكلمات البربرية مثل أشكد.

ونشير في النهاية إلى مستوى لغوي آخر في الملعبة وهو المـــستوى الفـــصيح، ويتجلى في طائفة كبيرة من الألفاظ المعجمية مثـــل الـــران، الـــزرق، القطعـــان، الشعراء،المعجر، الصافنات، وغيرها، كما يتجلـــى في التراكيـــب العربيـــة الـــتي لا ينقصها إلا الإعراب. ولا شك أن هذا يدل على ثقافة الشاعر وتمكنه المـــتين مـــن اللسان العربي المبين.

ومن هذا العرض الموجز والمركز فيما أحسب نعرف قيمة هـــذين النـــصّين الكبيرين المهمّين واللذين قدما إلينا مادة جديدة وغزيرة وصحّحنا على ضوئهما عددًا من المعطيات الأندلسية والمغربية، وأذكر على سبيل المثال أن زميلاً تحدث في نـــدوة الخرجات عن الخرجة التي توجد فيها عبارة: دوش عملين،(١)- وهي عبارة أُتـــيح لي تصويبها في أزجال ابـــن قزمان، وذلك بفضل ورودها في أمثـــال الزجـــالي(٢). إن الحظوظ التي أسعدتنا بالعثور على"أمثال الزجالي"و"ملعبة الكفيف الزرهـــوني" قـــد تسعدنا بالوقوف على نصوص أخرى تغني الدراسات اللغوية و"اللهجية" في الأندلس والمغرب.

* * *

---

(١) هو الأستاذ O.J. Z WARTJES

(٢) نشرت محرفة في Todo Ben Quzman وصوّبت في طبعة الأستاذ كورينتي وأشار إلى تصويبي لها.

الفصحى والعامية
والعامية اليافاوية تأملات وتساؤلات(*)

للدكتور أحمد صدقي الدجاني
(عضو المجمع المراسل)

مدخل:

"الفصحى والعامية هو الموضوع الذي اختاره مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية موضوعًا رئيسيًّا لمؤتمره السنوي الذي عقد في المدة من ٨ مارس إلى ٢٢ من مارس سنة ١٩٩٩م، وقد رغب إلى أعضائه أن يقاربه كل منهم "بتناول العامية في بلده وعلاقتها بالفصحى من حيث التأثير والتأثر".

الموضوع حيوي قديم جديد، حيويّ لأنه يتعلق باللسان الذي هو وسيلة التواصل بين بني الإنسان في قوم يجمعهم لسان واحد؛ وقديم لأن أجيالاً شُغلت بالنظر فيه منذ أن تباعدت "العامية" عن "الفصحى" قديمًا؛ وجديد لأنه مطروح اليوم في عصر ثورة الاتصال التي تعددت فيها وسائله: إذاعة وتلفزة وسينما ومسرحًا وصحافة ومطبوعات.

تداعى إلى خاطري وأنا أتأمل في الموضوع أنني أمعنت النظر فيه قبل عقدين من السنين في صيف عام ١٩٧٨ الميلادي، وكتبت يومها قصة انعطافي لالتزام التحدث بالفصحى، وعرضتُ أيضًا كيف يستقبل الناس ذلك. وقد شدني هذه المرة أن أتحدث عن العامية في بلدي، والحديث عن البلد أثير إلى نفس كل إنسان، ولكنه في حال المنكوب باغتصاب بلده يأخذ بعدًا آخر بما يتضمنه من استحضار ذكريات، وما يعبر عنه من عزم على استرداد الحق وتحرير الأرض والعودة إلى الدار. وبلدي هو "يافا" إحدى بلدان فلسطين في بلاد الشام.

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة السابعة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين، يوم السبت الموافق ١٣ من مارس سنة ١٩٩٩م، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التسعين، ص ١٥.

أستشعر الحاجة بين يدي الحديث عن "عامية يافا" إلى التمهيد باستحضار دلالتيْ كلمتيْ "الفصحى" و"العامية" بإيجاز.

العامية في المعجم الوسيط هي "لغة العامة، وهي خلاف الفصحى" "والعامة" خلاف "الخاصة". والفصاحة هي: "البيان" في المعاجم. واللفظ الفصيح: "ما يدرك حسنه بالسمع". وإنسان فصيح "يحسن البيان ويميّز جيد الكلام من رديئه". وفصح الرجل: "انطلق لسانه بكلام صحيح واضح"، والأعجمي "تكلم بالعربية فجادت لغته ولم يلحن". وألحن الرجل في كلامه: "أخطأ". ويجمل القول في "الفصحى" أنها تحرص على صحة اللفظ ووضوحه، بينما تعاني "العامية" من تحريف اللفظ وغموضه.

وقد عني علماء اللغة بالحديث عن "مقياس الصواب اللغوي" الذي تلتزم به الفصحى، وعرض الدكتور عبد العزيز مطر في كتابه "لحن العامة" ما قاله عدد منهم، قديمًا وحديثًا، ينتهي إلى أن هذا المقياس يقوم على دعامتين هما: المحافظة على سلامة اللغة العربية، ومراعاة التطور الذي تخضع له. وهذا يعني القياس على كلام العرب القدماء وعلى القرآن الكريم الذي هو أعلى مراتب الفصاحة، أنزله الله تعالى وحيًا على نبيه محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - كما يعني تطبيق القواعد التي بيّنها علماء اللغة، وانتهت إليها المجامع.

في ضوء هذا التحديد لمصطلحيْ الفصحى والعامية، يمكن أن نلاحظ أن أهم الفوارق بينهما هو: تحريف النطق ببعض حروف اللغة، وتغييره كليًّا في بعض الأحيان، وإهمال إعراب أواخر الكلمات، وتغيير حركات حروف الكلمة في العامية، وهذه الفوارق تؤدي إلى فارق آخر مهم، هو وحدانية الفصحى العربية، بينما تتعدد العاميات العربية بتعدد أنحاء الوطن الكبير واختلاف اللهجات.

وواضح أن هذه الفوارق تضع الفصحى في مكانة متميزة، وتجعلها "الأنموذج" للسان الراقي الحريص على النطق الصحيح للحروف، وعلى الإعراب، وعلى سلامة

الكلمة. ولافت أن العامية في بلد ما تتفاوت في درجة قربها من الفصحى بين حي وآخر، ولافت أيضًا أن هناك تشابهًا بين العاميات المختلفة في بلاد العرب في جوانب تحولها عن الفصحى صوتًاوصرفًا ونحوًا، وإن ذهب كل منها مذهبه.

"يافا" وعاميتها:

"يافا" البلد الذي نتحدث عن عامية أهله، تقع على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وهي - منذ أنشأها - قبل حوالي خمسة آلاف سنة - الكنعانيون وثيقة الصلة بمدنهم الأخرى في فلسطين وسورية الكبرى، مثل: القدس ودمشق وبيروت وعكا وغزة وأريحا، وبمدن مصر القريبة منها جنوبًا، وقد مكّنها كونها ميناءً بحريًّا متوسطيًّا من التواصل مع موانئ البحر الأبيض المتوسط الأخرى، وعرفت منذ القديم بجذبها وافدين جددًا للإقامة بفعل حيوية النشاطات فيها، وعامية "اليافاويين" العربية تعرضت لمؤثرات المكان والزمان، وتميزت بلهجة "يافاوية".

حين رزئت يافا بنكبة عام ١٩٤٨م اضطر غالبية أهلها إلى الخروج منها ولجأوا إلى بلدان أخرى مجاورة، وبقي فيها حوالي خمسة آلاف تحت الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي، تزايد عددهم فبلغوا بعد نصف قرن حوالي ثلاثين ألفًا، ولا يزال هؤلاء يتحدثون بالعامية اليافاوية القديمة مع حدوث تطور محدود عليها.

وقد حافظ أهل يافا "اللاجئون" على لهجتهم إلى حد ما في بيوتهم، ولكنهم تأثروا بلهجات البلدان التي انتقلوا إليها، ويطيب لهم استذكار "لهجة يافا العتيقة" في محافلهم لما تثيره لديهم من حنين.

وقد تضمنت أمسية "يافا عالبال" التي نظمها اليافاويون المقيمون في الكويت في ربيع عام ١٩٩٠م قبيل زلزال الخليج فقراتٍ مؤثرةً من الحوار "باللهجة العتيقة" كما أسموها، وتم توزيع شريط الفيديو الخاص بتلك الأمسية على نطاق واسع بين اليافاويين. وقد رجع كاتب هذا الحديث إلى تلك الفقرات بين يدي كتابته، وإلى كُتُبٍ عَنْ يافا.

لتقديم فكرة عن عامية "يافا" نوجز وصف اللهجة اليافاوية العامية في نقاط مختارة.

١- هناك عدد من الحروف الصوتية يجري تحريفها وتحويلها، "فالقاف" تلفظ آ؛ "وقادر" مثلاً تلفظ "آدر" و"قلت" "ألت" و"أفريقيا" "أفريْيا" وهكذا. و"الظاء" تلفظ ضادًا غالبًا. فاليافاوي يقول: ضَهْر عن الظَهْر، وضُهُر عن وقت الظُّهْر. وأحيانًا تلفظ "ظاءً" مشوهة.

كلمة "ظريف" مثلاً تلفظ الظاء فيها بدون إخراج اللسان بين الشفتين، فيخرج حرف الظاء: أقرب إلى زاي مفخمة ثقيلة. وحرف الذال ينطق دالاً، "فَذَنَبٌ" يصبح "دَنب"، و"ديب" بدل "ذئب". وقد ينطق مشوهًا بدون إخراج اللسان فيأتي أقرب إلى الزاي. وحرف الثاء ينطق تاءً فثمين تمين، وثوم توم. وقد ينطق مشوهًا فتحول الثاء إلى سين عند بعض أبناء يافا الوافدين من أقطار مجاورة شاع فيها هذا التحريف.

ومن الملاحظ أن المتعلمين من أبناء يافا كانوا يلفظون هذه الحروف صحيحة؛ ذلك أن أسلوب التعليم حرص على سلامة النطق، وجرى تدريب المعلمين على الالتزام بالنطق السليم ولافت أن تحريف هذه الحروف شائع في لهجات عامية أخرى بأشكال أخرى.

٢- تعمد اللهجة العامية في "يافا" إلى تحريك الحرف الثاني في الأسماء إذا كان ساكنًا فبحْر تلفظ بَحَرْ. وقَبْر تلفظ " قَبِر " أو أَبِر تحديدًا. وشمْس تلفظ "شَمِسْ " وهكذا. ولافتٌ هنا أن عدم الالتزام بلفظ الحركة في آخر حرف دعا إلى نقل الحركة للحرف الثاني الساكن. وتحريك عين الفعل شائع حين يتصل به ضمير المتكلم مثل أَكَلِتْ و شْرِبت وضَرَبت وشعْبَطِت، بمعنى تسلقتُ.

٣- تقول العامة: إجا زيدْ، وإجَتْ مريم؛ بدلاً من جاء زيدٌ وجاءت مريمٌ. فالهمزة في فعل جاء انتقلت من آخر الكلمة إلى أولها فصارت مثل أتى ولكن مع الكسر بدل الفتح. و"شيءٌ" في عامية يافا تنطق إيشي، "ولي" تنطق إِلي.

٤- يقول اليافاوي مناديًا أخاه:"يا خوي"، وأباه "يابا "، وأمَّه "يامّا" مُشددًا الميم ومفخمًا، وأخته "ياخْتِي". ويقول مشيرًا إلى زوجه " مَرَتِي " بفتح الميم والراء على التوالي. وتقول اليافاوية: "جوزي" بدلاً " من زوْجي.

٥- كلمة "عَمَّال" لها دور خاص في العامية اليافاوية، وهي تدل على استمرار الفعل وتأتي قبله. فيقال: عَمال ياكل، وعمال يشرب، وعمال يلبس. وأحيانًا للفعل حرف الباء في أوله، فيقال: عَمال بياكل. وأحيانًا يجري اختصار عَمال إلى عَمْ، فيقال: عَمْ ياكل أو عم بياكل (عَمبياكل)، وأنا "عَمْبَشْرَبْ "، وهي "عْمتغْسِل أو عمْبتغسل"، وهُمْ "عمبيلعبوا"، وأنت "عمبتُدْرُس" إلى آخره أحيانًا أخرى يكتفى بالباء تضاف إلى أول الفعل لتفيد الاستمرار، فيقال جوابًا عن سؤال ماذا تفعل؟: "بَدْرُس" و"بَشْتغِل". ويقال عن سَمَكٍ يتحرك: "بِلَعْبِط".

٦- تتضمن اللهجة العامية اليافاوية أصواتًا لها دلالات ليس فيها حروف، مثل صوت " الشَّخْرَة " وهو يخرج من الحلق ويشبه نطق حرف الخاء، ويدل على الاحتجاج الشديد والاعتراض القوي. وهناك صوت يَخرج من أول الفم بتحريك اللسان فيه، يجمع بين الطاء والسين في اللفظ، ويستخدم للتعبير عن الأسف إذا وقع فعل مؤسف، وعن التحذير تحسبًا من وقوعه.وهو يقابل معنى "لَهْ لَهْ". وصوت " سْ "السين الساكنة - يشير إلى التزام الصمت. وهو اختصار الكلمة "هُسْ". وقد يقول واحدٌ لآخر: "سْ.. ولا كلمة" وتقول الأم مشيرة لطفلها الرضيع وهي تنبه أولادها إلى أنه نائم: "سْ" واضعة سبابتها على شفتيها شاقوليًا. وصوت الشخرة بين هذه الأصوات غير مقبول بين الآداب العامة، ولذا ينأى المؤدبون عنه، وقد يغفرون لصاحبه إذا بلغ السيل الزُّبى، وفاض به الكيل من أمر ما، "فشخَر شخرة ". والمرأة اليافاوية تقول: "يوه" وعلى الأدق "يْه" للدلالة على الاحتجاج أو الاستغراب.

٧- في العامية اليافاوية كلمات أعجمية جرى تعريبها بلفظها الأعجمي، وإن تغير النطق بها شيئًا ما، وهي دخلت اللغة بفعل "احتكاك حضاري". وهذا شأن أسماء أشياء جرى استيرادها. والأشياء المادية سرعان ما تنقل من حضارة إلى أخرى بسهولة وبلا حرج، كما يلاحظ علماء تاريخ الحضارة، على عكس الأفكار والعقائد، وكثيرة هي الأشياء المادية التي نقلها غربيون من حضارتنا بأسمائها. واليافاوي يقول: "ساكو" عن السترة، وهي كلمة إيطالية، كما يقول:"جاكيت". ويقول: "باص" عن حافلة الركاب، وهي كلمة إنجليزية؛ لأن استخدام " الباص "عمّ في عهد الاستعمار البريطاني.ويقول: " ترين " عن القطار، وهذه كلمة إنجليزية أيضًا، و "موتور "، و" راديو "؛ كما يقول: "كوبّانية " عن الشركة محرفًا " كومباني ". ويقول: " بوليس " محولاً الألف إلى باء ومادًّا الياء. وقد ألف المتعلمون استخدام ما تمت ترجمته وشاع مثل: قطار، ومحرك، ومذياع، وشركة، وشرطة.

٨-في العامية اليافاوية ميل قوي لمد آخر حروف الكلمة، وحرف العلة الذي يسبقه، فاليافاوي يقول: "تعال" يا "خوووي"، و"خلييييل".

٩- "بِدّي" كلمة مهمة في العامية اليافاوية، وهي تعني "أريد" أو أبغي"، وأصلها "بودي". وهي شائعة في أنحاء أخرى من بلاد الشام، ولكن مع فتح الباء بدل كسرها في لبنان. واختصارها يماثل اختصار " أبغي " إلى " أبي " في الخليج و" تبغي " إلى "نِبّي" في ليبيا. وهي تصرَّف مع الضمائر "بِدّو " بِدْها، وبِدْهُم، وبِدْنا، بِدْكُم، بِدِّك.

١٠- راح أو على الأدق "رَحْ" كلمة أخرى مهمة تفيد المستقبل:" رَحْ أروح بعد شوي لَدارنا". "رَحْ اشْتري بُكره الكتاب"

١١- العامية اليافاوية حافلة بكلمات فصيحة تستخدم بمعناها الدقيق، فاليافاوي يقول: "كزّ " على أسنانه، ويقول: "كزم" شأفة أي شقفة، بمعنى كسر قطعة بفمه، وهكذا...

١٢- يقول اليافاوي: "وَلَه" و"وَلِه" للذكر والأنثى على التوالي. وهما مقابل "ولُو" و"وْلي" (ياء مائلة) في الشام و "وْلا" و "وْلي" في بيروت. "ووَله" شائعة في مصر. ويحولها اليافاوي إلى " وَلَك " ويقول: " وَلكِ " للأنثى " ووَلْكم " للجمع

١٣- "مِشْ" تستخدم للنفي في العامية اليافية: "مش عايز" أو "مش عاوز" و"مش رايح" و"مش عارف" و"مش نافع" والعامية اليافية تلتقي في ألفاظ كثيرة مع العاميات الأخرى و "بدِّي" بمعنى أريد أو أبغي تصبح "بدّيش" للنفي، ويجري تصريفها "بِدْكاش" إنْتَ، و" بِدّوش " هو، و"بِدْهاش" هي، و"بدناش" نحن، و"بِدْكُمش" أنتم. والكلمة ونفيُها تستعملان في صيغة الاستفهام بِدَّك؟ بدكاش؟ وبِدكيش؛ إنتِ. والعامية النابلسية تستخدم " بدكيش " للذكر والأنثى.وإيش بِدَّك؟ تعني " أي شيء بُودُّك "؟ "بلاش" كلمة شائعة في اليافاوية. وأصلها "بلا شيء". ومن الأمثلة "بلاش لَتّ وعجن".

إن التأمل في النقاط الاثنتي عشرة التي حاولنا أن نصف بها " العامية اليافاوية " يؤكد ما سبق أن ذكرناه من أن في العامية تحريف النطق ببعض الحروف، وتغييره كليًّا في بعض الأحيان، وإهمال إعراب أواخر الكلمات، الأمر الذي يؤدي غالبًا إلى تغيير حركات حروف الكلمة. فإذا استحضرنا مختلف " العاميات " العربية، ألا يمكن أن نجد النقاط الاثنتي عشرة هذه واردة بشأن كلٍّ منها، مع اختلاف في شكل التحريف وتغيير حركات حروف الكلمة! الأمر الذي يبرز تشابهًا في جوانب تحول هذه العاميات عن الفصحى، وإن ذهب كل منها مذهبًا.

أسئلةٌ تبرز عند هذا الحدِّ من الحديث تتعلق بتطور اللغات بعامة: ما تفسير تعدد اللهجات في اللسان الواحد؟ متى بدأ هذا التعدد؟ لماذا يحدث هذا التحول في اللغة؟ كيف يتم التوافق في "الأمة " على فصاحة اللسان واللغة الفصيحة " الفصحى"؟ ويتم من ثمّ تحديد مقياس الصواب اللغوي؟. وفيما يتعلق باللسان العربي بخاصة؛ لماذا لم يؤد

التحول في "اللغة الأصل" إلى ظهور لغاتٍ جديدة، منذ ظهور الإسلام، كما حدث مع لغات أخرى مثل اللاتينية في أوربا؟ وهل من المتوقع أن تبقى عاميات عربية إلى جـوار الفصحى؟ وإذا كانت الفصحى هي "نموذج" اللسان العربي الراقي فكيف نعمل لتقريب العاميات العربية منها؟

تساؤلات وتأملات:

لماذا تتعدد اللهجات في اللسان الواحد؟

بحوث كثيرة جرت حول نشأة اللغة، منذ القديم، ليس هذا المجال مجال عـرض عصارتها. ولكن نشير إليها بين يدي محاولة الإجابة عن هذا السؤال. ونلاحظ ابتداءً أن جميع الألسنة في الاجتماع الإنساني تشهد تعدد لهجات فيها، كما أنها تشهد حـدوث تطور مستمر في كل لسان وفي كل لهجة.

إن الرؤية المؤمنة للإنسان وللاجتماع الإنساني تقف أيام ما جاء به الوحي الإلهي في سورة "الروم" عن كون اختلاف الألسنة والألوان من آيات الله سـبحانه. وهـذا الاختلاف متصل باختلاف المكان. ويبدوأن في الإنسان نـزوعًا فطريًّـا إلى إصـدار أصوات تعبِّر عنه أُسوة بما يسمعه ممن حوله منذ طفولته الأولى. نرى هذا في الرضـيع وقد قارب الحول، ولا يلبث أن يكتسب لغة قومه، ومع انتشار الأقـوام في أرض الله الواسعة تبلبلت الألسنة وتفرّقت. والبلبلة في القاموس المحيط: " اختلاط الألسنة "بينمـا "البِلَّة بالكسر:جريان اللسان وفصاحته، ووقوعه على مواقع الحروف، واستمراره على النطق وسلامته"، وهي أيضًا الخير والرزق، وكأن الفصاحة خير ورزق.

متى بدأ هذا التعدد؟ وما أسبابه؟

تعدُّدُ اللهجات في اللسان الواحد إذًا قديم قدم السياحة في الأرض والانتشار في ربوعها. ويبدو أنَّ ما تحفل به الطبيعة من أصوات، من هدير أمواج، وخريـر ميـاه،

وصفير رياحٍ،وشدْو أطيار،وأصواتِ حيوانات، لكل منها اسمه وأثره في تكوين اللغة، كما يبدو أن احتكاك لسانٍ بلسان آخر يؤدي إلى تبادل التأثير بينهما وفقًا لسنن تفاعل الحضارات التي شرحها علماء التاريخ الحضاري.

وهذا عامل آخر من عوامل التحول في اللغة وتطويرها، وقد لفت نظر كاتب هذا الحديث ما سمعه عن لهجة قرويين من منطقة بلدة "يافا " هاجروا إلى الساحل الشرقي في الولايات المتحدة بعد نكبة وطنهم، فأدخلوا على عاميتهم تطويرًا واضحًا تعربت فيه كلمات إنجليزية كثيرة وجرى تصريفها، فكأنها عامية جديدة. وبين يدي أخذ فكرة عنها يتداعى إلى الخاطر مثل على كلمة أعجمية جرى تعريبها، كلمة " فنَّشَ" التي شاعت في منطقة الخليج للدلالة على " إنهاء الخدمة" بينما "فنَّش" في اللسان العربي تعني: استرخى، كما يقول صاحب المحيط. وفي تلك اللهجة تقول الأم مستفسرةً من ابنها الذي وصل من عمله: " برَّكت الكار يَما؟ " والكار Car هي السيارة، والفعل " بَرَّك " هو من Park وقد تحولت P إلى باء، و " يَمَّا " هو نداء الأم لابنها والابن لأمِّه في اللهجة اليافاوية، وأصلها " يا أماه ". ويقول الابن لأبيه: " إجا البوستمان وهادي الْبِل " وقد استخدم كلمتين إنجليزيتين مقابل ساعي البريد وكشف الحساب، وجرى تمديد الثانية تبعًا للهجة فلم يقل: " بِل ". وأدخل "أل" التعريف في الحالتين. وفي تلك اللهجة توصف سيارة بأنها " مكندشة " و " مُهَيَّته " إشارة إلى أنها مزودة بالتكييف Condition وبالتدفئة Heat. وهي سيارة " فُلِبْشن " تحريف Fullobtion. ويُقال: "سيَّزْتْ" من Size أي قِسْت وهكذا.

قد يكون هذا المثل صارخًا في إبراز استيعاب العامية لكلمات لسانٍ آخر، والمدى الذي يمكن الذهاب إليه في هذا الاستيعاب، ولكنه يدعو إلى الخاطر أسئلة أخرى رأيناها في وطننا الكبير، تُعرَّب فيها أسماء الأدوات وأحيانًا الأفعال.

ومن اللافت في جميع الأمثلة أن هناك ثوابت في اللهجة تبقى قائمة تُشير إلى أصولها، وهذا ما يفسر احتفاظ اللهجات العامية في أقطارنا العربية بلهجات العرب القدامى في جزيرتهم العربية. ولا يزال بعض أبناء فلسطين يلفظون القاف كافًا، وبعضٌ آخر يحوِّل كاف آخر الكلمة إلى شين، وثالث يلفظ التاء بقرنها بالسين "تس"، وجميعها لهجات عربية قديمة تحدثت عنها كتب الأدب، وقدَّمها أحمد تيمور في رسالة له حول الموضوع.

مجمل القول: إن تعدد اللهجات في اللسان الواحد قديم، وإن من أسباب حدوثه أثر المكان واحتكاك الحضارات؛ وهي ظاهرة مستمرة، وفي استمرارها تحافظ اللهجة على ثوابت فيها تميِّزها، ويكون انتشارها في دائرة بعينها تُنسَبُ إليها بلدٌ أو قطرٌ أو قومٌ أو تجمعٌ، وتقوم هذه اللهجة إلى جانب اللسان الفصيح، فتكون هي العامية ويكون هو "الفصحى". ويبرز السؤال: كيف يتم التوافق في" الأمة " على فصاحةِ اللسان " والفصحى "، التي تصبح نموذج الصواب اللغوي؟

ظاهرة التوافق هذه تعرفها كل الأمم في الاجتماع الإنساني، ويتم هذا التوافق من خلال تفاعل اجتماعي يُعلي من شأن الفصاحة،وحسن البيان، وجيد الكلام، وسلامة النطق للحروف، ويعبِّر عن ذلك كله الأدب شعرًا ونثرًا، والدين وصايا وأوامر ومعتقدات، ويشتهر فيه أهل العِلم والشعراء والخطباء، ويحفظ تراث الأمة ذلك في ذاكرتها التاريخية والأدبية، ولكل أمة تراثُها الشفهي والمكتوب. وقد حفظ أجدادنا في مصر عقائدهم في متون الأهرام وأدبهم مكتوبًا، وفي بلاد ما بين الرافدين كانت ملحمة جلجميش، وفي جزيرة العرب تداول الناس في الأسواق أجمل الكلام وأعلوْا من شأن المعلقات الشعرية، وفي اليونان كانت الإلياذة والأوديسة والشاعر هوميروس ومؤلفو المسرح، وهكذا وصولاً إلى شكسبير في بريطانيا وأقرانه في بلادٍ أخرى، ومن ثم إلى عصرنا، ويصبح هذا التراث محور الثبات في اللسان والحافظ له من بلوغ العامية في تحولها درجة التغير وظهور لغة جديدة.

ماذا عن التوافق على الفصحى في اللسان العربي؟ وكيف حافظت الفصحى العربية على وحدة اللغة؟ اللسان العربي قديم - كما يقول لنا علماء اللغـــات -وقـــد تعددت فيه لهجات القبائل،وبرزت إلى جواره في المنطقة المحاذية لجزيرة العرب ألـــسنة أخرى قديمة مثل الأكادية في بلاد ما بين الرافدين والكنعانية الفينيقية علـــى الـــساحل السوري، والعمورية والآرامية في بلاد الشام والمصرية القديمة في مصر.

ويلاحظ عدد من العلماء منهم بروكلمان أن هذه اللغات تعـــود إلى لغـــة أمٍّ واحدة أقرب ما تكون إلى اللّحن العربي الفصيح. وتشمل شجرة هذه اللغات العبريـــة والحبشية. وكاتب هذه السطور يستشعر الحاجة إلى سماع آراء علمائنـــا الـــضالعين في دراسة هذه اللغات في العلاقة القائمة بينها، ومن ثم في كيفية تفرقها.

لقد ميّز العرب منذ القديم في جزيرتهم وأطرافها بين لغة فصيحة جميلـــة راقيـــة وأخرى لا ترقى لها. ويشير عبد العزيز مطر في حديثه عن المقياس الصوابي عند اللغويين القدماء إلى ما جاء في المُزهِر نقلاً عن الفارابي والسيوطي أن.الذين نقلت عنهم اللغـــة العربية من قبائل العرب قيس وتميم وأسد ثم هُذَيل وبعض كنانة وبعض الطـــائيين،"ولم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ". وكان سيبويه يقول: " سمعنا العرب الموثوق بهم، وسمعنا فصحاء العرب"، ومثله ابن جني والأصمعي وغيرهم مـــن علمـــاء اللغة، ونستطيع أن نرى أمثلة على الفصحى قبل الإسلام في شعر المعلقات وأمثاله، وما حفظه الناس من حِكَم الحكماء وخطب الخطباء.

الجديد الذي مثل نقطة تحول في اعتماد معيار الفصاحة والحفاظ على الفصحى كان حين أنـــزل الله – سبحانه الذي علم آدم الأسماء كلها بعد أن خلقه من طـــين– القرآن الكريم على خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله كتابا عربيًّا بلسان عربي مبين، فقد اعتمده العرب منذ ذلك الحين " أعلى مراتب الفصاحة ". وكانت قـــريش قبيلـــة الرسول – صلى الله عليه وسلم – مشهورة بين القبائل بفصاحتها.

وواضح أن اعتناق العرب للإسلام جعلهم يتمسكون بالحفاظ على سلامة لغة القرآن الكريم، وأضحى إتقانها فرضًا دينيًّا، وهكذا توالت العناية باللسان العربي قرنًا بعد قرن، فأمكن الفصحى أن تحافظ على وحدة اللغة لاعتبارها الأنموذج، وسط تعدد العاميات العربية التي كثرت بعد الفتوح، وقد نقل القلقشندي في صبح الأعشى في معرض حديثه عن المعرفة بالعربية قول عمر بن الخطاب: "تعلموا اللَّحن (أي اللغة) والفرائض فإنها من دينكم"، وقال في فضل العربية "ولا خفاء أنها أمتن اللغات وأوضحها بيانًا، وأذلقها لسانًا، وأمدُّها رواقًا، وأعذبها مذاقًا، ومن ثم اختارها الله تعالى لأشرف رسله، وخاتم أنبيائه، وخيرته من خلقه، وصفوته من بريته، وجَعَلها لغةَ أهل سمائه وسكان جنته، وأنزل بها كتابه المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولافتٌ في قوله أثر البعد العقيدي في إعلاء شأن اللسان العربي.

هكذا تأكدت مكانة "الفصحى" التي يمثل القرآن الكريم أعلى مراتبها، وقدْ نزل بلَحن قريش. وأضحت "الفصحى" هي المعتمدة في الكتابة الرسمية والكتابة الراقية، "فالكاتب لابد له من حفظ كتاب الله تعالى "عند القلقشندى" حتى لا يزال مصورًا في فكره، دائرًا على لسانه، ممثلاً في قلبه، ليكون ذاكرًا له في كلامه، وكل ما يرد عليه من الوقائع التي يحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى قيام قواطع الأدلة عليها "وقد قال الرشيد يومًا لبنيه:" ما ضرَّ أحدكم لو تعلم من العربية ما يُصلِح به لسانه. أيَسَرّ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده وأمته؟ ".

وحين تم جمع الحديث الشريف الصحيح أخذ الحديث النبَوي مكانة تلي مكانة القرآن الكريم في الاستشهاد به دلالة على فصيح الكلام، على مدى ثلاثة عشر قرنًا من العُمران الحضاري العربي الإسلامي استمرت ظاهرة " تعايش " الفصحى والعامية في تفاهم وتكامل. فأما التفاهم فيتجلى في إدراك حقيقة وجودهما معًا جنبًا إلى جنب في الاجتماع الإنساني، والتسليم بمكانة الفصحى العالية ومرتبتها الرفيعة.

وأما التكامل فيتجلى في أداء كل منهما دوره في ضوء حقيقة أن الاجتماع الإنساني منذ كان فيه عامة وخاصة، يشهد نزوعًا عند أفراده للارتقاء ببذل الجهد لنيل العلم والاستزادة منه، فالعُلو يقتضي مجاهدة، ورحم الله أبا الطيب القائل:

"ولو لم يعلُ إلا ذو مقامٍ".

وقد عبّر عن هذا المعنى الشاعر السكندري اليوناني كافافيس في قصيدته "أولى درجات السلم" التي يحكي فيها كيف جاء الشاعر الشاب "إفيمنيوس" إلى أستاذه "ثيوكريتوس" يشكو من أن سنتين مرتا وهو يكتب و لم يتوصل إلا إلى قصيدة غزلية:

"واحسرتاه، أرى سلم الشعر عاليًا

عاليًا جدًّا أراه.

ومن هذا الدرج الذي أقف عنده هنا لن أرقى، أنا المسكين أبدًا ".

ويرد عليه ثيوكريتوس بأن كلامه تجديف غير لائق "وإن كنت عند أولى الدرجات فيجدر بك أن تفخر بذلك وتسعد. فليس بالقليل أنك وصلتَ إلى هنا. والذي أنجزتَ هو لكَ شرف كبير. وهذا الدرج الأول عن عامة الناس يبعد كثيرًا. وكي تطأ قدمك ذاك الدرج يجب أن تكون بحق في مدينة الفكر مواطنًا ".

ومن اللافت في الاجتماع الإنساني أن العامة في كل الأمم يعلون من شأن هذا الارتقاء، ويعبرون عن ذلك باحترامهم الفصحى وتجاوبهم معها وإعجابهم بها، وقد ألمحتُ إلى ذلك فيما كتبته عن **كيف يستقبل الناس الفصحى؟** . في" قصتي مع الفصحى". ويتداعى إلى الخاطر تناول "برناردشو" موضوع لغة العامة الخاصة في مسرحيته "بيجماليون" التي اقتبستها السينما في فيلم "سيدتي الجميلة".

تجدر الإشارة هنا إلى أن للكلام الفصيح درجاته التي يتوافق عليها أهل العلم والأدب في كل زمان، مضمونًا وأسلوبًا وبلاغةً، ليكون الأفصح منه هو "الفصحى".

ويمكننا أن نلاحظ في الموّال الذي أورده ابن خلدون في مقدمته مدى قرب لغته من الفصحى:

طَرقْت باب الخبا قالت: مَنْ الطارقْ؟ فقُلت: مفتونْ، لا ناهب ولا سارقْ
تبسَّمت، لاحْ لي من ثغرها بارق رَجَعْتْ حيرانْ، في بَحْرِ الغرامْ غارقْ

وشبيه بذلك زجل عامي رفيع عرفته أمتنا قديمًا وحديثًا، وقد سمعنا منه في عصرنا أمثلة يوقف أمامها قال بعضها شعراء أجادوا قول الشعر بالفصحى، ومنها روائع لأمير الشعراء أحمد شوقي، تغنّى بها محمد عبد الوهاب مثل "النيل نجاشي".

وأتقن بعضها شعراء العامية من أمثال: بيرم التونسي، وفؤاد حداد، والزُّغبي والأبنودي؛ واشتهرت حين تغنى بها مطربون مجيدون.

ويثور هنا تساؤل إذا أردنا للتفاهم والتكامل بين الفصحى والعامية أن يتعززا انطلاقًا من أن للكلام درجات أعلاها الفصحى، ألا ينبغي للنقد الأدبي أن يعنى بتصنيف العامية وإبراز الأدب العامي الجيد بهدف الارتقاء به درجة إلى أن يبلغ الدرجة العليا فيصل إلى الفصحى؟

بعض الحريصين على سلامة اللسان العربي يرون ذلك، وقد مارسوه في حدود ضيقة، ومنهم الناقد علي الراعي. ولَكِنّ البعض من الحريصين على سلامة اللسان العربي يخشى من ذلك حتى وإن كان الهدف الارتقاء بالعامية. ومردّ هذه الخشية أن جديدًا طرأ في عصرنا أخلّ في التعايش الإيجابي بين العامية والفصحى الذي استمر ثلاثة عشر قرنًا. وذلك منذ أن رزئت أمتنا العربية ودائرتها الحضارية الإسلامية بالغزو الاستعماري الغربي الذي استهدف تجزئة الوطن الكبير وتفكيك مجتمعاتنا، فاستهدف "الفصحى" الجامعة بعدائه، وحاول فرض"العامية" وصولاً إلى تكوين التفرقة، وبروز لغات جديدة.

على الرغم من أن قوى الهيمنة الاستعمارية تابعت حملاتها على اللسان العربي بمزاعم عجزه، ووظفت في ذلك من نجحت في استلاب هويتهم العربية من أبناء الأمة

في معاهدها، إلا أن قوى النهوض في الأمة الذائدة عن لسانها والمتمسكة بهويتها نجحت في إفشال هذه الحملات إلى حدٍّ ليس بالقليل. وقد دخلت معركتها للدفاع عن اللسان العَربي مرحلة جديدة اليوم في ظل هجمة قوى الهيمنة الغربية "بالعولمة" وتوظيفا للتحكم في الإعلام والتدخل في المناهج التربوية لفرض مخططاتها، التي منها تعميم عامية هابطة، والقضاء على الفصحى التي نـزل بها القرآن الكريم. والحق أنه إذا كان مخطط العولمة قد رمز إلى سيطرته بأكل الهامبورجر، وشرب الكولا، ولبس الجينز، ورقص الروك، وسماع CNN، فإنه يمكن أن يضاف "والرَّطْن بلسان عامي هابط تغلغل فيه الدخيل".

كيف السبيل لِصدِّ هجمة العولمة هذه على اللسان العربي، وتحقيق انتصار حاسم عليها، يحفظ للأمة لسانها وهويتها وثقافتها وحريتها؟

لقد عني مجمع اللغة العربية بمصر ومعه المجامع الأخرى الشقيقة في وطننا العربي بالإجابة الفكرية عن هذا السؤال، فبلورت توصيات من خلال دراسات، وقرنت الفكر بالفعل في حدود استطاعتها، وتركزت هذه التوصيات على العناية باللسان العربي في مناهج التربية والتعليم وفي وسائل الإعلام، وهي تطالب باتخاذ القرار السياسي الذي يتبنى هذه التوصيات ويضعها موضع التنفيذ "لأن الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن".

وقد عرف وطننا العربي أكثر من مثل مُشرِق على ذلك في عدة أقطار عربية تضمن تعريب العلوم، والحفاظ على اللسان العربي من الدخيل، والعودة إليه من الاغتراب في أسر لسان آخر أعجمي.

وبعدُ، فإنَّ من المتوقع استمرار وجود العامية والفصحى جنبًا إلى جنب في وطننا الكبير مستقبلاً، وكذلك مُضيّ قوى الهيمنة الطاغوتية في محاربة الفصحى في سعيها لغرض تسلط العولمة. ومن المؤكد في الوقت نفسه أن تشهد الأمة متابعة أعلامها العمل للحفاظ على اللسان العربي وإصلاح ألسنة الناشئة والارتقاء بالعامية لتقترب من الفصحى، فذلك هو التعبير عن الصحوة واليقظة والنهضة وعن الاستجابة الصحيحة

لتحدّي "رطانة العولمة" وما يتصل بها من تحديات محاولة التسلط. وإن لهؤلاء الأعلام، قادةً سياسيين وعلماء وأدباء ومُربّين دورًا خاصًّا في تقديم الأنموذج للسان العربي الفصيح الراقي ليكونوا الأسوة لقومهم، وسوف يبقى نصب أعين اليافاويين ومعهم كل أبناء العروبة تحرير يافا العربية وفلسطين بعامة؛ كي لا يكون اللسان العربي غريبًا فيها. واسمحوا لي أن أسوق إلى حضراتكم قصة مع الفصحى والناس من كتاب " رحلات ولحظات ممتدة ":

قصة مع الفصحى والناس

من كتاب "رحلات ولحظات ممتدة"

مضت علي أعوام كثيرة منذ أن التزمت الحديث باللغة الفصحى، أكثر من عقدين من السنين منذ أن بدأت المحاولة، وقد وعدت أن أقص حديث قصتي مع الفصحى لأُجيب أولئك الذين يسألونني حين تلفت أنظارهم لغتي سؤاليْ: لماذا؟ ومتى؟ بحثًا عن السبب وعن أصل الحكاية. كذلك لأبيِّن من واقع تجربتي كيف يستقبل الناس - على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم - الحديث بالفصحى، وإلى أي مدى ينسجمون معه؟. وكيف يكون موقف المتحدث وهو يُصرِّف أمور حياته اليومية، وإلى أيِّ مدى يعبر عن نفسه أمام الآخرين ويتواصل معهم؟. وفي ذهني وأنا أطرح ذلك كله النظر في مستقبل الفصحى بين الناطقين بالعربية.

لم أنشأ في بيت يحرص على الحديث بالفصحى، فقد كانت لغة المخاطبة اليومية بين أفراد أسرتي هي"لهجة" أهالي يافا أو لأقل على التحديد لهجة المثقفين من أهالي يافا؛ لأني مازلت أذكر كيف لاحظت ونحن أطفال نمرح على الشاطئ اختلاف لهجتنا عن لهجة" البحارة " ولذّ لي ولأخويَّ وأقراننا أن نقلد تلك اللهجة.

ولا أذكر أن أساتذتي في المرحلة الابتدائية بيافا حرصوا على أن يتمسك تلاميذهم بالفصحى في الحديث اليومي، وإن كان بعضهم قد حَبَّبَ إليَّ اللسان العربي

بنطقه الجميل له، و لم يطرأ تغيُّر يذكر على صعيديْ البيت أو المدرسة في الموقف من الفصحى، حين فرضت علينا "النكبة" عام ١٩٤٨م النزوح عن فلسطين إلى لبنان فسورية. كنت آنذاك في الثانية عشرة من عمري، وقد استقر بي المقام في ثانوية البنين باللاذقية. والتغير الذي طرأ هو أن اللهجة التي بتُّ أسمعها في المدرسة أو في الحي أصبحت لهجة أهل اللاذقية، وهي مختلفة إلى حدٍّ ما عن لهجة أهل يافا، وما زلت أذكر كيف انتبه الصبي - الذي هو أنا - لهذا الاختلاف ولاحظ ما ينشأ عنه من مفارقات طريفة، ومن الأمثلة التي تخطر على بالي الآن كلمة "لِسَّه" التي تشيع بين أهالي وسط فلسطين وجنوبيها وكلمة "إِسَّه" التي تشيع في سوريا ولبنان وشمالي فلسطين، ولكل منهما مدلول مختلف، وقد كنا نقول: "فلان خزى فلانًا" أو "كسفه" فإذا بنا نسمع كلمة "بخعه وبرخه".

وكان هذا الانتباه بداية اهتمام بمعاني الألفاظ ونشأتها وتطورها، شدّني فيما بعد إلى دراسة فقه اللغة وفلسفتها.

و لم يطرأ على الصبي جديد يذكر بشأن إقباله على دراسة اللغة العربية، ولكنه انتبه إلى جمالها وهو يدرس الأدب العربي على يدي أستاذ قدير ويتابعه في مراحله المتتالية منذ العصر الجاهلي إلى عصرنا. وبقي هذا الإحساس بجمالها مطبوعًا في نفسه، ومع ذلك فقد اختار أن يدخل القسم العلمي بعد أن نال شهادة الدراسة المتوسطة لتفوقه الملحوظ في دراسة الرياضيات.

يمكن أن نذكر جديدًا طرأ على الصبي كان له أثر بشكل أو بآخر فيما بعد على تعلُّقه بالفصحى، ذلك هو إقباله على القراءة في تلك المرحلة، وكان يلذُّ له أن يتحدث عما يقرأ مع أصدقائه، وبدأت حصيلته من الكلمات تزداد، وشرع يستخدم هذه الحصيلة التي اكتسبها مكتوبة وليس سماعًا، وقد ظهرت آثار طريقة اكتسابه للكلمات في كثرة الأخطاء التي يقع فيها عند لفظها، و لم يتغلب على هذه الأخطاء إلا حين تعوَّد

اللجوء إلى السماع والاستنجاد بالمعاجم، الأمر الذي أكّد له تلك الحقيقة الهامة وهي أن اللغة تكتسب سماعًا، ولا بد أن تؤخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار في طريقة تدريس اللغة العربية للأجيال الصاعدة.

ويمكن أن نذكر أيضًا أن الصبي بعد أن نال شهادة الدراسة المتوسطة بدأ يعاون أخاه الأكبر في إعطاء دروس خصوصية في الرياضيات. وكان أخوه قد عمل مدرسًا وهو في السادسة عشرة من عمره ليسهم في إعالة أسرته. وقد شعر الصبي بأهمية إتقان التعبير عن نفسه وهو يلقي هذه الدروس.

ويمكن أن نذكر أخيرًا أن الصبي أحس من نفسه في تلك الفترة إقبالاً على الدين وانعطافًا إلى التدين، فبدأ يصلي الجمعة ويقرأ القرآن، ويدخل في محاورات مع أقرانه حول الدين والحياة.

التغيّر الجذري الذي طرأ على حياة الصبي وقع حين نال شهادة الدراسة الثانوية وهو في الخامسة عشرة من عُمرِه؛ إذ فرضت ظروف أسرته المادية عليه أن يعمل مدرسًا ليتيح لأخيه الأكبر أن يتابع دراسته الجامعية، بعد أن أدى واجبه في الإنفاق على الأسرة ثلاث سنوات. ولما كان عمر الصبي دون السن التي يشترطها تعيينه في " الحكومة "، فقد اتجه إلى العمل في مدرسة خاصة " إعدادية " افتتحت حديثًا في ناحية نائية. وهكذا تعاقد على تدريس الرياضيات والعلوم في ثانوية " الشريف الرضي " بالقرداحة من أعمال قضاء جبلة بجبل العلويين.

أقبل المدرس الصغير على عمله الجديد، وما زلت أذكر كيف استشعر أهمية إتقان التعبير عن نفسه، ووجد نفسه أمام سؤال برز أمامه ولابد له من إجابة؛ السؤال هو: بأية لهجة يلقي دروسه ويتعامل مع طلابه؟ كان لا يزال يتحدث في بيته باللهجة اليافية، وكان قد بدأ يتقن الحديث بلهجة أهل مدينة اللاذقية، وهو يُدرّس طلابًا يتحدثون بلهجة ثالثة، وما أسرع ما تعود على سماع اللهجة الجديدة. ولكنه لم يحسن

التحدث بها، ولاحظ أن لهجته غريبة على سماع طلابه، كما أن محاولته التحدث بلهجتهم غريب على سمعه هو، وهكذا لخص الموقف بينه وبين نفسه" إنْ ألقيت دروسي بلهجتي فتحت مجالاً لتعليقاتهم، وربما ضحكوا على بعض تعبيراتي، وإن ألقيتها بلهجتهم قد يضحكون لعدم إتقاني، ويقينًا سأضحك أنا على نفسي" وجاءت إجابته على السؤال تلقائية بأن انعطف إلى الحديث باللغة الفصحى.. لغة القرآن والأدب والكتب.

ارتاح المدرس الصغير إلى محاولته التعبير عن نفسه بالفصحى، وانتبه في تلك السنة إلى أهمية ملاحظة قواعد اللغة عند إلقاء الدروس. وقد حدث مرة أن كتب على السبورة أسئلة اختبار للطلاب في مادة الهندسة، وكان من بين الأسئلة سؤال نصه "عَرِّف الزاويتان المتبادلتان". ولم ينبهه أحد من طلابه إلى الخطأ النحوي الذي وقع فيه، ولكن مدير المدرسة مرّ عرضًا به فلاحظه وفي وقت لاحق راجعه فيه بمحبة ومودة.

ومع أن صاحبنا ساق الحجة التي كان يسمعها بين طلاب القسم العلمي بأنه مدرس علوم لا شأن له بقواعد اللغة العربية، إلا أنه في أعماقه لم يكن مقتنعًا بها، وشعر بضرورة استرجاع تلك القواعد والحرص على التعبير بلغة سليمة، ومن خلال مراجعته لنفسه لم يرَ وجود أي تناقض بين إتقانه لغته العربية وبين كونه مدرس رياضيات وعلوم، وهكذا بدأ يهتم بملاحظة النحو في حديثه محاولاً تطبيق ما تعلمه من قواعد، وقد قرأ فيما بعد في أحد كتب التراجم وهو كتاب "شذرات الذهب" لأبي الفلاح الحنبلي كيف تعلم الشيخ أحمد الدجاني - وكان من الصوفية، وقد توفي سنة ٩٦٩هـ - النحو ".. كان الشيخ أحمد لا يعرف النحو فبينما هو في خلوته بالأقصى إذ كوشف بروحانية النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له: أيا أحمد تعلم النحو، قال: فقلت له: يا رسول الله علّمني، فألقى عليَّ شيئًا من أصول العربية ثم انصرف، قال: فلما ولى لحقته إلى باب الخلوة فقلت: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وضممت اللام من

رسول. فعاد إلي وقال لي: أما علمتك النحو أن لا تلحن. قل يا رسول اللهِ، بفتح اللام. قال: فاشتغلت بالنحو وفتح اللهُ عليَّ فيه".

بدأ لسان صاحبنا ينطلق بالفصحى في تلك السنة الدراسية خاصة بعد أن تطوع لتدريس مادة الدين حين لم يجد مدير المدرسة مدرسًا يتحمَّس لتدريسها، فقد حرص على أن يُحَضِّر المادة تحضيرًا جيدًا ويحفظ الآيات القرآنية المقررة. وخاض بتدريسه هذه المادة تجربة غنية أفاد منها الكثير على صعيد التعامل مع اختلاف المذاهب، وخرج منها بفهم أعمق لروح الدين ورفضٍ للتعصب والجمود ومعرفةٍ صحيحةٍ للمذهب العلوي بدَّدت عنه كثيرًا من الأخطاء الشائعة التي سمعها تتردد عنه، ولهذه التجربة حديثها الخاص بها.

تأكدت لدى المدرس الصغير أهمية الالتزام بالفصحى أثناء قيامه بعمله كمعلم حين انتقل في العام التالي إلى العمل بثانوية أريحا الأهلية ببلدة أريحا بين حلب واللاذقية، فقد وجد نفسه أمام لهجة جديدة عليه، ولا حاجة به إلى خوض تجربة الحديث بها ما دام قد أنس إلى الحديث باللغة الفصحى. وزاد إقباله خلال السنوات الثلاث التي أمضاها في أريحا على القراءة فطاف بين كتب مكتبة المدرسة يقرأ بِنَهَمٍ التراث والحديث والمترجم عن اللغات الأخرى، كما قَوِيَ اهتمامه بالدين فباشر في حفظه أجزاء من القرآن الكريم. ونما لديه أيضًا الاهتمام بالعمل العام فبدأ يشارك في النشاط السياسي ويلقي الخطب فالمحاضرات. وهكذا بدأ يتحدث بالفصحى خارج حجرة الدرس ويستخدمها في حديثه اليومي.

انتقل صاحبنا للإقامة في دمشق بغية الجمع بين العمل ومتابعة دراسته الجامعية وذلك بعد أن استقر رأيه على دخول كلية الآداب والتخصص في دراسة التاريخ، حين تعذر عليه دخول كلية العلوم أو كلية الهندسة؛ لأنهما تتطلبان التفرغ الكامل؛ وعمل

مدرسًا في ثانوية حيفا للبنات وثانوية فلسطين للبنين وهما من مدارس وكالة الغوث التي يتلقى العلم فيها أبناء فلسطين.

كانت عادة التحدث بالفصحى قد تمكّنت منه، وقد تابع تدريسه للرياضيات ثم لمادة الديانة، ووجد أن الفصحى تسعفه في استخدام التعبيرات بدقة. وأنا أذكر كيف تطوّع لتدريس مادة الديانة حين علم من مديرة المدرسة بأن مُدَرِّسة اللغة العربية طلبت من طالبات السنة الأولى الإعدادية أن يقفزوا عن الفصول الأولى من الكتاب المقرر التي تبحث في الطهارة " ويدبسوها " - أي يغلقون صفحاتها بالدبابيس -؛ لأنها تتحدث عن البلوغ والمسائل المتعلقة بالجنس. وذهب صاحبنا يومها بعد أن اتفق مع زميلته إلى المفتش وعرض عليه استعداده، فكان أن عهد إليه بتدريس الدين، وقد أقبل على شرح الكتاب المقرر من أوله ولاحظ أن استخدامه الفصحى في الشرح مَكّنه من تناول أي موضوع بجدية ووضوح،وأثمر دومًا تجاوب طالباته وطلابه معه وانجذابهم إلى درسه. وأنا أذكر كيف استفسرت إحدى الطالبات عن معنى آية الصوم "أُحِلَّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم.. "ربما بقصد اختباره وإحراجه، وربما عن حسن نية فرد عليها بشرح وافٍ لأسباب نزول الآية ولمعاني مفرداتها ومعناها الإجمالي، والصف بمجموعهِ مشدود إليه. وقد أتاح له تدريس مادة الديانة فرصة توجيه طلابه والقيام بتجربة غنية في مجال تربية الشباب وتعريفه بحقائق الحياة وتثقيفه جنسيًّا، ولا مجال هنا لشرحها، وإنما أشير إلى دور اللغة الفصحى في إنجاحها. ويبدو أنّها خلّفت أثرًا ملموسًا بين التلاميذ.

وقد أخذتُ فكرة عن هذا الأثر حين التقيت أثناء حضوري اجتماعا في أبي ظبي بأديب شاب لامع في مجال الإذاعة مع آخرين في حفل رسمي،فإذا به يتحدث للحاضرين كيف شدّه إلى عشق اللغة العربية والتحول إلى الأدب مُدرِسه الشاب الذي كان يُدرس الدين في مدرسة فلسطين الثانوية بدمشق، ولا يتحدث إلا باللغة الفصحى. وقد جذبته

الفصحى فداوم - وهو النصراني - على حضور دروس الدين الإسلامي واتصل منذ ذلك الحين بالأدب.

ثلاث سنوات أمضاها صاحبنا في دمشق تمكنت خلالها الفصحى منه وتمكن هو منها. وقد ساهم في تمكّنه منها إقباله في تلك الفترة على الجلوس إلى شيخ عالم جليل مع مجموعة من أصدقائه مرتين كل أسبوع لقراءة القرآن وسيرة ابن هشام وبعض كتب الفقه على يديه. وأنا أذكر كيف، شعر صاحبنا بروعة دراسة اللغة سماعًا وبالفائدة التي عادت عليه من تلك الدروس. ويكفي للتدليل على عظم هذه الفائدة ملاحظة التقدم الذي أحرزه في قراءة النصوص.وأنا أذكر كيف احمرّ وجهه خجلاً في الجلسة الأولى حين وصله الدور وقرأ صفحة من سيرة ابن هشام فأخطأ- وهو الذي يعمل في التدريس - عدة أخطاء، ولكنه استطاع بعد فترة أن يقرأ صفحات دون أن يلحن مرة.

كذلك ساهم في تمكنه من الفصحى خلال تلك السنوات متابعة الانشغال بالعمل العام، وكانت سورية تمر بفترة دقيقة. وقد أقبل على العمل السياسي واندفع فيه وازدحمت أوقاته بالقراءة والحوار، وبرز كموجّه سياسي يتقن الدعوة لأفكاره بين طلابه وزملائه من الطلاب الجامعيين. وشهدت تلك الفترة أيضًا محاولته الأولى في كتابة المقالات الفكرية. وكان يقرأ بشغف المجلات الأدبية ويتابع باهتمام المعارك الفكرية فيها. وقد نشر آنذاك مقالته الأولى في مجلة الآداب البيروتية، ووجد رغبة في معالجة الكتابة منذ أن أقبل على القراءة وهو في الثالثة عشرة من عمره، وشعر بحاجته إلى تسجيل بعض ما يجيش في نفسه من مشاعر أو في رأسه من أفكار.

ولقد ظهرت آثار تمسكه بالفصحى في دراسته الجامعية بأن حقق تفوقًا ملحوظًا فيها وعلى الخصوص في عرض أبحاثه، وعند دخول الامتحان الشفوي. وبالطبع فإن الفضل في هذا التفوق يعود في المقام الأول للخبرة التي اكتسبها من عمله كمعلم.

كان في الثانية والعشرين حين أنهى دراسته الجامعية، وحصل علـــى إجـــازة في الآداب "قسم التاريخ". وقد اتجه إلى الانضمام لوالديه في طرابلس الغرب فعمل هناك مدرسًـــا للتاريخ في معهد للمعلمين، و لم يلتفت كثيرًا إلى تَغير اللهجة عليه؛ لأن الفصحى كانت قد تمكنَت منه فأصبحت وسيلته في التعبير، اللهم إلا من زاوية اهتمام نما عنده يدفعه إلى التأمّل في هذه اللهجات والبحث عن أصل الألفاظ وكيفية تطورها، وقد خرج من هذا التأمل وهذا البحث بنتائج تستحق حديثًا خاصًّا. وتابع صاحبنا خلال تلك الفترة إقباله على القراءة، وتمكنت منه عادة كتابة خواطره من وحي ما يعيشه في يومه حتى التـــزم بالكتابة الصحفية والتأليف. كما تابع بهمّة العمل العام وانتظمت محاضراته في السياسة والأدب والفكر. واقترنت صورته بالفصحى فلم يعد الناس يذكرونه إلا بهما، و لم يعد هو يأنس إلا لها.

حين أراجع ما كَتبْتُ في الإجابة عن سؤال " لماذا؟ " أجد أنني كعادتي اتَّبعـــتُ المنهج التاريخي في حديثي، وقد أوضحت أصل الحكاية، وأظنني عللتُ وسببت. ولكن يبقى في مجال التعليل والتسبيب أن أذكر حديثًا - يخطر الآن على بالي- جـــرى بـــيني وبين أخي إبراهيم الغويل في طرابلس إبان تلك الفترة. كنا في انطلاقة الشباب نعـــيش حياتنا عريضة ونجاهد لنجسّد ما نؤمن به من أفكار ومعنا ثالثنا المرحوم علي وريـــث صاحب "البلاغ". وكان إبراهيم مطلقًا لحيته على غير المألوف في الخمسينيات وأوائل الستينيات.. فسألته يومها لأول مرة.. وكان قد مضى على صداقتنا سنوات.. عن قصة إطلاقه للحيته، فقص علي القصة، ذاكرًا أنه لم يحلقها منذ أن نبتت في وجهه ومبينًا أنه حين يفكر في السبب يجد أن إطلاقها كان يعلن "تميزًا " عن واقع محيط به لا يرضى عن كثير مما فيه،" وإعلانًا لهوية " جديدة ولأفكار يبشر بها، ثم أشار بـــدوره إلى حـــديثي بالفصحى ولاحظ تشابهًا في الحالين، وقد عدت إلى نفسي يومها فلم أستبعد منطقه في

التعليل، ورأيت أن الظروف التي أحاطت بي تفاعلت مع أفكار فتى حالم يؤمن بأن له دورًا في التقدم بأمته، ويعتقد أن الحياة مسئولية والتزام، ويبشر بمستقبل أفضل.

كيف يستقبل الناس على اختلاف فئاتهم ومستوياتهم ومشاربهم الحديث بالفصحى؟ ما هي ردود أفعالهم عليه؟ وإلى أي مدى ينسجمون معه؟

إجابتي هي من واقع تجربتي التي تمتد على مدى ربع قرن، وإذا أردت أن أصف التجربة بكلمة أو كلمتين أقول: إنها " إيجابية واعدة ". إيجابية؛ لأن استقبال الناس لها - على اختلافهم - تشير في الغالب إلى انسجامهم معها، وواعدة؛ لأن تجاوب الناس معها سريع.

الملاحظة الأولى التي ألاحظها حين أتحدث بالفصحى مع أناس أقابلهم للمرة الأولى في السوق أو في الشارع متناولاً أمور الحياة اليومية، هي أنهم يصابون للوهلة الأولى بالدهشة والاستغراب، ولكنهم ما أسرع ما يألفون "النغمة".

ملاحظتي الثانية: هي أن ردود فعلهم في الغالب - تكون بإجابتي "بالفصحى"، فإن كانوا من العامة الذين تلقوا قدرًا بسيطًا من العلم استخدموا "الفصحى المدرسية" وإن كانوا من المثقفين انطلقوا في حوار فصيح يعطي الحديث طابعًا رفيعًا، وحين يجري الحديث مع أميين يأتي الرد بالعامية مع إظهار فهمهم لما قلت وظهور ما ينبئ بسرورهم لسماع اللغة الفصحى، ولا يخلو الأمر من قلة نادرة تأخذ الأمر كله مأخذ الهزل متأثرة بالصورة المشوهة التي تقدمها بعض التمثيليات الإذاعية والتلفازية والأفلام السينمائية للحديث بالفصحى. ولكن ما أسرع ما يتحول الأمر إلى الجد حين أتابع حديثي بتلقائية غير ملتفت إلى نغمة السخرية وكأني لم أنتبه لها أو أشعر بها.

لقد استخدمت تعبير "الفصحى المدرسية" لأميزها عن "الفصحى"؛ لأني ألاحظ من تعليق الناس على حديثي وأحاديث آخرين يلتزمون بالفصحى أنهم يؤكدون سمة

التلقائية وخاصية السلاسة في هذه الأحاديث. ويشيرون إلى ما يسمونه اصطناع الحديث بالفصحى. وأنا أسلم بهذا التفريق، ومرده فيما أعتقد أن التزام الحديث بالفصحى يكسب الحديث التلقائية والسلاسة بينما أسلوب تعليمها في مدارسنا والاقتصار عليها عند قراءة النصوص العربية ليس إلا هو الذي بذلك الاصطناع.

ملاحظتي الأخيرة: هي أن جُلّ الناس بعد أن يتجاوزوا وقع مفاجأة الحديث بالفصحى، وبعد أن يظهروا ردود فعلهم الأُولى عليه ما أسرع ما يألفون هذا الحديث وينسجمون معه، ومن هنا فإن موقف المتحدث بالفصحى وهو يصرف أمور حياته اليومية هو موقف قوي أهم ما فيه أنه قريب إلى قلوب الآخرين، كما أنه أقدر على التعبير الدقيق، وهذه القدرة على التعبير الدقيق لا تمنع المتحدث بالفصحى أن يشعر أحيانًا بحاجته إلى استخدام تعبير يشيع على ألسنة العامة، وقد درجت في مثل هذه الحالة على استخدامه بلا تردد؛ لأني وجدت بعد متابعة في المعاجم أن كثيرًا من تعبيرات العامة هي تعبيرات فصيحة في الأصل وقد وردت في القواميس، أما إذا كنت متأكدًا من بعد التعبير عن الفصحى فإني أمهد لاستخدامه بقول: "كما يقول العامة" أو "كما يقال باللسان العامي".

ولقد فكرت في سر أُلفة الناس للفصحى، وانسجامهم معها فرجحت أن السبب يعود إلى لغة القرآن الكريم الذي يستمعون إليه ويرددونه بخشوع، كما أنها لغة القراءة الجادة سواء في الصحف أو الكتب. وهي في الوقت نفسه لغة الحديث الرفيع الذي يستمعون إليه في الإذاعة أو في المحاضرات العامة أو في الخطب الرسمية أو في حوار الخاصة.

والآن وبعد هذا الحديث الذي طال عن الفصحى وقصتي معها لابد لي كي أوفي هذه القصة وأكملها أن أقول: إن تجربتي طرحت أمامي منذ فترة سؤالاً جذريًا هو:

ما هي الفصحى وما هي العامية؟ وقد حاولت أن أجد الإجابة الوافية له. وأذكر أنني طرحت السؤال أمام أخي إبراهيم في محاوراتنا التي كانت تتصل يومًا بعد يوم - إبان إقامتي - بطرابلس وتجوب بنا عوالم الفكر، والحياة والكون، فساعدتني تعليقاته ونظراته على تلمس طريقي في الإجابة. كما أذكر أنني طرحت السؤال على أخي الكبير الدكتور إسحاق موسى الحسيني في لقائنا الأخير بالقاهرة أثناء مشاركته في مؤتمر مجمع اللغة العربية. وخصصنا للإجابة عليه نصيبًا من وقت الحوار الذي كنا نحرص عليه يوميًا وتوفره لنا رفقة الطريق.

الفصاحة في المعاجم "البيان" واللفظ الفصيح: "ما يدرك حسنه بالسمع". وفصح الأعجمي "تكلم بالعربية فجادت لغته و لم يلحن"، "ورجل فصيح" يحسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه "وكلام فصيح" يعين صاحبه على إجادة التعبير. و"الفصاحة" من أفصح اللبن إذا ذهبت رغوته، ولقد قدر العرب منذ القديم الفصاحة وميزوا بين اللغة العالية ولغة العامة. ويبدو أن التفريق الواضح بين لغة فصحى ولغة عامية هو أمر حديث نسبيًّا يعود إلى القرن الماضي. ولقد ألحّ هذا الأمر مع ظهور اليقظة في خِضَمّ الحوار حول لغة التعبير وطريقة الكتابة.

وفي محاولتي أن أجد الإجابة الوافية للسؤال الذي طرحته تجربتي أمامي كنت أتتبع باهتمام لهجاتنا العامية، وكلما استوقفتني كلمة أهرع إلى المعجم بحثًا عنها.. وقد وجدت أن كثيرًا من الكلمات المتداولة في هذه اللهجات كلمات فصيحة جاء ذكرها في المعاجم، ولاحظت أن كل لهجة اختارت كلمة بعينها فتداولتها، وفي الغالب طرأت على العديد من هذه الكلمات تغييرات بفعل الإبدال والإدغام، ولا أريد هنا أن أسترسل في إيراد الأمثلة مؤجلاً ذلك لبحث أرجو أن أعكف على كتابته، ولكن أكتفي بذكر تعبيري "بني وبدي" وكلاهما بمعنى الإرادة والرغبة، والأول يشيع في بعض

أقطارنا العربية بشمال إفريقيا بينما يشيع الآخر في بلاد الشام، إن أصلهما هو "نبغـي" و"بودي" وكلاهما في الأصل فصيح كما نرى، وقد تعرضتا للتغيير، وتتبعت أيضًا طريقة اللفظ في اللهجات، فقادني ذلك إلي البحث عما كتب عن لهجات العرب القديمة. ووضح لي أن لهجاتنا الحالية إنما هي استمرار لها، وتأكد لي أنه لولا اعتمادنا نحن العرب لغة واحدة في الكتابة لتحولت هذه اللهجات إلى لغات، ولحدث للغة العربية ما حدث لغيرها من اللغات القديمة التي تفرق كل منها لعدة لغات.

إن هذه اللغة الواحدة هي لغة القرآن الكريم، وهي قبل ذلك لهجة قريش البليغة. وكانت قريش كما قال أبو نصر الفارابي: "أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، أسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعًا، وأبينها إبانة عن النفس" ويبدو لي أن التجاوب الذي يلاقيه حديثنا بالفصحى موروث منذ أن برزت لهجة قريش بين العرب قبل الإسلام، ومنذ أن اختار الله اللسان العربي المبين لينزل به القرآن الكريم.

ولقد استوقفني في مستهل تجربتي ما عبر به أبو الريحان البيروني عن مشاعره تجاه اللغة العربية في كتابه "الصيدنة:"ديننا والدولة عربيان، والدين والدولة توأمان يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية. و"الهجو بالعربية أحب إلي من المدح بالفارسية..".

إن هذه المنزلة النفسية وهذه المزية العملية للفصحى تجعل المستقبل لها. ومن المؤكد أن البون القائم بين العامية بلهجاتها وبين الفصحى يمكن أن يضيق تدريجيًا مع انتشار التعليم واعتماد سياسة إعلامية ثقافية صحيحة في الإذاعة والصحافة ووسائل الإعلام الأخرى.

أخشى أن يسوقني حديثي عن قصتي مع الفصحى إلى الاستطراد لمعالجة موضوعات كثيرة تتصل بواقع الفصحى ومستقبلها، وقد وجدت في نفسي وأنا أكتب ميلاً إلى الحديث عن الفصحى والتجزئة السياسية، والفصحى والقيادة السياسية،

والفصحى والتقدم العلمي، والفصحى والدور الإنساني لأمتنا، كما وجـــدت نفـــسي مهتمًّا بمحاولة الإجابة عن سؤال كيف؟ بشأن تضييق البـــون القـــائم بـــين العاميـــة والفصحى. وحين أخذت استراحة من الكتابة انعطفت إلى مكتبتي لأراجع البحث القيم الذي كتبه عن مجال اللغة العربية عبد الكريم اليافي، في كتابه: "دراسات فنية في الأدب العربي"، ثم عاودت قراءة البحث القيم الذي كتبه الدكتور حسام الخطيب عن عمـــوم اللغة العربية في عصرنا، وطرح فيه ملامح المشكلة اللغوية في البلاد العربية، وذلـــك في كتابه "ملامح في الأدب والثقافة واللغة" وقد تفضل بإهدائه لي عند لقائنا الأخـــير في غمرة حديث طويل عن مستقبل الفصحى. ومررت أيضًا بكتـــاب جرجـــي زيـــدان "الفلسفية اللغوية والألفاظ العربية" مستذكرًا بعض ما طرحه من قضايا.

إذًا فلأختم حديثي راجيًا أن أكون قد أجبت من خلال قصتي مع الفصحى عن سؤالي لمـــاذا؟ ومتى؟

وقدمت شهادة واقعية لتجربة يمكنني القول بأني سعيد بها وأراها تجربة واعـــدة؛ لأن المستقبل سيكون للفصحى.

* * *

اللهجات(*)

للأستاذ نلينو
(عضو المجمع)

علم اللهجات (Dialectology) فرع من علم اللغات (Linguistique)، نشأ في خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن التاسع، حين اتضح عند ترقي علم اللغات وإتقانه ـــ أن اللهجات من المباحث الخليقة بالنظر والبحث، لأسباب شتى: منها الآراء الجديدة في أصل اللهجات، وتكونها، وتأثيرها في حياة اللغات الأدبية "الفصيحة". ومنها أيضا: ما لاح من أن درس اللهجات - بطريقة علمية مدققة - كثيرا ما يساعد على فهم مسائل مبهمة في اللغات الفصيحة، وعلى إثبات سبب بعض ما يعرض من الأمور المشكلة في صرفها، ونحوها، وألفاظها. في بعض الأقطار الأوربية، مثل: إيطاليا، وألمانيا، وفرنسا، وسويسرة، أنشئت جمعيات ولجان تنشر كتبا مطولة، ومجلات خاصة بهذا الموضوع، وتبذل الجهد فى وضع ما يسمى" الأطالس اللغوية" لكل مقاطعة من القطر.

ويجوز أن نقسم بحث اللهجات **قسمين**: علميًّا وعمليًّا، أما القسم العملي، فنوعان:

الأول: مقصور قصده على تفاهم الأجانب مع أهالي البلاد. وتؤلف لهذا الغرض كتب مطولة، مشتملة مثلا على تفصيل قواعد اللهجة، وكتب صغيرة كثيرة تسد حاجة الاستعمال اليومي، وهذا النوع طبعا خارج عن أغراض المجمع وأعماله.

وأما الثاني: فالغرض منه درس اللهجات لإصلاح الخطأ الذي يكون قد طرأ على اللغة الأدبية الفصيحة من طريق اللهجات العامية. وهذا البحث يدخل في أعمال لجنة الأدبيات من المجمع.

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الحادية والعشرين، من الدورة الأولى، في يوم الثلاثاء ٢٧ من فبراير سنة ١٩٣٤، ودارت حول البحث مناقشات مهمة، مثبتة بمحاضر جلسات تلك الدورة، ص ٢٩٢، وما بعدها **(وهذا البحث- وتالييه- كان الأولى نشرها في الكتاب الأول: "اللهجات العربية"؛ ورغبةً في استدراك ما فات، ولما لهذه البحوث الثلاثة من علاقة بموضوع هذا الكتاب أثرت نشرها هنا).**

أما القسم العلمي، فيرمي إلى درس اللهجات درسا دقيقا واسعا، كما تـدرس اللغات الأدبية "الفصيحة"، على الأسلوب العلمي الصرف غير المدرسـي، لاستنباط قواعد الصرف والنحو التي تجري عليها اللهجات. ثم استنباط الأصل الذي يعود إليـه كثير من الكلمات. ثم يأتي بعد ذلك مقارنة بعض اللهجات ببعض، بالطريقة التي تتبع في مقارنة اللغات السامية مثلا، واللغات الهندية الأوربية، مع كل ما يترتب على مثـل هذه المقارنات من الفوائد، ويمكن بعد ذلك تصنيف اللهجات على حـسب نـشأتها وصلات بعضها ببعض.

ومن الجدير بالذكر أن نعرف أن الناحية الأساسية في ترتيب اللهجات ترجع إلى علم الأصوات (Phonetique). وقد أهمل هذا العلم في الكتب المدرسـية؛ لأن هـذا البحث لم يظهر ما له من الشأن إلا بعد أن ارتقى علم اللغات، وتقدمت بحوث العلماء فيه تقدما كبيرا. ولذلك نجد أن هذا العلم قد بعد كثيرا عما عرف منه اليونان والرومان والعرب على توسعهم في ذلك، فاختلفت قواعده وأساليبه عن القواعد والأساليب التي جرى عليها القدماء؛ لأن علم الأصوات أصبح من العلوم اللغوية، ومن العلوم الطبيعية والتجريبية معا.

ومن مباحث هذا العلم المختلفة، إثبات الأسباب التي أفـضت إلى التبـديل في مخارج الحروف، وتوضيح أثر صوت في آخر في كلمة وحدة، أو كلمتين متصلتين،كما هو الواقع مثلا عند بعض المصريين الذين ينطقون لفظة "راس" بالصاد، فيقولن"راص"، والسبب في نطق السين صادا يرجع إلى تفخيم الراء، فيلزم من ذلك جعل السين صادا في النطق.

ولا بد لي أن أشير إلى رأيين ذاعا في أوربة والشرق، ولاح الآن فسادهما عنـد علماء اللغات:

الأول: أن اللهجات العامية ليس لها قواعد. والقائلون بهذا لم يفطنوا إلى أن كل اللغات الأدبية الفصيحة لم تكن في أول أمرها ذات قواعد مدونة، وأن القواعـد اسـتخرجها النحاة مما قيل أو أُلّف من النثر والنظم فيها.

والثاني: القول بأن اللهجات فروع من اللغة الأدبية "الفصيحة"، وأن اللهجات محرفة من تلك اللغة. وقد ظهر الآن خطأ هذا القول؛ إذ ثبت ثبوتا لا يقبل الشك أن اللغة الأدبية في أمة من الأمم ليست في الأصل إلا لهجة من اللهجات، غلب استعمالها لأسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية أو عمرانية، فذاعت وغلبت على غيرها من اللهجات. فحقيقة اللهجات أنها أخوات اللغة الأدبية، ترتقي كهذه إلى لغة أصلية واحدة، تفرعت كلها عنها، فعرض للهجات أنواع التقلب، ودخل فيها الدخيل والفساد بمرور الزمان، كما هو الحال أيضًا في تطور اللغة الأدبية أختها.

وقد ظهر بعد البحث أن اللهجات العامية في كل أمة قد حفظت في تضاعيفها ألفاظا وتراكيب، درست معالمها في اللغات المكتوبة، فدرس اللهجات يساعدنا على فهم أمور غامضة، كثيرا ما تنافي صرف اللغة الفصيحة ونحوها، من غير أن نعرف السبب في غموضها،فإذا درسنا اللهجات فربما اهتدينا إلى شيء يوضح لنا سبب هذا الغموض. ولا ريب عندي في أن درس اللهجات العربية؛ يساعدنا على فهم كلمات وعبارات أثبتت في المعاجم من غير أن يدقق واضعوها في حد معناها، فظلت مبهمة. وقد أهمل اللغويون شرحها؛ لأنهم لم ينقبوا عن الأصل الذي ترجع إليه.

وكذلك ينبغي أن نعرف أن اللهجات مرآة تتراءى فيها صور الفكر، كاللغات الأدبية تماما، فهي كتاب واسع نقرأ فيه تاريخ طبقات كثيرة من الناس، ونفهم منه حقيقة تطوراتهم وميولهم وآدابهم وعواطفهم، وذلك من أعظم ما يعتمد عليه في درس التاريخ العام.

وكما لا يجوز لعالم نباتي أن يهمل درس نبات لضئولة شأنه أو عدم فائدته الظاهرة، كذلك لا يجوز لعالم لغوى أن يهمل درس لهجة من اللهجات مهما قلت قيمتها. ودرس اللهجات يبين لنا جزءا غامضا من تاريخ الأقوام البائدة، ويعرفنا كيف تنقلت الجيوش، وإلى أين انتقلت القبائل والشعوب، وكيف اختلط بعض الأمم ببعض في أزمان التاريخ.

أضف إلى ذلك أن علم اللهجات لا ينحصر في المسائل اللغوية الصرفة، بل يشمل آدابها أيضًا التي منها الأمثال السائرة الحافظة أحيانا لكلمات وعبارات نطلب استعمالها في الكلام المعتاد. وأنتم أدرى منِّي بقيمة هذه الأمثال من جهة أخرى أيضا، لأنها قسم غير يسير من حياة الشعب المادية والروحية، تبين عن عواطفه وآماله ومتجهاته وعاداته. ولاشك أن هذا الدرس مفيد أكبر الفائدة للاجتماعيين وعلماء النفس.

وقد ذكر أحد الأعضاء أن للمرحوم "أحمد تيمور باشا" معجما واسعا في تحقيق الألفاظ والأمثال العامية والبحث عن أصلها، وقد قرأت بعض ما حققه المرحوم "أحمد تيمور باشا"، وهو عمل جليل، إذا عني مجمع اللغة العربية الملكي بطبعه أسدى إلى اللغة العربية يدًا لا تجحد.

وأقول آخر الأمر: ينبغي ألا نؤجل البحث في اللهجات إلى أمد بعيد، لأن انتشار التعليم في بلاد الشرق العربي باللغة الفصيحة ـ يجعل الناس يتركون اللغة العامية وينسونها. فأخشى إذا أجل البحث في اللهجات العامية أن تضيع الآثار التي تقوم عليها البحث الذي نعده عملا تكميليا من أعمال المجمع. ونحن نرى بعض سكّان الصعيد إذا سكن القاهرة مثلا، وأطال اللبث بها - نسي كثيرا من لهجته الأصلية، متأثرا بلهجة العاصمة.

* * *

عجائب اللهجات(*)

للأستاذ محمد كرد علي
(عضو المجمع)

كان اختلاط العرب في الجاهلية بالأمم المجاورة لجزيرتهم قليلاً إذا قيس باختلاطهم بهم في الإسلام، وفيه فتحت عليهم الأقطار وشاهدوا فيها ما لم يعرفوه من أسباب الغنى والترف، وهذا يستلزم للتعبير عنه ألفاظًا جديدة ما كان لهم ولا لأجدادهم عهد بمثلها. وإذ كانوا في هذا الدور مأخوذين بدهشة الفتوح لم ينظروا إن كانت تلك الألفاظ عربية صرفًا أو جاءت من إحدى اللغات السريانية والنبطية والقبطية والحبشية والهندية والبربرية والفارسية، وربما ظنها بعضهم من لهجة عربية غير لغة قريش، وليس لهم مانع من قبولها ما دام الإسلام وحد اللهجات العربية، وبلغة قريش أفصح اللهجات نزل القرآن.

وما لبث الداخلون في الإسلام أن أدخلوا ما كان متأصلاً في ألسنتهم من الكلمات، فأصبح لكل صقع لهجة اتسعت مع الزمن، أي كان لكل قطر بل لكل إقليم لهجة على حيالها، ومعظم المولد لا يمت إلى الفصحى بسبب.

والغالب أن الألفاظ الأعجمية التي صاغوها على أساليبهم تكاد تزيد عن الألفاظ التي أبقوها بحالها، وبديهي أن يكون لكل صقع نغمته وإصلاحه وألفاظه، واللهجات ابنة السماوات والميول على الأغلب، وما تحسه من النغمة العذبة في اللهجة المصرية اليوم لا تذوقه في لهجات جبال الشام، نعم ما تشدد العرب أو خاصتهم في قبول بعض الألفاظ الأعجمية بادئ بدء تشددهم في اللحن والزراية على من يرتكبه؛ لأن الجمهور لا ينتظر في شؤونه اليومية الحافزة صدور إرادة الخاصة في اختيار اللفظ الفلاني دون غيره، بل يسارع إلى تلقف ما يعرض له بادئ الرأي مؤثرًا الطريقة العملية

(*) محاضر جلسات المؤتمر – الدورة الرابعة عشرة، الجلسة الأولى في ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ م، ونشر البحث في مجلة المجمع بالجزء السبعين، ص١٥٣.

السهلة، ويتشرب الألفاظ التي تكاد تكون مرتجلة ترسخ فيه بكثرة التكرار، ويغدو من المتعذر نـــزعها والاستعاضة عنها بمصطلح آخر أتى على أصول الوضـــع الـــصحيح. تساهل أرباب اللغة بإدخال بعض المفردات طوعًا أو كرهًا كأنهم رأوا أن لا مندوحـــة لهم عنها، وإن خرجت أحيانًا عن صيغة لغتهم. ثم تطورت اللهجات بتطور الـــزمن، وللزمان سلطانه يثبت وينفي على ما يشاء، والتحول يجري على مقيـــاس واســـع في الشارع، وعلى مقياس ضيق في أندية الخاصة وقصور الملوك والأمـــراء ومعـــسكرات الجيوش.

أخذت العرب من الأعاجم مئات الألفاظ مما له علاقـــة بالحيـــاة اليوميـــة أو المصطلحات العلمية، وكان لكل دولة تولت أمر هذه الأمة أن أورثتها ألفاظًا، منها ما دخل في المعاجم ومنها ما مات بموت الدولة التي وضع في عصرها وسعت إلى بثـــه في الناس، أو سقط من الاستعمال لعدم الحاجة إليه.

فكانت الألفاظ الأعجمية من عهد الأمويين أقل مما جاء مع العباسيين لقـــرب عهد بني أمية بالعربية الفصحى، وأخذ بنو العباس من الدخيل بالكبير والصغير، أعداهم الفرس للجوار وللاختلاط الوشيج بالشعوب غير العربية حتى خيف على اللغة أن يصبح جزء عظيم منها من غير الأصول العربية، ثم قامت دول الطوائف فكانـــت الألفـــاظ الحديثة في مصطلحات الدولة على الأكثر تركية وفارسية ومغولية.

وهكذا كان شأن دولتي نور الدين وصلاح الدين، ودولتي المماليـــك البرجيـــة والبحرية ثم دولة العثمانيين.

وما يقال في هذه الدول والألفاظ الطارئة عليها يقال في دول صقلية والأندلس والغرب الأقصى والأوسط والأدنى، ولعل الدخيل كان نادرًا في أرض الأندلس، وقـــد توخى الأمويون واضعو أساس دولتها التوحيد في كل شيء، حتى إن الرحالة ابن جبير لما رأى كثرة الفرق والمذاهب في هذا الشرق القريب في القرن السادس قال: لا إسلام إلا ببلاد الغرب؛ لأنهم على جادة واضحة لا بنيات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات

الشرقية فأهواء وبدع، وفرق ضالة وشيع إلا من عصم الله من أهلها، وكان في تفنن الأندلسيين بتعريب أسماء بلاد الأندلس مثال ظاهر من العناية بصيانة اللغة مما يعبث بها، وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات التي نقلها أهلها بعد الجلاء إلى البلاد التي نزلوها: مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام، ولعلها كانت لقربها من الفصحى أشبه بلهجات اليمن والحجاز. والأندلس استعملت ألفاظًا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام، فكان الأندلسيون مثلاً يقولون: "القابض" لمن نطلق عليه الجابي أو المحصل، ويطلقون "المتقبل" لمن نقول له: الملتزم أو الضامن، ويقولون: "أهل الأموال" لأرباب الأملاك أو الملاك، ويطلقون "الطومار" على البطاقة.

وهكذا أبقى كل قرن في تضاعيف هذا اللسان قدرًا من الألفاظ الدخيلة، ولون كل لهجة بلون بعض اللهجات المجاورة وغيرها. ولكل جيل ولكل إقليم لهجة تختلف واحدتها عن الأخرى. وكان العارفون باللغة في كل زمن يردون ما دخل على الفصحى من المولد، وإذا غلبتهم قوة الدخيل يتساهلون بقبوله، ومن جهة أخرى يكتبون الرسائل والكتب في تزييفه. وحاول الغُيُّر على اللغة في كل قرن من قرون الإسلام أن يحيوا الفصحى ويبقوا عليها في الخطاب كما حفظت في الكتاب، فكان الجهلة يهزأون بهم ويتغامزون منكرين صنيعهم، وأقل ما يقولون في المتكلم بالفصيح أن ينبزوه بأنه يتكلم بالنحوي.

وبعد أن كان مثل الحجاج بن يوسف يحتال على بعض من خرج عليه فيفسد لغته، أصبح الخاصة والعامة في القرون التالية يتفاهمون بلغة العوام ولهجتهم بدون نكير، وسواد العامة أكثر من سواد الخاصة في كل عصر ومصر، وبعد أن كان ينظر إلى من فسدت لغته كما ينظر إلى من أصيب بمروءته وشرفه أصبح هذا مما لا يؤبه له كثيرًا، وبعد أن كان الحجاج نفسه ينفي من بلده أحد الفصحاء؛ لأنه صارحه بأنه يلحن؛ نفاه لئلا يسري في الملأ رأيه فيسقط من الأنظار.

وقد عرف الحجاج أن رسول الله سمع رجلاً يلحن في كلامه، فقال: "أرشدوا أخاكم فإنه ضل" وأن عمر كتب له أحد عماله كتابًا لحن فيه فكتب إليه "قنع كاتبك سوطًا" وكان عبد الملك يقول: اللحن في الكلام أقبح من الجدري.

عربوا أسماء العلوم في القرن الماضي فكانوا يحرصون على التعبير عن المعنى بأي لفظ عرض لهم، يهمهم التعبير عن المسمى لا الفصاحة، ولعل أجدادهم كانوا في مثل هذه الحال يوم نقلوا عن الفرس الأطعمة فلم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لها أسماء عربية، واغتبطوا أن اهتدوا إلى تحضير تلك المآكل اللذيذة فقالوا: الفالوذج واللوزينج والجوزينق واللوزينق وما بالوا بثقلها وعجمتها، وكان في مكنتهم أن يقولوا اللوزية والجوزية... إلخ. ولكن كان همهم أن يصيبوا أولاً من هذه الحلواء الشهية، ولو كان واضعو الألفاظ العلمية في بدء النهضة العربية الأخيرة على جانب من معرفة اللغة الفصحى لأطلقوا بادئ بدء ألفاظًا فصيحة على المسميات وحالوا دون عناء المجامع اللغوية الحديثة بعض الشيء.

ولعل من اضطروا إلى وضع ألفاظ غريبة مولدة عمدوا إلى استعمالها في الأحايين ليؤثر الكلام في العربي القح والعربي الدخيل على السواء ما دام المقصود من الكلام إفهام الخواص والعوام. ولا نقول: إن اللغة كانت تخون الفصحاء فلم يوفقوا إلى إيجاد ألفاظ عربية خالصة تقوم مقام الألفاظ الأعجمية، بل نقول: إنهم غلبهم حب السرعة على جميع الاعتبارات، وأتوا بما حضرهم واكتفوا بما كان في متناولهم، وهم إلى ذلك كانوا يعلمون أن مئات من الألفاظ المولدة لا تضر بلغة تحوي مئات الألوف من المفردات الفصيحة، ويزيد التسامح في قبول الغريب المولد إذا صيغت اللفظة صياغة عربية لا ينبو عنها ذوق أبناء هذه اللغة.

كتب معاوية رضي الله عنه أيام فتنة صفين إلى قيصر الروم لما بلغه أنه ينوي غزو الشام: " لئن أتممت على ما بلغني من عزمك لأصالحن صاحبي، ولأكونن مقدمته إليك، ولأجعلن القسطنطينية البخراء حممة سوادي، ولأنتزعنك من الملك انتزاع الإصطفلينة، ولأردنك أريسًا من الأرارسة ترعى الدوبل". وفي هذا الكتاب الموجز على ما نفهم نحن

اليوم ثلاثة ألفاظ لا نسمعها، وهي الدوبل، ومعناه الخنزير، والأريس: هو الفلاح والأكار، من أرس: فلح، والإصطفلينة، وهي لغة شامية قديمة لا تستعمل اليوم، ومعناها الجزرة التي تؤكل. آثر الخليفة استعمالها على الخروج عن مألوف الأرض التي صدر منها الكتاب.

وكذلك كان من الحجاج بن يوسف لما استحث أحد عماله على المسار بأداء الخراج، فقال له من كتاب: "فايم الله لتبعثن إلى بخراج أصفهان كلها أو لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها"، والطابق بكسر الباء وفتحها: الآجر الكبير فارسي معرب وكذلك الآجر. خاطبه بما شاع ولو قال له: لأجعلنك لبنة لما كان لها تلك الرنة، ولو كان الكاتب في مصر لاستعاض عن آجر وطابق بلبنة وطوبة.

ومن اللهجات ما راج في قرن وكسد في آخر. كانوا يقولون في القديم: فندق، خان، فأنشأوا يقولون في الزمن الحديث: لوكندة، هوتيل أو أوتيل، وقالوا: بيمارستان أو مارستان أو دار المرضى، فشاعت على الألسن اليوم هو اسبتاليا أو استباليا، وقالوا: صيدناني وصيدلاني وصيدلي وفرمشاني وأجزاجي لصاحب هذه العقاقير والمركبات والمعاجن، كما اصطلحوا في كل قطر على إطلاق اسم يغاير ما اصطلح عليه القطر الآخر، فللإبانة عن لفظة المشاهرة قالوا: الحامكية والمعاش والمعلوم والمقرر والراتب والمرتب، وقديمًا كانوا يقولون: الإدارات والأعطيات، ويقولون في مصر اليوم: الجوارب للحوربين، وفي لبنان الكلسات، وفي مصر كوانتي، وفي الشام كفوف، أما من يقولون: قفازج، وقفافيز، فهؤلاء من اللذين أنعم الله عليهم وحفظوا من متن الفصحى عشرة آلاف كلمة على الأقل حتى وصلوا إلى قفاز، وفي الشام يقولون: شلح أواعيه، وفي لبنان: قلع ثيابه، وفي مصر: قلع هدومه، وتقول الأم لابنتها: روحي ابتدلي، أي غيري ثيابك.

وقد يعمدون إلى استعمال ما كان له أصل في اللغة كالخناشير والطراطير، والخنشور: الذي لايعجبك يقابله بالشامية: الشرشوح. سمعت سيدة مصرية تقول: "كلهم خناشير يحزنوا القلب" والطرطور الضعيف الذي لا عمل له، وهكذا في المصرية

متعنطز، متحنشص متنرفز، إلى مئات غيرها. ومنها ماله أصل عربي مثل إطلاقهم لفظ نغنوغة على السيدة ذات الدل والخفر وهي السيدة السمينة، جاءت من نغنغ الطعام والفطير: زاد في سمنه، أو من لغلغ الطعام: أدمه بالسمن والودك، وفي مصر يقولون: بص أي انظر، وفي لبنان اقشع، وفي الشام شوف.

وقد يختلف كل قطر عن جاره في مدلول اللفظ الواحد وفي صيغة الجموع وغيرها، ففي مصر يقولون: طقطوقة لذلك الوعاء الصغير الذي يطرحون فيه رماد اللفائف وأعقابها، ويطلقون الطقطوقة على الأغنية البلدية، والقرينة هي التي تفرق بينهما كما هو الحال في كثير من الألفاظ. ولو قلت: الطقطوقة لذاك الإناء لضحك الشامي ونظر باهتًا فلا يعرفها تطلق إلا على الأغنية. وفى الشام يجمعون سيكارة على سيكارات، وفي لبنان على سواكير، وفي مصر على سكاير. ويقولون في الشام: طنش بالشين: غض الطرف وما بالى، وفي مصر: طنس بالسين لهذا المعنى، وفي مصر لبش: تحير وارتبك، وفي الشام لبش: جمع متاعه وارتحل، وفي مصر: متحنتف: متزين لطيف، ومعناها في الشام: بخيل مقتصد.

وكما اختلف مدلول بعض الألفاظ في الأقطار المجاورة تنوسي كثير من الفصيح جملة، فكانوا يطلقون على الأرض الكثيرة الخضرة (اليخضور)، وعلى الرجل الكثير الكلام (اليهمور)، وعلى الرجل الأحمق (اليأقوف)، وعلى المثقل بالدين (المفرح) وعلى، كثير الطرب (المطرابة)، وعلى من يتكلف الألحان من غير صواب (اللعاعة) وعلى الخبيث الشرير (العارم)، وكانوا يقولون: أخذ ماله كملاً واليوم يقولون: كاملاً، وفلان لا يؤاكل رغيبًا ولا زهيدًا، والرغيب: الكثير الأكل، والزهيد: القليل الأكل، إلى مئات غيرها مما لو عادت إليه الحياة وجرت به الألسن لحيي جانب عظيم من الفصيح ومات جانب من المولد مع الزمن وضعفت اللهجات وقويت الفصحى أو جانب عظيم منها.

من الصعب تعيين زمان دخول كل لفظة بعينها؛ لأن اللهجات لا ضابط لها ولا هي مدونة بأسرها، فمن الواجب وضع معجمات لها كما نراهم في الغرب وضعوا

معاجم للألفاظ العامية وأخرى للألفاظ المحرفة، ومعاجم للغة أرباب الدعارة واللصوص يعبرون عنها بالفرنسية بكلمات argot, jargon, baragouin, patois. وفي بعض كتب الجاحظ ألفاظًا كثيرة من هذا القبيل لا تعترف بها الفصحى، وكان تدوين أبي عثمان لها من مزايا لغتنا واتساع صدرها لكل جديد، ما سبقت لها معرفته.

والحمد لله على أن المجمعيين لم يعترضوا على بعض ما وضع مثل ثلاثة ألفاظ إفرنجية وهي فيلم وترام وسينما فأقروها راضين، ومثل مخيم ومصح ومعزل وهي مشتقة من أصل عربي، وربما تفننوا وأطلقوا أكثر من اسم على مسمىً واحد كما وقع للمقدسي البشاري صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" من أمتع الكتب الجغرافية عند العرب فقد أسماه الناس خلال رحلته بستة وثلاثين اسمًا دُعي بها المسكين وخوطب فأطلقوا عليه المقدسي والفلسطيني والمصري والمغربي والخراساني والسلمي والمقرئ والفقيه والصوفي والمولى والعابد والزاهد والسياح والوراق والمجلد والتاجر والمذكر والإمام والمؤذن والخطيب والغريب والعراقي والبغدادي والشامي والحنفي والمؤدب والكري والمتفقه والمعلم والفرائضي والأستاذ والدانشمند والشيخ والنشاسته والراكب والرسول.

لما ورد مصر ابن جرير الطبري صاحب التاريخ في سنة ٢٥٦ هـ قادمًا من العراق، نزل على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ له دارًا قريبة منه. قال: وجاءني أصحابه فقالوا: " تحتاج إلى قصرية وزير وحمارين وسدة فقلت: أما القصرية فأنا لا ولد لي وما حللت سراويلي على حرام ولا على حلال قط (ياخسارة) ، وأما الزير فمن الملاهي وليس هذا من شأني، وأما الحماران فإن أبي وهب لي بضاعة أنا أستعين بها في الطلب فإن صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء أطلب؟ قال: فتبسموا فقلت:إلى كم يحتاج هذا؟ فقالوا: يحتاج إلى درهمين وثلثين فأخذوا ذلك مني، وعلمت أنها أشياء متفقة، وجاءوني بإجابة وحب للماء وأربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط وقالوا: الزير للماء، والقصرية للخبز، والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك،

وكثرت البراغيث فكنت إذا جئت نـــزعت ثيابي وعلقتها على حبـــل قـــد شـــددته واتزرت وصعدت إلى السدة. اهـــ.

والحماران هنا يطلق عليهما في الشام الجحشان كانا عندنا صغيرين فكبرا هنــا على ما يظهر. يقول "أناطول فرانس": الألفاظ هي الأفكار، وأعتقد أن الشعب الأول في العالم هو الذي كان كتاب قواعده أجود من كتاب غيره، وقد يهلك الناس بعضهم بعضًا بألفاظ لا يفهموها، فإذا تفاهموا يتعانقون ويتعاطفون.

* * *

بلبلة اللهجات(*)

للأستاذ محمد رضا الشبيبي

(عضو المجمع)

البلبلة في الأصل، اختلاط الألسنة، ويعنى اللغويون بذلك، اختلاط ألسنة مختلفة، واليوم نشهد هذا الاختلاط في بلبلة اللهجات العربية.

فكأن البلبلة فيها اختلاط ألسنة مختلفة، وهناك مع هذا من يدعو إلى التفريط بالفصحى والاعتماد على لهجة من اللهجات المحكية وهذه الدعوة في الأصل دسيسة استعمارية لم يستجب لها إلا بعض الموتورين من دعوة الإسلام.

ولكن أي لهجة من هذه اللهجات نعتمد، وليس بينها لهجة مستساغة من الجميع،فكثير من المصريين لا يستسيغون لهجة العراقيين،وكثير من العراقيين لا يستسيغون اللهجة الشائعة في مصر وسوريا، وإن كانت لهجة مصر أرق اللهجات الشائعة. والجميع كذلك، لا يفهمون عن المغاربة لهجتهم العامية، وكم من لفظة واحدة نرى لها في اللهجة المصرية معنى، وفي العراقية معنى آخر يختلف عن ذاك، وفي اللهجة السورية معنى ثالث يختلف عن الاثنين.

خذ مثلاً على ذلك الكلمات الآتية: مبسوط، مرتبة، طبقة.

فإذا قال المصري: "إنه مبسوط" فهو يعني أنه مسرور جدًّا. أما إذا قال لك العراقي: إنه "مبسوط" فهو يعني أنه مضروب ضربًا شديدًا. وفي "العراق" يتحدثون عن بعض النوادر المضحكة التي اتفقت بسبب هذا الاختلاف في اللهجة. فإن ناظر إحدى المدارس العراقية سأل مدرسًا مصريًا عن حاله فأجابه: مبسوط، فدهش العراقي قائلاً:

(*) الجلسة الحادية عشرة والختامية لمؤتمر الدورة الثانية والعشرين، في ١٥ من يناير ١٩٥٦م، ونشر بمجلة المجمع بالجزء الثاني عشر، ص١٣٥. (وسبقت للأستاذ الشبيبي عدة بحوث في الكتاب السابق "اللهجات العربية"، منها: "توحيد اللهجات"، "في تاريخ اللهجة المصرية"، "لهجات الجنوب"، "أصول ألفاظ اللهجة العراقية").

من بسطك؟ وهو يعني من ضربك؟ وكيف نبسط أستاذا مصريًا مثلك؟ والعراقيون مشهورن بتكريمهم لإخوانهم المصريين.

هكذا بقي سوء التفاهم بين الناظر والمدرس إلى أن حضر من فسر اللفظة بمعانيها المختلفة عند المصريين والعراقيين.

ولهذا إذا قال اليوم عراقي لآخر: أنا مبسوط. أجابه على سبيل الدعابة: والبسطة عراقية أم مصرية؟

يعيد هذا الحديث إلى أذهاننا ذكر القصة التي ضرب فيها المثل المشهور "من دخل ظفار حمَّر " أي تكلم بلهجة حمير. وخلاصة هذه القصة: أن رجلاً عدنانيًّا وفد على ملك ظفار في اليمن، والملك في مجلس له على شفير واد سحيق، فقال الملك لضيفه: (ثب) ومعنى ثب في لهجة ظفار: اجلس. ولكن الضيف وثب في الوادى فتمزق إرْبًا إرْبًا. فعند ذلك قال الملك:"من دخل ظفار حمَّر " فسارت مثلاً. ومن حق إخواننا المصريين أن يقولوا:"من دخل مصر تمصر " أي تكلم بلهجة المصريين، وإلا فإن كارثة مثل كارثة ظفار له بالمرصاد.

ومن الألفاظ التي تدل على مختلف المعاني في بعض اللهجات العربية الحديثة كلمة (مرتبة): ففي "لبنان" يعنون بها - المنصة - التي توضع عليها الجنازة، وفي "مصر" يعنى بها ضرب من الفراش معروف، وفي "العراق" يطلقونها على المنصب.

و"الطبق" وعاء كبير يصنع من الخوص أو من أغصان الشجر في "العراق" و"لبنان" هذا ما يفهمه العراقيون واللبنانيون من هذه الكلمة، على أن "الطبق" في اللهجة المصرية وعاء خزفي أو صيني صغير.

خصائص اللهجات

ومن خصائص هذه اللهجات الشائعة في الأقطار العربية، ترقيق جملة من الحروف وإمالتها، والإمالة شائعة في لهجة المصريين والسوريين أكثر من غيرهم، وقد

يوجد ضرب من الترقيق والإمالة في لهجة أهل الجزيرة شرقي الفرات، وهي تابعة للدولة السورية اليوم، وكذلك في القسم الشمالي من "المملكة" العراقية.

والاختزال، أي اختزال الحروف أو حذفها، من أخص خصائص اللهجات الشائعة. وكذلك تغيير صيغ الكلمات، وأبنيتها، وموادها، أفعالاً وأسماء، بزيادة أو نقصان. ففي بعض اللهجات يقولون: "قد" بصورة حرف التقليل لكلمة قاعد. فالموصليون عندنا يقولون:"قد آكل" قد ألعب " أي قاعد آكل أو قاعد ألعب. أما "القلب" أعني قلب الحروف، فهو شائع في هذه اللهجات، كقلب الكاف إلى "جيم" وقلب القاف إلى "همزة " وقلب الجيم إلى "ياء" في بعض اللهجات العراقية في الجنوب.

وفي الشمال، أي في الموصل وما إليها، لهجة غريبة تقلب فيها الراء " غينًا " فيقولون في "يريد": "يغيد" وفي "بير": "بيغ" وفي "مطر": "مطغ" وهذه اللهجة سماها الأدباء واللغويون "لثغة" وقد استحسنها الشعراء ونظموا فيها الأشعار.

ويكثر في لهجة المصريين استعمال" الشين" في حالة النفي، فيقولون: "معلهش" و "ماينفعنيش" وهذه اللهجة غير معروفة إطلاقًا في العراق. وتحتفظ لهجة العراقيين في الجنوب أي في بغداد وما وراءها جنوبًا، بنون الإعراب في الأفعال، بخلاف لهجة المصريين فنحن نقول في العراق: "يذهبون"، "يجيئون" "يكتبون" وفي اللهجة المصرية لا نجد أثرًا لهذه النون. ففي مصر يقولون:يكتبوا"،"يجيئوا"،"يذهبوا" على أن الموصليين في شمال العراق زادوا الطين بلة فإنهم، أعني الموصليين، أدخلوا نونًا كنون الوقاية على الفعل الماضي المتكلم إذا اتصل بضمير الغائب المنصوب، فنراهم يقولون في "كتب": "كتبتونو" وفي "أعطيته" "أعطيتونو" وفي "سمعته"سمعتونو" وهي لهجة غريبة خاصة بأهل الموصل في العراق.

لا تجيء تاء المتكلم ساكنة بل تجيء متحركة في اللهجة الموصلية أيضًا فنراهم يقولون: "كتبت" "قلت" "رحت" بضم التاء، وهي عين اللهجة العربية الفصيحة، على أن هذه التاء تجيء ساكنة في معظم اللهجات العربية غير الموصلية، هذا إلى فروق كثيرة بين هذه اللهجات.

والواقع شهد باختلاف لهجات الأمة الواحدة باختلاف أقطار تلك الأمة. كما اختلفت لهجة العراقيين، عن لهجة المصريين، ولهجة السوريين عن اللهجتين، إلى غير ذلك على ما رأيت، غير أن الغريب أن تتباين اللهجات المحلية في البلد الواحد كما نرى ذلك أحيانًا في لهجات العراق ومصر والشام فقد لاحظنا ما لاحظنا من الفروق بين لهجة الوجه القبلي والوجه البحري في مصر، ولهجة أهل الشمال والجنوب في العراق. ولهجة الشماليين من السوريين، بالنسبة إلى لهجة أهل الجنوب، المجاورين للحجاز والبادية النحدية والعراقية.

والخلاصة: تلاحظ فروق كبيرة، وتوجد لهجات مختلفة، وفي غير قطر من هذه الأقطار.

يعزو بعض الباحثين تفاقم هذه البلبلة في اللهجات العربية المحكية إلى تأثر المتكلمين بها بلغات ولهجات مختلفة من قديمة وحديثة. والحقيقة أن للخصائص الإقليمية والجغرافية، وللهجرة والحروب والفتوح، والانقلابات السياسية، دخلاً قويًا في تبلبل اللهجات. والخلاصة: لنا كل يوم دليل قاطع على عقم جميع هذه اللهجات الشائعة المحكية في الأقطار العربية، وعدم غنائها في ناحية التعليم والتأليف والصحافة؛ لبلبلتها واضطرابها واستحالتها، من فترة إلى فترة، وإذا لم تكن للغة دولة ترعاها وتحدب عليها، ضعفت وطغت عليها هذه اللهجات المنشقة عنها، كما نراه الآن، ولذلك نقول: على الدول العربية القائمة، أن ترعى لغة العرب، وأن تتخذها لغة التعليم في جميع مراحل الدراسة، وأن تعني العناية التامة مع ذلك بلغة دواوينها ومصالحها الرسمية، وليكن شعارنا: "لغة واحدة"، "ثقافة واحد"، " أمة واحدة "... والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

ثانيًا:

ظواهر بين الفصحى والعامية

أمالٍ من اللهجات العامية (*)

للأستاذ عباس محمود العقاد

(عضو المجمع)

ن أغراض المجمع، دراسة اللهجات العامية في مصر وسائر الأقطار العربية،ونحسب أنه من أنفع أغراض المجمع في خدمة اللغة الفصحى؛ لأننا نساير اللهجة العامية فى تعبيراتنا بها وتصرفنا فيها، ونقيس عليها فنخلص من المشابهة حينًا والمخالفة حينًا إلى شيء من الأصول التي جرت عليها اللغة الفصحى فيما يقابل هذه التعبيرات أو هذه التصرفات.

ومن أمثلة ما يستفاد على هذا النحو، هذه الشواهد في مسألة الأضداد، ومسألة الأوزان وتحولها مع الزمن من صيغة إلى صيغة، قبل أن تستقر على صيغتها الأخيرة.

١-الأضداد

كنت أتجه إلى النيل يومًا ولا أعرف موعد فتح القناطر فى تلك الجهة، فلقيت جماعة مقبلين من ناحية النهر فسألتهم: هل الكوبري مفتوح؟ وأجابني اثنان منهم في وقت واحد، قال أحدهما: نعم مفتوح، وقال الآخر: لا، غير مفتوح.

فعجبت لأول وهلة من هذا التناقض بين شاهدي عيان في منظر حاضر قريب، حتى استوضحتهما فعلمت أن أحدهما يعني فتح الكوبري للسير، والآخر يعني فتحه للملاحة، فالفتح عندهما بمعنى واحد ولكن على اعتبارين مختلفين.

خطر لي بعد التأمل في التعبير بكلمة "فتح" على الضدين، أن كثيرًا من الأضداد في اللغة، يمكن أن يرجع إلى مثل هذا الاختلاف في الاعتبار أو وجهة النظر.

فيقال ناهل: بمعنى ريان، وناهل بمعنى ظمآن، والأصل في ذلك أنهم يستطيعون أن يقولوا عن الذاهب إلى النهل: إنه ناهل، فالنهل واحد، ولكن الذاهب ظمآن، والعائد ريان، وهما من ثم ضدان.

(*) محاضر جلسات الدورة العشرين، في الجلسة السادسة، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء العاشر، ص ١٠٧.

ويقال: طرب بمعنى فرح، وطرب بمعنى حزن، والأصل فى الطـــرب: الاهتـــزاز والمرء يهتز للفرح كما يهتز للحزن، فهو طرب فرحان وهو طرب حزين.

ويقال: الجون بمعنى الأبيض والجون بمعنى الأسود، والأصل فيهما: التحوين بمعنى الطلاء، جون بيت العروس بالبياض، وحوّن بيت الميت بالسواد، فالجون أبيض والجون أسود، وماهما بضدين في غير هذا الاعتبار.

ويقال: جلل بمعنى عظيم، وجلل بمعنى صغير، ولعل الأصل فيهما: أن الجليـــل بمعنى العظيم هو الذى يجللنا ويغطينا، وأن الجلل بمعنى الصغير هو الـــذي نجللـــه نحـــن ونغطيه.

ونستطرد من ثم إلى الأضداد التي تأتي من التفاؤل، وفي اللهجة العامية من هـــذا الباب، يقال للمريض: إنه"بعافية" ويقال للإناء الفارغ: إنه المليان، وهكذا يقال في اللغة الفصحى:"سليم" للّديغ وسليم للصحيح، ويقال: المفازه للبيداء المهلكة، والمفازة للـــتي يرجى منها الفوز والنجاة. وربما كان الأصل في "التفويز " بمعنى الهلكة تعبيرًا من هـــذا القبيل.

ونتوسع في الأضداد من باب إطلاق المعنى الواحد على اعتبارين، فنقيس عليهما التفكه بمعنى التلذذ والتندم، ونقيس عليها التغشمر بمعنى ركوب الباطل وركوب الحق، ونقيس عليها المأتم بمعنى اجتماع النساء للفرح واجتماعهن للبكاء.

فبين التفكه على الاعتبارين جامعة التنقل والمراجعة والتذكر، وكلها مما يصحب أحاديث السمر وأحاديث الندم والحسرة وبين التغشمر على الاعتبـــارين أن يركـــب الإنسان رأسه في خطر أو لحاجة، فهو محق على اعتبار ومبطل على اعتبار وبين المأتم في الحزن أو الفرح اجتماع النسوة، ثم يفترق المعنيان، فيغلب أحدهما على الآخر.

٢-الإبدال

أما الإبدال، فمعاقبة اللهجات العامية فيه تنصف النحاة الأقـــدمين في العـــصر الحاضر؛ لأن أناسًا من الباحثين العصريين يحسبونهم قد لجأوا إلى التعلل بالإبدال علـــى

سبيل التخلص والهرب من الأسباب الصحيحة التي يجهلونها، فيستريحون منها بعلة الإبدال.

والواقع أن الإبدال يجري أمامنا في اللهجات العامية على مجراه الذي قال به النحاة الأقدمون، ففي بعض لهجات الصعيد يأتي مصدر فعّل على وزن "فعيل" بكسر الفاء والعين وتضعيف العين، فيقولون كبّر كِبّيرًا، وزعق زعيقًا، ودبّح دبيحًا، وكسّر كسيرًا، وهو في أوزان اللغة الفصحى التكبير والتزعيق والتذبيح والتكسير.

وليست الصيغة مقصورة على تلك اللهجة الصعيدية؛ لأننا نسمعها على غير قياس في بعض كلمات الوجه البحري، فيقولون مثلاً: "يكلم" ويقولون: "تدبّر" ويقولون: "يصرّف، يجّنب" ويثبتون بذلك - كما تثبته اللهجة الصعيدية - أن إبدال التاء في أحد الحروف المضعفة معهود على اللسان، ولا نعرض هنا للشواهد الفصيحة؛ لأننا نحصي اللهجات العامية بالقياس في هذا الحديث، وإلا فالشواهد من القرآن الكريم تثبت لنا هذا الإبدال في كلمات متعددة، مثل يزّكى ويذّكر ويشّقق، وكلها مما يسمع فيه الإبدال بالتاء، إذ يقال: يتزكى ويتذكر ويتشقق على القياس في فعّل يتفعل، كما هو معلوم.

٣-أوزان المصادر

أما أوزان المصادر فالعامة في إقليم أسوان يأتون بالمصدر من فاعل على فاعال فيقولون الحاراب، والحاران، والخاباط، والجاكار. ونسمع في الوجه البحري "حازاراك فازاراك" وهي قريبة من هذا الباب.

والذي لفت نظري من هذه الكلمات كلمة "الجاكار" بمعنى المماطلة فى البيع وغيره، فإنها من كلمات الفصحى التي لا تسمع في عامية الأقاليم الأخرى، وموضع الالتفات في هذه الكلمة خاصة أن وزن "الفاعال" من المفاعلة قديم، يرجع إلى الوقت الذي كانت فيه هذه الكلمة تجري على ألسنة الفصحاء وألسنة العامة.

فهل يسوغ لنا أن نقول: إن وزن "فاعال" من فاعل خطوة سبقت وزن فعـــال الذي انتهينا إليه؟ إن "فاعال" أقرب إلى "فاعل" ويجوز لهذا أن تكون قد سبقت الفعال ثم طواها الإهمال في غير تلك اللهجة العامية، ويرجح لنا تشابه العامية والفـــصحى في هذا الوزن مادة "جكر" بمعناها الفصيح.

هذه شواهد مما يستفاد من تتبع اللهجات العامية في خدمة الفصحى، واستطلاع بعض أسرارها وأصولها، ونرجو أن نتبعها بشواهد أقرب من قبيلها.

* * *

اللغة العربية

بين المشافهة والتحرير(*)

للدكتور عبد الرحمن الحاج صَالح
(عضو المجمع المراسل)

كثيرًا ما يعجب الرجل العربي المثقف بالاهتمام الكبير الذي يوليه اللغويون الغربيون في عصرنا الحاضر بلغة المشافهة. وقد أدَّى ذلك في بعض الأحيان إلي ازدراء لغة التحرير أو على الأقل إلى قلة الاعتداد بها. وهذا نلمسه بصفة خاصة عند اللغويين الذين تخصصوا في البحث في مشكلات تعليم اللغات. وهذا الغلو هو في الحقيقة ناتج عن رد فعل عنيف ضد الأجيال السابقة من النحويين والمربين الذين كانت لا تهمهم إلاَّ اللغة المحررة وخاصة اللغة الأدبية، ولا يعتدّون بلغة التخاطب العفوي التي هي - في نظرهم - مليئة بالأخطاء. وبالفعل فإن لغة المشافهة هي - عند جميع الأُمم - أسرع تحوُّلاً وتطوُّرًا عبر الزمان؛ إذ إن ألسنة الناس أكثر عرضة للخطأ بخلاف لغة التحرير فإنها أميل إلى المحافظة على النمط اللغوي الذي تعود الناس عليه وورثوه من أسلافهم.

وهذا يفسر أن جميع لغات الدنيا إذا ما تبنى أصحابها نظامًا من الكتابة وصاروا يحررونَ به انشقت مع مرور الزمان إلي شقين اثنين: التعبير الشفاهي العفوي المتعرض للتحول السريع لا من حيث مدلولات الألفاظ فقط، بل أيضًا من حيث البنية والنظام الصوتي والنحوي الصرفي، والتعبير الكتابي الذي هو بطيءُ التحول.

ويشتد الاختلاف بينهما كلما نزح أصحاب هذه اللغة إلي أصقاع أُخرى (أو نزح إليهم جمهور من الغرباءِ) ووقع الاختلاط مع غيرهم ومن ثم التحول اللغوي الذي يحصل بحكم التأثر بالبيئات اللغوية الجديدة الطارئة عليهم.

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الخامسة من جلسات المؤتمر، المنعقدة يوم الأحد ٤ من مارس سنة ١٩٩٠م، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء السادس والستين، ص ١٤٤.

وهذا التحول يسمى تطورًا إذا ما اعتبرناه ظاهرة طبعية، وخطًا ولحنًا (إن مس النظام في ذاته) إذا ما اعتبرنا اللغة الأَصلية. على أن الازدواجية اللغوية ليست ناتجة بالضرورة عن هذا التعارض بين المشافهة والكتابة، فقد يغيب عن أذهان بعض اللغويين أَن الأداء والتحصيل يختلف باختلاف المقام، أي باختلاف المخاطب وحالة الخطاب.

فما هو ياترى الوضع الذي هي عليه اللغة العربية بالنسبة لهذه الازدواجيات التي تخص اللغة الواحدة (Diglossia) وما هو الوقف الذي يجب أن يقفه العلماء العرب-أولاً كعلماء وثانيًا كمواطنين-إزاء هذا الوضع وإزاء النظريات اللغوية الغربية حول هذا الموضوع والمواقف السلبية التي تصدر عن بعض اللغويين؟ إننا نعتقد أنه لن يتم أي تغيير جذري للوضع الراهن ما لم يعالج هذا الوضع بالبحوث العلمية الدقيقة المنتظمة والوسائل التكنولوجية العظيمة المفعول، فهذا هو الذي سنتعرض له في هذا المقال إن شاءَ الله تعالى.

علم اللسان الحديث ومحاولات التصدي للأخطاء اللغوية:

إن فشوّ اللحن على ألسنة الطلاب، بل وعامة المثقفين هو أمر تصدى له أكثر من واحد، علي مر العصور، وقد توالت جيلاً بعد جيل التنبيهات علي الأخطاء الشائعة، إما علي شكل مؤلفات قائمة برأسها، وإما في ثنايا الدراسات اللغوية والنحوية إلاَّ أن أكثر هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح، فهل هذا دليل علي استحالة التدخل في استعمال الناس للغة وبالتالي استحالة التقويم وإزالة الأَخطاء؟

إن علماء اللسان الغربيين أصحاب المذهب البنوي "السكوني" ومن تابعهم في ذلك من العرب قد أجابوا عن هذا السؤال بالإيجاب، بل هم الذين أثاروه واعترضوا على كل من يحاول التقويم ويدعو إلى ما يسميه هؤلاء العلماء " بصفاء اللغة (purism) ودليلهم على ذلك – وهو دليل قوي إلاَّ أنه غير كافٍ كما ستراه – ما يثبته التاريخ من استحالة بقاءِ الأوضاع على حال واحدة في هذه الدنيا، ومثل اللغة عندهم كمثل الكائنات الحية والسلالات الحيوانية والنباتية التي لابد لها من أن تتحول أشكالها علي مر

القرون (ومن البيِّن أنهم تأثروا في ذلك بنظرية دارون المشهورة كما تأثر اللغويون التاريخيون قبلهم؛ وعلي هذا فمن العبث أن يحاول الإنسان إبقاء اللغات على حالها المتعارف عليه في وقت من الأوقات، إذ التغيير سنة كونية ليس في مقدور أحد من الأفراد أن يؤثر فيه فيوقفه عن مسيرته أو يميله عن الغاية التي يرمي إليها.

إننا- معشر اللسانيين - في مستهل القرن الخامس عشر الهجري والربع الأخير من القرن العشرين الميلادي- غير مقتنعين بما كان يدعيه هؤلاء "البنويون" الوصفيون. فإن كنا نسلم بوجود سنة كونية تقتضي التحوُّل المستمرّ لجميع الأشياء في هذه الدار، فإننا قد شاهدنا أيضًا وشاهد جميع العلماء أن تحوُّل الأشياء عبر الزمان-أحياء كانت أم أوْضاعًا اجتماعية-قد يتوقف (من بعض جوانبه) إذا توفرت بعض الشروط، وقد تحدث موانع قوية تصده وتميله عن وجهه فتبقي الشيء على ما كان عليه في جوهره الأول.

وأكبر شاهد على ذلك هو العربية الفصحى نفسها فلولا القرآن ولولا العلوم اللسانية العربية المنبثقة من القرآن لاضمحلت تمامًا، و لم يبق منها كلغة لها كيانها ومميزاتها، وقسطها من الاستعمال أي أثر يذكر.

ثم إننا إذا سلمنا بأن العربية أُصيبت بالتغيير لا من حيث تقلص استعمالها وحلول اللهجات العامية محلها في الحياة اليومية، بل حتى في ذوات عناصرها، ونظامها الصوتي (كالنطق بالجيم والضاد والطاء وغيرها) ونظامها الإفرادي (بتحول معاني الكلم) وغير ذلك، فإننا لا يسعنا أن ننكر أن نظامها النحوي الصرفي هو في جوهره نفس النظام الذي عرفته لغة القرآن. وقد أجمع اللسانيون في زماننا بأن اللغات تتمايز كلغات بعضها من بعض، وتعرف كياناها بنظامها النحوي الصرفي أكثر مما تعرف بمعاني ألفاظها.

وهذا ما نشاهده أيضًا في اللغات الأُخرى، فإن الفرنسية قد أصابها تحول كبير أثناءَ حرب المائة السنة ثم استقرّ نظامها النحوي الصرفي بعد ذلك لمدة ثلاثة قرون، لوجود دولة قوية تمركزت فيها سلطة البلاد بإزالة الإقطاع، وظهر في نفس الوقت

الكثير من اللغويين الذين اجتهدوا أيما اجتهاد للمحافظة علي سلامة هذا النظام اللغوي.

وزعم هؤلاء البنيويون الوصفيون "أن الخطأ في اللغة اليوم قد يصبح صوابًا في المستقبل، وصواب الأمس قد يصير خطأ اليوم، وإذًا فما الفائدة من التصويب والتخطئة إذا كان الخطأ أمرًا محتومًا؟ فقولنا في ذلك هو ما سبق أن قلناه: فلأن يحدث بالفعل التحوّل فيصير علي مر الزمان الخطأ صوابًا وبالعكس، فإن هذا يقتضي أن تكون اللغة التي آلت فيها الأخطاءُ الكثيرة إلى عبارات صحيحة قد صارت لغة أُخرى: فهذه نظرة إلى اللغة من حيث التطور الزماني (الوجهة الدياكرونية كما يسميها سوسير) وهي غير كافية؛ لأن النظرة المقابلة لها أي الوجهة الآنية (السنكرونية) تقتضي أن اللغة نظام من الأدلة يتواضع عليه وكل ما يتواضع بين قوم - سواء كان لغة منطوقة، أو مكتوبة، أم وضعًا من الرموز والعلامات - ففيه الصواب والخطأ.

والصواب فيها أن يجري استعمال الوضع على ما تعارفه أصحاب هذا الوضع وما اشتهر فيما بينهم من أساليب استعمالها، والخطأُ هو ما خرج عن هذه الأساليب خروجًا واضحًا بأن يخالف صاحبه جميع القوم. وهذا ينطبق على جميع الأوضاع الاجتماعية وما اللغة إلاّ أحد هذه الأوضاع.

أما الدراسة العلمية لهذه الأوضاع، فلا يمكن أن تكتفي بالوصف الساذج، والتصنيف المشجر[١] لأجزاءِ اللغة بالنظر إلى وظائفها فقط؛ إذ لابد أن تميز بين ما هو مرضي عنه في هذه اللغة عند أصحابها الذين تواضعوا عليها (أصحاب " العادة الأُولى" حسب تعبير الجاحظ) وبين ما هو مرفوض، وإلاّ وقع تخليط فاحش بين ما هو نظام وبنية وما هو تحوُّل زماني يصاب به فيصيره إلي نظام آخر غير الأول.

بين العامية والفصحى:

أما أن نقول بأن اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد في الحاجات اليومية وفي داخل المنازل وفي وقت الاسترخاء والعفوية ليست هي العربية الفصحى، بل اللهجات

---

(١) نلمح بذلك إلي ما أحدثته مدرسة "النحو التوليدي التحويلي" الأمريكية من تمثيل لبنية الجملة بتفريع الفروع على شكل شجرة (وصاحبها هو نوام تشومسكي).

العامية التي هي نتيجة لتطور الفصحى المنطوق بها ولهجاتها، فهذا لا مردّ لـه؛ إذ لغة التخاطب اليومي هي أكثر عرضة للخطأ وبالتالي أسرع المستويات إلي التحوّل البنوي، إلاّ أنا نستطيع ههنا أيضًا أن نفسر هذه الظاهرة، فإن هناك حقيقة قد تجاهلها الناس منذ أقدم العصور، وبصفة خاصة بعد زوال الفصاحة السليقية، وهي هذه:

إن اللغة، إذا صارت تكتسب الملكة فيها بالتلقين، وإذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير وجماله فقط (أو ما يبدو أنه كذلك) واستهان بما يتطلبه الخطاب اليومي من خفةٍ واقتصاد في التعبير، وابتذال واسع للألفاظ تقلصت رقعة استعمالها وصارت لغة أدبية محضة، وعجزت حينئذ أن تعبر عمًّا تعبر عنه لغة التخاطب الحقيقية سواء كانت عامية أم لغة أجنبية.

ونعني بالاقتصاد - ههنا - ما كان يعنيه العلماءُ العرب قديمًا من كلمة الاستخفاف، وهي عبارة عن: نـزعة المتكلم الطبيعية إلي التقليل من المجهود العضلي أو الذاكرى عند إحداثه لعباراته في حالة الاستئناس وعدم الانقباض. فكلما كان المقام مقام أُنس كان المتكلم إلي حذف ما هو غنيّ عنه لإبلاغ مراده أميل وأكثر ارتياحًا، وهذا هو بالذات ما يمنح للغة حيويتها، وقد كانت الفصحى التي دونها اللغويون العرب الأولون تتصف بهذه الصفة، وأكبر دليل على ذلك كثرة ما سجله أولئك اللغويون من العبارات المختزلة ذوات العناصر المضمرة، وكثرة ماورد في كتاب سيبويه وكتب القراءات من شواهد الاختلاس والتسكين والتخفيف للهمزة وحذفها والإدغام والإبدال والقلب ممَّا لا سبيل إلى وجوده في اللغة التي يتعلمها الطفل في المدارس، واللغة الفصحى التي يلتقطها في الإذاعة والتلفزة وغيرهما.

ففي هذه الفصحى التي يتكلف فيها المتكلم أكثر ممّا هو لازم — دون أن تضطر إلى ذلك حرمة المقام — يكثر الحشو (وهو غير الإطناب) كثرة ليس فوقها من مزيد وذلك كالاستعمال المطرد لأدوات التوكيد مهما كان مقتضى الحال ("إن" و"قد" و"لقد" وغيرها: "إنه قد وصل" ولم نسمع إلى الآن من أحد ينطق بالعربية الفصحى

فيقول لمن هو خالي الذهن: وصل فلان! وقد أثبتت ذلك التحريات التي أجريناهـا في الميدان) ، ثم إن هذا التكلف قد يبلغ أحيانًا درجة اللحن، وذلك كالوقف على المتحرك بالمتحرك وعلى المختوم في الوصل بالتنوين بالنون الساكنة.

نـزعتان بغيضتان: قبول الخطأ الشائع، والتعسف في التخطئة:

يجب الآن أن نتساءَل عن هذا الذي يسميه الناس خطًا ولحنًا ما هو؟ وبالنسبة إلى أي مذهب في الكلام وأي أصل يقال: إنه لحن، وعلى أي أَساس يحكم على هـذه العبارة بأها خطأ؟ هذه الأسئلة التي نطرحها علي أنفسنا هي جدّ ضرورية، إذ كثـرت في زماننا هذا- وفيما قبل اليوم أيضًا – التخطئات المشبوهة، كتلـك الـتي أثارهـا المتأخرون من النحاة الذين لم يشافهوا فصحاء العرب، و لم يأخـذوا منـهم عملـهم مباشرة. ثم إن هناك أيضًا نـزعة أُخرى هي مقابلة تمامًا لهذه التي تمنع النـاطقين مـن استعمال ما أجازه العرب، وهي نـزعة لفئة من الناس اتبعوا - دون فهم - البنـويين من علماء اللسان الغربيين.

أما مسألة الأَصل والوجه الذي يجب أن يرد إليه كلام النـاس، أو بـالأحرى، المسلك والهوية التي يجب أن يحتذي بها المتكلم إذا قال بأنه يتكلم بالعربية فهي لا محالة مذاهب العرب في كلامهم لا كلّ العرب، بل أُولئك الذين ارتضيت عربيتهم لبقـائهم على سليقتهم وعدم اكتساهم العربية كلغة ثانية، بل حصولهم عليها منذ نشأهم مـن محيطهم غير المتأثر بلغات أُخرى، فهذه صفات الفصيح، ثم إِن الألفاظ التي يـستعملها هذا الشخص توصف أَيضًا بالفصاحة وتكون حينئذ درجات: فالفصيح من العبـارات هو- قبل كل شيء -:ما ثبت في لغة هؤلاءِ الناطقين، والأفصح: هو ما كـان أكثـر استعمالاً، وبالتالي أعرف وأشهر وآنس عندهم. فللفصاحة - ههنا - معنى لغوي محض وليس كمعناها في البلاغة، وهذا ما يصرِّح به عبد القاهرالجرجاني: " لم يعلموا أن المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أها في اللغة وفي استعمال الفـصحاءِ أكثـر..." (دلائل الإعجاز،٣٥٣). ثم قال أيضًا: أو أها أجري على مقاييس اللغة والقوانين الـتي وضعوها (نفس المصدر).

وعلي هذا فالفصيح من العبارات هو أيضًا ما قيس على كلام العرب، كما قال ابن جني عن شيوخه عن المازني "إن ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب". (انظر فيما يلي شروط هذا القياس)والجدير بالذكر أن هذه الأُصول ليست خاصة بالعربية، بل كل لغة وكل لهجة نزعم أننا نتكلم بها على أساس ما ثبت عند أصحابها السليقيين. وعلى هذا فما للمنطق ولتخطئة الناس؟ ولماذا يريد الواحد منا أن نقول:" في ضوء كذا" ولا نقول: "علي ضوء كذا".

وإذا تعسفنا هذا التعسف كان يجب أن تطرح باسم المنطق المئات من العبارات الفصيحة التي سمعت من فصحاء العرب (مثل: أَدخلت القلنسوة في رأسي، وهذا يدخل فيما يسميه سيبويه بسعة الكلام).

ثم إن عدم ثبوت الشيء في القواميس التي وصلتنا لا يعني أنه غير فصيح، إذ هناك الآلاف من النصوص تتضمن العشرات من الألفاظ والمئات من الصيغ ممّا لم يأت به قاموس واحد، وقد عرفنا ذلك بإحصاء العدد الكبير من الدواوين الشعرية القديمة (من العصر الجاهلي إلي صدر الإسلام)[١] وحتى إذا فرضنا عدم ثبوت الصيغة في كل ما وصلنا من القواميس والنصوص فإننا نستطيع أيضًا أن نقيس، حتى لو جاء ما يقوم مقامه إِلا إِذا نبّه اللغويون الأولون – أمثال أبي عمرو بن العلاء والخليل وسيبويه والأصمعي وغيرهم – علي اقتصار العرب على صيغة أُخرى غير تلك التي يقتضيها القياس، وحينئذ يوقف عند هذا الحدّ لوجود نص صريح في ذلك وثبوته عن أُولئك الذين شافهوا فصحاءَ العرب ورووا عنهم بطريقة مباشرة (وذلك مثل إِجماعهم على عدم وجود "مُبْقِل" وقيام "باقل" مقامه).

ثم إِن بعض المتأخرين من النحاة قد منعوا الكثير من العبارات وذلك مثل ما قاله ابن هشام من امتناع دخول "قد" على فعل منفي، ولم يوقف في ذلك لا من حيث السماع ولا من حيث القياس.

---

(١) في قسم العلاج الآلي للنصوص بمعهدنا.

أما السماع فقد ورد في الشعر، أما القياس فقد توهم ابن هشام أن "قد" الــتي تدخل على المضارع هي تلك التي تدخل على الماضي وليست مثلـــها، إذ الأُولى هـــي بمعنى " رُبَّما "، أما الثانية فلا يجوز أن يفصل بينها وبين الفعل؛ الماضي؛ لأنها من لوازمه وهي بمنـــزلة أدوات النفي وتقابلها "لَمّا" الجازمة.

هذا وقد أُخْرِجت من الفصحى الكثير من "اللغات" أي الوجـــوه مـــن الأداءِ الإقليمي الفصيح الصحيح بسبب هؤلاء النحاة المتأخرين، أيضًا وبسبب جهل المعلمين بالثروة اللغوية التي تلقاها العلماءُ الأولون من أفواه العرب زمان الفـــصاحة العفويـــة؛ لوجودها أحيانًا كثيرة في اللهجات العامية الحديثة، وهذا أيضًا مّما أدّي بالعربية إلي أن تنـــزوي في زاوية الخطاب الأدبي، ولا تخرج إلى ميدان الحياة والمشافهة اليومية.

وسبب آخر أيضًا هو عدم فهم الكثير من المثقفين لكلام الفطاحل من علمـــاءِ العربية الأولين أمثال: الخليل، وسيبويه وابن جني. بل الكثير منا يقرأُ في كتاب سيبويه مثل هذه العبارات: " هذه لغة جيّدة " و"هذه لغة قبيحة " أَو " هذا حـــسن " و"ذاك قبيح " فيعتقد أن مؤلف الكتاب يحكم على هذه " اللغات " - الوجوه المختلفة مـــن الأداءِ كما قلنا - من تلقاءِ نفسه وحسب ما يكون قد رسمه لنفسه أو رسمه شيوخه من معايير " الذوق السليم" وهذا الفحش غلطة يرتكبها هؤلاء. وقد تصفحنا ما في الكتاب من السياقات التي ترد فيها هذه الأحكام، وتَبيَّن لنا أن المرجع فيها هو دائمًا الاستعمال الشائع المشهور للفصحاءِ أنفسهم وما ارتضاه أكثرهم[١].

أما القبيح عندهم فهو ما انفرد به نفر قليل أو بعض الأفـــراد، وخـــالفوا فيـــه الأكثرية الساحقة خصوصًا إذا خالف القياس، والسماع معًا.

أما لغات العرب بالمعنى الذي قصدوه (لا بمعنى اللهجات) فإن كثُر مستعملوها الموثوق بعربيتهم فهي كلها جيدة، ولغير الفصحاءِ النشأةِ الخيارُ في استعمال هـــذه أو

---

(١) قارن بما يقوله سيبويه " فاستعمل من هذا ما استعملت العرب، وأجز منه ما أجازوا " (الكتاب: ٢٠٦/١) " فاستحسن ما استحسنت العرب وأجزه كما أجرته " (٢٥٢).

تلك. وكلنا نعرف ما قاله ابن جني في ذلك (ويعكس تمامًا رأي المدرسة الخليلية): "باب اختلاف اللغات وكلها حجة. .." وليس لك أن ترد إحدى اللغتين (فيما يخص إعمال "ما") بصاحبتها؛ لأنها ليست أحق بذلك من زميلتها لكن غاية ما لك في ذلك أن تتخير إحداهما ... هذا حكم اللغتين إذا كانت في الاستعمال والقياس متدانيتين ... فإما أن تقل إحداهما جدًّا وتكثر الأُخرى جدًّا فتأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياسًا، ألا تراك لا تقول: مررتَ بَك ولا المال لِك، قياسًا علي قول قضاعة المَال لِه ومررت بَه... فإذا كان الأمر في اللغة المعوَّل عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنسانًا لو استعملها لم يكن مخطئًا لكلام العرب لكن يكون مخطئا لأجود اللغتين... وكيف تصرفت الحال فالناطق علي قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاءَ به خيرًا منه" (الخصائص،١٢،١١).

أما ما يخص الأَخطاء الحقيقية (التي لا يبررها قياس ولا سماع علي الإطلاق) من تلك التي شاعت في مستوى الجامعات وأوساط المثقفين[1] فالتسامح فيها والتمادي في استعمالها بدون تحرّج هو بلا شك مَسٌّ بنظام اللغة وبما تواضع عليه العرب، وإن جاز للفرد أن يخرج عن هذا النظام فيجب حينئذ أن لا يدعي أنه يتكلم بكلامهم؛ إذ كل من يدعي أنه يتكلم بلغة قوم فلابد، كما قلنا، أن يخضع لأوضاع لغتهم.

ونحن لا ننكر حتمية الخطأ الفردي، إذ هفوات اللسان ظاهرة طبيعية، وخصوصًا إذا كانت الازدواجية اللغوية شديدة الوطأة على الأفراد والملكة ضعيفة (لقلة

---

(١) وذلك مثل تكرار " كلما " ودخول " هل " على حرفي التنفيس وأدوات التوكيد وبناء " جد " على الضم، وهي مضافة (رأيت رجلاً جد طويل) وغير ذلك مما يخص التراكيب، ومثل تغيير بعض الكلم في بنيتها كفتح الكاف في " الكيان " واستعمال الأدوات في غير مواضعها كاستعمال " طالما " بمعني ما دام وغير ذلك كثير.

من بين البحوث التي نجريها الآن في الميدان بحث جماعي يرمي إلى إحصاء جميع هذه الأخطاء ويجري العدد الكبير من المحاورات والمحادثات وشتى وأنواع الخطاب، ودراسة أخرى موضوعها "المقارنة بين لغة التحرير ولغة التخاطب بالفصحى".

استعمال الفرد لإحدى اللغتين) - وقد يغلط السليقيون أنفسهم إنما الذي ننكره هو أن يدافع المتهادون في الخطأ عن خطئهم ويحتجوا بهذا القول الذي كثيرًا ما سمعناه عنهم: "الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور ". وهذا الاحتجاج هو من قبيل المغالطة. فكما سبق أن قلناه الاستعمال الذي يستشهد به والذي يكون أصحابه قد اكتسبوا ملكتهم فيه منذ أن ولدوا إذا كان المقصود هو الوضع اللغوي الواحد لا الوضعين المتداخلين كما هو الحال عند المزدوجين.

وهذا ينطبق على جميع الألسنة وحتى على اللهجات العامية العربية، فالفصيح فيها هو الذي استوفى هذه الشروط ولا يكون حجة في هذه اللهجة أو أية لغة أُخرى إذا لم يكتسبها عفوًا في بيئة تكون هي نفسها قد اكتسبتها عفوًا وبدون تعليم أو تلقين.

لغة التخاطب اليومي الفصيحة العفوية ومميزاتها (كما دوّنها ووصفها اللغويون العرب وأهل الأداء):

لم تحظ أية لغة في الدنيا منذ أن خلق الله الإنسان بما حظيت به اللغة العربية من العناية من قبل أصحابها وخاصة اللغويين منهم وأهل الأداء من تدوين لمفرداتها، وتراكيبها وأمثالها وعباراتها: مطردها وشاذها، ومن وصف لكل ذلك بالدقة المتناهية، واستنباط القوانين العامة التي تخضع لها، وغير ذلك ممّا أُعجب به علماءُ اللسانيات الغربيين في زماننا هذا.

ومن أعظم ما تركوه لنا هو الوصف المستفيض للأداء القرآني من جهة وللغات العرب، أي الكيفيات المتنوعة في التأدية الصوتية والصرفية النحوية لعناصر اللغة. وإن كان هذا الجانب من أوصافهم جدّ مهم بالنسبة لنا وللأجيال القادمة فإنه لم يحظ إلى الآن بالعناية الكبيرة من قبل اللغويين المحدثين اللهم إلا القليل النزر من المحاولات.

وهذا هو الجانب الذي ينبغي – في نظرنا – أن يعتنى به أكثر من غيره، فإن تفطن العلماء والكثير من المثقفين إلي وجود القسط الكبير من المفردات في العاميات الحالية وهي فصيحة أو قريبة جدًّا من الفصيحة (وتكون ٨٠ في المائة من ألفاظ

التخاطب اليومي في وقتنا الراهن[١]) فإن هذا لن يفيد الأُمة العربية شيئًا مـادام الأداء، أي كيفية النطق والتعبير عامة، لا يخضع لنواميس العفوية اللغوية التي تتصف بها كـل اللغات التي ينطق بها يوميًا في الحاجات العادية وفي حالة أنس.

وكل من يلجأ إلى استعمال الفصحى-كما تعلمها في المدرسة؛ وكما يعبر بها المذيع والخطيب في بيته مع ذويه، في غير ظروف التعليم والتلقين – ومع أصـدقائه في مكان عمله أو غيره وأي واحد في الشارع فسيتعرض بذلك للاستهزاء والسخرية.

ومَثله في ذلك كمثل الذي يخطب في الناس وهو يريد مخاطبتـهم في أغـراض بسيطة، فهو يخاطبهم وكأنه يقرأ من كتاب. وقد رسخ في أذهان المعلمـين أن اللغـة العربية ليس لها إلاّ كيفية واحدة في التعبير بها وهو المستوى الذي سمَّيناه بالإجلالي، أو الترتيلي.

وسبب ذلك يرجع إلى أقدم العصور حيث أصبح همّ المعلـم هـو الإعـراب والنطق الصحيح ببنية الكلمة، وأهملوا المستوى العفوي، وهو ما أجازته العـرب مـن تسهيل للهمزة وإدغام الكثير من الحروف بين كلمتين، وإخفاء الحركات واختلاسها، وتسكين بعض المتحركات، وحذف ما يستغني عنه حال الخطاب المرئية. وتجاهل الناس هذا المستوى المستخف من التعبير العفوي لشدة غيرهم على الصحة اللغوية حتى أداهم ذلك إلى اللحن[٢]. وذلك مثل الوقف – كما سبق أن أشرنا إلى ذلك – فإن الطفـل العربي لا يعرف أن النطق بالحركة والتنوين في الكلمة المسكوت عليها هو شيءٌ غريب في العربية[٣]؛ وذلك لأن الوقف هو من قبيل المشافهة، وهو حذف للإعراب والتنوين، فكأنه مسٌّ بالعربية التي تتمايز عن العامية بالإعراب والتنوين!

---

(١) ويحتاج هذا الجانب إلى دراسة قائمة برأسها.

(٢) وهي ظاهرة معروفة تسمى بالإنجليزية Hyper-Correction فرط التصحيح (وهو خطأ).

(٣) صورة محسوسة هي التعداد، فإن المعلم نفسه لا يعرف أن مثل هذا النطق: كتاب – قمطر – قلـم وكـذلك- واحد – اثنان – ثلاثة – غلط فاحش في العربية.

يريد المعلم قبل كل شيء أن يصحح بالإضافة إلى الأخطاء الحقيقية، ما يعتمد هو وغيره منذ مئات السنين أنه خطأ؛ لأنه موجود في العامية فصار شيئًا فشيئًا مقتنعًا بأن كل ما هو مستعمل في العامية فهو خطأ في العربية الفصحى حتى ليحكم على الكثير من المفردات والتراكيب الفصيحة أنها عامية محضة. وهذا وَهْم قد عم المشرق والمغرب منذ زمان بعيد. وكان يمكن أن يُتلافى لو أُبقيت الدراسة للقراءَات القرآنية، وأخص من هذا لو أُدخلت في مناهج المدارس العليا للمعلمين دراسة الأداءِ العربي كما وصفه علماؤنا الذين شافهوا فصحاءَ العرب ودونوا مباشرة مخاطباتهم. فهؤلاءِ تركوا لنا ذخرًا عظيمًا من المعلومات حول هذا الأداءِ الذي تناساه الناس، باعتقادهم الراسخ أن العاميات هي وحدها جديرة أن تقوم بدور اللغة المنطوقة في المخاطبات اليومية فظلموا الفصحى بإماتة مستواها العفوي وإبقائها على مستوى واحد، وهو الأداءُ الترتيلي.

فما هي ياترى هذه الصفات التي تميز فصحى التخاطب العفوي التي كان ينطق بها أسلافنا في حاجاتهم اليومية والتي سمعها ودوَّنها المتقدمون من علمائنا وفصحى الترتيل التي صارت على مرّ الأيام المعيار المدرسي الوحيد؟ الإجابة عن هذا السؤال الخطير يحتاج إلى دراسة قائمة بنفسها في مجلد ضخم. وسنكتفي هنا لضيق المكان بعينة ذات دلالة إن شاءَ الله[1].

١- اختزال المصوتات:

- الحركات الإعرابية:

إن العرب لا تبتدئ بساكن ولا تقف على متحرك كما هو معروف. وأدنى سكنة تقتضي سقوط الحركة والتنوين كما قلنا، بل لا سبيل إلى إيجاد اتصال مستمر في الكلام لا وقف فيه، ثم إن جميع العرب من ربيعة كانوا يقفون بالسكون على المنصوب نفسه.

---

(١) هذه الأشياء التي سنذكرها ههنا يعرفها جيدًا علماء اللغة والقراءات، إلا أن حظها من العناية قليل بل يكاد لا يلتفت إليهما في وقتنا الحاضر إلا الشرذمة القليلة من الاختصاصيين على الرغم من أنها تهم كل المثقفين؛ إذ تمس مستقبل لغتهم.

ويحسن بنا أن نذكر أقوال هؤلاءِ الذين سمعوا منهم كلامهم مباشرة: قال أبو العيناء: "ما رأيت مثل الأصمعي قط، أنشد بيتًا من الشعر فاختلس الإعراب، ثم قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: "كلام العرب الدرج". وحدثني عبد الله بن سوار أن أباه قال: "العرب تجتاز بالإعراب اجتيازًا". وحدثني عيسى بن عمر أن ابن أبي إسحاق قال: "العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه". وسمعت يونس يقول: "العرب تشامّ الإعراب ولا تحققه". وسمعت الخشخاش بن الحباب يقول: إعراب الخطف، والحذف[١].

هذا يخص طبعًا الكلام العفوي في الحاجات اليومية، وأما ما أسماه الجاحظ بالتشدّق والتفيهق فهو تكلف بعضهم في استعمالهم لمستوى الترتيل، والتحقيق في حال الخطاب اليومي. وهذا ليس معناه أن التحقيق غير مرغوب فيه، فإن هناك حالات خاصة تقتضي التحقيق، وقد بالغ بعض أتباع حمزة القارئ في التحقيق والإشباع حتى كره ذلك بعض الشخصيات كالإمام أحمد بن حنبل، وابن قتيبة (وقد ظلموا حمزة في ذلك مع صواب موقفهم إزاء هذه المبالغة).

الحركات غير الموقوف عليها:

وهذا الإدراج (أو الحدر) في الأداءِ ينطبق أيضًا على الحركات الأخرى ويكثر ذلك عند توالي الحركات. وقد أشار إلي ذلك سيبويه: "فأما الذين يشبعون فيمططون، وأما الذين لا يشبعون فيختلسون وذلك قولك: يضربها ومن مأمنك " يسرعون اللفظ. ومن ثم قال أبو عمرو: "إلى بارئكم " (آية ٨٤ من البقرة) (الكتاب ٢-٢٩٧).

ويكثر ذلك في الأداءِ القرآني: فقد رُوي الإخفاء والإسكان لهذا الحرف وغيره مثل: "أَرنا مناسكنا" (١٢٨ من البقرة)، وكذلك في "يأمرهم" (١١٧ الأعراف)، و"يشعركم" (آية ١٠٩ الأنعام)، و"ينصركم" (١٦٠آل عمران)[٢]. وقال مكّي المقرئ:

---

(١) انظر نثر الدرر للوزير ابن سعد الآبي، ذكره الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه: فصول في فقه اللغة،ص ٨٠.

(٢) قرأ أبو عمرو في رواية الرقيين عنه بإسكان الراء والهمزة وباختلاسها في رواية العراقيين، وقرأ ابن كثير بإسكان الراء وابن عامر وأبو بكر بإسكان الراء في السجدة (أرنا اللذين) (الكشف لمكي ١/ ٢٤٠-٢٤١).

وعلة من أسكن أنه شبه حركة الإعراب بحركة البناء فأسكن حركة الإعراب استخفافًا لتوالي الحركات تقول العرب: "أراك منتَفْخًا " بسكون الفاء استخفافًا "[١] وحُكم على الإسكان بالضعف، وهو رأي سيبويه إلاّ أن الإسكان ثابت في القراءَات المجمع على صحتها.

وكل هذا الاختلاس جائز بالإجماع، وكذلك الإسكان لحروف الكلمة غير حروف الإعراب، والاختلاس شبيه بالإسكان لإضعافه الحركة، وإن كان المختلس بزنة المتحرك. ومثلوا أيضًا للاختلاس أو الإضفاء[٢] في حالة استحالة الإدغام لسكون الحرف الذي قبل الحرف المراد إدغامه وذلك مثل: ابنُ نوح واسمُ موسى. يقول سيبويه: "لم يجز أن يسكن ولكنك إن شئت أخفيت" (الكتاب٢-٤٥٧) والنطق بذلك يحصل هكذا: ابـ/ نُوح واس/ مُموسى فالضمة التي بين الحرفين المتماثِلَيْن أُخفي صوتها فكأنهما متحركان بحركة واحدة، وهذا تبيّنه جيدًا الآلات الراسمة للذبذبات الصوتية. وكذلك الأمر في: "شهْر رمضان" – شهْـ – رَرَمضان، وذكروا أن أبا جعفر والحسن وغيرهما قرأوا: "أحدَ عْشَر" (٤/ يوسف) ، بإسكان العين من "عشر" وقال الأخفش والفراءُ: "إنهم استثقلوا الحركات فحذفوا لما كثرت[٣] والإسكان في مثل هذه العبارات التي تتوالى فيها الحركات كثير".

استعمال العرب الفصيح العفوي ومثال آخر للإخفاء في داخل الكلمة هو: "متعففًا" والنطق به هو: متع/ففًا. وكذلك في: "لا تَأْمنّا" عوض "لاتَأْمَنُنَا" (آية ١١ يوسف).

وظاهرة الاختلاس للحركات ظاهرة عامة الوجود في اللغات البشرية وذلك بالنسبة لمستواها العفوي لا المتكلف، والأمثلة على ذلك في اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية أكثر من أن تحصى.

---

(١) نفس المصدر: ٢٤١.

(٢) نفس المصدر: (٢٤١).

(٣) انظر: إعراب القرآن للنحاس، ٢/ ٣١٣.

وكذلك الأمر في عاميات اللغة العربية وخاصة في لهجات شبه الجزيرة العربية والمغرب. وقد بالغ الناس في ذلك في هذه البلدان حتى أوقعوا الاختلاس على صدور الكلمات الثلاثية وما فوقها (مثل: "الكتاب" ينطق به بحركة مختلسة بين الكاف والتاء). وهذه الظاهرة ثابتة أيضًا فيما وصلنا من كلام العرب. فقد ذكر سيبويه هذا البيت:

وإني بما قد كلّفتني عشيرتي   من الذّبِّ عن أعراضها لحقيق

والشاهد فيه إخفاءُ حركة الباء: بما (الكتاب ٢/٤٠٨).

٢- اختزال الحروف:

المشاكلة أو التقريب:

يقول سيبويه:"فأما الذي يضارع به الحرف من مخرجه فالصاد الساكنة إذا كانت بعدها دال وذلك نحو: مصدر وأصدر... وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايًا خالصة... فإن كانت سين في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجز إلاّ الإبدال إذا أردت التقريب وذلك قولك في التسدير: التزدير وفي يسدل ثوبه: يزدل ثوبه" (الكتاب ٤٢٦-٤٢٧). وينطق بهذا أيضًا مع القاف وكذلك بالنسبة إلى التفخيم. كما أن هناك حروفًا فرعية مستحسنة (allophones) هي نتيجة للمشاكلة كالنون الخفيفة والهمزة التي بين بين والشين التي كالجيم (مثل الجيم الرخوة التي في الفرنسية) وذلك مثل: أشْدق (azdaq).

ويكثر التقريب والإبدال في الإدغام (عند عدم تماثل الحرفين كما هو معروف)(١). وليس من سياق في الفصحى المنطوقة العفوية إلاّ فيه هذا التشاكل الصوتي، وقد ذكر اللغويون الأمثلة الكثيرة في ذلك وكذلك علماء القراءات. وذلك مثل:

---

(١) الإدغام لا يستلزم التقريب في كل الأحوال، وذلك مثل: المالك: ففيه مجرد إسكان اللام الأولى والتلفظ بها مع اللام الثانية دفعة واحدة، بدون فصل بينهما كما وصف ذلك علماؤنا (خلافًا لما يعتقده بعض المستشرقين ومن تابعهم من العرب).

مَنْ بَدَا لَكَ > مَمْبدًا لَكَ/ العنْبر> العَمْبر/ أَكْرِمْ بِه> أكرِبه/ اصْحَبْ مَطَرا> اصْحَمَّطرا – اضْبطْ دُلْما> اِضْبِدُّ لَما/ أُنْقُذْ طَالبا> أُنْقُطَّا لبا/ اِنْعتْ طالبا> اِنْعَطّالبا/ اِفْحَصْ رَدةَ> اِفْحز رَدة/ اِحْبِس صابرا> اِحْبِصابرا. اِبْعثْ ظالما> اِبْعَظّالما / خُذْ ثابتًا> خُثّابتًا/ اِبْعثْ ذلك > اِبْعَذلك. وجملة مثل: "ذهبتْ سلمي وقد سمعت" كان ينطق ها العرب في مقام أنس: "ذهبَّسلمي وقسَّمعت".

كل هذه الأمثلة هي من كلام العرب الموثوق بعربيتهم وقد وردت في كتاب سيبويه، وقال أيضًا: "وسمعناهم، يقولون: "مزّمان" فيدغمون الذال في الزاي و"مساعة" فيدغموها في السين.

والإدغام بدون قلب مثل: المال لك المالّك – اخْشَيْ ياسرا اِخْشَيّاسرا. كل ذلك مأخوذ من باب الإدغام من الكتاب. وإخفاءُ النون في سائر الحروف ما عدا حروف الحلق شيءٌ معروف عند القراءِ يمارسونه في كل تلاوة وذلك في:"من لّدنه" و "من ربهم" (٤٠ النساء، و٥ البقرة) و "من يّقل" (٢٩ الأنبياء) بإجماع القراء على الإدغام بغنّة. ويقول مكي: "والإظهار في مثل هذا يعدّه القراء لحنًا " (الكشف، ١-٥٢) وهذا يجهله أكثر المعلمين فهم يعلّمون اللحن مثل الوقف بالحركة غير شاعرين. وتتبعهم في ذلك الأُمة كلها لعدم العناية بالكلام المنطوق[1].

أما الهمزة فمن المعروف أن تخفيفها قد سمع من عدد كبير من العرب وخاصة من أهل الحجاز: "وكان حمزة (أحد السبعة) يستحب ترك الهمزة في القرآن كله إذا أراد أن يقف... وروى ورش عن نافع ترك الهمز الساكن وكذلك المتحرك".

أما أبو عمرو فكان إذا أدرج القراءَة، أو قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة مثل:"يومنون ويومن وياخذون... وعن عاصم أنه لم يهمز الهمزة الساكنة[2]".

ومثل ذلك كلمة "ذيب" "بير"، وأمثالهما فهو كثير في الكلام وخاصة هذا المستوى الذي يسميه ابن مجاهد بالإدراج، وكم من معلم يخطّئ التلميذ الذي ينطق

(١) جمدوا العربية حتى المستوى الترتيلي منها جعلوه صعباً متكلفاً، حتى خرج من كلام العرب.

(٢) كتاب السبعة لابن مجاهد، (١٣٠-١٣١).

بهذه الكلمات بدون همزة وقال سيبويه: إذا كانت الهمزة مضمومة وقلبها ضمة أو كسرة فإنك تصيّرها بين بين وذلك قولك: هذا درهم أُختك ومن عند أُمك وهو قول العرب (٢-١٦٤) ومثل ذلك "أَلَحْمر" إذا أردت أن تخفف ألف الأحمر. ومثله في الَمْرأة المَرة والكَمْأة في الكماة(٦٥). وكذلك يجوز أن تقول: "يريد أن يقريك" و "وخطيَّة" و "مقرَو"، و"أَبوَسحاق" و "أبويُّوب" و "حَوَبة" و "قَرَيْت الكتاب". وقال سيبويه: كذلك سمعنا العرب الذين يخففون: "اتَّبعوَ مْرَهُ" (٢-١٦٦).

وغير ذلك كثير جدًّا وجدّ متنوع وقد أهدر كل هذه الإمكانات الأدائية المعلمون ومن كلف بتكوين المعلمين بحصرهم العربية في مجال التحرير والترتيل ليس غير.

وذكر سيبويه أيضًا ما شذ من ذلك عن القياس- لا عن الاستعمال؛ لأنه كثير في كلام العرب – وذلك مثل: أحسْت، ومَسْت وَظِلْت ويسْطاع: وبَلْعَنبر وبَلحارث (عوض بنو العنبر وبنو الحارث) و "عَلْماء بنو فلان" يريد على الماء، وهي عربية (٢-٤٢٨).

وقد تسقط حروف عديدة من العبارة الواحدة في الكلام المنطوق الفصيح لكثرة الاستعمال. فقد سمع من الكثير من العرب الموثوق بهم، قالوا: أَيْش هذا، وهم يريدون "أي شيء هذا"(١).

أما فيما يخص التراكيب فقد أورد النحاة المتقدمون الكثير من العبارات المخفَّفة التي يكثر استعمالها فيصيبها لذلك حذف وإضمار وتقديم وتأخير، وهذا يدخل فيما يسميه هؤلاء العلماء بسعة الكلام، والاختصار. ويذكر سيبويه الآلاف من التراكيب التي سمعها أو سمع مثلها من الكلام المنطوق وهي تمثل اللغة الحية اليومية. ويتعجب القارئ من هذا التنوع في الأداء والأساليب الذي يدل على حيوية العربية لا كلغة أدب وشعر، بل وكذلك كلغة يتخاطب بها أصحابها في حاجاتهم اليومية. (انظر: الكتاب

---

(١) أورده الفراء في معاني القرآن: ٥٣/٢ وغيره.

وبصفة خاصة الأبواب التي تتطرق لاتساع العرب في الكلام والاختصار، وأبواب المنصوبات وإضمار الفعل وغير ذلك مما يكثر فيه الاختزال الذي هو دليل على المنطوق العفوي).

الخلاصة:

لقد قلنا في عدة مناسبات بأن اللغة هي وضع واستعمال أي نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التبليغ، وفي الوقت نفسه استعمال أو استثمار فعلي لهذا النظام، في واقع الخطاب.

وهذا شيءٌ قد لاحظه علماؤنا القدامى وتناساه مع الأسف المتأخرون منهم إلى وقتنا هذا، كما تناسوا أن هذا الاستعمال هو مشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريرًا فالمنطوق والمسموع هو الأصل في استعمال اللغة والمكتوب فرع عليه.

واللغة التي يكثر استعمالها في الكتابة، بل ربما انحصر في التحرير، فهذه اللغة قد حرمها أصحابها من المساهمة في أهم مظهر من مظاهر النشاط الإنساني: هذا الذي يتصف بالحياة النابضة وهي الحياة اليومية. وقد سمعنا الكثير من المواطنين العرب شرقًا وغربًا يعبرون عن ضيقهم عندما يحاول بعضهم أن يفرض اللغة الفصحى (كما تُعلّم في المدارس حاليًا) في ميدان تطغى فيه العامية؛ وذلك كالمسرحيات غير التاريخية وكالخطب الموجهة للشعب وحتى نشرة الأخبار المتلفزة في بعض الجهات، وعبارتهم في ذلك: "هذا كلام غير طبيعي في هذا المقام".

ويصبح ذلك مشكلاً كبيرًا بالنسبة للمربين، بل وكل إنسان غيور على العربية والبسطاءُ من الناس الذين يقولون ذلك معذورون، بل هم على فطرتهم؛ إذ يخضعون بذلك لناموس الحياة وللقانون الطبيعي الذي يتجاهله غيرهم وهو أن "لغة المشافهة في جميع الأماكن وجميع العصور هي أكثر اختزالاً وأوسع تصرفًا من لغة التحرير، وبالتالي أكثر اقتصادًا منها"؛ وذلك لكثرة استعمالها ووجود القرائن الحالية في جميع أحوال الخطاب فيميل المتكلم حينئذ إلى التخفيف ما دام المخاطب قادرًا على إدراك غرضه.

وهذا الاستخفاف وظواهره قد أكَّد عليه وعلى أهميته وكثرته العلماء العرب الذين شافهوا السلقيين من الناطقين بالضاد وتناساه النحاة الذين جاءُوا بعدهم، ولم يعيروا أي اهتمام لهذه الظواهر لتعلقهم باللغة المحررة وتركهم مجال المشافهة للعامية.

إن هذا الوضع الذي هو عليه الاستعمال الحالي للغة العربية – ويكاد يكون هو هو في جميع البلدان العربية – راجع كما هو معلوم إلى مخلفات الستة قرون من الانحطاط الفكري، ومن ثم إلى سبب هام جدًّا هو تغلب الأُمية على الأكثرية من أفراد الأُمة، وهو يساعد أيما مساعدة على إبعاد لغة الثقافة المشتركة عن لغة التخاطب. إلاَّ أن لهذا الوضع الشاذ حلولاً وأهمها ينحصر في إزالة هذه الأُمية التي هي سبب الثنائية اللغوية، لكنّ هذا لا يمكن أن يتم إلاَّ إذا اتخذنا التدابير الفعَّالة على مستوى الوطن، ورأينا أن نقدم ههنا كخاتمة لبحثنا هذا بعض ما يمكن أن يتصور من الوسائل، والتدابير للتخفيف من وطأة الثنائية وهي كالتالي:

في مستوى البحوث العلمية:

– يقوم فريق من الباحثين الخبراء بمسح شامل للغة التخاطب الحالية في البلدان العربية على أساس برنامج دقيق يشمل التحريات الميدانية مع تسجيل الكلام المنطوق العفوي على حسب ما تقتضيه مقاييس التحريات اللغوية. ثم تفريغ كل هذه المعطيات في جذاذات حتى يمكن دراستها دراسة علمية وتطبيقية.

– يقوم فريقٌ آخر بالبحث المتعمق للتعبير الشفاهي الفصيح القديم من خلال ما تركه لنا العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب، ومارُوي من القراءَات القرآنية المتواترة. ثم استخراج الأنماط الأدائية لهذا المستوى.

– يقارن هذا المستوى الفصيح العفوي المأثور بما دوَّنه الفريق الأول حتى يُتوصل إلى حصر المشترك بينهما في جميع مراتب اللغة: الأداءِ الصوتي والمفردات والتراكيب والأساليب.

في مستوى التكوين:

- يؤلف الفريقان بالاستعانة بالمربين كتابًا لتعليم اللغة الفصيحة المنطوقة المشتركة وليكون مرجعًا للمعلمين.

- تدمج عناصر هذا الكتاب الأساسية في التعليم من خلال المناهج من جهة والكتب المدرسية من جهة أُخرى مع بيان المقصود منها، وهو تعليم مستوى المشافهة الذي فقدته اللغة العربية منذ أن غزت الناسَ الأَمية.

- تنظم دورات تدريبية لإطارات التربية لتوعيتهم بخطورة الثنائية المطلقة التي قد تؤدي إلى الفصل المطلق النهائي بين المشافهة والتحرير، بل خطرها على مستقبل العربية وأهمية التمييز بين مستويات التعبير.

في مستوى وسائل الإعلام والمسرح والسينما:

تنظم دورات تدريبية مماثلة للمذيعين وكل الذين يشافهون الجمهور من خلال الإذاعة والتليفزيون؛ لتوعيتهم بنفس المفاهيم أولاً، ولتدريبهم على التمييز بين الأداء الترتيلي الذي يلزمه المقام، كنشرة الأخبار والندوات والمحاضرات، والأداء الاسترسالي الذي يجب أن تكون عليه الموائد المستديرة والمناقشات غير الأكاديمية، وكذلك لغة المسرح والأفلام التي تمثل وقائع الحياة وغير ذلك.

- يعوّد المذيعون على استعمال الرصيد اللغوي العربي حتى تتوحّد اللغة، دون أَن تهدر الاختلافات الحقيقية التي تشكل ثروة لغوية واجتماعية، مثل أَسماء الملابس المحلية وألوان الأَطعمة وغير ذلك.

* * *

بين الفصحى والعامية المصرية(*)

للدكتور شوقي ضيف
(الأمين العام للمجمع)

نشأت عندنا منذ أواسط القرن الماضي فصحى عصرية تخلو من الألفاظ الحوشية الغريبة ومن الألفاظ المبتذلة، فصحى وسطى بين لغة الخاصة الذين يستخدمون السجع ويفسحون لبعض الألفاظ الغريبة في كلامهم، ولغة العامة التي تمتلئ بالمبتذل من الألفاظ والركيك من الأساليب، فصحى تقترب من لغة الحياة اليومية، بحيث لا تعلو عن أفهام الناس، وتحتفظ بشيء من جمال الفصحى بحيث يسغيها الناس لسلاستها.

وكان للصحف التي نشأت في القرن الماضي أثر عميق في شيوع هذه الفصحى العصرية التي أخذت تشيعها وتعرضها يوميًّا على الجماهير المصرية، وأخذ الاتساع في التعليم الذي اقترنت به يساعدها في تمكينها من الانتشار والذيوع لا فيها فحسب، بل أيضاً فيما أخذ يترجم وينقله إلى العربية أفذاذ المترجمين، وأيضاً ما يكتبه أفذاذ الكتاب و الشعراء.

وكلما مضينا شطراً في القرن العشرين أخذت هذه الفصحى تزداد تمكناً واستقراراً في الألسنة عن طريق كتابات أمثال: المنفلوطي وخطابة الخطباءِ السياسيين البارعين: سعد زغلول وأقرانه، وأخذ النثر المصري في نهضة رائعة ثبت أركانها أربعة من كبار كتابنا الصحفيين السياسيين: المازني، ومحمد حسين، هيكل والعقاد وطه حسين، بما كتبوا من مقالات أدبية وسياسية واجتماعية وما ترجموا من عيون الأدب الغربي وقصصه ومسرحياته، وما أنتجوا هم أنفسهم من أعمال قصصية وغير قصصية، وكل ذلك كتبوه بالفصحى العصرية المبسطة وحاكاهم في الكتابة بها جيل الأدباء الذي

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الثامنة من جلسات مؤتمر الدورة السادسة والخمسين، المنعقدة في ٦ من مارس سنة ١٩٩٠م، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء السادس والستين، ص ١٣٤. (وله بحث آخر يحمل نفس العنوان سيرد بالجزء الثاني، في القسم الخاص بالتقريب بين الفصحى والعامية).

عاصرهم وما خلفه من أجيال. و لم تلبث الجامعة الحكومية أن تأسست وخرَّجت صفوة من شباب الأُدباءِ والعلماءِ، أَخذت تسهم في استخدام هذه الفصحى العصرية المبسطة، وسرعان ما نشأت الإذاعة المصرية وأخذت بدورها في الاتساع بنطاق الفصحى العصرية.

ومع كل ما حققته الفصحى العصرية من نهضة كبيرة في المقالة على اختلاف ألوانها سياسية واجتماعية وأدبية، وفي القصص والأقاصيص والمسرحيات سوى ما حققته في الشعر عند حافظ وشوقي وجيلهما، والأجيال التالية، مع ذلك كله لا تزال العامية لغتنا اليومية في البيت وفي السوق وفي المصنع، ومن يتابعها منذ أوائل هذا القرن العشرين إِلى اليوم ـ يجدها اقترضت كثيراً من ألفاظ الفصحى العصرية في السياسة وفي الاجتماع وفى كثير من شئون حياتنا، فهي تلوذ دائماً بالفصحى وتحاول اللحاق بها. وليس بصحيح أن هناك قطيعة بينهما، بل إِن العامية لتلتحم بالفصحى في مئات بل في آلاف من الألفاظ، وممن تنبه إِلى ذلك الأُستاذ المرحوم إِبراهيم عبد القادر المازني فاستخدم في مقالاته وقصصه كثيراً من الألفاظ الشائعة على ألسنة العامة والتي تمت إِلى الفصحى بنسب صحيح.

ومنذ أوائل هذا القرن يتجرد نفر لدراسة ألفاظ عاميتنا لتبيين الفصيح منها والنص عليه، على نحو ما صنع محمد على الدسوقي في كتابه: " تهذيب الألفاظ" وأحمد تيمور في كتابه:" معجم تيمور الكبير" و أحمد عيسى في كتابه المحكم في أُصول اللغة العامية " ومحمود تيمور في كتابه: " العامية الفصحى" وعبد المنعم سيد عبد العال في "معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأُصول العربية" ومحمد داود التنير في كتابه: "ألفاظ عامية فصيحة".

وقد عرضوا جميعاً مئات من الألفاظ التي يظن أنها عامية، وهي تمت إِلى الفصحى بنسب صحيح وعرضوا بجانبها ألفاظاً فصيحة الأصل أصابتها العامية ببعض التحريف في الحركات أو في الحروف.

ومن زمن بعيد ألّف المجمع لجنة للنظر في اللفظ والأسلوب اللذين تجري بهما أقلام الكتاب ممّا يظن أنهما غير فصيحين بينما هما فصيحان، إذ أثرا في المسموع الوثيق من العربية، أو أنهما بشهادة الأعلام من اللغويين يدخلان في دوائر الفصحى بما قرر لها من القواعد والأحكام، والمجمع يأخذ في ذلك بما تقتضيه سنن التطور اللغوي من النمو والتجدد، وأيضاً بما تقتضيه حاجات الاستعمال الحديث عند الأدباءِ ذوي الحس اللغوي الدقيق، واستطاعت اللجنة أن تصدر مجلدين تصحح فيهما مئات من الألفاظ والأساليب مدللة على أنها فصيحة أو تجري على سنن الفصحى وأقيستها الدقيقة، وكانت كلما انتهت من بحث أسلوب أو لفظة عرضتهما على مجلس المجمع، فإذا أقرهما عرضتهما على مؤتمر المجمع لإصدار قراره.

وليس من ريب في أن هذا الصنيع المجمعي من شأنه أن يزيل جانباً من الحواجز بين بعض ألفاظ العامية والفصحى، وهو ما جعلني أفكر في أن يعنى علماؤنا اللغويون بدراسة عاميات بلداننا العربية، وحصر صور التحريف فيها، والنص على ذلك بصورة استقصائية حتى يمحى كل ما دخل على الألفاظ الفصيحة من تحريف وخلل محواً تامًّا، فإننا بذلك نسرع في رفع السدود بين الفصحى وعاميات البلدان العربية ونمحوها محواً، وفي رأيي أنه لابد أن تتضافر الجهود حتى تنقرض العامية وتزول من الألسنة إلى غير رجعة، وقد أكببت على عاميتنا أحاول أن أحصر ما حدث في الألفاظ الفصيحة من فروق ومغايرات لأصولها الصحيحة.

وبدأت بحصر ما يجري من تحريف لا يرجع إليها من حيث هي إنما يرجع إلى القبائل التي نزلت مصر مع الفتح العربي أو توافدت عليها، وكانت لهجاتها تختلف من بعض الوجوه مع الفصحى لغة قريش والقرآن الكريم التي تربط بين شعوبنا العربية من الخليج إلى المحيط.

ثم ذكرتُ ما نشأ في العامية المصرية من تحريف نشأة مستقلة، وأضفت إلى ذلك التغيرات في الحركات و الإبدالات في الحروف والتبديلات في الهيئة، ليوضع ذلك كله تحت أبصار من يحاولون تخليص العامية من تحريفاتها حتى تتحد بالفصحى، وحتى تنعدم هذه الازدواجية أو الثنائية اللغوية في ألسنتنا، فلا تظل لنا لغة للصحف والكتابة الأدبية والعلمية، ولغة للسوق والبيت والمصنع والحياة اليومية.

فقد الإعراب في العامية:

وقبل أن نخوض في بيان تحريفات العامية ينبغي أن نذكر فقد الإعراب فيها جملة، وهو من أهم الخصائص في الفصحى؛ إذ يقف المتحدثون باللغة اليومية على آخر الكلمات بالسكون، و لم يعرف ذلك عن أي قبيلة من قبائل العرب في الجاهلية، وكل ما قيل في هذا الموضوع أن ربيعة كانت تقف بالسكون على المفعول به المنون في مثل:رأيت زيداً، فتسكن في هذه العبارة زيداً، غير أنها كانت تعرب بقية الكلام في الجمل مثل بقية العرب. والحق أن فقد الإعراب في العامية لا يخص العاميات المصرية وحدها، بل يشمل جميع العاميات العربية التي أخذت تظهر في البلاد المفتوحة التي لم تكن تعرب الكلام في لغاتها الأصلية، فلما اتخذت العربية مكانها أخذت تهمل منها الإعراب، وتم ذلك خلال قرون متفاوتة بتفاوت الشعوب التي دخلت الإسلام واتخذت العربية لساناً لها.

ومن المؤكد أن عاميتنا - مثل بقية العاميات - أخذت تهمل الإعراب تدريجيًّا حتى أهملته كلية، ومن يرجع إلى موشحات ابن سناءِ الملك في القرن السادس الهجري في كتابه:"دار الطراز" يجده يهمل الإعراب في غير موضع من موشحاته، من ذلك قوله في الموشح السادس:" فرجعت خايب.. حين مر هارب"، وقوله في الموشح الثامن عشر:" غزالاً فاتر الأجفان فاتن"، وفي الموشح رقم ٢١:"قولاً صحيح"، وفي الموشح رقم ٢٣:"كنت غادر.. طرفاً فاتر.. سيفًا باتر قلباً مقتول"، وفي الموشح رقم

٣٥: " لم أكن ذاهل.. لم أكن قائل"، ولعل في ذلك ما يدل على أن فقد الإعراب في العامية المصرية كان قد أخذ يعم في الألسنة منذ عصر ابن سناءِ الملك.

وأنا أعرض طائفة من تحريفات العامية المصرية، بادئاً منها بما يرجع إلى لهجات القبائل النازلة بمصر، أو إلى مجيئه في بعض الصيغ القبلية مِمَّا ينحرف عن الفصحى لغة قريش والقرآن الكريم.

تحريفات في العامية مرجعها إلى لهجات القبائل:

أولاً: في الأفعال:

١- كسر أحرف المضارعة:

اشتهرت قبيلة بهراء القضاعية التي كانت تنزل شمالي ينبع إلى العقبة بأنها تكسر أحرف المضارعة ويسمي اللغويون هذه الظاهرة باسم "تلتلة بهراءَ".

وفى كتاب الصاحبي لابن فارس وهو يتحدث عن فصاحة قريش: أنها لم تكن تنطق بالكسر في مثل نعلم وتعلمون، وفى كتاب سيبويه ٢/٢٥٦ والمخصص لابن سيده ١٤/٢١٥ أن جميع العرب ما عدا الحجازيين -ومنهم قريش- يكسرون أحرف المضارعة ما عدا الياءَ في الفعل السالم. والعامية المصرية تعمم الكسر في أحرف المضارعة ما عدا الهمزة، استثقلت كسرها؛ لأن مخرجها من الحلق وينبغي أن تبرأ من ذلك وتتبع قانون الفصحى الذي يوجب فتح أول المضارع فيما عدا الرباعي فإنه يضم في مثل يكرم ويسلّم.

٢- إلحاق علامة الجمع بالفعل مع الفاعل المجموع:

تلحق العامية علامة الجمع بالفعل مع الفاعل الظاهر فتقول: "حضروا الطلاب" متابعة في ذلك لهجة أزد شنوءَة وطيِّئ، والعامية المصرية تستخدم هذه اللغة من قديم، ففي كتاب المكافأة لابن الداية المصري المتوفى سنة ٣٤٠ للهجرة هذه العبارة: " اشتهوا

علي صبياني حلوى في العيد" والفصيح" اشتهى على صبياني" بدون سبق الفاعل الظاهر بضميره، وينبغي أن تتخلص العامية من هذه اللغة.

٣- قلب كسرة صيغة فَعِل المنقوص فتحة ويائه ألفاً:

تفتح عاميتنا عين فعل المنقوص وتقلب ياءه ألفاً فتقول في مثل بقى، بقا، تماماً مثل طيئ، وهي قديمة في عاميتنا؛ إذ نجد ابن سناء الملك في القرن السادس الهجري يقول في موشح له: " فمن زمن نساك" وحري أن تعدل العامية عن هذه الصيغة لحاقاً بصيغة الفصحى في هذا الفعل.

٤- إضافة ياءٍ إلى الحرف الأخير في الفعل المضعف:

تضيف العامية ياءً إلى الحرف الأخير في الفعل المضعف، فتقول: ظنِّيت، وجرِّيت الحبل، والعربية تعمد إلى ذلك في مثل تظننت فتقول: تظنيت، وقَصَّيت أظفاري بدلاً من قَصَّصْت، والأولى الأخذ بالكثير الشائع في الفصحى دون قلب الحرف الأخير في الفعل المضعف ياء أو زيادة ياءٍ عليه.

٥- حذف نون المضارع المجموع والمخاطب به الأنثى:

تحذف العامية حذفاً مطلقاً نون المضارع المجموع في مثل: " يقرءُون - يكتبون" وكذلك تحذف نون المضارع المخاطب به الأُنثى مثل: " تقرئي - تكتبي ".

ويذكر السيوطي أن حذف نون المضارع المجموع والمخاطب به الأُنثى ورد في النثر والنظم، ويذكر في الحذف مع المضارع المجموع حديثاً ومع المضارع المخاطب به الأنثى مثالاً حذفت فيه النون، وفى كتاب المكافأة لابن الداية عبارة "ما تسمعيه" بدلاً من "ما تسمعينه" وكأن ذلك قديم في عاميتنا، وينبغي أن تبرأ منه.

٦- إسكان التاء في صيغتي تفعَّل - تفاعل مع إدخال همزة وصل عليها:

تسكن العامية التاء في صيغتي تفعل - تفاعل مع إدخال همزة وصل عليها، فتقول: "اتأجَّل اتعلم" في تأجَّل - تعلَّم، كما تقول: "اتبادل - اتعاتب" في تبادل-

تعاتب. وينبغي العدول في الصيغتين عن ذلك اتباعاً للفصحى إلاَّ إذا أُدغمت التاءُ فيما بعدها فيمكن حينئذ استخدام الصيغتين في مثل: "اسَّمع - اصَّدع" في تسمع - تصدع، وفي مثل: "اسَّاهل - اصَّالح" في تساهل- تصالح.

٧- كسر فاء فعِل بكسر عين الفعل:

تنطق العامية أكثر الأفعال من صيغتي فَعِل يفعَل وفِعل يفعَل بكسر فاءِ الفعـــل، فتقول في:

"حِزِن - عِلِم - غِضِب" هكذا: حزن - علم - غضب وكما تقول "يـــئس - ورث" يئس - ورث، ويقول أحمد ابن فارس في كتابه الصاحبي: "إن قيساً تكسر أول الكلام" وينبغي أن تتخلص العامية من ذلك لحاقاً بالفصحى.

٨- زيادة ياء مع تاء المخاطبة المتصلة بالفعل الماضي:

تزيد العامية ياء على تاءِ المخاطبة المتصلة بالفعل الماضي، فتقول: وجدتيه مثلاً، ويقول اللغويون: إن هذه اللغة لغة ربيعة، ونجدها في كتاب المكافأة لابن الداية علـــى لسان تاجر يكافئ سيدة على جميل قائلاً: " هذا جزاءُ ما قدمتيه "،. وهي بذلك قديمة في العامية المصرية. وينبغي أن تتخلص منها تماماً.

٩- تسهيل الهمزة في كثير من الأفعال:

تكثر العامية من تسهيل الهمزة في الأفعال فتقول:"جا يجي" متابعة في ذلك لغـــة الحجازيين. ويلقانا منه أمثلة مختلفة في موشحات ابن سناء الملك مثـــل: " هنـــوني - يدفيني" بدلاً من هنئوني - يدفئني"، وينبغي أن تلتزم بهمز الأفعال المهموزة في الفصحى.

ثانيًا: في الأسمـــــاء:

١- صيغة مديون:

تحذف الفصحى الواو من اسم المفعول المشتق من الثلاثي المعتل العين اليـــائي، فتقول:"مدين" من دان يدين، و"معيب" من عاب، بينما تقول العامية: مديون- معيوب - مبقية الواو متَّبعة في ذلك لغة تميم، وينبغي أن تعدل عنها تمسكاً بالفصحى.

٢- اطراد جمع المذكر السالم بالياءِ والنون في جميع الأَحوال:

تلتزم العامية المصرية في جمع المذكر السالم نطقه بالياء و النون في جميع الأحوال ويذكر أبو حيان أن المبرد قال: إن ذلك مذهب للعرب لا يختص بالشِّعر، والإعراب فيه على النون وقبل النون الياء، وينبغي أن تتخلص العامية من ذلك حتى يلغى هذا الحاجز الصفيق بينها وبين الفصحى.

٣- لحاق نون الوقاية باسم الفاعل:

تلحق العامية نون الوقاية باسم الفاعل أُسوة بالفعلِ، فكما يقال في الفصحى: "خاصمني - سامحني" تقول العامية: "مسامحني - مخاصمني ". ويذكر اللغويون بعض أمثلة شاذة لذلك، وينبغي أن تبرأ منه العامية.

٤- استعمال أَم الحميرية أداة للتعريف:

تنسب إلى حمير " أم " أداة للتعريف بدلاً من "أل" وقد نزلت منها في مصر عشائر كثيرة، وعنها شاعت في العامية كلمة " امبارح " بدلاً من " البارحة" وينبغي استخدام الكلمة الفصيحة.

٥- كسر الحرف الأول في الصفتين المشبهتين: " فعيل - فعل":

يكثر أن تكسر العامية الحرف الأول في الصفتين المشبهتين: "فعيل - فعل" فتقول: "كبير - بعيد - شريف" بكسر الأول، كما تقول: "إِنفْ - عكر" بكسر الأول، ومر بنا أن ابن فارس يقول: إن بعض قبائل قيس تكسر أوائل الكلمات، وكأنما أخذت ذلك عنها عاميتنا في هاتين الصيغتين، وينبغي أن تتمسك فيهما بقانون الفصحى.

٦- القصر:

تكثر عاميتنا من القصر في الأسماء الممدودة، ويبدو أنه قديم فيها؛ إذ نجد ابن سناءِ الملك يكثر منه في موشحاته، فيقول - كما تقول عاميتنا المعاصرة -: السما في السماءِ والشتا في الشتاءِ، والدوا في الدواءِ والوفا في الوفاءِ، وينبغي أن تتابع عاميتنا الفصحى فيما تمده وتقصره.

٧- تسهيل الهمزة:

تكثر عاميتنا من تسهيل الهمزة في الأسماء، ومن ذلك المطرد مثل صيغة الفاعل من الفعل الأجوف، فتقول: " بايع - زايد - ضايع". ومن ذلك قلب الهمزة الساكنة إلى جنس حركة ما قبلها مثل: بير في بئر، وراس في رأس، ولوم في لؤم، وهي تتابع في ذلك قبيلة تميم، ويرى التسهيل عندها في كلمات كثيرة مثل: "مراته" في امرأته و"ميتين" في مائتين و"فاس" في فأس. وينبغي أن تلتزم بمتابعة الفصحى فيما تسهله وتكتفي به.

ثالثًا: في الضمائر:

تشديد الضمير في: "هو" و "هي" تشدد العامية ضمير المذكر الغائب: "هو" وبالمثل تشدد ضمير المؤنثة الغائبة "هي"، ويقول اللغويون: إن هذه اللغة لغة همدان التي نزلت في الفتح الجيزة، وكأنها هي التي أشاعتها في مصر، وتشدد العامية الضمير: "هم" وينبغي أن تتخلص من ذلك كله أسوة بالفصحى.

رابعًا: في اسم الموصول"اللي"

تستخدم العامية لفظ " اللي" اسماً موصولاً عامًّا للمفرد والمثنى والجمع وللمذكر والمؤنث، وهو بذلك يقوم مقام جميع أسماءِ الموصولات، ولذلك أصل في العربية فقد ذكر النحاة "ال" بين الأسماءِ ـــ الموصولة وقالوا: إنها تستخدم مكان لفظ الذي وفروعه ومثلوا لها داخلة على جملة فعلية وأُخرى اسمية وظرف، وقال ابن مالك: إنها تستخدم في النثر مثل الشّعر، والعامية زادت عليها لاماً وياءً، وينبغي أن تتخلص منها وتعود إلى الأسماءِ الموصولة "الذي" وفروعها.

خامساً: في حروف الجر:

١- كسر لام الجر مع الضمائر مثل:

"لنا - لك - لها - لهم "، والفصحى كما هو معروف تفتحها وتتابع العامية في ذلك لغة خزاعة، وينبغي أن تتخلص منها.

٢- حذف نون من الجارة:

تحذف العامية نون من الجارة إذا وليها ساكن مثل: "خرجوا مِ المدرسة - رجعوا مِ الجامعة " وهي بذلك تتابع لغة خثعم وزبيد من القبائل اليمنية التي نزلت بها، وينبغي أن تتخلص من ذلك لحاقاً بالفصحى.

٣- حذف اللام والألف من "على" الجارة:

تحذف العامية اللام والألف من "على" الجارة إذا وليها ساكن فتقول: "جلست عَ الكرسي - ركبت ع الفرس"، وهي لغة قبيلة بني الحارث بن كعب اليمنية، وينبغي أن تتخلص منها العامية.

- الوقوف على: "لا النافية" بالهمز: تنطق العامية لا في الجواب على المتكلم: لا بإلحاقها همزة، ويبدو أن العامية المصرية نقلت ذلك عن بعض من نزل بها من طيئ وشاع بين سكانها.

تحريفات في العامية لكلمات فصحى ليس لها أصل في اللهجات القبلية:

أولاً: في الأفعال:

١- دخول الباء على المضارع:

تدخل العامية المصرية الباءَ على الفعل المضارع للدلالة على حدوث الفعل في الزمن الحالي، وتظل مكسورة فيما عدا المضارع للمتكلم فإنها تفتح فيه، فيقال: بافهم - بِتفهم - بِيفهم، وليست هذه الباء هي الباء الجارة؛ لأن حروف الجر لا تدخل على الأفعال، ولم يسمع ذلك عن العرب في أي لهجة من لهجاتهم، وربما كانت هي الباءُ الزائدة، وقد ذكر ابن هشام في المغني:" أنها تزاد أحياناً مع المبتدأ والخبر، والفاعل والمفعول"، وقد تكون العامية المصرية زادتها مع المضارع للتأكيد أو ربما كانت مقتطعة من كلمة مثل بودي. وهي لحن ينبغي أن تبرأ منه العامية برءًا تامًّا.

٢- العامية لا تثني الأفعال:

لا تلحق العامية الأفعال ألف التثنية، فتقول في: "كتب-يكتبان -كتبوا- يكتبوا"، وينبغي تخلُّص العامية من هذه الظاهرة التي تتعارض مع الفصحى تعارضاً شديداً.

٣- إدخال الحاء على المضارع للدلالة على وقوعه قريباً:

تستخدم العربية مع المضارع حرف السين للدلالة على قرب وقوعه في مثل: سأكتب، و تستخدم العامية المصرية مكانه الحاء، فتقول: " حاكتب" وربما كانت هذه الحاءُ مقتطعة من كلمة " رايح " وهو لحن ينبغي أن تتخلص منه.

٤- إدخال ما على المضارع للتأكيد:

تدخل العامية على المضارع ما لغرض التأكيد مثل: " ما تاكل ـــ ما تشرب " وهي اختزال من أمَّا الدالة على العرض والطلب. وينبغي أن تعود العامية إلى استخدام أما كاملة دون اختزال.

ثانياً: في الأسماء:

١- التسوية في المثنى وجمع المذكر السالم بين حالة الرفع وحالتي النصب والجر:

تسوي العامية المثنى في حالة الرفع بحالتي النصب والجر، فتقول: "معي كتابين - أخذت كتابين - نظرت في كتابين "، فالمثنى تلزمه دائماً الياءَ و النون مع كسر ما قبلهما، وينبغي العودة به إلى أحواله في الفصحى، فيقال: "معي كتابان - أخذت كتابين - نظرت في كتابين" مع فتح الباء في حالتي النصب والجر، و بالمثل تسوي العامية جمع المذكر السالم بحالتيه في النصب و الجر، فتقول: "المتفوقين حضروا - عرفت المتفوقين - تحدثت إلى المتفوقين" والمثالان الأخيران صحيحان بخلاف الأول، فهو في الفصحى "المتفوقون "؛ لأنه مبتدأ، وينبغي أن تعود العامية إلى استخدامه الصحيح في حالة الرفع مثل الفصحى فتلحق به الواو والنون.

٢- كسر الميم في اسم الفاعل واسم المفعول من الفعل الرباعي وما بعده:

تكسر العامية الميم في اسم الفاعل واسم المفعول من الفعل الرباعي والخماسي، والسداسي فتقول: "معلم - مسامح" بكسر الميم في اسم الفاعل وهـي مـضمومة في الفصحى دائماً.

كما تقول: "مفتَّح - مغمَّض" بكسر الميم في اسم المفعول، وهي مـضمومة في الفصحى دائماً، وينبغي أن تنطق بالميم في الصيغتين مضمومة مثلهما في الفصحى.

ثالثا: الضمائر:

١- نقل ضمة هاءِ الضمير إلى ما قبلها مع حذفها:

يطرد نقل هاءِ الضمير وحذفها مع الأفعال في مثل: كتبه، تقول العامية: كتبو، ومع الأسماءِ في مثل: كتابه، تقول العامية: كتابو، ومع الحروف في مثل: لـه -، عنـه تقول العامية: لو ـ عنو، وينبغي أن تتخلص العامية من ذلك، كما تقضي بذلك قواعد الفصحى.

٢- استعمال الواو وهم مع جماعة الإناث الحقيقين وغير الحقيقين:

تستخدم العربية الواو وهم مع جماعة الذكور، بينما تستخدم مع جماعة الإناث نون الإناث وهن فتقول: "الطالبات - حضرن - رأيتهن" والعامية تسوي بين الإنـاث والذكور فتقول:"الطالبات - حضروا - رأيتهم" كما تقول: الإبل ساروا، و الكتـب قرأتهم بينما تقول الفصحى: الإبل سارت- الكتب قرأتها. وكل ذلك ينبغي أن تتخلص منه العامية.

٣- تشديد ياءِ المتكلم مع اللام الجارة:

تقول الفصحى: "لي" بالفتح أو السكون بينما تشدد العامة الياءَ، وهـو لحـن ينبغي أن تبرأ منه، ويبدو أنه فيها من قدم؛ إذ نجده في موشحة لعلي بن وفا في القـرن الثامن؛ إذ يقول فيه: "رُدُّهَاليَّا" وينبغي أن تعدل عنه.

٤- نقل حركة كاف المخاطب والمخاطبة إلى الحرف السابق لها:

تقول العربية: هذا كتابكَ بفتح الكاف للمخاطب المذكر وكسرها للمخاطبة المؤنثة بينما العامية تقول: " هذا كتابك" للمذكر بنقل حركة الكاف إلى ما قبلها، وينبغي أن تلتزم بالنطق الصحيح الفصيح.

رابعاً: الحروف:

يا للتخيير: تستخدم الفصحى للتخيير إما، فتقول مثلاً:ادرس إما الشّعر، وإما النثر، بينما تقول العامية: ادرس يا الشعر يا النثر. وينبغي أن تلتزم بالفصحى في حالة التخيير بإما وتترك "يا" نهائيًا.

إبدال في الحروف

١- إبدال الهمزة:

(أ) عينًا: ويسمى ذلك عنعنة تميم، تقول في أنك: عنك، وفي أذن: عذن، ومن أمثلة ذلك في العامية:

حعر في حأر - فقع في فقأ.

(ب) واوًا: وهى تبدل منها كثيراً في العربية مثل: بوس في بؤس، وواخيت في آخيت، ووادم في: آدم ـــ ومن أمثلة ذلك في العامية:وحت النار في أجت - وداه في أداه ـــ إدَّن في أذن بتسهيل الهمزة وقلب الذال دالاً - ورَّاه في أراه - وزَّه في أزه - واساه في آساه - وقة في أُقة - وليفه في أليفه - وياك في وإياك بتسهيل الهمزة - ويانا في وإيانا.

(ج) هاء: ولها أمثلة مختلفة في العربية مثل: هيا في أيا للنداء - هرقت الماءَ في أرقت. ومن أمثلة ذلك في العامية:لهف الشيء في لأفه - هيه هيه في إيه إيه (للاستزادة في الكلام).

٢- إبدال الباء:

(أ) ميماً:تبدل الباء ميماً في أمثلة ذكرها اللغويون، من ذلك: كمح الدابة في كبحها - والنكمة في النكبة - وبنات مخر في بنات بخر، وحكى أبو عمرو الشيباني قولهم: ما زال راتماً على كذا في راتباً، أي مقيماً - وفي اللسان: شرب نُغَماً في نغباً، أي جرعات من الماء ومن أمثلة ذلك في العامية:اتمتخري يا عروسة في تبختري.

(ب)فاء: تبدل الباء فاء لقرب مخرجهما في الشفتين، ومن أمثلة ذلك في العامية:التهفت النار في التهبت - لهفه بالعصا في ألهبه.

٣- إبدال التاء طاءً:

(أ) تبدل التاءُ طاءً في صيغة افتعل إذا كانت فاءُ الفعل صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً مثل:اصطبر - اضطرب - اضطهد - اطرد.

(ب) وتبدل التاءُ طاءً بعد الصاد، وأخواتها السالفة في مثل: فحصت - نهضت - خبطت - حفظت، فالتاءُ فيها جميعها تنطق طاءً. وممَّا جاءَ من نطق التاء طاءً في العامية: طربة (قبر) في: تربة، تمتق في: تمطق.

٤- إبدال الثاء دائماً:

أ- تاء: يكثر ذلك في العامية المصرية ومن أمثلته:تار في ثأر بتسهيل الهمزة ـ اتّاوب في تثاءَب بقلب الهمزة واواً ـ تخين في ثخين ـ تعبان في ثعبان ـ تعلب في ثعلب - تقل في ثقل ـ تلج في ثلج ـ اتنين في اثنين ـ تفل في ثفل ـ تلاته و تلاتين في ثلاثة وثلاثين ـ تلت في ثلث ـ توب في ثوب ـ توم في ثوم ـ عتمان في عثمان - كرات في كراث ـ كمترى في كمثرى.

(ب) دالاً: من ذلك ألدغ في ألثغ.

(ج) سيناً: من ذلك سقب في ثقب - سريّ في ثري - سروة في ثروة - سم في ثم - سواب في ثواب.

(د) شيناً: من ذلك: شر الماء في ثر ــ شلة في ثلة.

(هـ) طاءً: من ذلك شبط في شبثت وتشبث.

٥- إبدال الجيم:

(ا) همزة: من ذلك ألّه بالعصا جله ــ المئشة في المجشة.

(ب) شيناً، من ذلك: اشتر الحيوان في اجتر ــ وش في وجه.

(ج) هاء: من ذلك: فالوذج في بالوظة بإبدال الباء هاء.

٦- إبدال الحاء غينًا: من ذلك تعتعه في تحتحه و حركه.

٧- إبدال الخاء غيناً: من ذلك غفر الزرع في خفره، ومنها غفير في خفير ــ نغزه في نخزه.

٨- إبدال الدال:

(ا) تاءً: من ذلك زغرته في زغرده.

(ب) زاياً: من ذلك زغزغه في دغدغه.

٩- إبدال الذال دائماً:

(أ) دالاً ويكثر ذلك في العامية، ومن أمثلته:إلاّ دا أوده في إلاّ ذا أوذه - داب في ذاب - داق في ذاق - دبحه في ذبحه - دبل في ذبل - دبان في ذبان - دراع في ذراع - دقن في ذقن - دهب في ذهب - ديب في ذئب - بادنجان في باذنجان - حدفه في حذفه - لد عليه في لذله - ندل في نذل - ندر في نذر.

(ب) زاياً: وهو كثير مثل: زاته في ذاته - زخيرة في ذخيرة - الزرية في الذرية - الزكاء في الذكاء - الزم في الذم - الزمة في الذمة - الزل في الذل - الزهن في الذهن - إزعاف في ذعاف - تبزير في تبذير - رزيل في رذيل - المزياع في المذياع - عزاب في عذاب.

(ج) ظاءً: وذلك مثل بالوظة في - فالوذج.

١٠- إبدال الراء لاماً: من ذلك الحول في الحور.

١١- إبدال الزاى سيناً: من ذلك كسبرة في كزبرة.

١٢- إبدال السين:

(ا) زاياً: من ذلك فزدق في فستق.

(ب) صاداً: يكثر ذلك في العامية، ومن أمثلته:

الخص في الخس - صخه في سخه - اخص في اخسأ - أخرص في أخرس- الجعيص في الجعيس - لَغوص في لَغْوس.

(ج) ظاءً: من ذلك ألماظ في الماس.

١٢- إبدال الشين سيناً: من ذلك سحيع في شجيع.

١٤- إبدال الصاد: من ذلك الصيص في الشيص.

(ا) زاياً: من ذلك قزدير في قصدير.

(ب) سيناً: من ذلك سرخ في صرخ ــ سايغ في صايغ ــ سكّ الباب صكّ ــ سحن في صحن ــ سدغ في صدغ ــ سمغ في صمغ ــ مستكى في مصطكى بقلب الطاء تاء.

١٥- إبدال الضاد دالاً: من ذلك دحك في ضحك - مدغ الطعام في مضغ.

١٦- إبدال الطاء تاءً: من ذلك مستكى المارة - حانوتي في حانوطي - تنبل في طنبل.

١٧- إبدال الظاء:

(ا) دالاً: من ذلك مندرة في منظرة.

(ب) ضاداً، من ذلك: الضل في الظل - الضهر في الظهر - الحفض في الحفظ - الحنضل في الحنظل - فلان على اللضا فى اللظأ أي النار - اللماضة - (الفصاحة) في اللماظة - نضف في نظف - الضفر في الظفر.

١٨- إبدال العين.

(ا) همزة: من ذلك دألج الكرة في دعلج.

(ب) حاء: في مثل بحتر في بعثر، (بقلب الثاء تاء) ــ انكــشح في انقــشع ــ الكحك في الكعك.

(ج) هاء: دهس رجلى في دعسها - دعوره (قذفه في هوة) في دهوره.

١٩- إبدال الغين عيناً: من ذلك لدعه العقرب في لدغه.

٢٠- إبدال الفاء:

(ا) باء: من ذلك بالوظة في فالوظة ــ بولاد في فولاذ.

(ب) طاء: من ذلك طرقع في فرقع.

(ج) واواً: من ذلك يا لهوتى في يا لهفتي.

٢١- إبدال القاف همزة إبدالاً عامًّا:

أَبدلت القاهرة القاف في كلمات العربية همز ميلاً منها إلى التخفيف، وتبعتها في ذلك الدلتا، أما الصعيد فيبدلها غالباً جيماً. ومن أَمثلة قلبها همزة: آل في قال - قاول مقاولة - آول مؤاولة - أبح عليه في قبح - أرى في قرأ - الأَرابة في القرابة - إدر في قدر - آرب في قارب - إِرد في قرد - أرروة في قرورة - أريش في قريش - أَرًّا عليه في قرق - الأَرف في القرف - أُش في قش - إِشطة في قشطة - أَطم َلأْمة - قطم لقمة - الأَطايف في القطايف - الأَطيفة في القطيفة - الأَفش في القفش - الأُفة في القفة - أرْن في قرن - أُراع في قُراع - أعد في قعد - زوًّا في زوًّق - لأَف في لقف - النأْل في النقل - النأرشة في النقرشة - النؤطة في النقطة- أمص الفرس في قمص - أوام في قوام - أهره في قهره - أُمْع في قمع - أَلْب في قلب. إِلى غير ذلك مِمَّا يخــرج عــن حــدٍّ الاستقصاء.

٢٢- إبدال اللاّم:

(ا) راء: من ذلك: رغى رغياً في لغي - درفيل في دلفين مع إبدال النون لاماً.

(ب) نونًا: من ذلك زهر (احمرّ) في زمهر.

٢٤ - إبدال النون:

هاء: من ذلك: هش الذباب في نش.

٢٥ - إبدال الهاء:

حاء: من ذلك الحلوف في الهِلّوف.

وبعد :فهذه كلمة موجزة عن إبدالات العامية في الأفعال والأسماء والحروف ووراءها تغيرات كثيرة في الحركات وهي كثيرة كثرة مفرطة، سوى ما أحدثت العامية من حذف الهمزة في أفعال كثيرة مثل: حبه في أحبه - فطر في أفطر - قفل الباب في أقفله، وأيضاً ما أحدثت من القلب في الأفعال والأسماء مثل: اتلم في التم - اتكسى في اكتسى - أهبل في أبله - جلاليب في جلابيب، وسوى ما أحدثته من نحت وهو فيها كثير مثل: إكمنه زعلان في كما أنه – اهو في أين هو – باينك في باين أنك.

وفى رأيي أنه ينبغي أن تحصر كل هذه الفروق بين الفصحى والعامية المصرية، وبينها وبين العاميات في بلداننا العربية، ولا بأس أن تكتب فيها كتب تعليمية للناشئة حتى نسرع الخطى في رفع الحواجز بين عامياتنا وبين الفصحى، وحتى تمحى هذه الازدواجية أو الثنائية بين لغة لنا عامية نتداولها في حياتنا اليومية ولغة فصيحة نتداولها في حياتنا الأدبية والعلمية.

* * *

العامية فصحى محرفة (*)

(محاضرة)

للدكتور شوقي ضيف

(رئيس المجمع)

الزملاء المجمعيون من المصريين والعرب والمستعربين

السيدات والسادة:

للعامية أنصار كثيرون وخاصة في مصر، يقولون: دعونا نتخذ العامية لغة لأدبنا؛ لأنها لغة بسيطة تمتلئ بها الأفواه في حياتنا اليومية، بينما الفصحى لغة نزيلة في ديارنا، وقواعدها معقدة وتحتاج منا جهدًا في تعلمها. ومن يقولون هذا القول عن الفصحى لا يعرفون تاريخها، ولا أنها حين خرجت من الجزيرة العربية مع الفتوح الإسلامية قهرت بعذوبة لسانها وبيانها جميع اللغات التي التقت بها من أواسط آسيا إلى المحيط الأطلنطي: قهرت الفارسية في إيران، والآرامية والنبطية في العراق، والسريانية واليونانية في الشام، والقبطية واليونانية في مصر، واليونانية واللاتينية والبربرية في المغرب، واللاتينية والرومانية في الأندلس بإسبانيا. استعلت على كل هذه اللغات ونحّتْها عن ألسنة الشعوب في كل هذه الديار وحلت محلها في الألسنة.

ولقد نزلت اليونانية الشام ومصر منذ عهد الإسكندر وظلت لغة حكامهما ولغة الإدارة فيهما قرونًا، وبالمثل نزلت اللاتينية واليونانية البلاد المغربية و لم تستطع إحدى اللغتين أن تنقل إحدى البلدان التي سيطرت عليها إلى لسانها؛ إذ بقيت لغة للحاكم وحاشيته، وظلت الشعوب في الشام ومصر والمغرب تتحدث بلغتها المحلية.

أما الفصحى فبمجرد أن نزلت فيها أخذتْ لغاتُ كل هذه البلدان تُزَايلها وتحل محلها تدريجيًا، حتى قضت عليها نهائيًا، واستحالت بلدانًا عربية دون تدخل حاكم

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الثانية من مؤتمر المجمع، في الدورة السادسة والستين، في ٣ من أبريل سنة ٢٠٠٠م، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الحادي والتسعين، ص ٣١.

عربي وإدارته الحاكمة في أي بلد بقوة الفصحى الذاتية وقوة القرآن الكريم. وأعدها ذلك لأن تصبح لغة عالمية، مما لم يتح لأية لغة قديمة سواها.

ولم تصبح الفصحى عالمية لغويًا فحسب، بل أصبحت أيضًا عالمية ثقافيًا، فقد استوعبت الثقافات التي سبقتها جميعا: استوعبت الثقافة الهندية وما كان بها من فلك ورياضة، واستوعبت الفارسية وما كان بها من نُظم في السياسة والإدارة والحكم، واستوعبت اليونانية وما كان بها من علوم وفلسفة وطب وغير طب، واستوعبت كل ما كان لدى الأمم القديمة من فكر وعلوم بفضل اشتقاقاتها الكثيرة، وقدراتها على تمثل الأفكار والمعارف، وقد مضت تضيف إليها إضافات كبيرة، وظلت تقود العالم علميًّا طوال ستة قرون متعاقبة، وقامت أوربا منها - منذ القرن الحادي عشر الميلادي إلى القرن السادس عشر - مقام التلامذة من أساتذتهم، إذ ترجموا إلى لغاتهم كل مالها من علم وفكر وفلسفة متخذين منها منارات تهديهم إلى مسالكهم في حضارتهم الحديثة.

ويردِّدُ أنصار العامية أن الفصحى لغة تراثية لا تلائم العصر، وفاتتهم معرفة أن الفصحى – الآن – إنما هي لغة عصرية حديثة أخذت في الظهور منذ أواسط القرن الماضي ببواعث مختلفة، منها رؤية الأدباء - وخاصة المترجمين - أساليب النثر الأدبي والعلمي الغربية وأنها تخلو من قيود السجع والبديع، وكانت قد طُبعت حينئذ كتب ابن المقفع والجاحظ، فعمدوا إلى استخدام لغة تعتمد على الأسلوب المرسل الخالي من كل قيد، ولم تلبث الصحف أن ظهرت واتجهت إلى الجمهور، فكان طبيعيًا أن تتخذ هذا الأسلوب المرسل الجديد حتى يفهم الشعب ما تريد أن تخاطبه به من أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد، وأخذ الصحفيون يحاولون تبسيط لغتهم حتى تفهم ما يقولونه طبقات الشعب المختلفة، وأعد ذلك لفصحى عصرية حديثة مبسطة غاية التبسيط، وأخذت الأجيال التالية من الصحفيين والأدباء تبسطها صورًا مختلفة من التبسيط.

ونلتقي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بأول جيل صحفي مهم عمل على إشاعة هذه الفصحى الحديثة: جيل الشيخ محمد عبده، وأحمد لطفي السيد، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وكانوا يكتبون مقالاتهم الصحفية بلغة مبسطة سهلة تمتع القارئ، وخلفهم منذ العشرينيات في هذا القرن جيل من أدباء الفصحى الحديثة البارعين من أمثال عباس العقاد، وإبراهيم المازني، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل، وبلغوا بهذه الفصحى الحديثة الغاية في جمال الصياغة وروعة الأسلوب، وعاونهم في الأداء بها فنون المستحدثة من القصص والمسرحيات غيرُ أديب من الشباب الجامعي وغيرهم مثل توفيق الحكيم ونجيب محفوظ. وصِيغ بهذه الفصحى الحديثة في القرن العشرين كل ما ترجمه الأدباء المصريون الأفذاذ وكل ما كتبه علماء مصر من اقتصاد وعلم اجتماع أو علم نفس أو تربية أو علوم طبيعةٍ وغير طبيعة أو فلسفة. وكل ذلك كتبه أدباؤنا وعلماؤنا بالفصحى الحديثة، ووضعوا له معاجمه التي تضعها مجامع اللغة العربية وعلماء الأمة الأعلام. وليس لنا كتاب في علم أو فكر أو قانون أو سياسة أو تاريخ قديم أو حديث أو في أي فن من الفنون إلا كتب بهذه الفصحى الحديثة، وكُتِبَ بها أدبنا بقصصه وأقاصيصه ومسرحياته البارعة، أما المقالات فتنشر يوميًا في الصحف التي تحملها الملايين من الشعب صباح مساء.

والفصحى الحديثة لم تؤدِّ لنا في القرن العشرين فقط كل معارفنا وثقافتنا وعلومنا وآدابنا وفكرنا، فقد أدت لنا أيضًا الآداب الغربية كاملة وما خلَّفه شعراء الغرب المبدعون وكتَّابه وفلاسفته. ومر بنا زمن كنا نأخذ عن الغرب أعماله الأدبية ولا نعطيه شيئًا.

وخَلَفَتْ هذه المرحلة في القرن العشرين مرحلة جديدة نقلت إلى الغرب فيها مسرحيات لتوفيق الحكيم وغيره، ومثلت على مسارحهم، كما نقلت إليهم قصص بديعة لنجيب محفوظ وغيره وأعجبوا بها. وبذلك أصبحت الفصحى الحديثة تتبادل مع

اللغات الأوربية أعمالها الأدبية. أصبح أدبنا عالميًا كما أصبحت الفصحى لغة عالمية في الأمم المتحدة.

ومع ما للفصحى الحديثة من هذا الكيان الأدبي والعلمي والفكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي والقانوني يقول أنصار العامية: إنها لغة تراثية وهي لغتنا العصرية، ولغة قوميتنا وعروبتنا الخالدة، ولغة كياننا ووجودنا على صفحات التاريخ. بينما العامية التي ينتصرون لها ليست لغة، وهي لا تحمل شيئًا مما ذكرت ولا تتمثله، إنها لهجة يومية مؤقتة، ولا تحمل لنا دينًا ولا علمًا ولا فكرًا ولا ثقافة ولا تاريخًا، مثلها في ذلك مثل اللهجات اليومية المتولدة من اللغات الحية الكبرى مثل الإنجليزية، لهجات لأداء الحاجات اليومية في الشارع والسوق والمصنع ولا تحمل أدب الأمة وفكرها و لم يقل أحد هناك: دعونا نتخذ لهجة السوق أو الشارع لغة أدبنا، و لم يقل أحد عندهم: دعونا نتخذها للتعبير عن أدبنا الرفيع وفكرنا العميق.

ومع أن الكثرة الغالبة من ألفاظ العامية ذات أصل فصيح نراها تهمل إعراب الألفاظ، وهو تغيير حركاتها في أواخر الأفعال والأسماء المعربة، وهو من أهم خصائص الفصحى، ويقف المتحدثون بالعامية على أواخر الكلمات بالسكون، و لم يذكر عن قبيلة عربية قديمة أنها أهملت إعراب الكلمات، وكل ما ذكر عن الشعراء القدماء أنهم قد يسكنون كلمة معربة في بيت من أبياتهم لضرورة الوزن في الشعر كقول امرئ القيس:

فاليومَ أشربْ غير مُسْتَحْقبٍ   إثمًا من الله ولا واغل

مستحقب: مكتسب. وسكَّن امرؤ القيس الفعل: "أشربْ" وحقه الرفع لضرورة الشعر، وهو بيت وحيد في شعره. وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: إن قبيلة تميم تجيز حذف الحركة الإعرابية أحيانًا، ونظن أنها كانت تجيز ذلك إذا توالت الحركات في مثل قوله تعالى، في سورة البقرة: (ويعلِّمُهم الكتاب) بتسكين الميم، وبذلك كان يقرأ

أبو عمرو بن العلاء وهو تميمي، ويعلق ابن مجاهد في كتابه " القرَّاء السبعة "- على قراءته - بقوله: " إن أبا عمرو كان يسكن لام الفعل في مثل ذلك للتخفيف في النطق أي لا لطرح الإعراب ". وقُرئت آية سورة (المنافقون): (فأصَّدَّقَ وأكَونَ من الصالحين) بتسكين النون في (وأكون) لتصبح (فأصَّدَّقَ وأكنْ من الصالحين) دون جازم، وبذلك قرأ ستة من القراء السبعة المشهورين هم: نافع وابن كثير وعاصم وحمزة وابن عامر والكسائي، وهو مثال وحيد في قراءات القرآن الكريم، وكأنما أريد بالتسكين وجوب الصلاح على المتكلم. وقرأ أبو عمرو بن العلاء لفظ: (وأكن) بالتسكين (وأكون) بفتح النون عطفًا على (فأصدق) السابقة لها.

وإعراب الكلام في الفصحى وتغير الحركات في آخر الكلمات حسب مواقعها من الإعراب جزء لا يتجزأ من النطق بالعربية، سواء في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف أو في الشعر أو في الخطابة أو في الكتابة. ورُوِيَ أن قبائل ربيعة كانت تقف بالسكون على آخر المفعول به، واستشهدوا لها بقول أحد شعرائها:

ألا حبذا غُنْمٌ وحسنُ حديثها　　لقد تركتْ قلبي بها هائمًا دَنِفْ

ودنف: سقيم، وسكَّن الشاعر لفظ "دنف" وحقه النصب، مثل "هائمًا" قبله، وربما سكنه الشاعر لضرورة القافية في القصيدة، على أن البيت لا يصلح شاهدًا على تسكين ربيعة للمفعول به؛ لأن "دنف" فيه تقع موقع الحال لا موقع المفعول به.

والعامية المصرية لا تختص وحدها بإهمال الإعراب في الكلام بل تشترك معها في هذه الظاهرة جميع العاميات العربية من الخليج العربي إلى المحيط الأطلنطي، إذ كانت لغاتها المحلية تسكن أواخر الكلم، فلما تعربت أخذت تحاول إهمال الإعراب بصور مختلفة حتى تم لها ذلك بعد قرون تتفاوت بتفاوت الشعوب.

بدء شيوع العامية في مصر

لا يعرف بالضبط بدء التاريخ الذي ظهرت فيه العامية بمصر، والمظنون أنها أخذت في التكون بالقرون الأولى من فتح العرب لمصر؛ إذ أخذت في التعرب بعامل

دخول كثرة من أهلها في الإسلام، حتى ليبلغوا في عهد معاوية نحو نصف سكانها الأصليين من القبط، إذ اعتنقوا الإسلام، وأخذوا يتعلمون لغته الفصحى. وعامل ثانٍ كان أثره في تعرب مصر أكبر، وهو نزول كثرة من القبائل العربية مصر، وخاصة من القبائل القيسية حين سمعت بخيراتها وطيباتها من الرزق، وظلت هذه القبائل العربية تنزل بمصر حتى عصر الدولة الفاطمية وهجرة القبائل الهلالية إلى مصر، ثم إلى تونس والبلاد المغربية.

والعامية المصرية إنما تمت بالتقاء العربية الفصحى فيها باللغة القبطية، وما حدث من امتزاج بين العرب والمصريين في المسكن والمعيشة والمصاهرة، وأخذت تسود عامية كانت الغلبة في أفعالها وأسمائها وضمائرها للفصحى؛ وهي لذلك عامية عربية، وكان أول ما حرَّفته من عروبتها التزامها بإهمال الإعراب في أواخر كلامها منذ العصر الفاطمي، إذ نجد أكبر علماء مصر اللغويين في القرن السادس الهجري: ابن بري المتوفى سنة ٥٨٢ للهجرة يهمل الإعراب في كلامه، يقول ابن خلكان: إنه كان لا يتقيد في حديثه بالإعراب ويسترسل في كلامه كيفما اتفق، وقال يومًا لأحد تلامذته ممن يشتغل عليه بالنحو: اشتر لي هندبا بعُروقو، فقال له التلميذ مصححًا عبارته: بعروقه، فعزَّ عليه تصحيح التلميذ للفظه، فقال له: لا تأخذه إلا بعروقو، وإن لم يكن بعروقو فلا تأخذه، يقول ابن خلكان: وكانت له كلمات من هذا الجنس، لا يكترث بما يقوله، ولا يتوقف على إعرابها، فإذا قلنا: إن العامية المصرية أخذت تشيع في أحاديث المصريين منذ القرن السادس الهجري حتى في ألسنة أعلام الفصحى من أمثال ابن بري لم نكن مغالين ولا مبالغين.

ولابن سناء الملك المصري، شاعر صلاح الدين، المعاصر له؛ إذ توفي سنة ٦٠٨ للهجرة كتاب في موشحات الأندلسيين وموشحاته سمَّاه: "دار الطراز" ونجده يهمل الإعراب في موشحاته مرارًا في بعض عباراته، ونذكر من ذلك بعض الشواهد،

ففي الموشح السادس: "فرجعت خايب.. حين فر هارب" ويقول في الموشح الثامن عشر : "غزالاً فاتر الأجفان فاتن"، وفي الموشح الحادي والعشرين: "قولاً صحيح"، وفي الموشح الثالث والعشرين "طرفًا فاتر.. سيفًا باتر" وفي الموشح الرابع والعشرين: "ما أراني راضي"، وفي الموشح الخامس والثلاثين: "لم أكن ذاهل.. لم أكن غافل "وجميع الكلمات الساكنة في هذه الموشحات وهي على الترتيب:" خايب، هارب، فاتن، صحيح، فاتر، باتر، راضي، ذاهل، غافل، " ساكنة، وحقها النصب، وفي ذلك ما يدل على أن إهمال الإعراب في العامية أخذ يدخل في الموشحات الفصيحة: عدوى جاءتها من شيوعه في العامية المصرية.

تحريفات كثيرة في العامية

الكثرة الغالبة في ألفاظ العامية المصرية ألفاظ فصيحة أو ذات أصل فصيح، إذ أغلب ما فيها من أفعال أو أسماء أو حروف أو حركات أصله فصيح وعمت فيه تحريفات سجلها العالم الجليل المرحوم أحمد تيمور في معجمه الكبير، وسجلها مؤلفو كتب الألفاظ العامية في مؤلفاتهم، والتحريفات كثيرة، بحيث يمكن أن يقال: إن العامية فصحى محرفة، ونضرب لذلك بعض الأمثلة:

أ- كسر أحرف المضارعة:

شاع كسر أحرف المضارعة في العاميات العربية وتجاريها العامية المصرية فيما عدا همزة المتكلم، وكأنها استثقلت كسرها لخروجها من الحلق - واشتهرت قبيلة بهراء القضاعية التي كانت تنزل شمالي ينبع في الحجاز وتمتد عشائرها إلى خليج العقبة بأنها كانت تكسر أحرف المضارعة، ويسمي اللغويون هذه الظاهرة باسم تَلْتَلة - بهراء - ويبدو أن أكثر القبائل العربية في نجد وغيرها كانت تشرك قبيلة بهراء في هذه الظاهرة؛ إذ يقول أبو حيان في تفسيره " البحر المحيط " تعليقًا على قراءة (نعبد - نستعين) في سورة الفاتحة بكسر النون: " إن كسر أحرف المضارعة لغة قيس وتميم وأسد وربيعة،

وكأن قبائل كثيرة كانت تكسر أحرف المضارعة مع بهراء" ويقول سيبويه في الجزء الثاني من كتابه: "إن جميع العرب كانت تكسرها إلا قريشًا وأهل الحجاز". ويعني ذلك أن الفصحى لغة قريش لم تكن تعرفها، وينبغي أن تبرأ منها العامية المصرية وتتمسك - مثل الفصحى - بفتح أحرف المضارعة فيما عدا المضارع، الرباعي فإنه يضم في مثل يُكرم - يُنْعم.

ب - زيادة "الباء" قبل أحرف المضارعة:

تدخل العامية حرف الباء قبل أحرف المضارعة لتأكيد حدوث الفعل في زمن التكلم، وتظل مكسورة في جميع صور المضارع إلا مع همزة المتكلم، فإنها تفتح وتسهَّل همزة المضارع بعدها دائمًا، فيقال مثلاً: " باكتب " للمتكلم بفتح الباء وتسهيل الهمزة، وتقول العامة: "بِنكتب" بكسر الباء، وبالمثل " بتكتب - بيكتب - بِتِكتبوا بحذف النون كما سيأتي، ومثلها " بيكتبوا " مع حذف النون. فالباء فيها جميعًا دائمًا مكسورة.

وليست هذه الباء التي تزيدها العامة في أول المضارع هي الباء الجارة؛ لأن حروف الجر لا تدخل على الأفعال ، ولم يسمع عن أي قبيلة عربية إدخال أي حرف من حروف الجر على الفعل المضارع. وذكر الدكتور أحمد عيسى في كتابه المحكم في أصول الكلمات العامية: أن الباء تزاد في أول الأسماء باللغتين السريانية والعبرية مختزلة من كلمة بيت فيقال مثلاً: بزمار أي بيت زمار، وذكر أيضًا أن الفرس يزيدون باء في أول الكلمة للدلالة على معنى "ذو" العربية فيقولون" با اسب أي ذو فرس.

وإذا سلمنا بأن الباء الداخلة على الفعل المضارع في العامية زائدة، وهي لابد زائدة فلا داعي لأن نذهب بعيدًا في تعليلها، لأنها تزاد في العربية مع الصيغ لتأكيد الكلام، تزاد مع المبتدأ في مثل: " حسبك ما قلت" ومع الخبر في مثل: "ما زيد بفاهم" ومع الفاعل في مثل: "كفى بعلي شاهدًا" ومع المفعول به في مثل: "صبَّ بماء" ومع النفس في مثل "جاء زيد بنفسه"، ومع العين في مثل: "حضر زيد بعينه" وكأن العامية

زادت الباء مع المضارع شعورًا منها بأنها تزاد في الصيغ للتأكيد، فزادتها مع المضارع لتأكيد وقوعه في الحال، وهي لحن شديد، وينبغي أن تتخلص منه العامية.

جـ - إدخال "الحاء" على المضارع للدلالة على الاستقبال:

تزيد العربية في أول المضارع حرفي السين وسوف في مثل: "سأكتب - سوف أكتب". ولا تستعمل العامية أحد الحرفين للدلالة على وقوع المضارع في المستقبل، بل تستعمل مكانهما حرف الحاء، فيقال: حاكتب مع تسهيل همزة المتكلم كما يقال: "حنكتب - حتكتب - حيكتب" وليست هذه الحاء مبدلة من السين للبعد بين مخرجيهما، ولم يرد هذا الإبدال عن أي قبيلة عربية، وهو خاص بالعامية مثل الباء السالفة. وأكبر الظن أن العامية اختزلت الحاء من كلمة "رايح"؛ إذ يقال فيها:" راح اكتب" بتسهيل همزة "أكتب" واختزلت العامية كلمة: " راح اكتب " فقالت " ح اكتب " وأصبحت: " حاكتب - حيكتب " وهلم جرًا.

وشاع ذلك بين عامة مصر في كل مكان، يقولون: "حنمشي - حنكتب - حنسافر" إلى غير ذلك، وهو لحن أو تحريف شديد، وينبغي أن تبرأ العامية من دخول الحاء على المضارع وتستخدم معه السين للدلالة على وقوعه في المستقبل.

د- دخول "ما" على المضارع حثًا عليه:

تدخل العامية "ما" على المضارع للحث عليه، فيقال: "ما تجلس - ما تسمع، ما تنصت" إلى غير ذلك من استعمالات للحرف "ما" مع المضارع. و"ما" هذه تحريف لـ "أَمَا" التي تدل على الحث على أداء الفعل والحض عليه، وقد حَذَفت منها العامية الهمزة تسهيلاً، وحذفها في العامية كثير. وينبغي أن ترد "ما" هذه إلى أصلها: "أما" حتى تصبح تعبيراتها عربية فصيحة، فيقال: "أما تجلس - أما تسمع - أما تنصت إلى غير ذلك مما تحرفه.

هـ - حذف " نون الرفع " في المضارع المقترن " بواو الجماعة " و" ياء المخاطبة ":

حين يقترن الفعل المضارع بواو الجماعة في العربية مثل تجلسون وبياء المخاطبة في مثل تجلسين تظل معه النون، لأنها علامة رفعه إلا إذا دخل عليه جازم أو ناصب فإنها تحذف معهما، فيقال مثلا: " لم - لن تجلسوا، وبالمثل لم - لن تجلسي " هذه هي قاعدة الفصحى، وقال ابن مالك في كتابه التسهيل: " نَدرَ حذفها مفردة في الرفع نظمًا ونثرًا" والندرة في رأيي تعني الشذوذ، ويؤكد ذلك أنه لم يعرف لقبيلة عربية حذف هذه النون، ويستشهد النحاة له بقول شاعر:

كلٌّ له نيَّةٌ في بغض صاحبه بنعمة الله نَقْليكم وتقلونا

وأصل " تقلونا " تقلوننا، فحذف الشاعر نون الرفع دون ناصب أو جازم، وقد يكون حذفها لضرورة الوزن في البيت، وبذلك لا يكون شاهدًا للنحاة على حذف نون الرفع مع المضارع المقترن بواو الجماعة. واستشهد النحاة لحذف نون الرفع مع المضارع المقترن بياء المخاطبة بقول أحد الشعراء لزوجته:

أبيت أسْري وتبيتي تدلكي وجهك بالعنبر والمسك الذكي

فقد حذف الشاعر النون مع ياء المخاطبة في الفعلين " تبيتي - تدلكي ". ويمكن أن يقال :إنه صنع ذلك لضرورة الشعر. وبيت واحد شاذ لا ينقض قاعدة، ولا يلغيها.

وروى النحاة حديثًا نبويًا جاء فيه حذف نون الرفع من المضارع المقترن بواو الجماعة، إذ جاء فيه: " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا " وقد حَذف في الحديث مع الفعلين " تدخلوا- تؤمنوا " نونُ الرفع دون وجود ناصب أو جازم يقتضي هذا الحذف، والنحاة المتقدمون لا يستشهدون بالحديث في قواعد النحاة، خشية أن يكون دخله تحريف على ألسنة الرواة ، وكثير منهم كانوا من الأعاجم الذين لا تؤخذ عنهم اللغة. ولا ريب في أن حذف نون الرفع مع المضارع المقترن بواو الجماعة وياء المخاطبة دون موجب له من ناصب أو جازم يعد لحنًا وتحريفًا شديدًا وينبغي أن تتخلص منه العامية.

و- لا تلحق العامية بالمضارع "ألف التثنية" و"نون النسوة":

العامية لا تلحق ألف التثنية بالمضارع، وتستخدم مكانها واو جماعة الذكور وتعممها مع جماعة الإناث، فتقول عن : "تلميذين وتلميذتين وتلميذات": (يجلسوا)، دون أي تمييز بين الذكور والإناث في حالتي التثنية وجمع الإناث.

وكأن العامية لا تعترف بحالة التثنية، وخاصة في عود الضمير عليهما ذكورًا وإناثًا، وقد ألغيت التثنية نهائيًّا في الأفعال جميعًا، وقد يقال: إن العرب تعامل الاثنين أحيانًا معاملة الجمع، كما في قوله تعالى : ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾، وأجيب عن ذلك بأن الواحد في الخصمين والواحدة في الطائفتين يتكونان من أفراد، أي أن اللفظين مثنيان في الظاهر، وهما جمعان في الواقع، ولا يقال: زيد وعمرو جاءوني، بل يقال: جاءاني، لوجوب المطابقة بين الضمير وما يعود عليه مفردًا ومثنى ومجموعًا. والعامية بذلك تضع فاصلاً شديدًا بينها وبين الفصحى في استخدامها واو الجماعة في التثنية؛ وبالمثل وضعُها في الإناث مكان نون النسوة الملحقة بالمضارع، وينبغي أن ترفع هذا الفاصل نهائيًّا، فلا تقول في جماعة الإناث: "يسمعوا" بل تقول: "يسمعن" ولا تقول في تلميذين: إنهما " يقرءوا " بل تقول: "يقرآن" وبالمثل الفتاتان "تقرآن"، وبذلك يسقط هذا الفاصل أو الحاجز بين العامية وبين الفصحى.

ز- إلحاق علامة الجمع بالمضارع مع ذكر الفاعل المجموع:

اشتهرت قبيلتا طيِّئ وأزد شنوءة بأنهما تلحقان علامتي التثنية والجمع بالفعل مع ذكر الفاعل، فيقولان:" يجلسان زيد وعمر - تحضران هند وزينب - يقومون الرجال - يحضرن الفتيات ". والفصحى تمنع ذلك منعا باتًّا فلا تلحق علامة التثنية بالفعل مع ذكر الفاعل، وضمير التثنية لا يوجد في العامية، وأيضًا لا تلحق الفصحى علامة الجمع

بالفعل مع ذكر الفاعل المجموع - بينما تصنع العامية ذلك أسوة بقبيلتي طيئ وأزد شنوءة، ومما جاء منه قول أُحَيْحة بن الجلاح:

يلومونني في اشتراء النخيـــ ـــلِ أهلي فكلهمُ ألوم

فقد ألحق أحيحة بالفعل: "يلوم" واو الجماعة، مع ذكر الفاعل المجموع، وهو: "أهلي". وشاعت هذه الصيغة في العامية المصرية، لنزول كثير من الطائيين فيها. وينبغي أن تتخلص منها العامية في مصر لمخالفتها الشديدة للفصحى.

ح - قلب "واو" الفعل المضارع الناقص "ياء":

تقلب العامية واو الفعل المضارع الناقص ياء باطراد، آخذة في ذلك بلهجة طيِّئ، فتقول في "أدعوه" الفصيحة: أدعيه، وفي "أشكوه": أشكيه، وفي "أكسوه": أكسيه، وفي "أمحوه" : أمحيه، وفي "أجلوه": أجليه.

وينبغي أن تعود العامية بكل هذه الأفعال إلى نطقها الفصيح بالواو في الأفعال السالفة وما يماثلها. وبذلك تلغى الصورة اليائية في هذه الأفعال وأمثالها وتصبح أفعالاً مضارعة واوية.

ط - إلحاق " الشين " بالمضارع المنفي:

تلحق العامية المصرية بالمضارع المنفي الشين تأكيدًا للنفي، فتقول في الأفعال التالية- ما يحضر - ما يغيب - ما يذاكر - ما ينتبه هكذا: ما بيحضرش- ما بيغيبش - ما بيذاكرش - ما ينتبهش، بزيادة الباء في أول المضارع لتأكيد حدوث الفعل كما مر بنا. والمظنون أن العامية المصرية اختزلت الشين الملحقة بالأفعال السالفة من كلمة شيء، وكأن أصل "ما بيحضرش" مثلاً: ما يحضر شيء. ومع الزمن أصبحت الشين في هذه الأفعال وما يماثلها لا تدل على كلمة شيء، وإنما تدل على تأكيد النفي، ومما يدل على ذلك أننا نرى العامية تلحقها بما النافية لتأكيد النفي فيها مع كسر ميمها، فتقول مثلاً:

"مش كاتب" بحذف ألف "ما" وكسر ميمها، وقد تأتي مع الظرف، فيقال مثلاً: "ما عنديش وقت" ومع الجار والمجرور في مثل: "ما ليش حاجة".

وإنما عرضت هذه التحريفات الكثيرة في المضارع للعامية، لأصور مدى ما تلحق به أو تدخل عليه من مغايرات لأصله في الفصحى. ولن أستطيع في وقت هذه المحاضرة المحدود أن أعرض بالتفصيل تحريفاتها في الصيغ الأخرى.

والأسماء المشتقة دَخَلَ صيغها كثير من التحريف، ونكتفي بإيجاز **ما حدث لاسم المفعول**، من ذلك اشتقاقه **من الفعل الثلاثي الأجوف اليائي**، إذ نقول:معيوب، مديون.وهما في الفصيح: معيب - مدين، ولا يشفع لهذا اللحن كون قبيلة تميم كانت تنطق به ومن ذلك أن العامية تكسر ميم اسم المفعول المشتق من غير الفعل الثلاثي فتقول: محمد - مكهرب. وتقول العامية: هذا الثوب مباع، والصواب: مبيع، وهذا العقد مَلْغِي والصواب"مُلْغَى، والمال مودوع والصواب: مودع، وفرس ملحَّم والصواب، مُلْجم، ومنظر مهول والصواب: هائل.

وتحرف العامية كثيرًا من صيغ الأسماء المفردة، فصيغة فُعالة بضم الفاء، تكسرها مثل: قُمامة - نُفاية. وتضم الفاء من صيغة فَعول مثل: البخور- النشوق - الفطور. وتفتح العامية فاء صيغة فُعْلول مثل: جمهور- دستور - صندوق - عصفور - عنقود. وبالمثل في صيغة فِعْليل مثل: خنزير - عفريت - قنديل.

وتلغي الألف والنون في المثنى رفعًا وتُبْقِي الياء والنون وتسكنها وتكسر ما قبلهما فتقول: رَجُلينْ - ولأنها لا تعرف الإعراب تلغي حالة الرفع في جمع المذكر السالم بالواو والنون، وتسكن النون فتقول: المسافرين جاءوا. ومما تلحن فيه العامية جمع كُفْء على أكِفَّاء بتشديد الفاء والصحيح أكْفَاء، أما أكِفَّاء فجمع كفيف، وتلحن في جمع كراع على: كوارع، والصحيح: أكارع.

وحرفت العامية كثيرًا في أسماء الإشارة؛ لأنها ألغت الذال من نطقها، وتقلبها دالاً في المفرد فتقول: دا، وفي المفردة فتقول: دي. وقد تلحق بهما كافًا وهاء، فتقول: دوكه اليوم، والليلة ديكهيه. وحذفت العامية اسم الإشارة المثنى والمجموع وأبدلتهما بكلمة دول تقول: الرجلين والرجال " دول ".

ومما تحذف العامية منه الألف صيغ فاعل وفاعلة مفردتين ومجموعتين إذا سُكّن ما بعدهما مثل فاطمة - كاتْبو - كاتْبين، وبالمثل في صيغتي: مفاعل ومتفاعل، مثل: مشارْكين - متباعْدين، فيقال في كل ذلك فَطْمَة: كتبو - كتبين - مشرْكين - متبعدين بحذف الألف فيها جميعًا. ومما تحذف منه الألف في الأسماء: العقبة في العاقبة - الوَسْطة في الواسطة ريحة في رائحة. وتحذف العامية المد كثيرًا، وتقول: يوم الأربع، في يوم الأربعاء، ويوم التلات، في يوم الثلاثاء، بقلب الثاء تاء. وتضيف المدَّ في كم الاستفهامية فتجعلها، كام.

والتحريف في الضمائر كثير، من ذلك أن العامية تقول في قاما - قامتا يقومان - يقومون - تقُمن — يَقُمن، في كل ذلك تقول: قاموا، يقوموا، بدون تفرقة بين الذكور والإناث والمثنى والجمع، وتقلب الهاء واوًا مع الأفعال، في مثل: يكتبو، بدلاً من: يكتبه، وفي الأسماء مثل: كَتْبو في كاتبه، ومكتوبو في مكتوبه، ومع إن وأخواها، في مثل: إنو صادق وتنطق العامية: نحن هكذا إحنا، وتكسر همزة " إنت " وتشديد (هوَّ - هيّ) وهي لغة همدان ساكنة الجيزة، وتسهل همزة إياك، فيقال: أنا ويَّاكِ. ومما تصنعه بحروف المعاني حذف اللام والألف من "على" الجارة، ويقال: إنها لهجة لإحدى القبائل، وتشديد النون في "عن" مع المخاطب مثل عنَّك، وتشدد ياء المتكلم مع اللام الجارة، فيقال "ليّ" ومعنى إي في الجواب نعم، وحرفتها العامية إلى : " إيْوَه - أيْوه ".

وتجعل العامية حرف النداء "يا " تارة للتخيير فتقول في مثل "ذاكر إما التاريخ وإما الأدب": ذاكر يا التاريخ يا الأدب. كما تستخدمها للتعجب ملحقة بها هاء السكت قائلة: " ياه " حين تُعْجَب بشيء إعجابًا شديدًا. ومن التحريف الواضح قول العامة: " يا بوي - يا خوي " أي يا أبي ويا أخي.

وقد أبدلت العامية أربعة أحرف من حروف الفصحى، وهي الثاء والذال والظاء والقاف أما الثاء فتجعلها تاء في ثلاثة وثمانية وما تفرع عنهما في العشرات والمئات، وفي عثمان تجعله: عِتْمان، وفي تثاءب تجعله مع تحريفات أخرى، إتّاوب، وفي ثَخين بفتح الثاء تجعله: تخين بكسر التاء. وتجعل الثاء دالاً في ألدغ، وسينا في ثُمَّ العاطفة وسَرِىّ في ثَرِى، وشينًا في شِلّة بكسر الشين بدلاً من ثلة.

وتجعل الذال دالاً غالبًا في مثل دهب في ذهب - دبحه في ذبحه - دراع في ذراع - ديب في ذئب مع تسهيل الهمزة - ديل بكسر الدال في ذَيل بفتحها - كداب في كذاب. وتجعلها زايًا في مثل : زرِّيَّة في ذرية - الزكاء في الذكاء - الزَّم في الذم، إزاعة في إذاعة.

والظاء تجعلها العامية دالاً في مثل مندرة في منظرة، وهي غرفة في الدور الأول من البيت. وتجعلها ضادًا في مثل الحِفْض في الحفظ - الضِّفر بكسر الضاد في الظفر بضمها - الضُّهر في الظُّهر - صلاة الضُّهر في صلاة الظُّهر - واضب على الدراسة في واظب - النضافة في النَّظافة.

وأبدلت العامة في عصر المماليك القاف في الفصحى همزة، ومن أمثلة ذلك: آل في قال - أرَا الكتاب في قرأ - أعد في قعد - ألب في قلب إرد في قرد - أرَّروه في قرروه - الأفش في القفش - ومن ذلك: لأمة في لقمة - النؤطة في نقطة العروس - النُّؤْل في نُقْل العيد - الألأ في القلق - البرء في البرق - البطاءة في البطاقة.

وجميع حروف الفصحى الباقية يدخلها في العامية الإبدال قليلاً أو كـــثيرًا. وإذا تركنا الحروف إلى الحركات وجدنـــا التبديـــل فيهـــا أكثر وأوسع، فما أوله فتحة قد يكسر وقد يضم، وما ضم أوله قد يفتح وقد يكسر، وما كسر أوله قد يفتح.

ولعله قد اتضح الآن وضوحًا لا ريب فيه أن العامية المـــصرية أدخلـــت علـــى الفصحى في ألفاظها تحريفات كثيرة كثرة مفرطة، بحيث نستطيع أن نقول قولاً صادقًا إلى أبعد حد: إن العامية فصحى محرفة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

* * *

العامية فُصْحى مُحرَّفة(*)
"عودٌ على بَدْء"

للدكتور شوقي ضيف
(رئيس المجمع)

الزملاء المجمعيون من المصريين والعرب والمستعربين،
السيدات والسادة:

ذكرت في محاضرة المؤتمر السابق للمجمع أن العامية المصرية - مثل العاميات العربية المختلفة - أهملت الإعراب للأفعال والأسماء المعروف في الفصحى، كما ذكرت طائفة من تحريفات العامية المصرية للفعل المضارع والأدوات الداخلة عليه والملحقة به، وصيغ اسم المفعول، وبعض صيغ الأسماء وأسماء الإشارة. ومما ذكرته إلغاء العامية الألف والنون في صيغة المثنى، والمد في صيغتي الثلاثاء، مع قلب الثاء تاء، والأربعاء، وألغت في مفرداتها أربعة أحرف هي: الثاء والذال والظاء والقاف.

واليوم أذكر طائفة أخرى من تحريفات العامية لصيغ الفعل الماضي، والمشتقات، وبعض صيغ المثنى والجموع، وبعض الأسماء المبنية، والحروف، والمنادى، والتصغير والنسب.

(التحريف في الفعل الماضي الثلاثي)

معروف أن للفعل الماضي الثلاثي ثلاث صيغ ثابتة هي: فَعِل بفتح الفاء وكسر العين، وفَعَل بفتح الفاء والعين، وفَعُل بفتح الفاء وضم العين. والصيغة الأولى حرفت العامية جميع أفعالها إلى فِعِل بكسر الفاء والعين، فتقول: تِعِب في تَعِب – حِمِد في

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر الدورة السابعة والستين، يوم الثلاثاء ٢٠ من مارس سنة ٢٠٠١م، ونشرت بمجلة المجمع، بالجزء الثالث والتسعين، ص ٤١.

حَمِد- خِجِل في خَجِل - سِهِر في سَهِر - عِلِم في عَلِم - عِمِل في عَمِل - فِهِـم في فَهِم- وِرِث في وَرِث.

والصيغة الثانية: "فَعَل" بفتح الفاء والعين، قد تُبقي العامية عليها دون تحريف في حركاتها مثل: بَسَط - جَذَب - حَكَم - سَطَع - ضَرَب - عَطَف - غَرَسَ - فَخَر- لَمَس - مَزَج.

وتنقلها العامية أحيانًا إلى صيغة فِعِل بكسر الفاء والعين المحببة لديها، مثل:

حِسِب في حَسَب - خِمِد في خَمَد - رِجِع في رَجَع - سِكِت في سَـكَت - صِبِر في صَبَر -عِرِض في عَرَض- عِرِف في عَرَف - كِتِب في كَتَب.

والصيغة الثالثة "فَعُل" لا توجد في العامية المصرية بضبطها الصحيح، فهي إمّـا تجعلها في صيغة فِعِل بكسر الفاء والعين، مثل بردِ في بَرُد - بِطِل في بَطُل - بِعِد في بَعُد - حِلِم في حَلُم.

وإما في صيغة فُعُل بضم الفاء والعين، مثل: حُمُض في حَمُض - حُرُم في حَـرُم - سُهُل في سَهُل - طُهُر في طَهُر.

وقد تنطق العامة في هذه الصيغة بالنطقين المذكورين لها، فتقـول: رُخُـص أو رِخِص في رَخُص - سُخُن أو سِخِن في سَخُن - صُعُب أو صِعِب في صَعُب. فالملاحظ أن هذه الصيغة العامية في صيغة "فَعُل" تنطقها تارة بصيغة "فِعِل" المحببة لها، وتارة تجانس بين فائها وعينها فتنطقها بصيغة "فُعُل" بضم الفاء والعين، كما في صيغة صَغُر فتقـول فيها: صُغُر أو صِغِر، حسب ذوق المتكلم.

وواضح أن أكثر صيغ الفعل الماضي الثلاثي شيوعًا في العامية صـيغة "فِعِـل"، وجعلتها مطردة في صيغة "فَعِل" الفصحى، بفتح الفاء وكسر العين، واسـتروحتها في طائفة من صيغ "فَعَل" بفتح الفاء والعين، وصيغة "فَعُل" بفتح الفاء وضم العين.

وينبغي أن تتخلص العامية من كل صور صيغ الأفعال التي حرفتها وترد أفعالهـا إلى صياغتها الأصلية في الفصحى.

صيغة الماضي المعتل الآخر بالياء:

هذا الفعل في مثل بَقِيَ – خَشِيَ – نَسِيَ، تنطقه العامية أحد نطقين: نطقًا تقلب فيه الياء ألفًا والكسرة قبلها فتحة، فتقول في بَقِي: بَقَا، وبالمثل في خَشِيَ: خشا، وفي نَسِي: نسا. وكانت قبيلة طيِّئ في شمال الجزيرة تحتم فيه هذا النطق، ودخل منها مصر كثيرون مع فتحها وبعده، ويبدو أنهم هم الذين أشاعوه بمصر. وشاع معه نطق ثان رُدَّت فيه هذه الصيغة الماضوية إلى صيغة "فِعِل" الثلاثية الماضوية التي تستروحها مصر، كما أسلفنا، فيقولون: بِقِي، خِشِي، نِسِي والنطقان في الفعل الناقص بالياء عاميان، وينبغي أن تبرأ منهما العامية المصرية.

زيادة ياء في الماضي بعد تاء المخاطبة:

وذلك في مثل "قرأتِ وكتبتِ" تقول العامية: "قرأتيه وكتبتيه"؛ إذ تمد كسرة تاء المخاطبة فتتولد منها ياء، ونجدها في كتاب المكافأة لابن الداية المصري على لسان تاجر يكافئ امرأة على جميل أسدته إليه. وينبغي أن تتخلص منها العامية المصرية وتكتفي بكسرة التاء مثل الفصحى.

إلحاق علامة الجمع بالماضي مع ذكر الفاعل المثنى والجمع للذكور والإناث

تقول العامية: حضروا الطالبان– حضروا الطالبتان– حضروا الطلاب – حضروا الطالبات والعامية في ذلك تلغي في الفعل الماضي ألف المثنى مع الذكور والإناث وتلغي نون النسوة وتضع مكانها واو الجماعة، وينبغي أن تعود هذه الأفعال إلى الفصحى.

والعامية – بذلك- لا تستخدم ألف التثنية في المثالين الأولين ولا نون النسوة في المثال الرابع؛ إذ تعمم فيهما واو الجماعة للذكور، ويجب حذفها منها جميعًا، وأيضًا في المثال الثالث حتى لا يكون للفعل فاعلان: ضمير واسم ظاهر.

تسهيل الهمزة وحذفها في الأفعال:

تُكْثِر العامية من تسهيل الهمزة في الأفعال، فتقول في أدّاه: ودَّاه بقلب الهمزة واوًا. وتقول في قرأت وملأت: قريت ومليت بكسر الحرف الأول والثاني في الفعل

وقلب الهمزة ياء. وتقول بالمثل في بدأت: بديت – وفي خبَّأته: خبِّيته بقلب الفتحة قبل الهمزة كسرة وقلب الهمزة ياء. وبالمثل في هدأته: هدِّيته، وفي هنَّأته: هنِّيته – وفي توضأت: توضِّيت، وكل هذه الأفعال ينبغي أن ترد هي وما يماثلها إلى أصلها المهموز الفصيح.

وتكثر العامية من حذف همزة صيغة أفعل الرباعية، فتقول: تلفه في أتلفه – حبه في أحبه – سعفه في أسعفه – عطاه في أعطاه – فطر في أفطر– كرمه في أكرمه، وكل هذه تحريفات في العامية، وينبغي ردها إلى أصلها المهموز الفصيح.

وتحرف العامية حركة الحرف الأول في بعض صيغ الأسماء المفردة، من ذلك أن صيغة "إفعيل" مثل إبريق، تنطق في العامية بفتح الهمزة المكسورة في الفصحى، فتكون أبريق، وصيغة "فِعِّيل" مثل بِطِّيخ تنطق في العامية بفتح الباء المكسورة في الفصحى فتكون (بَطِّيخ).

وصيغة مِفعيل تنطقها بفتح الميم المكسورة في مِسْكين – قِنديل، فتكون (مَسكين – قَنديل).

التحريف في المشتقات:

ذكرت في محاضرة المؤتمر الماضي التحريف في صيغة اسم المفعول وأذكر الآن التحريف في بقية المشتقات.

اسم الفاعل:

أبدأ باسم الفاعل وتحريفاته، ومن أهمها:

كسر الميم المضمومة في أوله حين يشتق من غير الثلاثي، مثل مِعلِّم – مِسامح–مِنتصر.

ومن ذلك تسكين عين اسم الفاعل الثلاثي، في مثل: فَهمْين أي فاهمين: وكتبين أي كاتبين، وقَرْئين أي قارئين. ومن ذلك: مغنيَّة وفاكهة مستويَّة، وأفكار ملتويَّة بتشديد الياء فيها، والياء فيها جميعًا غير مشددة.

وأحيانًا يشتق اسم من الفعل الثلاثي في العامية، وهو يشتق من الفعل الرباعي، مثل:راسل الخطاب، والصواب مُرْسِل- ورجل ماسك أي بخيل، والصواب مُمْسِك - ورجل فاطر أي غير صائم، والصواب مُفْطِر- وياغائث المستغيثين، والصواب: يا مُغيث. ويسمى مكان المصلين مُصَلِّيَّة، والصواب: مُصَلّى.

وقد يوضع اسم المفعول مكان اسم الفاعل، مثل: مذهول، والصواب: ذاهل، وعمل مهول، والصواب: هائل. وقد يوضع اسم الفاعل مكان اسم المفعول، مثل: مركب موسوق، والصواب: موسَق - ورقة ملصوقة، والصواب: مُلْصقة - ومال مودوع، والصواب: مُودَع - فرس ملجوم، والصواب:مُلْجم- ونار موقودة، والصواب: مُوقَدة - ورأسه موجوع، والصواب: مُوجَع.

تحريفات الصفة المشبهة، من ذلك:

١- كسر الحرف الأول في صيغتي "فعيل"، و"فَعِل"، فتقول: كِبير - شِريف- سِعيد.

كما تقول: عِكِر- نِكِد - إِنِف

٢- في الألوان والعيوب:

حين تدخل العامية على صيغة أفعل أداة التعريف تحذف همزتها وألف أداة التعريف وتفتح لامها، فتقول: لَبْيَض - لَحْمَر، وينبغي أن تنطقها مثل العربية: الأبيض - الأحمر. وفي صيغة "فَعْلاء" المؤنثة: تحذف المد وتزيد هاء السكت فتقول في مثل: بيضاء - حمراء: بِيضة بكسر الباء - حَمرة، وينبغي رجوعها إلى الفصحى.

وتنطق العامية في نُفَساء للمرأة الوالدة نِفسة أو نَفَسة، وينبغي ردها إلى الفصحى، وتقول في كلمة الآخر: راخر بتسهيل الهمزة وقلب لام التعريف راء مع فتحها. وكل هذه التحريفات في الصفة المشبهة ينبغي أن تتخلص منها العامية.

تحريفات اسم الآلة:

مما حرفته العامية في اسم الآلة: فتح الميم في صيغة "مِفْعل"، بكسر الميم، مثل: مَبْرد - مَدْفع - مَسْند - مَصْعد - مَضْرَب - مَفْرَش.

وفتحت الميم في مِفْعَلة بكسر الميم، فقَالت:

مَبْخرة – مَدْخنة – مَرْوحة – مَشْنقة – مَصْيدة – مَطْحنة – مَفرمة– مَطْرقة – مَقْرعة.

وضمت الميم في "صيغة" مِفعال فقَالت:

مُفْتاح – مُسمار – مُنْشار بدلاً من: مِفْتاح – مِسمار– مِنشار.

ومما حرفته في هذه الصيغة كلمتا: مِصْفاة – مِقْلاة فنطقت بهما: مَصْفى – مَقْلَى؛ وقد تقول: مِقلايه، بزيادة ياء وهاء السكت.

وحذفت العامية ألف "مِفعال" في الأمثلة التالية مع فتح الميم في المثالين الأخيرين:

مِخلاة – مِسْحاة – مِطواة– مكواة.

فتقول: مِخْلة – مِسْحة – مَطْوة – مَكْوة.

وكل هذه التحريفات في اسم الآلة ينبغي أن تصحح وتنطق بها العامية نطقًا سليمًا.

في المثنى والجمع:

تحذف العامية علامة الرفع الألف والنون من المثنى، وتقول: حوالِينا بكسر اللام، وهى خطأ، وهى مفتوحة: حوالَينا، وتقول: عصاتين وهما عصوان رفعًا وعصوين نصبًا وجرًا. ولا يقال اثنين مليون مثل العامية بل يقال مليونان، ولا يقال: ثلاثة مليون إلى عشرة؛ إذ الصحيح ثلاثة ملايين، وهى عدوى من تعلم اللغات الأجنبية.

وتحذف العامية علامة الرفع بالواو والنون من جمع المذكر السالم، وتسكن النون في حالتي النصب والجر. ولا تمنع من الصرف صيغة مفاعل التي فيها العين واللام من جنس واحد، كما في مثل مشاق جمع مشقة – ملاذ جمع ملذة – مهاب الريح جمع مهب – ومهام جمع مهمة. وأيضًا تنون خطأ صيغة "فُعَلاء" مثل:أدباء – علماء – فقهاء – زعماء– شرفاء – عظماء – كبراء – كرماء – شعراء.

تحريف أسماء الاستفهام:

(مَنْ): تقول العامية فيها: (مِينْ جاء؟)

أين: تحذف العامية منها الهمزة حين تصلها بواو أو فاء فتقول: وين – فين.

متى: تجعل العامية قبلها همزة استفهام، وتسكن الميم وتحذف الألف الأخيرة فتقول: إمْتَ؟

كيف: تنطقها العامية بكسر الكاف. كم: تزيد العامية فيها ألفًا، فتقول: كام الساعة؟

وكل هذه التحريفات في العامية ينبغي تصحيحها.

تسهيل الهمزة وحذفها في الأسماء:

تقلب العامية الهمزة الساكنة إلى جنس الحركة السابقة لها في الأسماء مثل:

بير في بئر- ديب في ذئب بقلب الذال دالاً – شوم في شؤم .

وتسهِّل العامية همزة القطع مع كسرها في ضمير المخاطب: أنت وفروعه كما سيأتي، ومن تحريفاتها:

دَيْرة في دائرة – عَباية في عباءة – مِراته في امرأته – مِيَّه في مائة. وجميع الأرقام المئوية حرفتها العامية، فتقول: مِيتين في مائتين – تُلْتمية في ثلاثمائة بقلب الثاء تاء، وهكذا.

ومن التحريف في الأسماء: ودن في أذن – ودان في آذان – وقة في أقة.

وحذف الهمزة في الأسماء كثير، وهى تحذف في الأسماء الممدودة بعامة، فيقال: دوا في دواء – سما في سماء – صحرا في صحراء– كيميا في كيمياء وينبغي أن تعدل العامية عن حذف همزة المد.

وبالمثل ينبغي أن ترد الكلمات التالية إلى أصلها المهموز في الفصحى، وهى:

فين: أصلها فَأين. كسرت الفاء فيها وحذفت الهمزة.

مِنين: أصلها مِنْ أين، حذفت همزتها وكسرت النون قبلها.

ومما حذفت فيه الهمزة:

ياخي أصلها يا أخي.

ياهل الخير: أصلها يا أهل الخير.

والهمزات المحذوفة في جميع الكلمات السابقة، ينبغي أن تعود إليها، حتى لا تشذ عن أصلها الفصيح.

القصر والمـدّ:

تحذف العامية الألف قصرًا في صيغ متعددة، هي صيغة "فاعِل"، و"فاعِلة"، حين يسكن الحرف التالي لها، مثل: كَتْبه (في كاتبه)، وفَطْمة (في فاطمة). وصيغةُ "مُفَاعَل"، مثل: مِرَجْعة (في مُراجَعَة) بحذف الألف وكسر الميم، ويقال مِراجْعينه (في مُراجعيـه) بذكر نون الجمع مع الإضافة. وتحذف الألف من الخَصْرة (في الخاصرة) والعُقْبـة (في العاقبة) مع ضم العين، والعِيلة (في العائلة) مع قلب الهمزة ياء وكسر العين، ويَسْمين (في ياسَمين). وتحذف الألف الأخيرة من (الموسى) فتقول (موس) وتجمعه على أمواس والصواب مواسٍ. وتحذف الألف الأولى والثانية من ناداه فتقول: نَدَهُ.

وتمـدُّ العاميـة الفتحة فتقول: كام في كم الاستفهامية، كما أسلفنا – وتقول: معاك في (معك). وتمد الضمة فتقـول: كـورة في كرة. ويطـرد ذلك في الوقـوف بالأمر من الفعل الثلاثي الأجوف الواوي في مثل: توب –زوغ– عوم - قول – قوم – وخود (من خذ) مع قلب الذال دالاً، وكول (من كل)، والأجـوف اليائي، في مثل: بيع – زيد – صيد – عِيش.

وينبغي أن تصلح العامية هذه التحريفات في الكلمات حتى تعود بها إلى الفصحى.

التحريف في الضمائر المتصلة:

هاء الغيبة: تنقل العامية ضمتها إلى الحرف الـذي قبلها، وتحذفها وتسكن مـا بعدها، وتمد الضمة، فتتولـد منها واو في الأفعال، مثل كَتْبو (في كاتبُهُ)، والأسمـاء، مثـل: مكتوبـو في (مكتوبُهُ).

وبالمثل إن وأخواتها، يقال فيها: إنُّو في (إنه) وكأنُّو (في كأنه) ولكنو (في لكنه).

وأيضًا مع كل مضاف إلى هذه الهاء، مثل: علمو (في علمه) وكتابو في (كتابه) ومع ثلاثة من حروف الجر – هي اللام، في مثل لو (في له)، ومنُّو (في منْهُ)، وعنُّو (في عنهُ).

ياء المتكلم:

تَلْحق بالأفعال والأسماء والحروف، وتقول العاميـة: عـصايتي (في عـصاي)، فتضيفها إلى ياء المتكلم مرتين. وتشددها مع اللام فتقول: ليَّ (في لي) لحنًا واضحًا.

الضمائر المنفصلة المرفوعة والمنصوبة:

أنا: تحذف منها العامية الهمزة إذا سبقتها واو العطف أو حرف النداء يا، فتقول: ونـــا في (وأنا)، ويانا يانا (في يا أنا – يا أنا).

نحن: تنطقها العامية إحنا بقلب النون الأولى همزة وفتح النون الثانية مع مدها.

أنت: تنطق العامية هذا الضمير وفروعه بكسر الهمزة.

هوَ– هيَ: تشدد العامية الواو والياء في هذين الضميرين، وكانت تشدده قديمًا قبيلـــة همدان النازلة بالجيزة في الفتوح الإسلامية، وعنها شاع في العامية المصرية.

هم: تشدد العامية الميم في هذا الضمير الساكن في الفصحى.

إيّاك: تحذف العامية همزة القطع في هذا الضمير المنفصل المنصوب وفروعـــه مـــع واو العطف في إياك وإياكم فتقول في مثل رأيته وإياك: رأيته ويَّاك.

التحريف في الحروف الجارة

على: تحذف العامية منها اللام والألف إذا وليهما اسم معرف بالألف واللام، في مثل: سافر ع الطائرة – سبح ع الماء، وكانت تنطق بذلك قديمًا قبيلة بنى الحارث، وأشاعتها في مصر حين استوطنتها. وينبغي أن تردها العامية إلى نطقها الفصيح.

عَنْ: تشدد العامية نونها في استعمالين: إذا اتصل بها ضمير المفرد المخاطـــب في مثـــل: عَنْك تقول: عنَّك أو اتصل بها ضمير المفرد الغائب في مثل عنه تقول: عنُّو- بتـــشديد النون وحذف الهاء مع نقل ضمتها إلى النون المشددة وزيادة واو. وحـــري أن تعـــدل العامية عن هذا النطق إلى نطق الفصحى فيهما.

اللام الجارة: تفتح هذه اللام في الفصحى، مع جميع الضمائر، ما عدا ضمير المـــتكلم، فإنها تكسر معه، مثل: هذا الكتاب لي أما في العامية فإنها تضم مع ضمير المفرد الغائب وجماعة الذكور الغائبين فيقال: أعطيت لو الكتاب (في أعطيت له الكتاب) بنقل حركة الهاء المضمومة إلى اللام مع حذفها ومد الضمة. ويقال: (أعطيت لُهم الكتاب) بـــضم اللام أو حذفها.

وتكسر لام الجر مع بقية الضمائر في لنا – لك – لكم – لها. ويقول السيوطي في كتاب الهمع: "إن عشائر قبيلة خزاعة كانت تكسر لام الجر مع المضمر، وكأنها هي التي أشاعتها بمصر، وحري أن يُرَد نطقها إلى الفصحى".

مـــــن: حين تذكر معها نون الوقاية تشددها العامية فتقول: (مني) وهو تعبير صحيح لإدغام نون من في نون الوقاية، غير أن العامية المصرية تطرد ذلك مع ضـــمير المفـــرد المخاطب والمفردة المخاطبة والغائب المفرد فتقول: منَّك – منِّك – منُّه. وينبغي أن تعود فيها جميعًا إلى نطق الفصحى بسكون النون.

في حروف القسم والجواب:

واو القسم: مفتوحة في الفصحى، والعامية تكسرها، مثل: وِالنبي – وِالمصحف – وِحياتك. ومثال واحد تفتحها فيه هو لفظ الله فتقـــول: والله. وينبغـــي أن تلغـــى كسرها وتفتحها دائمًا مثل الفصحى.

إيْ: بكسر الهمزة فيها وياء ساكنة، وهي حرف جواب، مثل: نعم تمامًا، ويليها دائمًا قسم بالله، مثل: إي وربي، وإي والله. ومجيء واو العطف بعدها جعلت العرب يقولون في الجواب بها: "إيو" كما ذكر ذلك الزمخشري. ومن هذه اللهجة شاعت في عاميـــة مصر كلمة " إيوه" بمعنى نعم مضيفة إليها هاء السكت للوقف، وقد تفتح العامية الهمزة فتقول: " أيوه " وتختصرها العامية فتقول: " أَ " بمعنى نعم، بالمد أو بدونه. وواجب أن تصحّح العامية الكلمة.

لأ: يذكر لفظ لا في الجواب على المتكلم بالنفي، فيقال: لا، غير أن العاميـــة المـــصرية أضافت إليها همزة ساكنة، فيقول المصريون في الجواب بالنفي: " لأ "، ويذكر عن قبيلة طيِّئ أنها كانت تقلب الألف الموقوف عليها همزة، وكأن المصريين أخذوا عن عشائرها

الوقف على "لا" بالهمزة، وشاعت بينهم إلى اليوم. وينبغي أن تعدل العامية عن نطقها إلى نطق الفصحى.

تحريفات متنوعة:

في النداء:

تسكن العامية الحرف الأول في العَلم إذا كان ثانيه متحركًا، فتقول:

يامْحمد– يا حْسين – يا سْليمان.

وتحذف همزة القطع في ثلاثة أعلام هي:

أحمد – إبراهيم – إسماعيل

وتبدل باللام في نهاية العلم الأخير نونًا فتقول: إسماعين. وتبدل بألف الوصل همزة القطع في لفظ الجلالة، للاستغاثة، أو للتعظيم، فتقول: يا ألله (وهذا صحيح).

يا أنا: تحذف العامية همزة القطع مع يا من الضمير " أنا – فيقال: يانا يانا، تحسرًا على ضياع شيء.

وينادى مثل "أبو حسن" بنفس لفظ "أبو" يا أبو حسن، بنطق الواو مع أن هذا الموضع يستوجب نطقها بالألف؛ لأنها مضافة.

وتقول العامية: يابوي – ياخوي، تحريفًا بدلاً من يا أبي – يا أخي. وينبغي أن تعدل العامية عن كل هذه التحريفات في النداء فيما عدا لفظ "يا ألله".

في التصغير:

تُحرِّف العامية في صيغتين من صيغ التصغير، أولاهما صيغة "فُعَيْل" تجعلها فَعِيل في كثير من الأعلام، مثل: حَميد (في حُمَيد) سعيد (في سُعَيد). والثانية صيغة فُعَيْعِل تفتح حرفها قبل الآخر، فتقول صُغَيَّر في صُغَيِّر، وكُبَيَّر في كُبَيِّر.

في النسب:

تخطئ العامية في كلمات كثيرة بالنسب، من ذلك كُتْبِيّ: بسكون التاء: نسبة إلى الكتب، وصوابها كُتُبِيّ – حَلَواني، وصوابها حَلْوانِيّ.

خُضَري: نسبة إلى ما يبيعه من الخَضْروات، وصوابها خَضْراواتي، بفتح الخاء.

فكهاني: نسبة إلى فاكهة، والصواب فاكِهانيّ، بزيادة ألف مع كسر الكاف.

الكسر قبل هاء الوقف في مثل:

حِدَّه – شِدَّه – سكَّه – سِيرَه – سلامَه – رياسَه – هدايَه – كَلِمَه - فكرَه – نُكتَه، ففي هذه الكلمات وأمثالها ينطق بعض العامة بكسر ما قبل الهاء.

وينبغي أن تعدل العامية عن كسر هذه الكلمات إلى فتحها قبل الوقف عليها.

تقاليب الحروف في الكلمة:

تاء افْتَعَلَ:

الفصحى تجعل التاء بعد فاء الفعل في صيغة "افتعل"، والعامية تقدم التاء على الفاء فتصبح اتفعل، في أفعال كثيرة مثل: اتبلّ في ابتَل– اترمى في ارتمى– اتروى الزرع في ارتوى – اتغنى في اغتنى – اتغاظ في اغتاظ – اتكسى في اكتسى – اتلوى في التوى – اتملى في امتلى وينبغي أن تعدل العامية عن هذا التحريف في صيغة "افتعل".

تحريف في الكلمات التالية:

الباط: الإبط، جعلت العامية الهمزة بعد الباء، وحولتها إلى ألف وصل.

جوز: زوج نقلت آخر الكلمة إلى أولها وضمتها، وصنعت ذلك في كل المادة فتقول: الجواز في الزواج، وجوزوه في زوجوه.

سقف: صفق قلبت العامية الصاد سينًا، وقدمت القاف على الفاء.

فعص: في عفص البيضة، بتقديم الفاء على العين.

ملص ودنه: في صلم أذنه، قدمت العامية الميم إلى مكان الصاد ووضعت الصاد مكانها.

تصنت: تنصت أي تسمع قدمت العامية الصاد على النون.

وينبغي أن تعود العامية في كل التحريفات التي ذكرناها في هذه المحاضـــرة إلى النطق الفصيح الصحيح.

* * *

بعض خصائص لغة المخاطبة
بين اللغة الفصحى واللهجات في العالم العربي(*)

للدكتور جريجوري شرباتوف

(عضو المجمع)

كانت الدراسات العلمية للهجات العربية من أهم اتجاهات مجمع اللغة العربية باعتبارها مصدرًا قيمًا لدراسة تاريخ اللغة والفولكلور والموضع اللغوي الحاضر. وقد أشار السيد وزير التعليم و البحث العلمي في كلمته إلى ضرورة دراسة اللهجات.

يشير علماءُ اللغة عادةً في دراساهم العربية إلى النموذج الثنائي أو الطراز الثنائي للغة العربية، أي يشيرون إلى الشكلين لكيانها، وهما اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية.

وفي سير التطور التاريخي والاجتماعي للبلدان العربية منذ مطلع القرن العشرين تجلت نزعة ملموسة إلى التقارب والتعامل والتآثر بين اللغة الفصحى واللهجات، وشاهدنا أنه في النصف الثاني من هذا القرن تنشطت أكثر فأكثر عمليات نشأة، وتكون لغة المخاطبة أو لغات المخاطبة، والفضل الكبير في هذه العمليات يعود إلى السينما والمسرح، ووسائل الإعلام العصرية كالراديو والتليفزيون والصحافة والأدب الفني نثرًا وشعرًا، كما يعود هذا الفضل إلى توسيع شبكة المدارس وحركة محو الأُمية.

إن تطور الخصائص التكوينية والوظائفية والأُسلوبية للغة العربية في المرحلة الحاضرة يبرهن نشأة الطراز الثلاثي للغة: الفصحى واللهجة ولغة المخاطبة، وفي هذا التصنيف اللغوي الوظائفي يبرز موقعان مقتطبان تحتل أحدهما اللغة الفصحى وتحتل ثانيهما لهجة عربية بأضيق معني لغوي وأدقها (نقصد لهجة قرية أو قبيلة) .

وتقع بينهما، أي بين الفصحى ولهجة محلية، تقع لغة المخاطبة الإقليمية أو لغات المخاطبة الإقليمية للأقطار العربية.

(*) ألقي البحث بالدورة الثالثة والخمسين (العيد الخمسيني)، بالجلسة الرابعة، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الثالث الخمسين، ص٢٠٤.

وتمتلك اللغة العربية الفصحى بكثرة الأساليب الكتابة وتستعمل في أغلب أحيان في لغة الكتابة، ومع ذلك التطبيق الشفاهي للغة الفصحى مقصور ومحدَّد بمجالات الحياة الرسمية.

أمّا لغة المخاطبة لكل بلد عربي - هي وسيلة أساسية لاتصال السكان الشفاهي في حياقم اليومية (في البيت، في السوق، في الشارع) - يسمى هذا الشكل اللغوي في بعض الدراسات العربية لغة ثالثة أو وسطية، أو وسطى تارة- ولغة عامية لهجوية أو لغة نصف الأدبية، لغة المخاطبة الشعبية، لغة محكية تارة أُخرى.

ولغة المخاطبة، في رأينا لها عدة مستويات:

أولاً: لغة المخاطبة لمدينة وهي تتكون في سير تطور ثقافة المدن العربية، نتيجة التعامل النشيط بين مختلف التيارات اللهجوية، التي تستوعبها لغة المخاطبة وترتفع فوقها، مثلما نرى في لغة المخاطبة لأهلي الموصل والبصرة في العراق، أو في حلب وحمص واللاذقية في سورية.

ثانيًا: لغة المخاطبة لمحافظة أو إقليم، وهي منتشرة في أرض واسعة متلاحقة لعدة أماكن (من مدن وقرى) مثل لغة سكان الصعيد، الوجه القبلي كافة جنوب مصر.

ثالثًا: لغة المخاطبة للعاصمة التي تكونت على أساس اللهجة القديمة للعاصمة مع اجتذاب عناصر لهجات ضواحي العاصمة، مثل لغة المخاطبة لأهالي القاهرة وبغداد ودمشق والخرطوم، أو تشكلت من جراءِ السيلان العاصف للجماهير الغفيرة والبدو إِلى العاصمة، مثل لغة المخاطبة في نواكشوط بموريتانيا وطرابلس بليبيا.

رابعًا: لغة المخاطبة العامة لكافة شعب بلد ما، وهي تستند على لغة العاصمة مع التفاعل الوثيق مع لغات المخاطبة الإقليمية واللهجات الريفية والبدوية.

هذا ما يتعلق بمكانة لغة المخاطبة أما فيما يختص بالتكوين اللغوي فيمكننا أن نرى بجلاء ووضوح أن لغة المخاطبة من حيث التكوين مبدئيًا شبيهة للهجة المحلية؛ لأن لغة المخاطبة - شأنها شأن اللهجة اكتسبت النظام التحليلي analitical system

فقدت الإعراب، ووفقًا لهذه العلامة اللغوية النموذجية (tipological) هي (أي لغة المخاطبة) تخالف اللغة الفصحى التي تتمسك بثبات بنظامها التركيبي syntheti (System).

وماذا نقصد بالنظام التحليلي والنظام التركيبي في اللغة العربية؟

مثلاً في مسرحية الهاوية لمحمد تيمور: يقول أحد أبطال المسرحية عن مِروحة زوجته بهذا الشكل: المروحة بتَاعة الست بتاعتي.

وهنا استعملت الكلمات الإضافية لتوضيح علاقات الكلمات في الجملة، نأخذ مثلاً آخر نقول باللغة الفصحى: خرجتُ من البيت، ورأيتُ رجلاً يعني قرب الباب (رأيتُ رجلاً) فيقولون في مصر في هذه المناسبة: شُفْت واحِدْ راجلْ، في العراق وبعض بلاد الخليج: مشِفِتْ فَدْ رجال، في الجزائر: حالرجال (من واحد الرجال).

أما مفردات لغة المخاطبة، فلها طابع جامع باستثناءِ ألفاظ ضيقة الاستعمال خاصة للهجة محلية فقط. وتُصبح مفردات لغة المخاطبة للمدينة أكثر ثراءً وتنوعًا من مفردات لهجة محلية؛ لأنها- أي لغة المخاطبة- ضمت إليها عددًا لا يُستهان به من الألفاظ والتعابير الفصيحة (بما فيها المصطلحات الاجتماعية، السياسية والفنية والعلمية) كما استوعبت بالكثرة مقتبساتٍ حديثة من اللغات الأُوربية المعاصرة.

إننا نلاحظ كذلك بين لغات المخاطبة في المدن من جهة، واللهجات الريفية من جهة أُخرى - فروقًا تكوينية ملموسة في الأصوات والنحو والصرف، والجدير بالذكر أن مفردات لغة المخاطبة في المدن العربية الكبيرة عبارة عن مجموعة متقاربة متلاحمة بمزاياها العامة عن لهجات الريف و البدو. فقد قام بعض المستشرقين في السنوات الأخيرة بالدراسات المقارنة لمفردات لغة المخاطبة بالمدن السورية واللبنانية وبعض المدن العربية الكبيرة (القاهرة، وبغداد، وجدة، والدار البيضاء)، واتضح من هذه الدراسات مثلاً أن درجة قرابة المفردات السورية اللبنانية للمفردات الفصيحة عالية وتبلغ ٩١٪، كما تبلغ نسبتها المشتركة مع مفردات المدن المشرقية بصورة عامة ٨٤٪ وتتدنى هذه

النسبة المشتركة مع ألفاظ المدن المغربية إلى ٧٨٪، ونلاحظ اختلافات محسوسة في لغة المخاطبة حتى بين مفردات المدن في بلد واحد، ونرى مثلاً كيف تختلف الألفاظ في بورسعيد من المترادفات المستعملة في القاهرة:

بورسعيد (١) بازَار (٢) تَنُّورهْ (٣) بُلْمانْ (٤) أَلِّسْ

القاهرة: (١) سُوء (٢) كُونْبينِيزُون (٣) لُوكْس (٤) إِتّرِياً

ونجد في مختلف المدن الجزائرية مثلاً المترادفات التالية بمعنى (أرجوحة) جَعْلولـه، حوجليله، تَغْلايله، دُويْغه، محلْحلَه، حلِيْزَه، جُلَّيْسه، متِينْسه، تِيسْه.

ونود فيما يلي أن نقدم نتائج بعض بحوثنا الميدانية في البلدان العربية، وذلك ما يشير إلى الفرق الكبير في المفردات بين لغة المخاطبة في القاهرة ولهجات الفلاحين في قرى الدلتا والوجه البحري عامةً، وكذلك بين المفردات في لغة أهالي بيروت ولهجة قرية صوّانِه الواقعة في جنوب لبنان على بعد ١١٠ كيلومترات من بيروت.

في مصر:	القاهرة	الدلتا
	سُلْطَانِيَّه	تُبْسِيَّه
	فَتَّه	تَسْقِيَّة
	طَبقْ	صَحن
	بطَّهْ	بجَّه
	(سِت (مدامْ في لغة المثقفين)	جماعة
	بيتْ	دارْ

* * *

في لبنان:	بيروت	قرية صوّانه
	هَلَّأْ (الآن)	إِسَّه إِسِّي
	بنطَلُونْ	شِنْتِيَنْ
	كَالْستْ (جورب)	أَلْسِين
	شَحَّاطَه (علبة)	كَبْرِتِي

ثم هناك عامل اجتماعي من نوع آخر يجب أخذه بعين الاعتبار، نقصد درجة ثقافة المتكلم وعمق معرفته للغة الفصحى؛ وهذا ما يلعب دورًا لا بأس به في اختيار المفردات والتراكيب المرادفة في الحوار بلغة المخاطبة اليومية، وبالتالي يؤدي إلى تأثير لغة المثقفين (الغنية بالألفاظ الفصيحة) في لغة المخاطبة العامة عند أهالي المدن، ورفع مستواها، وتقريبها إلى الفصحى. قد يستعمل العربي المثقف المتعلم في حديثه اليومي مفردات خاصة أكثر تقاربًا للفصحى، تتميز بخصائصها الصوتية وصيغتها النحوية وبمعانيها اللفظية. ونسرد فيما يلي بعض المفردات للغة المخاطبة العامة في القاهرة ودمشق وما يرادفها من المترادفات في لغة المثقفين، مع الإشارة إلى الفروق بينها على مختلف المستويات اللغوية.

أولاً: الفروق في الأصوات

القاهرة		دمشق	
لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
سورهْ	ثَورهْ	متَلاً	مَسَلاً
تليفزيون	تليفزيون	ضَابط	ضابط
كِدْب، كِزْب	كِذْبْ، كِزْبْ	كِدِبْ	كِزِبْ
استِئْبَال	استقبال	مِمْكِنْ	مُمْكِنْ

ثانيًا: الفروق في الصيغ الصرفية

القاهرة		دمشق	
لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
بالْحَرْف	حَرْفِيًّا	حَرْف حَرْف	حَرْفِيًّا
بَيِسْتَعمِلُوه	بُيِسْتَعمَل	بيستَعمِلُو	بيستَعمَل
زَل	أزَل، أذَلّ	تَمرينْ	تَمَرُّنْ

ثالثًا: الفروق في التراكيب النحوية

القاهرة		دمشق	
لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
ضُبَّاط كُبار	كِبَار الضُبَّاط	ضِبَّاط اكِبَار	كِبَار الضُبَّاطِ
عَاْله ضَيَّاْ	ضَيِّق الأُفُقْ	أصلُه لِبْنَانى	لِبْنَانى الأصِلْ
مَفِيشْ شكّ	بدُونْ شَكّ	بَدَى الْحَرِبْ	بَدِت الْحَربْ

رابعًا: الفروق في الألفاظ المترادفة

القاهرة		دمشق	
لغة المدينةعامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامةً	لغة المثقفين
إمضَا	تَوْقِيع	إمضَا	تَوْقيع
على طُول	مُبَاشَرَةً	دِغْرى	مُبَاشَرَةً
زَىِّ بَعضُه	سِيَّانْ	عَلَى طُولْ	دَائِمًا
صَاحِبْ	صَدِيقْ	فَاتْ	دَخَلْ
مَصْر	القَاهِرَة	جَرَّبْ	حَوَلْ
أحْمَر شَفَايِفْ	رُوج	شِي يُومْ	يوْمًا مَا

ومن حيث الخصائص الوظائفية والأسلوبية تختلف لغة المخاطبة عن الفصحى بعض العلامات الجوهرية:

أولاً: لكونها لغة للحوار اليومي الشفاهي، هي تخدم بعض مجالات الحياة الرسمية، وكذلك في الكتابة، وإن كان النطاق محدودًا في المسرحيات والشعر الشعبي، السينما، في بعض برامج الإذاعة، في الأغاني... إلخ.

ثانيًا: لغة المخاطبة اليومية- خلافًا للهجات – غير محددة ومقصورة في مساحة استعمالها؛ لأنها تفهم وتقال في أراضى البلد كلها.

ثالثًا: يلجأُ إِلى لغة المخاطبة في الحوار اليومي في المدن كل من يعرف الفصحى ومن لا يعرفها.

أَيها الزملاء الأَجلاء: باهتمامنا بدراسات اللهجات العربية ولغة المخاطبة اليومية لسنا من دعاة اللهجات، إِنما نحن أَنصار اللغة العربية الفصحى؛ ولهذا السبب لا يجب إِهمال الواقع اللغوي الاجتماعي، لكي تحتل اللغة العربية الفصحى مكانتها في كل عائلة عربية وكل مدرسة وجامعة عربية.

تستحق هذه اللغة - اللغة العربية الساحرة الخالدة - كل العناية و الرعاية، نسمعها كل يوم ونتمتع بها، وهي الحسناءُ الجميلة، وتقول للقمر: قم وأَنا أَقعد مطرحك، وقد شغلت محل القمر والنجوم، وأَصبحت نجمة كبرى في سماء العروبة بارق الأَمل، وتتلأْلأُ لؤلؤة الرجاءِ وتنير طريقنا، كشمس ساطعة ترسل إِلينا أَشعة الانبعاث والازدهار للعلم والحياة.

* * *

دراسة مقارنة لبعض مزايا الاشتقاق في اللغة العربية الفصحى واللهجات ولغة المخاطبة(*)

للدكتور جريجوري شرباتوف
(عضو المجمع)

تنتسب اللغة العربية إلى اللغات السامية التي تتميز بمختلف أساليب الاشتقاق (أي التطور الداخلي للألفاظ)، وباستعمال مجموعة من اللواحق (أي التطور الخارجي للألفاظ) والاشتقاق في اللغة العربية الفصحى أسلوب رئيس لنشأة ألفاظ جديدة، بينما نرى في اللهجات نزعة واضحة في نشوء المفردات، بواسطة اللواحق، إلى درجة كبيرة، و هذا ما يسمح لنا أن نعتقد أن اللهجات تميل أكثر فأكثر إلى التطور الخارجي، وبالتالي تنتقل من طرق الاشتقاق إلى استعمال اللواحق في تطور الألفاظ.

نلاحظ هذه الظاهرة في خلق الألفاظ، بل في تكوين بعض الصيغ المورفولوجية مثل صيغ الجنس والجمع، كما نشاهد اللجوء إلى اللواحق في تكون الظروف والضمائر والأعداد إلى جانب استعمالها الأساسي في الأسماء الموصوفة والنعوت، ومن أسباب اتساع مجالات اللواحق في اللهجات الريفية والبدوية ولغة المخاطبة لأهالي المدن هما: زوال الإعراب فيها، وابتذال صيغ الاشتقاق. والمعروف أن عدد اللواحق المستعملة في اللغات السامية في الأزمنة القديمة كان قليلاً، وهي: (=It = ūt,=āwi,=iy, ān=)

وتستعمل في اللغة الفصحى خمس لواحق، وفي اللغة العامية المصرية عشر لواحق، ويزداد عدد اللواحق في جميع اللهجات العربية إلى أكثر من عشرين وحدة. ويجدر بالذكر هنا أن اللواحق في اللهجات تتميز بكثرتها عددًا، بل بتعدد وتفرع المعاني الجديدة.

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة العاشرة لمؤتمر الدورة الخمسين، الموافق ٤ من مارس ١٩٨٤م،.ونشر بالمجلة ـ بالجزء الرابع والخمسين ص١٧١.

١- لاحقة āni - قليلة الاستعمال في اللغة الفصحى، ومنتشرة جدًّا في اللهجات بمعانيها العديدة، وهي تعني:

(أ) الشبيه بالشيء: أسمراني أبيضاني (في مصر وسورية) أحمراني (في مصر وسورية) حُمْراني (في المغرب) تستعمل اللاحقة بهذا المعنى في أغلب الأحيان في المشرق ونادرًا في المغرب.

(ب) الموجود أو الواقع في محل ما: جُواني (في السعودية)، جوَّاني (في لبنان وسورية) جَوَّاني (في العراق)، جُوَّاني (مصر) دُخْلانى (الجزائر)، ورَّانى (العراق)، أُورَاني (المغرب) وَرَّاني (دمشق)، خِلْفيني (حلب)، أخراني (مصر) واللاحقة بهذا المعنى منتشرة جدًّا في المشرق والمغرب.

(ج) صاحب مهنة: فكهاني (السعودية ومصر)، فاكْيَاني (سورية)، حُمِّصاني (مصر)، حِمْصَانى(سورية) تستعمل اللاحقة بهذا المعنى غالبًا في المشرق.

(د) المولود أو الساكن في مكان ما: إسكندراني (مصر)، صنعاني، المعنى قليل الاستعمال.

(هـ) ذو خصلة ما أو مظهر ما: شيباني (تونس، المغرب)، شَعْراني (غزة)، شَرانى (مصر، السودان)، وِحْداني (سورية)، وَوَحْداني (المغرب، مصر) المعنى قليل الاستعمال.ودخلت إلى اللهجات من اللغة الفصحى، مفردات آرامية الأصل: ربِّاني جِسمْاني، رُوحاني (سورية).

(و) وتلحق اللاحقة بالصيغة المشتقة القديمة وبنفس المعنى:

مِشعِر ومشعِراني (سورية مصر)، مخرْباني (لبنان)، مغلواني(مصر) مِحقِقّاني (سورية) استعمال هذه الصيغة المركبة محدود إقليميًّا بمنطقة سورية ولبنان ومنطقة مصر والسودان.

(٢) لاحقة awi = ـــَ آوى، وتشبه بعض معانيها بمعانيها بمعاني لاحقة: آني، وهي تعني:

(أ) المولود أو الساكن في مكان ما: مصراوي (مصر) بـــصراوي ومِـــصْلاوي (العراق) مكاوي (السعودية و مصر)، جبلاوي (مصر) الصيغة منشرة جدًّا.

(ب) المتصل بجماعة ما: اجتماعية، دينية، أُسرية،رياضية: عربـــاوي(مـــصر)، زملكاوي (القاهرة) أولومباوي(الإسكندرية) بَدّاوي (العراق) بَدوَاى (المغرب) الصيغة منتشرة.

(ج) ذو خصلة أو مظهر ما: بِطناوي، ظِغراوي (سورية)، غلباوي، الـــلآوي (مصر) الصيغة قليلة الاستعمال.

(د)صاحب مهنة ما: مِعَدَّواي (مصر) الصيغة نادرة جدًّا.

(هـــ) تشكل الأعداد والصفات:

سبعًا شرواى وستناوي (السودان) خمساتوي (سورية) الصيغة محدودة إقليميًّا.

**٣- لاحقة ** = (ـــه)، وهي تشير إلى:

(أ) اسم المرة: ضحك- ضحكة (العراق) مشى ـــــ مِشية (تونس).

(ب) صيغة المؤنث: ثُوْر- ثُورَة (بمعنى البقرة في العراق)، جَمِله (بدل ناقة- في سورية)، أسد- أسدة (بدلة لبؤة- في القـــاهرة) عـــروس (فـــصيحة)-عروســـة (في اللهجات)، جرسون - جرسونة.

(ج) اسم التصغير: نَبْعه (لبنان) دكّانه (مصر) ماخورة (غزة) قادومة (الجزائر).

(د) الأسماء الموصوفة الجديدة التي تحفظ بمعنى المفردات الأساسية مـــن حيـــث المظهر، أو الوظائف أو نتائج الفعل: زجاج - زجاجة- (قارورة - الجزائـــر) بـــارود (مادة)-بارودِه (بندقية) في سورية.

٤- لاحقة iyya = يَّه، وهي تستخدم.

(أ) لتكوين المفاهيم التجريدية: عقلية، (المغرب)، حموريَّه (أي حمرة - الجزائر)، وحُمُوريَّة (أي حماقة) في مصر.

(ب) المفاهيم الاجتماعية السياسية: اشتراكية.

(ج) الأدوات والأغراض والأوعية: زبديه (مصر)، عربيه (مصر)، ناموسيه (مصر، السودان)، ظَرْبية (أي البساط) في الجزائر.

(د) الأسماء و المصطلحات المتعلقة بالمؤسسات والهيئات الرسمية والإدارية: بلدية (سورية)، مديرية(مصر) وهي جاءت من اللغة الفصحى.

(هـ) لتسمية أجزاء الزمن، فصول السنة، أوقات النهار والليل: شتوية (المغرب و الجزائر) ، صبيحة (سورية).

(و) صيغ التصغير: صابونيه (الجزائر) أشويه (سلة صغيرة ـــ في لبنان).

٥- لاحقة iyyāt – يّات، تستخدم لتكوين:

(أ)الأسماء التي تشير إلى المجموعة المتشابهة من المواد أو المفاهيم: حلويات، ضروريات.

(ب) أوقات الزمن: دهبيات.

(ج) وهناك مجموعة أخرى من اللواحق مع معانيها المتعددة: **ـــَ ايه، ـــ ة و ـــَ اتى، ـــُ ونْ، ـــِ نْ ـــُ و**، وعدد من اللواحق الدخيلة التركية والفارسية:**ـــ جي، شي، رلي– لِكْ، لك – خانه – دار**، وبعض اللواحق التي تستعمل مع المفردات المقتبسة من اللغات السامية الحامية الأخرى مثل البربرية والنوبية وغيرها، وكل منها في إقليمها، والتي لا تقبل تمامًا في اللغة الفصحى. كما رأينا مما ورد أعلاه هناك فروق جذرية هامة في نشأة المفردات بين اللغة العربية الفصحى، التي تسير بثبات في طريق الاشتقاق التقليدي، واللهجات التي تنصرف رويدًا ورويدًا عن الاشتقاق، وتميل ميلاً ملحوظًا إلى نظام التطور الخارجي؛ أي بواسطة اللواحق الاشتقاقية الخارجية.

* * *

ثالثًا:

ألفاظ بين الفصحى والعامية

من ألفاظ الكتاب المحدثين(*)

للدكتور أحمد حسن الزيات

(عضو المجمع)

في ٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٤٩ ألقى حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات على المؤتمر محاضرته "الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه؟ "، وانتهى فيها إلى المقترحات الآتية:

(١) فتح باب الوضع على مصراعيه بوسائله المعروفة، وهي الارتجال، والاشتقاق والتجوز.

(٢) رد الاعتبار إلى المولد، ليرتفع إلى مستوى الكلمات القديمة.

(٣) إطلاق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب، وما لم يقيسوه، فإن توقف القياس على السماع يبطل معناه.

(٤) إطلاق القياس من قيود الزمان والمكان، ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدادين، والبنائين، وغيرهم من كل ذي حرفة.

وقد درست هذه المطالب في المؤتمر والمجلس، وانتهت الدراسة فيها بأن وافق المجلس على القرارين الآتيين:

أولا- تدرس كل من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة، و لم يعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال. (جلسة المجلس ١٩٥٠/٤/٢٤).

(*) كلمات قدمها الأستاذ أحمد حسن الزيات، وأقرها مؤتمر المجمع، أقرت الكلمات في الجلسة السادسة من جلسات مؤتمر المجمع، في دورته التاسعة عشرة، يوم الاثنين ١٢ من يناير سنة ١٩٥٣، ودارت حولها مناقشات مثبته بمحاضر جلسات تلك الدورة، ونشرت بمجلة المجمع، بالجزء التاسع، ص ١٢٨. (وللأستاذ الزيات بحث مهم، بعنوان: "الوضع اللغوي وهل للمحدثين حق فيه؟"، دعا فيه إلى: ١- إطلاق السماع من قيوده، ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدادين والنجارين.. إلخ ٢- فتح باب الوضع على مصراعيه، بوسائله المعروفة: الارتجال، والاشتقاق، والتجوز. ٣- إطلاق القياس في الفصحى. (انظر محاضر جلسات د ١٦، ج ٢٣، ٢٥ للمجلس، وانظر مجلة المجمع ج ٨، ص ٥٦ ، ١١٠).

ثانيا– وافق المجلس على قبول السماع من المحدثين، بشرط أن تدرس كل كلمة على حدة قبل إقرارها. (جلسة المجلس ١٩٥٠/٥/٨).

وتطبيقا للقرار الأخير تقدم حضرة الأستاذ أحمد حسن الزيات إلى المجلس في ٢ مايو سنة ١٩٥١ بطائقة من الألفاظ المسموعة عن المحدثين، على خلاف ما سمع عن العرب الأولين في الصيغة أو في الدلالة، فناقشها المجلس، وأقر بعضها في هذه الجلسة، والبعض الآخر في الجلسة الختامية للدورة الثامنة عشرة، بعد أن درستها لجنة الأصول.

وعرضت هذه الألفاظ على مؤتمر المجمع، في دورته التاسعة عشرة، فأقر منها ما يلي:

(١) **ساهم:** يستعمل المحدثون ساهم بمعنى شارك وقاسم، والعرب لم يستعملوه إلا في المقارعة، وهي الغلبة في القرعة. ولاستعمال المحدثين أصل، فقد قال: العرب تساهموا الشيء: تقاسموه. واستعملوا السهيم، بمعنى المقاسم لغيره بالسهم، وقال البديع في إحدى رسائله: "أفترض أن تكون سهيم حمزة في الشهادة ".

(٢) **المظاهرة:** يستعمل المحدثون المظاهرة، بمعنى: إعلان رأي.أو إظهار عاطفة في صورة جماعية، وهي تقابل في هذه الدلالة Manifestation والعرب يستعملونها بمعنى العون من الظهر، كالمساعدة من الساعد، والمعاضدة من العضد، والمكاتفة من الكتف. والأقرب إلى المعنى الحديث: تظاهروا تظاهرا، فقد قالوا تظاهر فلان بالشيء: أظهره، ولكن المظاهرة شاعت حتى لصعب على الناس العدول عنها.

(٣) **تجمهر:** يقول المحدثون: تجمهر الناس: اجتمعوا، والعرب يقولون. تجمهر علينا: تطاول. ولاستعمال المحدثين أصل من قولهم: جمهر التراب: جمع بعضه فوق بعض.

(٤) **الكتلة، والتكتل:** يقول المحدثون: تكتل الناس، صاروا كتلة، أي جماعة متفقة على رأي واحد. والعرب لا يعرفون تكتل، إلا بمعنى تجمع الشيء وتدوّر، ولا من

الكتلة إلا بمعنى: ما جمع من التمر والطين ونحوهما. والكتلة في لغة العلوم والحضارة تقابل لفظ Masse في الفرنسية والإنجليزية.

(٥) **الجلطة، وتجلّط الدم**: الجلطة بالضم، هي الجرعة الخاثرة من اللبن الرائب. وقد توسع فيها المحدثون، فأطلقوها من باب التشبيه على الجرعة من الدم إذا تخثر. وقد اشتقوا منها تجلط الدم إذ تخثر.

(٦) **الدخان، ودخن**: يطلق المحدثون الدخان على التبغ. ودخَّن، بالتشديد، على إحراقه، وهو من قبيل المجاز المرسل.

(٧) **الحشيش، والحشاش**: يريد العرب بالحشيش: ما يبس من الكلأ، وبالحشَّاش: من يقطع الحشيش، على المبالغة، والمحدثون يريدون بهما، فوق ذلك: المادة المخدِّرة المعروفة، ومن يتعاطاها.

(٨) **القنبلة**: القنبلة في اللغة: الطائفة من الناس، أو من الخيل، ومصيدة يصاد بها أبو براقش.

وفي استعمال المحدثين: القذيفة المتفجرة، يقذف بها مدفع أو طائرة أو يد.

وافق عليها المجلس على أن ينصّ على أن أصلها الفتح، وضُمَّت، وعلى أنها أقرت لأنها تُعورفت وشاعت.

(٩) **الفشل**: فشل الرجل فشلا: كسل وضعف وتراخى، وجبن عند حرب أو شدة، والمحدثون يستعملون فشل، بمعنى: خاب، كأنهم يطلقون السبب، ويريدون المسبب، فهو من قبيل المجاز المرسل.

(١٠) **الجيل**: الصنف من الناس. وقد توسَّع فيه المولدون، فاستعملوه على أهل الزمان الواحد، ويظهر أن هذا الاستعمال قديم، فقد قال المتنبي:

وإنما نحن في جيلٍ سواسية

(١١) **القاع**: أرض سهلة مطمئنة، قد انفرجت عنها الجبال والآكام. والمحدثون يستعملونه في أقصى الشيء وعمقه ونهاية أسفله، فيقولون: قاع البئر، وقاع النهر، تفاديا من ذكر القعر.

(١٢) **السمك، والسميك**: السمك، بالفتح: الارتفاع، ومن أعلى البيت إلى أسفله. والثخن: الصاعد، كسمك المنارة ونحوها. والمحدثون يستعملونه بمعنى: الثخن مطلقا ويشتقون منه: السميك، بمعنى الثخين.

وقد وافق المجلس على أنه لا مانع من إطلاق السمك، والسميك على البعد الثالث في الأحجام، بعد الطول والعرض. وحينئذٍ يكون للسمك إطلاقان: أحدهما: عام، بمعنى الارتفاع، والآخر: اصطلاحي مولد، بمعنى البعد الثالث، بعد الطول والعرض، في الأحجام المنتظمة.

(١٣) **القهوة**: يستعمل المحدثون: القهوة، في المكان الذي تشرب فيه، وهو مجاز مرسل علاقته الحالية، كقولهم نزلنا على ماء بنى فلان، أي على بئرهم، والمؤمنون في رحمة الله، أي في جنته، وهذا الاستعمال يغنينا عن كلمة المقهى الثقيلة.

(١٤) **غير**: يدخل المحدثون عليه أداة التعريف، ويجمعونه على: أغيار، ولم يسمع ذلك عن الأولين. والتعريف والجمع أمران تقتضيهما الحال، وعلى الأخص في لغة القانون.

(١٥) **الغيرية**: عرف المتقدمون الغيرية، مقابلا للعينية، وهو أن يكون كل من الشيئين خلاف الآخر. ويستعملها المحدثون اليوم مقابلا للأنانية، فتكون معنى من معاني الإيثار.

(١٦) **الشقي**: الشقي: ضد السعيد. والمحدثون يطلقونه أيضا على اللصِّ، وقاطع الطريق. أقر المجلس هذا الاستعمال، على أن يزاد في شرحه ما يدل على المعنى المطلوب.

(١٧) **التأميم**: أمَّ الرجل المكانَ: قصده، والمسموع اليوم من المحدثين أنهم يقولون: أمَّم الشَّيء: جعله ملكا للأمة.

(١٨) **التدويل**: اشتقَّ المحدثون من لفظ الدولة: دوَّل المكانَ وغيره: جعله دوليًّا.

(١٩) **التصنيع**: قال العرب: صنع الجارية: أحسن إليها وسمنها. وتصنيع الشيء: تحسينه وتزيينه بالصناعة. والمحدثون يريدون بالتصنيع معنى جديدا، وهو: جعل الأمة صناعية بالوسائل الاقتصادية.

(٢٠) **التركيز**: ركز الرمح ونحوه: غرزه في الأرض، والمحدثون يطلقون التركيز على التكثيف والتجميع والحصر، فيقولون: ركز اللبن ونحوه: كثفه، وركز فكره في كذا: حصره.

(٢١) **أعدم المجرم**: يقول المحدثون: أعدم الجلاد المجرم: شنقه، والمسموع عن العرب: أعدم الرجل: افتقر، وأعدم فلانا: منعه، وأعدم الله فلانا الشَّيء: جعله عادما له.

(٢٢) **الشهيَّة**: الشهية: مؤنَّث الشهي. والشهي: المشتهى، والشهوان. يقال رجل شهي، أي شهوان، وشيء شهي، أي: لذيذ. والمحدثون يستعملون الشهيّة، بمعنى الشهوة، ويخصصونها للرغبة في الطعام، فيقولون: أصبح موعوكا، لا يجد الشهية للطعام. أما الشهوة، وهي حركة التنفس، طلبا للملائم. فقلما تستعمل في هذا المعنى.

وافق المجلس على أن يقال: فلان عنده شهية لكذا، أي نفس مشتهية، على تقدير موصوف محذوف.

(٢٣) **التقاليد**: جمع تقليد، ويريد بها المحدثون: السنن الموروثة، والعرف المتناقل، وهي من قول العرب: قلَّده في كذا: تبعه من غير نظر ولا تأمل.

(٢٤) **القيِّم**: يقول المحدثون: كتاب قيِّم، ومقالة قيِّمة، أي له ولها قيمة. ولم يسمع عن العرب هذا المعنى، وإنما يطلقون القيِّم على زوج المرأة، وعلى متولي الأمر، والقيمة: الديانة المستقيمة.

(٢٥) **أثَّث البيت**: اشتق المحدثون من الأثاث، وهو متاع البيت: أثَّث المسكن: جعل فيه أثاثا. والمتقدمون يقولون: أثَّث الفراش، أو البساط: إذا وطأه ووثَّره.

(٢٦) **الثقافة**: مصدر ثقف. صار حاذقا، والمحدثون يستعملونها اسما من التثقيف، وهو التعليم والتهذيب؛ ومنه قول القائل "لولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئا"، فهي عندهم تقابل لفظ: Culture عند الفرنج.

(٢٧) **ينقصه كذا**: يستعمل المحدثون: ينقصه، بمعنى يعوزه، فيقولون: هو عالم، ولكن تنقصه التجارب، والعرب يقولون: نقصت الشيء: أذهبت منه شيئا بعد تمامه.

(٢٨) **المقاولة، والمقاول**: قاوله في أمره مقاولة: فاوضه وجادله، ومن المفاوضة والمجادلة أطلق المحدثون المقاولة، على عملية يتعهد فيها طرف بتنفيذ مشروع أو جلب شيء لقاء أجر معين يؤديه الطرف الآخر. والمتعهد بالتنفيذ مقاول.

(٢٩) **الإخراج، والمخرج**: يقولون: أخرج الرواية: أظهرها بالوسائل الفنية على المسرح أو الشاشة، فهو مخرج.

(٣٠) **الحماس**: سمع من المحدثين استعمال الحماس، بدون تاء. والمسموع عن العرب: الحماسة.

(٣١) **المران**: يقول المحدثون: مران، بدون تاء. والمسموع من العرب: مرانة.

(٣٢) **قراءة الأعداد المركبة من المائة، فصاعدا**: يقرأ العرب الأعداد المركبة من المائة، فصاعدًا،من اليمين إلى الشمال، فيقولون: نحن في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة وألف، والمحدثون يقرأونها من الشمال إلى اليمين، تأثرا بلغات الغرب، فيقولون: نحن في سنة ألف وتسعمائة وإحدى وخمسين.

(٣٣) **الرصيف**: يستعمل المحدثون الرصيف، بمعنى الإفريز، فيقولون: رصيف المحطة الثاني، مثلاً، والرصيف في اللغة: ضم الحجارة بعضها إلى بعض، في ثبات ونظام وإحكام، وعمل رصيف: محكم رصين، ومن العادة أن يكون رصف الشارع أو المحطة كذلك.

(٣٤) **الجرد**: الجرد، بالفتح: بقية المال. والمولدون يستعملونه في: إحصاء ما في المخزن، أو الحانوت، من البضائع وقيمها.

(٣٥) **التصفية**: صفّى الماء: نقّاه. وقد استعار المحدثون التصفية، لتنقيح الحساب، وتحرير الدين، وحل الشركة وتأدية ديونها، وتفريق ما بقي من أموالها على أصحابها، وهي ترجمة لكلمة Quidation في الفرنسية والإنجليزية.

(٣٦) **السباكة، والسبَّاك**: سبك الفضة ونحوها: أذابها، وأفرغها في قالب. وقد توسَّع المحدثون في هذا المعنى، فأطلقوا السبك على: معالجة المعادن المختلفة، بقطعها ووصلها وإصلاحها، واشتقوا منها السباكة للحرفة، والسبّاك للصانع.

(٣٧) **الجوّ**: العرب يجمعون الجوّ على: جواء. والمحدثون يجمعونه على: أجواء.

(٣٨) **بائس**: بائس يجمعه العرب على: بائسين. ويجمعه المحدثون على: بؤساء.

(٣٩) **زهر**: زهر يجمعه العرب على: أزهار، ويجمعه المولدون على: زهور، وأزهار.

(٤٠) **الكوز**: يطلقه المحدثون على: مطر الذرة، ولم يسمع عن العرب.

(٤١) **الجسر**: ما يعبر عليه، كالقنطرة ونحوها، وقد توسع فيه المحدثون، فأطلقوه على: ضفة الترعة، وعلى الحد الفاصل بين أرضين.

* * *

عرض طائفة من ألفاظ المحدثين(*)

للأستاذ أحمد حسن الزيات
(عضو المجمع)

هذه طائفة من ألفاظ المحدثين، وصيغهم الموضوعة والمسموعة، أعرضها على السادة الأعضاء، لينظروا فيها على ضوء ما قرره المجمع من قبول السماع عن المولدين، أسوة بالمتقدمين.

فأخذ المجلس في نظر هذه الألفاظ كما يأتي:

١- الفنان

الفنان كلمة وضعتها في سنة ١٩٢٠م وأنا أترجم (آلام فرتر) لتقابل كلمة أرتست Artiste، فكتب الله لها الذيوع، وقد رأى بعض الأدباء أن يستبدل بها كلمة (المفن) ؛ لأن الفنان حمار الوحش، ولا علاقة بين صاحب الفن وهذا الحمار، وأنا لم آخذها من هذا المعنى، وإنما أخذتها من قول العرب: " فن الشيء إذا حسنه وزينه"، فهي صيغة من صيغ النسب كنجار وبناء وحداد.

* الأستاذ زكي المهندس: سبق للمجمع أن أقر صيغة فعال للدلالة على ملازم الشيء ومحترفه، ووفقًا لهذا القرار لا نحتاج إلى قرار جديد في الموافقة على كلمة الفنان.

فووفق على كلمة الفنان.

٢- الدارة:

الدارة كلمة اخترتها لتقابل كلمة الفيلا Villa، والمعاجم تؤيد هذا الاختيار، فقد نصت على أن: الدارة محل يجمع بين البناء والعرصة، والعرصة كل بقعة ليس بناء، وليست الفيلا إلا بنية يحيط بها فضاء، يكون حديقة أو لا يكون.

(*) نشر بمحاضر جلسات الدورة العشرين، بالجلسة الحادية والعشرين، في ٢٢ من مارس سنة ١٩٥٤م.

* الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش: لا أحسب أن الدارة تختلف عن الدار في شيء، فالدار هي الأخري تجمع البناء والعرصة.

* الأستاذ أحمد حسن الزيات: لا مانع من أن تخصص الدار للبيت الكبير، والدارة للبيت الصغير.

* الأستاذ الرئيس: هل استعمل الكتاب كلمة الدارة لهذا المعنى؟

* الدكتور أحمد زكي: كلمة (Villa) كانت تدل على البيت الكبير في القرية، كما تدل (Villa) على البيت الصغير.

* الدكتور عبد الحميد بدوي: أظن أن تصغير كلمة الدار تصلح لأداء معنى (Villa) فيقال: دويرة.

فووفق على كلمة الدارة.

٣- أعضى الرجل:

في شركة أو جمعية: دخل عضوًا فيها، و لم يرد هذا الفعل في اللغة، وإنما وضعته للدلالة على الدخول في العضوية، قياسًا على قولهم: أصبح: دخل في الصباح، وأتهم: دخل في تهامة، وأجحر: دخل في الجحر. وفي اللغة: عضّى القوم (بالتشديد) جعلهم أعضاء، ومن الجائز أن نجعل له مطاوعًا، فتقول: تعضى أي صار عضوًا، ولكن أعضى أخف منه.

* الدكتور إبراهيم بيومي مدكور: سلف للمجمع أن أقر هذا الفعل في مصطلحات العلوم، وهو مستساغ هنالك لأداء المعنى العلمي المقصود، أما في الاستعمالات الأدبية العامة،فيحسن أن ننظر، فإن شاع اللفظ في حياتنا الاجتماعية لهذا المعنى، كان لنا أن ننظر في الأمر وقتذاك.

* الدكتور محمد كامل حسين: **أظن أنه لا ضرورة لهذا الفعل الآن.**

* الأستاذ الرئيس: **هل توافقون على إرجاء النظر في هذه المادة؛ نظرًا لعدم ضرورتها بين ألفاظ الحياة العامة؟**

فووفق على ذلك.

* الأستاذ أحمد حسن الزيات: أقترح إذن أن نسجل كلمة العضو، العضوية في المعنيين الشائعين لهما الآن، فالعضو: هو الفرد المشترك في حزب أو شركة أو جماعة أو نحو ذلك، رجلاً كان أو امرأة، والعضوية هي الاشتراك في تلك المنظمات والمؤسسات.

فووفق علي كلمتي العضو والعضوية: بمعناهما العصري الحديث.

٤- الغداء:

يريد العرب بالغداء طعام الغدوة، وهي مابين طلوع الفجر إلى بزوغ الشمس، وبه فسر قوله تعالى: ﴿آتنا غدائنا﴾ والمحدثين يريدون به طعام الظهر.

* الدكتور أحمد عمار: في اللغة كلمة لطعام الظهر وهي الكرزمة، ولكنها غير شائعة، ولا أدري هل يكتب لها الشيوع؟

فووفق على الغداء.

ثم تليت الكلمة الآتية **ووفق عليها**، وهي:

٥- الفطور والإفطار:

الفطور والإفطار: في اللغة أن يأكل الصائم ويشرب، وقد استعارهما المحدثون لطعام الغدوة، والعلاقة أن أكل الصبح يكون بعد إمساك الليل، كما يكون الصائم بعد إمساك النهار.

٦- كوى الثوب:

لا يعرف العرب من الكي إلا إحراق الجلد بحديدة ونحوها للتداوي، وهم يقولون: "آخر الدواء الكي" ولكن المحدثين قد استعملوه في إمرار مكواة خاصة على الثوب ونحوه ليملاس.

* الدكتور إبراهيم بيومي مدكور: من الكلمات المعربة قديمًا كلمة الجندرة، وهي تسوية الثوب بأداة خاصة، ولكن هذه الجندرة لم تكن كيًّا بأداة ساخنة، كما هو المتبع اليوم في كى الثياب.

فووفق على كوي الثوب.

ثم تليت الألفاظ الآتية **وووفق عليها**، وهي:

٧- برر.

يقول العرب: برره بمعنى زكاه وطهره، والمحدثون يستعملونه بمعنى سوغه، فيقولون: برر فعله التمس له ما يجيزه، والغاية تبرر الواسطة.

٨-أغرض:

يقول المحدثون: أغرض فلان جعل في قوله أو فعله غرضًا يقصده فهو مغرض، والعرب يدلون بهذا المعنى على: إصابة الغرض، وبين المعنيين فرق ظاهر.

٩- العمارة:

العمارة مصدر عمر فلان الدار: بناها، والمحدثون يطلقون هذا الاسم مجازًا على: بناء ضخم للاستغلال، يتألف من طبقات وشقق.

١٠- الشقة:

من معاني الشقة في اللغة: القطعة المشقوقة، ونصف الشيء إذا شُقَّ، والمحدثون يريدون بها اليوم: المسكن الخاص من مساكن العمارة أو البيت.

١١- الوظيفة:

الوظيفة في اللغة: ما يقدر من عمل وطعام ورزق، والمحدثون يطلقونها على: المنصب والخدمة.

١٢- الدمغ والدمغة:

يقول الأولون: دمغه دمغًا: شجه حتى بلغت الشجة دماغه أي مخه. ودمغ الحق الباطل: أبطله ومحقه، وفي هذين المعنيين نجد مساغًا لقول المحدثين: دمغ الذهب والورقة

ونحوها، وسمها بسمة خاصة، تكون غائرة في المعدن وظاهرة على الورق، وهي تركية الأصل، فإما أن تخرج هذا التخريج، وإما أن تعرب.

* الأستاذ محمد فريد أبو حديد: يحسن ألا نتعرض لأصل كلمة (دمغة) ، وإنما نقول: إننا نعرها عن أصلها الأب.

* الدكتور عبد الحميد بدوي: لا بأس بذكر التشابه بين الكلمة الإفرنجية، وفعل "دمغ" العربية، فنقول: إن الدمغة تركية الأصل، وإن العرب استعملوا كلمة الدمغة لمعنى خاص هو الشجّ.

ثم تليت المصطلحات الآتية، فووفق عليها، وهي:

١٣- الكشف والكشافة:

كشف الشيء كشفًا: أظهره ورفع عنه ما يواريه. والكشف يطلق اليوم أيضًا على نظام رياضي يؤخذ به المراهقون جماعات، ليتعودوا الفتوة عن طريق التجوال والريادة. الواحد كشاف والجمع كشافة.

١٤- العلبة وعلّب:

العلبة:قدح ضخم من الجلد أو الخشب يحلب فيها، والمحدثون يطلقونها اليوم على وعاء من الخشب أو الورق أو الصفيح يوضع فيها الشيء.. وقد اشتقوا منها فعلاً، فقالوا: علب الفاكهة واللحم والسمك ونحوها، وضعها في العلب معقمة؛ لتدوم طويلاً.

١٥- قارن:

قارنه قرانًا ومقارنة: صاحبه واقترن به، ومنه قران الكواكب، وقران الزوجين. والمحدثون يريدون بالمقارنة الجمع بين شيئين، أو أكثر، لمقابلة بعضها ببعض، فيقولون: الفقه المقارن، أي الموازن بفقه آخر، لتظهر فيهما وجوه الاتفاق والاختلاف.

١٦- الموازنة والميزانية:

يريد المحدثون في البلاد العربية بالموازنة: معادلة الخرج والدخل في علم المالية، والمصريون يقولون: الموازنة.

١٧- الإيرادات والمصروفات:

يستعمل المحدثون على سبيل المجاز الإيرادات في الأموال الداخلة، والمصروفات: الأموال الخارجة: وإذا جازت المصروفات على أنها صفة لمحذوف وهو النقود، فلا تجوز الإيرادات على أي وجه، والأفضل أن يستبدل بهما الموارد والمصارف أو الدخل والخرج.

* الدكتور إبراهيم بيومي مدكور: لا يمكن أن نستغني عن كلمة الإيرادات، بعد أن شاعت واستقرت.

وبعد مناقشة تقرر تأجيل البت في هذه المادة.

ثم تلي المصطلحان الآتيان، **ووفق عليهما**، وهما:

١٨- الإمضاء:

الإمضاء: مصدر أمضي الأمر: أنفذه، وقد اصطلح المحدثون على أن يريدوا به أن يكتب الرجل بيده اسمه في ذيل كتاب أو عقد تنفيذًا له.

١٩- ابتكر:

ابتكر المصلي: أدرك الصلاة أو الخطبة. وابتكر: استولى على باكورة الشيء. . وابتكر الفاكهة: أكل باكورتها، والمحدثون يقولون: ابتكر الشيء.. أبدعه واخترعه على غير مثال. وقد رأينا أن الأصل في المادة الأولية والسبق والتقدم، والبكر أول كل شيء، وكل فعلة لم يتقدمها مثلها، فيجوز على هذا الاعتبار أن نتوسع في معنى الابتكار، حتى يشمل ما يريد المحدثون.

٢٠- العبيط:

العبيط لفظة أشاعها المحدثون في معنى المغفل الساذج، وأصلها الهبيت، وهو الجبان الذاهب العقل، والتحريف مقبول.

* الأستاذ محمد توفيق دياب: كلمة العبيط معناها في اللغة الدم الطري، فلعل المعنى العصري الشائع أخذ منه.

* الأستاذ محمد فريد أبو حديد: عندنا في اللغة كلمة الأبله مثلاً، وهي تقوم مقام العبيط، فلا داعي لتسجيل هذه الكلمة.

* الدكتور أحمد عمار: العبيط يقصد به الساذج لا الأبله.

* الأستاذ محمد توفيق دياب: يراد بالعبيط الرجل الذي تجوز عليه الغفلة، ويستطاع خداعه.

* الدكتور أحمد عمار: نحن نقول: فلان عظمه طري، أي أنه صغير لم يستحكم بعد، فالعبيط مقصود به أنه لم يبلغ الاستحكام والحنكة، وذلك مأخوذ من الدم العبيط أي الطري.

* الأستاذ محمد فريد أبو حديد: أظن أن الكلمة لا تستخدم إلا في مصر، ونحن لا نسجل الكلمات الخاصة، بل نسجل ما هو مظنة استخدام في الأمة العربية كلها.

* الأستاذ أحمد حسن الزيات: كلمة البلح مثلاً، بمعنى التمر لا تستخدم إلا في مصر، فهل نهملها ولا نسجلها؟

* الدكتور أحمد عمار: العبيط يقابل الناضج، فالرجل العبيط غير الناضج، وعلى هذا التخريج تكون الكلمة مقبولة في اللغة.

فووفق على كلمة العبيط.

ثم تليت المصطلحات الآتية، **ووفق عليها**، وهي:

٢١- الخطاب:

الخطاب ما يكلم به الرجل صاحبه، ونقيضه الجواب، والمحدثون يستعملونه مجازًا في الرسالة المكتوبة.

٢٢- سوَّد الرسالة وبيّضها:

يقول المحدثون: سوَّد الصحيفة، إذا كتبها بدوًا علي علاتها، وبيَّضها، إذا كتبها عودًا بعد تنقيح، والمجاز في الاستعمالين مقبول.

٢٣- عشَّق التروس:

يقول المحدثون: عشَّق ترسًا في ترس إذا أدخل أضراس أحدهما بين أضراس الآخر كما يفعل سائق السيارة حين أن تسير، ولا بأس من الاستعمال؛ لأن العشق مشتق من العشقة وهو اللبلاب؛ لأنه يلتوي على الشجرة ويلزمها.

٢٤- صلّب:

من قول المحدثين: صلّب المسيحي: رسم بالإشارة الصليب على صدره.

٢٥- مَوْسَق:

مَوْسَق: صنع الموسيقى على آلة من آلاتها، وموسق الكلام: جعله موسيقيًّا في حسن إيقاعه، وليس في اللغة هذا الحرف، وإنما اشتققناه من الموسيقى، كما اشتق العرب مَنْجَق، من المنجنيق، فقالوا: مَنْجَقَ الحجر: رماه به.

* الأستاذ زكي المهندس: **هذا الاشتقاق غريب**، ولم يجر به الاستعمال.

* الأستاذ محمد توفيق دياب: كلمة الموسيقى لا فعل لها في الإنجليزية، ولا داعي لهذا الاشتقاق في العربية.

فتقرر تأجيل النظر في هذه الكلمة.

ثم تليت المصطلحات الآتية، **ووفق عليها**، وهي:

٢٦- البُرْش:

البرش كلمة يطلقها المحدثون على نسيج من سعف النخيل يجلس عليه أو يعمل به.

٢٧- المضخة:

المضخة قصبة في جوفها خشبة يرمى بها الماء من الفم، وهي اسم آلة من ضخ الماء: نضحه. وقد أطلقها الكتاب على رافعة الماء الآلية وهي الطلمبة.

٢٨- الحنفية:

الحنفية في لغة المحدثين هي الصنبور، والحنفية أخف وأدق؛ لأن الصنبور فم القناة وقصبة في الإداوة يشرب منها، وثقب الحوض الذي يخرج منه الماء إذا غسل. وهذا المعاني على اختلافها لا يؤدي ما تؤديه الحنفية من المعنى الحديث.

ثم عرض ما يأتي:

٢٩- كشّ الثوب:

يقول المحدثون.. كش الثوب بعد الغسل: إذا تقبض وقلص، وهو الانكماش، ولا بأس بإجازة هذا الفعل لشيوعه.

* الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش: في اللغة يقال لتقبض الأفعى: (كشيش) .

* الدكتور أحمد عمار: وفي اللغة أيضًا: تكاشت الأفاعي.

* الأستاذ محمد فريد أبو حديد: ربما كانت هذه الكلمة خاصة بمصر، فإذا كان ذلك فيجب أن ننص عليه.

فووفق على كش الثوب.

ثم تليت الألفاظ الآتية، **ووفق عليها**، وهي:

٣٠- الشمسية:

الشمسية ما يقيك الشمس، والمظلة لا تؤدي معناها، لأنها تطلق على الكبير من الأخبية.

٣١- المطرية:

المطرية ما يقي المطر كالعالة، واستعمال الشمسية أو المظلة في هذا المعنى خطأ ظاهر.

٣٢- الظروف، بمعني الأحوال:

الظرف: الوعاء، وكل ما يستقر فيه غيره، ومنه ظروف الأمكنة والأزمنة. والمحدثون يطلقون الظروف على الأحوال أيضًا، فيقولون: إذا سمحت الظروف زرتك، وهو من باب المجاز العقلي في إسناد الفعل إلى زمانه أو مكانه.

٣٣- المَنْوَر:

المنور: الفتحة التي يدخل منها النور، وهي كالمنار والمنارة، ولكنه انفرد بمعنى محدد: وهو اسم مكان من نار، وكان القياس أن يقال: منار، ولكنهم قالوا: (بغاه الله ذات منور) أي ضربة أو رمية تنير فلا تخفى على أحد.

وهناك ألفاظ عربية كثيرة اتخذت ألوانًا جديدة من معاني الحضارة، وأصبحت في حكم المجمع عليه، فلا تحتاج إلا إلى تسجيل المجمع، **كالطائرة، والطيَّار، والمطار، والصحيفة، والمجلة، والصحافة، والإذاعة، والمحرر، والمخبر، والمصحح، والحملة الصحفية، والرقيب، والمندوب، والمديرية، والمدير، والمركز، والمأمور، والعمدة، والشيخ، والخفير، والمعاون، والمفتش، والخبير، والشهر، والتوثيق، والتسجيل، والشطب**. وقد قدمت جملة كبيرة منها إلى لجنة ألفاظ الحضارة.

* * *

كلمات شائعة في اللغة العامِّية لا وجود لها في اللغة العربية(*)

للأستاذ عبد القادر المغربي

(عضو المجمع)

للغة العامية جوانب مختلفة من البحوث. ومن طريفها أن العرب لم يورثونا ألفاظ لغتهم التي دونَّاها في معاجمنا فقط بل ورَّثونا أيضًا بعضًا من غرائزهم في تقريع الألفاظ وتشقيق بضعها من بعض. فقلدناهم في طريقتهم هذه من دون شعور منا.

فالعرب بنابل من سلائقهم، والأوضح أن نقول بسائق من غرائزهم، يضعون أو يرتجلون فعلا ثلاثيًا سالما كفعل (قطع) مثلا ثم جدهم يضعون أو يرتجلون بواسطة تلك العزيزة فعلاً ثلاثيا غير سالم بل هو مضاعف مشابه للأول (أي فعل قطع) في اللفظ والمعنى مشابهة تامة حينًا أو مقارنة حينًا آخر. فيقولون (قط) كما قالوا: (قطع) ومعنى (قط) هو معنى (قطع) حذفوا لام الفعل وشددوا عينه. فلم يسر فعلاً (قطع وقط) في طريق الاستعمال متدابرين، كفعلي (ضرب ونصر) مثلاً، بل متآخين متعانقين، وأي الفعلين المذكورين (قطع وقط) نطق به العرب أولا؟ أو هدوا إليه أولا؟.

لابد أن يكون وقع بين فقهاء اللغة خلاف في ذلك، شأنهم في معظم المسائل اللغوية غير أن الأظهر أن يكون (قطع) هو الأصل، لاعتبارات لا يسع المقام بسطها، أبينها أن تكون (قط) هي المختزلة من (قطع) تخفيفًا أو تسهيلا أو تفاديًا من طول الصيغة، وامتداد الصوت بها.

وعلى نمط (قطع وقط) جاءت أفعال كثيرة مدونة في معاجم اللغة، أسرد عليكم منها مامر ببالي عفوًا:

١- (**قطع**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (قط).

٢- (**زلق**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (زل) .

(*) محاضر جلسات الدورة التاسعة عشرة، الجلسة الثالثة للمؤتمر، في الأول من يناير سنة ١٩٥٣، وبعد المناقشة ووفق على إحالة البحث إلى لجنة الأصول لدراسته، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التاسع، ص ٩٧

٣- (**كدح**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (كد).

٤- (**بتر**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (بت).

٥- (**زحل**) استطالوها فاختزلوها وقالوا: (زح).

في كتب اللغة: زحل الرجل عن مكانه: تنحى، وزحه عن مكانه: إذا نحاه عنه.

٦- (**شخب**) استطالوها فاختزلوها وقالوا: (شخ).

(في كتب اللغة: هما أي (الشخب والشخ) (بمعنى واحد. ففي اللسان: الشخ: صوت اللبن إذا خرج من الضرع، وشخّ ببوله: مد به وصوت. وشخب اللبن وكل مائع: سال وجرى عند الحلب.

٧- (**مرق**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (مر).

٨- (**قمش**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (قم).

(في كتب اللغة: قمش: جمع القماش من هنا وهناك، والقماش: فتات الأشياء المنثورة على وجه الأرض.

و(قم) جمع القمامة بالمقمة أي المكنسة. قال الزمخشري: وينادى بمكة على المكانس: (المقامّ المقامّ)، بتشديد الميم.

٩- (**ألحف**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (ألح).

١٠- (**حدج**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (أحد).

(قال علماء اللغة: حدجه ببصره: إذا حدّق فيه النظر، ومنه قول بعض العقلاء: حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأحد إليه النظر: إذا بالغ النظر إليه.

١١- (**رصف**) استطالوها فاختزلوها، وقالوا: (رص).

في كتب اللغة: رصه: إذا ألصق بعضه ببعض، قال تعالى: ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ ورصف الحجارة في المسيل: ضم بعضها إلى بعض . مامر كله في الأفعال. ومثال الأسماء (الصرد: البرد). أرض صرد. يوم صرد وقالوا: (ريح صر). و(الشطء) للنهر، كالشاطئ. وقالوا (الشط) وجمعها شطوط (الحرح) للفرج، قالوا: (الحر) بتعويض

راء من الحاء، وهو الأصل كما يفهم من المصباح. قال: وقد يستعمل استعمال (يــد ودم) من غير تعويض.

هذا ما وسعنى التمثيل به في تحويل العرب للفعل السالم إلى فعل مضاعف اختزالاً وتخفيفًا. ولابد أن يصحب هذ التحويل أحيانًا شيء من تغيير وتبديل، كــأن يكــون الفعل لازمًا فيصبح متعديًا (كزحل) وزح. أو ثلاثيًا فيصبح رباعيًا (كحدج) وأحد، أو يكون معنى الفعل عامًّا، فيصبح خاصًّا كقطع وقط، الذى خصوه بالقطع العرضــي أو بقطع الشيء الصلب، وكمرق ومر، فقد خصُّوا المروق بما كان مــروره كالــسهم في السرعة. وقمش وقم، خصوا الأول بما جَلّ من الفتات، ولم يكن مستقذرًا بينما هــم يستعملون فعل (قم) فيما دقّ من الفتات واستقذر غالبًا. كفعل (كنس).

أتيت بهذا التفريق بين فعلي (قمش وقم) من عند نفسي، لما لاحظته في قــولهم قماش البيت، أي أمتعته المتفرقة فيه هنا وهناك. وهي غير مستقذرة. ومنه جاء استعمالنا لكلمة القماش، بمعنى الأثواب المنسوجة، لما أنها ستصبح قماشًا مبعثرًا في جنبات البيت. وهكذا نرى العرب يحدثون بعض التغيير في هذه الأفعال المضاعفة، التي حولوها مــن الفعل الثلاثي السالم.

وننتقل الآن إلى اللغة العامية أو اللهجة العامية(•). ونذكر طريقتــها في بعــض الأفعال السالمة والمضاعفة.

قلنا آنفا: ورثنا من أسلافنا العرب الأفعال المذكورة الأصلية السالمة. والفرعيــة المضاعفة، وهي قطع وقط، وبتر وبت، وكدح وكد... إلخ، وقد تكــرر نطقنــا بهــا واستعمالنا لها فأوحى لنا هذا التكرار والاستعمال الطويل طريقتهم أو غريزتهم فيمــا كان على مثالها من الأفعال، حتى إحداث التغيير والتبديل فيها.

هم قالوا: (زلق وكدح وقطع) ثم ساقتهم غريزتهم إلى استطالتها. فعدلوا عنــها إلى (زل وكد وقط).

(•) وعمدتي في ذلك لهجتنا الشامية. ولا أعلم ما هي اللهجة المصرية في هذه الألفاظ.

هذه الغريزة نفسها انتقلت إلينا من حيث لا نشعر، وجعلتنا نحن العامة نستطيل صيغ بعض الأفعال السالمة الفصيحة ونحوها إلى أفعال مضاعفة غير موروثة عنهم ولا يعرفونها طبق ما فعلوا، حتى إحداث التغيير والتبديل فيها.

استطلنا فعل (تفل) فاختزلناه، وقلنا: (تف)، كما قالوا هم: بتر وبت. فعل (تفل) هو الفصيح المدون. أما فعل تف الذي هو بمعنى (تفل) تمامًا، أي البصق الخفيف فدخيل مولد، ولدته الغريزة الموروثة المستقرة في طيات نفوسنا معشر الخالفين. ولا يمكننا أن نعرف أول من هدته سليقته إلى فعل (تف)، وإنما نعرف أن شخصية الأمة المعنوية الخالفة نطقت به، واهتدت إليه بغريزتها الموروثة عن أمة العرب السالفة.

وقد وقع لنا أربعة أفعال دخيلة من قبيل ما ذكرنا:

(١) (**تفل**) استطالها العامة، فاختزلوا منها (تف).

(٢) ومثل تفل وتف (**بصر به**) استطالها العامة، فاختزلوا منها (بص).

تستعمل (بص) اليوم بمعنى (نظر) إلى الشيء، ولا يوجد هذا المعنى لبص في اللغة الفصحى، وإنما معناه فيها (برق ولمع) تقول: نظرت في الظلمة عينًا تبص، أي تلمع، ولها بصيص أي لمعان.

(٣) (**قحب**) استطالها العامة، فاختزلوا منها (قح).

وفعل (قح) قد نكون ولدناه وحاكيناه به صوت السعال على أن فعل (قحب) نفسه قد يكون من محولات الصوت. أي من الأفعال التي حوكي فيها الصوت واستوحي منه. وهي كثيرة في اللغة،كفعل (رن) مثلاً، الذي قالوا:إنه محول من صوت.

(٤) (**طمر**) استطالها العامة، فاختزلوا منها (طم).

وفي كتب اللغة: طمر الشيء: دفنه وخباه تحت التراب، والمطامير حفر تحفر في الأرض تخبأ فيها الحبوب). وعامتنا تقول: (طم) الشيء بالمعنى نفسه. وليست (طم) في اللغة الفصحى بهذا المعنى أى معنى الطمر. وإنما تجئ بمعنى غمر الشيء بالماء، وبمعنى ملأ

الحفرة بالتراب ثم دكها وسواها. وطمت الجارية شعرها جزته. ومنه المطمومات؛ فطمَّ الشيء، بمعنى دفنه تحت التراب من لغة العامة، وهو محول من فعل طمر الفصيح.

هذه الأمثلة من الأفعال ومصادرها، أما مثال الاسم، فمنه قول العامة (نص) في (نصف) فالأفعال الأربعة: (تف وبص وقح وطم) والاسم الأخير أعني نصف ونص، من أعدل الشهود على أن العرب الخالفين، الذين نسميهم عامة وعوام ورثوا غريزة أسلافهم العرب، فنطقوا بتلك الأفعال الأربعة وبالاسم (نصف) بعد أن حولوها عن أصولها تخفيفًا. واستعملوها مطمئنين إلى حسن صنيعهم، واثقين من أنهم فيه إنما يجرون على مقياس قاس به أسلافهم.

ويحسن أن نعترف بأن لهذه الأفعال الأربعة المولدة ومثلها الاسم وهو (نص) من نصف مزية على سائر الألفاظ العامية الأخرى؛ لما أن تولدها أشبه بتولد كلمات اللغة الفصحى.

فلا غرو إذا عددناها وأمثالها من الفصيح، وأثبتنا لها حقًّا في الحياة وفي المعاجم اللغوية الجديدة، عملاً بالقاعدة المأثورة: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب.

ويشبه الإرث المذكور في مضاعف الفعل الثلاثي السالم إرث آخر، ورثنا طريقته من العرب ولهذا الإرث علاقة (بالثنائية) التي يدعو إليها العلامة الأب مرموجي. ذلك أن العرب يختزلون من الاسم الثلاثي اسما ثنائيًا بمعنى الأول بحذف حرف منه، فيقولون في(يدى) يد وفي (دمو) دم وفي (أبو) أب. ثم هم أي العرب في بعض لغاتهم أو قبائلهم يعودون (وكأنهم ندموا على ثلاثيتهم المطبوعة عليها لغتهم) فيعمدون إلى هذه الثنائيات: (يد) (دم) (أب) فيشددون أواخرها فتصبح ثلاثية كما كانت في أصل وضعها. ويقولون يد (لغة في اليد كما في التاج) ومثل له بقول الشاعر:

فجازوهم بما فعلوا إليكم ... مجازاة القدوم يدًّا بيدّ

ويقولون: دم بالتشديد (وهي لغة كما في مستدرك التاج) ويقولون: أب بالتشديد: (قال في المصباح: وفي لغة قليلة تشدد الباء عرضًا عن المحذوف).

هكذا كان يفعل العرب. وقد أخذنا نحن العرب المعاصرين في الديار الشامية- ولا أعلم ماذا يفعل المعاصرون المصريون - نحذو حذو أسلافنا ونقلدهم في طريقتهم المذكورة من حيث لا نشعر. فقلنا في (قحة) من الوقاحة (قحّة) بتشديد الحاء. وفي (جعة) التي أصلها (جعو) (جعّة) بالتشديد أيضًا، كأن سليقتنا تأبى إلا الثلاثية، كما كانت تأبى ذلك سليقة أسلافنا في بعض ألفاظ لغتهم.

وفي اللهجات العامية أسرار أخر ينبغي تتبعها ولا يحسن إغفالها.

* * *

التضحية بمَعْنَيَيها الفصيح وَالعامي(*)

للأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

(عضو المجمع)

سئلت عن قولهم: لابد من **التضحية** في سبيل الوطن حتى نبلغ المراد من سلامته واستقلاله، وعن قولهم أيضا: "**ضحى** فلان مصلحته في سبيل مصالح بلده أو في سبيل فلان، فكانت نتيجة تضحيته كذا وكذا "، هل يكون هذا التعبير بالتضحية أو هذا الاستعمال من فصيح الكلام أو من عاميه و مبتذله؟

التضحية في فصيح كلام العرب: مصدر ضحّى فلان تضحية، إذا ذبح بهيمة من بهائم الأنعام، تقربًا إلى الله في وقت الضحوة من أيام عيد الأضحى، وهذا العيد هو المشهور على ألسنة العامة باسم (العيد الكبير) وتسمى البهيمة المذبوحة أضحية، فمعنى ضحوة النهار داخل في مفهوم التضحية.

وقد كثر استعمال فعل ضحى والتسامح فيه، إلى حد أنه إذا ذبح المسلم ضحيته في غير وقت الضحوة عند غروب الشمس أو في الليل مثلاً قيل: إنه ضحّى أضحيته أو بأضحيته تضحية.

ضحّوا بأشمط عنوان السجود به   يقطع الليل تسبيحًا وقرآنا

ثم وقف الاستعمال لفعل (ضحّى) عند هذا الحد في فصيح كلام العرب، حتى إذا ذبح بهيمته في غير أيام العيد لا يُسمّى فعله تضحية، ولا يقال: إنه ضحّى، ولا تسمى بهيمته ضحية أو أضحية، وإنما يقال: إنه ذبح قربانه أو بهيمته أو تقرب إلى الله بذبح قربانه أو بهيمته، هذا ما تقرر في كتب اللغة بشأن استعمال فعل "ضحَّى تضحية" منذ القدم.

أما اليوم فقد أصبحنا نقول: ضحّى فلان مصلحته في سبيل كذا. ويحض الخطيب الوطني قومه على إنقاذ وطنهم من المستعمر قائلا: التضحية، التضحية، أيها

(*) انظر الجلسة الخامسة لمؤتمر الدورة الثانية والعشرين، في ٢ من يناير سنة ١٩٥٦، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الثاني عشر، ص ٤٧.

المواطنون، ويريدون من ذلك كله أن يبذل المواطن من نفسه أو ماله أو مجهوده ما لا يرجع عليه بفائدة عائدة إلى شخصه.

وإنما تكون الفائدة من بذل ما يبذل عائدة على غيره من وطن أو بلد أو شخص مستحق للمساعدة والإرفاد. وتصحيح هذا الاستعمال في فعل "ضحى تضحية" يتم على هذا الشكل، ذلك أن العرب يقولون: نضحّى فلان: إذا ذبح بهيمته ضحوة العيد، فأصبحنا نقول: إن فلانًا ضحّى بثروته أيام الثورة الوطنية. فالإنفاق سميناه أو استعرنا له اسم تضحية، والثروة سميناها ضحية، وأيام إنفاقها وقت الثورة الوطنية اعتبرناها بمثابة الأيام الثلاثة الأولى من عيد الأضحى.

وهذا التجوز في فعل ضحى، إنما سرى إلينا من كثرة رطانتنا باللغة الفرنسية ومن استماعنا إلى قولهم فيه (Sacrifier – Sacrifice) بمعنى ذبح وقرب لله ذبيحة أو قربانًا، ثم نقله الفرنسيون إلى معنى البذل في سبيل الوطن والمصالح الكبرى ونحوها.

ولا جرم أن التعبير "بضحّى" تعبير ديني مسيحي محض، تأثر به الفرنسيون من الكتب المقدسة التي يقال فيها: ذبح الكاهن القربان أو الذبيحة في المذبح أو على المذبح. فما يبذله الفرنسي من ماله أو مجهوده شبهه بالضحية التي يتقرب بها الكاهن إلى خالقه. وأصل التقرب بالضحايا والقرابين وذبحها أو حرقها في المحارق إنما هو من تعاليم التوراة وطقوس الإسرائيليين القديمة.

ولما قام قائم النهضة العلمية في أواسط القرن الماضي في سورية ولبنان، وكان من أكبر دعائمها الترجمة من اللغات الأوربية وخاصة الفرنسية، وكان السابق إلى دعم هذه النهضة أو المتولي زعامتها هم المتعلمين من المواطنين النصارى، أخذ هؤلاء يترجمون المصنفات الأوربية ويتبارون في إتقان الترجمة بالتوفيق بين اصطلاحات اللغتين، اللغة العربية المترجم إليها، واللغة الأجنبية المترجم منها.

فجميع ما دخل إلى لغتنا العربية في مدى السنين الأخيرة من الألفاظ و الأساليب الإفرنجية إنما كان دخوله من باب الترجمة و المترجمين المذكورين، والألفاظ المترجمة المفردة لا تعد ولا تحصى.

أما الأساليب المترجمة، فقد أحصيت معظمها في مقال لي بعنوان: "تعريب الأساليب"[١] نشر في أول جزء من مجلة المجمع (ص ٣٣٢). وقد عقدت في المقال المذكور فصلاً خاصًّا بالأساليب الدينية المعربة فعددت منها "ضحّاه على مذبح أغراضه" و"ذهب فلان ضحية حريته الدينية" ومنها "اعتنق فلان الدين الفلاني" و"حرق بخور الثناء بين يدي مستعمز بلاده "و" بشر بدينه في بلاد كذا" ... إلخ

وخلاصة القول أن تعبير "ضحّى فلان في سبيل كذا، ولابد من التضحية في سبيل كذا " أسلوب دخيل، ولا مانع يمنع من قبوله في لغتنا العربية، فإن العمل قد جرى عليه، أي على إدخال الأساليب الأعجمية منذ فجر الإسلام. وربما كان أول من قال به و تجرأ عليه "عبد الحميد الكاتب" في العهد الأموي. وطريقة إرجاع تعبير "التضحية" "إلى لغتنا الفصيحة أن يقال: إنه مجاز. فقولنا ضحّى فلان ماله في سبيل بلاده، بمعنى أن ماله أهلكه لينجو وطنه من الاستعباد، كما يهلك المؤمن بهيمته لينجي نفسه من العقوبة الإلهية. وبدل أن نقول: أهلك ماله، نقول: ضحّاه، كما تضحّى البهيمة، فالبهيمة هلكت في سبيل الخلاص الديني، و المال هلك في سبيل الخلاص الوطني.

ولكن إذا جاز استعمال فعل (التضحية) لغة، هل يجوز فصاحة، وبلاغة، وتحرّيًا للعروبة في التعبير؟ أحسب أنه لا يجوز، و أنصح للكاتب العربي الحريص على عروبة لسانه وقلمه أن يتجنب هذا التعبير ما أمكن، مع اعترافي بأن هذا التجنب أصبح عسيرًا جدًّا بعد أن تمكنت كلمة "التضحية" وتبوأت المكان الأرفع من كلّ لسان. و لم ينج من استظراف استعمالها إنسان، حتى ولا أمراء الفصاحة و البيان. وهذا الشاعر اللبق المشهور بلقب "الشاعر القروي" وهو الأستاذ "رشيد الخوري" من شعرائنا في المهجر، ذم الشحَّ و الأشحاء، كما ذم "أبو الطيب المتنبي" البخيل جامع النقود والسِّيئ الظن بالرب المعبود في قوله:

---

(١) لم أرد أن أدخل بحوث "التعريب" ضمن هذا الكتاب باعتبارها موضوعًا مستقلا (المعدّ)

ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقرٍ فالذي صنع الفقرُ

فقال الشاعر القروي:

إن الأشحَّاء أسخى الناس تضحية   إذ طالما نفعوا الدنيا وما انتفعوا
لم يمنعوا الناس يومًا بعض ما جمعوا   إلا لكي يمنحوهم كل ما جمعوا

وقد أحسن في ابتكار هذا المعنى في ذم البخل كما أحسن المتنبي، ولكن ما ضره لو قال مكان "إن الأشحاء أسخى الناس تضحية" "إن الأشحاء أسخى العالمين يدًا" أو "إن الأشحاء أسخى الناس بذل يد".

و أكرر القول بأنني لا أمنع استعمال "التضحية" من حيث قواعد اللغة ومجازاتها، و إنما أمنعها من حيث قواعد فصاحتها وبلاغتها وأنصح لمن أراد أن يكون منثـــوره أو منظومه منقحًا صحيح العروبة أن يعدل عنها إلى غيرها، وليس هذا على الكاتب القدير بعسير. والسّلام.

* * *

المولد والعامي
في علوم الزراعة والمواليد(*)

للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي
(عضو المجمع)

يطيب لي أن أحمل من دمشق إلى القاهرة تحية السوري إلى شقيقه المصري، بل تحية العربي إلى أخيه العربي. أعز الله لغة القرآن بجهد أدباء مصر وعلمائها الأعلام وأعز أرض الكنانة، بل الوطن العربي كله، بجهد المخلصين البررة من أبناء مصر العزيزة، رئيسًا وحكومة وشعبًا.

وبعد. . فلقد كثر الكلام فى القديم والحديث، على ما سموه ألفاظًا مولدة وألفاظًا عامية، وعلى ما يجوز ومالا يجوز استعماله منها.

ومن المتعارف أن ما يسمى كلام المولدين هو الألفاظ التي لم يضعها أو لم يصطلح عليها عرب الجاهلية وصدر الإسلام، أي أنها تلك التي استعملت بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة العرب، وهي آلاف مؤلفة من الكلمات، لم تذكر المعجمات أكثرها أو ذكرت بعضها، ولكنها خصته بقولها هذا كلام مولد أو كلام عامي، أو بقولها: هذه لغة مصرية أو شامية أو مثل ذلك.

وقد كان هذا المجمع الموقر اتخذ قرارًا قال فيه: المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب، وهو قسمان: قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز، أو اشتقاق أو نحوهما، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك، وحكمه أنه عربي سائغ.

(*) عرض في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر في الدورة الثالثة والعشرين، في ٢٨ من يناير سنة ١٩٥٧، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الثالث عشر، ص ٩١.

وقسم خرجوا فيه عن أقسية كلام العرب، إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب. وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره (قرار التعريب)، وإما بتحريف في اللفظ، أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح، وإما بوضع اللفظ ارتجالاً. والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام. انتهى.

ويرى الزملاء الأعلام أن المهم في هذا الموضوع إنما هو تمييز ألفاظ القسم الأول التي أجاز المجمع استعمالها من ألفاظ القسم الثاني، التي لم يجز استعمالها في فصيح الكلام فالمتشددون من كتاب العربية في القديم والحديث يتحاشون استعمال جميع الكلمات المولدة والعامية، إيثارً اللسلامة، وذهابًا إلى أن فصحاء العرب لم ينطقوا بها وبذلك تخسر لغتنا الضادية ثروة من الألفاظ الحسنة. أما المتساهلون فقد يستعملون من المولد ألفاظًا سائغة، وقد يستعملون أيضًا ألفاظًا لا وجه لها ألبتة، ويكون في تساهلهم هذا مجال واسع للأخذ والرد.

وهاكم بعض الأمثلة على ذلك:

فكلمة "**الغراسة**" أي صناعة غرس الشجر لم ترد في المعجمات في مادة غرس. بل وردت عفوًا في التاج واللسان في الكلام على مادة "خرج" واستعملت في جميع الكتب الزراعية القديمة، وهي مصدر على وزن فعالة، صيغت قياسيًا من الفعل الثلاثي غرس. وليس فيها تحريف في اللفظ ولا في الدلالة، فهي إذن من الألفاظ التي سوغ المجمع استعمالها في القسم الأول من كلامه على المولد.

وعلى الرغم من ذلك كنت قرأت لأحد الكتاب مقالاً ينكر فيه استعمال مصدر "الغراسة" لأنه لم يذكر في المعجمات، حتى لكأن هذه المعجمات قد اشتملت على جميع ما في لساننا من كلم.

ومن المصادر التي يستعملها الفلاحون الشاميون بمعنى القطع والتقليم والتقضيب مصدر "**الزبارة**"، فهم يستعملونه على الأخص في تقليم الكروم فيقولون: نحن ذاهبون إلى "الزبارة" وقد زبرت كرمي. وعدم ورود هذا الفعل في المعجمات ليس دليلاً على

وجوب إطراحه ما دام جامعًا لثلاث صفات: صحة القياس، وشيوعه في قطر عـــربي، وووروده في كتب قديمة يعتد بها، كمفردات ابن البيطار " مادة قفر اليهود " وكتـــاب الفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا. وكتاب نفح الطيب " كلام الغـــزال ج٧ ص٣٧٢ " وغيرها.

وهاكم كلمة **"باقة"** فأنتم تعلمون أنها في كتب اللغة للبقل، وأن الطاقة للزهر. ولكنني وجدت الباقة مضافة إلى الزهر في كثير من الكتب القديمة ولاسيما في الأغـــاني وفي نهاية الأرب. وكلمة B ouquct الفرنسية لها مدلول الطاقة والباقة جميعًا، والتمييـــز في لساننا حسن، ولكن هل من الضروري يا ترى أن نتشدد في إتباع نص المعجمـــات على الرغم من شيوع الباقة لحزمة الزهر، أم من الأصلح تضمينها أيضًا هذا المعنى؟

وهناك أسماء أعيان كثيرة تنطق بها العامة ولا ذكرلها في المعجمـــات ولكنـــها ذكرت في كتب الزراعة والنبات والمفردات الطبية القديمة فمعظم هذه الأسماء جدير بأن يقره المجمع، ولاسيما عندما يكون ساريًا على الألسنة، ففي أحراج سورية ولبنان مثلاً شجر اسمه **"الشوح"** واسمه العلمى تنوب قيليقية، وكلمة "شوح" هذه شائعة في قطرنا، ولا وجود لها في معاجمنا ولكنها موجودة في مخطوطات يرجع عهدها إلى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي.

وفي أحراجنا أيضًا نوع من البلوط اسمه **"الملول"** نراه إلى جانب نوع ثان اسمـــه **"السنديان"** فإذا رجعنا إلى القاموس المحيط نجد فيه ذكرًا للسنديان، ولا نجـــد ذكـــرًا للملول، فهل تفسير ذلك عند المتشددين أنه يجوز لنا اســـتعمال الاســـم الأول، لأن الفيروزابادى عرفه أو نقله عن الفارسية، ولا يجوز استعمال الاسم الثاني على الرغم من اشتهاره لأنه معدود عندهم من كلام العامة؟

وثمت أسماء أعيان عديدة تبدل اليوم مدلولها. ولابد لنا من تـــضمينها المعـــاني الجديدة مثالها كلمة **"الفلّ" فهي** تطلق في المعجمات، وفي كتب المفردات القديمة على نبات طبِّى لا صلة له بالنبات المشهور الذي يسمى علميًا باسم **"اليـــاسمين الزنبقـــي"**،

وهو تلك الأزهار البيض التي يجعلها زهارو القاهرة عقودًا جميلة تستهوي الحسان، مثلما تستهوينا مناداة الزهريين لها بقولهم: "فلّ يا فلّ" فالدلالة الحديثة لهذه الكلمة لم يذكرها إلا الزبيدي في مستدرك التاج، والخفاجي في شفاء الغليل. فهلا يكون من واجبنا تضمين كلمة "الفل" هذا المعنى المشهور، وأن ندع أطباءنا الأعلام يفتشون عن عقارهم القديم في مظانه؟

ومثل **"الفل"** و**"الفلفل"** في مصر، و**"الفليفلة"** في الشام، و**"القيقب"** و**"الأزادرحت"** و**"الزيرفون"** وغيرها، فكلها أسماء تبدلت مدلولاتها في أيامنا هذه عن مدلولاتها في المعجمات.

ومن أسماء النباتات الشائعة التي لم تذكرها المعجمات، ولكنها وردت في كتب قديمة أو حديثة **"البامية"** المشهورة، و**"التيل"** وهو نباتيًا نوع من جنس الخطمى، و**"الفتنة"** تطلق على نوع من السنط، والدفران، وهي كلمة سريانية تطلق على عرعر الشام، و**"العذر"** وهي شامية يطلقونها على نوع من البلوط مشهور في أحراج اللاذقية وجبل العلويين.

أما النباتات والحيوانات المشهورة التي مهدها أمريكة، أي لاذكر لها في معاجمنا فعددها كبير: **كالتبغ و"البطاطس"** و**"البطاطة الحلوة"** **والبنادورة "القوطة والطماطم" والذرة الصفراء "الذرة الشامية"** و**"الونيلية"** و**"الكاكاو والجوافة"** **والديك الرومي "أو الحبشي أو الهندي"** واللامة ...الخ. فكلها تحتاج إلى تثبيت في معاجمنا الحديثة.

وأما نباتات العالم القديم المشهور التي جهلها أجدادنا و لم يذكروها في معجماتهم ولا في كتبهم العلمية، فعددها أكبر من النباتات التي مهدها أمريكة، ومنها: المندرين "وليمون الجنة" جريب فروت " **والشاي**" و**"الكاكي"** و**"القشدة"** و"الفول **السوداني**" (ويسمى **فستق العبيد** في الشام) و"الأوكالبتوس" والكيناوتوت الأرض (**فراولة**) وزعرور اليابان (**بشملة** في مصر **وإيكي دنيا** في الشام) . الخ.

و"**الشادوف**" أداة للسقي، تستعمل في مصر منذ أيام الفراعنة الأول. وقد نقلت كلمة الشادوف هذه إلى الفرنسية، وأثبتت في معجماتها على حين أن معجماتنا خالية منها.

وكذلك "**الساقية**" تطلق في مصر على ضرب من الدواليب يستعمل في رفع الماء. فقد اقتبس الفرنسيون هذا الاسم وضموه إلى لسانهم. وأثبتوه في معجماتهم على حين أننا نعده بهذا المعنى من ألفاظ العامة.

وإذا انتقلنا إلى ألفاظ المعاني المشهورة، نجد منها لدى العامة عددا لايستهان به. وليس كل هذه الألفاظ مرذولاً يجب تجنبه - ولو كان الأمر كذلك لما عاش بعضها قرونًا، ولما ورد ذكرها في كتب قديمة أصحابها معروفون بسلامة لغتهم. فابن العديد مثلاً استعمل في تاريخ حلب كلمة "النصبة" بمعنى الغرسة، و"القسطل" بمعنى الأنبوب المعدني، وكلاهما مشهور بمعناه في أيامنا هذه. واستعمل عبد اللطيف البغدادي في كتاب " الإفادة والاعتبار " كلمة "**فسخ**"، وابن العوام الأشبيلي كلمة "**ملخ**"، وجمعاهما على فسوخ وملوخ، وأطلقاهما على المفسوخات والمملوخات، أي الأغصان الحشيشية التي برزت لها جذور، فهي تفصل عن نباتاتها، ويزرع كمفسوخات الحرشف و"الخرشوف" وكثير من نباتات "التزيين" والفلاحون يسمون واحدها فسخة وملخة.

ومن الألفاظ المشهورة في مصر والشام، "**الشتل**" و"**الشتلة**" تطلقان فيهما على الغرس والغرسة، ولاسيما على ما يزرع منها في الأصص أو في المستنبتات، ثم ينقل إلى مستقره في البستان أو الحديقة أو المبقلة. وقد اشتقوا من فعل "شتل" اسم مكان هو "المشتل" يطلقونه على المنبت والمستنبت، فالشتل سريانية وعندي أدلة على أنها قديمة في مصر ولاسيما في الشام.

هذه كلمات جئت بها على سبيل التمثيل، وعندي مثلها مئات. ومن الواضح أنهاتختلف عن الكلمات العامية الأعجمية أو المحرفة في لفظها أو في دلالتها، وهي التي لا يمكن فيها التخريج على وجه صحيح، كقول القدماء: "**سنجقدار**" و"**طبردار**"

و"**شاهنشاه**". وقول المعاصرين: **باشمهندس، وحكيمباشي، وياور، وأجزاجي، ويوزباشي، وجفتلك**، وأشباه هذه الألفاظ، التي يمكن إبدال كلمات عربية منها بلا مشقة.

والزملاء الأفاضل أعرف الناس بأن الحاجة ماسة إلى نخل الألفاظ المولدة والعامية (ولاسيما تلك التي جمعها دوزى في معجمه) وإلى عرض نخيلها على المجمع الموقر، ليقر الصالح من تلك الألفاظ، فلا يجد الكتاب حرجًا في استعمالها، سواء أكانوا من المتشددين أم كانوا من المتساهلين.

وهذا العمل شاق. ولكنه لا يستعصى على جهابذة العلم واللغة في أرض الكنانة التي طالما أنبتت علماء أثباتا، عزتٌ بهم لغة القرآن.

* * *

في لغة الحياة العامة(*)

للأستاذ محمود تيمور
(عضو المجمع)

١- في هذه الحقبة التي أتاحت للبلاد العربية نهضة شاملة في مختلف المرافق العلمية والاقتصادية والاجتماعية، ثارت مشكلة في اللغة عويصة حول المدلولات الجديدة في المعاني والأشياء والأدوات، فدارت المساجلات بين الباحثين والكتاب ممن يتحنثون وممن يترخصون، بينهم من يقول بالتعريب ويعول عليه، وبينهم من يأبى إلا أن نتخذ من الفصحى مواضعات تقابل الدخيل، وبينهم من يقف من الخلاف موقفًا وسطًا، فيطالب بالمحاولة والمعالجة، ويجيز التعريب إذا ألحت الضرورة وانقطع الجهد.

ولم تتفق الآراء، ولم تلتق وجهات النظر، وبقيت المشكلة تتنازعها أقلام الباحثين والكتاب، وهي على حالها من التعقد والاستعصاء.

ولكن مجريات الحياة لا تقف حتى تجد من الآراء المتعارضة وفاقًا، ومن وجهات النظر المتخالفة تلاقيًا، فقد اختطت لها في علاج تلك المشكلة خطة عملية فعالة تفرض نفسها في غير ما جلبة ولا ضجيج، وما أقدر الزمن في سيره على حل المشكلات.

٢- لقد شهدنا أساتذة العلوم والفنون، وأرباب الحرف والصناعات، يسعون سعيهم الحثيث لتأسيس لغة يتوحد فيها التعبير والاصطلاح. وهم يستعينون بالفصحى ويؤثرنها في أغلب ما يتخذون من تعبيرات وما يقرون من مصطلحات.

في كل مؤتمر علمي يعقده أهل الاختصاص، يبرز موضوع المصطلحات للدرس والبحث وينتهي فيه الرأي إلى الإجماع على إعلاء الكلمة العربية على مقابلها الدخيل.

بل نكاد في كل كتاب علمي يؤلف، مظهرًا من العناية بمصطلحاته، يتجلى فيه الجنوح إلى الإفصاح.

(*) عرض هذا البحث في الجلسة الثالثة لمؤتمر الدورة الثالثة والعشرين، في ٤من فبراير سنة ١٩٥٧م، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء الثالث عشر، ص ٩٥.

٣- وثمة في الميدان الأكبر، ميدان الحياة العامة، في غير معاهد العلم وأندية الدرس يلاحظ الناقد اللغوي ما يستبين من عزوف عن الكلمات الأجنبية، ومن خلق لكلمات عربية تقوم مقامها في الأداء.

والصحافة خير مرآة لهذا التطور في المستوى اللغوي العام، فيها يطالع المرء هذا الصراع الناشب بين الألفاظ الدخيلة وما يقترح لها من بديل عربي.

وفي المصالح والمرافق الحكومية، يأنس الناقد اللغوي روحًا قويًا من الرغبة في تقديم كلمات فصيحة، لا تلبث أن تألفها الألسن، وأن تشيعها في الأسباب الدائرة بين الناس.

كذلك لا يفوت الناقد اللغوي أن المؤسسات الحرة، والمتاجر الشعبية، والأسواق العامة، أصبحت تتلقف المصطلحات الفنية الفصيحة في تسمية ما يتصل بها من الأشياء، بل لقد أصبحت تطاوع ذلك التطور اللغوي الملحوظ إلى أبعد مدى وتستجيب لمطالب الذوق الرفيع في التعبير.

في ميادين "القاهرة" وشوارعها، يتطلع المرء إلى اللافتات على جبين المتاجر والمحلات فيصادف الطريف من التسميات، والرشيق من العبارات.. فهنا محل "**للمانيفاتورا والخردوات**" يسمي نفسه: بيت الزينة، وهنا محل لأدوات "**الأسبور**" يسمي نفسه: بيت الرياضة - وذلك محل لبيع الفاكهة يسمي نفسه: جنة الفواكه، وآخر لصنع المفاتيح يسمي نفسه: عالم المفاتيح ... إلى غير ذلك من أسماء يتفنن في وضعها واختيارها التجار والعارضون.

٤- ومن أطرف ما يحضرني في هذا الصدد، مصداقًا لشعور الجمهور نحو التعبير الجميل والبيان الخلاب. أنه قد أذيع في وقت من الأوقات أن " البرسيم " مفيد للصحة، وأن عصارته تحوي من عناصر التغذية مالا غناء عنه، فزين هذا لبعض محلات العصير أن تقدم كئوسًا من عصارة " البرسيم " مخلوطة بغيرها من ألوان العصارات، وإذا كلمة تنجم للتعبير عن هذا العصير البرسيمي الجديد. كأنما أريد بها تحليته وتحبيبه إلى الناس،

وإذا الكلمة شعرية فيها جمال وخيال، تلك هي: "**شراب الربيع**" فقرأناها على اللافتات اسمًا لعصارة "البرسيم".

٥- ومنذ عهد بعيد ونحن نبحث عن كلمة عربية تقوم مقام كلمة (**برافان**)، وفى أيام الاستفتاء على الدستور، وعلى رياسة الجمهورية، - هذا العام - قرأت في الإعلانات المبسوطة للشعب في مراكز الشرطة كلمة "ساتر" وبجانبها رسم (برافان) مع بيان إلى الناخبين بأن يسجلوا رأيهم وراء هذا "الساتر"، حتى لا يبصرهم أحد .... وبذلك أصبحت كلمة "الساتر" في معنى (البرافان) كلمة ديوانية شائعة.

٦- ولقد ظلت كلمة (**الطابور**) تؤدي معنى خاصًّا هو اصطفاف جمع من الناس واحدًا خلف واحد. (فالطابور) هو الصف الرأسي، ولكن لفظه غير عربي، ولا يكاد الكاتب يجد له مقابلاً عربيًا شائعًا في الكتابة، بيد أن العسكريين قبلوا ما أشار به عليهم اللغويون من تسمية (الطابور) بـ"**القطار**"، وقد سمع الموظفون وغيرهم من الجماهير كلمة القطار تدور على ألسنة المعلمين العسكريين في تدريبات المقاومة الشعبية، تلك التدريبات التي نظمت أثناء العدوان على مصر هذا العام، فكان المعلم من جنود الجيش يقول لطلاب التدريب: نظموا أنفسكم صفوفًا، إذا أراد أن يكون وقوفهم عرضًا صفًّا بعد صف، ويقول لهم المدرب: نظموا أنفسكم قطارات، إذا أراد أن يكون وقوفهم واحدًا بعد واحد، قطارًا بجانب قطار. وهكذا احتلت كلمة القطار محل كلمة (الطابور) في لغة الجيش و لم يعد لتلك الكلمة الأجنبية في التشكيلات العسكرية وجود.

٧- وأذكر اسم (**وابور الزلط**) الذي ثقل علينا لفظه، فقد شهدته في بعض الطرقات وهو يحمل على جانبه اسمًا عربيًّا وضعته له المصلحة الحكومية التابع لها، وهي: "مصلحة الهراسات" وإذن فهو "**الهراس**" ونحن لا ندري.وكان مجمعنا اللغوي قد أطلق عليه من قبل اسمًا دقيقًا، له في قديم اللغة مكان، ذلك هو: "**المرداس**" والاسم المجمعي أولى، لأن الردس هو تسوية الأرض ودكها، فأما الهرس فهو الكسر والدق، وهذه الآلة

مهمتها الكبرى - فيما نرى - أن تسوى وتدك، لا أن تكسر وتدق، ولكن المجاز يقبل مثل هذا التوسع، ومهما يكن من أمر، فقد نهضت كلمة عربية تحل محل (وابور الزلط) فيها ملامح المعنى المقصود، وإن لم تبلغ من الدقة ما رعاه المجمع حين اختار كلمة المرداس.

٨ - وفي إحدى السيارات العامة - بالقاهرة - لمحت قطعة معدنية تزين صدر العامل، الذي يتولى قبض الأجور من الركاب، وقد حفرت عليها كلمة "محصّل" ... فهذه الكلمة قد آثرتها شركة السيارات على الكلمة الأجنبية التي عاشت حقبة من الدهر، وهى كلمة (**كمساري**) ... وقد كنت اقترحت كلمة "**التذكري**" واستعملتها لتقوم مقامها، ولكن يبدو أن كلمة "محصل" هي التي ستتغلب على كلمة (كمساري) غير مأسوف عليها، وعلى كلمة "تذكري" أيضًا مأسوفًا على شبابها الغض.

٩ - وفى العهود المواضي كانت كلمة (**الموسى**) شائعة في تسمية الأداة التي يستعملها الحلاقون المحترفون، فلما اتخذت هذه الأدوات الصغيرة التي يستعملها الناس بأنفسهم للحلاقة، وأراد التجار أن يسموا مواسيها في إعلاناتهم التجارية، لم يطب لهم أن يستعملوا كلمة (الموسى) حتى لا تلتبس بالموسى المعروفة عند أولئك الحلاقين المحترفين، ونجمت كلمة جديدة في تسمية هذه الأداة الصغيرة الجديدة، وهى: "**شفرة الحلاقة**" لتمتاز بها عن موسى الحلاق، وفى اختيار تلك الكلمة ذوق مقبول.

١٠- وفي خلال المناقشات السياسة الدولية حول مشكلة القناة، كتب قارئ إلى إحدى الصحف اليومية يأخذ عليها أنها تردد لفظ (**الفيتو**) الذي يستخدم أحيانًا حين أخذ الرأي في قرارات مجلس الأمن، وهذا القارئ يعيب على الصحف أنها تفرض في قرائها المعرفة بمدلولات الكلمات الأجنبية، ويرغب إليها في أن تستبدل بها كلمة عربية مفهومة ... وفي ذلك النقد والمؤاخذة برهان على أن القارئ العربي لم يعد يرضى بغير الكلمات العربية التي تثير في الذهن دلالات من قريب أو من بعيد. ولو أننا أخذنا كلمة "**النقض**" التي أراها معبرة عن معني (الفيتو) لاستطاع قارئ العربية أن يفهم منها مدلول

الاعتراض أو الرفض، أو الرد، أو ما يتصل بهذا المعنى. وهي على أية حال ليست كالكلمة الأجنبية مغلقة المعنى، طامسة المدلول، يشيع انغلاقها وانطماسها ضيقًا في النفوس، وحيرة في الأذهان.

١١ - وفي أثناء الأحداث القريبة، كانت البلاد المختلفة في الشرق والغرب تتخذ من الإجراءات التموينية ما تقتضيه الأحوال، فقرأت ثلاثة تعبيرات لمعنى واحد، هو نظام التوزيع المحدد لبعض مواد التموين، وقد سمي في "مصر": "نظام البطاقات"، وسمته إحدى الإذاعات الأجنبية، "نظام الجرايات"، وأطلقت عليه إحدى الصحف العربية: "نظام المخصصات". ويستبين في هذا التخالف في التسمية ما يشبه التقاتل في سبيل تسويد كلمة عربية ملائمة تؤدى هذا المعنى الجديد في لغة الحياة.

١٢ - وشبيه بهذا ما يجري حول كلمة (**الفيزا**) أو الإذن بالخروج من بلد إلى بلد، ففي "مصر" شاعت لهذا المعنى كلمة: (**التأشيرة**)، وكنت قد اقترحت له كلمة "**الوسمة**" منذ فترة غير بعيدة، فما راعني وأنا في مفوضية الأمن العام في"بيروت" إلا أن أسمع أحد الضباط يردد كلمة "الوسمة" معبرًا بها عن "الفيزا" أو "التأشيرة" ولم يكن في حسباني أنها مستعملة في ذلك البلد العربي، ولا توقعت أن تستعمل في زمن وشيك.

١٣ - ومما يتصل بهذا أيضًا أن مصريًا يحمل لقب (**أميرالاي**) سافر إلى بلد عربي، فلما ذكر هذا اللقب لمن عند الحدود من الحرس، لم يفهموا ماذا يعني، إذ كان غير مرتد حلته الرسمية، ولم ينج من الموقف الحرج إلا حين تطوع أحد الناس بالشرح، فقال: إنه "**عقيد**"، فما إن علم الحرس بمعنى اللقب حتى رحبوا بصاحبه، ويسروا له مهمته، وزالت بينه وبينهم وحشة كان مردها إلى الكلمة الأجنبية "أميرالاي".

١٤ - وفي صحف لبنان قرأت إعلانًا يبشر فيه صاحبه بوصول كميات من الزجاجات العازلة، وقد أوضح معناها بذكر كلمة "**ترمس**" بين قوسين، فقد عز على هذا التاجر أن يطالع القراء العرب بالكلمة الأجنبية وحدها دون مقابلها العربي، فعبر عنها بالزجاجات العازلة، وهو تعبير سهل مستوحى من وظيفة هذه الأداة، وهي عزل

ما تحتويه عن مؤثرات الجو من الرطوبة والحرارة، وكان المرحوم الشيخ "السكندري" قد اقترح للترمس كلمة:"**الكظيمة**" وهي لاتخلو من غرابة، وكنت قد قدمت كلمة "**الزمزمية**" لشهرتها وإن لم تكن "الزمزمية" مثل "الترمس" في وظيفتها. وتلك هي كلمة "العازلة" تجيء اليوم لتنافس فيما أراد المرحوم "السكندرى" وفيما أردت، وكل هذه الكلمات تتلاقى في أنها قوى تكافح الكلمة الأجنبية، لكي تقصيها عن مجال الاستعمال.

١٥- وحدثني صديق أن زائرًا مصريًا قدم لبنان فإذا هو يقرأ فيها لافتة لإحدى الشركات مكتوبًا عليها: "شركة مغْفَلة" و لم تفته الدعابة، فقرأها ضاحكًا لمن معه: شركة مغفلة، بفتح الغين وتشديد الفاء ... والشركة لم تشأ أن تكتب الكلمة الأجنبية "أنونيم" أي ذات أسهم غير مسمى حاملوها، أو غير مقصورة على أشخاص معينين، ولعل الشركة لاحظت أن تلك الكلمة الأجنبية إذا كتبت بحروف عربية نَبَتْ عنها العيون، فترجمت الكلمة بما يقابلها من العربي، وأرادت أنها شركة ذات أسهم مغفلة، بسكون الغين وفتح الفاء، وربما كان من الخير أن يقال "**غفلية**" نسبة إلى الغفل بضم الغين وسكون الفاء، والشيء الغفل هو الشيء غير المسمى صاحبه أو المعروف شأنه.

١٦ - لم يعد ريب في أن روح الإفصاح تخفق في صدر المجتمع خفوقًا تحفزه على إيثار الكلمة العربية، وإباء الكلمة الأجنبية.

وليس هذا مقصورًا على العلماء في معاهد الدرس، أو الكاتبين في مجالات البحث، وإنما هو شامل غامر، يستوعب العاملين في ميادين التجارة والصناعة، وفي مرافق الحياة العامة، فالصبغة العربية عليهم غالبة، وسمو الذوق في التعبير بينهم واضح جليّ.

وإذا كان مجمعنا اللغوي قد لقي من غمزات المتفكهين ما لقي - بحق أو بغير حق- حين رغب في أول عهده أن يقدم للجمهور كلمات فصيحة، تقوم مقام

الكلمات الدخيلة، للتعبير عن شؤون الحياة العامة، والأسباب الدائرة بين الناس — فإن الجمهور اليوم يشارك المجمع أو يباريه في هذه السبيل، وأكاد أقول إنه يسبقه في وضع الكلمات الفصحى وفي إشاعتها للتعبير عن حاجات الحياة.

وإن من حق المجمع- بل من واجبه- أن يتسمع إلى هذه الهتافات، التي تتردد في جوانب الأمة العربية، وأن تكون لها أصداؤها في سعيه واتجاهه، لا يلقي بالاً إلي من يتفكهون بالغمز، فأولئك هم اللاهون الذين لا ينظرون نظرة جد وتفكير، وأولئك ليسوا من الأمر في قليل ولا كثير.

إن من حق المجمع- بل من واجبه -ألا يجارى الظواهر السطحية التي تبدو كما يبدو حباب الماء، ثم لا تلبث أن تخفى ما يخفى حباب الماء ... وإنه لواجد في صميم المجتمع العربي لسان الحضارة التي تغمره من كل جانب، فهو يسمو إلى أن يعبر عن كل شيء يزاوله وكل معنى يخالجه بلفظ عربي مبين.

١٧- وقد كنت دأبت منذ زمن على تدوين ما يقع تحت ناظري أثناء مطالعاتي في الصحف والمجلات من ألفاظ جدد، وجد المؤلفون حاجة إليها، فاجتهدوا في وضع صيغتها لأداء مدلولات عصرية.

وفيما سلف، قدمت مجموعتين من كلمات الحياة العامة، منها ما القطته في بعض القراءات والمطالعات، ومنها ما اقترحته، وعرضت لي الحاجة إلى استعماله فيما أكتب.

وهاأنذا أقدم مجموعة ثالثة، أرجو أن أتبعها بمجموعات أخر، وما أريد بها أن ألتزم الكلمات التي وضعها الناس قبلي، ولا أردت أن ألزم الناس بما لي فيها من كلمات مقترحة، وإنما أنا أبغي وضعها تحت الأنظار، وعرضها على مدرجة البحث، وتقريب مناالها من الراغبين.

واللفظ كائن حي، مولود جديد، علينا أن نلقى به في خضم الحياة، لكي يزاول تجربته في هذا الوجود.

١٨- وهاكم مواليد جديدة في لغة الحياة العامة:

(١) **النيرسري**: حجرة الحضانة

(٢) **السير**: بيت النبات

(٣) **قومسيون طبي**: لجنة الفحص الطبي

(٤) **كونسولتو**: هيئة طبية

(٥) **أوتوستراد**: طريق السيارات

(٦) **كورس**: جوقة

(٧) **برسبكتيف** porspective: المنظور

(٨) **جيتر**: المسماة. الران. غطاء الحذاء

(٩) **أمبريابل**: ممطر. معطف واق معطف مطر

(١٠) **البالون**: المنطاد

(١١) **ألبالو**: الفنــزج (حفلة راقصة يشترك فيها جمع الحاضرين)

(١٢) **الباليه**: الرقص الرمزي (تؤديه جوقة من الفنانين)

(١٣) **الباليرينا**: الراقصة الأولى

(١٤) **الكلاكسون**: آلة التنبيه (استعملها قلم المرور في وزارة الداخلية المصرية

(١٥) **وابور الزلط**: الهراس (استعملتها وزارة الأشغال وفيها مصلحة تــسمى "مصلحة الهراسات")

(١٦) **الصندل**: الصندلة (نوع من الأحذية، والكلمة معربة من قديم، وردت في معجم المصباح المنير)

(١٧) **المكمدات**: الكمادات

(١٨) **التشحيم**: تزويد السيارة بالشحم، وما يتصل بالتنظيم والإعداد

(٢٠) **سينما فستافيزيون**: السينما الغائرة أو المنظر الغائر

(٢١) **تليكو مينيكيشن** Telecommunication: الاتصال الكهربي

(٢٢) **الترمس**: زجاجة عازلة. أو العازلة، أو الزمزمية أو الكظيمة

(٢٣) **الليكوبلاتس**: اللصوق

(٢٤) **السبنس** Suapense: التوتر (مواقف سينمائية تثير الانتباه والتوقع)

(٢٥) **السبرناد**: (في الموسيقى) الغرامية

(٢٦) **السمفوني**: ملحمة موسيقية

(٢٧) **الفيتو**: النقض

(٢٨) **القايش (للموسى)**: المشحذ

(٢٩) **المركوب**: (يخصص لهذا النوع من الأحذية ذي الطابع القديم واللون الأحمر)

(٣٠) **السيفون**: (لمرافق المياه) صندوق الطرد

(٣١) **فوتوجنيك**: ذو وجاهة تصويرية

(٣٢) **كتالوج**: دفتر المعروضات

(٣٣) **المونوتيب**: السبك الحرفي - سابكة حرفية.أو: الصف الحرفي - صفافة حرفية

(٣٤) **اللينوتيب**: السبك السطري - سابكة سطرية. أو: الصف السطري - صفافة سطرية.

(٣٥) **البستنة**: تعليم زراعة البساتين وتنميتها وكل ما يتصل بها

(٣٦) **التمصير**: صبغ الأشياء بالصبغة المصرية مثل تمصير رواية أجنبية أو تمصير شركة أجنبية.

(٣٧) **التونسة**: جعل الأشياء تونسية، نسبة إلى تونس.

(٣٨) **السودنة**: جعل الأشياء سودانية نسبة إلى السودان.

(٣٩) **التعصير**: جعل الأشياء عصرية ملائمة للحالة الحديثة الحاضرة، مثل تعصير رواية من النوع الاتباعي (الكلاسيك)، وإعدادها وفق مقتضيات العصر الحاضر.

(٤٠) **البروتوكول**: العرف السياسي.

(٤١) **الرد نجوت**: حفلة المراسم.

(٤٢) **السموكن**: حفلة السهرة.

(٤٣) **البنو Bneu**: الإطار الخارجي لعجلة السيارة.

(٤٤) **الشمبراير**: الإطار الداخلي لعجلة السيارة.

(٤٥) **جيل المربي**: الهلامية.

(٤٦) **مرملاد المربي**: المهروسة.

(٤٧) **بابيتري Papeterie**: وراقة، وصاحبها: وراق

(٤٨) **ليبريرى Librairie**: مكتبة، وصاحبها: كتبي

(٤٩) قلم الحبر: المداد (استعمل حفني ناصف منذ خمسين سنة كلمة: الأقلام المدادة)

(٥٠) **المازورة**: شريط القياس.

(٥١) **الطابور**: القطار (استعملها الجيش المصري في التشكيلات العسكرية)

(٥٢) **برافان**: ساتر (استعملتها وزارة الداخلية المصرية)

(٥٣) **سويتر**: عرقية، أو سويتر (على أن تنطق بصيغة التصغير، إما باعتبارها مصغر كلمة ساتر على توهم أنها عربية)

(٥٤) **نظام البطاقات، أو نظام الجرايات، أو نظام المخصصات**: توزيع المواد التموينية وغيرها بمقادير معينة لا تتعدى.

(٥٥) **الدوريات**: المطبوعات التي تظهر في مواعيد دورية، يومية كانت أو أسبوعية أو شهرية أو حولية، وهي الصحف والمجلات والنشرات ذات المواقيت.

(٥٦) **شركة أنونيم**: شركة غفلية، وفي بعض البلاد العربية يقال: مغفلة، وهي شركة ذات أسهم غير مسمى حاملوها.

(٥٧) **الرجيم**: الحمية

(٥٨) **الشفرة**: جزء من أداة الحلاقة الشخصية، ويسمى باسم خاص للتفرقة بينه وبين الموسى الكبيرة التي يتخذها الحلاق المحترف.

(٥٩) **الجرتيير**: حمالة الجورب

(٦٠) **الكمساري**: المحصل (استعملتها إحدى شركات السيارات)

(٦١) **البلاك أوت**: التعتيم أو الإظلام.

* * *

العامية ... الفصحى(*)

للأستاذ محمود تيمور
(عضوا المجمع)

١- للعامية أنصار وخصوم - أنصار العامية يكتبون بالفصحى - خصوم العامية يتكلمون بها - العامية لم يفدها الانتصار لها و لم يضرها النعي عليها - الفصحى أداة محكمة غنية بتراثها - الفصحى صلة بين أمم شتى - العامية لهجات متعددة - العامية مقصورة على أداء الحاجات اليومية - العامية قاصرة في الضوابط والنظم -العامية قرينة الأمية - العامية مفتقرة إلى تقعيد وتأصيل لو اتخذت لغة كتابة وتدوين - التكلم بالعامية لا يعفي من دراستها لو كتبت - اللغات التي هي لغات كتابة وحديث معًا تدرس قواعدها ونظمها.

٢- معرفة كنه العامية أولى من البحث في الصراع بين أنصارها وخصومها - العامية أقدم من الفصحى - كانت لهجات القبائل والعشائر - الفصحى هي القالب المختار لمختلف اللهجات - اللهجات بقيت تنتقل على ألسنة الناس - أشكال اللهجات كل شكل منها يدعى لغة عامية - الفروق بين العامية والفصحى تتفاوت منازلها وأقدارها.

٣- أم الفوارق ظاهرة الإعراب - قبيلة "تميم" تترك الإعراب - النحاة يعللون ما ورد من الشواهد غير معرب - إسكان آخر الفعل المضارع محكي عن العرب - الوقوف بالسكون على الأسماء في حالة النصب منسوب إلى قبيلة "ربيعة " - حذف نون الرفع جائز - الوقوف على المنقوص بإثبات الياء مباح - حذف التنوين لكثرة الاستعمال مسموع - إشباع الكسرة في تاء المخاطبة لا بأس به - منع الصرف بالعلمية وحدها يجيزه نحاة الكوفة - إبقاء الاسم على صورة إعرابية واحدة محمول على الحكاية - إجراء

(*) عرض في مؤتمر الدورة الثالثة والعشرين - الجلسة السادسة للمؤتمر، في ١٤ من فبراير سنة ١٩٥٧م، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء الثالث عشر، ص ١٢٣. (ويعالج هذا البحث - بالإضافة إلى الألفاظ - قضيتي: الظواهر بين الفصحى والعامية، والصراع بينهما).

الاثنين مجرى الجمع من سنن العربية - إطلاق الاثنين وإردة الجمع تُفسر به آية قرآنية - تخفيف الهمزة أو تسهيلها أو تحويلها ياء منقول عن اللهجات قلب الألف المتطرفة همزة مأثور عن قبيلة "تميم" - إبدال الهاء في "هل" همزة مسموع عن العرب - إبدال الحرف المضعف ياء محكي عن العرب - إدغام الثاء في التاء في مثل "حدثه" منصوص عليه - إيثار الياء على الواو في مثل "قنوت" و"حشوت" عربي - ترك المد في اسم الجلالة وارد عن العرب — ضم اللام في قولنا "تعالوا" وارد في القراءات، وكسرها وارد في الشعر - حذف النون في "من" واللام والياء في "علي" له أمثلة شعرية - كسر حروف المضارعة من اللهجات - تشديد الحرف الأخير في "أب" و"أخ" و"يد" ونحوها من المسموع - فتح باء الجر وكسر لام الجر منقول عن "قضاعة " -كسر الحرف الأول من نحو "بعيد" و"جديد" أجازه النحاة - فتح عين "عند" لغة في كسرها - كثير من خصائص العامية محكي في لهجات العرب، لكل قاعدة عامية سند من لهجة عربية - جواز الاستناد إلى لهجات العرب في الكلام - كل اللهجات يقاس عليها: رأي "ابن جني" و"أبو حيان" - ما بين العربية والعامية جدير أن يُسمَّى"موافقات" لا "فوارق" - ظواهر العامية قديمة في حياة الأمة العربية - بيتان "للموصلي" شبيهان بلغة الأزجال -"الجاحظ" يثبت أن المولدين كانوا يتكلمون بالعامية.

٤- العامية عريقة في نسب العربية - العامية صنعها مجتمع عربي - ما نأباه من العامية أنها تناتيش وأحافير وأعقاب - العامية ترد العربية إلى وراء -العامية تنقض الجهد التاريخي الذي أسلم العربية إلى صيغتها الفصحى - هذه الفصحى كسبت تطورًا وعبرت عن حضارات ووحدت لغات ولها تراث فكري - العامية يمكن الاستعانة بها على تطويع الفصحى حتى تكون لغة وتدوين - تأكيد القربى بين العامية والفصحى يهبنا الطمأنينة والثقة في معالجة الكتابة.

٥- العامية ليست كلها قواعد نحو وصرف - الألفاظ التعبيرية أهم ما في العامية - هذه الألفاظ ذخيرة حية فيها من الدقة والحرارة ما قد يعوز الكلمات المكتتبة - الأمة

تشحن هذه الألفاظ بثمرات القرائح والأذواق - الأديب المصور للحياة الاجتماعية هو الذي يشقى بالملاءمة بين الدقة والحيوية وبين التزام الفصيح -مؤامرة على الكلمات العامية خوفًا من معرة الابتذال - ظلمنا لهذه الكلمات المشردة ترفعًا عن مشابهة اللغة الدارجة - الكلمة العامية لا تكون مبتذلة متى أدت وظيفتها - حسب الكلمة العامية أن يكون بينها و بين العربية نسب.

٦- الكلمة العامية إما صحيحة وإما محرفة وإما لحق معناها شيء من التصرف - لا تخلو العامية من كلمات دخيلة أو مرتجلة - الشنفراني، والخنفشار، وبعطس أفندي - اللغويون كانوا أبر بالكلمات العامية من الكُتَّاب - لغوي نزيل مصر يثبت في معجمه الكلمات المصرية - باحثون يدرسون الكلمات العامية ويدعون إليها ولكن دعوتهم تذهب سدى بلا صدى.

٧- ميدان البحث في الكلمات العامية لم يسلم من الشوائب - الباحثون يتوهمون التحريف ولا تحريف - كلمات تتَّهم بالتحريف، وهي منه براء - البحث في أصول الكلمات العامية يقتضي دقة وإحاطة ومعاناة؛ خشية التجني عليها والخطأ في تعليلها.

٨- تأثرنا بافتراض البعد بين العامية والفصحى - مذيع يعدل عن كلمة "**السقائين**" إلى كلمة "**السقاة**" - وزارة التموين تعدل عن كلمة "**المدشوش**" إلى كلمة "**المجروش**" - الأطباء يعدلون عن كلمة "**فتح البطن**" إلى كلمة "شق البطن" - كلمات فصيحة نتركها ونستعمل غيرها لورودها على ألسنة العامة - استعمالات عامية نعثر عليها في كتب الأدب القديم، مثل "**طيب**" و"**وجب**" و"**مجلس حظ**" - تعبيرات عامية يسفر عنها التنقيب في المعجمات مثل:"**فم الغسيل**" و"**هلاهب**" والحلف" **بالأمانة**" -جملة من الكلمات العامية الفصيحة.

٩- في العامية كلمات عربية أشربت مدلولات جديدة - هذه الكلمات عاشت مع الناس فتصرفوا فيها وفق الدواعي والحاجات - هذه الكلمات زبدة خبرة، وثمرة

تجربة - هذه الكلمات تقطير لذوق الأمة البياني وفنها التعبيري - يجب أن نلحق هذه الكلمات بالبيان العربي لإغنائه بها - نحن نقتل بنات الشفاه العامية - هذه الكلمات الموؤدة تسألنا: بأي ذنب قُتلت – قبلت اللغة من الكاتبين ما يُسمَّي "التوليد" في الكلمات، فلماذا لا نقبل مثله من اللسان الدارج؟ ربما كانت الكلمة العامية أدل وأقوى - ربما كانت الكلمة العامية لا مقابل لها في الفصحى.

١٠- العامة يفرقون بين " **باش**" و"**ساح**" و"**ذاب**" - العامة يفرقون بين "**بص**" و"**تبصص**" و"**بصبص**" - العامة يفرقون بين " الحلة" و" القدرة" معنى كلمة "النقطة" معنى كلمة "**المشوار**" – معنى "**صوتت المرأة**" و"**سمعت صواهًا**" – معنى قول العامة: "**فلان غلب**" - معنى قولهم: "فلان يشب" - معنى قولهم: "رجل حقاني" - معنى قولهم في وصف المصباح: "**مدخمس**"- معنى قولهم:"**رجل مناكف** ".

١١- الكاتب القصصي أو الروائي المسرحي أحوج ما يكون إلى كلمات العامة في الوصف والتصوير، وفي مساق الحوار - الدلالة التأثيرية الخاصة للكلمات الشعبية - نموذج من حوار رجل وامرأة - نماذج من حديث إحدى النساء - هذه النماذج كلها على تغلغلها في العامية عربية فصيحة.

١٢- بين العامية والفصحى ستار موهوم يجب أن نجلوه عن العيون - يجب فتح الباب على مصراعيه للكلمات العامية -تسميتها بالعامية جنت عليها - فلنسمها: العامية الفصحى.

* * *

١-لم نختلف نحن في شيء من قضايا اللغة قدر اختلافنا في شأن اللسان العامي، أعني لغة المشافهة والخطاب.

كان للعامية - منذ مطلع هذا القرن الحاضر - أنصار وخصماء، فمن القوم من يغالي بها ويهتف بحياتها، مناديًا بأن تكون لغة الكتابة والتدوين، ومن القوم من يتمنى أن لو كانت العامية رجلاً ليقتله، حتى تسود الفصحى كل السؤدد، فتصبح أداة الحديث الدارج في البيت والسوق.

• وقد حارت هذه العامية بين أنصارها وخصمائها جميعًا، فإن الذين يظاهروها على الفصحى يكتبون أفكارهم ويترجمون عن ذات أنفسهم بالفصحى، وإن الذين يكرهون العامية أشد الكره، ويتمنون قتلها شر قتلة، يتبادلون بها حديثهم الدارج في الكراهية والتآمر على القتل الذريع.

وكذلك ثبتت العامية في مكانها، لا تتقدم ولا تتأخر... لم يفدها ناصر، ولم ينل منها خصيم، فلا هي بلغت بذلك الناصر أن تكون مكتتبة بقدر ملحوظ، ولا هي فقدت بهذا الخصيم شيئًا من سلطانها على ألسن الناس.

وما كان الكاتبون ليطمئنوا إلى اطراح الفصحى في يسر، وهم يجدونها بين أيديهم أداة محكمة، قواعدها مضبوطة، وسننها واضحة ونطقها متقوم، ولها ميراثها العريض في ضروب العلم والأدب والتشريع وأصالتها المكينة في مناحي التفكير والتعبير والإفهام، وهي بعد ذلك لغة أمم متعددة، بينها وشائج من الدم والدين والتاريخ، إلى مشابه في الحياة الاجتماعية، تكاد تجعل منها قومية واحدة بين أجزائها تلاحم والتئام.

وما كان الكاتبون ليستجيبوا إلى اتخاذ العامية لغة كتابة وتدوين، وهم من هذه العامية بين لهجات تتباين، وليس تباينها وتفاوتها يقتصر على الأمم المتعددة في بلاد متباعدة، ولكنه يكون في الأمة الواحدة بين صقع وصقع، وهي في جملتها مقصورة على أداء الحاجات اليومية في مجالها العام، لم تمارس غيرها من مطالب الحياة العلمية والأدبية والاجتماعية في رقيها وتقدمها مع الزمن، ولم تدرس لها قواعد تحفظ عليها السلامة وتصونها من الفوضى، ولا وضعت لها ضوابط تحكمها وتردها إلى نطاق من الصواب.

ومن عالج كتابتها تصدت له مع ذلك عقبات من إملائها البدائي، لا يرجع فيها إلى نظام محرر، ومعالم مجلوة، عسيرًا كان أمرها أو غير عسير.

وثمة عامل يصم هذه العامية بالتخلف، ويصدها عن مغالبة الفصحى، ذلك أن العامية قرينة الأمية، ومظهرها الشامل، وأن الفصحى مدرجة التعليم، ولسانه المبين.

فالدعوة إلى العامية تنافي ما يغمر جوانح الأمة من شعور التسامي إلى محو الأمية، بتعميم المعرفة، وإشاعة التنوير الفكري، وبسط الثقافة إلى أبعد مدى، والدعوة إلى تسويد الفصحى تطاوع تلك المشاعر النفسية في الأمة، وتجاري الدافع الطبيعي للرقي الاجتماعي، وكل دعوة تتغاضى عن النزعة النفسية العامة، وتستخف بالطبائع الاجتماعية الدافعة، دعوة ذاهبة مع الريح.

والدعاة إلى العامية يذكرون فيما يبعثهم على دعوتهم تلك، أن الفصحى يعاني أهلها ممارستها بالدرس،ويكتسبون ملكتها بالتلقين، وأن المتعلم يبذل في هذا التمرس والاكتساب كبيرًا من الجهد ويلاقي مزيدًا من العنت سواء في قواعد النحو والصرف، وفي خصائص اللغة، وفي شرائط الإملاء، ويحسب هؤلاء أن العامية إذا اتخذت لغة كتابة وتدوين، لم تفتقر إلى شيء من القوانين والضوابط على مثل ما هو في الفصحى، ولكن الحق أننا لو كتبنا العامية لكان لزامًا علينا أن نضبط النطق بها كل الضبط،، وأن نؤصل أصولها في تصريف الكلام أدق تأصيل، حتى نستخلص ما فيها من قواعد وضوابط وقيود، ثم نمهد سبيل رسمها بالحروف، وتعين في كتابتها مقاطع الفصل ومواضع الوصل، وبذلك تخرج من نحو الفصحى وصرفها وخصائص كلماتها وطرائق إملائها إلى بديل من نحو العامية وما يكون فيها من تصريف وخصائص كلمات وطرائق إملاء.

ولن يعفينا من تقعيد العامية وتأصيلها أننا ننطق بها من غير تلقين، ونزاولها دون درس، فإن اللغات الأجنبية وهي في الجملة لغات كتابة وحديث معًا -يتدارسها أهلوها في معاهد التعليم ويلقنون قواعدها في النطق والتصريف والتدوين؛ تأمينًا لها من الزيغ والانحراف، وحرصًا على سلامتها في الاستعمال.

٢- فلندع هذا الصراع يدور سجالاً بين العامية والمستمسكين بالفصحى، ولننظر في كنه هذه اللغة التي كانت محور النزاع والصراع.

الحق أننا بإزاء لغة غير محدثة، وما الفوت بينها وبين الفصحى ببعيد.

هذه العامية أقدم من الفصحى عهدًا، وأعرق منها إلى العروبة نسبًا، وفي مقدورنا لو أتيحت لنا كتابة العامية أن نقول بأننا نكتب العربية ولا مراء.

لقد عاشت خصائص تلك العامية في العصور العربية الأولى،إذ كانت لهجات لمختلف القبائل والعشائر،جرت عليها طبائع النشوء والارتقاء،ومرت بها أطوار تنازع البقاء.

وعلى ترادف من الأيام، وبعون من عوامل وملابسات، ألفينا هذه اللهجات المتخالفة تتجمع وتختمر، وتتخذ لها قالبًا هو الذي سميناه الفصحى، فكان هذا القالب صيغة مختارة، وصورة مزكاة، ينطوي على النقاوة من خصائص اللغة، به نزل القرآن، وفيه صب الشاعر والناثر روائع البيان.

بيد أن اللهجات المتخالفة بقيت على الأيام تندس في الحديث الدارج بين الناس، فكلما ذهب أهلوها مذهبًا في الأرض، انتقلت معهم تحمل آثارها على الأفواه، يرثها جيل عن جيل، ويسلمها عصر إلى عصر، حتى انتهت إلينا في يوم الناس هذا، وقد تشكلت أشكالاً في بلاد الناطقين بالضاد، كل شكل منها ندعوه لغة عامية.

بين هذه العاميات المتعددة وبين الفصحى مميزات وفروق، بعضها له كبير شأن، وبعضها لا شأن له، ولسنا بقادرين على أن نحصر هنا كل هاته المميزات والفروق، فلنقتصر منها على الأمهات والرءوس، إلى طرائف وملح، تلم بها العامة عاجلة.

٣- أم الفوارق بين العامية والفصحى **ظاهرة الإعراب**، فإن العامية لا تعرب إلا في الندرة، وقد حكى اللغويون ترك الإعراب عن "تميم"، وذهب النحاة مذاهب شتى في تعليل ما وجدوه من الشواهد والأمثلة غير معرب، فقالوا: إنه تخفيف، أو أنه وصل بنية الوقف، أو غير ذلك من عبارات تقليدية.

ومما يتصل بالإعراب إسكان آخر الفعل المضارع في الوصل، فتقول: أخي يسافرْ معي، وهو محكي عن العرب، وعليه بعض القراءات في آيات من التنزيل.

ويتصل به كذلك الوقوف بالسكون على الأسماء في حالة النصب، مثل: أكلت كبابْ، وشربت شرابْ، وقد نُسب ذلك إلى قبيلة "ربيعة".

ويتصل به كذلك حذف نون الرفع، لغير ناصب أو جازم، فتقول: أنتم تحبوا الحق، وهو جائز في فصيح الكلام، ولو لم تكن هناك ضرورة.

ويتصل به كذلك الوقوف على المنقوص بإثبات الياء، كما نقول: الدنيا تلاهي، واللب تسالي، وقد حُكي جوازه، وبه قرئ قوله تعالى:"ولكل قوم هادي"، وقوله تعالى: "ومالكم من دون الله من والي".

ويتصل به كذلك حذف التنوين في مثل قولنا:سلام عليكم، وهو محكي عن العرب، وعليه ما قرئ من قوله تعالى:" ولا الليل سابق النهار"، وتعليل الجواز في هذا الحذف كثرة الاستعمال.

ويتصل به كذلك إشباع الكسرة في تاء المخاطبة، حتى تنشأ عنها ياء، فتقول للمرأة: أنت أكلِتيه وشربتِيه، وذلك مسموع، وقد ورد في حديث نبوي في مخاطبة امرأة: لو راجعتيه ...

ويتصل به كذلك منع الصرف بالعلمية وحدها، فنقول: عباسُ حضر، ورأيت عباسَ، ومررت بعباسَ، وقد أجازه الكوفيون من النحاة، لما صح عندهم من وروده عن العرب.

ويتصل به كذلك إبقاء المبني على صورة واحدة من الصورة الإعرابية في مختلف مقامات الكلام، فتقول: هذه بني سويف، ولقيت أبو علي، وقد حمل النحاة مثل ذلك على الحكاية وعللوا بها ما قرئ من قوله تعالى:"تبت يدا أبي لهب".

ويتصل به كذلك إجراء الاثنين مجرى الجمع، في مثل: رجلان جاءوني، وهو من سنن العربية، وقص عن الشعبي قاص أنه نطق بهذه العبارة في مجلس عبد الملك بن مروان، فقال له: لحنت يا شعبي، فقال: لم ألحن يا أمير المؤمنين مع قول الله: "هذان خصمان اختصموا في ربهم"، وكذلك يذكر اللغويون من أمثلته ما ورد في حديث غزوة أحد: "رأيت عائشة وحفصة حاسرات".

وشبيه به إطلاق الاثنين وإرادة الجمع، كما تقول: أعطيته قرشين، وكلمته كلمتين، وليس ذلك بمنكور في العربية، فقد فُسِّر به قوله تعالى:"فارجع البصر كرتين"، إذ المقصود التكرير لا التثنية.

ومن الفوارق النحوية والصرفية بين العامية والفصحى تخفيف الهمزة وتسهيلها أو تحويلها ياء، كما نقول: رأس في راس، وناكل في نأكل، وبير في بئر، وبايع في بائع، وتوضيت في توضأت، وقد نقل النحاة جواز ذلك كله، وعزوه إلى مراجعه من لهجات العرب.

ومنها قلب الألف المتطرفة همزة فنقول: "لأ" في: لا، وهو مما أثر عن "تميم"، ومنها إبدال الهاء في "هل" همزة كما نقول: "أل" فلان حضر؟ نريد: هل، وهو لغة مسموعة.

ومنها إبدال الحرف المضعَّف ياء، كما نقول: قصيت الشعر في قصصت، وعديت الورق في عددت، وشميت الفل في شممت، وقد حُكي ذلك عن العرب.

ومنها إدغام الثاء في التاء في مثل قولنا: حدتّه، نريد: حدثته، وقد نقل "ابن سيده" أن ذلك مما سُمع عن العرب مدغمًا.

ومنها إيثار الياء على الواو في مثل قولنا: قنيت وحشيت ودعيت وشكيت بدلاً من: قنوت وحشوت ودعوت وشكوت، وقد نظم "ابن مالك" قصيدة في الأفعال التي تجيء لاماتها بالواو والياء على السواء، فما ينطق به العامة عربي مسموع.

ومنها ترك المد في اسم الجلالة، كما نقول: بسم الله، وعبد الله، وحمد الله على السلامة، وقد سجل اللغويون سماع ذلك عن العرب. وأنشدوا قول الشاعر:" أقبل سيل جاء من أمر اللهْ".

ومنها ضم اللام في قولنا: تعالوا نعمل، وكسرها في قولنا: تعالي نسافر، وقد حُكي ذلك عن العرب، وبضم اللام قرئ قوله سبحانه: "يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء"، وبكسرها يُروى قول الشاعر:

تعالي أقاسمك الهموم تعالي

ومنها حذف النون في "من" واللام والياء في "على" فتقول: اشتريته م الشارع ولقيته ع الشاطئ، وليس هذا بدعًا في لغة العرب، فالمتنبي يقول:

نحن ركبٌ م الجن في زيّ ناسٍ فوقَ طيرٍ لها شخوصُ الجمال

وينشد لشاعر إسلامي قوله:

وللموتُ خيرٌ لامرئٍ من حياته بدارةِ ذُلٍّ ع البلايا يُوقر

ومن أوجه الخلاف في **حركة الحروف بين العامية والفصحى** كسر حروف المضارعة، فنقول: أنت تِعلم، وهو يِحسب وقالوا: نِسافر، وهو من المحكي في اللهجات وبه قرئ قوله تعالى: "إياك نِستعين".

ومنها تشديد الحرف الأخير في كلمات: أبّ وأخّ، ويدّ وفمّ، وهوّ وهيّ، وكل هذا مما أثبته علماء اللغة، وأوردوا عليه الأمثال.

ومنها فتح باء الجر، في مثل قولنا: استعنت بَك، وكسر لام الجر في مثل قولنا: المال لِك، ونجد هذا في الكلام العربي، منسوبًا إلى "قضاعة".

ومنها كسر الحرف الأول من نحو كلمات: بِعيد، وسِعيد، وجِديد، وشِعير، وقد أجازه النحاة بأن قيدوه بأن تكون عين الكلمة حرف حلق.

ومنها فتح الحرف الأول من كلمة "عَند"، فنقول: النقود عَندك، وأهل اللغة يقولون: إنها لغة في "عند" بالكسر.

إلى غير ذلك مما تتباين فيه العامية والفصحى، ولكننا نجده فيما حكوا من لغات ولهجات تتفاوت في درجات الجودة والشيوع، وهو كله مما تخلصت منه لغة الكتابة والتدوين، وبقي على الألسن في لغة المشافهة والحديث.

ولعلنا لو قصصنا أثر العامية، وتقصينا ما فيها من خصائص وضوابط، مما ينأى بها عن الفصحى ثم عزوناه إلى مناشئه في اللهجات، ومراجعه من ألسنة العرب، لما أعيانا من ذلك شيء، ولتسنى لنا أن نثبت لكل قاعدة في النطق العامي سندًا من لهجة عربية كان لها كيانها في غوابر العصور وصدق" الحجاج البلوي" إذ يقول في كتابه: "ألف باء": "يكاد لا تتكلم العامة بشيء إلا وله أصل ومعنى، علمه من علمه، وجهله من جهله".

ولا سبيل على الذين يجنحون إلى الاحتجاج لهذه العامية، لو أرادوا أن يستندوا في ذلك إلى انبثاقها من لهجات العرب، فإن الرأي اللغوي في اختلاف اللهجات أنها كلها حجة، وأنها كلها مما يقبل القياس، ويقول "ابن جني" في هذا الصدد:" إن الناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرًا منه" ويقول "أبو حيان": "كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه".

فهذا الذي نجده من ظواهر العامية، ونسميه فوارق بينها وبين الفصحى، ليس في الحق فوارق بينها وبين العربية، وربما كان الإنصاف يقتضينا أن نسميها موافقات، ونحن إذا سميناها فوارق؛ فلأننا نلحظ في ذلك أنها تفرق بينها وبين لغة الكتابة والتدوين لا بينها وبين العربية في معناها العام، وفي شمولها لما جرى على ألسنة العرب جميعًا من لغات ولهجات.

وقد كان الكثير ظن ظواهر هذه العامية دائرًا على الألسن منذ أقدم العصور فليست هذه الظواهر بنت الأمس القريب، ولا وليدة العهود الخوالف، ومن الطريف أن نقرأ في كتاب "الأغاني" بيتين يُنسبان إلى " إبراهيم الموصلي" إمام الموسيقى في صدر الدولة العباسية، لهجتهما كمثل لهجتنا العامية اليوم، فهما أشبه بما سميناه "الزجل"، ونصهما:

أنا جت من طرق موصل أحمل قلل حمريا

من شارب الملوك فلا بد من سكريا

ويقول "الجاحظ": "إن الإعراب يفسد نوادر المولدين"، وهو يدل بذلك على أن الإعراب كان في أيامه متروكًا بين المولدين فيما يتطارحون من أحاديث، والمولدون في ذلك العهد هم معظم الأمة العربية وكثرتها الغالبة.

٤- لسنا نأبى العامية إذن لأنها طارئة فينا، ومقحمة علينا، تنزل من العربية منزلة الدخيل من الأصيل، فهي عريقة في نسب العروبة، وهي من صنع مجتمع عربي اللسان صميم، ولكننا نأبى منها أنها تناتيش لغات تهشمت، وأحافير لهجات تهدمت،

وأعقاب ألسنة لم تبلغ الأوج، فهي ترد العربية إلى وراء، حيث كانت القبائل متناكرة النطق متغايرة اللهجة، وهي كذلك تنقض الجهد التلويحي الجماعي الخطير، ذلك الجهد الذي أسلم العربية إلى صيغتها النقية الصافية صيغة الفصحى، فكأننا باستحياء العامية أو العاميات المتعددة، في بلاد الناطقين بالضاد نرجع القهقرى إلى الجاهلية الأولى، لنستقبل في غدنا سعيًا زمنيًا جديدًا، وجهدًا جماعيًا موصولاً، نبغي به توحيد العربية وتنقيتها، وإفراغها في قالب محكم رصين، حتى نصل بها إلى مثل هذه الفصحى عودًا على بدء.

لقد كسبت الفصحى ضروبًا من التطور بما سايرت من أحقاب الزمن، وما عاشرت من أشتات الأمم، وما تمرست به من ألوان التجارب، فطاوعت الحياة في مراحل القدم البشري، وعبرت عن حضارات تعاقبت في دهور طوال، وما ينبغي لها أن نستبدل بها اليوم صورة شاحبة منها بدائية فيها، تباعد بيننا وبين هذا التوحيد اللغوي، الذي ظفرت به الأمة العربية بعد لأي، ويقطع ما بيننا وبين ذلك التراث الفكري الذي نصل ماضيه المجيد بحاضرنا المرموق.

لا خير في الدعوة إلى إحياء العامية، واتخاذها لغة كتابة وتدوين، ولكن الخير كل الخير في أن ندرس قواعد هذه العامية، ومراجعها من اللهجات العربية، عسى أن نستعين بها في إمداد قواعد الفصحى بما يوسع أقيستها، وما يعالج مشكلاتها التي تعانيها في الوفاء بحاجات مجتمعنا الراهن، لكي تكفل لها أسباب اليسر، ونواتيها بالمزيد من المرونة والطواعية، وبذلك نزودها بعوامل النماء والازدهار، ونذلل ما يعترض طريقها من عقبات، رجاء أن تبلغ بها المأرب البعيد، والأمنية القصوى، فتكون لغة المخاطبة والحديث، كما هي لغة الكتابة والتدوين.

كذلك من الخير أن نؤكد لأنفسنا هذه القربى بين العامية والفصحى، ففي هذا التأكيد ما يهبنا الطمأنينة والثقة حين نمسك بالقلم لنعالج الكتابة بلغة غير لغة الحديث، فلا نتوهم أننا ننتقل من لغة إلى لغة وبينهما بون بعيد، بل نعرف أن قصارى عملنا في الانتقال من لهجة الحديث إلى لغة الكتابة إنما هو مجرد صقل الكلمة وتقويم النطق،

وتعديل للجملة، ورعي لمقتضيات الفصحى في مقام التعبير فنقارب بين أسلوب الكتابة وأسلوب التخاطب ما أمكن التقارب، لنيسر للقارئ - أيًا كان شأنه- سبيل التبيين والفهم، ونيسر للكاتب أية كانت قدرته سبيل الإبانة والإفهام.

ليست العامية كلها خصائص نطق، وقواعد تعبير، مما يرجع إلى ما اصطلحنا على تسميته بالنحو والتصريف **فثمة في العامية ناحية أجلّ شأنًا وأعمق أثرًا وأبعد مدى، تلك هي ناحية الألفاظ التي تدور بين الناس،** بها يفهم بعضهم عن بعض، وبها يعبرون عما في الحياة من المعاني والأشياء، ويترجمون عما يقوم بأنفسهم من المشاعر والأحاسيس.

تلك ذخيرة من الألفاظ لا يتمثل فيها مجرد الخصائص الصوتية أو اللسانية التي تتميز بها اللهجات، ولا مجرد القواعد النحوية والصرفية التي تختص بها اللغات، وإنما تكمن في هذه الذخيرة اللفظية فوق ذلك كله حيوية الأمة في الإفصاح عن حاجات العيش ومقتضيات الحياة، وتستبين فيها مالها من دقة في التسمية والوصف والتصوير، ويتجلى فيها ذوقها الفني في الإبانة والإبلاغ والتأثير.

يخطئ من يحسب أن هذه الألفاظ شيء هين، فإنما هي في الحق كنز ثمين؛ لأنها خلايا حية في كيان الأمة اللغوي، وأمداد قوية تجري في قدرتها على الأداء مجرى الدم في العروق، فما استعمل الناس منها لفظًا إلا لمعنى، ولا أضيف إليها لفظ إلا لحاجة، ولا أتيح البقاء بينها للفظ إلا لضرورة، فهذه الألفاظ في مداجتها للحياة اليومية وفي مخالطتها للناس في شئونهم الدائرة تحمل من دقة الدلالة، ومن سرعة الأداء، ومن حرارة التعبير، مالا تحمل الألفاظ المكتتبة التي تتناقلها الأقلام.

لقد تصرفت الأمة في نشوء الكلمات العامية وتطورها، كما تصرف أهل الفصيح في نشوء كلمات الفصحى وتطورها خلال القرون والأحقاب، فأودعت الأمة هذه الكلمات العامية ما اختلجت به نفوسها، وما تمخضت عنه قرائحها، وما هدته إليه أذواقها، ومن ثم كانت تلك الكلمات مشحونة بقوى من المعاني والدلالات بليغة الأثر، موصولة بتيار من الألفة ينسجم في مجتمع الناس.

ولنصارح أنفسنا بأننا إذ نكتب ما نكتب، فإنما نعبر عن أكثر ما نعنى من ألفاظ العامية بألفاظ من الفصحى، ونحاول أن نصطنع من التعبيرات الفصاح ما يسد مسد التعبيرات الجارية في لغة التخاطب وفي كثير من الأحيان لا يكون للكلمة الفصيحة أو الجملة الطويلة، من الوقع على السمع، ومن قوة التأدية، ما يكون للكلمة العامية الدائرة على أفواه الناس في معناها المقصود.

والأديب المصور للحياة الاجتماعية - على اختلاف درجاتها وأعماقها - أشقى الكاتبين بهذا الصنيع، وأشدهم معاناة للجهد في الملاءمة بين مطالب الدقة والنصوع وبين التزام الفصيح من الكلام، فهو يرى أشتاتًا من الكلمات العامية أقدر على إظهار الجوّ، وتجلية الروح، وتحرير الوصف، وتبين الحوار، وإذا هو تنكب عن هذه الكلمات إلى بديلها من كلمات الفصحى، خرجت صوره التي يرسمها للشخصيات والأحداث في بعض الأحيان، عليها مسحة من شحوب، تفتر فيها خفقة الحياة.

لقد تآمرنا على هذه الكلمات العامية كل التآمر، فكفرنا بها أشد الكفر، وتعففنا عنها ما وسعنا أن نتعفف، وعددنا اصطناعها في لغة الكتابة تبذلاً في التعبير، وتنزلاً عن شريف المقال، فأسأنا إلى أنفسنا بذلك إساءة بالغة؛ إذ حجرنا على أقلامنا أن تجري بكلمات عامية دانية القطوف سهلة المجتنى، وبعثناها تكابد الحيرة والعنت في اصطياد ما يقابل هاتيك الكلمات من وادي الفصحى، مذعنين لما قد يعوز الكلمات الفصيحة من دلالة مقصودة، خاسرين لما في الكلمات العامية من دقة في الدلالة، ومن ألفة بين الناس.

ما كان أظلمنا للكلمات العامية المشردة، تلك التي استنكرنا أن نقيدها بالكتابة، ونمد بها لغة التدوين، ومبلغ عذرنا في إهمالها والاستبدال بها أننا نغلو في إيثار الفصيح، وأننا نترفع عن مشاهة العامة فيما يدرج على ألسنتهم من لغة الحديث.

علينا بادئ بدء أن ننفي عن الكلمة وصمة الابتذال؛ بحجة أنها من كلمات العامة، فإنها إذ تدور على الألسن، وتتأدى بها مهمة التخاطب، تدل بذلك على أنها سدت حاجة، وأثبتت كفاية، وأصبحت خليقة أن يقام لها وزن واعتبار.

لننظر إلى الكلمات العامية نظرة لا زراية فيها ولا امتهان، وحسبنا منها في أول الأمر وآخره أن تكون بينها وبين العربية وشيجة، وأن يكون قد جرى فيها من التصرف مثلما يجري في كلمات الفصحى.

٦- **الكلمة العامية** التي لا نستعملها في لغة الكتابة **بين حالات ثلاث**: فإما كانت صحيحة في اللغة كما يستعملها الناس، ولكنها قابعة في المعجمات قلما مسها قلم إلا ذلك القلم الذي يستأمن عليها مستودعات اللغة. وإما طرأ عليها ألوان من التحريف والإبدال يسيرة أو غير يسيرة، فانتقص منها حرف، أو زيد عليها حرف، أو أحلت فيها حروف مكان حروف. وإما كان وجه الخلاف بينها وبين الفصحى ضربًا من التخصيص أو التعميم، وشكلاً من الإطلاق أو التقييد، وشيئًا من النقل أو التوسع، أو علاقات المجاز، إلى غير ذلك من تصرف مأنوس في التطور الطبيعي للكلمات في مختلف اللغات.

لا تخلو اللغة العامية مع ذلك من كلمات أجنبية دخيلة، ولعلها لا تخلو كذلك من كلمات زائفة مرتجلة، ولكن معظم كلماهّا عربي لحمًا ودمًا، فالحروف عربية، والصيغة عربية، وطريق الاشتقاق عربي، والمنحى في الانتقال من المعنى الأصيل إلى المعنى الدارج منحىً عربي.

يروى أن "بشار بن برد" سئل عن معنى "**الشنفراني**" من قوله في وصف حمار:

"وخد مثل خد الشنفراني"

فقال: "هذا من غريب الحمير".

وينقل رواة الأخبار أن لغويًا كان يتباصر بالغريب من الألفاظ، وكان عريض الدعوى في المعرفة باللغة، فأتمر به بعض الظرفاء من العلماء ليشهِّروا به، ويشنعوا عليه، وصنعوا له كلمة "**الخنفشار**" ابتداعًا واختراعًا، وسألوه عنها، فأجاب: هي حشيشة يعقد بها اللبن في البادية، وأنشد:

لقد عقدت محبتها بقلبي كما عقد الحليب الخنفشار

ويحكى أن أديبًا معاصرًا كان في رفقة من أصحابه، فعطس أحدهم في وجهه عطسة مفاجئة أنكرها منه، فقال له: ما هذا، فأجابه: ماذا؟ أنا باعطس... (يريد: ماذا في أن أعطس) فقال له الأديب: أهلاً " **بَعْطَس أفندي** "، فأطلق عليه هذا الاسم من تلك الساعة، فلزمه حتى أتاه هازم اللذات، ومفرق الجماعات.

فإذا كان في العامية قليل من "الشنفرانية" و"الخنفشارية" و"البعطسية" فإن فيها كثيرًا من الكلمات التي لا تجانبها الفصاحة، ولا تعوزها أواصر النسب العربي الأصيل.

إن أساطين اللغويين، والقَوّام على تصنيف المعجمات هم الذين لا ينتظر منهم أحد أن يَبروا كلمات العامة، وأن يحلوها محلها من التقدير؛ لمحافظتهم على جوهر اللغة الصميم ولباها الخالص، فأما الكتاب فهم الذين كان يرجى منهم أن يسارعوا إلى الكلمات العامية؛ لمكان حاجتهم إليها في الوصف والتعبير، ولكن الذي حدث كان غير هذا الذي يتوقع، وغير هذا الذي يوحي به المنطق؛ إذ إن اللغويين والمعجميين كانوا في الواقع أبر في الكلمات العامية من الكتاب.

ذلك عالم لغوي جليل المكانة، نزل "مصر" منذ مائتي سنة، هو "السيد مرتضى الزبيدي" صاحب "تاج العروس" أبى إلا أن يذيل كل مادة من مواد معجمه الموسوعي ببعض ما يتصل بها من كلمات مصرية، ولم يقنع بهذا وحده، فألف فيما بعد كتابًا سماه" الذيل والتكملة"، واستكثر فيه من تلك الكلمات التي تجري على الألسنة في مصر، وعلى الرغم من أن "الزبيدي" لم يكن مصري المولد والمنشأ، فقد اتجه هذا الاتجاه في معجمه وفي تأليفه؛ وفاء منه للغة "حارة الغسال" القاهرية، تلك التي احتوته حين كان يكتب ويؤلف، وتقريرًا منه لتطور معاني الكلمات العربية في وطن من أوطان العروبة، هو "مصر".

وقبل "الزبيدي" وبعده عني غير واحد من علماء اللغة بدارسة اللهجات والكلمات العامية وتحقيق نسبها من العربية، ولهم في هذا الباب مؤلفات وتعليقات.

وفي إبان النهضة الحديثة، خلال القرن الحاضر، انتبه جمع من الباحثين لكلمات اللغة العامية فأولوها جانب اهتمام، تارة ينوهون بما فيها من كلمات صحيحة، وطورًا يحققون أصولها ويبحثون فيما طرأ عليها من تحريف،؛ليردوها إلى الفصحى، بيد أن هذه الجهود على كثرتها وتتابعها مازالت مطمورة أو مبعثرة، و لم يتح لدعوتها أن تكون جهرة الصوت بعيدة الصدى، تبلغ مبلغ التأثير الإيجابي بين جمهرة الكاتبين.

٧- على أن ميدان البحث في أصول الكلمات العامية لم يسلم من الشوائب، فمن الباحثين من يسيئون الظن بالكلمة العامية قبل أن يتبينوها، فتراهم يتجهون أول ما يتجهون إلى توهم ما عسى أن يكون قد دخل عليها من تحريف،لكي يردوها إلى كلمة فصيحة غير محرفة، على حين أن الكلمة ربما كانت في صيغتها العامية وصيغتها الدارجة صحيحة فصيحة لا تفتقر إلى إعمال فكر، أو استنجاد علم؛ أو تكلف في التخريج.

ومن أمثلة ذلك ما قاله الباحثون من أن "**تعتعة**" محرفة عن: "**تحتحة**"، وأن "**جعجع**" مقلوبة عن: "**عجعج**". وأن "**نغزة**" معدولها: "**نزعة**"، وأن "**مكمكم**" صحيحها "**مكمم**"، وأن " **انكشح**" فصيحها: **انقشع**، وأن "**يضاديه**" صوابها "**يضاده**" وأن "**نكش**" مبدلة من: **نجش**، وأن "**هوج**" مغيرة من "**هوق**"... فهذه الكلمات التي أنزلها الباحثون منزلة الظنة والاتهام معدودة في الكلمات الصحاح، مثبتة في المعجمات.

وفي الباحثين من يفسر أصل الكلمات بأقرب ما توحي به، وأظهر ما ترجع إليه، فيخطئ في هذا التسهل خطأ المبعد في التصعب... ومن أمثلة ذلك فهم كلمة "**الحرامي**" بمعنى "**اللص**"، على أنها نسبة إلى الحرام، مع أن الكلمة من بقايا حقيقة تاريخية في عصر بعيد، تلك هي أن قبيلة "بني حرام" كانت تتهم بالخبث والتلصص، فقيل في كل من يستحقر ويسرق:"هو حرامي".

وفي الباحثين من يخطئه التوفيق في تحرير ما لحق الكلمة من تحريف. فيركب في التأويل متن الشطط، حتى يسند الكلمة العامية مسندًا تطمئن إليه العربية فيما يرى.

ومن أمثلة ذلك قول الباحثين أن "**شحت**" مأخوذة من "**شحذ**"، وأن "**بحتـــره**" منقولة عن "**بعثره**"، على حين أن التغيير في الكلمتين ليس بكبير، وهو يرجـــع إلى أن العامة يستبدلون بالثاء تاءً في النطق، وفي اللغة: شحت وبحتر، ومن معانيهما ما يشترك مع المعنيين اللذين يقصدهما العامة.

ومن الأمثلة: ما يعمد إليه الباحثون من رد كلمـــة "**المرجيحـــة**" إلى كلمـــة: "**الأرجوحة**"، واللغة فيها كلمة " **المرجوحة**" بمعناها، وهي أولى أن تكون أصـــلاً؛ إذ التغيير لا يعدو أن يكون تساهلاً في النطق، بإمالة الواو نحو الياء.

ومنها ما قيل من أن "**بصبص**" محرفة عن: "**وصوص**"، وفي اللغة مـــن معـــاني "**البصبصة**" ما يحمل عليه مدلولها في العامية، دون النـــزوع بها إلى كلمة أخرى.

ومنها القول بأن "**خربش**" أصلها: "**خمش**"، وفي اللغة: "**خرمش**" بمعنى "**خمش**"، وفيها أيضًا: خربش بمعنى يمكن أن يتسع للمدلول العامي.

فالبحث في أصول الكلمات العامية يقتضي دقة في التحليل والتعليل؛ حـــتى لا نتجنى على كلمة بإخراجها من نسب الفصيح، وحتى لا نتعمل في توهم الوصل بـــين كلمة وكلمة ليس بينهما نسب صحيح.

٨- لشد ما تأثرت أنفس كتاب الفصحى بافتراض البعد بينها وبين العامية، فما يكادون يدعون أقلامهم يفلت إليها من العامية لفظ، وما يكادون يأنـــسون منـــها إلى تعبير.

كنت أستمع إلى إحدى الإذاعات، فقال المذيع: إن السقاة امتنعوا عن نقل الماء إلى القوات المعادية، فهذا المذيع الفصيح يتوخى ألا يقول "**الـــسقائين**" بـــدلاً مـــن: "**السقاة**"، ولم ينصف العامية ولا الفصحى فيما توخى، فالسقاة تنصرف أكثـــر مـــا تنصرف إلى السعاة بكئوس الخمر في مجالس المنادمة، وقد خصصت كلمة "**الـــساقي**" لهذا المعنى في التعبير الأدبي على توالي العصور، واستعمل فصحاء الكتاب قديمًا كلمـــة "السقائين" لمن يسقون الناس ماء، أو يحملون الماء إلى البيوت، وقد رووا أن أبا تمام كان

في حداثته سقّاء في مسجد عمرو، ولو عبرنا بأنه كان ساقيًا لاشتبه المسجد بالحان، والتبس الماء بالصهباء.

وتتحدث وزارة "التموين" عن العدس أو الفول إذا كسر أو ذهب عنه القشر، فتقول: **عدس مجروش**، أو **فول مجروش**، وفي اللسان العامي يقال: **مدشوش**، وكلمة "المدشوش" في الفصحى تحمل معنى الرض والجرش، ولكن الكاتب الفصيح الذي أشاع كلمة المجروش لم يشأ أن يضاهي لسان العامة في كلمة "مدشوش" فتركها مشردة لا ترقى إلى لغة الكتابة والتدوين.

والشعب كله يقول: **عوّامة، وبيّاع، وسوّاق، وخدّام**، ولكن حملة الأقلام يعدلون إلى نظائر لهذه الكلمات الصحيحة، فيقولون:عائمة، وبائع، **وسائق، وخادم**، وحين يقول الناس جميعًا: **برم شاربه، وتأمر عليه، وملخ دراعه، ونشره وسيبه**، أو يقولون: **حوش المال، وبلط** في أداء الدين، **وبرطل المرتشي**... لا يطلب للكاتبين إلا أن يستبدلوا بهذه الكلمات غيرها من كلمات لا تمتاز عنها بشيء من الفصاحة، كأنهم حراص على تأكيد الفصل بين العامية والفصحى، وإن دعاهم ذلك إلى جحود الكلمات الصحاح.

ومن بين الاستعمالات في اللسان العامي ما نتصيده في نصوص الأدب القديم، وإن يكن غير شائع في لغة الثقافة، فمن ذلك كلمة "**طيب**" التي نستعملها في مقام الموافقة، فقد أورد صاحب "الأغاني" في الجزء الأول من كتابه حوارًا، جاء فيه سؤال قائل: هل لك في كذا؟ فكان الجواب: طيب يا سيدي ... ومن ذلك كلمة "**وجب**"، التي تستعمل في مقام الاستجابة، وفي معرض الملاطفة، فإن قارئ الشعر يصادفها في بيت، لعمر بن أبي ربيعة، إذ يقول:

إن كفّي لك رهن بالرضا   فاقبلي يا هند قالت: قد وجب

ومن ذلك استعمال "**الحظ**" بمعنى الطرب واللهو والأنس، فقد جاء في الجزء الأول من "زهر الآداب" على لسان الخليفة الشاعر" ابن المعتز" قوله:" وكان لنا مجلس حظ...".

ومن العجيب في شأن هذا اللسان العامي أن فيه كلمات يسرع المرء إلى إنكار فصاحتها؛ لأنها مفقودة أو نادرة في كتب الأدب وتراث العربية على وجه عام، ولكن التنقيب في المعجمات، وإمعان النظر في أوابد الشعر، يسفر عن وجود تلك الكلمات التي تدور على ألسن الناس حتى اليوم.

فمن ذلك كلمة "**فم الغسيل**" التي يراد بها: المرة من غسل الثياب، إذ يقال: غسلت الثوب فمًّا أو فمين أو ثلاثة أفمام، فهذا التعبير فصيح يستفاد مما يساق في صدد كلمة "الفم" من المعاني المعجمية لها؛ حتى إن ضم الفاء وتشديد الميم مما ورد في اللغة.

ومن ذلك كلمة "**هلاهب**" التي يراد بها الدعاء والحث والإهابة، وتتردد في الاستعانة على الحمل، فقد ورد هذا التعبير لذلك المعنى عينه بصور مختلفة تقرب من النطق العامي - أو تبعد - وحسبنا من أمثلته الشعرية الكثيرة قول" مسكين الدارمي":

كشموش الخيل يبدو شغبها　　　كلما قيل لها: هال وهب

ومن ذلك الحلف بالأمانة: فيقال: بـ"**الأمانة**" لتزورني، وأمانة يا ليل تعطف على الحبيب، وقد كان القسم بالأمانة في أزهى عصور العربية، سجلته بعض المعجمات.

وجاء في قول "الأحوص":

ولقد نزلت من الفؤاد بمنزل　　　ما كان غيرك والأمانة ينزل

ومن ذلك "**الحرمة**" بمعنى الزوجة، و"**اللخمة**" بمعنى فقدان الخفة، والكتابة "**الناطقة**" بمعنى البينة الواضحة، و"**الطشاش**" بمعنى ضعف الإبصار، و"**الرأس**" بمعنى الشخص الفرد في لغة القائمين على الحمامات، "**المرسال**" بمعنى الرسول، و"**النهمة**" بمعنى الهمة، و"**النفس**" بمعنى الرغبة، وبمعنى العين الحاسدة، و"**شور له**" بمعنى أومأ، و"**الصيغة**" بمعنى الحلي، و"**خربق**" بمعنى أفسد، و"**الخلقة**" بمعنى الطبيعة، وبمعنى هيئة الوجه، و"**الأسامي**" جمع اسم، و"**البالة**" بمعنى الكيس، و"**القبصة**" بمعنى ما تتناوله بأطراف الأصابع من ملح ونحوه، و"**تعزيل الساكن**" بمعنى إخراجه من مسكنه، إلى غير ذلك من كلمات فصيحة تحيا على ألسنة الناس وإن كانت منسية في لغة الكتابة والتدوين.

هذا الباب الواسع من أبواب الكلمات العامية لا يستطيع أحد من المتــزمتين في اللغة أن يحاول فيه، فالكلمات فصيحة يحتج لفــصاحتها معجــم وثيــق، أو يــشهد باستعمالها بيان أصيل، أو يأذن باتخاذها قياس من أقيــسة الفــصحى منعقــد عليــه الاجتماع.

٩- وثمة باب آخر أكبر من ذلك الباب سعة، تزدحم فيــه كلمــات عاميــة، جذورها عربية، وصيغتها كذلك عربية، ولكن الجديد فيها هــو تحديــد الدلالــة، أو تخصيص المعنى، أو إطلاق ما قيد منه، وهو في الجملة إشراب اللفظ مدلولاً مولــدًا لا ينشر عن مدلوله الأصيل ولا يتنكر لمعناه القديم.

ولقد كان حقًّا أن تحتمل الألفاظ العربية على ألسنة العامة دلالات جديدة وأن تكتسي صيغة مجازية خاصة، فالناس يغوصون بألفاظهم في ملتطم العيش، ويــصادفهم من الأدوات والأشياء ما ليس لهم به عهد، ويهجس في نفوسهم من المعاني والصور ما تواتيهم به استجابتهم للحياة، ومن ثم تخرج ألفاظهم من ربقة الجمود، وتنصرف على ألسنتهم في حيوية ومرونة وطلاقة، حافلة بالمعاني والدلالات، لكي تصف لهم ما تقــع عليه الأعين أدق وصف، تعبر لهم عما تتناجى به النفوس أجلى تعبير.

وذلك الباب من الكلمات العامية هو زبدة خبرة بيانية بعيدة المــدى، عميقــة الأثر، وهو ثمرة تجربة اجتماعية لابستها الأمة في أحقاب ممدودة، وقد عرفت هذه الأمة بذلاقة اللسان - وذكاء القلب، ورهافة الحس، وإن لها كياســتها ولباقتــها في الأداء الحسن، ولها ولوعها بالتعبير الجميل فاستعمالاتها تقطير مصفًى لما امتازت به من ذلاقة وذكاء ورهافة، وهي مرآة مجلوة لذوقها البياني، ومظهر واضح من فنها التعبيري.

ولو أننا عمدنا إلى هذه الزبدة المركزة، وهذه الثمرة الطيبة فألحقناهــا بالبيــان العربي، واصطنعناها في لغة الكتابة لأمددنا الفصحى بما يزيدها مــن قــوة وفراهــة، ولأكسبناها ثروة تغنيها وتنميها على الأيام...

بيد أننا كرهنا هذه العامية أشد الكره، فصددنا عنها الكأس، وأهدرنا حقها في الحياة، فما ينبس نابس في العامية ببنت شفة، إلا أنكرناها عليه وأبيناها منه، ولم نطوع لأقلامنا أن نتقبلها بقبول حسن، فكأننا بهذا الصنيع الجائر نئد بنات الشفاة من ولائد العامية، وأن هذه الموؤدات لا تدري كيف تجيب إذا هي سئلت: بأي ذنب قتلت؟

لست أدرى بأي حق ساغ لنا قبول التطور في معاني الألفاظ ودلالاتها على أقلام الكتاب والأدباء في مختلف عصور العربية، مما سميناه "التوليد" وعز علينا أن نقبل مثل ذلك من تعبيرات أمة في مجتمع حي، لم تتخذ لها لسانًا آخر غير العربية، ولم تجنح في تطويرها لمعاني الألفاظ ودلالاتها إلى غير مناهج اللسان العربي.

وليتنا كنا إذ نعزف عن بضع كلمات العامية نعزف عن استغناء؛ إذ نؤثر ما بين أيدينا من كلمات الفصحى، فالحق أننا في كثير من مقامات الكلام، نجد الكلمة العامية أبين في الدلالة، أو أقوى في التأدية، أو أسرع في التأثير، أو أخصر في العبارة، أولا نكاد نجد في الفصحى ما يقابلها على الإطلاق ونحن على الرغم من ذلك نتعالى بأقلامنا على الكلمة العامية ونستبدل بها من الفصحى ما نحاول به أن نسد الحاجة، وإن كان البديل الفصيح لا يشفي ولا يكفي.

١٠- يفرق العامة بين الكلمات الثلاث: **باش، وساح، وذاب**، فيقولون: باش الصابون أو الخبز اليابس، أي تخلله الماء فذهب عنه اليبس، وساح الزبد أو الرصاص، أي تحلل بالحرارة والتسخين حتى صار مائعًا، وذاب السكر أو الملح تزايل عنه كيانه، واحتفظت بالسائل ذراته، وليس بمفهوم عنك، ولا متقبل منك أن تستعمل إحدى هذه الكلمات الثلاث مكان الأخريين، فلو قلت: باش السكر، لم ترد معنى الذوبان، ولو قلت: ساح الصابون، أو ذاب الزبد لجلبت على نفسك السخرية، ولكنت ركيك التعبير غير مبين، والفصحى تقول: باش القوم: اختلطوا، ساح الماء: جرى وذاب، ضد جسد، فهذا التخصيص العامي يأوي من العربية إلى ركن شديد.

ويفرق العامة بين: "**بص**"، و"**تبصص**"، و"**بصبص**"، فيستعملون "البص" لمطلق النظر، "والتبصص" للنظر المتلاحق يمنة ويسرة، و" البصبصة" لمعنى خاص دقيق هو النظر إلى المرأة على وجه التملي والاستمتاع أو المعاكسة والتغزل، واللغة تقول: بص: برق ولمع، وبصص: فتح عينيه وحركهما، وبصبص بمعنى بصص، وبمعنى لوح، وبمعنى تحريك الظباء أذنابها، فالبص في معنى النظر مجاز، والتبصيص في معاودة النظر لا يمنع منه مانع، ومادامت البصبصة تحمل معنى فتح العين والتلويح والتحريك، فاتخاذها للمعنى العامي تخصيص سائغ.

ويفرق العامة بين "**الحلة**"، و"**القدرة**"، فالحلة: للإناء يطبخ فيه، والقدرة: شبه الجرة لطهو الفول أو لخزن السمن أو لغير ذلك من الشئون، فشئنا نحن الكتاب الكرام أن نكون فصحاء متحرزين، وسمينا وعاء الطبخ قدرًا، فلم نحسن إذ القدر له دلالة معينة، وله شكل خاص،، واستعمال الحلة في معنى إناء الطبخ استعمال مصري ليس بجديد، فقد سجل بعض اللغويين أنه كان شائعًا في مصر منذ مائتين من السنين، واللغة لا تغضب على استعمال الحلة في معنى وعاء الطبخ، فمن معانيها أنها الوعاء مطلقًا ولا ضير على من يخصص، والويل كل الويل للغة يعوزها التخصيص للفهم والإفهام.

وقد اتخذ العامة كلمة "**النقطة**" لشيء خاص في مجتمع الناس، ذلك هو أن يتلقى العروسان ألوانًا من الهدايا والألطاف في مناسبة الزواج، وقد يجري ذلك في محافل البهجة، وفي المناسبات السارة، نحو الولادة أو الختان، فيتقبل "النقطة" أصحاب تلك المناسبات، أو من يجلبونهم في المحافل للرقص والغناء، وهذا من العادات الاجتماعية التي كانت معروفة منذ أقدم العهود، وقد أطلق العرب كلمة "**النثار**" على ما ينثر في العرض على من حضر، فكلمة النثار لا تشمل مدلول "النقطة" كله، فتارة تكون " النقطة" نثارًا لمن يحيون الحفل البهيج بالطرب والإيناس، وطورًا تكون إهداء للعروسين ومن إليهما من أصحاب الأفراح والليالي الملاح، على أن معنى "النقطة" قريب من معنى النثار في اللغة، والعرب يقولون: **نقط** الخبر: جاء به شيئًا بعد شيء، **وتنقطت** الأرض: ظهر فيها

نقط من عشب، وإذن فإطلاق كلمة "النقطة" في تسمية تلك العادة الاجتماعية إطلاق لا يماري فيه لغوي ذوقه سليم.

ويستعمل العامة كلمة "**المشوار**" في معنى مدى السير والنقلة من مكان إلى مكان، فيقولون مثلاً: "بين البيت والمدرسة مشوار " أي بينهما بعد معلوم، وهم كذلك يكنون بكلمة "المشوار" عن المهمة،فيقولون: وراءه مشوار، أي عليه أن يؤدي مهمة بالسير إلى جهة معينة، فهل تؤدي كلمة" **المرحلة**" أو"**المسافة**" هذا المعنى بحذافيره؟ وهل تسوغ كلتاهما أو إحداهما في التعبير؟ ومالنا نتضايق ونتحجر على أنفسنا، والمعجمات تثبت من التعبيرات المأثورة، "إياك والخطب فإنها مشوار كثير العثار" و"انظر إلى الدابة كيف مشوارها"؟ أي: كيف سيرها..." فكلمة "المشوار" لها في اللغة أصل وأساس، ورعيًا لهذا الأصل، وبناء على هذا الأساس يجوز لنا أن نصبغ الكلمة بصبغة المعنى الحديث الذي يستعملها فيه خلق الله.

وإذا أراد العامة التعبير عن صيحة لها نبرات خاصة، تطلق عند مفاجأة مفزعة، أو عند وقوع كارثة، أو في المآتم عامة ... قالوا: "الصوات"، واستعملوا فعل: صوَّت، ولو أننا استعضنا بكلمة "**الصراخ**"، أو "**الصياح**"، أو "**الولولة**"، أو "**الندب**"، لما أدت واحدة منها أو مجموعها ذلك المعنى الخاص، فقد تصرخ المرأة أو تصيح أو تولول أو تندب دون أن يكون ذلك، "صواتًا" بمدلوله الدقيق، وقد تفعل ذلك كله دون أن تكون قد "صوَّتت" بالمعنى المعروف، واللغة تسجل فعل: صوت، ولا ابتداع فيه وأما "الصوات" فإنه يجرى على وزن فُعال، وهو وزن صرفي مأنوس ينقاس عليه الكثير من أسماء الأصوات.

ويقول العامة:" **فلان غُلب**" على صيغة البناء للمجهول، يعنون أنه جاهد وكافح في أمر فلم يبلغه، ويمكن التعبير عن هذا المعنى الذي يؤدى بفعل واحد بجمل كثيرة فصيحة، فنقول: استنفد جهده، وبذل كل حيلة، ولم يترك وسيلة، ولم يدخر من وسع، ذلك و يمكن التعبير بفعل واحد، وهو "**أعيا**"، ولكن فعل " غُلب "المبني للمجهول يتمحض لمعناه العامي تمحضًا قويًا، إذ يثير في الذهن صورة مجاهد مجالد،

خرج من معركة البحث والمعاناة، ظل يغالب حتى غُلب، والغرض البلاغي في هذا ناصع الجبين.

ويرى العامة الرجل يقف على أطراف أصابعه لتطول قامته، فيقولون: هو "يشبّ"، وما أدرى أفي الفصحى كلمة واحدة تؤدي هذا المؤدى، ولكني لا أرى بأسًا بأن نأخذ الكلمة العامية، فالشب في اللغة: الارتفاع، وشب الفرس: رفع يديه، فلنجر على أقلامنا "شب" بمعنى وقف على أطراف أصابعه، ولنسجل في معجم العربية الحديث ما لحق الكلمة من تطور في المعنى، يجنح بها إلى التخصيص.

ويصف العامة الرجل بأنه **"حقاني"** فإذا حاولنا ترجمة هذه الكلمة إلى العربية، لم تعوزنا الجمل، فيقولون: هو **طاهر الذمة**، أو **دقيق المعاملة** أو مؤدٍّ لما عليه، أولا يأكل حق أحد، بيد أننا لا نكاد نجد كلمة واحدة تنفذ إلى النفس بكل ما تنفذ به كلمة "حقاني" في غير زيادة أو نقص، و" الحقاني" في اللغة المنسوب إلى الحق، وقد جاءت الكلمة على صيغة النسب مع الألف والنون، وهي صيغة وردت عليها كلمات كثار، منها هذه الكلمة العامية الحافلة بجلائل المعاني.

ويقول العامة في وصف المصباح أنه **"مدحمس"** أي أن ذبالته أو فتيلته ليست مرفوعة بارزة تأخذ من النار قدرًا كبيرًا فتبعث ضوءًا قويًا، ويقولون في الأمر بذلك: دحمسه أي أهبط بذبالته؛ حتى يقل ضوءه ولو أردنا أن نعبر عن هذا المعنى بكلمات فصيحة، لقلنا: مصباح ضوءه خافت أو شحيح، أو ضعيف، والمصباح قد يكون خافت الضوء وشحيحه وضعيفه ولا يكون مدحمسًا بهذا المعنى الدقيق، فأي ضير علينا في أن نستعير كلمة" الدحمسة" واللغة تقول: دحمس الرجل: لم يبين مراده، ودحمسه: خدعه، وأمر مدحمس: مستور، ولا شبهة في أن حمل المعنى العامي على هذه المعاني الفصيحة لا تضيق به رسوم علم البيان.

ويقول العامة: هذا رجل **مناكف**، والشاري يناكف البائع، والزوجة تناكف الزوج، يعنون بالمناكفة مالا أستطيع أن أقول: إنه المنازعة أو المشاحنة أو المشادة أو

المجادلة، فكل لفظ من هذه الألفاظ على حدة لا يقوم بمعنى المناكفة على جهة التحديد، واللغة تقول: ناكفه الكلام مناكفة: عاوره إياه، أي قابله بمثل كلامه، وتناكفوا الكلام، فهذا التفسير اللغوي المعجمي الجامد المائع ينتفض حيوية على ألسنة الناس، وتتشكل له صورة معينة؛ إذ يعبرون به عن خلة من خلال بعض الناس فيما يتناولون من الشئون، ويصفون به حالة من المناقشة العسيرة تعرض بين اثنين وتقابل التسامح والتساهل والمياسرة.

١١- وإن ساغ لكاتب متأنق أن يترفع عن مشاكلة العامة فيما يتناقلون من هذه الكلمات والتعبيرات، على فرط الحاجة إليها، وأن يستجيد من كلمات الفصحى كل شريف أو كل طريف، فالكاتب الروائي أو القصصي له شأن غير هذا الشأن، وهدف غير ذلك الهدف، إذ هو أحوج ما يكون إلى اصطناع كلمات وتعبيرات عامية في الوصف والتصوير، وبخاصة في مساق الحوار، فهي ذات دلالة تأثيرية خاصة في النداءات والأدعية والأجوبة، وفي الإعراب عن المشاعر والأحاسيس، ولاسيما حين يدور الحوار بين فئات من الناس مغرقة في السوقية متغلغلة في المحيط الشعبي، وحين تظهر شخصياتها على منصة المسرح في أزيائها البلدية، وفي هيئاتها المتميزة؛ لكي تتناقل الحديث.

ومن أمثلة ذلك أن يتحاور رجل وامرأة فتقول المرأة فيما تقول: **يا مدعوق، ياموكوس، يا بايخ. يا خباص، يا مسخوط، خصلتك وحشه، كلامك كلام عيال، وأنت مالك، إيش حشرك مالعقلك، دايمًا تحب تِلُك.**

فيجيبها الرجل فيم يجيب: **اسكتي يا حرمه، زهقتيني، طلعتِ روحي، سديت نِفْسِي- يا حفيظ، كلامك ينشف الريق، انجري من قدامي لا ألعن أسلافك، كفاية، هسّ، بسّ.**

ومن الأمثلة أن تقول إحدى النساء: **يا ضناي حاسب لتقع، اسم الله عليك، المحروس اسمه محمد، عاشت الأسامي، ولد حِرِك، طالع لخاله.**

أو تقول: **البنت ملحلحة، يدها مدملكة، غسلت البياضات، وقفت تنشر الغسيل ساعة الصبحية. هي تحب تلبس المخزق، حضرت سبوع جارها. قلعت في اليوم تلت غيارات، راحت لأختها تقولها: صباحيه مباركه.**

كذلك من الأمثلة أن يقال: **ضاعت فردة حلق، طارت فردة حمام، الثوب كله هباب، المفتاح غطس، الأرض نشفت، قبض عرقه، تغدي بعيش حاف، قعد يوحوح، خرج يبرطم، راح يهبش، كان عرقان، فاضل عليه من السلفة تناتيش، دخل من الباب البراني، طلع من الباب الجواني، تعلم الفخفخة، عينه رفت، حصل خير.**

إلى عشرات من النظائر والأشباه، مما له وقع في الإبانة، وتأثير في التعبير، ومتى عدل عنه الكاتب القصاص في روايته أو مسرحيته، فإنه يفلت من حق الأداء، ويخل بالدلالة، يحوم حول الهدف دون أن يواقعه.

على أن هذا الذي سقته من الأمثلة عربي كله، وفي قليل منه لون من التخصيص السائغ، والتجوز المباح.

١٢- إن بين العامية والفصحى ستارًا موهومًا، علينا أن نجلو غشاوته عن العيون، وليس من خير الفصحى أن تقوم بينها وبين العامية هذه العزلة الموحشة، فنحن نقتبس من اللغات الأجنبية كلمات معربة، ونترجم منها تعبيرات لها دلالة خاصة، وفاء بحاجات الحياة العصرية، وإغناء للبيان العربي بالطيب من ثمرات اللغات، فما أحرانا أن نفتح الباب على مصراعيه لكلماتنا العامية لتقتحم ميادين الكتابة والتدوين وما هذه الكلمات إلا" مصنوعات وطنية" نسجت من خيوط عربية، وصقلتها ألسنة عربية، أصبحت لنا بها أِلفة وأنس، وهي إذا دامجت الفصحى أكسبتها مزيدًا من الدقة والوضوح، وأفاضت عليها مرونة واستجابة للحياة المتجددة.

لقد جنت على هذه الكلمات تسميتها بالكلمات العامية، لاقتصار استعمالها على ألسنة العوام واختصاصها بلغة التخاطب والحديث، فلنعرف لها حقها في العربية، ولتجر بها أقلام الكرام الكاتبين دون تحرز، ولنسمها: **العامية الفصحى.**

* * *

الدخيل في لغتنا المحكية ودلالته(*)

للأستاذ أنيس المقدسي
(عضو المجمع)

الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية نوعان - خاص وعام، فالأول ما اختص بالحياة العلمية والأدبية. ومعظمه مما اقتبس من مؤلفات الأعاجم، كما حدث مثلاً في بغداد أيام العباسيين يوم نقلت علوم اليونان وسواهم، أو ما تم في خلال نهضتنا الحديثة من نقل العلوم والآداب الغربية.

أما النوع العام فهو ما تسرّب إلى اللغة من مصادر أعجمية، لا عن طريق النقل العلمي، بل عن طريق المعاملات والاتصالات العادية من تجارية واجتماعية وصناعية وزراعية. والغالب فيه أن يجيء عفوًا فيشيع شيوعًا طبيعيًّا في الكلام المحكيّ، وقد يتجاوزه أحيانًا إلى اللغة الكتابية. وهو عمومًا أمسّ بالحياة الشعبية وأدل على مدى تطوّرها واتّصالها بسواها.

وليست غايتي الآن أن أدسّ نفسي في موضوع العامي والفصيح فأكرر الكلام في ما عانته لغتنا الفصحى من طغيان الألفاظ الأعجمية والعامية، وكيف السبيل إلى تحريرها من العجمة والابتذال. فقد سبقني إلى ذلك كثيرون حتى أصبح الكلام فيه تحصيل حاصل. وإنما هي محاولة متواضعة لدرس ناحية خاصّة من نواحي تطوّرنا اللغوي والاجتماعي.

ومعلوم أن الدخيل في اللغة العربية قديم جدًّا يرجع إلى عهود الجاهلية. فالعرب قبل الإسلام لم يكونوا بنجوة من سائر الأمم منعزلين كل الانعزال عنهم، بدليل ما نجده في المرويّ عنهم من ألفاظ غريبة الأصول. ولقد فطن إلى ذلك علماء العربية منذ القدم

(*) عرض في الجلسة الخامسة للمؤتمر، في ٢ من مارس سنة ١٩٦٤م، ونشر بالبحوث والمحاضرات للدورة الثلاثين، ص ١٧٩، وقد أورد البحث معجماً للألفاظ الدخيلة الشائعة، انظر محاضر الدورة الثلاثين، من ص ١٨٩-٢٣٠- والتعقيبات التي على البحث ص ٢٣١. (يمكن أن ينضم هذا البحث إلى بحثي أ. المعلوف، في الحديث عن مؤلفات اللهجة العربية العامية. (انظر: اللهجات العربية، ص ١٤، ٣٢).

فبحثوا في المعرّب والدخيل، وجدّ بهم الجدل في بعض ألفاظ قرآنية هل هي عربية أصيلة أم غير أصيلة؟ فقال بعضهم شيئًا، وقال غيرهم شيئًا آخر. ووقف فريق موقفًا وسطًا أعرب عنه الجواليقي بقوله: "وكلاهما مصيب". وذلك أن هذه الحروف بغير لسان العرب في الأصل، ثم نطقت بها العرب فصارت عربية (المعرّب ص ٥).

ومما لا شك فيه أن الذي دخل العربية قبل الإسلام قليل إذا قيس بما دخل بعده؛ ذلك لأن الإسلام حمل العرب إلى بلدان وشعوب شتى، فاتسعت دائرة اتصالهم بسواهم. وكان من الطبيعيّ أن يكون لذلك الاتصال أثر بين في حياتهم العامة ولغتهم المحكية، إذ أنهم وجدوا بين الشعوب التي أخضعوها أو عاملوها ألوانًا من الحضارة لم يكن لهم عهد بها. فاستمدّوا منها ما كانوا في حاجة إليه. وهكذا أخذوا من الفارسية كثيرًا من أسماء الآنية والأطعمة والألبسة والرياحين وسواها. فصاروا يقولون مثلاً: **طشت** - فنجان - نبريش - زنبيل - برواز - جوارب - روزنامة - تخت - نرجس - إستبرق - بورق - سيرج - بريد - دابه - أستاذ، وغيرها مما يعد بالمئات. كما أخذوا من السريانية أو الآرامية ألفاظًا عديدة تتعلّق بالحياة الزراعية والصناعية والدينية، فدخل لغتهم أمثال: رفش - بردعة - رطل - صحفة - نير - جملون - عدّان - حانوت - درفه - زبون - بيعة - قسيس - شاغور - فدّان. هذا عدا العشرات من أسماء القرى والأشهر.

وقد تسرّب إلى العربية المحكية كثير من الألفاظ اليونانية الأصل بعضها عن طريق السريانية؛ إذ لم تكن اليونانية في الشرق لغة العامّة - مثل: أزميل - أقّه - ترياق - فانوس - فندق - قرطل - آسفين - بلاط - فلس - قرطاس - قصدير - أفيون - إسفلت وسواها. على أن عطاء اليونانية الأوسع كان من النوع الخاص أي الذي دخل قديمًا عن طريق الترجمة العلمية في العصر العباسي، وحديثًا عما وضعه علماء الغرب من مصطلحات للعلوم في صيغ يونانية أو لاتينية مأخوذة عن اليونانية - كتلسكوب - تلغراف - تليفون - جيولوجيا - بسيكولوجيا - موسيقى - جغرافيا - تيولوجيا - أرغن - أطلس - داكا - كيلو - بارومتر - ثرمومتر - فوصفور - قانون - أوركسترا -

أنونيم - سيراميك - ثرمو - بلاستيك - بروتوبلازم - هيدروجين - أوكسوجين - هليكوبتر - فوتوغراف، ومن اللغات البينة الأثر في لغتنا المحكية التركية والإيطالية. والذي يبدو أن التركية لم تعط العربية شيئًا يذكر إلا إبّان السيطرة العثمانية على الشرق العربي. ومن ذلك عدد غير قليل من المصطلحات الحكومية والعسكرية، مثل: **باشا، وبك، وأفندي، وسردار، وتمغة، وصاغ، وبيكباشي، ويوزباشي، وأنباشي، والبيولوردي، وبشلك، وسراي**. وكثير من أسماء الأطعمة والأدوات والصناعات، مثل: **كفتة - شورما - بقلاوى - جزمه - زنكيل - بابوج - بويا - تكنه - تتن - دوغري - برغي - سنكه - سنكري** (أو سمكري) **طبنجة - عربة - قفطان - ضبان - كرسته**. وما إلى ذلك من هذه الألفاظ التي لا نزال نستعملها في كلامنا العادي، وبعض هذه الألفاظ من أصل فارسي، ولكنه وصلنا عن طريق التركية.

أما الإيطالية فقد أخذ أثرها يبرز عقب الحروب الصليبية. فتلك الحروب التي طالت نحو مئتي سنة، وإن تكن قد انتهت باندحار الصليبيين، فإنها فتحت أبوابًا للتجارة التي كان يتزعمها الإيطاليون في شرقي البحر المتوسط، بفضل الامتيازات التي نالوها من أمراء البلاد الإسلامية. وهكذا أصبح لمدنهم الرئيسية جنوا وفلورنسا والبندقية وبيزا وسواها - اتصالات واسعة بالشرق، وعن هذه الطريق تسرب إلى العربية مع الزمن كثير من الألفاظ الإيطالية. وأكثرها مما له علاقة بالمعاملات التجارية والحياة والأدوات المنزلية. ومن ذلك - **إسكلة - بابور** - بورصة - بوليصة - صالة - طاولة - فاتورة - فرتيكة - فستان - كرنتينا - كمبيالة - لوكندة - موضة - صقالة - سيكورتاه - برنيطة - بالة، وما إلى ذلك مما يبلغ المئة ونيفًا أو يزيد.

وظلّت الإيطالية حتى القرن السادس عشر - وبعده بقليل - تمدّنا بالألفاظ الحضارية أكثر من سائر اللغات الأوروبية. ثم أخذ النفوذ الفرنسي ينافس الإيطالي، وذلك بعد أن منحت الدولة العثمانية فرنسا امتيازات مماثلة لامتيازات المدن الإيطالية. ولم تلبث أن نالت إنكلترا أيضًا هذه الامتيازات وتبعها سواها من دول الغرب.

والواقع أن نفوذ فرنسا وإنكلترا كسف في القرون الثلاثة الأخيرة النفوذ الإيطالي. فهاتان الدولتان جعلتا الشرق محطّ أنظارهما وأصبحتا تنافسان في الإقبال عليه عن طريق التجارة والاستعمار ونشر الثقافة. وأخذت مصانعهما تمدّه بما تنتجه من مصنوعات وبعثاتهما العلمية والدينية تفتح فيه المدارس، وتدخلهما السياسي يتعاظم عامًا فعامًا على حساب الدولة العثمانية صاحبة السلطة يومئذ في الشرق العربي، فكان من الطبيعي أن يدخل لغتنا المحكية والكتابية ما لا يحصى من الكلمات الأجنبية.

وقد ازداد هذا الأمر بعد أن دخلت أمريكا الميدان فقصد إلى الشرق منها في أوائل القرن الماضي بعثات دينية وثقافية، واجتذبت إليها ألوف المهاجرين من الأقطار العربية. أضف إلى كل هذا ما كان يقصد بلاد الغرب ولا يزال من مئات وألوف الشرقيين؛ طلبًا للعلم أو للتجارة. فليس بغريب إذا قلنا إنه لمن الصعب أو المتعذر أن نحصي جميع الألفاظ الدخيلة من فرنسية وإنكليزية وسواها. فهي توجد في معظم مناحي حياتنا الاجتماعية والصناعية والفكرية. وإذا كنا نرى بعضها بصور يونانية أو لاتينية فإنه يصل بالأكثر في مصانع ومختبرات فرنسا وبريطانيا وأميركا وإيطاليا وألمانيا وسواها حيث تنشأ المخترعات والمستنبطات والمصطلحات الحديثة، فتنتشر في أنحاء المعمورة بأسمائها المستحدثة وتغزو لغات العالم. ولا أبالغ إذا قلت إنها تعد بالألوف، وقد كانت ولا تزال الشغل الشاغل لعلماء العربية وكتابها أفرادًا وجماعات، ولاسيما مجمعنا اللغوي الذي يبذل جهودًا عظيمة في ترجمتها أو تعريبها. وعدد كبير من هذه الأوضاع الغربية قد تغلغل في لغتنا العامية، وجرى على ألسنة الناس في الأسواق والمنازل والأندية، حتى صار من العسير جدًّا استبداله بأوضاع عربية صحيحة.

ولما كانت الغاية من هذا البحث الاستدلال بما شاع في العربية المحكية من ألفاظ دخيلة على تطورنا اللغوي، وعلى مبلغ احتكاكنا التاريخي بسائر الأمم، كان لا مندوحة لنا عن جمع ما أمكن من هذه الألفاظ الدخيلة الشائعة، والنظر في مصادرها

الأصلية، وتوصّلاً إلى ذلك راجعت ما استطعت الحصول عليه من تحرّيات الباحثين السابقين من قدماء ومحدثين، وأهما ما يلي:

المعرب من الكلام الأعجمي، لأبي منصور الجواليقي	طبع مصر ١٩٢٥م
شفاء الغليل، لشهاب الدين الخفاجي	طبع مصر ١٣٢٥ هـ
التقريب في أصول التعريب، لطاهر الجزائري	طبع مصر ١٣٣٧هـ
الدليل في العاميّ والدخيل، لرشيد عطية	بيروت ١٨٩٨م
تاريخ العربية، لجرجي زيدان	مصر ١٩٠٤م
الألفاظ الفارسية المعربة، لأدي شير	بيروت ١٩٠٨م
تهذيب الألفاظ العامية، لمحمد علي الدسوقي	مصر ١٩٢٠م
اللغات المحكية في سوريا ولبنان، لفيليب حتي	بيروت ١٩٢٢م
تفسير الألفاظ الدخيلة، للأب طوبيا العنيسي	مصر ١٩٣٢م

مباحث المجامع العربية، وخصوصًا مجمع اللغة العربية بمصر - المجمع العلمي العربي بدمشق - المجمع العلمي العراقي ببغداد.

معجم الألفاظ العامية، لأنيس فريحة	بيروت ١٩٤٥م
قاموس العوام، لحليم دموس	بيروت ١٩٢٣م
معجم ألفاظ الحضارة، لمحمود تيمور	مصر ١٩٦١م

هذا عدا شتى المعاجم اللغوية الكبرى - عربية وفارسية وتركية وإنكليزية وفرنسية وإيطالية: التي كان لزامًا عليّ مراجعتها للبت في أصول الكلمات، ولعلّه من الخير أن نلقي نظرة على بعض هذه المباحث السابقة، لنرى طريقتها وما يستفاد منها في دراستنا. ولنبدأ بالجواليقي في كتابه: "المعرّب من الكلام الأعجمي".

المعرّب:

كتاب جليل جمّ الفوائد التاريخيّة واللغويّة. أثبت فيه المؤلف أكثر من (١٦٠٠) لفظة، لكن قسمًا كبيرًا منها هو أعلام أشخاص، أو أماكن، كإبراهيم وموسى ويعقوب

ويوسف وشرحبيل والخورنق وأنطاكية ويكسوم وفيروز والفسطاط والجرامقة وفلسطين، وما إلى ذلك من مئات الألفاظ. وهذه خارجة عن نطاق بحثنا الذي نتوخّى فيه ما دخل لغتنا المحكيّة عن طريق المعاملات العادية. فإذا أسقطنا هذه الأعلام من كتابه لم يبق فيه إلا بضع مئات مما نتوخّاه، وأكثرها من الفارسية.

والجواليقي مدقق في تمييز اللفظ الأصل من الدخيل، وحين يذكر أصول المعربات ومعانيها يجيد ويفيد، لكنه لا يفعل ذلك دائمًا فكثيرًا ما يثبت لفظًا ويقول فيه: معرب، أعجمي، أو ليس من كلام العرب، ويقف عند هذا الحد فلا يشير إلى أصله.

ومما يؤخذ على كتابه عدم ترتيبه الألفاظ ترتيبًا أبجديًّا منتظمًا. فالألفاظ عنده ترتب بحسب الحرف الأول فقط دون اعتبار ما يليه. فتحت حرف الباء مثلاً نجد كلمة: "البرسام" يليها "البرق"، **فالبورياء، فالبهرج، فالبالة، فالبهرمان، فالبرزنق، فالبخت، فالباعوث، فالبذخ**. وتحت حرف الكاف تأتي الألفاظ التالية، على الترتيب: **كرد - كشمخة - كوسج - الكديون - الكافور - الكفر - الكورة - كيسوم - كربلاء - كركم** - بدلاً من ترتيبها على هذا النسق: كافور - كديون - كربلاء - كرد - كركم - كشمخة - كفر - كورة - كوسج - كيسوم،: وهكذا قل في سائر حروفه.

شفاء الغليل (للخفاجي):

أراد فيه أن يعرّفنا بما في كلام العرب من الدخيل فأثبت ما يقرب من (١٣٠٠) كلمة. على أنه جمع فيها بين الدخيل وغير الدخيل، ففيها المعرّب والمولّد والعامي وشتى المصطلحات العربية. فمن المولد مثلاً : **المنصب - النحرير - توقيع الكتاب - نظارة العمل - التشويش - طفيلي - مقامة** - وغيرها من المولّدات العربية. ومن المصطلحات: **ضرب إلي لون كذا - يدهن من قارورة فارغة - جاسوس القلوب - بنت النار** من (المرقة المسخنة) - **رفع الحساب - رماح الجن** (أي الطاعون) . عدا كثير من الألفاظ التي يأتي بها لشرحها، كـ:"**الحارة**" - **والتمليط - وقرافة** (قال: وهي بطن من معافر

عرفوا باسم أبيهم، نـــزلوا محلة بمصر فعرفت بهم، وهي الآن مقبرة) . وقس على ذلك عشرات أو مئات، مما لا يصح عدّه من باب الدخيل.

أما المعرّبات فكثيرًا ما يذكرها دون الإشارة إلى أصولها، مثل: **صنوبر - سمسار - طراز - عربون - دبّوس - جملون**، وأمثالها. وقد كان عسيرًا أن نضبطها كما وردت في الكتاب على أنها لا تزيد على (٤٥٠) لفظة أكثرها فارسي. هذا وقـــد حـــاول أن يرتب الكلمات على حروف المعجم، فجاء ترتيبه ناقصًا، إذ أنه لم يراع في الترتيب غير الحرف الأول من الكلمة دون مايليه.

الألفاظ الفارسيّة المعرّبة (لأدى شير):

أثبت في الكتاب أكثر من (١٥٠٠) كلمة معرّبة، وقد عني بـــشرح أصـــولها، وذكر ما يقابلها في شتى اللغات، كالتركية والكردية واليونانية واللاتينية وسواها. على أن كثيرًا من هذه الكلمات غير شائع لا في اللغة المحكية ولا الكتابية. ولا نحسب الشائع منه يتجاوز بضع مئات، وقد اعتمد في تأليفه على القاموس الفارسي " البرهان القاطع " لحسين بن خلف التبريزي، وعلى "محيط المحيط" للبستاني، و"أقرب الموارد"، للشرتوني.

الدليل إلى مرادف العامي والدخيل (لرشيد عطية بيروت ١٨٩٨مـــ):

يأخذ مؤلفه على شبان العصر ما يشوّهون به محيّا اللغة بما يقحمونه فيها مـــن ألفاظ أعجمية وقد دفعته غيرته إلى جمع ما أمكنه من هذه الألفاظ، ففسرها وأرجعهـــا إلى أصولها، واجتهد في وضع مرادفات صحيحة لها. وأضاف إلى ذلك فوائد لغوية.

والكتاب جدير بالمطالعة، لا يستغني عنه محب البحـــث في هـــذا الموضـــوع وخصوصًا إذا أراد الاطلاع على الحركة اللغوية في فجر هذا القرن وهو يضمّ (٩٨٠) كلمة عامية، ومنها (نحو ١٩٠) لفظة دخيلة.

ويريد بالدخيل ما دخل حديثًا على اللغة، لا ما عربته العرب قديمًا، وجرى عليه الأئمة في كتبهم اللغوية، وينقل عن القدماء كيف تعرف عجمة اللفظة، ثم يأتي بأمثلـــة من الثعالبي على أسماء تفرّد بها الفرس دون العرب، فاضطر العرب إلى تعريبها، وأمثلـــة

على ألفاظ عربية محكية، وفارسيتها منسية. وهنا نقف موقف الشك من صحة أمثلته؛ إذ يعدّ في هذا الباب أمثال: **بياع - دلاّل - صراف - خياط - كساء - قلم - كتاب**.

والعامية عنده هي ألفاظ عربية محرفة عن أصولها فهو يحاول تفسيرها وتبيان أصلها الصحيح، وأكثرها مما جرى على الألسنة في سوريا ولبنان وفلسطين.

تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: (للقس طوبيا العنيسي – مصر ١٩٣٢):

قال ــ في مقدمته -: " اعلم أولاً أني فسّرت الدخيلة بمعناها الأصلي اللغوي، فقط معرضًا عن المعاني التي توسّع القوم فيها أو حصروها. وثانيًا أني انتقيت الألفاظ المتداولة التي هي أكثر شيوعًا، مهملاً الألفاظ الفارسية التي لا يستعملها أحد.

أما الألفاظ التركية فينبغي دفنها، وكذلك الألفاظ الفرنسوية والإيطالية والإنكليزية التي تستعملها العامة من غير حاجة إليها. غير أن الألفاظ العلمية الدخيلة للمكتشفات الحديثة ... لا بأس من استعمالها حتى يضع الأئمة كلمة عربية تقوم مقامها".

ولنترك له رأيه في انتقاء ما شاء أو إهمال ما شاء من الألفاظ الدخيلة. فغايته على ما يظهر هي النظر في المتداول منها فقط، وتفسيره بإرجاعه إلى أصله. وفي عمله ما يذكر له بالثناء العاطر، فقد أثبت في كتابه نحو أربعمائة لفظة دخيلة، فجاءت بحسب كما يلي:

١٤٩	كلمات فارسية	كلمات تركية	٥٥
٧٨	كلمات إيطالية	كلمات يونانية	٩٥
٣٧	كلمات سريانية	كلمات لاتينية	١٩

ويلاحظ أنه ترك كثيرًا من الألفاظ الدخيلة الحديثة التي تستعملها العامة، ولا غبار على ذلك مادام غرضه تنقية اللغة من الشوائب، وتحريرها من الرطانات التي شوهتها.

أما في مثل بحثنا هذا الذي يتناول تطور اللغة وعلاقاتها التاريخية والاجتماعية بسواها من اللغات فلا بد لنا من معرفة كل ما دخلها مع الزمن من ألفاظ غريبة؛ ليصح بناء حكم صحيح أو قريب من الصحيح عليها.

تهذيب الألفاظ العامية (للدسوقي):

وهو جزءان - يخصص معظم الجزء الأول منه للبحث في العامي (وهو عنده يشمل المولد والدخيل) والتعريب وأحكامه. ويجري على طريقة ابن قتيبة في أدب الكاتب، ومن تبعه من القدماء في عرض قوائم من الألفاظ العربية التي تستعملها العامة في غير وجهها الصحيح، إما بتحريف الحركات أو بالتصحيف، وما يخطئون به في الجمع والمفرد والنسبة وغير ذلك، وفي آخر فصل في هذا الجزء يبدأ بعرض الألفاظ العامية (أي المولدة والدخيلة) مع شرحها ومرادفاتها الصحيحة، فيثبت من ذلك نحو ١٣٣ لفظة تحت باب أثاث المنزل ومتاعه.

وفي الجزء الثاني: يتابع عرض قوائم الألفاظ. فيبدأ بباب ما هو صحيح من أقوال العامة، ويظن أنه عامي من باب المحرف وأصله عربي.

ثم يتقدم إلى الألفاظ العامية (المولدة والدخيلة) فأثبت منها نحو ألفين تحت الأبواب التالية: (١) حِرف الناس ومراتبهم (٢) آلات الهدم والبناء (٣) المباني وأجزاء المنزل وما يتعلق بذلك (٤) أصحاب الحرف وما يتعلق بعملهم، ومنهم بحسب ترتيبه: النجّار - الخرّاط - الحدّاد - الصّانع - الحائك - الخيّاط - النجّاد - الإسكاف - الحلاّق - البيطار - الصياد.

(٥) المراكب وآلات النقل البرية والبحرية والهوائية (٦) آلات رفع الماء (٧) مساحة الأراضي وأجزاء الأرض وما يتعلق بها من حرف، كالزراعة، والنحالة، والطحن، والخبز.

ويتبع هذه الأبواب فصول في الألوان والأشربة والملابس والحلي والحكومة والجيش وآلات اللهو والرياضة، والمعاملات وأدواتها، وأدوات دور العلم والكتابة والطب والصيدلة. وقد تحرينا جميع ما أثبته فكان فيه من الألفاظ الدخيلة (نحو ٤٥٠) كلمة يكثر فيها التركي والفارسي والفرنسي. وفي هذا الأخير أي الفرنسي يدمج تقريبًا معظم الألفاظ التي هي من أصول لاتينية أو إيطالية. ومما قد يؤخذ عليه أنه يمر على

كثير من الألفاظ الدخيلة دون ذكر أصولها، وقد يكتفي بقوله: " إفرنجية"، ولا يظهر أنه اعتمد معاجم اللغة الرئيسية، كمعجم أكسفورد ولاروس وسواهما من المعاجم والموسوعات على اختلاف لغاتها ليتثبت من أصول الكلمات، بل اكتفى بأقوال الكتاب ممن خاضوا عباب هذا البحث.

ومهما يكن فكتابه مفيد وفيه عرض واف لكثير مما يحتاج إليه من يعنى بمثل هذه الدراسات، واجتهاده اللغوي بين في محاولته وضع مرادفات صحيحة أو فصيحة للألفاظ العامية من مولد ودخيل.

معجم الألفاظ العامية:(لأنيس فريحة):

في هذا المعجم محاولة موفقة لجمع أكبر عدد من الألفاظ والمصطلحات العامية الشائعة في لبنان. وبه قدّم المؤلف للباحثين أوسع معجم للعامية العربية والدخيلة. وقد عني بتفسير هذه الألفاظ وإرجاع الدخيل منها إلى أصله، مع الإشارة إلى المصادر المختلفة التي ذكرت ذلك الأصل. وهو يحتوي على ما يقرب من ست آلاف لفظة ومصطلح. على أن الدخيل منها لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة، موزعة كما يلي:

٩٥	فارسية	....
٨٤	سريانية	....
٥٠	إيطالية	....
٤٢	تركية	....
٤١	يونانية	....
٢٤	فرنسية ولاتينية	....

يضاف إليها أشتات من لغات أخرى. وهذا المعجم من أفضل المراجع للمعنيين بمثل هذه المباحث.

معجم ألفاظ الحضارة: (لمحمود تيمور – مصر ١٩٦١م)

هذا كتاب حديث أو بالأحرى بحث قدّم لمجمع اللغة بالقاهرة. وقد عني صاحبه عناية خاصة بفتح أبواب العربية الفصحى لقبول أدوات الحضارة، وما يتعلق بها في

ألفاظ عربية خالية من العجمة والابتذال. فجمع من الألفاظ العامية الشائعة في حياتنا الحديثة (نحو ١٥٠٠) لفظة، ومنها (نحو ٤٠٠) لفظة دخيلة.

والذي يذكر له تحريه ما وضع لهذه الألفاظ حتى الآن من مرادفات فصيحة وإبداء رأيه في أيهما أفضل، فضلاً عن صوغه كثيرًا من الأوضاع الجديدة، وقد أصاب إذ قال في مقدمة هذا المعجم: "ولقد بات من واجبنا أن نمكن هذه الفصحى في ميدان التعبير الحضاري الشامل للحياة العامة في البيت والمصنع والمتجر والسوق، حتى يجد الكاتب حاجته منها سهلاً منالها، حين يتوق إلى الإفضاء بما يخطر لفكره من معنى، أو يعالج وصف ما يقع تحت عينه من أداة".

ومع أننا نرى رأيه في تحرير اللغة ما أمكن من كل رطانة أعجمية، ورفعها عن حضيض الابتذال، نودّ أن نقول: أن ليس كل كلمة دخيلة على اللغة يعد دخولها من باب الرطانة أو الابتذال فلا بد من الحذر حين إبدالها بكلمة فصيحة من أن نقدم للجمهور ما لا يستساغ أو مالا يؤدي المعنى المنشود، وعلى كلٍ ففي البحث الذي نعالجه الآن لا نتعرض لهذا الموضوع الهام، إذ ليست غايتنا إلا اطلاع مدى تأثر لغتنا المحكية بسواها، وعلى ما لهذا التأثر من دلالات تاريخية واجتماعية.

وبعد أن نظرت في ما جمعه هؤلاء الأعلام من ألفاظ دخيلة أضفت إليها ما وقع إليّ شخصيًا. ثم رجعت إلى كتب اللغة من عربية وأعجمية لأتثبت من صحة أصولها فإذا لدي من هذه الألفاظ الشائعة في كلامنا العامي - قديمًا وحديثًا - مجموعة تناهز الألف، على أني غربلتها وأثبت منها (نحو ٧٥٠) لفظة. وهي موزعة بين شتى اللغات على النسب التالية:

٢٢٥	فارسية	٦٥	سريانية
١٠٠	تركية	٧٥	فرنسية
٩٥	إيطالية	٣٠	إنكليزية
٧٦	يونانية	٢٥	لاتينية
٤٥	شتى		

فمن النظر في هذه الألفاظ يتبين لنا أن لغتنا المحكيّة قد تأثرت منذ القدم ببضع لغات، وكان مدى تأثرها بالنسبة إلى مدى احتكاك الأمة العربية بغيرها من الأمم. ففي عهودها الأولى كان التأثير الأكبر للغة الفارسية، فالسريانية المتسرجنة، وفي عهودها الوسطى، أي منذ القرن الثاني عشر والثالث عشر إلى ١٦ للإيطالية ثم للتركية. أما في القرنين الأخيرين (أي ١٩، ٢٠) فللفرنسية والإنكليزية، فعن طريقهما دخل العربية ما يتعذر حصره من أسماء المخترعات والمكتشفات والألبسة وأدوات الزينة والروائح العطرية والمشروبات والأدوية والمفروشات، وغيرها من أسباب الحضارة الحديثة. ولو أضفنا إلى هذه ما عرّبه الكتاب من الأوضاع العلمية والفنية على اختلاف أنواعها لضاقت به الصفحات الكثيرة.

وهنا فلأخرج قليلاً عن صميم الموضوع، باستطراد وجيز، وهو أني وإن كنت قد خصصت هذا البحث لما استعارته العربية المحكية من سواها فلا ينبغي أن ننسى ما كان للعربية من تأثير في شتى اللغات، بعد أن توطدت حضارتها في الشرق وفي الأندلس، ففي الشرق طغت على اللغتين الفارسية والتركية حتى عمرتها بألفاظها وأوضاعها. ورغبة مني في الاطلاع على مدى طغيانها على هاتين اللغتين رجعت إلى المعجم الفارسي الإنكليزي، لجونسون، تحرير Steingass. وإلى المعجم التركي (J.W.Readhouse) واخترت من كل منهما أربعين صفحة من أماكن مختلفة وأحصيت ما فيها من الألفاظ فكانت من الفارسية ١٥٨٥ منها ٧٥٣عربية. ومن التركية ١١١١ لفظة منها ٦٧٤ عربية. وهذا كما يبدو نسبة عالية جدًّا. وأنا لا أدّعي أن هذا الإحصاء كاف لتقرير هذه النسبة تقريرًا علميًّا راهنًا. ولكنه على كل حال يعطينا فكرة ليست ببعيدة عن الصواب.

أما في الغرب فقد كان للعربية في إبان حضارتها تأثير لغويّ كبير بدليل وجود مئات الألفاظ العربية الأصل في شتي لغاته. فقد أثبت Dozy في كتابه:

(Giossaire des mots espagnols et portugais derives de l'Arabe).ما يزيد على

ألف وخمسمائة لفظة من أصل عربي. ويقرب من هذا العدد ما أثبته الأب هنري لامنس Lammens في كتابه (Researches sur les mots francais de l' Arabe) ومثله والت تايلور Taylor في كتابه: (Arabie words in English) وقد بحثت كل ذلك بتفصيل في رسالة قدمتها للمجمع في مؤتمره التاسع والعشرين، معتمدًا أهم المراجع والمعاجم الأجنبية الموثوق بها.

ولعلنا نستطيع بعد كل الذي ذكرناه عن الدخيل في العربية ودلالته أن نخرج ببعض فوائد لغوية ومنها:

(١) أن تفاعل اللغات يكون بالنسبة إلى أحوالها الحضارية. فإذا احتكت أمتان بعضهما ببعض فإن المتأخرة حضاريًا وإن تكن الغالبة عسكريًا تأخذ من لغة الأخرى أكثر مما تعطيها.

(٢) أن تفاعل اللغات لا يعني بالضرورة فسادها. فكل لغة تستعير من سواها ما تحتاج إليه. وليس وجود الألفاظ الدخيلة في لغة ما معرّة، بل المعرة أن تضعف شخصيتها، بفساد تراكيبها وذهاب خصائصها وزوال الرغبة من نفوس أبنائها في رفع مستواها، لتكون صالحة لمطالب التطوّر المستمر.

(٣) أن ناموس التطوّر لا يبقي في اللغة غير الأصلح سواء أكان هذا الأصلح أصيلاً أو دخيلاً. فهو وحده الذي يعيش مع الزمن.

(٤) أن تقدم القومية وتقدم اللغة أمران لا ينفصلان. إذا قويت تلك قويت هذه، والعكس بالعكس.

(٥) أن اللغة ولاسيما المحكيّة تنمو وتتغير باستمرار خاضعة لتأثيرات شتى، من جغرافية واجتماعية وثقافية - فكلمات تموت وأخرى تنشأ، تعابير تستجد وأخرى تبلى. وكلها مبنية على مبدأ الاقتصاد الذهني، وهو المعوّل عليه في هذا العصر عصر السرعة.

* * *

ما بين الفصحى والعامية
من الوحدة في الألفاظ(*)

للأستاذ محمد شوقي أمين
(عضو المجمع)

١- كما عنيت لجنة اللهجات في مواضي عهودها بدراسة اللهجات العربية القديمة، عنيت كذلك باللهجات الحديثة، وفي المجمع بحوث شتى في هذا الباب، وللجنة تقرير مفصل مضى عليه أكثر من ربع قرن.

٢- وفي هذا العام رأت اللجنة أن تطرق باب الألفاظ العامية التي تجري في البيت والمصنع والسوق والحقل، وأن تستخلص منها ما تتحقق فيه الوحدة بين الفصحى والعامية لفظًا وضبطًا ودلالة.

٣- وقد درست اللجنة ألفاظًا عدها مئة، وهدفها من هذه الدراسة أن توثق لهذه الألفاظ علاقتها بالفصحى، وأن تنبه إلى أنه لا وجه لإغفالها أو الترفع عنها في لغة الكتابة، وهي تعايش الحياة اليومية في التفاهم والتحادث والخطاب.

٤- ولعل من ثمرات هذه الدراسة إمداد رجال التربية بزاد من الكلمات العامية الفصيحة، تحقيقًا لغرضهم الذي يدعون إلى تحقيقه، وهو التقريب جهد الإمكان بين لغة الناشئين، التي تمرسوا بها ومرنوا عليها، وما يعرض عليهم في الكتب المدرسية في مرحلة التعليم الأساسي.

٥- وتأمل اللجنة أن تواصل دراستها لمجموعات متتابعة من أمثال هذه الألفاظ، وصلاً لجهود الباحثين في مختلف البلاد العربية - خلال قرن مضى - في إبراز العروة الوثقى بين الفصحى والعاميات في أوطان العروبة.

(*) عرض البحث في مؤتمر الدورة السادسة والأربعين، بالجلسة الثانية عشرة، الأحد ٣٠ من مارس سنة ١٩٨٠ م، عرض بعنوان: "مائة من الألفاظ الفصيحة التي تبدو عامية"، ونشر بملحق محاضر الجلسات، بعنوان: "كلام الناس" (انظر: محاضر جلسات الدورة السادسة والأربعين، ص ١٦٢ وما بعدها).

٦- ويعنى اللجنة أن توجه النظر إلى أن هذه المجموعات المئوية التي تقدمها اليوم، وإن كانت مما يجري في الوطن العربي المصري معظمها مما هو مفهوم متعارف في العاميات العربية الأخرى.

على أن هذه الألفاظ في نطقها وضبطها ودلالتها مسجلة في المعجم العربي الذي هو مرجع كل قارئ عربي حين يريد الوقوف على المعاني والدلالات للألفاظ، وهو دستور الفصحى على تعاقب الأزمان واختلاف الأوطان.

كلام الناس

نخبة من الكلمات التي يستعملها الناس في لغة الخطاب والمشافهة خاصة وهي فصيحة في لفظها ودلالتها انتقاها وأعدها: **محمد شوقي أمين ـ عضو المجمع**

***بابا**، بمعنى: الأب.

وماما، بمعنى: الأم.

في بيان الجاحظ لفظ "بابا" و"ماما" قال: "الباء والميم أول ما ينطق به الطفل، يقول: بابا ـ ماما ".

وفي اللسان: قالوا... بأبَا الصبيَّ أبوه إذا قال له: بَابَا، وبَأْبَاْهُ الصبيُّ، إذا قال له: بابا.

***تاتا** (للطفل): بمعنى امش خطوة خطوة.

في الوسيط: تأتأ الطفل: مشى. وفي اللسان التَأْتاء. مَشْيُ الصَّبي الصغير.

***العيِّل**، بمعنى: الولد.

وفيما استشهد به "المعري" في غفرانه:

يقولون مهلاً ليس للشيخ عيِّل   وها أنا قد أعيلت وَأنا كبير

***الشَّجِيع**: الشُّجاع (كما فى المعجمات).

***الجَذَع**، وجمعه: الجِذْعان، بمعنى الشاب والشبان (كما في المعجمات).

***الشَّبُّ، والشَّبَّة**: الشابُّ، والشابَّة. (كما في المعجمات).

***السُّبوع**، بمعنى الأسبوع، ويخصون به الحفاوة بمرور أسبوع على ولادة الطفل.

وفي اللغة: السُّبوع: الأسبوع.

***فُمُّ الغسيل**: المرة من الغسل.

وفي اللغة: الفم من الدباغ: المرَّة منه.

***روَّح**، بمعنى رجع إلى منـــزله بعد عمله في يومه، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

وَرَوَّح رُعْيان ونوَّم سُمَّر

***الرِّيحة**، بمعنى الرائحة، ومنه قول أبي الطيب:

وتركت أنتن ريحةٍ مذمومة   وسَلَبْتَ أطيب ريحةٍ تتضوَّع

***فَصّ العين**: حدقتها. (كما في المعجمات)

***دأدأ**: أحدث جلبة.

الدَّأدأة: صوت وقع الحجارة في المسيل - قال الفراء - يقال:

سمعت له دأدأة، أي جلبة. (ل)

***عود الكبريت** وفي شعر ابن رشيق:

أشِر بعود من الكبريت نحو فمي   وانظر إلى زفراتي كيف تلهبه

***حرَّج عليه**: حَرَّم، وضَيَّق.

حرَّج فلانٌ على فلان: إذا ضيَّق عليه. (ل)

***زوَّق العَرُوس**: زَيَّنها، وفي اللغة:

زوَّقت الشيء: زينته، وقيل لكل منقَّش ومزيَّن: "مزوَّق".

***حَزَقَه**: ألجأه إلى مضيق وأمسك به.

وفي اللغة: حزقه حزقًا، عَصَبه وضغطه.

***سكَّ الباب**: أغلقه. (كما في المعجمات)

***الدَّرْزِيُّ**: الخياط.

في "تاج العروس" قال المبرد: الدَّرْزى، بالفتح: الخياط.

***لَهْوَج العمل**، وعمله ملهوج، بمعنى لم يحكم عمله، بل أسرع فيه، **فجاءَ** غير متقن وغير مبرم، كما في المعجمات، ومن المأثور: الشواء الملهوج.

***اللُّمَّة**. الجَمْع من الناس،وفي الحديث:(خرجت في لمة من نسائها)أي في جماعة.

***المِرْسال**: الرَّسُول.

وفي اللغة: المرسال: الرسول، شبه بالسهم القصير لخفته.

***القُفَّة**: وعاء من خوص.

وفي التاج: القرعة اليابسة، كما في الصحاح، وقال الليث: كهيئة القرعة تتخذ من الخوص.

***المراجيح**، بمعنى: الأراجيح.

وفي اللغة: المرجوحة: الأرجوحة. وجمعها؛ مراجيح.

***الخُنَفس، والخُنْفُسة**: الخنفساء. (كما في المعجمات).

***مَحْصُور**: حابس بوله.

وفي المعجمات:حصر عليه بوله حصرًا، وقد أخذه الحصر، ويقولون... حصر عليه بوله فهو محصور.

***الزُّور**: القوة والشدة، يقال: فعلته بالزُّور. وفي التاج: الزور: قوة العزيمة.

***السُّفْرَة**: المائدة. ومنه حجرة السفرة، أي حجرة الطعام.

قال صاحب التاج: وفي التهذيب: السفرة التي يؤكل عليها، وسميت لأنها تبسط إذا أكل عليها.

***ينْهَج**: يردد أنفاسه في انبهار.

يقال: فلان ينهج في النفس. (ل)

***الدُّوكة**: الاختلاط والمنازلة.

وفي اللغة: والدُّوكة: الشر والخصومة. (كما في المعجمات).

***ساح**: سال.

في " التاج": الماء يسيح سيحًا وسيحانًا.

وفي المعجمات: السيح: الماء الظاهر على وجه الأرض.

***قَوَّر الشيء**: جَوَّفه. (كما في المعجمات) .

***مدخمس**: قليل الضوءِ، غير واضح أو متوهج. فيقال: مصباحٌ مُدَخْمَسٌ.

وفي اللغة: أمر مُدَخْمَسٌ إذا كان مستورًا.

وثناءٌ مُدَخْمَسٌ: لا يبين ولا يُجَدّ فيه.

***الجُرْسة**: الفضيحة وسوء السمعة.

وفي اللغة: الجرسة: التسميع والتنديد (كما في المعجمات)

***الأطرش**: الأصمُّ. (كما في المعجمات)

***التغطرش**: التغافل، والتعامي عن الشيء (كما في المعجمات)

***الخشخشة**: القعقعة.

***الشخشخة**: الخشخشة: (كما في المعجمات)

***الزيطة**: اختلاط الأصوات والجلبة. (كما في المعجمات)

***الشِّياط**: الاحتراق.

وفي اللغة: شاطت القدر شيطًا احترقت، وقيل: احترقت، ولصق بها الشيء.

***خَشّ**: دخل. (كما في المعجمات)

***الوشوشة**: التحادث بصوت غير مسموع.

وفي اللغة: الوشوشة: الكلام المختلط، وقيل: الخفى، وقيل: هي الكلمة الخفية.

***حَوَّش مالاً**: جَمَعَه. (كما في المعجمات)

***شبعان**: وشبعانة (كما في المعجمات)

***حَزْنان**: حزين (كما في المعجمات)

***حَبَّق له مالاً**: جمع. ويقال: هو يحبق ويدبق، أي يجمع بجهد.

وفي اللغة: حبَّق متاعه تحبيقًا: جَمَعَه وأحكم أمْرَهُ.

***مخربَق**: فاسد، به تَلف.

وفي اللغة: خربق فلانٌ العمل: أفسده.

***الجُوق**: الجماعة. الجوقة: الجوق. (كما في المعجمات)

***زَنَّق عليه**: ضَيَّق عليه.

وفي اللغة: زنَّق على عياله: ضيق.

***انحمق**: غضب وثار.

وفي اللغة: انحمق واستحمق، فهو أحمق (اللسان، والتاج)

***دَلَق الماء**: صبَّه، و اندلق: انصبَّ.

وفي اللغة: الدلق: خروج الشيء من مخرجه سريعًا. واندلق السيل: اندفع.

***دبدب برجله**: أحدث بها جلبة.

والدبدبة: صوت الأرجل. (كما في المعجمات)

***زحزحه**: حركه من موضعه، وأخره عنه.

***زاحه**: أزاله عن موضعه. (كما في المعجمات)

***دَحْدَرَهُ، وتَدَحْدَر**: دحرجة فتدحرج، وأهبطه من علو إلى أسفل فهبط. (كما في المعجمات)

***يوالس**: يخادع.

وفي اللغة: الولس: الخيانة والخديعة ومنه قوله: لا يوالس ولا يدالس.

***مَدْشوش**؛ مدقوق في غير إنعام، أي مجروش.

وفي اللغة: الدشيشة: الجشيشة، من جشَّه: دقه وطحنه.

***انفش الورم**: ذهب.

وفي اللغة: انفش الجرح: سكن ورمه.

***الشطُّ**: الشاطئ. (كما في المعجمات)

***الدُخَّان** - بتشديد الخاء: الدُخَان. (كما في المعجمات)

***دندن**: ردد صوته خفيفًا في تنغيم.

وفي اللغة: دَنْدَنَ: صَوَّت، والدَّنْدَنة: أن تسمع من الرجل نغمة، ولا تفهم ما يقول. وهي أيضا: الكلام الخفي.

***النُّهمة**: القوة والعزم.

وفي اللغة: بلوغ الهمة والشهوة.

***خَرْشَمَه**: ضرب أنفه فكسره.

وفي اللغة: الخُرْشُوم بالضم: أنف الجبل. (القاموس) وفي التاج " خرشم الرجلَ: كسَّره وجهه".

والاشتقاق من الخرشوم يجاء منه بالفعل خرشمه.

***خَشَمه**: كفه عن غلوائه، وأسكته، وردعه.

وفي اللغة: خشمه: كسر خيشومه. وذلك كناية عن الإذلال والإخضاع.

***الخُمُّ**: محبس الدجاج. قال ابن سيده: أرى ذلك لخبث رائحته.

***الخَشَانة، الخُشُونة**: ضد الليونة. (كما في المعجمات)

***بَيَّاع**، بمعنى: بائع.

***شَيَّال**، بمعنى: حمَّال.

***سوّاق**، بمعنى: سائق.

***الفرقعة**: صوت الانفجار. وفرقع الأصابع: نقضها.

وفي اللغة: الفرقعة: صوت بين شيئين يضربان.

***يتربَّع**: يجلس واضعًا قدمه اليمنى تحت فخذه اليسرى، وقدمه اليسرى تحت فخذه اليمنى.

***البغبغة**: اختلاط الكلام، والهدير.

***حوالَيْه**، بمعنى: حوله. يقال: الناس حواليه. (كما في المعجمات)

***الخُنَّاق** ـ بتشديد النون: الاختناق.

يقال: لا فراق إلا بالخنَّاق، يكنون بالخُناق عن اختناقه حتى الموت.

وفي اللغة: الخُنَّاق، كرُمَّان: لغة في الخناق كغراب.

***حَوَّد**: مال عن الطريق.

وفي اللغة: حاد عنه يَحُود: مال، وتضعيف الثلاثي للمبالغة قياسي.

حاد عنه يحيد حَيْدًا وحَيَدانًا ومحيدًا وحيودًا وحيدة وحَيدودة: مال: (القاموس، والتاج)

***الخَبِيز**: المخبوز.

واللغة تبيح تحويل مفعول إلى فعيل قياسًا.

***القلم الرصاص**، بدلاً من: قلم الرصاص.

واللغة تجيز الوصف بالجامد، كما تقول: الخاتم الذهب.

***الصِّيغة**: المَصُوغات، وقد وردت في شعر" المفضليات "

***نتره**: دفعه وأسقطه.

***شخص رَذِيل**: رَزْل.

***الدربَكة**: الاختلاط والازدحام.

***فاضل عليه كذا**، بمعنى: باقٍ.

***الفُمّ**: (بضم الفاء وتشديد الميم).

***اليدّ**: (بتشديد الدال).

***الأخُّ**: (بتشديد الخاء).

***الأبُّ**: (بتشديد الباء).

***الدمُّ**: (بتشديد الميم).

(في معانيها المألوفة)

***الخُنُّ**: محبس الدجاج، ومنه الخنّ بمعنى: الركن.

***الأسامي**: بمعنى الأسماء.

***نَدَه عليه**: ناداه.

***الفاضي**: الفارغ، غير المشغول.

***السواعي**: الساعات. يقال: يفعل ذلك سواعي، أي أحيانًا.

***الضنَا**: الولد، والنسل.

***ضَعْفان**: ضعيف (كما في المعجمات)

***ذوقه الشيء**: أذاقه إيَّاه.

***بَعْزَقَ الشيء**: فرَّقه.

***خَفَّ المريض**: برئ ونشط.

***خَزْيان**: ذو خِزْي، مؤنثة: خزيانة.

***خمَّن، بمعنى**: حزر، والتخمين بمعنى: الحزر.

وفي اللغة: خمَّن: ظنَّ وقدّر وحزر.

***سوَّى الطعام**: أنضجه. وفي المعجم الوسيط: رَبَك طعامًا: صنعه وسوَّاه.

***خلاه يعمل**. تركه يعمل.

***اصطلحنا**: تصالحنا بعد عراك (كما في المعجمات) ويقول الشاعر:

* وفينا وإن قلنا اصطلحنا ضغائن*

***استحقره**: احتقره (كما في المعجمات)

***يناكفه، فهو مناكِف**: يعاسره ويشاده في الكلام والمحاورة.

وفي اللغة: تناكف الرجلان الكلام: تداولاه وتعاوراه.

***الخليع**: الثوب القديم الذى طال لبسه وخلعه صاحبه (المستعمل)

وفي اللغة: الخليع: الخَلق.

***حميت الشمس عليه**: اشتدت حرارتها.

***حمو الجوف**: حرارته (بضم الحاء وتشديد الواو)

***نوَّله الشيء**: أناله إياه. (كما في المعجمات)

***هجَّ**، بمعنى: شرد ونفر.

***الدَّرْدَشَة**: اختلاط الحديث.

قابل الاستشهادات من المعجمات اللغوية: عبد الله إسماعيل متولي، محرر اللجنة.

* * *

مجموعة من الكلمات العربية التي تبدو عامّية(*)
(ألفاظ عربية)

للدكتور محمد داود التنير
(الخبير بلجنة الطبّ)

تابعت لجنة اللهجات دراستها للألفاظ التي تجري في الخطاب دون لغة الكتابة، فدرست المذكرة المقدمة من الدكتور داود التنير: **"ألفاظ عربية"**.

وكان الدكتور التنير قدم إلى مجلس المجمع في دورته السادسة والأربعين قائمة بالألفاظ العامية التي يمكن ردّها إلى الفصحى، وأحالها المجلس إلى لجنة اللهجات، فشرعت في دراسة هذه الألفاظ **واختارت منها ما يتفق مع منهجها** في البدء بعرض الألفاظ التي توافق العربية لفظا وضبطا ودلالة في معظمها أو في جملتها، **وفرغت من إقرار الألفاظ التالية:**

(بَعْزق – البهلول – حطّ – اندلق – داس – الربك – زعق – الزول – شك الجبس – شكم – الشوار – شال – الطرطور – عفق – عكش – كبش – كركر – تمرغ – مزع – ماسخ – نحنح وتنحنح – نشّ – نشف – نشل (نشال) – ناهد (مناهدة) – هأهأ – الرُّزة – الجواني والبراني – المشوار – رفرف السيارة – بالات القطن – وحوح – حدفه بالحجر – فقش البيضة – الزهومه والزُّهم – الكويس – الموكوس – قفقف – كشحه – بلم – أرمه – غار – العياط – اللخمة – مبسوط – دون الريّس – يستاهل – بوّق – بصبص – نتش – بجبح – عجز – شرم – تفٌ – شطح – شاطر – شطف – شقلة نقود – الدواء اشتغل – المعقرب – لعلع).

[وإتماما للفائدة رأيت نشر **البحث** – الذي تقدم به الدكتور محمد التنير، وعرض في الدورة السادسة والأربعين– بعنوان "ألفاظ عربية"، كاملاً، وأرجو ألا يفهم من نشر البحث كاملاً، موافقة المجمع على كل ما ورد به من الألفاظ](**).

(*) عرض بعض تلك الألفاظ على مجلس المجمع في الدورة الثامنة والأربعين، الجلسة المنعقدة بتاريخ ٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٨١، وعرض على مؤتمر المجمع لهذه الدورة. لم أتمكن من تحديد الجلسة نظرًا لعدم طبع المحاضر الخاصة بهذه الدورة. كما عرض البعض الآخر على مجلس الدورة التاسعة والأربعين بتاريخ ١٤/٢/ ١٩٨٣، وعرض على مؤتمر تلك الدورة أيضًا.

(**) المعدّ.

ألفاظ عربية(*)

بقلم الدكتور محمد داود التنير

مفهوم اللغة عند كثير من الناس أصبح تقعرًا غير مفهوم أو "تبذلاً غير مهضوم" لكن اللغة الحية جسم نابض ما واكب أهلها الحياة. ومثل أولئك الناس يتحاشون الكلمة الدراجة مهما كانت سليمة، ومهما كانت معبرة تمامًا عن المعنى المقصود.

ثم هم يتحاشون الكلمات غير المألوفة، لصعوبة يجدونها في نطقها؛ لاختفاء الشكل من الكتابة العربية، حتى أصبح كل امرئ ينطق الغربية كما يشتهي، والنتيجة هو ما وصلنا إليه اليوم، ولا ريب أن ذلك لو استمر يؤدي بالعربية الى ما صارت إليه كثير من اللغات الإفريقية أو الهندية من الاضمحلال المستمر والمصير المحتوم، أمام تيار اللغة الإنجليزية الحيّة المتطورة. هذا في نفس الوقت الذى أحيا فيه اليونانيون المعاصرون لغتهم الدارسة، بعد أن كاد يأتي عليها العفاء وأغنوها أدبًا وفنًّا. والإسرائيليون فعلوا مثل ذلك بلغة ميتة، فجعلوا منها لغة علم وسياسة وأدب، وتخاطب أشتات من أقوام أتوا من أطراف المعمورة.

وما لم يتنبه بنو العروبة للثروة الغالية بين أيديهم، والتي تنال من بين أيديهم يومًا بعد يوم، ولا سيما مع انحدار مستوى التعليم، فالأمر سوف يكون جد خطير.

وهذا الذي نقوم به محاولة متواضعة ميسرة لتقديم ألفاظ وبيان حق،لا يجد فيها القارئ غنىً لعله واجد فيها متعة وطرافة، فكثير من ألفاظ الكلام الدارج في بلادنا تحسبها غير عربية نتيجة لوهم قديم،وهي عربية سليمة جديرة بالتداول في لغة الكتابة مما يجعلها تثري لغة الكتابة والتخاطب، ويقربها منا مما يقرب الهدف المنشود من توحيدها في "لغة واحدة.

(*) قدم هذه الألفاظ الدكتور محمد التنير (الخبير بلجنة الطب) إلى مؤتمر الدورة السادسة والأربعين، وعرض البحث في الجلسة الخامسة عشرة من مؤتمر تلك الدورة، في ٧ من يناير سنة ١٩٨٠، وأحيل فيها إلى لجنة اللهجات.

(١) المذّاع

درج الناس على وصف الكذاب بأنه مذّاع، والكلمة عربية صحيحة فيقال: مذع مذعًا أى كذب وادعى. ويقول الناس: إن فلانًا مذع يمينًا أى حلف وهو صحيح.

(٢) التمزيع

يتحاشى الناس كلمة التمزيع بمعنى التفريق بينما هي صحيحة سليمة. ويقال: إن الأسد مزع لحم فريسته. كما يقال: إن الشيء تمزع أي تقطع. والمزعة (وجمعها مزع) هي القطعة من لحم أو قطن أو غيرها.

(٣) الولد الأروش

الروش كلمة عربية سليمة. فتقول: روش فلان روشًا، أى خفَّ عقله فهو أروش – والفتاة روشاء والجمع روش. فاستعملها ولا تخف، فإنها تؤدي درجة ولونًا من المعنى لا يؤديه غيرها.

(٤) كربسة

نقول: إن فلانًا تكربس من على ظهر الحصان أي سقط. ومع ذلك نتحاشاها بلا مبرر في لغة الكتابة، بينما هي الأخرى صحيحة سليمة، والأصل كربس الرجل، ويقصد بها مشى مشية من كان في رجليه قيد. استعملها على بركة الله.

(٥) الشوار

يستعمل أهل الريف كلمة الشوار، بمعنى جهاز العروس، ونحن نتحاشاها مع أنها سليمة ولا بأس من استعمالها بل الخير في ذلك. والشوار أيضًا تعبر عن متاع البيت وأحيانًا تستعمل للتعبير عن المستحسن منه.

وقريب منها أن يقال: شور بيده بمعنى أشار، وهي صحيحة فلماذا نتحرز منها؟

(٦) نشّال

نستعمل كلمة النشال ونحسبها عامية دارجة والواقع أنها عربية سليمة. والأصل نشل الشيء نشلاً، أي أسرع نزعه. فتقول: إنه نشل الخاتم من يده، ونشل اللحم من

القدر كما تقول: نشل الغريق وانتشله من الماء. فالنشال هو كثير النشل البارع فيه المحترف له.

(٧) نشف دمه

يقول الناس في حديثهم: إن فلانًا نشف دمه.. وهي صحيحة سليمة. فنشف الشيء (بالفتح) ونشف الشيء بالكسر أي جفَّ.

ونحن نقول: إنني تنشفت في الحمام أي مسحت الماء عن جسدي. ومع أننا نتحرج أن نقول ذلك في الكلام الفصيح، ولكننا لا نتحرج أن نقول: إني استعملت في ذلك المنشفة.

(٨) نشّ الذباب

نتحرج أن نقول في الفصحى: نشَّ الذباب، مع أنها سليمة صحيحة، فنشَّ ونحوه، بمعنى طرده، ومنها المنشة: للأداة التي يطرد بها الذباب.

(٩) نشع المباني

نستعمل كثيرًا كلمة النشع للمباني، ونعني ذلك الماء الذي يخرج على سطح جدرانها، مما يتسرب من مجاري المياه فيها، ونحسبها عامية، وهي صحيحة تمامًا. فيقال: نشعت الأرض، أي أخرجت النشع. والنشع هو الماء الذي خبث طعمه.

(١٠) النزهي

يقول العامة في أمثالهم: أصلع ونزهي. يقصدون الى إظهار عدم التناسب بين حاله وتصرفه. والنزهي بالمعنى الذي يقصدونه، أى الذي يرغب كثيرًا في النزه والتفريج صحيحة. فالنزهة في اللغة هو الرجل كثير التنزه في الخلاء.

(١١) فقع مرارته

كلمة دارجة بين الناس، ونحن إذا تحرينا الفصحى خشينا أن نقول كما يقول الناس وآثرنا أن نقول: فقأ، والواقع أن فقع بمعنى شق سليمة لا غبار عليها، فصيحة فصاحة الأخرى. لم لا نستعملها، وبكل ذلك تقترب لغة الكلام من لغة الكتابة؟

(١٢) هأهأ وكركر

في كلامنا الدارج نقول" إن فلانًا هأهأ، نعني قهقه، فأطال القهقهة (والقهقهة هي الضحك بصوت عالٍ) واللفظ عربي والمعنى سليم.

كما نقول: إن فلانة كركرت من الضحك (أوفي الضحك) بمعنى أغربت فيه، ويقولون أيضًا: كركرت النارجيلة، ووجه الشبه قائم.

(١٣) بعزقة

اعتدنا في الكلام أن نقول: إن فلانًا بعزق فلوسه، أو أن نقول: بعزقت عمري: ولكنا نتحرج أن نفعل ذلك في الفصحى، ونحسب لو فعلنا أننا نتحدث العامية الدارجة، والواقع أن بعزق لفظ عربي صحيح. فبعزقه، معناها مزقه وبدده في غير موضعه. وتبعزق، معناها تفرق وتبدد.

(١٤) شال وحط

نتصور أن شال وحط عامية، والواقع أنها فصيحة. فشال الشيء، معناها رفعه. فالرجل شال يده والناقة شالت بذنبها والطائرة شالت شولانًا، أي ارتفعت، وانشال، معناها بذلك ارتفع، والناس تقول: إن فلانًا انشال وانحط.

(١٥) ليَّط

يستعمل العامة كثيرًا كلمة ليط، فيقال: ليَّط الحائطَ، أو ليَّط الورق على الحائط والواقع أنها صحيحة. فليط الشيء، ولاط بالشيء: معناها ألصقه. واللياط أيضًا هو اللون.

(١٦) شكَّ الجبس

البناؤون يقولون: إن الجبس شك، إذا جمد وتلاصق. والمعنى سليم، فالشيء إذا شك معناها لصق بعضه ببعض واتصل. والمعنى بذلك مقبول ودارج ومتصل. ويعبر للبناءين عن المعنى المطلوب تمامًا، وليس هناك ما يحل محله.

(١٧) بهلول

نصف بعض الناس فنقول: إنه بهلول، وهي كلمة عربية سليمة، وجمعها: بهاليل، ومعناها الرجل الحسن البشر المرح الضّحّاك. وكانت العرب تطلقها أيضًا على السيد الجامع لصفات الخير.

(١٨) الخشخشة

يصفون صوت النقود المعدنية، أو صوت تحريك إنسان لها في جيبه أنه خشخش بها، وهي صحيحة. والخشخشة: صوت السِّلاح أيضًا وما يماثله. ويستعمل الناس أيضًا في كلامهم وصف الخشخشة لصوت الثوب الجديد، وهي سليمة.

(١٩) الكلام الماسخ

يقال: مسخ الطعام وغيره مساخة، إذا قلت حلاوته، أو إذا لم يكن له طعم، هذا هو الاستعمال الدارج، وهو أيضًا الاستعمال السليم. فيقال عن الفاكهة: إنها ماسخة، وكذلك يقولون عن امرأة: إن طبيخها ماسخ، أي لا طعم له.

(٢٠) الشجيع

يظن الناس أن كلمة شجيع عامية، والواقع أن الشجاع والشجيع كلاهما صحيح بنفس المعنى الدارج، وهو قوي القلب الشديد عند البأس، وجمعها شجعاء.

(٢١) يا"زول"

إخواننا السودانيون يتخاطبون بقولهم: يازول وهي مجاملة لطيفة؛ فالزول هو الرجل، إذا كان حركًا ظريفًا متوقدًا، فما أجمله من نداء.

(٢٢) الأهوج

نستعمل وصف المتسرع الذى تسرعه الى الخطأ بأنه "أهوج"، والواقع أنها صحيحة وجديرة بالاستعمال.

(٢٣) البكّاش

نستعمل كلمة بكاش للمحتال الذي يختلق القول. وهي صحيحة ولا مبرر لتحاشيها في الاستعمال.

(٢٤) زيد هذا طرطور

هكذا نقول في الكلام الدارج، ونعني أنه ساقط النفس والهمة ضعيف. وهذا هو بالضبط معناها في الفصحى، فما الحرج في استعمالها؟

(٢٥) عفقة

نقول: عفق الدجاج، بمعنى أمسكها وجمعها، والواقع أن عفق الشيء، معناها جمعه وهكذا فنحن لا نجانب الصواب حين نقول: إن الشرطة عفقتهم.

(٢٦) عقصت شعرها

نقول في حديثنا: إنها دخلت وقد عقصت شعرها، وهي صحيحة. ومعناها: أخذت كل خصلة منه فلوتها، ثم عقدتها حتى يبقى فيها التواء ثم أرسلتها.

وعقصت المرأة شعرها معناها أيضًا: أنها لوته وأدخلت أطرافه في أصوله، وجعلت منه مثل الرمانة في قفاها أو على رأسها.

ويسمى الخيط أو الشريط الذي تشد به أطراف ذوائب الشعر بالعقاص، وجمعها عقص، أما خصلة الشعر المعقوصة فاسمها العقصة.

(٢٧) عاكم

يقول الناس: هذا عاكم تمامًا، ويقصدون عادة الإشارة إلى الثروة. والأصل فيها: عكم المتاع، أي شده وجمعه معًا بالعكام. والعكام: هو الحبل أو الخيط الذي يشد به وبديهي أننا نستطيع أن نقول: عكم المتاع أو عكم النقود أو المال أو غير ذلك.

(٢٨) منعكش وعاكش

نستعمل هذا اللفظ بمعنى الخلط والتلبد. الأصل هو العكش. فيقال: عكش الشعر وعكش النبات، أي: كثر والتف وتلبد. ويقال: إن الشعر تعكش بذلك المعنى. والعامة تقولها: تنعكش.

ويقولون في الكلام: إن فلانا عكش مالا كثيرًا، ويقولون: عكشتهم الشرطة. والأصل هنا عكش الشيء، أي جمعه.

(٢٩) عدّى

نتحرج من استعمال عدّى وعدى، مع أنها سليمة، فعدى الشيء: تجـاوزه الى غيره. ويقال: عدى الرجل أو الشيء إلى الشاطئ الآخر للنهر.

(٣٠) شاف الهنا

يظن الناس أن كلمة شاف عامية، والواقع أنها فصيحة. فشاف شـوفًا معناهـا أشرف ونظر. وشوفه معناها أيضًا شافه، وتشوّف له وإليه، معناها: تطلع إليه.

(٣١) لحسَ عقله

في الفصحى يقال: لحس الإناء لحسًا أي لعقه بأصبعه أو بلـسانه. ويقـال: إن الحشرات لحست الصوف لحسًا أي أكلته. ولحس الجراد الشجر.

واللغة تسمح باتساع الاستعمال ليشمل ويغطي الكثير من المعاني، ما دام الأصل سليمًا.

(٣٢) الحِمِش

الناس تقول: فلان حمش ولا تثق في أنها عربية. والواقع أن العرب تقول: حمش الرجل حمشًا، بمعنى غضب. وحمش الشر معناها أنه اشتد. والاستعمال الدارج يـشمل هذا ويشير إلى الرجل الغضوب الذى يسيطر ويخيف بغضبه.واستحمش معناها غضب.

(٣٣) التِّرْباس

كلمة دارجة مألوفة ومقبولة، وردت في قاموس مجمع اللغة "الوسيط" وجمعها: ترابيس: مزلاج من الحديد يغلق به الباب من الداخل. وتـربس البـاب: أغلقـه ولا أستشعر حرجًا في استعمالها.

(٣٤) التُّربة

التربة، بمعنى القبر، نتحاشى استعمالها، لظننا أنها عامية، وهي عربيـة سـليمة، والتُّرَبِيّ هو الذي يقوم على شئون المقابر. حفظك الله.

(٣٥) الصَّرمة

يقولون: ضربه بالصرمة القديمة، والواقع أن الصرم هو الجلد. والصرم هو الخف المنعَّل، وجمعها: أصرام وصرمان، والصرام هو بائع الجلد أو بائع الخفاف.

(٣٦) نحنح وتنحنح

الكلمة صحيحة، فنحنح معناها – كالدارج – ردد في جوفه صوتًا كالسعال استرواحًا، وتنحنح مثلها. أما النحنح فهو البخيل والعياذ بالله، يتنحنح إذا سُئل، وجمعها: نحانحة.

(٣٧) البرطلة

الكلمة، برطل فلانًا، أى: رشاه، وهو المعنى الدارج الذى بدأ يسقط من الاستعمال؛ للظن بأنه غير صحيح، وتبرطل معناها: ارتشى، والبرطيل، جمعها: أبراطيل، هي الرشوة.

(٣٨) الدرزي

الدرزى هي النطق الصحيح للترزي الدارجة، وهو صانع الثياب، فالدرز هو الثوب.

(٣٩) شكمه

يقولون في الحديث: إن فلانًا شكم المعتدي، بمعنى: ردَّه بقوة، وهي صحيحة، والشكيمة هي قوة القلب. وأفشل في الشكيمة، هي الحديدة المعترضة في فم الفرس في اللجام، ومن هنا يقال: شكم الفرس شكمًا، أى وضع الشكيمة في فمه، وبذلك يمكن السيطرة عليه. وشكم فاه بالإتاوة، أى رشاه فأسكته.

(٤٠) الرَّخِم

يصفون المرء يكرهون بطأه وفساده بأنه رخم، والأصل رخم الكلام رخمًا، أي لان وسهل. ورخمت الدجاجة بيضها، وعلى بيضها، احتضنته: ورخم السقاء (وهو وعاء من الجلد يكون للبن أو الماء) معناها أنتن: والصورة في جملتها سليمة ومعبرة.

(٤١) عجر

نستعمل كلمة عجر، ونحسبها عامية، ولا نعرف أصلها، وعجر هي جمع: عجر وعجراء، يقال: عجر عجرًا، بمعنى غلظ وسمن، وبمعنى ضخم بطنه وعظم، وهو المعنى الذى يحمله الاستعمال الدارج من عدم انتظام الشكل، وأحيانًا ما يسحبه الناس على عدم – انتظام الشخصية، فالمعنى إجمالاً صحيح وفصيح.

(٤٢) غطرش

نقول عن إنسان ما: إنه غطرش عن أمر أودين عليه، أو ما إلى ذلك، والأصل صحيح، فإنه يقال: غطرش فلان، بمعنى تعالى عن الحق. فنقول عن الرجل: إنه مغطرش، والمرأة مغرطشة، ويقال: فلان آذانه عن الحق مغطرشة، بمعنى أنه لايذعن للحق. وتغطرش فلان، معناها تعالى عن الحق.

(٤٣) دحور

الكلمة صحيحة. فدحور الشيء، بمعنى دحرجه. ونحن نقول في كلامنا: تدحور بينما كان يسير في الطريق.

(٤٤) الدهورة

دهور الشيء، معناها: جمعه وقذف به. ويقال: دهور الحائط، ودهور الرجل، بمعنى دفعه فسقط، وتدهور الرمل، معناها: انهار وسقط معظمه.

(٤٥) سخام

نصف مالا يعجبنا بالسخام، والسخام هو الهباب الذي يتصاعد عن الاحتراق، فالمعنى مجازي متسع، كما أنه مادي، والكلمة صحيحة وقابلة للاستعمال.

(٤٦) يتقمع

التقميع هو إزاله القمع من على البلحة أو البامية أو ما شاكل. ونحن نستعملها مجازًا بمعنى إزالة الزوائد والشوائب والتجمل بذلك.

(٤٧) الربك

نصف فلانًا بأنه: ربك. ونقول: رجل ربك، بمعنى أنه رجل مختلط في أمره والكلمة والمعنى صحيحان. فإن ربك ربكًا معناها: اختلط عليه أمره فهو ربك وربيك. ومنه يقال: ارتبك في الأمر، بمعنى وقع فيه و لم يكد يتخلص منه.

(٤٨) ساخت روحي

يستعمل الناس هذا التعبير ولا أرى غبارًا عليه. والأصل في اللغة ساخت قوائمه سيخًا وسيخانًا: بمعنى غاصت في الأرض. ويقال: ساخت قوائمه في الأرض، بمعنى انخسف. وليس هناك ما يمنع أن يعبر الإنسان عن شعوره بهبوط روحه، بقوله: إنها ساخت.

(٤٩) سيح في كلامه أو تصرفاته

يصفون الرجل يكثر في كلامه ويوسع بأنه يسيح. ويشمل المعنى: التنسيق في الكلام والكلمة تعطي بذلك صورة متعددة النواحي، لا تجعلها كلمة واحدة، بالتالي فلا بأس من استعمالها فهي صحيحة.

كما يقال أيضًا في الحديث عن الماء: إنه ساح، بمعنى سال وجرى، وهي أيضًا صحيحة.

(٥٠) السيبان

يقولون: فلان لسانه سايب، وهي سليمة. فساب وسيبانًا بمعنى ذهب حيث شاء. وساب فلان في كلامه معناها أنه أفاض فيه من غير روية. وانساب معناها أيضًا ساب.

(٥١) الكديسة

إخواننا في السودان يسمون القطة بالكديسة. والأصل أن الكادس هو الوحش أو الحيوان ينزل إليك من الجبل، ونستطيع أن نرى الصورة ذاتها للحيوان ينزل من فوق الحائط أو السور. فالكلمة إذن صحيحة الأصل والجذور.

(٥٢) البجم

كثيرًا ما يوصف الساكت العيي الذي لا يحسن الكلام بأنه بجم. فبجم في اللغة بجمًا وبجومًا: سكت من عيّ أو فزع أو هيبة.

(٥٣) فرقع صباعه

يقال: فرقع أصابعه إذا ضغط عليها حتى سمع لها صوت، وهي صحيحة، وفرقع فلانًا معناها لوى عنه حتى سُمع لذلك صوت.

(٥٤) الشبرقة

الشبرقة كلمة صحيحة، ولكنها تستعمل استعمالاً خاطئًا بمعنى نوع من الإنفاق. والواقع أن الشبرقة من شبرقه شبرقة وشبراقًا، بمعنى قطفه ونـــزعه، يقال: شبرق الثوب وشبرق اللحم وشبرق البازيّ الصيد.

(٥٥) الحرجمة

يستعملون في الكلام الدارج كلمة حرجم، وهي صحيحة واستعمالها في الأصل للدوابّ، يقال: حرجم الدواب، بمعنى رد بعضها على بعض، ويقال: يحرجم حول كذا بمعنى التردد والحوم حوله.

(٥٦) الحرجلة

يصفون الرجل في تردده وعدم استقراره في الاتجاه بالحرجلة. والحرجلة في الواقع معناها العدو يمنة ويسرة.

(٥٧) الكسكسة والكسكسي

الكسكسة كلمة عربية صحيحة، بمعنى دق الشئ دقًا شديدًا. ولعل هـــذا هـــو أصل كلمة الكسكسي، وهو الطعام المعروف. ومن الغريب أن العامة تستعملها بمعـــنى الرجوع القهقرى.

(٥٨) كبش

نقول في كلام الدارج: إن فلانًا كبش الشيء كبشًا بمعنى تناوله بجمع يده، وهي صحيحة تمامًا وعربية سليمة.

(٥٩) كبب كباب

الكباب كما يقول القاموس: اللحم المقطع يتسوَّى على الجمر. وكبب الغـــزل: جعله كبة، والكبة من الغزل: ما جمع منه على شكل كرة أو أسطوانة. ويقال: إن فلانًا تكبب بمعنى تلفف في ثوبه، كما نقول تمامًا في الكلام الدارج، وكلها صحيحة وجارية في الاستعمال.

(٦٠) الخروع

خرع الشيء خرعًا وخراعة: لان واسترخى وضعف. فهو خرع وخريع وهـــي خرعة وخريعة، ويقال أيضًا: خرع خراعة وخروعة بنفس المعـــنى. والكلمـــة كـــثيرة الاستعمال في الكلام الدارج، وهي بذلك صحيحة.

(٦١) المناهدة

يقولون: لاتناهدني، والطفل الشقي تقول له أمه: كفـــي مناهـــدة، والكلمـــة صحيحة، فناهد فلانًا معناها خاصمه. وناهد الرجل عدوه، أي ناهضه في الحرب.

(٦٢) العكّ

يقولون: فلان يعك في أمره أو في عمله، والكلمة صحيحة الأصل. فعكَّ الرجل بالأمر: ردَّده حتى تعب منه، وعك فلانًا بالقول عكًّا: ردده عليه متعنتًا، والأصل هـــو عكَّ الحرُّ: فالحرُّ إذا عك عكًّا معناها أنه اشتد مع سكون الريح.

(٦٣) أنا عاوز

العوز كلمة عربية صحيحة. يقال: عازه الشيء عوزًا ومعناها لم يجـــده وهـــو يحتاج إليه، ومن هنا فالمرء يعوزه الشيء، والكلمة باستعمالها بشيء من التمحيص عربية سليمة.

(٦٤) دوس

كلمة داس بالاستعمال الدارج صحيحة. فقد داس الشئ برجله دوسًا ودياسًـــا ودياسة معناها وطئه شديدًا بقدمه، ودوس الطريق: سار فيه كثيرًا، وانداس بمعنى ديس وكلها تستعمل بذلك استعمالاً سليمًا.

(٦٥) الخربقة

تستعمل كلمة الخربقة فنقول: إن البيت مخربق، ونعني أنه تالف مليء بـالخروق والفساد بغير نظام، والأفضل أن يقال: خربق العمل، ومعناها أفسده، ويقال: خربق في مشيه خربقة وخرباقًا، بمعنى أسرع فيه.

(٦٦) اندلق

نقول في الكلام: اندلق كالجردل، أي اندلق في كلامه دون روية،كما يندلق الماء من الجردل وهي صحيحة. فاندلق الشيء معناها اندفع من مكانه. يقال: اندلق السيل: اندفع وهجم. وطعنه في الحرب فاندلقت أحشاء بطنه.ودلق الشيء دلقًا: أخرجه.

(٦٧) رخّ المطر

يستعملها الناس في كلامهم، والأصل صحيح. فإنه يقال: رخَّ العجين رخًّا، ومعناها: كثر ماؤه. كما أن رخَّ رخخانًا، معناها: سهل ولان، والرخراخ من الطين والعجين: الرقيق اللين.

(٦٨) الجلد والسقط

يقول الناس في حديثهم عن الرجل: إنه باع أوضاع منه الجلد والسقط، بمعنى ضاع كل شيء، أو بقايا كل شيء، حتى جلد الذبيحة وسقطها. ونحسب السقط عامية وهي سليمة، فالسقط هو الرديء الحقير من المتاع والطعام، ومنه قيل لأحشاء الذبيحة كالكرش والمصران: سقط، وجمعها أسقاط. وأسقاط الناس: أوباشهم وأسافلهم فالاستعمال صحيح.

(٦٩) زعق

يقولون: زعق وزعق (وهي صيغة التكرار أو المبالغة) بمعنى: صاح وأفزع وهي صحيحة. ولكن الناس تقول: زعق له، والصواب أنها زعق به. وزعق فلانًا، معناها: أفزعه، وهكذا بتعديل ضعيف، يتحول كلامنا من عامي دارج إلى عربي فصيح.

(٧٠) الزعل

الأصل في معنى الزعل: النشاط. فزعل زعلاً معناها نشط من الشيء، بمعنى: تألم وغضب، وهكذا فالمعنى الدارج مقبول.

(٧١) يتمرغ على أرض براح

الكلمة سليمة والاستعمال كذلك. والأصل مرغ المكان أو الوادي مرغًا، بمعنى أخصب بكثرة الكلأ. ويقال بالتالي: مرغ فلان: وقع في خصب، ومرغ مراغة، أي تنعم ويقولون: فلان ممروغ علينا، أى زاهٍ بما هو فيه من خير.

(٧٢) مرغه في التراب

نستعملها كثيرًا في الكلام ونحسبها عامية، وهي عربية صحيحة. فمرغه في التراب، معناها: قلبه فيه. ويقولون أيضًا: تمرغ من الألم، أي تلوى من وجع يجده، وهي أيضًا صحيحة. وتمرغ في التراب أو تمرغ في النعيم أي تقلب فيه.

(٧٣) ملأها لطمتها

يقولون: ملأ الإناء لطمة عينه، أو ملأ الحفر لطمتها. والواقع أن معنى طمَّ الشيء، أي غمره وغطاه. ويقال: طم فلان الحفرة بالتراب، أي ردمها وسواها بالأرض. فالأصل في الاستعمال سليم، ويمكن دائمًا العودة للأصل السليم.

(٧٤) هو سيُك

يقولون: فلان سيّ فلان (ينطقونه زي فلان) وهي صحيحة. فالسيّ هو النظير والمثل، ويستوي فيها المذكر والمؤنث، فيقال: هو سيك، وهي سيك، وهم سي، وهذا أصل قولهم: سيان (فهما سيان) أي مثلان أو متماثلان.

(٧٥) الخرابيش

يقولون: عمل خرابيش على الورق، إذا رسم أشكالاً مختلطة غير مفهومة. والكلمة نفسها صحيحة، فخرباش، وجمعها خرابيش: هو الاختلاط والصخب واستعمالها بذلك مجازي مقبول.

(٧٦) النشم

نشم الشيء، معناها تغيرت رائحته. ويقال أيضًا: نشم الطعام، أي تغير وبدأت فيه رائحة كريهة، والعامة تنطقها شم.

(٧٧) البغلة قمصت

الكلمة عربية سليمة. فقمصت الدابة قمصًا وقماصًا، معناها نفرت وضربت برجلها، وقمصت هي صيغة المبالغة في قمصت وقمصت، أيضًا تأتي بمعنى عدت في مرح ونشاط.

(٧٨) شويَّة

كلمة شوية دارجة في كلامنا بكثرة، ونحسبها عامية، وهي عربية سليمة. فالشوية والشوايا جمعها شوايا، تعني القليل من الكثير، فأنت تطلب شوية من أي شيء كثير أو كبير، فتقول: أعطني شوية ملح، ولعل أصلها تصغير شيء.

(٧٩) الزرديَّة

تستعمل الكلمة للأداة المعروفة التي يشكل بها الصانع السلك، أو يقطعه، ونحسبها عامية، وهي صحيحة، ومنسوبة في الأصل إلى الزرد: وهو الدرع.

(٨٠) وقع في ورطة

نستعملها كثيرًا في كلامنا وهي صحيحة، فالورطة أصلاً هي الوحل الشديد تقع فيه الغنم، فلا تقدر على التخلص منه، ثم صارت مثلاً لكل شدة يقع فيها الإنسان.

(٨١) اللهوجة

نستعمل كلمة اللهوجة في كلامنا، بمعنى العجلة في الأداء، دون إحكام، وهي صحيحة، فتلهوج الشيء معناها تعجله، ولهوج الشيء معناها لم يحكمه. فيقال: حديث ملهوج، ورأي ملهوج.

(٨٢) سحَّ المطر

يقولون: سح المطر، بمعنى نزل بسرعة، وهو لفظ ومعنى سليم. يقال: سحَّ الماء ونحوه سحًّا، ومعناها صبه صبًّا متتابعًا كثيرًا. وتستعمل مجازًا، فيقال: استنشدته قصيدة

فسحها عليَّ سحًّا. ويقال: سح فلانًا بمعنى ضربه وبمعنى جلده، يقال: سحَّه مائة سوط. وهي مستعملة في لغة الكلام أيضًا بهذا المعنى.

(٨٣) فزَّ

يقولون: فز، يطلبون من المرء أن يقفز واقفًا بسرعة والأصل فيها: فــز يفــز. والفزة هي الوثبة بالانــزعاج.

(٨٤) مردخ

يصفون الفرد أو الشيء إذا كان وحمًا راكدًا ملتصقًا بأنه مــردخ. والكلمــة صحيحة. فالردخ هو الوحل الكثير. والقطعة منه ردخة، وعلى ذلــك فــالردخ هــو الوحل، وبذلك تعبر عن المعنى الشائع.

(٨٥) لملم

نستعمل في اللغة الفصحى كلمة لم، ونقول: إنه يلم أطراف شجاعته. ولكنــا ننظر بحذر حينما نسمع العامة، تقول: لملم، مع أنها صحيحة، فلملم الشئ، معناهــا: جمعه، واللملوم هي الجماعة.

(٨٦) الرزة

الرزة في عرفنا (ولو أننا ننطقها مضمومة) هي تلك الحديدة المستديرة الملــصقة بالباب، والتي يدخل فيها القفل، نحسبها عامية، وهي عربية سليمة.

(٨٧) لزّ الباب

إخواننا في السودان أيضًا يقولون: لز الباب، يلزه لزًّا ولزازًا، من الواقع معناها: أغلقه. واللزاز: هي خشبة يشد بها الباب.

(٨٨) الكبل

نتكلم كثيرًا عن الكبل البحري بين القاهرة وإيطاليا. والكبل في اللغة هو القيد، من أي شيء كان، وجمعه أكبل وكبول وأكبال. ويقال: كبل الأسير، بمعــنى قيــده، والمعنى بذلك نوع من الرباط، وقد أقر مجمع اللغة المعنى الدارج الآن للكبل بمعنى الحبل.

وعرفه بأنه حبل معدني تحيط به مادة عازلة بغلاف واق، كما أقره بمعنى مجموعة من الأسلاك معزول بعضها عن بعض موضوعة في غلاف واق، ويستعمل هذا وذلك في توصيل التيار الكهربي.

(٨٩) الكسوف

نتحرج دائمًا من استعمال الكسوف وانكسفت أن أقول كذا وتلجأ دائمًا إلى خجلت، وربما كان هناك فارق في الدرجة أو اللون؛ لأن الكسوف صحيحة، ونحن نعرفها للشمس، ولكنها أيضًا صحيحة في الأصل بالمعنى المتداول. فيقال: كسف الرجل بصره بمعنى خفضه. وكسف الرجل معناها نكس طرفه.

(٩٠) الجواني والبراني

الكلمتان دارجتان، ونحسبهما عاميتان، وهما صحيحتان. فجوّ كل شيء بطنه وداخله وجمعها: جواء وأجواء. وجوانيّ الشيء: باطنه، وضده: البراني، وفي حديث سلمان: إن لكل امرئ جوانيًّا وبرانيًّا، فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ".

(٩١) انده له

نقول في الكلام الدارج: انده له، ويقال في اللغة: نده الرجل ندهًا ومعناها صات. والندهة في الصوت، ونادى ينادي والنداء معروفة، ومستعملة في الفصحى والدارجة.

(٩٢) البقّ

البق كلمة مستعملة في مصر، بمعنى الفم، ويظن البعض أنها من اللاتينية، والواقع أن البق في اللغة الفصيحة هو كثرة القول سواء في صواب أو خطأ والرجل بذلك بقّاق. وبقَّ الكلامَ معناها: لفظه بقوة. وبقّ الخبر معناها: أذاعه. فهل هذا هو أصل كلمة البقّ الدارجة؟.

(٩٣) تزنتر وتبهنس

كلاهما معناها تبختر وهما عربيتان صحيحتان. وبدهي أن الإنسان يستعمل اللفظ الذي يعطي اللون من المعنى الذي يقصد إليه. وكثير من الألفاظ يعطي بناؤها أو مخارجها أو موسيقاها درجة أو ظلالاً يعطيه غيرها، وإن حمل نفس المعنى.

(٩٤) المشوار

المشوار وجمعها مشاوير صحيحة، ونحن نستعملها كثيرًا فنقول: ورائي مشوار أو جرى بالمشوار.

والمشوار في الأصل: هو المدى تجري فيه الدابة، وهي معروضة في السوق عند البيع، واستعمل في المسافة يقطعها الإنسان.

(٩٥) صكَّ الباب

صك الباب صكًّا بمعنى: أغلقه، صحيحة، والعامة تنطقه عادة بالسين تخفيفًا فنقول: سكَّ الباب.

(٩٦) رفرف السيارة

الكلمة عربية وأصلها رفرف الفسطاط أو الخيمة، وهو الخرقة التي تخاط في أسفلها، والرفرف أيضًا جمع رفرفة، وهي الوسادة.

(٩٧) الزواق

هي الأخرى عربية. فالزواق هو زينة المرأة، والشعر المزوَّق هو الشعر المنقح المحسن المزين.

(٩٨) بالات القطن

البالة في اللغة: هي الجوال الضخم، فالاستعمال صحيح.

(٩٩) المشنَّة

وهي وعاء يوضع فيه الخبز ونحوه، ويتخذ من خوص أو أعواد أشجار لينة.

(١٠٠) وسخ كالدردى

يصفون الشيء إذا كان قذرًا بأنه وسخ مثل الدردى، وظن البعض أن دردى مأخوذة عن الإنجليزية بمعنى قذر. والواقع أن الدردى هو: الرواسب التي تكون في أسفل النعل أو الزيت أو نحوها.

(١٠١) عيش حاف

نقول: أكلت عيشًا حافًا ونحسبها عامية وهي عربية سليمة. فالحاف هو غير المأدوم، أي الذي يؤكل بلا غموس.

(١٠٢) السفّ

السفُّ هو التناول يابسًا كالدواء يقال: سفَّ الدواء: والناس تستعمله أيضًا مجازًا فتقول: سفَّ المال، والتعبير يؤدي بذلك معنى خاصًّا من التناول.

(١٠٣) وحوح

تستعمل كلمة الوحوحة، وعادة ما تشير إلى نوع من الشكوى والأنين، والأصل في الوحوحة هي صوت به بحح، ولعله من هنا اتخذت للتعبير عن حالة نفسية خاصة، فإذا ما وحوح الرجل، فلذلك سبب يدعو إلى ذلك.

(١٠٤) الوشوشة

نستعملها ونحسبها عامية وهي عربية سليمة، فتوشوش القوم معناها: همس بعضهم إلى بعض، وهو الاستعمال الدارج.

(١٠٥) الزيطة

سليمة أيضًا فهي الجلبة واختلاط الأصوات، يقال: زاطا زيطًا وزياطًا بمعنى: صاح وجلب.

(١٠٦) الحردان والقماش المحرود

حرد الشيء معناها في الأصل عوجه، ويقال: حرد القماش بالطول أو بالعرض والمعنى دارج في قطع القماش أو تفصيل الثياب. كما يقال: فلان حردان، بمعنى غضبان، وهي صحيحة فحرد معناها: اغتاظ فتحرش بالذى غاظه.

(١٠٧) حدفه

نقول "حدفه" بالعصا أو بالحجر، والأصل حذفه بالعصا، أي رماه وضربه بها.

(١٠٨) فقش البيضة

نحسبها عامية وهي صحيحة، ففقش البيضة ونحوها فقشًا معناها فضخها وكسرها بيده ليخرج ما فيها.

(١٠٩) قوَّر الثوب وقوَّر الباذنجانة

تستعمل بمعنى عمل ثقبًا فيها مستدير عادة، وهي عربية صحيحة.

(١١٠) الزهم

يصفون رائحة اللحم بالزهومة وهي سليمة، والزهم هو الرائحة المنتنة.

(١١١) كويس

كويس التي نستعملها كثيرًا كلمة سليمة، وهي تصغير كيِّس. والكيس هو الظريف والفطن، والكياسة هي تمكن النفوس من استنباط ما هو أنفع.

(١١٢) الزنأة

الزنأة كما نستعملها في الكلام، هو الضيق. ونقول زنأ بوله بمعنى حبسه وهي صحيحة.

(١١٣) الموكوس

وكس الشيء معناها نقصه ووكس فلانًا معناها غبنه، ووكس في تجارته وأوكس تعني أنه خسر فيه، فالكلمة باستعمالها الدارج صحيحة.

(١١٤) الزنبيل والقفة والمقطف والمرجونة

الزنبيل هي الأخرى كلمة سليمة مقبولة، وهي القفة، وهذه الأخرى عربية سليمة، وهي المقطف الكبير، وفي الأصل كان المقطف يعني وعاء صغيرًا من الخوص أيضًا.

(١١٥) الكوز

الإناء المعروف، وله عروة يشرب به الماء. وكازكوزًا: شرب بالكوز، فهي عربية سليمة.

(١١٦) الحلّة

الحلة عربية سليمة، وأصلها زنبيل كبير من قصب يجعل فيه الطعام، واليوم تطلق على إناء الطهي "المعدني".

(١١٧) الريحة

الريحة بمعنى: الرائحة، عربية سليمة.

(١١٨) القفقفة من البرد

نقول: قفقف من البرد وهي صحيحة. فالقفقفة هي شعور من يجد البرد الشديد.

(١١٩) عصلج

نقول في الكلام: عصلج الشيء وعصلج فلان، وهي صحيحة، فعصلج معناها تعسر واشتد.

(١٢٠) سرب القطة

سرب سربًا معناها خرج. وضربه بالتالي معناها أخرجه. والناس في كلامهم يقولون يسرب القطة، ويعنون بذلك أخرجها إلى حيث لا تعرف حتى لا تعود.

(١٢١) انكشح

يقولون: انكشح بمعنى ذهب، وتحمل لونًا من راحة المتللم؛ لذلك ومن هنا فهو لا يستعمل ذهب وإنما انكشح. والعرب تقول: انكشح القوم عن الماء كشحًا: أي ذهبوا وتفرقوا.

(١٢٢) البرطمة

نستعملها لمن يتكلم كلامًا غير مفهوم، وعادة ما يكون احتجاجًا. والكلمة عربية صحيحة، وتعبر عن عيٍّ في اللسان. ويقال: برطم فلانًا بمعنى غاظه وتبرطم بمعنى تغضب من كلام قيل له.

(١٢٣) بَلم

نستعملها في الكلام كثيرًا وهي صحيحة. يقال: أبلم الرجل وبلم بمعنى: سكت، والمعنى في الكلام المتداول تعني السكوت أو توقف الكلام نتيجة لموقف لا يمكنه من الكلام.

(١٢٤) أرمه

نقول: إن الغلام أرم أصبع صاحبه وهي عربية صحيحة. فالأرم هو العضُّ، يقال: أرم عليه، أي عضه، وأرم الشيء معناها: استأصله، ويقال: أرمت السائمة المرعى، أي أتت عليه.

(١٢٥) غفق

نستعملها في الكلام وهي صحيحة، التغفق: وهو النوم الغير العميق، والذي يسمح لك أن تسمع وتعي كلام الناس من حولك.

(١٢٦) غور يابعيد

غار الشيء في الشيء معناها دخل فيه. ويقال: غارت الشمس، ومعناها: غابت. والماء يقال: إنه غار غورًا وغؤورًا أي ذهب في الأرض وسفل فيها.

واستعمالنا الكلمة حينما يقال: إن فلانًا غار من وجهنا بمعنى ابتعد وسحق بعدًا مفهومة على هذا الأساس، وهي تحمل في الكلام إحساس الراحة ببعده.

(١٢٧) الخناقة

نقول: كانت في الشارع خناقة. ورأيت الصبيين يتخانقان، والأصل أخذ بخناقه أي أمسك بحلقه. ويتخانقان أي يمسك أحدهما بحلق صاحبه. والمعنى بذلك واضح ومقبول.

(١٢٨) أنستونا

الكلمة تقال عادة للضيوف ترحيبًا وتكريمًا وهي صحيحة. فأنس فلان إيناسًا: لاطفه وأزال وحشته، فهو مؤنس وأنيس، فلا حرج بالتالي في استعمالها في الكلام الصحيح.

(١٢٩) العياط

تستعمل العياط بمعنى: البكاء، وهي صحيحة. ويستعمله إخواننا في سوريا ولبنان وفلسطين بمعنى: الصياح، وهي أيضًا صحيحة. فعيط معناها صاح مرة، والعياط هو هنا الصياح والعياط هو الصياح. وفي مصر بلد في الصعيد اسمها العياط ولعلها اشتهرت بوصف رجل كان يسكنها.

(١٣٠) لخمة

يقال: فلان هذا لخمة، واللخمة في الأصل: ثقل النفس، يقولون: لخم فلانًا بمعنى شغله بما عليه، وهو المعنى الدارج. ونقول في أيامنا هذه: التخم بمعنى ارتبك.

(١٣١) الغسيل

نقول: غسلنا الغسيل، ونشرنا الغسيل، ونتحرج أن نستعملها في الفصحى. والواقع أنها صحيحة فالغسيل هو المغسول.

(١٣٢) مبسوط

نستعملها للتعبير عن السرور، والأصل صحيح فقد بسط وجهه بساطة: تلألأ ويقال: انبسط فلان، بمعنى سُرَّ؛ وبذلك فالاستعمال المصري للكلمة صحيح. وكذلك بسط فلانًا: سرَّه. وفي حديث فاطمة " يبسطني ما يبسطها ".

(١٣٣) البهدلة

جرى الناس على وصف السير الذى لا يتسم بالاتزان بالبهدلة، فيقولون: جاء يمشي في منتهي البهدلة أو أن مشيه في غاية البهدلة.

والأصل في اللغة أن يقال: بهدل في مشيه، أي أسرع واهتزت بهداته، والبهدلة هي لحمة من العنق فوق الترقوة، وبذلك فالوصف العامي مقبول ويوحي- حتى في وصف الملابس - بالمعنى الأصلي المقبول.

(١٣٤) حكم موالس

الكلمة عربية صحيحة. فتوالس القوم معناها: تناصروا في حب وخديعة، ويقال: توالس القوم على فلان، وولس فلان ولسًا: خانه وخدعه.

(١٣٥) حطّه من على كتفك

صحيحة. الحط: هو وضع الشيء، وهي ضد الرفع، وحط أيضًا معناها: نـزل، ومنها المحط.

(١٣٦) الدون

يصف الناس الخسيس بأنه دون، وهي صحيحة، فدان دونًا معناها: خس وحقر، والدون هو الخسيس الحقير. وفي الاستعمال الشائع أن البلاد دانت له ودان له معناها: أطاع وذل له.

(١٣٧) فشفش

يصف الناس الضعيف بأنه مفشفش، والأصل مفشفش أي ضعيف رأيه، وفشفش في قوله: معناها أفرط في الكذب وانتحل مالغيره. والفشفاش هو المفتخر بالباطل وليس عنده طائل. ويقال أيضًا: سيف فشفاش أي لم يحكم صنعه. وعلى ذلك فالكلمة سليمة الأصل وقابلة للصقل والتداول.

(١٣٨) خش

كلمة كثيرة الاستعمال في الكلام بمعنى أدخل، ولكنا نتحاشاها في الكتابة والخطابة. والواقع أن خش الرجل معناها: مضى ونفذ، وخش في الشيء معناها دخل فيه يقال: خش في القوم وخش الدار وانخش في الشيء. أى دخل فيه، ويقال: انخش في الشجر وانخش في القوم.

(١٣٩) الريس

نستعملها وهي الرئيس (مخففة) وقد جاء في شعر الكميت:

وتهدى الرعية ما استقام الريس

والناس تجنح في الكلام دائمًا نحو التخفيف.

(١٤٠) إيـه

لفظ كثير الاستعمال، وأصله سليم. فهو اسم فعل للاستزادة من حديث أو عمل معهود.

وإذا نونت، أي: إيهٍ، كانت للاستزادة من حديث أو عمل ما، أما إذا نونت منصوبة فتكون للإسكات والكف بمعنى حسبك، فنقول: إيهًا: أي لا تحدث.

(١٤١) استأنى

نقول في الكلام الدارج: استنى أي تسهل وانتظر أو أبطى ومن الواضح أنها تخفيف استأنى، والتخفيف لغة مقبولة ومعمول به. فأني أنيًا وتأنى معناها: تمهل وترفق ومعناها أيضًا: تأخر وأبطأ واستأنى بنفس المعنى.

(١٤٢) استأهل

نستعملها هي الأخرى كثيرًا مخففة فتصدر استأهل ويستأهل كل خير أو – يستاهل جزاءه، والمقصود صار أهلاً للخير أو لجزائه.

(١٤٣) بواء

يقولون في الكلام الدارج: بوأ في وجهه بمعنى تزايد أو تواقع، وهو استعمال غريب؛ لأن بوأ الرجل، معناها تزوج، وبوأ فلانًا منزلاً وبوأ فيه معناها أنزله.

(١٤٤) بصبص

يقال: بصبص الرجل للمرأة، ومعناها تملقها وغازلها، وهو استعمال دارج وشائع ويحسبه الناس عاميًا (وبصبص الكلب: حرك ذنبه طمعًا أو ملقًا).

(١٤٥) نتش

صحيحة باستعمالها الدارج فنتش الشيء نتشًا معناها: جذبه واستخرجه، ونتش الشعر: نتفه، ويقال: ما نتش منه شيئًا، أي ما أخذ. ونتش فلانًا نتشًا وتناتشا معناها عابه سرًّا، ومنها كلمة النتاش الدارجة، وهي مبالغة في الوصف، من نتش بمعنى العياب، وإن استعملت أحيانًا بمعنى المذاع.

(١٤٦) نتف

نتف الشعر والريش ونحوهما نتفًا معناها: نزعه نتشًا. ونتَّف مبالغة نتف، والمنتاف ما ينتف به. والمنتفة: القطعة المنتوفة، وجمعها: نتف، فالكلمة صحيحة.

(١٤٧) بحبوح

يقولون في الكلام الدارج: فلان رجل بحبوح كما يقولون: بحبح على نفسه، أي وسع، وهي صحيحة، فبحبح في الشيء، أى توسع، والبحبوحة (جمعها بحابيح) من كل شئ هي: وسطه وخياره. ويقال: عاش في بحبوحة.

(١٤٨) مفرطح

نتحاشى في الكتابة كلمة مفرطح ونستعمل مفلطح. والواقع أن مفرطح سليمة ففرطح الشيء معناها: بسطه ووسعه. فالرغيف المفرطح هو المبسوط، ويقال: رأسه مفرطح، أي عريض.

(١٤٩) عجزت

نستعملها في كلامنا ونتحاشاها في الكلام الفصيح، مع أنها صحيحة، فعجزت المرأة معناها: صارت عجوزًا وهو الاستعمال الدارج.

(١٥٠) العمش

صحيحة. فعمش فلان عمشًا أي ضعف بصره، مع سيلان دمع عينه في أكثر الأوقات، فهو أعمش وهي عمشاء. (ج عمش).

(١٥١) المعقرب

يقولون في الكلام الدارج: هذا شيء معقرب أو أمر معقرب، معقرب، بمعنى أنه غير مستقيم أو غير واضح، والأصل هو أن المعقرب هو المدوج المعطوف. والمعقرب من الناس هو: الشديد الخلق المجتمعه.

(١٥٢) الغموس

نحسبها عامية وهي صحيحة، فالغموس وجمعها غمس هو: ما يؤتدم به(مو).

(١٥٣) مقّق عينيه

الأصل فيها مقَّ الشيء مقًا أي فتحه. ويقال مقَّ الله عينه، أي قلعها، ويقال: مقق على عياله، أي: ضيق عليهم فقرًا أو بخلاً.

(١٥٤) الأزعر

إخواننا في سوريا ولبنان يصفون الرجل السيِّئ بالأزعر، وهي سليمة. فالأزعر (والمرأة زعرة وجمعها زعر) هو السيِّء الخلق. والزعرور أيضًا هو السيِّء الخلق. وزعر الشعر والريش والوبر زعرًا معناها أنه قل وتفرق حتى يبدو الجلد. وزعر المكان معناها كان قليل النبت متفرقه. وزعر فلان أي ساء خلقه وقل خيره.

(١٥٥) شرمه

شرم الشيء شرمًا معناها شقه من جانبه. ونحن نقول: الإناء المشروم. ويقال: شرم أنفه وشرم أذنه ومعناها أنه قطع من أعلاها شيئًا يسيرًا فهو مشروم، وشرم شرمًا، معناها: انشق فهو أشرم وهي شرماء وجمعهما شرم. وشرمة معناها شقة. وانشرم أي انشق.

(١٥٦) شرشر الماء

يقولون: كان يسير وهو يشرشر ماء،أو أن الماء كان يشرشر منه،وهي صحيحة، فشرشر الماء وما إليه معناها تقاطر. والعامة تختصرها، فتقول: شر بمعنى خر وتساقط.

وهناك أيضًا شرشر السكين بمعنى أحدها، وشرشرها أيضًا، معناها: جعل في حدها أسنانًا) (مو).

(١٥٧) هرأ

نقول الكلام عن اللحم: إنه اهرى. والأصل هرئ اللحم هرءًا وهراء وهرؤًا ومعناها نضج أشد النضج. ويقال: هرأ البرد فلانًا (وكثيرًا ما تخفف في الكلام فنقول هراه) (معناها أن البرد اشتده عليه حتى قتله أو كاد أن يقتله، وهرأ اللحم، معناها: زاد إنضاجه حتى سقط من العظم.

(١٥٨) الفئيد

تستعمل في الذم، فنقول وصفًا للرجل: ذلك الفئيد، ونحسبها تخفيف الفقيد والواقع أن الفئيد في اللغة هو الجبان.

(١٥٩) بظرميت

نستعملها في الكلام للذم، ونصف بها أيضا السيِّئ المختلط الإنسان.

والأصل موجود. فقد وردت في التاج وقال: إنها عامية ومعناها الأحمق. ويقال: بظرم فلان وتبظرم أى رفع شفته العليا ومطها. وبظرم وتبظرم أيضًا معناها حمق.

(١٦٠) نفّ

كلمة دارجة، وقد وردت في قاموس مجمع اللغة الوسيط، بمعنى مخط، وقال: إنها محدثة.

(١٦١) شطبة

يقولون: دخل مع فلان في عراك وشطبه. يقصدون أذاه أذىً شديدًا.

والأصل شطب الأديم ونحوه بمعنى شقه. وشطب مبالغة في شطب.

يقال: شطب اللحم بمعنى شرحه وشطب السيف جسمه معناها ترك فيه أثـــرًا. هكذا يمكن إدراك كيف دخلت الكلمة لغة الكلام.

(١٦٢) شطح

يقال: شطح في السير أو في القول، واللفظ والمعنى سليمين بمعنى تباعد واسترسل في السير أو في الكلام.

(١٦٣) الشاطر

يقولون: فاكرها شطاره؟ وأصل الشاطر في اللغة: الخبيث الفـــاجر، وجمعهـــا: شطّار، ولو أنها تستعمل عند الصوفية بمعنى السابق المسرع إلى الله. كما يقال أيضًا في اللغة: الشاطر بمعنى الفهم المترف وبذلك ينطبق الاستعمال الدارج من كل نواحيه مـــع اللغة السليمة.

(١٦٤) شطّ

يقال للمرء إذا ابتعد عن الصواب، أو الحقيقة في كلامه: إنه شط. فإذا أكثر فهو

شطاط. وهي سليمة؛ فشط شطوطًا وشططًا، معناها بعد، ومن هنا يقال: شطَّت الدار، وشط في الأمر، بمعنى أمعن وجاوز الحد. ويقال: شط في المساومة، وشـــط عليــه في حكمه شططًا، بمعنى جار عليه.

كما أن الشط هو معروف هو جانب النهر وجمعها المشطوط.

(١٦٥) شطف الملابس

شطف الثوب شطفًا، بمعنى غسله صحيحة، وشطف عن الشيء معناها عـــدل وتباعد.

(١٦٦) شقلة فلوس وشقلة أرز

ويقصدون بها في الكلام كمية أو وزنة، والأصل صحيح "فشقله شقلاً معناهـــا وزنه".

(١٦٧) الدواء اشتغل

الاستعمال سليم، فاشتغل الدواء في جسمه، معناها في اللغة: سرى ونجع.

(١٦٨) جحمرش

نحسبها عامية وهي أصلية، فالجحمرش من النساء: الثقيلة السمجة، وتطلق أيضًا على العجوز الكبيرة، كما تطلق أيضًا على الإبل الكبيرة.

(١٦٩) اللعوقة

يصفون المرء إذا هوج وخلط و لم يحكم العمل بأنه يلعوق، وهي صحيحة، فلعـــوق في عمله معناها أسرع وخفَّ.

(١٧٠) لعلع

نستعملها في الكلام لوصف الازدهار أو اللمعان، ونقول أيضًا: لعلعي،وفي اللغة يقال: لعلع السراب أي برق ولمع. ولعلع الرعد معناها صوت. ولعلعة السراب هي بصيـــصة ويقال: لعلع تلعلع الكلب، إذا أخرج لسانه عطشًا،وهي دعوة للعاثر بالانتعاش.

(١٧١) لظلظ

يستعملها الناس لوصف الرجراج كالفالوذج. والواقع أنه يقـــال: تلظلظـــت الحيـــة ولظلظت رأسها أي حركته من شدة اغتياظها. ولعل هذه الحركة هي أصل اســـتعمال هذا اللفظ في الكلام الدارج.

(١٧٢) كبش:

يقول العامة: كبش الشيء، بمعنى تناوله بقبضته، وفي اللغة كما في التاج يقال: كبشه كبشًا، إذا تناوله بجمع يده.

(١٧٣) مزع:

يقول العامة: مزع فلان: أي كذب، وفلان مزَّاع: أي كذاب، وذلك بالزاي أخـــت الراء. وفي اللغة: مزغ بالزال أخت الدال: كذب.

* * *

الألفاظ والأساليب المستحدثة(*)

للأستاذ عبد الله كنون

(عضو المجمع)

تحيا الأمم بلغاتها كما تحيا اللغات بأممها، فإذا رأيت أمة خاملة الذكر ضعيفة الحول، فإنك لا بد أن تجد لغتها قاصرة متخلفة تعكس الأوضاع القائمة فيها من مجتمع بدائي، وحياة ساذجة، وجيل من الناس محدود النشاط والتفكير، وبالعكس إذا كانت الأمة حية متطلعة إلى آفاق النمو والتطور، وكانت لغتها مستجيبة لحيويتها، متفاعلة مع عوامل التغيير الذي تتعرض له، فلا تلبث أن تصير من اللغات ذات الشأن، أسوة بالذين يتكلمون بها.

ولكم رأينا من أمة لم تكن شيئًا مذكورًا هي ولغتها، فما أن مسها تيار التطور والتغيير، حتى برزت للوجود تأخذ وتعطي وتتبادل أسباب التقدم والرقي مع غيرها من الأمم النامية، بوسيلة اللغة التي دبت فيها نسمة الحياة من أبنائها الناهضين. إنما الغريب أن تموت اللغة بموت أهلها بعد الازدهار والانتشار، حتى يصبح فك رموزها من الفتوحات العلمية، كما وقع في لغة قدماء المصريين أعني الهيروغليفية، مما يؤكد أن الصلة بين حياة الأمة واللغة شيء واقع لا مرية فيه.

ويستثني من ذلك بعض اللغات التي تعد أمًّا لغيرها من اللغات المتفرعة عنها فهي وإن ماتت بموت المتكلمين بها، بقيت محفوظة في فروعها المنتشرة بين أمم حية، لا تفتأ تستمد منها وتوسع لغاتها بالرجوع إليها اقتباسًا وتوليدًا واشتقاقًا وتنظيرًا، وكان هذا من حظ اللغتين اليونانية واللاتينية اللتين تعتمدهما أكثر اللغات الأوربية المستعملة اليوم لا سيما المنبثقة أصلاً من اللاتينية.

والاستثناء الأعظم من هذا هو اللغة العربية، لغة الوحي والتنزيل، التي استندت لكثير من عوامل الركود والتخلف، بعدما كانت عليه من النمو والازدهار، حتى طبقت

(*) عرض هذا البحث في الجلسة السادسة لمؤتمر الدورة الخمسين سنة ١٩٨٤ م، ونشر بمحاضر وبحوث مؤتمر تلك الدورة، ص ٣٧١، وعليه تعقيبات هناك.

أرجاء العالم وأصبحت لغة العلم والحضارة في بلاد الشرق والغرب، طوال العصور الوسطي واستوعبت ثقافة الهند والفرس وسائر الشعوب القديمة، لكنها بعد ذهاب دولتها بسيطرة الأعاجم على العرب وغزو الفرنجة لأرضهم، ثم استيلاء الغرب على مقدراقم المادية والأدبية، واضمحلال حضارقم حتى أصبحوا عالة على الأجنبي في كل شيء، في هذه الحالة لم يكن هناك مناص من دخول العربية في عداد اللغات الميتة، لولا القرآن الذي حفظها وحفظ العرب أنفسهم من المصير الذي لقيه غيرهم من الأمم البائدة.

فهنا كانت اللغة هي صمام الأمن وضامن الوجود لأمة الرسالة الخالدة التي يقول كتابها: "إنا نحن نـزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ومن اللطائف في هذا الصدد ما روي عن القاضي إسماعيل أنه قيل له: لم جاز التبديل على أهل التوراة: و لم يجز على هذا القرآن فقال: لأن الله تعالى قال في أهل التوراة "بما استحفظوا من كتاب الله" فوكل الحفظ إليهم، وقال في القرآن﴿ إنا نحن نـزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فتكفل هو بحفظه، فلم يجز التبديل على أهله، ذكره عياض في المدارك، وهكذا بقيت العربية وبقي العرب، فصح ما قلناه في أول هذا الحديث: إن الأمم تحيا بلغاقا، كما تحيا اللغات بأممها.

ولا أشير إلى فشل المحاولات التى أريد بها الإيقاع باللغة العربية وإلحاقها باللغات الميتة، كإحلال العاميات الناشئة في مختلف البلاد العربية محل الفصحى، وجعلها كاللغات المنبثقة من اللغة اللاتينية للقضاء عليها وتمزيق شمل الأمة العربية، وكاقتراح كتابتها بالحرف الإفرنجي، كما حصل في اللغة التركية وغيرها من اللغات، التي كانت إلى أوائل هذا القرن تكتب بالخط العربي، لفصلها عن ماضيها المجيد وتراثها العتيد، وغير ذلك مما يوحي به خصومها وخصوم حضارقا، ويتلقفه مع الأسف بعض العققة من أبنائها عن علم مدخول، أو جهل مستحكم، ويروجون له من حين لآخر بين الطلبة والشباب لعله يجد منهم قبولاً ورضيً، فهذا نوع من الحروب التي تشن على أمتنا العربية في شتي الميادين وكل الأوقات، فتشحذ عزيمتها وتقوي همتها للمزيد من النضال وإحراز الخَصْل في كل مجال.

غير أن ما لابد من ذكره والتنويه به هو هذه الجهود المتضافرة والأعمال المتواترة من أبناء العربية الأبرار كتابًا وشعراء وأساتذة وصحفيين ومجمعيين، وفي طليعتهم أعضاء مجمعنا القاهري الموقر، لبعث لغتنا الضادية وإحلالها محل الصدارة بين اللغات العالمية الكبرى، كما كانت وستبقى كذلك - بإذن الله - مع تفوقها عليها بما تختص به من الريادة في عالم المعرفة الإيمانية والقوامة الروحية على التراث الإنساني لا ينافسها في ذلك أي لغة في العالم.

ويتمثل البعث اللغوي الذي تحرص عليه الجهات والفئات من الناس الذين ألمعنا إليهم في أمرين اثنين:

أولهما: الحفاظ على سلامة اللغة من الشوائب التي تكسف نصاعتها، كالألفاظ العامية، والتراكيب المنافية للفصاحة، بمخالفتها لقواعد النحو والتصريف والاقتباس من اللغات الأجنبية، بغير مراعاة لطرق التعريب والترجمة الصحيحة.

وثانيهما: سد فراغاتها المعجمية والتعبيرية بما يغنيها من الألفاظ والأساليب التي هي في حاجة إليها، كالمصطلحات العلمية والتقنية، والمفردات والأسماء التي تعين الأدوات والأجهزة الحضارية الحديثة، فإن هذه الأشياء في تزايد مستمر، ولابد لمسايرة ركب التقدم من إيجاد الوسائل التي تبلغنا إليه، وأولها الرصيد الذي نودعه إياه.

واللغات لا تنمو وتتسع بغير الأخذ والعطاء، وقد أعطينا كثيرًا من لغتنا للغات الأخري، ففي الأسبانية ما يزيد على ١٥٪ من المفردات العربية، في مختلف مجالات الحياة، من اجتماع واقتصاد وعلوم طبية وفلكية وزراعية وغيرها، وأما في الأدب والشعر والقصص والأمثال فإن عطاءنا في ذلك هو أساس الإبداع والخلق عند الأسبان ومن تأثر بهم في هذه الفنون، وما تزال أسماء بعض النجوم وبعض الآلات الهندسية وبعض المناطق الجغرافية، بل بعض العلوم بذاتها في اللغات الأوربية الكبرى، كعلم الجبر باللغة العربية، فإذا عدنا لأخذ ما نحن في حاجة إليه من ألفاظ وأساليب عن اللغات الأخري، فهي قد سبقت إلى الأخذ عنا، وكذلك سبق أسلافنا فأخذوا عن اللغات

القديمة ما يعبر عنه بالمعرب من الألفاظ وصقلوه فصار من صميم العربية، ودخل حتى في لغة القرآن الكريم، وما نقص ذلك من قدر اللغة العربية ولا أثر في أصالتها، ولأن كيانها محفوظ بقواعدها النحوية والصرفية والبلاغية، ولا تدخل كلمة إلى معجمها حتى تصهر في بوتقة هذه القواعد، وتصوغها على قالبها وقياسها المعروف والمقبول.

ومن هنا يظهر أن الألفاظ والأساليب المستخدمة ليست كلمات وجملاً تقمش من هنا وهناك، ويؤتى بها على غير هدي لتضخيم المعجم العربي، وجعل حجمه أكبر مما هو، فإن الأمر أعظم من ذلك، إن الكم والكيف فيه مقترنان، والحداثة والعراقة ملازمان، وما نستحدثه منه غالبًا ما يكون له جذم أصيل في اللغة العربية وطرق تعبيرها، نعتمد فيه الاشتقاق والتوليد والنحت والتركيب والمجاز والاستعارة والكناية، وغير ذلك مما يؤدي المعنى المراد، ويكون وضعًا جديدًا يضاهي عمل الوضع الأول، وعمل الواضع كما نعلم هو جعل اللفظ دليلاً على المعنى. ومن ثم يكون المستحدث على هذه الطريقة عربيًّا خالصًا لا غبار عليه. أما إن كان مما يقتبس من لغة أخرى فلابد من خضوعه لعملية التعريب، التي أشرنا إليها آنفًا، وهي عملية معروفة ومتبعة في سائر اللغات، وكلنا نعرف ما عمله الأجانب في اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليميزوه عن غيره من الأسماء الموافقة له، فالمقتبس على هذا النحو هو أيضًا من صاح العربية الذي يثبت قاعدة تعامل اللغات بعضًا مع بعض، وقد أسرف بعض اللغويين المتشددين فأنكر المعرب من الأساس وزعم أنه عربي أصيل.

وعلى كل فقد أضاف القرآن إلى متن اللغة معجمًا كاملاً، لاسيما في المعاني الشرعية والقانونية، ولم يزد على أن خصص العام وقيد المطلق وبين المجمل، فأوجد لكلمات: **الصلاة**، **والزكاة**، **والوضوء**، **والغسل**، **والزكاة**، **والأضحية**، **والجهاد**، **والرباط**، **والقراض**، **والسلم**، **والإجارة**، **والجعل**، وغيرها من مئات الألفاظ معاني ودلالات لم تكن لها من قبل، وهي هي نفس الألفاظ العربية التي كانت موجودة بالفعل وبالقوة ولا علاقة بما أصبحت تفيده من بعد، تمامًا كما فعلنا نحن في كلمة: **الجريدة**،

والسيارة، والباخرة، والهاتف، والثلاجة، والكلية، والجامعة، والدستور، والقانون، والإذاعة، والإعلام، والإدارة إلى ما لا يحصى من الألفاظ المستحدثة ذات الدلالة الجديدة وإن كانت قديمة.

أما إذا نظرنا في الأساليب القرآنية، التي صاغ بها الكتاب العزيز دعوة الإسلام وخاطب العرب بما أهلهم له من إبلاغ رسالته إلى البشرية جمعاء، فإننا نجد أمرًا عجبًا لم تكن هناك كلمة للتعبير عنه قبل وبعد أنسب من الإعجاز، فإنه ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالخطابة ولا بالسجع ولا غير ذلك مما تعرفه العرب في فنون القول، فكان أن ألقوا باليد وأقروا بالعجز وهم أساطير البلاغة وفرسان البيان، حتى كان منهم من سجد لسماع بعض آيات منه، وتسمية جمله وفقره بالآيات، هي نفسها من باب الإكبار والانبهار بأسلوبه الرائع، والموضوع بحاله كما يقول علماؤنا في هذا المقام، فإن الكلمات والمفردات هي هي ما عرفوا وعلموا، ولكن الصياغة شيء غير ما عهدوا واعتادوا، فلقد روي عن الأصمعي أنه قال: سمعت بنتًا عربية خماسية أو سداسية تنشد:

أستغفر الله لذنبي كله　　قتلت إنسانًا بغير حله

مثل غزال ناعم في دله　　وانتصب الليل و لم أصله

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك؟ فقالت: ويحك أيعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه. فإذا خفت عليه فألقيه في اليمّ ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وبشارتين.

وهذا بعد انتشار الإسلام والعلم والمعرفة، وتفتح الأذهان، وارتفاع المستوى الثقافي لدى عامة العرب بما يفوق عدة درجات ما كان عليه الخاصة منهم، وحكي عن بعض البلغاء أنه كان يتشدق بمعارضة القرآن، حتى إذا قرأ قوله تعالى - في قصة الطوفان من سورة هود:﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ﴾ سقط في يده، وعلم أن ما يحاوله إنما هو عبث وليد، وعبارة "سقط في يده" نفسها هي مما أتى به القرآن، و لم تكن العرب تعرفه، وذلك في

قوله تعالى: من سورة الأعراف: ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ وقد عدها علماء البلاغة من روائع كلم القرآن..

وهذا الذي قلناه في أسلوب القرآن، وقاله العلماء قبلنا، قد عبر عنه رئيس مجمعنا السابق الدكتور طه حسين – رحمة الله عليه –، بكلام بيِّن واضح يطيب لنا أن نسوقه هنا وهو قوله: "إن القرآن ليس نثرًا، وليس شعرًا، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم، ليس شعرًا، وهذا واضح فهو لم يتقيد بقيود الشعر، وليس نثرًا؛ لأنه مقيد بقيود مخصوصة لا توجد في غيره، وهذه القيود بعضها يتصل بأواخر الآيات، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة. كان وحيدًا في بابه، لم يكن بعده مثله، و لم يحاول أحد أن يأتي بمثله، وتحدى الناس أن يحاكوه، وأنذرهم أن يجدوا إلى ذلك سبيلاً ".

ورفد الحديث النبوي اللغة العربية بمثل ما رفدها به القرآن وبقريب منه، لفظًا وأسلوبًا ولا غرو فهو – صلى الله عليه وسلم – أفصح العرب، وأوتي جوامع الكلم و لم يفتأ علماء البلاغة يضعون كلامه في المرتبة الثانية بعد القرآن، وقد تكلم بكلمات لم يسبق للعرب أن نطقت بها، كتعبيره عن النساء **بالقوارير**، في قوله لأنجشة الحادي: "يا أنجشة رفقًا بالقوارير" وكانت هذه الكلمة أبلغ ما سمع في وصف النساء وطبيعتهن الرقيقة وسرعة تأثرهن، وهي تشبه ما يقال الآن في النساء من وصفهن **بالجنس اللطيف**، ومن بليغ كلامه قوله في غزوة حُنين: "الآن حمي الوطيس" قال في النهاية: **الوطيس**: التنور، وهو كناية عن شدة الأمر واضطرام الحرب - ويقال: إن هذه الكلمة أول من قالها النبي – صلى الله عليه وسلم – لما اشتد البأس يومئذ، و لم تسمع قبله، وهي من أحسن الاستعارات.

ونستطيع أن نقول باطمئنان: إن الروح التي نفخها القرآن والحديث في اللغة العربية جعلتها أعظم اللغات السامية أو أمها كما يقول غير واحد من العلماء، وضمنت لها البقاء على الدوام، وصارت بعد ذلك لا تزداد إلا غنىً وثراء، لاسيما وقد سار الصحابة على نهج الرسول صلي الله عليه وسلم – في إعلاء شأن العربية والتمكين لها

في أقطار الأرض بحيث أصبحت اللغات الكبرى في ذلك العهد تبعًا لها، ووضع علي بن أبي طالب قواعد لضبطها وحفظها من التغيير هي ما سُمِّي بعلم النحو، وهكذا توبعت المسيرة في العصور الوسطى، حتى نقلت العلوم والفنون، وترجمت كتب الأوائل في عهد الأمويين والعباسيين، فاحتضنتها العربية ولم تضق بشيء منها، بل زادت عليها واتسعت بما لم تتسع به لغة قبلها، إذ صارت مستودعًا للمعارف البشرية تقتبس منها الأمم والشعوب، وتحتذي حذوها في التجديد والإبداع.

ولما أصابها ما أصابها من الفتور بسبب فتورنا نحن في الحقب المتأخرة اعتبارًا بقاعدة اللغات بأممها، لم تفتأ أن انبعثت من جديد بانبعاثنا وتأثرنا لخطى سلفنا في تنميتها وحقنها بدم جديد من العمل الذي تقوم به النخبة في هذا المجمع والمجامع العربية الأخرى، وسبق أن قام به جيل النهضة قبل تأسيس هذه المجامع، وهو ما يستخدم من ألفاظ وأساليب بالطرق المتبعة في ذلك من أول يوم أحس العرب فيه بحاجة لغتهم إلى التطور والتنمية ونتج عن ذلك أن صارت العربية أداة طيعة للتعبير عن كل ما يختلج في النفس من أدق المشاعر وأعمق الأحاسيس، وتصوير كل ما تقع عليه العين من مختلف المرئيات ومتنوع المشاهد، وأصبحت تتوافر على عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية والفنية والحضارية، التي وضعت حديثًا ولم يكن لها وجود قبل زمن قليل، ونبغ فيها الكتاب والشعراء، الذين يضاهون كبار كتابنا وشعرائنا في العصر العباسي الأول، ثم هي ما تزال تطوي المراحل وتبغي فوق ذلك مظهرًا.

وإذا كان هناك ما يلاحظ على عملنا اللغوي، فهو بطؤه الذي يجعل المسيرة تتعثر أحيانًا من عدم إيمان البعض بطاقة العربية وقدرتها على استيعاب المستجدات من العلوم والفنون والتقنيات، ومن ثم يعارض هذا البعض في تدريس المواد العلمية بالعربية، ويتحمل مسؤولية تأخر الركب العربي عن قافلة التقدم التي لا تنتظر أحدًا، وأحيانًا من تعارض الاتجاهين المحافظ والمجدد، فحينما يتزمت الأول حتى يمنع مالا يجوز أن يمنع يندفع الثاني، فيقع في محظورات لا تقبل بحال، وتحتد المعركة ولا يسفر العمل عن نتيجة إلى أن يأتي التمحيص وربما لا يأتي.

ومثالاً على ذلك، نذكر لفظ "**الفنان**" الذي أطلقه العرب الأولون على حمار الوحش لتفننه في العدو، وكان بعض المعاصرين استعمله في وصف رجل الفن، فلم يرتضه الملتزمون بالنص اللغوي، وكان كتاب مثل مصطفى صادق الرافعي يضطرون إلى استعماله فيضعونه بين قوسين للتعبير عن تحفظهم بإزائه، مع أن له أكثر من وجه لتخريجه عربيًّا، وقد أشرنا إلى ذلك في بحثنا الذي ألقيناه في هذا المجمع منذ سنوات بعنوان: "السليقة عند العرب المحدثين".

ومثله الجدال الذي يثور، من حين لآخر، في "جمع **معجم** على **معاجم**" و"**مشهور على مشاهير**"، زعمًا بأن قياس الأول **معجمات**، والثاني **مشهورون**، وليس هذان بأقيس، من **معاجم**، و**مشاهير**، ومن التطاول أن يغير مصحح الطبع اسم كتابي "مشاهير رجال المغرب" في مقدمته إلى "مشهوري رجال المغرب"، وحمدت الله على أنه لم يستطع أن يغيره في عنوان الكتاب الخارجي المرسوم بمعرفة خطاط، ويلجأ المجيزون للجمع المذكور إلى تتبع الكلمات التي جاءت على وزنه للاحتجاج بها، مع أن من المقرر نحويًّا أن مفاعل، هو من باب فعالل، الذي قال فيه ابن مالك:

وبفعالل وشبهه انطقا   في جمع ما فوق الثلاثة ارتقى

من غير ما مضى ......

وقد ذكروا أن شبه فعالل، مفاعل، وفياعل، وفعاول، وغيرها مما هو مثله عددًا أو هيئة، وإن خالفه زنة، كمفاعيل وفعاعيل ونحوها، فهذه كلها جموع لما زاد على الثلاثة من الرباعي فما فوقه، أصليًّا أو مزيدًا، باستثناء باب: **كبرى**، و**سكرى**، و**أحمر**، و**رام** و**كاهل**، ونحوها، وهو ما أشار إليه ابن مالك بقوله: من غير ما مضى، فإن له جموعًا أخرى ذكرها، ويدخل فيما يعنينا هنا، أعني مفاعل: **معجم**، و**مصحف** مما أوله مضموم، و**مسجد**، و**موطن** مما أوله مفتوح، و**معول**، و**مضرب** مما أوله مكسور، فيقال قياسًا: **معاجم**، و**مصاحف**، و**مساجد**، و**مواطن**، و**معاول**، و**مضارب**، ويقال في **مشهور**، و**مرسوم**، و**مفهوم**: **مشاهير**، و**مراسيم**، و**مفاهيم** قياسًا أيضًا.

والأمثلة على اجتهاد بعض اللغويين في حال وجود النص كثيرة، ويكون الخطب سهلاً إذا وافق الاجتهاد النص، ولكن المشكلة هي أن يخالفه، وأن يتعصب له صـــاحبه فتصير عويصة، وكل ذلك مما يعوق مسيرة العلم اللغوي ويبطئ به إلى حد بعيد.

وأما قبل وبعد فإن حرصنا على أن تسير حملة التنمية اللغوية في الطريق السوي ولا تخالف عنه يمينًا أو يسارًا، وليس فقط لتجنب المعوقـــات، وســـرعة الوصـــول إلى الغرض المنشود، بل ولربط الحاضر بالماضي، والمحافظة على هذه الميزة التي تجعل اللغـــة العربية حية في أذهاننا، كما كانت في أذهان أبنائنا وأجدادنا، فلا نبتعد عـــن مظلـــة القرآن الذي هو الحارس الحقيقي لها ولنا.

* * *

ثلاث كلمات للاستعمال العام(*)

للأستاذ سعيد الأفغاني
(عضو المجمع)

قبل ثلاث سنين، كنت أستمع إلى أخبار لبنان في إذاعة مسائية تنقل خطابًا مسجلاً لرئيس لبنان آنذاك، الأستاذ مركيس، يحذر فيه شعبه من أسواء (التشرذم) وهو يعني تبعثر الشعب في أحزاب وشيع وطوائف وآراء بعضها محلي وبعضها وافد، وكل ينتمي إلى جهة غير جهات الآخرين، ولهجة الخطاب لا تخفى ألمًا مريرًا شعر به كل ذي قلب نبيل.

تتابعت أحداث لبنان، كل حدث ينسي بفداحته ما قبله، ونسي خطاب الرئيس فيما نسي، لكن كلمة علقت بذاكرتي لقوة تصويرها محنة لبنان، ولإيحائها بالعيش الضنك المنتظر، تلك هي كلمة (التشرذم)، ولدتها المحنة نفسها، لا تجدها في معجمات اللغة، بل لم أسمع بها قط قبل المحنة، فهي (مولدة) بل (محدثة)، لكنها في صميم العربي الصحيح، وأكاد أقول العربي العريق وإن تأخر زمنه.

رجعت إلى المعجمات فوجدت كلمة واحدة هي (**الشرذمة**) لها معنى واحد عام هو (القطعة من الشيء)، فقالوا " ثوب شراذم " أي قطع، و (ثياب شرذام) أي ممزقة خلقة، وأنشدوا لساعدة بن جؤية:

فخرت وألقت كل نعل شراذمًا   يلوح بضاحي الجلد منها حدورها[1]

وأنشد ابن بَرّي لراجز لم يسمه:

جاء الشّتاء وقميصي أخْلاق   شراذم يَضْحك منّي النواق

(والنواق: ابنه).

(*) عرض البحث في الجلسة التاسعة لمؤتمر الدورة الخمسين سنة ١٩٨٤، ونشر بمحاضر وبحوث مؤتمر تلك الدورة، ص ٤٠٧، وعليه تعقيبات هناك.

(١) ديوان الهذليين ٢ — ٢١٨، الحدور: جمع حدر، وهو الورم.

ثم صارت الكلمة تطلق على الناس، لتدل على جماعة قليلة منها؛ لأن معناها من الأصل يدل على القليل، ونـــزل القرآن الكريم معبرًا بها عن جماعة المؤمنين مع موسى، وأكد دلالتها على القلة في الآية الكريمة: ﴿ إن هؤلاء لَشِرْذِمةٌ قليلون ﴾[١]

ومضى أكثر من أربعة عشر قرنًا لم يشتق منها، بل لم يضف إليهـــا اســـتعمال جديد فيما أعلم، حتى أحوجت حال لبنان اليوم إلى تعبير عنها جاءت به سليقة عربية سلمية، فكان (التشرذم) وضعًا موفقًا وتوليدًا سليمًا، لا شائبة فيه.

وعلى رغم تقرير بعض الصرفيين عدم الاشتقاق من الجامد، درج العرب منـــذ صدر الإسلام على الاشتقاق منه، فقالوا[٢]: (**تزندق** من زنديق) و (**مدرهم** من الدرهم وقالوا: درهمت الخبازى، بمعنى تدورت كالدرهم) وقالوا: (**دون** تدوينًا) مـــن كلمـــة ديوان، ومن الجورب قالوا: (**جوربه فتجورب**)، وفي تاريخ الطبري (**مرزب** هرامسيس على مرو)[٣] أي صار مرزبانًا عليها، وقالوا من المنجنيق: (**جنق الحجـــاج الكعبـــة**)، وكلمة على بن أبي طالب المشهورة... (**مهرجونا** كل يوم) و.... (**نيرزونًا** كل يوم) لما قدموا إليه حلوى يوم المهرجان، ثم يوم النيروز... إلخ، كل ذلك كان في صدر الإسلام في المئة الأولى، في أغرب عصور الاحتجاج.

فالتشرذم على هذا – تدخل المعجم العربي من أوسع أبوابه، وتحوج الحالة اليوم إلى الاشتقاق منها، فيقول: (**شرذمهم** البلاء فتشرذموا) (شـــرذم) الفعـــل المتعـــدي و (**تشرذم**) مطاوعة اللازم.

ما أردت مما تقدم ترحيبًا بالمولد، فالمولد لم ينقطع منذ نشأة اللغة، والكلمـــات تتوالد كل يوم وعلى كل لسان، تلبية لحاجة التعبير عما يجد ويجد، والتراث حافل بمـــا أضاف المتكلمون إلى اللغة، لكن ذلك كله صادر عن سلائق عربية سليمة، فكان مـــن

---

(١) سورة الشعراء – ٢٦ الآية ٥٤.

(٢) انظر كتابي (في أصول النحو) ص ١٤٨، من بحث الاشتقاق.

(٣) تاريخ الطبري ٢ – ١٢٩٨ طبعة ليدن.

صميم اللغة، وسجلوه لأنه خليق بالتسجيل. ومنذ مئة سنة والنهضة في حداثتها يضيف المؤلفون كل يوم مصطلحات في ميادين مختلفة من العلوم والآداب والفنون وكل ما يترجمون، مصطلحات حازت القبول؛ لأنها قيست على كلام العرب بسليقة عربية، فهي من كلام العرب.

أسوق هذا بين يدي كلمات ثلاث، معانيها المعجمية متقاربات، حتى ليظن - لأول وهلة - أنهن مترادفات. وبنا اليوم افتقار إليهن جميعًا للتعبير عن أحوال اجتماعية نعانيها بعد أن أعجبنا بادي الرأي، اثنتان منها وضعتا في الأصل للدلالة على طوائف من الحيوان، ثم أطلقت على طوائف من البشر لضرب منه الشبه. وإحداهن تداولها الناس حديثًا في لغتهم إذا رأوها معبرة عن بعض حالاتهم الاجتماعية اليوم.

تلك الكلمات هي: (**الغوغاء، والطَّغام، والرعاع**)، نحتاج إليها لنصل إلى مصادرها الصناعية (**الغوغائية، والطغامية، والرعاعية**). والأولى طرحت نفسها للاستعمال في كلام الناس والصحف. وعبر بها بعض المثقفين عن أفعال المتزعمين في الشرق والغرب، الذين يتملقون العامة في خطبهم أو أحاديثهم، يقولون مالا يعتقدون، استغلالاً لهم ووصولاً إلى مآرب نفعية، وليغروا السفهاء بخصومهم المصلحين الذين يجاهرون الجمهور بأخطائه وانحرافاته وغفلته، كلما عبروا بها عن زملاء لهم باعوا أنفسهم من المتزعمين فسخروا ذممهم وأقلامهم ومواهبهم لتهدم ما بنت أمتهم من قيم تضبط السلوك العام.

فلننظر إلى هذه الكلمات واحدة واحدة:

١- أما "الغوغاء" فأول ما وضعت - فيما أرى - للجراد " بعد أن ينبت جناحه ويخف للطيران "[١] أو هي "لشيء يشبه البعوض ولا يعض ولا يؤذي لضعفه[١]" ثم استعملت إضافة لذلك لما يصدر عن هذه الحيوانات "من صوت وجلبة" قالت المعجمات: "وبه سمي الغوغاء من الناس وهو مجاز[١]" إما تشبيهًا لهم بهذه الأجناس من

---

(١) تاج العروس ولسان العرب.

الحيوان لضعفهم، وإما عن الصوت والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم. ومن سجعات الزمخشري في (أساس البلاغة): "غمار الغوغاء غبار البوغاء".

وجرى الاستعمال في إطلاق (الغوغاء) على "السفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر" كما قال ابن الأثير عند تفسيره قول عبد الرحمن بن عوف، لعمر بن الخطاب: "يحضرك غوغاء الناس[(١)]" وفي خطبة السيدة عائشة في حجر مكة عقب قتل الخليفة الشهيد عثمان بن عفان: "أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة اجتمعوا، أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس... إلخ "[(١)] فعبرت عن الجماعات التي ألبها عبد الله بن سبأ اليهودي (الغوغاء) وبقي هذا المعنى متداولاً حتى اليوم [(٢)].

٢- وأما كلمة (الطَّغام) فتدرجت في الاستعمال كما تدرجت كلمة (غوغاء)، أطلقت على ضعاف الطير والسباع، ثم أطلقت على ضعاف البشر، وعبارة المعجمات "الطَّغام أوغاد الناس وأرذالهم"[(٣)] فإذا رجعت إلى كلمة (الرذل) فسروها لك بالدون والخسيس والرديء، والوغد فسره الصحاح (بالدنيء الذي يخدم بطعام بطنه) فتلاحظ أن قصدهم مال إلى ناحية خاصة من الضعف، هي في المكان والخلق.

وسمع الأزهري العرب تقول للرجل الأحمق: (طغامة) والجمع طغام مثل (نعامة ونعام) [(٤)] وأقدم ما استشهدوا به كلمة علي بن أبي طالب في إحدى خطبه (يا طغام الأحلام)، " وذلك أن الطغام لما كان ضعيفًا استجازوا أن يصفهم به كأنه قال: "يا ضعاف الأحلام، يا طاشة الأحلام، معناه من لا عقل له ولا معرفة[(٥)]" هذا في المئة الأولى للهجرة، وأنشد أبو العباس - فيما نقل اللسان والصحاح - قول الشاعر:

---

(١) تاريخ الطبري ٣ - ٤٦٨ مطبعة الاستقامة ص ١٩٣٩ م. وانظر (عائشة والسياسة) ص ٨٥ طبعة ثانية دار الفكر في بيروت.

(٢) آخر ما قرأته في هذه السنين ما قاله الأستاذ مصطفى مرعي في حفل استقباله.

(٣) التاج. (٤) لسان العرب.

(٥) النهاية لابن الأثير.

إذا كان اللبيب كذا جهولاً　　　فما فضل اللبيب على الطَّغام

كما أنشدوا لشاعر آخر:

وكنت إذا هممت بفعل أمر　　　يعارضني الطغامة والطغـــام

وقال ذو الرمة:

كأن صياح الكدر ينظران عقبنا　　　تراطن أنباط عليه طغام [1]

والطريف أن أصحاب الصحاح واللسان والتـاج جميعهم سـجلوا كلمـة "يعقوب": يحظر على الناس اشتقاق فعل أو اسم من هذه المادة في قوله: " ولا ينطق منه (من الطغام) يفعل ولا يعرف له اشتقاق، ثم تقرأ بعد ذلك في تـاج العـروس مـثلاً: والطغومة الدناءة ... يقال **تطغَّم** عليه إذا تجاهل، كأنه فعل فعل الطغام " ثم اسـتدرك الزبيدي على صاحب القاموس قائلاً: "ومما يستدرك عليه: هو من طغام الكـلام (أي سفله) وهو مجاز، ويقال: "كلام الطغام وطغام الكلام" فإذا صح أن الطغومة هي الدناءة وما إليها، وأن تطغم عليه، معناه تجاهل، فقد أفرد له فعل وعرف له اشتقاق، وكـان كلام يعقوب – في عدم معرفة فعل له، ولا اشتقاق – قاصرًا على نفسه، ومن حفـظ حجة على من لم يحفظ.

٣- أما (**الرّعاع**) فلا تبعد عن زميلتها (الطغام) في الدلالة على الضعف، بل إن مصدرها (الرع) معناه السكون، وإذا كان في (الطغام) يلاحظ الضعف دائمًا، فالرعاع أضعف منها؛ إذْ هي في الأصل تدل على السكون.

لم تذكر المعجمات إطلاق هذه المادة على الحيوان كما في أختيها، غير ما قرأت في مادة (همج) في مختار الصحاح: " **الهمج**، بفتحتين. جمع همجة، وهي ذباب صـغير كالبعوض، يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها، ويقال للرعاع الحمق: إنما هـي همج "أما المعنى الذي نصت عليه دواوين اللغة كالصحاح ومختاره فهـو" الرعـاع...

(١) هذه إحدى روايتين، والذي في الديوان: (عليه قيام) والأولى أجود، وإياها روى ابن منظور - لسان العرب - الكدر: القطاني لونها غبرة، العقب: ما يبقى من الماء – ديوان ذي الرمة ص ٦٨٨ – نشر المكتب ١٩٦٤م.

الأحداث الطغام"، وفي أساس البلاغة: "فلان رعاعة من الرعاع"، وفي اللسان: "الرعاع: الأحداث، ورعاع الناس: سقاطهم وسفلتهم"، وفي تاج العروس: "هم الرذال الضعفاء " لكن اللسان والتاج يزيدان على ما تقدم من تعريف قولهما: "وهم الذين إذا فزعوا طاروا"، وهذا يحقق أهم أحط من الطغام، إذا لم أجد هذا الوصف (وهم الذين إذا فزعوا طاروا) في (الطغام) ولا في (الغوغاء)، ولا ننسى إضافة إلى هذا أن اللسان والصحاح زاد كلمة (الأحداث) في أول التعريف، فتميزت الرعاع بانفرادها بهذين الوصفين: الحداثة والفزع.

فلننظر في الشواهد التي ساقها أصحاب المعجمات، وهي لا تعدو أربعة: فأولها في السبق الزمني، ما رواه الزمخشري في أساسه: "فلان رعاعة من الرعاع"، وفي الحديث:"إني أخاف عليكم رعاع الناس" وقد جهدت في البحث عن مصدر هذا الحديث في دواوين الحديث فلم أنجح، ومعناه صحيح، فأشقى البلاد ما تسلط فيها رعاعها.

وثاني الشواهد: ما رواه اللسان، من قول عمر: "إن الموسم يجمع رعاع الناس..." وعقّب شارحًا، أي غوغائهم وسقاطهم وأخلاطهم، والواحد رعاعة ".

وثالثها.. ما قاله عثمان حين تنكر له الناس، وهو يقصد الجموع التي ألّبها عليه ابن السواد عبد الله بن سبأ اليهودي: "إن هؤلاء النفر رعاع غثرة" والغثرة: السفلة. والشاهد الرابع: قول علي بن أبي طالب "... وسائر الناس همج رعاع".

وبعد، فلعليّ قريب من الصواب حين أجعل "الغوغاء" أقوى الأصناف الثلاثة في الشر، يليها "الطّغام"، وأضعفها "الرعاع" وزعماء الشر والفتن والفساد من محترفي السياسة وغيرهم لا يستغنون عن واحد منها، يجندون الأصناف الثلاثة معًا، الأول لقوته في الشر، والثاني لضعف عقله، فهو أسهل في الانقياد، والثالث أتباع كل ناعق يجرون وراءه بملء بطونهم. والاستعمال الحديث وسع مدلول (الغوغاء) فاحتوى الثلاثة معًا، والصواب التفريق بينها.

شهدت بلادنا العربية في الأعوام السبعين الماضية أنواعًا من الانتفاضات والتظاهرات والهياجات، أكثرها انفعالي جهادي، وبعضها افتعالي سياسي، فأما الأولى

فتكاد – لسمو الحافز عليها تكون نضالية طبيعية، شنت على الأجنبي المحتل، استجاب لها أكثر طبقات الشعب، عدا قلة ممن يحومون حول رأس الهرم، وأما الثانية الافتعالية فيهيئ الوصوليون من محترفي السياسة، إما قلقلة لفئة متسلطة يريدون الحلول محلها، وإما تثبيتًا لأنفسهم في مراكز وثبوا عليها يخافون أن يزيلهم عنها منافسوهم في التقرب إلى المحتلين، يثيرون العامة على خصومهم الذين لا يفتؤون يكرهونهم إلى الأمة، فتشرذم فئات من الشعب شراذم، وراء كل متزعم شرذمة، وتفتح خزائن الأموال العامة لتهدر على الأتباع تأليفًا لهم وليتقووا بهم على المنافسين وأحزابهم، هيجات أنوع، وتجمعات زاحفة لا يعقل أكثرها ما يدفعونه إليه، لا ينفع معهم وعظ ولا توعية ولا منطق، والنافخون في النار يستغلون – أكثر ما يستغلون – هذه الغفلة والسذاجة في الجماهير، فيتلعبون بهم متملقين أهواءهم وجهالاتهم في لقاءاتهم لهم وخطبهم وإذاعاتهم ... أحوال جديدة تقتضي أسماء مطابقة لها، لذا لجأوا إلى المصادر الصناعية فقالوا: (غوغائية) تعبيرًا عن أحوال عدّة: في التصرف والفكر والعقلية، من جملتها تملق العامة أفكارهم وأهوائهم وحتى معتقداتهم، ومنها إسفاف بعض المثقفين وهبوطهم إلى مستوى السفلة في نظمهم أو كتابتهم أو خطبهم، فهذا ينظم أو يكتب للمراهقين مدغدغًا الغرائز في الأحداث لتروج بضاعته، فينتفع بالكسب الحرام فيقول الناس: أديب غوغائي أو طغامي أو رعاعي بقدر الدركة التي انحط إليها. وذلك متى حانت الانتخابات أخذ يطوف في الأحياء متقربًا من شطارها وأولى الزعارة فيها، مستجديًا عونهم، باذلاً ما يرضيهم من ماله وذمته وأمانته وسائر قيمه، وهناك أصناف أخرى من هذا الطراز في كل مجال تقابل اليوم بكلمة (الغوغائية) – نظرًا لاتساع المدلولات في صيغة النسبة عندنا ما يقال له بالفرنسية مثلاً lademagogie وما هو دون ذلك تطلق عليه (الطغامية)، ثم الرعاعية لأحط الدركات، ندل بهذه الكلمات اليوم على استعداد أو اتجاه أو تفكير أو تصرف ما يتسم بالغوغائية، لاعلى طبقة خاصة كما كان في القديم، إذ نجد اليوم عالمًا يتصرف تصرف الغوغاء، وأستاذ جامعة واتجاهه – في كسب شعبية

رخيصة عند طلابه – غوغائي، بل لا أجد توافقًا حتميًا بين العقلية والعلم، فالعقلية مزاج أو طبيعة أو استعداد، والعلم اكتساب، وكثيرًا ما تغطي العقلية في التصرف على العلم في الإنسان.

هناك إذًا سياسة غوغائية وتفكير غوغائي وتصرف طغامي ومنطق وأخلاق وما إلى ذلك توصف بإحدى تلك الكلمات.

كلمة (الغوغائية) في سبيلها إلى الترعرع، وأختاها مطروحتان للاستعمال ولكل مقام تعبيره الخاص، ولا يجوز بحال أن يكون نظرنا إلى مظاهرة الطلاب أو موظفين محدودة الهدف، كنظرنا إلى تجمعات تساق من وراء وراء، لا تعرف لماذا تساق؟ ولا إلى أين؟ غير هتافات وشتائم لقنتها تلقينًا بليل.

هذه الكلمات من حقها النزول إلى الاستعمال العام، وإذا احتيج إلى إحداها في فن أو علم حدد المقصود منها فصارت مصطلحًا خاصًّا، دون المساس بمعناها العام في بيئة. وللمجمعيين تسجيل المعنيين، فيقال: الغوغائية، لغة أو استعمالاً، معناها كذا، وهي في مصطلح علم الاجتماع مثلاً كذا، جريًا على السنة المألوفة في كل علم عند تعريف مصطلحاته.

* * *

من كلام الناس(*)

للأستاذ محمد شوقي أمين
(عضو المجمع)

١- يعمد الناس في تخاطبهم إلى استخدام التصغير لمختلف دلالاته المعهود في سنن العربية، كالتقليل أو التحبيب أو التلطف أو الاستهانة. فيقولون: **قليل - صغير- قصير - رفيع** - رقيق - نحيف - خفيف - رهيف - قريب - غريب - وليد - رخيص - **حنين**.

٢- ومن الأعلام: **جميل - حزين - كريم - لطيف - رحيم - طريح - خميس**. وكلها تصغير - فعيل، إلا **حنين**، فهي تصغير: **حنون**.

٣- ويقول الناس: **التقاوي - التسالي - التلاهي - التحالي - البلاوي**. وهي على التوالي جمع تقوية، وتسلية، وتلهية، وتحلية، وبلوى. وكلها جاء على الصحيح من قاعدة العربية.

٤- ويقولون: **حتحته، وتحتحت**، بمعنى: فتته فتمزقت أجزاؤه، والفعل وارد في اللغة بمعنى التساقط، ثم هو من: حتَّ بهذا المعنى، من باب التضعيف.

٥- ويقولون: **رضرض** الطعام للثقل، أي كسَّره، فجعله أجزاء صغيرة. وتقول اللغة: رضرض الحبَّ: دقَّه جريشًا، فلم ينعم دقه، ثم هو من الثلاثي بهذا المعنى على التضعيف.

٦- ويقولون: هو **يرمرم**، أي يخلط في طعامه، فيأكل ما وجد، وهذه الدلالة مأثورة، ومنها في إحدى روايات حديث المرأة والهرَّة: "ولاهي أرسلتها ترمرم من خشاش الأرض"، وليس الفارق بين الاستعمال العامي والمأثور بالبعيد.

(*) وجدت هذا البحث ضمن أوراق لجنة اللهجات، ومدون عليه أنه عرض على اللجنة في ١٩٨٤/١٢/١٥ م، وقد وافقت عليه اللجنة في تلك الدورة .ويليه قرار للجنة، ونظراً لعدم طباعة بحوث الدورة الحادية والخمسين، لم أتمكن من معرفة ما إذا كان هذا البحث قد عرض على المؤتمر أم لا.

٧- ويقولون في بلاد الشام وغيرها: "**سكاكر**"، يعنون بها الحلويات أو الحلاويات الجافة التي تسمي "**بونبون**" أو "**فرطة**" ونحوها مما يمضغ أو يمص. وتوجيهها أنها جمع سكرية، أي شذرات سكرية. وقد جمعت بحذف الياء فعاعل، وكانت "سكاكر" ونظائرها في العربية معهودة، وترجمت بحذف الياء على فعاعل وكانت سكاكر كما في جمع أعجمي على أعاجم أو أعجمين. والأخيرة تعبير قرآني. وكما في جمع أشعري على أشاعر أو أشاعرة. وكما في قول المولدين: فواطم في جمع فاطمي، وكانت لهم دولة في التاريخ الإسلامي. وكما في قول العلماء المتأخرين الأحناف في جمع حنفي، وكما نقول الآن: الأجانب في الجمع، والأجنبي في المفرد. وعلى هذا تصبح "السكاكر" بصيغتها ودلالتها تعبيرًا فصيحًا لا شية فيه.

٨- ويقولون: "**فلان تريش**"، أي ظهرت عليه النعمة وحسنت حاله. واللغة تقول: ارتاش وتريش: أصاب خيرًا، فظهر عليه أثره. وواضح أن ذلك على التشبيه: بالطائر ينبت ريشه فيقوى على الحركة، أو الطيران. وبهذا تفصح الكلمة لا جدال.

٩- ويقولون: "**هو رذيل**"، أي متصف بالرذالة. والرذيل والرذل في اللغة بمعنىً واحد ومنه الرذيلة للصفة المرذولة، أشربت الاسمية في الاستخدام.

١٠- ويقولون: "**الرُّكوبة**" بضم الراء للمطية تركب، وهي في اللغة بفتحها لهذا المعنى، ويسوقها اللغويون مثلاً للتاء الداخلة على الوصف، تنقله إلى الاسمية.

١١- ويقولون: "**راضاه**" أي عمل إرضائه. وفي اللغة التنظير بين راضاه وترضاه واسترضاه.

١٢- ويقولون: "**فلانٌ مُرَقَّع**"، يصفون بذلك من زاول الكثير من التجارب ومارسها في الحياة، فاكتسب خبرة ودهاء، والمجاز في هذه الدلالة ظاهر، إذ إن ترقيع الثوب تقوية له، ولا يلجأ إليه إلاّ بعد طول الاستعمال. ولكن الطريف أن هذا

المجاز من المأثور لا من المحدث، فقد نصت معجمات اللغة على أن المُرَقَّع: المجرب، أي الذي حنكته التجارب، فكان شديد المراس.

١٣- ويقولون: "**انـزبق**"، بمعنى أسرع في المضي، أو دخل مستخفيًا أو خلسة. وتقول اللغة: انـزبق في البيت: استخفى. ومنه. انـزبق في الحبالة أي دخل فيها.

١٤- ويقولون: "**زحوله**"، بمعنى أزاحه وأبعده، وفي اللغة نص هذا المعنى، والراجح أن الواو في الفعل زائدة، ومادة الزحل تحمل هذه الدلالة. ومنها: ماله عن ذلك مزحل.

١٥- ويقولون: "**مشى يزكّ**"، أي يتحامل في خطوه من ضعف أو آفة. واللغة تذكر هذا المعنى وتخص الزك بأنه مقاربة الخطو، عن عجز، لا عن اختيار.

١٦- ويقول أهل الصعيد بخاصة: "**فلان زمج مني**"، أي غضب. وفي معجمات اللغة النص على هذا المعنى، وإثبات الصفة المشبهة من الفعل، فيقال: هو زمج، وهي زمجة.

١٧- ويقولوا الناس: "**فلان يعافر**"، أي يبذل جهده وحيلته، وصولاً إلى ما ينبغي. وفي مادة عفر ما يشهد لهذا الدلالة، ومن ذلك تسمية إحدي قبائل العرب: معافر، والمعافري أحد مشاهير المنسوبين إليها.

١٨- ويقولون: "**الدخاخني**"، لمن يتجر في أصناف التبع أو الطباق وفي أعلام الناس من شهر بهذا الاسم أو اللقب. وظاهر أن الدخاخن جمع دخان، وهو اسم للتبغ أو الطباق. بيد أن الدخان بضبطه المتعارف لا يجمع على دخاخن بل على أدخنة وتوجيه ما يقول الناس أنهم حين يستعملون هذا الجمع يراعون ضبطهم لمفرده، وهو عندهم بتشديد الخاء. والعربية تجمع فعالاً بتشديد العين على فعاعل وفعاعيل. على أنا إذا استخبرنا مأثور اللغة في كلمة الدخان علمنا أننا أمام خيار بين فتح الخاء وتشديدها ومن ثم تصبح كلمة الدخاخني صَحِيحَةَ المبنى، صادقة المدلول.

١٩- ويقولون: "ذهب يلمّ **النشير**"، أي يجمعه بأن يفك علائقه من الحبال، والمقصود بالنشير الثياب المغسولة، أي الغسيل ينشر على الحبال في جو طلق فيجف بالهواء أو بحرارة الشمس، وصيغة التشير من نشر الشيء أي بسطه، كتابًا كان أو ثوبًا أو نحوه فالدلالة صحيحة واقعة، وأما الصيغة فإنها على وزن فعيِّل. فإن لم يَكن النشير بصيغته واردًا في معجمات اللغة، فغير عسير توجيهه بأنه من باب تحويل مفعول إلى فعيل. وفي اللغة نشر النشر. فهو منشور، والنحاة مختلفون في حكم التحويل بين القلة والكثرة، والانقياس.

٢٠- ويقول الناس: "فلان **وريث** فلان"، والفصيح المتعارف: وارث، لا وريث، وقد خلت المعجمات من ذكر هذا الصيغة، على طريق السماع، فإن جعلنا صيغة وريث من باب فعيل بمعنى مفعول لم تصح الدلالة، إذ المقصود هو الوارث لا الموروث، ومن ثم يبطل هذا التوجيه، وإن جعلنا الوريث من باب الصفة المشبهة وقف في وجه هذا التخريج أن الصفة المشبهة لا تكون إلا من الفعل اللازم، والوريث فعلها متعد بنفسه وإن قلنا: إن الوريث فعله ورث بضم العين، فالصفة المشبهة منه فعيل كشريف وكريم، على طريق تحويل الفعل إلى باب فَعُل بضم العين، منع من ذلك أن تحويل الفعل يصيره جامدًا غير متصرف، كالشأن في مثل نعم وبئس وليس. فلم يبق الا وجه أخير، وهو اعتبار الوريث من باب المبالغة والتكثير، على وزن فعيل، مثل رحيم وسميع. وهذه الصيغة كثيرة الورود من الفعل الثلاثي المتعدي، وإن كان في انقياسها خلاف بين النحاة.

٢١- ويقول الناس: "**المَصْيَفُ**" بسكون الصاد وفتح الياء والفصيح المتعارف: مصيف، بكسر الصاد إذ إن الفعل: صاف يصيف بالمكان أي أقام فيه صيفًا، وقياس اسم المكان منه مفعل بكسر العين، على أن البحث اطمأن الى جواز أن يجيء اسم المكان على مفعل بفتح العين وإن كان فعله ثلاثيًا أجوف يائيًا، فتقول: المسار والمطار لمكان السير والطيران. ولكن هذه الإجازة تجعل اسم المكان من صاف

هو مصاف. وما يقوله الناس هو المصيف بتصحيح الياء وفتحها، والتصحيح في موقف الإعلال أو القلب وارد في اللغة بكثرة في المسموع ومن النحاة من اعتد به، وقد أجاز المجمع من قبيله بعض أمثلة، كالمخوخة والمتوتة والاستعواض والاستبيان على أن مما تصيدته من مسموع اللغة من مسموع اللغة في مادة "قاظ" ثبوت استعمال العرب لاسم المكان منه بتصحيح الياء، فقالوا المقيظ: بفتح الياء من باب المسموع في تصحيح ماحقه الإعلال وليس التنظير بين المصيف والمقيظ بمجرد تنظير في الصوغ، بل هو كذلك تنظير في الدلالة، فالمقيظ هو المصيف وكذلك هو المقيظ، فما أبيح في إحدى الكلمتين يجري على أخراهما. وأيًا كان فالمصيف كما يقول الناس صحيح لفظًا وضبطًا ودلالة.

٢٢- ويقولون: هو "**ضعفان**"، يعنون أنه ضعيف لامنة له. والفعل ضعف بضم العين فعل لازم، والصفة المشبهة يكثر مجيئها من الفعل اللازم مضموم العين ومكسورها على وزن فعلان، نحو جوعان وشبعان. فاللفظ في مقول الناس جار على السنن العربي المألوف. على أن مراجع اللغة لم تهمل إثبات هذا اللفظ على ذلك الصوغ، فقالت: الضعفان: الضعيف، وهكذا يؤيد السماع في هذا اللفظ ما يقول الناس، كما يؤيده القياس.

٢٣- ويقولون: "هذا الشيء **دعدع**"، يعنون أنه: صغير ضئيل، ويستعملون ذلك حين يراد وصف الأشياء بالقلة فى الحجم. ومن المعروف في اللهجة الدارجة تخفيف الضاد ونطقها دالاً، وأمثلة ذلك فيها كثير، وأصل اللفظ في العربية هو الضاد، فإذا فتش عن اللفظ بهذا الإبدال في معجم الفصحى، خرجت الدلالة له كالدلالة التي يقصدها الناس أو كادت. والذى في اللغة أن "الضعضع" هو: الضعيف من كل شيء، وليس من شك في أن القلة والصغر والضآلة من توابع الضعف في المعنى على الاتساع، وعلى هذا يتصل بمايقوله الناس بما في متن اللغة اتصالاً غير منكور.

٢٤- ويقولون: "**الدبارة**"، يعنون بها حبلاً أو خيطًا ذو طاقة واحدة أو طاقات. وقد حلا لبعض الباحثين أن يرد هذه الكلمة الى الإضبارة، بمعنى ما يجتمع بعضه إلى بعض، كالأوراق، وقيل: إن الأوراق ونحوها إنما سمي إضبارة؛ لأنه كان يربط ويوثق بحبال أو خيوط، ومن ثم سميت مجموعات الأوراق ولفائفها: أضابير.

والرأي عندي أن الكلمة في اللهجة الدارجة بلفظها ودلالتها من صميم الفصيح، باستثناء قلب الضاد وجعلها دالاً كما هو المأنوس في استعمالات الناس.

وحجة ذلك أن الضبارة هي الشيء المجتمع القوي، ومنه الحبل أو الخيط تتعدد قواه، وفي نصوص اللغة تلك الدلالة ومن المعروف أن اللغة تعبر عن طاقات الحبل ووحداته المجتمعة بأنها قواه. ورعيًا لذلك تصبح كلمة الدبارة في لهجة الناس هي الضبارة في الفصحى لفظا ومعنىً.

٢٥- ويقول الناس: " **الوقيد**"، يعنون: ما تطعم به النار، أي ماتوقد به، والمشهور المتعارف في ذلك: الوقود. ولكن الذي يستعمله الناس وارد أيضًا في اللغة، وآية نسبته إلى الفصحى أنه جاء في القراءات القرآنية وذلك في قوله تعالى: "وقودها الناس والحجارة" فقد قرئ أيضًا: "وقيدها" بدلاً من وقودها، وأيًا ما كانت القراءة، من جهة التواتر وغير التواتر، فالاستشهاد اللغوي بالقراءات على اختلافها لا خلاف عليه، وإذن فاستعمال الناس للوقيد من الفصيح.

٢٦- ويقول الناس: "**برطله**"، أي قدم له رشوة. والكلمة بحروفها ومدلولها في مأثور الفصاح من كلام العرب.

٢٧- ويقولون: "**حزقه**" بمعنى ألجأه في مكان ضيق لا يستطيع منه الفكاك، ويستعملون كذلك هذا الفعل للدلالة على الإحراج والإلجاء والذي في مسموع اللغة: حزقه: ضغطه وعصره وليس بين الدلالة اللغوية والدلالة الدارجة بون بعيد.

٢٨- ويستعملون كلمة "**الأبعد**" صفة لمن يستنكفون من ذكره فيقولون: الأبعد فعل كذا. وهذا الاستعمال يبلغ من فصاحته أنه جاء في الحديث، أو في الأثر: "أخزى الله الأبعد" عدولاً عن الخطاب، أي أخزاه الله.

٢٩- ويقولون: "فلان يبغبغ"، أي يثرثر في الكلام ويخلط، وفي اللغة هذا المعنى، ولعله قريب الصلة في الاشتقاق من الببغاء، إذ هي تردد الكلام وتحكيه دون فهم وتفكير.

٣٠- ويستعملون فعل "**بقبق**" بمعنى أحدث صوتًا. وفي النصوص ما يشهد لهذه الدلالة ولعل من ذلك " البق" بمعنى الفم، لأنه مخرج الصوت.

٣١- ويقولون: "**خوَّض** في الماء" بمعنى خاض فيه خوضًا شديدًا. وفي اللغة: خاض وتحويل الثلاثي إلى التضعيف للتكثير والمبالغة من المقيس في العربية، وربما حمل على أن التضعيف للتعدية.

٣٢- ويقولون: "فلان **يجاحش**"، أي يدافع، وذلك من الفصيح نصًّا.

٣٣- ويقولون: "هذا دواء **لمشى البطن**"، أي لمنع الإسهال. والدلالة في الفصيح.

٣٤- ويقولون "**أرمه**" بمعنى: عضَّه، والأرم في اللغة من معانيه العض.

٣٥- ويقولون للطفل" **إخّ**"، تعبيرًا عن استنكار فعل ورفضه. وكذلك يقولون له: كخ زجرا له لفعل مستنكر. وقد أثبتت اللغة لفظة كخ، على أن كلاً منها اسم فعل بمعنى: اطرح.

٣٦- ويقولون: "**خبز مجرمز**"، أي جاف جامد كالجلد. والمعنى في الفصيح.

٣٧- و"يجمعون بابًا على **بيبان**"، والجمع من مسموع اللغة.

٣٨- و"يجمعون كذلك **جديًا** على جديان"، وهو من مسموع اللغة أيضًا.

٣٩- ويقولون: "هذا السمك **جزِل**"، بكسر الجيم وفتح الزاي، أي قطع أو شرائح. والجزال في اللغة.. القطع، الواحدة منه جزلة، ويتسنى جمعها على جزل كما جمعت بدرة على بدر وضيعة على ضيع.

٤٠- ويقولون: "**روَّق** الماء" بمعنى: جعله رائقًا صافيًا، وربما استعملوه مجازًا للغضبان، يريدون تصفية نفسه من عكر الغضب. وفي اللغة: راق الشيء بمعنى صفا والتعدية بالتضعيف تصوغ الترويق، فيسوغ في مقامات الإفصاح.

٤١- ويقولون:: "**تبارك** بالشيء أو بفلان"، بمعنى: تفاءَل به وتيامن ورجا منه البركة، وهذا معنى عربي مبين.

لجنة اللهجات

قرار

تمتلئ العامية بفصيح الألفاظ التي تأتي بها على وجهها الفصيح، أو تخرج بها قليلاً عن سننه، ولكنها لا تخفي ملامحه، ومن ذلك:

١- استخدام صيغة التصغير للرباعي في مثل: **قليل، قصير، رفيع، رقيق، نحيف، خفيف، رهيف، قريب، غريب، وليد، رخيص، حنين،** وكلها صفات. ومن الأعلام: **جميل، حزين، كريم، لطيف، رحيم، طريح، خميس**- وكل ذلك تصغير فعيل ألا **حنين** فهي تصغير **حنون**.

٢- جموع: **التقاوي** (بمعنى ما يبذر في الأرض، كان يقدم للفلاح تقوية ودعمًا) . **التسالي، التلاهي، التحالي، البلاوي** - هي على التوالي لمفرداتها: تقوية، تسلية تلهية، تحلية، بلوي أو بلية، وكل ذلك عربي فصيح.

٣- قولهم: **حتحته، وتحتحت**، بمعنى التفتيت وتفرق الأجزاء - هو استعمال فصيح، وهو في اللغة بمعنى التساقط، وإذا لوحظت علاقة هذا بالفعل: حت بنفس المعنى، كان من باب التضعيف

٤- ومن نفس الباب قولهم: **رضرض** الطعام للطفل: كسره، وفي اللغة: رضرض الحبَّ: دقَّة جريشًا، فلم ينعم دقه.

٥- وقولهم: هو **يُرَمْرِم**: أي يخلط في طعامه، وجاء استعماله بهذا المعنى في إحدى روايات حديث الهرَّة "ولا هي أرسلتها ترمرم من خشاش الأرض".

٦- وقولهم في بلاد الشام وغيرها: **سكاكر**، أي: الحلويات أو الحلاويات، جمعًا لكلمة سكرية، أي شذرات سكرية: جمعت بحذف الياء على فعاعل. وهي نظير: أعاجم، والمفرد: أعجمي، وجاء في القرآن على: أعجمين. وأشاعر على أشعري، وأحناف في حنفي.

٧- وقولهم: فلان **تريَّش**، أي: ظهرت عليه النعمة. وفي اللغة: ارتاش وتريَّش: أصاب خيرًا فظهر عليه أثره.

٨- وقولهم: فلان **رذيل**، أي: متصف بالرذالة. والرذيل في اللغة بمعنى.

٩- وقولهم: **رُكوبة** - بضم الراء - للمطية تركب، وهي في اللغة بفتحها بهذا المعنى، ويسوقها اللغويون مثالاً للتاء الداخله على الوصف، تنقله إلى الاسمية.

١٠- وقولهم: **راضاه**، أي: عمل على إرضائه. وفي اللغة: راضاه، وأرضاه، وترضاه واسترضاه - بمعنى.

١١- وقولهم: فلان **مرقَّع**، أي: ذو خبرة وتجربة ودهاء، وفي اللغة أيضًا: المرقَّع: المجرّب الذي حنَّكته التجارب فكان شديد المراس.

١٢- وقولهم: **انزبق**، أي أسرع في المضى، أو دخل خلسة. وفي اللغة: انزبق في البيت: استخفى، وفي الحبالة: دخل فيها.

١٣- وقولهم: **زَحوله**: أزاحه وأبعده، والكلمة في اللغة لفظًا ومعنى.

١٤- وقولهم: مشى **يَزِكّ**، أي: يتحامل في خطوه من ضعف أو آفة، والزكُّ في اللغة: مقاربة الخطو عن عجز.

١٥- وقولهم في الصعيد: فلان **زَمِج** مني، أي: غضب، وهو في اللغة بنفس المعنى، ومنه الصفة المشبهة: هو زمج، وهي زمجة.

١٦- وقولهم: فلان **يعافر**، أي: يبذل جهده وحيلته.

١٧- وقولهم: **الدخاخني**، لمن يتَّجر في أصناف التبغ، نسبة إلى الدخاخن، جمع: دخّان واللغة تضبط الكلمة بالفتح أو بالتشديد (سبق عرض تشديد الخاء والموافقة

عليها في دورة سابقة) فإذا نطقت بالفتح فالجمع: أدخنة، وإذا نطقت بالتشديد فالجمع دخاخن.

١٨- وقولهم: ذهب يلم **النشير**، أي: يجمعه من على الحبال، والمقصود: الثياب المغسولة، أو الغسيل، وهي فعيل من: نشر الشيء، أي: بسطه كتابًا أو ثوبًا. وأصله: منشور، وقد ينقاس فعيل من مفعول.

١٩- وقولهم: فلان **وريث** فلان، أي: وارثه وهو فعيل للمبالغة والتكثير كرحيم وسميع.

٢٠- وقولهم: **الَمصْيَف**: بسكون الصاد وفتح الياء والفصيح: مَصِيف بكسر الصاد، وأجاز من اليائي: الاستبيان. قالت العرب: المقْيَظَ، وهو كالمصيف، وزنًا ومعنى.

٢١- وقولهم: هو **ضَعْفان**، أي: ضعيف، وهو من ضَعُفَ لازمًا، وهو قياس، وقد أثبتت اللغة هذا الصوغ فقالت: الضعفان: الضعيف.

٢٢- وقولهم: هذا الشيء **دِعْدع**، أي: صغير ضئيل، وأصله في اللغة: ضِعْضع: وهو الضعيف من كل شيء، فأبدلت الضاد في الفصحى دالاً في العامية.

٢٣- وقولهم: **الدُّبارة**: الحبل أو الخيط ذو الطاقة الواحدة أو الطاقات، وهو في اللغة: الضُّبارة بالضاد مكان الدال، أي: الشيء المجتمع القوي، ومنه الحبل أو الخيط تتعدد قواه، فهو الدبارة لفظًا ومعنًى.

٢٤- وقولهم: **الوقيد**، وهو ما تُطعم به النار، والمشهور: الوقود، وقد جاء في اللغة الوقيد، وبها قرئ قوله تعالى: "وقودها الناس والحجارة": وقيدها.

٢٥- وقولهم: **برطل**: قدم رشوة، وهي من المعرب عن السريانية.

٢٦- وقولهم: **حزقه**، بمعنى: زنّأ عليه وأحرجه، وفي اللغة: حزقه: ضغطه وعصره، العلاقة واضحة.

٢٧- وقولهم: **الأبعد**: إشارة إلى غائب يكرهون ذكره وقد جاء نفس الاستعمال في الأثر: " أخزى الله الأبعد" عُدولاً عن الخطاب.

٢٨- وقولهم: فلان **يبغبغ**: أي: يثرثر في الكلام ويخلط، ولعله مأخوذ من لفظة الببغاء ومعناها، فهي تردد الكلام دون فهم أو تفكير.

٢٩- وقولهم: **بقبق**، وهي حكاية صوت، ولعل من ذلك كلمة (البقّ) بمعنى الفم؛ لأنه مخرج الصوت.

٣٠- وقولهم: **خَوَّض** في الماء: خاض فيه خوضًا شديدًا، وهو تحويل من الثلاثي: خاض إلى المضعف خوَّض للمبالغة والتكثير.

٣١- وقولهم: فلان **يجاحش**: يدافع، وهو من الفصيح.

٣٢- وقولهم: هذا دواء **لمشي البطن**: لمنع الإسهال، وهو من الفصيح، ومنه: مُشَاء البطن قياس اسم علة كرُعاف وصُداع وسُعال.

٣٣- وقولهم: **أرمه**: عضَّه، وهو من استعمال الفصيح لفظًا ومعنىً.

٣٤- وقولهم: **إخّ**: لفظة استنكار وزجر، وفي اللغة: إخّ، وكخّ اسم فعل بمعنى اطرح.

٣٥- وقولهم: خبز **مجرمز**، أي: جاف جامد كالجلد، وهو فصيح.

٣٦- وقولهم: **بيبان**، جمعًا لباب، وهو من مسموع اللغة.

٣٧- وكذلك جمع جدي على **جديان**.

٣٨- وقولهم: هذا السمك **جزِل**، أي: قطع أو شرائح، والجزل في اللغة: القِطَع، والواحدة منه: جزلة، وجمعها: جزل، كبدرة وبدر.

٣٩- وقولهم: **روَّق** الماء، وروَّق المزاج: جعله رائقًا صافيًا، وهو تعدية بالتضعيف.

٤٠- وقولهم: **تبَّرك** بالشيء، أو بفلان: تفاءل به وتيامن ورجا منه البركة، وهو معنىً عربي مبين.

* * *

ألفاظ الحضارة بين العامي والفصيح(*)

للدكتور أحمد شفيق الخطيب
(عضو المجمع المراسل)

أيها المجمعيُّون الأكارم، السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يشرِّفني ويسعدني ويرهبني موقفي هذا أمام مجمعكم الموقَّر الرائد فِكرًا وعلمًا ومنهجية، مجمعكم بل مجمعنا، في مؤتمره السادس والخمسين.

أقول: مجمعنا ليس فقط لأنّي شُرِّفت بقراركم انتخابي عضوًا مراسلاً في مجمع اللغة العربية منذ عشرين شهرًا، ولم أدر بذلك إلاَّ منذ ثلاثة أشهر فقط، ولا لأَني كعضوٍ شرف في مجمع اللغة العربي الأردني، أشعر بزمالة معكم عمرها عقد من الزمان.

بل أيضًا لأني أعايش هذا المجمع، شيخ المجامع العربية – كما أشير إليه دائمًا – وأتتلمذ عليه منذ ما يزيد على ربع قرن، وأعمالي المُتواضعة تشهد وتعكِس أنّي ممَّن يتابعون باستمرار نشاطات مجمع اللغة العربية – يُفيدون من إنجازاته، يُبشِّرون بمُقرراته ويطبقونها، كما ينهَلون من مصطلحاته ويستخدمونها وينشرونها على الملأ في مشارق الأرض ومغاربها.

يشرِّفني هذا الموقف ويسعدني، ويسعدني بخاصةٍ كوني عضوكم المراسل عن فلسطين – استمرارًا لِعضوية لم تنقطع لهذا الجزء الغالي من الوطن العربي، وتذكيرًا للعالم بأن هذا الشعب المناضل الصامد لا ولم يقتصر في جهاده على الجهاد العسكري والسياسي والمقاوميِّ الاستشهادي بل له أيضًا جهادٌ حضاريٌّ مقدور في شتى الجبهات.

موقفي هذا أيها الأخوة يشرفني ويسعدني ولكنه يرهبني.

ومن ذا الذي لا تعتريه رِعشاتُ الرهبة أمام سَدنة اللغة وفطاحلها وحُماتها، بخاصة وأنا ممن أبعدتْهُم الدراسات العلمية الطبيعية والكيميائية والإحيائية عن الدراسات

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الثالثة من جلسات مؤتمر الدورة السادسة والخمسين، المنعقدة يوم الأربعاء، الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٩٠ م.، ونشر بمجلة المجمع بالجزء السادس والستين، ص٥٧.

اللغوية فترةً طويلة، تعلُّمًا وتعليمًا وتأليفًا بلُغة أجنبية غالبًا. وأنا إن تجرأتُ على التحوُّل جُنديًّا في خدمة العربية فالفضلُ يعود لنشأتي في بيت مَشيخيٍّ مُحافظ يُجِل كتب التراث – وجُلُّها من كتب الأوراق الصفراءَ حينئذ – ويفرض قراءَتَها إلى جانب حفظ ما تيسر من أجزاء القرآن الكريم، وإلى متابعة الدراسة الإعدادية في مدارس يحفظُ طلبتُها المعلقات عشرًا لا سبعًا، وبعض كتبهم في القراءة: أغاني أبي الفرج، والفَخري في الآداب السلطانية، ومقدمة ابن خلدون، ومعظم نِقاشهم في أوقات الفراغ يدور حول مساجلات زكي مبارك، ودريني خشبة، والزيَّات، وأحمد أمين، وطه حسين في مجلَّتي الرسالة والثقافة الرائدتين حقًّا.

وها إنَّكم تَحزون تحولي ذاك خير الجزاء بمنحي زمالةً، آمُل أن أستحِقَّها، في قُدس هذا الحرم اللغوي العريق.

أيُّها السادة:

في معالجة موضوع "ألفاظ الحضارة بين الفصيح والعامي" يُفترض أن أعرِّف ألفاظي بادئ ذي بدء.

الحضارة – يقول المعجم الوسيط: هي مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي، والاجتماعي (وأضيف إليها التِّقاني) في الحضر. ولفظة "الحضر" يحدِّدها المعجم نفسه بأنها: تشمل المدن والقرى، والريف يعني: الحضارة تشمل كلَّ ما حولنا إن كان فنجان قهوة من بكرج عادي أو كهربائي، أو كأس ماءٍ بارد من جرة أو ثلاجة أو كان تصفح جريدة صباحًا، أو مطالعة كتاب في جلسة هادئة على نُور قِنديلِ كاز أو غاز أو كهرباءَ، أو كان الاستطباب بوصْفة أعشابية أو مضادٍّ حيوي، أو كان ثوبًا مُطَرَّزًا في الضيعة أو مُقَصَّبًا في بيوتات باريس، أو كان سفرةً في قافلة أو قطار أو سيارة أو طائرة، أو كان متابعة مباراة في كُرة القدم على الراديو، أو مراقبة عودة المكُّوك الفضائي بقمرٍ استطلاعي ضخم تائهٍ على التليفزيون، أو إلى ما هنالك، ممَّا كان أو سيكون.

يعني: حضارتُنا هي كُلّ ما حولَنا، كل اختياراتنا، كل وسائل العيش والنقــل والاتصالات عندنا، كل مصانعنا ومصنوعاتنا ومختبراتنا، كــل مطابعنــا ومطبوعاتنــا وإذاعاتنا، كل ما تقع عليه أعيننا أو يجول في أفكارنا.

ومن هذا المُنطلق، فإن كل لفظ هو لفظ حضاري – يحمل في طيَّاته قلــيلاً أو كثيرًا من الحضارة تبَعًا لِخبرة السَّامع وثقافته وبيئته.

لفظة "خُبز" مثلاً على بساطتها وإن عنَتْ "مايُصنع من الدقيق المعجون المُنضَج بالنار" لجميع الناس فإنها تحمل الكثير الكثير في ثناياها لُمختلِف فئاتهم وبيئاتهم.

فهذا الدقيق قد يكون من الشَّيلم أو الشعير أو الدُّخن أو أنواع الذرة المختلفة أو القمح أو أيٍّ منها مع القمح. ونار أنضاجه قد تكون موْقدًا وقُوده القَش أو الحطب، أو البترول أو الغاز أو الكهرباء أو الموجات الصغرية (المِكروويف).

وقد يكون الخُبز صِنفًا من عشرات أنواعه – من خبز الصَّاج الرقيق أو البلــدي السميك أو الإفرنجي المُقَولب. وقد يكون صُنِع في البيت أو في مخبزٍ صغير أو في مصنع ضخم مجهَّز بالمُعدات والآلات فلا تَمَسُّه يدُ إنسان!

وقد يكون معالَجًا بالخمائر أو بدونها، مُعزَّزًا بالفيتامينات أو بجوامد اللــبن، أو يكون من النوع الخاص بالحمية أو مرض السكري، ولعل اللفظة تُحيل في خاطر سامعٍ الاضطرابات التاريخية القديمة والحديثة التي نجمت بسبب الخُبز أو تعيد إلى ذهن آخــرَ مصير رفيق يوسُفَ الصديق في السِّجن والآية الكريمة:

﴿ إنيِّ أراني أحْمِلُ فَوْق رأسي خُبزًا﴾. (١)

ومثل هذا يمكن أن يقال في لفظة: "**قماش**" منذ لِيف القِنَّــب، حــتى أليــاف عصارات الرايُون، وفي "**سلاح**" منذ بلطة الحجر المُشذَّب، حتى صواريخ عصر النجوم، وفي "**عجلة**" منذ قطَع أولُ إنسان جِذع شجرة ضخمة فسيَّر عليه عربة، حتى حركت دواليب سليلية مكنات الثورة الصناعية، وأطَّرت العرباتِ القمرية. ومثله يقال أيضًا في

---

(١) سورة يوسف، آية ٣٦.

لفظة" **انتفاضة**"[١] منذ ثار أول حرّ على مستعبديه حتى انتفاضة الشعب العربي في الأرض المحتلة على قاهريه، وفي آلاف الألفاظ العريقة الأخرى.

وإنك إذا ما اخترت لفظة من المُستحدات كلفظة "**راديو**" مثلاً فإن مفهومها الحضاري قد يختلف بالقَدْر نفسه، فهي لبعض الناس جهازٌ يأتيهم بنشرات الأخبار وما يطلبه المستمعون – بينا يرى فيها آخرون حلقة بين التليفون والرادار، جهازًا معقَّدًا تتلقى مقوِّماته ومُضمناته وصماماته ومُرَشحاته ومكروفوناتُه التموجات الصوتيةَ المنبعثة من محطة البثّ على الأمواج الكهرمغنيطية عبر الأثير، فتحلِّلها وترشِّحها وتُقوِّمها وتضخمها حسب الطلب أنغامًا شجية، أو كلامًا بيِّنًا سائغًا للسامعين.

وقد تُحيل اللفظة في خاطر السامع جهود العلماء والخبراء الذين أدَّت إبداعاتهم إلى هذا الإنجاز الرائع، من: فارادي، ومُكْسويل، حتى هِرتز، وفلِمنغ، وماركوني، أو تُعيد إلى ذهنه الخدماتِ الجُلى التي يُؤديها الراديو لبني البشر في البر والبحر والجو.

أليس هم يقولون: الألفاظ تؤرِّخ الحضارة؟ والألفاظ نفسها قد تتفاعل مع التعابير فتُكسبها معانيَ أو تعبِّئها مفاهيم حضاريةً مختلفة:

فمفهوم **حطَّم** في "حطَّم الرجل السّياج " غيره في " حطَّم الإنسان الذرة " وتعبير "شروق الشمس " مفهوم فلكي شعري جمالي ألِفْناه، لكن التعبير " **شروق الأرض**" مفهوم حضاري طازج لم يختبره بعدُ إلاَّ نزلاء المركبات الفضائية.

هكذا قُلْ في آلاف التعابير التي أكسبتها الحضارةُ معاني ومفاهيم مَحدَّدة، أو إنما صيغت فعلاً لتحمِل مفاهيم معيَّنة لم تكن من قَبْلُ مألوفةً مثل:

حرب باردة.

غطاء جوي.

---

(١) هذه اللفظة بمنطوقها العربي أصبحت من المستحدات اللغوية في معظم صحف العالم وسائر وسائل إعلامه. ويدرجها "سجل لونغمان للألفاظ المستجدة في اللغة الإنكليزية " الصادر عام ١٩٨٩م ضمن ألفاظه في مادة intifada.

غرفة عمليات (بالمعنى الطبي والعسكري).

حساب جار.

سلة عملات ... إلخ.

وغني عن القول أنه كلما تقدم الإنسان في سُلَّم الحضارة، ازدادت الألفاظ والتعابير والأفكار اللازمة للتفاعل معها والمرتبطة بها – كونها مرآةً تعكس أحوال الناس وأوضاعهم وواقعَهم واستجابتَهم لمتطلَّبات الحضارة المتجددة ومستلزماتها.

اللغة العربية وألفاظ الحضارة

اللغة العربية عرفناها منذ دوِّنت لغةً فذَّة بين اللغات، غنًى وفصاحة، ومقدرة على التعبير، ووفاءً بحاجات القوم في نطاق بيئتهم الطبيعية وتعامُلهم فيما بينهم محليًّا ومع البيئات الأخرى من حولهم. وقد أهَّلها ذلك لارتقاء قمة البيان الإنساني في القرآن الكريم.

وما جابهت العربيةُ الألفاظَ الحضارية كمُشكلة - على ما نعلم - إلاّ في تجربتين: التجربة الأولى: كانت عندما دخل العربُ التاريخَ تحت راية الإسلام. وكانت الأمم التي شملتها إمبراطوريتهم في الشام والعراق ومصر وفارس قد قطعت شوطًا بعيدًا في مضمار الحضارة. فأقبل العربُ على تُراث وعلُوم تلك الأمم فنقلوها واشتغلوا بها وزادوا فيها. وشاهِدُ استيعابِ اللغة العربية للحضارات الفارسية واليونانية والهندية وهضمِها وتجاوُزِها في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية، أنها سُرعان ما أصبحت لغةَ العلم والحضارة في سائر أرجاء العالم المعروف – حينئذ – عنها يُترجم ومنها يُقتَبس.

ثم رانَ على أمَّة العرب – وبالتالي على اللغة العربية – سُباتُ القرون الخمسة.

وكانت التجربة الثانية – التي لا نزال في مُعتركها – حين جابهت العربيةُ فيضًا هائلاً من الأفكار والمُسمَّيات، التي رافقت انفتاحنا على الغرب، أو على الأصح، انفتاح الغرب علينا – فجاءَتنا تقانةُ الحرب والفنونِ الهندسية والطبية، بدءًا بجملة

نابليون على مصر وبَعثات محمد علي إلى مختلف الأقطار الأوربيَّة، وامتدادًا بالبَعثات التبشيرية الأمريكية والفرنسية في بعض سوريا ولبنان. واحتدمت المجابهة خلال القرن العشرين الذي تميَّز، كما هو معروف،بازدياد أسباب الحضارة ازديادًا مُذهِلاً في مختلف المجالات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية وشتى المهارات التقانية الحياتية المتعلقة بالطعام والسَّكَن والصِّحَّة والأمن والحُرية والبقاء.

لقد جهدت اللغة العربية خلال هذه التجربة،وحُوربت وتَعثَّرت، لكنها عادت تنتعش وهي اليوم - بفضل جُهود الرواد الخالدين والعاملين المخلصين، والمجمعيِّين أمثالكم - في سبيلها إلى النجاح والإبداع إن شاء الله.

والذين يتهمون العربية بالتقصير اليوم؛ لأنها لم تستجبْ للتجربة الحالية كما استجابت للتجربة الأولى لعلَّهم يتجاهلون بضعة عوامِل- منها:

أولاً: في التجربة الأولى لم تُجابه اللغةُ العربية فارقًا حضاريًّا حادًّا كما يتوهم الكثيرون فالعرب في الجاهلية، وإن كانوا جاهلين دينيًّا، لم يكونوا جاهلين حضاريًّا، فلم تكن حضارةُ الروم والفرس والهند مفاجئةً للعرب - غساسنةً ومناذرة شمالاً، أو يمانيين وخليجيين جنوبًا، ولا برهان أنصعُ على ذلك من لُغة القرآن الكريم نفسها التي تحوى كلماتٍ من جميع اللَّهَجات العربية ومن الإغريقية والفارسية والأثيوبية كما هو معلوم.

أضفْ إلى ذلك أن تلك المُجابهة ظلت تدريجيةً طبيعية استغرقت عمليةُ النقل والتطور فيها قُرابة ثلاثة قُرون.

أما التجربة الثانية الحالية فقد كانت المجابهة فيها بالغة الحِدة، ليس فقط بفعل الفارق الحضاري الانقلابي المُذهل على كل المستويات وفي شتى المجالات، وفيضِ المصطلحات والأفكار والمسمَّيات التي رافقَتْه، بل أيضًا بالتسارع الهائل في سيل المخترعات والمكتشفات والمسمَّيات والمصطلحات التي ظلت تتدفق بتسارع يُربكُ حتى أهلَ الصنعة وتِقْنييها وعُلَمائها باللغة التي تُخلَّق بها تلك المُسمَّيات. وهي مسميات، إن

كان يمكن تجاهُل الكثير منها أو تركُه لأهل الاختصاص، فإن الكثير منـــها مُتـــشابك مُتحابك مع شئون الناس الحياتية والثقافية والعلمية، في مختلف مجالاتها ومستوياتها.

والذين عانَوا تعليم العلوم مثلي في هذا الجيل لحظوا ولاشك أن الكثير الكثير من المُسمَّيات في الكيمياء والفيزياء وعلم الأحياء التي يُعلِّمون، لم تكن معروفة أيّام دَرَسوها هُم في الجامعات، وأنها اليومَ أكثر بكثيرٍ مّما هو مُدوَّن في الكتب التي يُدَرِّسون.

وكوني لا أملك إحصاءات دقيقةً حول حجم هذه المجابهة المصطلحية وتناميها في مرجع عربيٍّ، ألجأ إلى إحصاءات لُغة هي مصدر الكثير من مُستورداتنا الحـــضارية لا في مجال التقانيات والمنتجات فقط، بل في مجالات الفكر والثقافة أيضًا.

المعجم الأشهر في اللغة الإنجليزية اليوم هو معجم "وبستر" الدولي الثالث الذي صدر عام (١٩٦١م) وبه على ذِمة مُحرِّره (٤٥٠) ألف مدخل، منها (٢٠٠) ألـــف ذاتُ طابَع علمي أو تقاني لّما نَنْقُلْ بعدُ نصفَها. وفي المُلحقات التي يُصدرها مُحررو هذا المعجم كل خمس سنوات، وتابعهم فيها مُحررو دار بارْنهـــارت المختَــصَّة بمَعْجَمَـــة المُستجدَّات في الإنجليزية، بلغ معدّلُ هذه الإضافات خمسة آلاف مادة في كل ملحق – عِلمًا أن هذه المُستحدات لا تشمل المصطلحات الفيزيائية أو الهندسية أو الإلكترونيـــة العالية الاختصاص، ولا أسماءَ المركبات الكيماوية المعقَّدة ولا أسماء النباتات والحيوانات التي لا تُهم غير البيولوجيين، وكلُّها يكادُ يفوق الحَصر، ولا الرِّطانات التي يستخدمها التقانيون والمِخبريون فيما بينهم، بل هي خمسةُ آلاف لفظة حضارية ثابتة مُستقرة تهـــم عامة المثقَّفين.

ثانيًا: الذي نعرفه أن العلماءَ والمترجمين المـــستعربين والعـــرب الـــذين نقلـــوا "التكنولوجية" في التجربة الأولى لم يعترض حركتَهم أحدٌ في التوليد والتعريب، فهُـــم على غزارة مادة العربية ومرونتها وسِيغَتها ومزاياها الوضعية نحتًا واشتقاقًا ومجازًا، كانوا إذا أعوزَتْهم السُّبل ينقلون اللفظَ الإغريقي أو الهندي أو الفارسي – تـــشهدُ بـــذلك

الأعمالُ الخالدة لابن سينا والكِندي والرازي وابن الهيثم والفارابي والخوارزميَّيْن[١] والبتّاني والبيروني وغيرهم – ولا أذكر أين قرأت للبيرونى ما معناه "أيُّ لفظ فصيحٌ إذا دخل لغة العلم "[٢].

ولئن كان المترجمون الأوائل - وجُلُّهم من الأعاجم - قد عرَّبوا عجزًا، كما يُقال، فإني لا أريد أن أعتقد أن عبقرية ابن سينا كانت تعجز عن تخليق مُقابلات تُترجِم مثيلات كيلوس وكيرموس ونِقرس وقولنج، ولا الكِنديّ عاجزٌ عن توليد ألفاظ تقابل مثيلات أنولوطيقا وريطوريقا وبوليطيقا، وهو الذي أجاد شرحَها في رسائله، ولا البيروني والخوارزمي وابنَ الهيثم قاصرون عن استنباط بديلات لأمثال: زيج، وجيو مَطْرَى وأريتماطيقا وإسترونوميا. وهو أمر تعود جذوره إلى إحجام مدوني المعاجم حتى الضخمةِ منها، كلسان العرب والقاموس المحيط عن تدوين ما يتلفظ به عامة القوم ولا حتى ما استخدمه المولدون الفصحاء منهم. لقد أصر الصَّفَّاوِيُّون على التقيُّد بترجمة المسمَّيات ووضع المصطلحات بألفاظ عربية النِّجار بدعوى أن في لغتنا لِكل شيء مقابلاً فهي بكلمات محمد عزة دروزة، وكأنه ينثُر أبيات[٣] شاعرنا الكبير حافظ إبراهيم،" المحيطُ الشامل كلَّ منتجات الحضارة ما ظهر منها وما سيظهر، فما على الباحثين إلاَّ الغوصُ في هذا المحيط لاستخراج درره[٤] حتى أن أحد حاملي لواء هذه الحركة تحدى المعرِّبين أسماءَ الكيماويات مستبدِلاً بأسماءِ المعرَّبات منها أسماءً عربية.

---

(١) محمد بن موسى (+ ٥٨٠) الرياضي والجغرافي المشهور، ومحمد بن أحمد (+ ٩٩٧) صاحب " مفاتيح العلوم " أقدم دائرة معارف في مصطلحات العلوم.

(٢) ومن أقواله:"أن الكلام الفصيح لا مكان له في الكتب العلمية "، ولعله هنا يعنى الفصاحة بمفهوم ابن الأثير وعبد القادر الجرجاني وابن سنان الخفاجي "انظر مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ص ١١ العدد ٢٣ – ٢٤ ".

(٣) هي الأبيات المشهورة:

وَسعتُ كتاب الله لفظًا وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات؟

أنا البحر في أعماقه الدر كامن ... فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي؟

(٤) ويعزى مثل هذا القول أيضًا إلى الشيخ "حمزة فتح الله".

فاستبدل بالأوكسجين لفظ: **المُصدئ**

وبالنتروجين **المخصب**

وبالهيدروجين: **المميا**

وقال في الصوديوم: **الشذّام**

وفي المغنسيوم: **الضواء**

وفي الغرافيت: **الخَطوط**

وسمى الكلور: **المحوِّر**

واليود: **المُقرم**

والبروم: **المؤسِن**

واقترح لفظ الآجل للميثان

والطّاسِل للإيثان

والشاعل للبروبان

واستعاضَ عن الغليسرين **بالجلَسية**

والغلوكوز **بالرُّبّ**

والطرطير **بالصاقور**

وفي خُطى أستاذنا الكبير، الذي درسنا البلاغة وأدب العربية، في بعض مؤلفاته، سارَ زميل كبير لنا أطال الله بقاءه – وهو من فطاحل العربية دون منازع – فقال:

في اللنثانوم: **الخَبِئ**

وفي اللوتشيوم: **الباريسي**

وفي عصر المنيوسين **(الجيولوجي)**

"العصر الحديث الوسيط"

حِقبة الرّاعية

وليس بعيدًا عن هذه الحركة اليوم القائلون:

في التليفزيون: **المِشواف أو المِرناة**

وفي الرادار: **الكاشوف**

وفي الجيولوجية: **علم الهلَك**

كما قيل بالأمس القريب:

الجَماز في الترام

والمِرواز في البارومتر

والرَّقين في الريال أو الدولار

وبالطبع لم تكن العاميات حتى مُصطلحات أهل الصنعة منها، أمثال: **برغي**، **وجملون**، **ودرشة**، **وخردة**، **ودبش**، **وصاج**، **وصوبة**، لم تكن هذه أوفرَ حظًّا من المعربات، ولنا إلى هذا عودة في دقائق.

ثالثًا: أثناء التجربة الأولى لم يقتصر دورنا على التلقّي السلبي الاستسلامي لأسباب الحضارة، بل كُنا مُشاركين فاعلين فيها ومُتفاعلين إيجابيِّين معها. فلقد كان لنا في كُل مجال من مجالات الحضارة علماءُ وباحثون – بل إن ناقلي التراث الجابه في بدء التجربة وخلالها كانوا في كثير من المجالات هم العلماءُ أنفُسهم.

ثمَّ ولعله الأهم:

على مدى التجربة الأولى لم نكن نعاني تسلُّط انتداب أو كيد مستعمر. كنا نحن السادة – سادةَ أنفُسنا وسادةَ الإمبراطورية وسادة الحضارة العالمية.

وما كنا نضعه لمكتشفاتنا من أسماء عربية أو ما اقتبسناه من معربات فرضناه حتى على اللغات العالمية – تشهدُ بذلك أسماءُ البروج والكثيرُ من ألفاظ الفلك والكيمياء والرياضيات.

لكنا جاهنا التجربةَ الثانية عبيدًا لا سادة، رعايا المحتلين أو المنتَدبين، أو المستعمرين، تتحكَّم فينا مشيئةُ المُحتل وسياسةُ المنتدب ومصلحة المستعمرِ.

وكيلا يكون الاحتلال والانتداب والاستعمار عسكريًّا واقتصاديًّا فحسب، بل ثقافيًّا ولغويًّا أيضًا حرَص الأسيادُ على زرع الشك والرِّيبة في نفوس أبناء الوطن العربي بأهمِّ مقوِّمات أصالتهم وحضارهم – بلغتهم.

فمنذ انطلاقة عصر النهضة وقبله جابَهنا في معظم أرجاء الوطن العربى عداء العثمانيين السافر للغة العربية وإهمال تدريسها والتركيز على اللغة التركية.

و لم تتخلص العربية من كابوس التتريك إلاَّ في أواخر الربع الأول من القرن العشرين.

و لم يكن المحتلون والمستعمرون على التوالي أرحم من سابقيهم في هذا المجال مذ بدأت حركة النهضة تحبو وتنشط، فقد تدخلوا في مسيرة نهضة اللغة العربية التي كانت قد أخذت تستوعب أسباب الحضارة الحديثة ومتطلباتها بنجاح في القاهرة وبيروت، فعطلوا المسيرة بفرض اللغة الأجنبية كلُغة تدريس.

وكانت جهود مدرسة الطب في القاهرة قد أخذت تُثمر غنًى للعربية بآلاف المصطلحات على مدى ستين عامًا[١] ونجح مدرِّسوها بهمة ناظر الكلية الدكتور بيرون منذ تأسيسها في ترجمة قاموس القواميس الطبية لفاربر، وهو أضخم وأشْملُ معجم حضاري حينئذ، وتحوي مجلداتُه الثمانية جميعَ الاصطلاحات العلمية والفنية في الطب والنبات والحيوان والعلوم الأُخرى[١].

و لم تكن جهود الرُّواد في الكلية السورية الإنجيلية – التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية – أقلَّ روعة. فقد أسهمت إنجازاتُ: فان دايك، وبُوسْت، وورتابت، وبطرس البستاني، والشِّدياق، واليازجيَّين في إنجاح تدريس العلوم الطبية فيها باللغة العربية بمنهج عصري ومستوى راق قرابة ربع قرن[*].

---

(١) ١٨٢٧-١٨٨٧.

(٢) حمل هذا القاموس اسم "قاموس الشذور الذهبية في المصطلحات الطبية" و لم ينشر منه للعموم إلا حوالي مائة صفحة بإشراف الدكتور أحمد عيسى عام ١٩١٠.

(*) من ١٨٦٧ إلى ١٨٩٠.

لكن الحركة أفشلت في مهدِها في كلا مركزي النهضة، وتحول التعليمُ إلى اللغة الإنجليزية. وكان في ذلك التحول بدءُ الدُّوامة التي مازلنا ندور في حلقتها المفرغة دون أن نتمكن من تجاوزها، فما فتئت معظم جامعاتنا السبعين في الوطن العربي تدرّس مواد العلوم بغير العربية. ولعله ممَّا يلفت أن تنفيذ المؤامرة على العربية تم في الفترة نفسها في كلا المركزين. ويقيني أنه لو استمرَّت جهودهُما لتتضافر مع جُهود رجال المعهد الطبي في دمشق منذ (١٩١٩م) لكانت تجربة العربية الثانيةُ في مجابهة ألفاظ الحضارة أنجح ممَّا هي عليه اليوم بكثير.

بين الفصيح والعامي

في سياق"ألفاظ الحضارة بين الفصيح والعامي " تخطر لي تساؤلات متعددة منها:

(أ) هل يوجد معيار ثابت يُقاس به مستوى الكلمة ومرتبتها من حيث الفصاحة والعامية؟

(ب) هل اللفظ الفصيح لغويًّا فصيح بالضرورة حضاريًّا؟ وبالتالي هل يمكن للفظ الفصيح لغويًّا أن يكون عاميًّا حضاريًّا؟

(ج) هل اللفظ العاميُّ لغويا قاصر حضاريًّا؟

وهل هناك ما يمنع ترقيةَ اللفظ العاميِّ لغويًّا ليصبح فصيحًا لغويًّا أيضًا؟

ثم:

(د) أين هو موقع الألفاظ الحضارية الدخيلة (أو المعربة بنطقها الأعجمي) في هذا التراتُب؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات أو بعضِها لابُدَّ لنا من تعريف دقيق لما نعنيه بلفظتي "عامي" و " فصيح".

الفيروزآبادى في مادة "فصح" يقول: الفُصح والفصاحة: البيان.

وفصح الأعجمى (ككَرُم): تكلم العربية وفُهم عنه.

والمعجم الوسيط يضيف:

رجل فصيح: يُحِسن البيان ويميز جيد الكلام من رديئه.

وكلام فصيح: سليم واضح يُدرِك السمع حسنَه والعقلُ دِقّتَه.

وفي تعريف " البيان " يقول ابن منظور:

بان الشيءُ: اتضح، وأبنْتُه أنا، أي أوضحتُه.

والبيان: ما بُيِّن بِه الشيءُ من الدلالة وغيرها.

نستخلص من هذا أن الفصيح من الكلام: هو السليم الواضح الـذي يـدرك السمعُ حسنَه والعقلُ دِقته، والذي تُبيَّن بدلالته الأشياء.

وفي "العامي" لا زيادةَ في المعاجم العربية على ما يردُ في المعجم الوسيط الـذي يقول:

العامي: المنسوب إلى العامة - والعامة من الناس خلافُ الخاصة.

والعامي من الكلام: ما نطق به العامة على غير سَنَن الكلام العربي.

بهذه المعايير، تعالَوا نتساءَل:

هل اللّفظ الفصيح لغويًّا فصيح بالضرورة حضاريًّا؟ ولنستعرضْ بعضَ الألفاظ في هذا السياق:

الألفاظ:

تأمورة

وسَمسق

وحَيْصل

وظأب

كلمات عربية أصيلة، وفصيحة لغويًّا.

فهل هي فصيحة بمعنى أنها كلام يدركُ السمع حُسْنَه والعقلُ دِقّتَه وتُبيَّنُ الأشياءُ بدلالته؟

أليست لفظةُ:

الإبريق للتأمورة

والياسمين[١] للسمسق

والباذنجان[٢] للحيْصل

والعديل للظأب (زوج أخت الزوجة)

أوضح وأبين أو على الأقل أكثر تِبيانًا؟

الألفاظ:

مُصدئ

وكاشوف

وكهيرب

وعلم الهلك

هي كلمات لا غبار عليها، من حيث الفصاحة اللغوية، والمعنى المعجمي، أيضًا:

للأكسجين

والرادار

والإلكترون

والجيولوجية

لكن هل من وضوح في قولنا: نُقِل المريض إلى غرفة **المصدئ**؟ أو استخدم المتسلقان قناعَ **المُصدئ** قبل الوصول إلى قمة إفرست، أو إن الدم **يُصدأ** في الرئتين، وهو في الواقع **يؤكسَج** ولا يؤكسَد.

وإن قلنا: المُصدئ في الأكسجين الثنائي ذرة الجُزىء فماذا نقول في نظيره الثلاثي الذرات الأكثر إصدائيةً؟

---

(١)، (٢) "القاموس المحيط " يوردهما في شرح "سمسق" و"حيصل" لكنه يهملهما في موقعهما.

"**كاشوف**" وزان فاعلون،فصيحة لغويًّا ولكنها مقابل "رادار" قاصرة؛ لأن الرادار هو كاشوفٌ ومحدِّدُ بعدٍ رادوي. والكواشف اليوم لا تقتصر على الرادار.

فهناك **اللّيدار** الكاشوف، ومحدِّد المدى الضوئي،

واللادار الكاشوف، ومحدد المدى الدويلري الليزري،

والأويدار، **والسُّونار** وغيرها.

وكلها كاشوفات لها ميزاتها ووسائلُها ودلالاتها المختلفة.

ثم إن لفظة رادار وأخواتها تتألف كما هو معلوم من أوائليات أحرف الألفاظ التي عُرفت بها تلك المُصطلحات أصلاً، وهي انتقلت إلى مُختلف لُغات العالم دون النظر إلى الألفاظ التي اشتُقّت من أوائليَّاتها أصلاً.

"**مصعد**" و"**مهبِط**" لفظتان فصيحتان وزان مفعَل ومفعِل،لمكاني الصعود والهبوط وقد كانتا فصيحتين حضاريًّا حين تبنَّاهما مجمع اللغة العربية مقابل "**أنود**"، و"**كاثود**" أيام كان مفهومهما مقصورًا على التحليل الكهربائي.

لكن بظُهور الصمامات الإلكترونية على أنواعها، حيث الكاثود هو مبعثُ الإلكترونات ما عادَ من الفصيح بيانيًّا ودلاليًّا، والتالي حضاريًّا، أن يُطلق على مَبْعَث الإلكترونات "مَهْبِط". وكان من الفصاحة الحضاريَّة أنْ عاد مجمعُ اللغة العربية عن اللفظتين إلى المُعرَّبتين.

منذ نصف قَرن تعلَّمنا أن الذَّرَّة تتألف من ثلاثة أنواع من الجسيمات،سُميت: **ابتدائية** أو **أويِّل** كما فُصِّحت لاحِقًا، مُقابل "**بروتون**".

و**مُتعادلة** مقابل "نيوترون".

و**كُهَيْرب** مقابل "إلكترون ".

فتحقق لنا فيها الفصاحةُ اللغوية، والفصاحة الحضارية. لكن وأنا مدرِّس منذ حوالَي رُبع قَرن كُنا نعلم أن هذه الجُسيمات أكثرُ من سِتَّة، وكنتُ أقرأ في المجلاَّت العلمية أنها سبعةَ عشر.

اليوم يقولون: إنها أكثرُ من سبعةٍ وثلاثين موزَّعة في أربع عشرة فئة – وهي إلى مزيد.

وهكذا ما عاد الأويل أويِّلاً ولا ابتدائية ولا الكهيربُ أدقَّ الجسيمات، ولا المتعادلة فعلاً متعادلة، فضاعت الفصاحة الحضاريَّة، وعدنا نجد أن "بروتون"، و"إلكترون"، و"نيوترون" أفصح في التعامُل مع أجزاءِ الذَّرَّة الأخرى.

كالمِيزون بأنواعه الخمسة.

والبُوزِتْرون.

والمِيُون والهاذْرون.

والكاوُون والنيوترِينو.

والكُواركات بأنواعها السِّتة.

والبوزُون والهايبرون ... إلخ.

العرب بفَصاحتهم الفِطرية وسليقتهم تعوَّدوا أن ينْحتوا لفظةً من لفظتين أو أكثر فنحتوا:

بَسْمل بمعنى قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ أوكتبها.

وحَوقل بمعنى قال: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ.

وسبّح بمعنى قال: سبْحانَ اللهِ.

ونحت المعاصرون أو ركّبوا مزجيًّا:

برَمائي من: برّي ومائي.

وكَهْرضوئي من: كهربائي وضوئي.

وحَلْمأة من: الحل أو التحليل بالماء، واجتمعت لمثل هذه الألفاظ الفصاحتان.

لكنك في مَقيساتٍ على سَننها تفتقِدُ فصاحةَ البيان والدَّلالة أحيانًا، فهل أفصحَ الذين قالوا سابقًا:

دَمْعَز: بمعنى: أدام اللهُ عِزَّك.

أو **مشكن**: بمعنى: ما شاءَ اللهُ كانَ.

أو **طلبق**: بمعنى: أطَالَ اللهُ بقاءَك.

أو الذين قالوا لاحِقًا:

نــزور: بمعنى: نـــزعَ الورق.

أو **حَرْصم**: بمعنى: حرَّر من الصَّمغ.

أو **زهْرَجَ**: بمعنى: أزال الهيدروجين.

أو **حَلْكَحة** بمعنى: الحل أو التحليل بالكحول

أو **صَلكلة**: بمعنى: استِئصال الكلوة.

أنا ميَّال إلى الإجابة بالنفي.

اللفظ الفصيح لغويًّا ليس فصيحًا بالضرورة حضاريًّا، بل إنه قد يكـــون حـــتى عاميًّا – وفي هذا السِّياق أعرض بعضَ الأمثلة:

الألفاظ "**طاقة**" و"**قُدرة**" و"**وُسْع**" و"**عَزْم**" ألفاظ فصيحة. ويمكن للكاتـــب في موضوع أدبي أن يُبادِل فيما بينها تلافيًا للتكرار أو عملاً بِـسُنَّة التنويـــع التـــرادُفي في الأساليب البلاغية.

لكن هذه الألفاظ اتَّخذت في مجالات العِلْم وبين أهله مفاهيم مُتَمِّيزة:

فلفظة قوة في غير مقابل FORCe [(١)]: عامية (ما يؤثر في جسم فيغيِّـــر حالـــة سكونه أو حركته).

ولفظة طاقة في غير مقابل Energy [(٢)]: عامية.

ولفظة وُسع في غير مقابل Capacity [(٣)] عامية.

ولفظة عزم في غير مقابل moment [(٤)]عامية.

---

(١) Force – (ما يؤثر في جسم فيغير حالة سكونه أو حركته).

(٢) Energy – (القدرة على القيام بشغل ما).

(٣) capacity -- (سعة تخزين).

(٤) moment - (القدرة على إحداث دوران حول محور ... إلخ).

كذلك:

فإن لفظة "**حشرة**" في تعريف حيوان لَبُون كما ترد في معجم نُجِلُّه عامية.

ولفظة "**انصهار**" مقابل fusion في مجال التفاعلات النووية كما رأيتُها مستخدمةً في مؤلَّف فيزيائي يُدرَّس في ثانويات بلد عربي، وكما رأيتُها مستخدمةً في معجم تقاني جليل حديثٍ، هي لفظة عامية جدًّا حضاريًّا، وإن كانت فصيحة لُغويًّا.

وأنتقِلُ دون الإفاضة في موضوع العاميات الحضارية إلى تساؤلي الثاني:

هل اللَّفظُ العاميُّ لغويًّا قاصِر حضاريًّا؟

منْطِق عُلماء التطوُّر اللغوي يجيب بالنفي، فلولا أن هذه الألفاظ نجحت في تأدية مفاهيم حضارية محدَّدة تتَّصِلُ بشئون الناس اليومية لكانت ماتت واندثرت، إذ لا تراثَ مكتوبًا يحفظها.

صاحبُ "محيط المحيط" له فضلٌ كبير، إضافةً إلى مآثرة المتعددة، في أن أدرج في "محيطه" [1] الكثيرَ من الألفاظ العامية أو التي تُستخدم عاميةً في معنى معيَّن، وقد قلَّبت صفحاتِ هذا المعجم على عجل لأختار بعضًا من عاميَّاته، وها هي ذي:

بائكة: بمعنى: مخزن واسع.

بريمة: بمعنى: آلة يثقب بها.

جملون: بمعنى: سقف محدد.

حوش: بمعني: فناء الدار.

خابور: بمعنى: مسمار الخشب.

خوّش: بمعنى: عمق الثقب ليتساطح رأس المسمار مع السطح.

دَبش: بمعنى: صغار السقف أو وكف.

رصيد: بمعنى: المتبقي من حساب مالي.

زَردية: بمعنى: آلة شد وزرد (زرد أيضًا عامية بهذا المعنى).

---

(١) "محيط المحيط" للمعلم بطرس البستاني.

سُنبك: بمعنى: ما تُخرز به الصفائح.

شَتلة: بمعنى: ما قُلع من النبات ليغرس في مكان آخر.

صاج: بمعنى:صفائح الحديد وطبق الخبز المحدب.

صوبة: بمعنى: مدفأة أو دفيئة زجاجية.

قَرِف: بمعنى: اشمأز.

كَسْم: بمعنى: الهيئة للزي.

مُحصِّلة: بمعنى: ناتج.

مكُّوك: بمعنى: وشعة آلة الخياطة.

ورشة: بمعنى: جماعة الفَعلة يشتغلون.

وكلُّها مِمَّا لا يُعوزه البيان، ولا المفهومية، ولا دِقَّةُ الدلالة.

فهل هناك ما يمنع ترقيةَ هذه الألفاظ لغويًّا لتصبحَ فصيحة لُغويًّا أيضًا؟

المعجمُ الوسيط كان صريحًا في إجابته حين أورد غالبيةَ هذه الألفاظ دون أن يُصنِّفها عامية.

ولا غرابة في هذه الترقية، فهي مُتعارفَةٌ معجميًّا في كُلِّ اللُّغات.

فمئات الألفاظ التي ظهرت في أولى طبعات معجمي: "أكسفورد"[١] الكبير و"وبستر" الدولي، وصنفت عاميات في اللغة الإنكليزية، ارتقت إلى رتبة الفصاح في طبعاتٍ تالية.

---

(١) من الألفاظ التي كانت عامية وارتقت إلى الفصاح في هذا المعجم:

banter بمعنى يمرح.

bully بمعنى يتنمر ،

و sham بمعنى صوري

و mob بمعنى غوغاء.

و finalize بمعنى أنهى.

بينما ظلت في رتبة العاميات ألفاظ مثل:

duds بمعنى ملابس و dubes بمعنى قبضة البلد.

يراجع في هذا السياق"المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر"،الدكتور داود حلمي السيد، جامعة الكويت ١٩٧٨.

ولعلَّ من المناسب في هذا السياق – سياق العامي الفصيح – إيرادَ نصٍّ ورد في كتاب " مشْكِلات اللغة العربية " للأستاذ محمود تيمور، يقول الأستاذ تيمور ما فحواه:

الشعب يقول:

عوامة، في عائمة

وسوَّاق، في سائق

ومِرسال، في رسول.

ويقولون:**حوَّش المال**

وملَخ ذِراعه

وسيَّب الدواب

وبَرْطل المُرتشي

وشوَّر لزميله.

ويقولون: **خِلقة الشخص**، بمعنى: طَبْعه،

صِيغة المرأة، بمعنى: **حُليّها**

وقبصة ملح، بمعنى: **نتفة** منه بين إصبعين

وفُمّ الغسيل، بمعنى: إحدى مرَّاته.

فيأتي الكثرة من حملة الأقلام يُفَصِّحونها بما لا يمتاز عنها فصاحة – فما أحرانا أن نفتح الباب على مِصراعيه لمثل هذه التعابير، تُثرى الفُصحى وتكسبُها مزيدًا من الدِّقة والتعبير.

لقد جنت على مثل هذه الكلمات تسميتُها بالألفاظ العامية؛ لاقتصار استعمالها على ألسنة العوام، واختصاصها بلغة التخاطب والحديث. فلْنَعْرفْ لها حقَّها في العربيَّة، ولتجرْ بها أقلام الكِرام الكاتبين دون تحرُّز ولنُسَمِّها العاميَّةَ الفصحى(٥)!!

---

(٥)اكتشفت مؤخرًا أن هذا الفصل من الكتاب وارد بعنوان " العامية ... الفصحى " في العدد الثالث عشر من مجلة المجمع. وحبذا لو يستنسخ هذا المقال ليوضع بين أيدي الزملاء جميعاً في هذا المؤتمر.

وأخيرا آتي إلى تساؤلي الثالث حول موقع الألفاظ الحضارية الدخيلة بين: الفصحى والعامية، وهي احتلّت سابقًا، وتحتل حاليًا، وستحتلُّ مستقبلاً حيزًا مَرموقًا في دنيا ألفاظ الحضارة في اللغة العربية.

هذا الواقع لا أراه مختلفًا نوعًا، وإن اختلف كمًّا عن واقع الألفاظ الحضارية في مجاهتنا الحضارية الأولى.

فالألفاظ التي اهتضمتها العربيةُ قَبْل وبعدَ صَدْر الإسلام، حتى لكأنها غيرُ دخيلة، مثل:

بلور	وتُخت	ودواة
وسدّ	وسَيف	وصَبا
وصِراط	وفَتيلة	وفرن
وقلَم	وكرسي	وكوفية
وناطور	وهاون	ويمّ

اعتبرت فصيحة حضاريًا، وفصيحة لغويًا، حتى تلك الدخيلات التي ظلّت مسحةُ العُجمة بيّنة فيها، مثل:

إبريسم، وإستَبْرق، وإقليم، وبارود، وديباج، ودِرفْس، وزَنجبيل، وفنار، ومُصطكى، وياسمين.

شفع لها حُضُورها التراثي أو الأدبي أو الحياتي الحضاري بين الناس، فلم يعترض أحدٌ على فصاحتها.

أما الدخيلات الحضارية التي استخدمت في نُطُق محدودة، مثل:

إسطَقْس، وأنولوطيقا

وغنطازيا، وهَيُولى .(في الفلسفة) .

أو:

أُشَّق، وبطراليون، وبوريطس

وجمَشت، وخلقيدون، ودَهْنج

ورهَج، وزَرقون ومَرْقَشيتا (في الكيمياء).

أُورطى، وبَريطون، وبنْقراس

أو:

وقولون، وكيلوس، ومساريقى (في الطب).

أو:

إطريفل، وبرنوف، وبوقيصا

وجُنجل، وشقاقل، وطرخْشَقون

وفَربيون

أو:

إسقْنقور وبطلينوس ودُلفين

وسُفْنج، وطَرستوج، وقَبْيون

ووَشَق (في الحيوان).

فقد ظلّت فوق التصنيف الفصاحي، محصورة في دفاتر الفلاسفة والكيماويين وعلماء النبات والحيوان وحَلَقَاهم. وكونُها خارج صُلب اللُّغة، فإنها لم تُضِرْها، بل أثْرَها وفَتَحت مجالاتِها واسعةً أمام العلم وأهله من ذوي الاختصاص.

ونحن اليوم أمام موقفٍ مُماثل في مُجابهة الألفاظ الحضارية الدخيلة:

فالتعريب أمرٌ واقع لا خيار لنا فيه أمام أسماءِ المركّبات الكيماوية، وأسماء العقاقير التي تتجاوز المِليون، وفي مُجابهة أسماء النباتات والحيوانات وفصائلها وطوائفها وأنواعها

وأفرادها التى تَتجاوزُ المِليونَيْن، وفي معالجة المُسمَّيات الهندسية والإلكترونية التي لا حصْر لها، وكلُّها مستمرةٌ في التدفق على العالم الحضاري، الذي نريد مُواكَبَتَه دون انقطاع.

إن الذين يقفون في وجه التعريب اللفظي في نطاق هذه المجابهة يغالطون أنفسهم ويغالطون الواقع.

والذين بنَوا معارضتهم التوسع في التعريب على قرار مجمع اللغة العربية في أنه يجوز أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجميَّة عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم، وتفسيره المُتَحرِّص عند من يُحدِّدون مفهوم لفظة العرب بعرب الاحتجاج نأمُل أن تَزول اعتراضاهم أمام تفسيرات سيادة رئيس المجمع الدكتور إبراهيم مدكور[١]،وسيادة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الدكتور عبد الكريم خليفة[٢] أطال الله بقاءهما وحضرة المناضل اللُّغوى الفذ المغفور له الأستاذ عباس حسن[٣].

وكلها تقول بإفساح المجال للتعريب في هذه الحالات دون عائق أو اشتراط.

وفي تعامُلنا مع الألفاظ الدخيلة في عصرنا الحاضر أرى أن نُفيد من خبرة الأسلاف في هذا المجال.

هنالك ألفاظ دخيلة استقرَّت في اللغة أو كادت ولا مُبرِّر لأن تتجاهلَها معاجمُنا اللغوية اليوم

مثل:

بارود، بالة، بُرغى

بلْطة، جُمرك، سِقالة

غاز، طاولة، قَمْرة

وهنالك ألفاظ دخيلة فرضَتْ نفسها على شئون حياتنا الحضارية، فلا يُمكننا تجاهُلُها – وبالتالي،فلا يجوز لِلُغَتنا، مرآةِ حياتنا، تجاهُلُها، من هذه الدَّخيلات مثلاً:

---

(١) مجلة المجمع اللغة العربية، ص ٧، جزء ١٨.

(٢) عبد الكريم خليفة – اللغة العربية والتعريب، عمان ١٩٨٧.

(٣) عباس حسن، مجلة مجمع اللغة العربية، ص ١٥١، جزء ١١.

أمبير، أوتوماتى، أوم

بارومتر، باليه، بَسْترة

بَطّارية، ترانــزستور، ترموستات

تليفزيون، جيُولوجية، رادار

راديو، سُلفات، فيلم

فُلط، كربونات، كَلْورة

كِيلومتر، ليزر، نترات

هُرمون ... إلخ

وقد نختلِف في حجم هذا العدد من الدخيلات،ولكنه حتمًا لا يتجاوز بضعة آلاف.

هذا العدد من الدخيلات الحضارية إن نحن قبِلْناه اليوم، فإن باب استبداله يبقى مفتوحًا تمامًا، كما استبدل الأقدمون:

الحسابَ بالأرتباطيقا

علمُ الفلك بالأسترونوميا

و**الهندسة** بالجيومطرى

و**البلاغة** أو **الخَطابة** بالريتوريقا

وكما وُفِّق الرواد في العصر الحاضر – باستبدال:

بريد	بـــ	بوسطة
و**تكسين**[1]	بـــ	ذِيفان
و**سيارة**	بـــ	أوتوموبيل
و**شاحنة**	بـــ	كَميون
و**شرطة**	بـــ	بوليس
و**صِفاق**	بـــ	بريتون

---

(١) كان ابن سينا قد عرّبها " طنحشين".

وفقر الدم بـــ أنيميا

وفندق بـــ أوتيل

وغيرها كثير.

حتى وإن ظلَّت الدخيلةُ تنافِسُ ما يُتحِفُنا به الغَوَّاصون عن الدُّررِ نَسْتبدِلُها بها، في مثل:

بنك	**ومصرف**
تليفون	**وهاتف**
توربين	**وعَتَنَة**
زُنْبُرك	**ونابض**
كلِيشيه	**وروسم**
مِكروسكوب	**ومجهر**
مكروب	**وجُرثومة**

أما الدخيلات البعيدة عن شئون الحياة اليومية والغريبة إلاَّ عن استخدام ذوي الاختصاص العالي، فإنها ستبقى ألفاظًا حضارية ضمن مخابر العلماء ومساقات المتخصصين – ولا خوف على اللغة منها؛ لأنها لن تدخل صُلب اللغة ولا معاجمها.

والبرهان أن ما تورده أوسعُ المعاجم اللغوية العالمية،من ملايين هذه الألفاظ لا يتجاوز بضعَ عشرات الآلاف، كما في معجم "وبستر" الدولي الثالث غير المُختصر.

اللفظ الحضاريُّ من حيث أنه واضحُ الدلالة ودقيق التعبير في مجال اختصاصه يؤلِّف رتبةً متميِّزة تتجاوز الفصيح، أو العاميَّ بالمفهوم التقليدي.

والألفاظ الحضارية الدخيلة السابق، منها الذي هضمتهُ العربية، واللاحق الذي تَقْبله اللغة، بالاستخدام والشيوع والغَربلة السليقية، هي جزءٌ مُهم من اللغة ينُعِشها ويُثريها، كما أن مُلْحَقها المُعَرَّب بِنطقه لاستخدام العلماء، يجعلها قادرة على استيعاب العلوم المتطوِّرة الحديثة، ويقربها إلى لغة العالمية، ويَسُد الطريقَ على مُعرقلي مسيرة

تعريب التعليم في مُختلِف مراحله؛ لأنَّا مهما أغنينا لغتنا بالألفاظ الحضارية كمًّا وكيفًا، فإنه لا يتجاوز كونه غنًى في طول اللغة وعَرْضها – يَعني غنًى سطحيًّا.

والغنى الصحيح، الغنى العمقيّ، لا يتأتّى إلاّ حين تصبحُ العربيَّة وسيلةَ المُـتعلّم والعالِم، وإلاّ باستنبات العلم بيئيًّا عندنا – لتصبح العربيَّة لا لغةَ التعليم في كافة مراحله فقط، بل أيضًا لغةَ البحث العلمي والتأليف العلمي والإبداع العلمي، وهذا بحثٌ يطول وأملٌ يُرتَجى. شكرًا لكم.

* * *

المراجع

ـــ أبو سعد، أحمد "قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية"، مكتبـــة لبنـــان بـــيروت ١٩٨٧.

ـــ البستاني، بطرس "محيط المحيط" مكتبة لبنان ١٩٧٧.

ـــ ابن عبد الله، عبد العزيز "نحو تفصيح العامية"، الرباط ١٩٧٢.

ـــ خليفة، عبد الكريم "اللغة العربية والتعريب"، عمان ١٩٨٧.

ـــ الشيال، جمال الدين "تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية"، دار الفكـــر العربي، القاهرة ١٩٥٠.

ـــ عطية، رشيد "الدليل إلى مرادف العامي والدخيل".

ـــ خالب، إدوار "الموسوعة في علوم الطبيعة"، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٨٨.

ـــ مجمع اللغة العربية "المعجم الوسيط"، الطبعة الثالثة، القاهرة.

The Barnhait Dictionary Of New English ١٩٦٣ – ١٩٧٢.

C.L Barnhart Inc. New York ١٩٧٣.

The second Barnhart Dictionary Of New English.
Branhart Books New York ١٩٨٠.

The Longman Register Of New Words.
Longman. London ١٩٨٩.

Webster's Third New International Dictionary – Unabridged.
G & G mwrriam Co.
Springfield ١٩٧٦.

العامي الفصيح(*)

للدكتور إبراهيم السامرائي

(عضو المجمع)

هذا باب خاص من العامية، وخصوصيته تتأتّى من كونه عاميًّا دراجًا تخلو منه العربية الفصيحة المعاصرة، إلاّ أنه كان فصيحًا في عربية القرون الماضية. وهذا يعني أن اللفظ قد تَدنَّى في مستواه ودرجته فصار عاميًّا لا يلتزم به المعربون في كلامهم وكتابتهم.

ولابد من الإشارة إلى أن تحوّل الفصيح إلى العامي، وخلو الفصيحة المعاصرة منه يرجع إلى أسباب منها:

أن الفصيح القديم ممّا قلّت الحاجة إليه، وذلك لأنه يتعلق بدلالة بعدت عن اهتمام المعربين منها، أو أنها ممّا زالت من حيِّز الفصيح، فقبعت في العامية، وأن غيرها يسد مسدّها. أو أنها كانت لغة خاصة في بيئة معينة، فلم يكن لها من الشمول، وهي فصيحة، فتحولت لخصوصيتها إلى عامية.

ثم إن هذه العامية قد اكتسبت في عاميتها بناءً جديدًا، أو قل عرض لها شيء في القلب والإبدال، وزيد في أحرفها، أو نقص حتى ابتعدت بذلك كله عن سمتها الفصيح.

إن هذه العامية ذات الأُصول الفصيحة ممّا استقريته في عامية أهل العراق، وإني لواثق أن في كل بلد من بلدان العربية مادة لغوية عامية أُصوها فصيحة، أو أنها تحولت لسببٍ ما إلى العامية، وهذا يختلف في كل بلد عنه في البلد الآخر.

وسأستقري هذه المادة وأدرجها على حروف المعجم.

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر الدورة السادسة والخمسين، المنعقدة يوم السبت الموافق ٣ من مارس سنة ١٩٩٠م، ونشر بمجلة المجمع بالجزء السادس والستين، ص ٨٠. (والبحث يتحدث عن عامية أهل العراق).

باب الألف (الهمزة)

١- أبو:

إن الفعل أبى يأبى قد عرف في الفصيح وما زال فيها معروفًا مستعملاً، غير أن العامية ذهبت فيه إلى المزيد "تأبّى" على "تَفَعَّل". وهو في عامية أهل العراق، بمعنى "امتَنَع مع خصوصية دلالية، وهي أن الذي يَتَأَبّى هو ممتنع كاره، ومن هنا كان الامتناع" عن السلب، أو قل: الشر، وبناء الفعل ممّا لا تعرفه العربية الفصيحة.

٢- أج ج:

و"أجّت النار" بمعنى تأجّجت، واتّقَدَت، والفعل اليوم "وجّت" بالدلالة نفسها، وليس في الفصيحة المعاصرة شيءٌ منه، وربما ذهبوا فيها إلى الفعل المزيد " تأجَّجَ ".

٣- أرر:

وفي عامية العراقيين تحول الفعل" أرَّ " المضاعف إلى "وَرَّ" على البدل، والبدل وإن كان معروفًا في العربية الفصيحة في قدر كبير من الكلم، إلاّ أنه لم يُسمع في "أرَّ".

وهذا الفعل ممّا لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، ولكنه معروف في الدارجة بمعنى: زاد في إيقاد النار، وهو المعنى الفصيح القديم.

٤- أسس:

أقول: الأساس، والأُسس، مفردًا وجمعًا، ما زال معروفًا في العربية المعاصرة ولكن "الآساس" بالمدّ، نحو: آراس، وآرام وغيرهما، ممّا لا نجده في الفصيحة المعاصرة: ولكننا نجده فيما يدرج به العراقيون، وهم يستعملونه "مفردًا " وليس في إعرابهم بناء "جمع الجمع".

باب الباء

٤- بجج:

وفي فصيح العربية: بجَّ الجُرح والقرحة يُبجُّها بجًّا: شَقَّها، قال جُبيْها الأشجعي في عنزٍ له، مَنحها لرجل و لم يردَّها:

فجاءَت كأنَّ القَسْور والجوْن بجَّها عساليجُه، والثامر المتناوِحُ

وقالوا: كل شقٍّ بَجٌّ، قال الراجز:

* بَجَّ المزاد مُوكَرًا مَوفورا *

أقول:وقد توسَّع العوامّ في العراق في استعمال الفعل في كل شقٍّ وكسر، فقالوا: بَجَّ القفل أو الغلق، بمعنى كسَره من أجل فتح الباب، وهو من الأفعال التي ترد في استعمال اللصوص ثم ذهبوا في الفعل إلى نوع من البدل فجعلوا الجيم الفصيحة مشوبة بجيم أعجمية، وهو ما يعجم بثلاث نقاط "بج".

٥- بخصة:

و"البخْصة" في عامية بدو العراقيين هي "الحصباءُ"، وقد صير فيها إلى القلْب، وهي صغار الحصى والحصَب، والحصَبة، بمعنى صغار الحجارة والحصى، ليسا في العربية الفصيحة المعاصرة، ولكننا نقف عليها في العامية البدوية مقلوبة "بَخْصة".

٦- بحثر:

في فصيح العربية: بَحثَر الشيءَ: بَحثَه وبدَّده كَبعْثره.

أقول: وليس في الفصيحة المعاصرة هذا الفعل، ولكنه واضح في استعمال العامة بدلالته نفسها، والفعل رباعيٌّ أدرَجه الصرفيون في باب "الرباعيّ المجرَّد"، وكأنه ضرب من النحت، الذي ذهب إليه ابن فارس في "مقاييس اللغة".وكأني أرى فيه"بَحَثَ"و"بَثر".

٧- بخت:

هو "الحَظ"، وقالوا: إنه معرّب، وهو ممَّا لا نجده في الفصيحة المعاصرة ولكننا نقف عليه في الاستعمال الواسع في لغة عامة العراقيين، حتى اكتسب في سيرورته السعة في الأبنية، فقالوا: بخيت لذي الحظ السعيد، كما قالوا: مبْخوت في المعنى نفسه.

٨- برْخ:

من معاني "البَرْخ" في فصيح العربية:الرَّخْص، وقالوا: إنها عُمانية، وقيل: بالعبرانية أو السريانية، يقال: كيف أَسعارهم؟، برْخ، أي رخيص والتبريخ: التبريك، قال الراجز:

* ولو يقـــال: برّخوا لَبّرخـــوا *

* لِمَا سَرْجيس وقد تَدخْدَخوا؟ *

أقول: والصواب أن مادة "برخ" في العبرانية تعني "البَركة"، وهي ما زالت بهذا المعنى في لغة العراقيين، ومن أعلام الإناث "بَرْخة" بمعنى "البركة".

٩- بزل:

جاءَ في أُصول العربية: بَزَل الشيء يَبْزله بَزْلاً، وبزَلَه فَتبزَّل: شَتَّه.

والبزْل أيضًا: تصفية الشراب، والمِبْزَل: ما يُصفّى به الشراب. وهذا وذلـــك لا وجود له في العربية الفصيحة المعاصرة، ولكنه فاشٍ كثير في عامية العراقيين.

١٠- بشر:

جاءَ في فصيح العربية: أَبْشَرت الأرض: إذا أخرجَت نباها، وبشرة الأرض: ما ظَهَر من نباها.

أقول: وليس شيءٌ من هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجد في لغـــة عامـــة العراقيين من أهل القرى: بشَّرت النخلة أو الشجرة: أى أعطت باكورها مـــن التمـــر والثمر.

١١- بطط:

وجاءَ في معجمات العربية: بَطَّ الجُرحَ وغيره يبُطّه بَطًّا، أي: شقَّه، مثل: بَجَّـــه بَجًّا، والمِبطُّ: المِبْضَع.

أقول: ولا نَرى"البطّ" هذا في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نجدها في لغـــة أهـــل القرى في جنوبيّ العراق.

١٢- بهق:

قالوا: البَهَق، بفتحتين: بياض دون البَرَص، قال رؤبة:

*فيه خطوط من سواد وبلَقْ *

كأنَّها في الجسم توليعُ البهَق

أقول: والكلمة بهذا المعنى في لغة أهل العراق، وهو مصدر على "فَعل"، ودلالته على الأعراض والأمراض كالقَرع والعَرج والعَمَى وغير هذا.

١٣- بور:

جاءَ في كتب العربية: البُور: الأَرض التي لم تُزْرع، والمَعامي المجهولة، والأغفال ونحوها وفي كتاب النبيّ - صلى الله عليه وسلم - لأُكَيْدِر دومةَ: "ولكم البَوْر، والمَعامي وأغفال الأرض" وهو بالفتح مصدرًا، ورُوي بالضم.

أقول: وهو بهذه الدلالة في لغة الزُّرَّاع في العراق في عصرنا، ولا نكاد نسمعه في الفصيحة المعاصرة.

١٤- بوو:

قالوا: البوُّ: الحُوار، وقيل: جلده يُحشَى تبْنًا أو ثمامًا أو حشيشًا؛ لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها، ثم يُقَرَّب إلى أُمّ الفصيل لترْأمه فَتدِرَّ عليه.

أقول: وهو كذلك في لغة البدو من العراقيين، مخصوصًا بجلد الحوار على هذه الهيئة، والكلمة ممَّا لا تعرف في الفصيح المعاصر.

١٥- بيص:

أقول: كلمة "بَيْص" بفتح الباءِ، جاءَت في قولهم: وَقَعوا في حيْص بيْص.

وكلمة "حيْص" تعني الحَيْد عن الشيءِ، وقوله عزَّ وجل: {"وما لَهم من مَحِيص"} أي مهرب. وكأن الكلمة أُلف استعمالها في الحيْد عن الشر خاصة، ولزيادة المعنى أُتْبعت في "المثل" بكلمة "بيْص" التي لا معنى لها تقويةً للمعنى، وهذا هو الإتباع كقولهم: تفرَّقوا شذَر مذَر، وقولهم: أَثْبتَه بنَصّه وفَصّه.

أقول: والعامة في العراق يقولون: ما يحيص ولا يبيص، ويكاد يكون المعنى نفسه، وأنت لا تجد هذا في الفصيحة المعاصرة.

باب التاء

١٦- ترب:

أفادت العربية الفصيحة في التراب مواد كثيرة فقالوا: تَرِب، حقيقةً ومجازًا، ومنه المَتْربة، قال تعالى: " يتيمًا ذَا مَتْرَبَة ".

وسبيل العامية أن جاءَ فيها " تَرَّب " بالتضعيف لما مسَّه التراب وغشيه.

وهذا كله مِمَّا لا نجده في الفصيحة المعاصرة.

١٧- ترر:

جاءَ في العربية: التَّرارة: السِّمَن، والبضاضة، والفعل ترَّ، مثل فَرِحَ.

أقول: وفي العامية العراقية شيءٌ من هذا قالوا: فلان يترُّ، أى أنه سمين بضٌّ وهذا مِمَّا لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١٨- تلع:

أقول: من معاني "التَّلعة": مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض.

وهذا هو السائر في عامة العراقيين من أهل القرى والبدو، وهي عندهم بكسر التاءِ، ولا نكاد نظفر بهذا في الفصيحة المعاصرة.

١٩- تنب:

قالوا: التُّنُّوب: شَجَر، عن أبي حنيفة.

أقول: وهذا الضرب من الشجر، يعرفه أهل البادية في العراق، وهو عندهم التُّنُّوم، بالميم على البدل.

٢٠- توو:

جاءَ في معجمات العربية: التَّوَّة، أيُّ ساعة من الليل والنهار، قال مُلَيح:

ففاضَت دموعي تَوَّة ثم لم تفِضْ ... عليَّ، وقد كادت لها العينُ تَمرح

أقول: وفي عامية أهل العراق أنهم يقولون: ذهب في هذه التَّوّة، أى في هذه الساعة وهذا مِمَّا لا نظفر به في العربية المعاصرة.

باب الثاء

٢١- ثبر:

الثُّبور: الهلاك والخُسر و الويل.

أقول: وهو بهذه الدلالة في لغة أهل العراق العامية، وقلما نظفر بالكلمة في العربية المعاصرة إلاّ لدى الخاصة على سبيل التفاصح، وربما يُتشَّبث بها في لغة الشعر.

٢٢- ثرب:

التثريب: هو التبكيت، في بعض معانيه، ومن هذا الفعل ثَرَّب عليهم، أي بكّتهم ونال منهم، وهذا ممّا نجده في بعض العامية في العراق، وليس شيءٌ منه في الفصيحة المعاصرة.

٢٣- ثعب:

جاءَ: ثَعب الماءَ والدم ونحوهما، أي: فجَّره فانثعب.

أقول: وفي عامية أهل العراق، ولا سيما في الجنوب: انثَعب بهذا المعنى.

باب الجيم

٢٤- جبب:

وجاءَ في معجمات العربية: امرأة جَبَّاءُ، أى رَسْحاءُ، لا أَلْيتين لها.

أقول: وفي اللسان الدارج أن "الجبَّة" بهذا المعنى، في حين خلت العربية الفصيحة المعاصرة من هذه الكلمة.

٢٥- جرش:

و"المِلح الجريش": المجروش، كأنه قد حكَّ بعضُه بعضًا فَتفتَّتَ، والجريش: دقيق فيه غِلظ.

أقول: والجَرْش، مصدرًا، والجريشي: صفة من الكلم الدارج في العراق، وليس منه شيء في الفصيحة المعاصرة.

٢٦- جزز:

الجَزَز، بفتحتين: الصوف لم يستعمل بعد ما جُزَّ منه، والجِزَّة – بالكسر-: ماجُزَّ منه، والجِزَّة: صوف شاة في السنة.

أقول: هذا كله وغيره في العربية القديمة، وليس شيءٌ منه في إعراب المعربين في عصرنا، غير أن أهل العراق يعرفون في عاميتهم "الجِزَّة" هذه كما وردت في المعجمات.

٢٧- جلب:

جاءَ في معجمات اللغة: "الجلَب"، بفتحتين، بمعنى ما جُلِبَ من خيل وإبل ومتاع - وهذا مالا نعرفه في الفصيحة المعاصرة ولكننا نعرفه في عاميَّة أهل العراق، وعندهم "الجَلَب" لما يُجلَب من البقر والغنم والإبل للذّبح.

٢٨- جَلَح:

و"الجلح" -: بفتحتين - ذهاب الشعر من مُقَدَّم الرأس.

أقول: وهذه الكلمة تندرج في صفات الشعر ممَّا يدخل في "خلق الإنسان"، وهي ممَّا نفقده في العربية المعاصرة، وكذلك كثيرٌ ممَّا يدخل في هذه الصفات، ولكننا نجده في العامية العراقية، وقد يكون في غيرها، والكلمة لدى العراقيين بالجيم الأعجمية "جلَح" فيقال: فلان "أجلح".

٢٩- جلف:

"الجَلْف" مصدر جلَف الشيءَ يجلُفُه، بمعنى القَشْر، فيقال: جلَفَ الجِلد، أي قشره من الشعر ونحوه، وهو أشدّ استئصالاً من الجَرْف.

أقول: هذا من الكلم الذي لا يعرفه المعربون في عصرنا في العربية الفصيحة، ولكنه متداول معروف في عاميتهم.

٣٠- جوب:

جاءَ في كتب اللغة: أن "الجَوْبة": فضاء أملس سهل بين أرضَين، والجَوْبة من الأرض: الدارة، وهي المكان المُنحاب الوطيء من الأرض.

أقول: وهي كذلك في عامية أهل العراق، ولا نكاد نسمعها في فصيحهم.

٣١- جوخ:

"الجَوْخان"، من المعرَّب القديم، وأصله فارسيّ، لجرين التمر، وهو الموضع الذي يُرْبد فيه، وهو "الجرين" في الفصيح.

وهذا كله لا نعرفه في العربية المعاصرة، ولكن أهل النخل في جنوبي العراق، ولا سيما في البصرة يعرفون "الجَوْخان" في عصرنا.

ومن المفيد أن أُشير إلى أن طائفة من المفردات الفلاحية في العراق، ممّا هو متداول في عصرنا يرجع إلى أُصول آرامية.

باب الحاء

٣٢- حذف:

أقول: من معاني "الحذْف": الرَّمْيُ، وحذفه بالعصا وبالسيف يحذِفُه حَذْفًا، بمعنى رماه. وللكلمة خصوصيات دلالية أُخرى.

وهذا ممّا نجده في عامية العراقيين، ولكننا لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

٣٣- حزز:

"الحَزُّ": الحين والوقت، قال أبو ذؤيب:

حتى إذا حَزَرَتْ مياه رُزونه وبأي حَزِّ مَلاوة يتقطَّعُ

أي:بأيّ حينٍ من الدهر. و"الحزَّة":الساعة، يقال: أىّ حَزَّةٍ أتيتَنى قَضَيْتُ حقّك.

أقول: وهذا ممّا نجده في عامية أهل العراق، في جهات مدينة سامرّاء، ولكننا لا نجده في فصيح العربية المعاصرة.

٣٤- حسس:

"الحِسُّ" بكسر الحاءِ: وجع يصيب المرأة الحامل عند إِحساسها بالولادة.

أقول: وهذا ممّا يُعرف لدى النساء في عصرنا، وهو غير مألوف في العربية المعاصرة و"الحِسُّ" في عامية أهل العراق: الحركة والصوت، وهذا قديم، والعربية المعاصرة تخلو منه.

٣٥- حَصَفَ:

"الحَصَف" – بفتحتين -: بُثْر صغار، يقيح ولا يعظم، وربَّما خرج في مراقِ البطن أيام الحرِّ.

أقول: وهذا ما يعرفه العراقيون، وهو في عاميتهم، ولا نكاد نسمعه في الفصيحة المعاصرة.

٣٦- حوب:

جاءَ في فصيح العربية: الحَوْبة والحِيبة بمعنى الهمِّ والحزن.

أقول: والحوْبة بهذه الدلالة في عامية العراقيين، وليس في الفصيحة المعاصرة.

٣٧- حيص:

انظر: "بيص".

باب الخاء

٣٨- خبص:

جاءَ في خصوصيات "الخَبْص"، في فصيح العربية: معنى الخَلْط.

أقول: والخَبْص والخبيصة في لغة العراقيين الدارجة: ما هو مختلط غير واضح على وجه، يقال مثلاً: في الدار خَبْصة أو خبيصة، وفلان مخبوص، أي مرتبك مضطرب.

وليس في الفصيحة المعاصرة شيءٌ من هذا، ولا نعرف الخبيص للحلواء التي تخبص، أي تُخلط.

٣٩- خثى:

جاء في فصيح العربية: خَثَى البَصُر يَخثى خَثْيًا: رَمَى بذي بطنه، والاسم - "الخِثْى" بالكسر. وهذا معروف في عامية أهل العراق، وليس في الفصيحة المعاصرة.

٤٠- خربش

أقول: من معاني "الخَرْبشة": إفساد العمل والكتاب، يقال: كتب كتابًا مُخَرْبشًا، وكتاب مُخَرْبَش: مُفْسد.

وهذا ممَّا نعرفه في الألسن الدارجة، ولا نكاد نظفر به الفصيح في عصرنا.

٤١- خرص:

جاءَ من معاني "الخَرْص"، مصدرًا: حَزْر ما على النخل من الرُّطَب تمرًا. وأصل "الخَرْص" الحَزْر فيما لا تَسْتَيقنه.

أقول: وهذا ممَّا نعرفه في العامية لدى العراقيين، ولا سيما لدى أهل النخـــل في جنوبي العراق، مع بقاءِ معنى الحزْر بوجه عام، وقلما أنت تسمع هذا في فصيح العربية المعاصرة.

٤٢- خرمش:

"الخَرْمشة"، كالخَرْبشة، تعني: إفساد العمل والكتاب.

أقول: و"الخرمشة" تعني هذا في عامية أهل العراق، وكأنها في الأصل عندهم لما تعمله القطةُ من الخَمش، وهم يشبهون الخطَّ الردي بخراميش القِطط.

٤٣- خصص:

جاءَ في المعجمات: الخُصُّ - بضم الخاء -: بيت من شجر أو قَـــصَب، ونحـــو ذلك، جاءَ في أخبار الخليل بن أحمد الفراهيدي، في قول للنضر بن شُمَيل: "أكل الناس بعلم الخليل وهو في خُصٍّ لا يُشعر به".

أقول: والخُصّ بهذه الصِّفة معروف في عامية أهل جنوب العراق، ولا نكاد نحس له وجودًا في الفصيحة المعاصرة.

٤٤- خصص:

جاءَ في المعجمات: الخَصاص، بفتح الخاءِ، في خَصاص المُنْخُل والباب والبُرقُع.

أقول: وشيْءٌ من هذا في عامية أهل العراق، وعندهم أن خصاص البيت: ما في داره من الفُرَج والشوق ونحو ذلك.

وهذا ممَّا ضاع في العربية المعاصرة لعدم وجوده. أو لسبب آخر.

٤٥- خشش[1]

جاءَ في فصيح العربية: خَشَّ في الشيءِ يَخُش خَشًّا، بمعنى مَضَى ونفذ، وخَشَشت في الشيء: دَخَلتُ فيه، قال زهير:

... فَخَشَّ بها خلال الفَدْفَدِ

أقول: ومعنى الدخول في "خَشَّ" شائع معروف في الألسن الدارجة، وليس شيءٌ منه في الفصيحة المعاصرة.

٤٦- خمم:

جاءَ في فصيح العربية: خَمَّ اللحم يَخِم ويَخُمُّ بالكسر والضم، خَمًّا وخُمومًا، وهو خَمٌّ وأَخَمّ بمعنى أَنتَنَ أَو تغيَّرت رائحته.

أقول: وهذا ما يعرفه أهل العراق في اللّسان الدارج، وليس شيءٌ منه في العربية الفصيحة المعاصرة.

٤٧- خنس:

جاءَ في كتب العربية: الخُنوس، بمعنى: الانقباض والاستخفاء، يقال: خَنَسَ من بين أصحابه يَخْنِسُ و يَخْنُس- بالكسر والضم- خُنوسًا: انقبض وتأخَّر، واستَخْفى...

أقول: وهذا مِمَّا نفتقده في الفصيح المعاصر، ولكننا نجده في الألسن الدارجة.

٤٨- خنن:

جاءَ في كتب العربية: الخنين: خروج الصوت من الأنف.

أقول: وهذا من اللغة الدارجة في العراق، وفي بلاد أُخرى، ولا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة، الصفة أَخَنٌّ والمصدر أيضًا الخَنَن.

٤٩- الخَنا:

"الخَنَا" من قبيح الكلام، وهو الفُحْش، وخَنَا يَخْنو في منطقه.

---

(١) كان ينبغي أن تدرج هذه المادة قبل "خص" أي بعد "خرمش" وهو سهو. [آثرت عرض البحث كما قدمه مؤلفه].

أقول: وهذا ممّا سمعته لدى القروِيين في جنوبي العراق، وأنت قلما تظفر بــه في الفصيحة المعاصرة، إلاّ ما كان من لغة أهل التفاصُح.

٥٠- خوب:

"الخَوبة": الأرض التي لم تُمطَر بين أرْضَين ممطورتين.

أقول: كذا سمعته في بادية الفرات في العراق، وهو من الكلم الذي لا نعرفــه في الفصيحة المعاصرة.

٥١- خور:

"الخَوْر"، مصبُّ الماءِ في البحر، كذا ورد في المعجمات، وهو كذلك في عاميــة أهل البصرة وأهل الخليج العربي.

ولا شيءَ من ذلك في الفصيحة المعاصرة.

باب الدال

٥٢- دبر:

قالوا: الدَّبَرة، بالتحريك: قَرحة الدابة والبعير، والجمع دَبَر وأدبار.

أقول: وهذا ممّا لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة، ولكنّنــا نــسمعه في الألسن الدارجة.

٥٣- دحس:

من معاني "الدَّحْس": أن تدخل يدك بين جلد الشاة وصفاقها فتسلخها، والمعنى هنا الإدخال، ومنه أيضًا قولك: دحست الثوب في الوعاء بمعنى أدخلته.

أقول: "والدَّحْس"، بمعنى الإدخال، كثير في الألسن الدارجة، ولا نكاد نقوله في العربية الفصيحة المعاصرة.

٥٤- دحو:

جاءَ في معجمات العربية أن: "الدَّحْو" هو البَسْط.

أقول:وهذا نسمعه في الألسن الدارجة، فيقال: المرأة تدحي الرغيف في التَّنُّور.

والفعل في الفصيح واوي ويائي.

٥٥- دعس:

أقول: من معاني "الدَّعْس": شدَّة الوَطء، ودَعَسَت الإبل الطريق: وَطِئته وَطْـا شديدًا.

أقول: والفعل اليوم عاميّ دارج، وليس شيء منه في العربية الفصيحة.

٥٦- دغر:

جاءَ في معجمات العربية أن "الدَّغْر" هو الدَّفْع.

وهذا هو المسموع في عامية أهل العراق، وليس شيءٌ منه في الفصيحة المعاصرة.

٥٧- دغش:

جاءَ في فصيح العربية: دغَشَ عليهم بمعنى هجم، وتَداغَشَ القوم: اختلطوا في حربٍ أو صخَب.

أقول: وهذا بعض ما نسمعه في لسان أهل العراق الدارج، وليس في الفصيح المعاصر.

٥٨- دفر:

"الدَّفْر" هو الدَّفْع، وهذا من الكلم العامى في عصرنا، وليس شيءٌ منه في العربية الفصيحة الحديثة.

٥٩- دلع:

جاءَ في معجمات العربية: دَلَع الرجل لسانَه يدْلَعه دلْعًا فاندلَع: أخْرجه.

أقول: وهذا قد ورد في عامية أهل العراق، وقد تجاوزوا في "الدَّلْع" اللسان إلى الثوب، فيقولون: دَلَع ثوبه، أى فتح زِيق الثوب، ويقولون: دلَع الباب، أى فَتَحه على مصراعيه.

وليس شيءٌ من هذا كله في الفصيحة المعاصرة.

٦٠- دمن:

و"الدِّمْن": ما تَلَبَّد من السِّرقين، وصار كِرْسًا على وجـــه الأرض، والدِّمْنَـــة: الموضع الذي يتلبد فيه السِّرْقين.

أقول: وهذا معروف في عامية أهل العراق، ولا سيما لدى القـــرويين منـــهم، ولكننا لا نعرفه في الفصيح المتداوَل.

٦١- ديد:

أَقول: هو "الدَّدُ"، في العربية الفصيحة، بمعنى اللَّهو واللَّعب، وهو الدَّيْدن بمعـــنى العادة والدأب، وهي الدَّيدان عن ابن جنيّ.

أَقول: والدَّيدان هذا معروف في عامية أهل العراق، بكسر الدال، بمعنى الـــدأب والعادة، ولكنه غير معروف في الفصيحة المعاصرة إلاّ في صيغة الدَّيْدَن.

باب الذال

٦٢- ذنب:

جاءَ في معجمات العربية: أن ذُنابة الوادي: الموضع الذي ينتهى إليه سيله.

أَقول: و"الذنايب"، جمعًا، بهذا المعنى في عامية أهـــل العـــراق، ولا نعرفهـــا في الفصيحة المعاصرة.

باب الراء

٦٣- ربب:

قالوا: رَبَبْتُ الأمرَ أَرُبُّ ربًّا ورَبابةً: أَصلَحْته.

أَقول: ومثل هذا ما وجدته في بعض أَعاريب العراقيين من أَهل القرى.

وليس شيءٌ من هذا في العربية المعاصرة.

٦٤- رثع:

جاءَ في معجمات العربية أَن: "الرَّثِع هو الثَّعرة الدنِيء ...

أقول: وهذا ما يُتداول في لغة العامة في العراق، وهــو مَّمــا نُــسِي في الفصيحة المعاصرة.

٦٥- رجب:

و"التَّرجيب": هو التعظيم، وفلان مُرجَّب، أي عظيم محترم.

أقول: وقد سمعت هذا في البادية الشمالية في العراق، وهو مَّما هُجــر في الفصيحة المعاصرة.

٦٦- رعس:

وجاءَ في معجمات العربية: الرَّعْس، والارتعاس بمعنى الانتفاض.

أقول: وهذا ما بقي في عامية العراقيين، بالصاد على البَدَل، وليس شيْءٌ منه في العربية المعاصرة.

٦٧- ركب:

ورُكّاب السفينة: هم جماعة من يسافر فيها.

أقول: ورُكّاب السيارة أو الطائرة، من يستعملها من المسافرين

وكأن "ركّاب" هذه، وهي جمع راكب، قد ابتعدت عن الحاجة إليها في العربية المعاصرة.

ويندرج في هذه المادة "الراكوب أو الراكوبة"، للفسيلة التي تنبــت في جــذع النخلة، فكأنها تركب الجذع وهذا شيءٌ لا نعرفه الآن إلاّ في لغة أَهل النخل، ولــيس شيء منه في العربية المعاصرة.

٦٨-رهم:

الرِّهمة - بالكسر -: المطر الضعيف الدائم القَطْر، والجمع رِهَم ورِهام.

أَقول: وهذا مَّما يعرفه القرويون في العراق، ولا نكاد نظفــر بــه في الفــصيحة المعاصرة.

٦٩- روب:

و"الرَّوْب": اللبن الرائب، والفعل رابَ اللبن يروب رَوبًا ورؤوبًا أى: خَثُر فهو رائب، والرّوب هو اللبن الرائب.

أقول: وهذا "الرَّوب" لا نجده في الفصيحة المعاصرة، ولكننا نعرفه في ـــ اللسان الدارج.

٧٠- ريع:

الرَّيْع: هو النَّمَاءُ والزيادة.

أقول: هذه كلمة قديمة مازالت في استعمال أهل القرى في العراق يخصون بهـــا الزرع ووفرة الماءِ، ومنها قالوا: رَيَعَ الزَّرْعُ بمعنى نما، وريَّع الرضيعُ بمعنى كبر ونما وهذا كله ممالا نجده في فصيح العربية اليوم.

باب الزاي

٧١- زبر:

و"زَبَرَ الرجلَ يزبُرُه زَبْرًا: انتهره".

أقول: وهذا ممَّا يسمع ويُتداول في اللّسان الدارج في العراق، في حـــين خلـــت الفصيحة المعاصرة من هذا.

٧٢- زحر:

" الزَّحير والزُّحار": إخراج الصوت أو النَّفَس بأنينٍ عند عمل أو شدّة، زَحَـــرَ يَزْحُر ويزحِر ...

أقول: والفعل والمصدر من الكلم العامي في لغة أهل العراق، ولا نكاد نظفر بهذا في الفصيحة المعاصرة.

٧٣- زحلف:

"الزُّحلوفة" كالزُّحلوقة، وقد تَزَحلَفَ، والزُّحلوفة: آثار تزلُّج الصبيان من فـــوق التَّلّ إلى أسفله.

أقول: وهذا من كلام العامة في عصرنا، وقد خلت الفصيحة المعاصرة منه.

٧٤- زهف:

و"أزهَف الرجل إزهافًا": أخبرَ القوم من أمره بأمر، لا يدرون أحــقٌّ هــو أم باطل...

أقول: وفي قريب من هذا يجري الاستعمال الدارج، في حين تخلــو الفــصيحة الحديثة منه.

٧٥- زهم:

"الزُّهومة": ريح لحم سمين مُنتِن..

أقول: ومثل هذا في عامية أهل العراق، وليس في الفصيحة شيءٌ منه.

٧٦- زهلق:

و"زَهْلَقَ الشيءَ": ملَّسه ...

أقول: وهذا معروف متداول في العامي الدارج في العــراق، يقــال مــثلاً في الفاكهة والخضروات: إنها مزهلقة، وهو علامة الفساد. وليس في العربيــة الفــصيحة المعاصرة هذا.

باب السين

٧٧- سبت:

و"سبَت يَسبُت سَبْتًا": استراح وسكَن.

أقول: وهذا متداول في العامية الدارجة، وليس كذلك في الفصيحة المعاصرة.

٧٨- سبد:

"والسَّبَنْدَى": الجريءُ، وكل جريءٍ سَبَنْدَى وسَبَنْتَى، وقالوا: السَّبنتى هو النمر.

أقول: وهذا كلم قديم، وليس شيءٌ منه في العربية المعاصرة، إلاّ أن في عامية أهل العراق "سَبَنْدَى" للمحتال الخدَّاع الذكي، ويزعم المعنيُّون بالمعرَّب أنه معرَّب فارسي، وليس من دليل.

٧٩- سجر:

و"السَّجْر" إيقادك في التنّور تسجُرُه بالوَقود سَجْرًا ...

أقول: وهذا معروف في عامية العراقيين، ومنهم من يقول: الشَّجْر، بالشين على البدل، في حين يستعمل آخرون الكلمة بالسين كما وردت في العربية القديمة. وليس هذا كله في الفصيحة المعاصرة.

٨٠- سطم:

و"سَطَمَ" الباب: ردَّه كسدَمَه.

أقول: وهذا معروف في عامية أهل القرى في العراق، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨١- سفف:

و " سَفَفْتُ " الخوص أسُفه سفًّا، أي نسجته بعضه في بعض.

أقول: وهذا من الكلم العامي، وليس في الفصيح المعاصر شيءٌ منه.

٨٢- سكر:

وسَكَرَ النهرَ يسكُرُه سَكْرًا: سدَّ فاه، وكل شَقٍّ سُدَّ فقد سُكِر.

والسِّكْرُ: ما سُدَّ به.

أقول: وهذا كله في عامية أهل القرى في العراق، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨٣- سلب:

و"السَّلَب": هو ما سُلِب منك من متاع ونحوه.

أقول: وهذا هو المتداول في اللسان الدارج، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨٤- سلت:

و"سَلَتَ" المِعَى يسلُته ويسلِته سلتًا: أخرجه بيده.

أقول: والفعل عاميّ دارج، وليس شيء من هذا في فصيح العربية في عصرنا.

٨٥- سوف:

و"الساف": صف الحجارة في الجدار.

أقول: وهذا سائر دارج لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة.

٨٦- سيب:

و"سَيَّب" الشيءَ: تركه.

أقول: وهذا في اللغة الدارجة، وتكاد العربية المعاصرة تخلو منه في إعراب المعربين.

باب الشين

٨٧-شخب:

و"الشَّخْب" و"الشُّخْب": ما خرج من الضَّرْع من اللبن إذا احتُلِبَ.

أقول: وهذا ما زال باقيًا في الاستعمال الدارج، وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٨٨- شرم:

و"الشَّرْم": قطع الأرنبة وثَعز النَّاقة، ورجل أشْرَم، ومشروم الأنف ويقال للجلد إذا تشقّق وتمزَّق: قد تشَرَّم.

أقول: وهذا كله معروف في العامية، وغير مستعمل متداول في الفصيح في عصرنا.

٨٩- شطب:

و"الشَّطْب" من الرجال والخيل: الطويل الْحَسَنُ الخَلْق، وجارية شَطْبَة.

أقول: وهذا من الكلم المعروف في العامية، ولكنك قلّما تظفر به في الفصيحة المعاصرة.

٩٠- شعف:

"وشَعَفة" الرجل: أعلى شعره.

أقول: وهذه عامية صريحة في عصرنا، وليس شيء منها في الفصيحة المعاصرة.

٩١- شكو:

و"الشَّكْوة": جلد الرضيع، وهو اللَّبن، وهو السِّقاءُ، وهو مَسْك السَّخلة.

َقول: والشكوة في عصرنا عامية، ولا تقال في الفصيحة المعاصرة.

٩٢- شمخر:

ورجل "شِمَّخْر"، إذا كان متكبِّرًا.

أقول: وفي عامية أهل العراق: الشَّمْخَرة بمعنى التكبُّر والزَّهو. وليس لنا شـــيء منها في العربية المعاصرة.

باب الصاد

٩٣- صكك:

و"الصَّكُّ": الضَّرب الشديد، والصَّكَك: اضطراب الركبتين.

أقول: ومن هذا شيء في العامية في المواطن البدوية. وليس شيء منه في العربية الفصيحة.

٩٤- صوى:

و "الصاوي" من النخل: اليابس، وقد صَوِيَت النخلة إذا عطِـــشَت وضــمرَت ويبِست.

أقول: وهذا من لغة الفلاحين في العراق، لا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

باب الضاد

٩٥- ضبر:

و"الضَّبْر": الشَّدُّ، ومنه الإضبارة، وهي الحزمة من الصحف.

أقول: والضَّبْر كلمة دارجة، وقلَّما نظفر بها في الفصيحة المعاصرة.

٩٦- ضنء:

الضَّنْء والضِّنء بالفتح والكسر: الوَلَد.

أقول: وفي عامية العراق في الجهات الوسطى كلمة "الضَّنَى"، تعني الولد مفردًا وجمعًا، وليس شيءٌ من ذلك في الفصيحة المعاصرة.

باب الطاء

٩٧- طحر:

والطَّحْر والطُّحار: النَّفَس العالي، وهو مثل الزحير.

أقول: وهذا من الكلم الدارج في عصرنا وليس شيء منه في الفصيحة المعاصرة.

٩٨- طرش:

"الطَّرَش": الصَّمَم.

أقول: والطَّرَش من الكلم العاميّ، ولا نجدها في فصيح العربية في عصرنا.

٩٩- طرق:

و"طِراق" النعل: ما أُطبقَت عليه فغُرِزَت به.

أقول: و"الطّراق" هذا من الكلم الدارج في عصرنا، ولا نكاد نستعمل هذه الكلمة.

١٠٠- طفر:

و"الطَّفْر" هو الوثْب.

أقول: الطفر في عصرنا انصرفت إلى العامية، وليس لها مكان في العربية المعاصرة.

١٠١- طلى:

و"الطَّلى": هو الحمَل الصغير.

أقول: وهو معروف في عاميَّات عصرنا، وقلَّما نظفر به الفصيحة المعاصرة.

باب العين

١٠٢- عبط:

و"عَبَط" الذبيحة يعْبِطُها عَبْطًا، واعتبَطَها: نحرها من غير داءٍ ولا كسر.

أقول: ما زال "العَبْط" بهذه الدلالة في اللغات العامية، ولا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١٠٣- عتر:

ورجل "مُعَتَّر": غليظ كثير اللحم، والعتَّار: الرجل الشجاع.

أقول: مازال "عِتْر" في عامية أهل العراق يفيد ما يفيده "المُعَتَّر" في اللغة الفصيحة، إلاَّ أن هذا كله في عصرنا عاميّ، وليس شيء منه الفصيحة المعاصرة.

١٠٤- عكب:

و"العَكَب"، بفتحتين: تداني أصابع الرجل بعضها إلى بعض.

أقول: ومازال هذا في لغة العامة، وليس شيءٌ منه في الفصيحة المعاصرة.

١٠٥- عكرش:

و"العِكْرِش": نبات شِبْه الثّيل خَشِن.

أقول: وهو معروف في عصرنا، وقلما نجده في كتب النبات في عصرنا.

١٠٦- عكش:

و"عكِش" النبات والشعر، وتَعَكَّش: كثر والتفّ.

أقول: وهذا مازال في عامية أهل العراق، ومن صفات الشعر أعكَش، أى ملتف، ولكننا لا نظفر بهذا في الفصيحة المعاصرة.

١٠٧- عمت:

و"العميتة": ما غُزل من الصّوف ...

أقول: هى في عصرنا عامية، لا نعرفها في الفصيحة المعاصرة.

١٠٨- عمم:

و"العمومة": جمع عَمّ.

أقول: وهذا جمع شائع في "عم" في اللغة الدارجة، وليس في الفصيحة المعاصرة، ونظيره الخؤولة والأُبُوَّة والأُخوَّة، والسهولة والخيوطة ونحو ذلك.

باب الغين

١٠٩- غرنق:

و"الغُرنوق" والغِرْنَوق والغِرْنيق، والغِرنيق، و كلُّه الأبيض الشاب الناعم الجميل.

أقول: وهو كذلك في العاميَّة الدارجة، ولكننا لا نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١١٠- غضر:

و"الغَضار": الصُّمغة المتخذة من الغَضارة، وهي الطين الحُرّ.

أقول: و"الغضارة" بمعنى الصُّمغة ما زالت في استعمال أهل القرى في العراق ولكننا لا نعرفها في الفصيحة المعاصرة.

باب الفاء

١١١- فحج:

و"الفَحج": تباعد ما بين الساقين في الإنسان والدَّابة، وقيل: تباعد ما بين الرجلَين، وقيل ...

أقول: والفَحجُ على أنه تباعد ما بين الساقين في الإنسان معروف في عامية أهل العراق، وقد يعسر عليك أن تقف عليه في العربية المعاصرة.

١١٢- فشخ:

و"الفَشْخ" هو اللَّطْم والصفع.

أقول: وهو كذلك في عامية أهل العراق مع خصوصية أن الصَّفْع يصحبه دم، ولكننا لا نجد هذا في الفصيحة المعاصرة.

١١٣- فلج:

و"الفَلَج" بفتحتين، هو الفَحَج في الساقين، أو تباعد القدَمين.

أقول: وهذا معروف في العامية، وغير معروف في الفصيحة المعاصرة.

١١٤- فلع:

و"فَلَعَ" الشيءَ: شقَّه.

أقول: وهذا فاشٍ في الألسن الدارجة، ولا نكاد نقف عليه في الفصيحة المعاصرة.

١١٥- فوع:

وفَوْعة الطّيب، وفوْغته: طيب رائحته تطير إلى خياشيمك.

أقول: وفي عامية أهل العراق هذه الكلمة، فيقال: فاع الطيب، ولكننا لا نجد هذا في العربية المعاصرة.

١١٦- فيص:

جاءَ في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول في مرضه: "الصلاة وما ملَكَتْ أيمانكم، فجعل يتكلم وما يُفيص بها لسانه" أى ما يبين.

أقول: وكأن الفعل "يفيص" يقترن بالنفي. ومثل هذا نجده في عامية أهل العراق، يقولون: فلان ما يحيص ولا يفيص. وهذا الفعل ممّا لا نجده في العربية المعاصرة.

باب القاف

١١٧- قلب:

و"القليب": البئر قبل أن تُطْوَى.

أقول: والقليب في معجم البدو في العراق وهم يقولون: جليب " على البدل، وبكسر الجيم. والقليب من الكلم الذى لا نعرفه في الفصيحة المعاصرة.

١١٨- قرش:

و"القَرْش" هو الكَسْب.

أقول: ومثل هذا شيء في عامية البغداديين، وهو ما لا نجده في الفصيحة المعاصرة.

١١٩- قرص:

و"قرصت" المرأة العجين، تقرُصُه قَرصًا، أي قطعته قرصة قرصة. والقُرْصة أو القُرْص من الخبز معروف.

أقول: وهذا مِمّا بقي في العربية العامية، ولكننا لا نظفر به في فصيح العربية.

١٢٠- قفخ:

و"القفخ": هو الصَّفْع.

أقول: وهذا من عامية العراقيين، ولا يوجد في الفصيحة المعاصرة.

باب الكاف

١٢١-كفت:

و"الكفْت": صرفُك الشيءَ عن وجهه.

أقول: وفي استعمال العراقيين لهذا اللفظ، بالجيم الفارسية، ما يشعر بهذا المعنى، وذلك في عاميتهم السائرة، على أننا لا نجد في الفصيح المعاصر شيئًا من ذلك.

باب اللام

١٢٢- لثق:

و"اللَّثِق" بفتح فكسر: اللَّزج من الطين ونحوه.

أقول: والعامة في العراق تصرف هذه الدلالة للرجل الذي يحمل نفسه ثقيلاً لاصقًا بغيره الذي لا يرغب فيه، وهذا شيء لا نجده في الفصيحة المعاصرة.

١٢٣- لصف:

قالوا: "لَصَفَ" لونه يَلْصِف لصْفًا ولصوفًا: بَرَق وتَلألأ، وأنشَدَ لابن الرقاع:

مُحلّحة من بنات النعام   بيضاء واضحة تلصِف

أقول: إن هذا الفعل في عصرنا من مادة اللغة العامية، وهو شيء لا نظفر به في العربية المعاصرة.

١٢٤- لفق:

وجاءَ في معجمات العربية: أن الفعل "لَفَقَ"، يستعمل في الثوب تلفِقُه، وهو أن تَضُمَّ شقة إلى أُخرى فتخيطها.

أقول: والعامة صرفت هذا الفعل إلى كل تابع من الناس يلحق نفسه بغيره وليس منه، ولا يقال هذا إلاّ عند النبز، ويكاد هذا يقترب من "لثق" الذي تقدم.

باب الميم

١٢٥- مرد:

و"مرَد" الشيءَ: ليَّنه، ومَرَد الخبز والتمر في الماءَ يمرُدُه مرْدًا، أي ماثه.

أقول: وهذا كثيرٌ في الألسن الدارجة، ولا يكاد يُرَى في الفصيحة المعاصرة.

١٢٦- مرق:

و"مَرَق" السهم من الرميَّة: يمرُقُ مرْقًا، ومروقًا: خَرَجَ من الجانب الآخر، و"المُروق": الخروج من شيءٍ من غير مدخله وكان ذلك بسرعة.

أقول: وقد تجاوز أهل جنوبي العراق في استعمال هذا الفعل فقالوا: مَرَق الرجل أي مرّ وخرج. وهذا الفعل لا نكاد نظفر به في الفصيحة المعاصرة.

١٢٧- معر:

و"المَعر": سقوط الشعر، ومَعِرت الناصية معَرًا، وهي مَعْراءُ: سقط شعرها.

أقول: والعامة في العراق قصرَت "الأمعَر" صفة للذئب، وكذلك الأملط "، ولا نكاد نجد الصِّفة بهذا القَصْر في العربية المتداولة.

١٢٨- ملح:

و"الأملَح": الأبلق بسوادٍ وبياض، والمُلْحة من الألوان: بياض تشوبه شَعَرات سود.

أقول: ولا نكاد نظفر بهذا في ألفاظ الألوان في العربية المعاصرة، ولكنه معروف في عامية أهل العراق.

١٢٩- ملط:

انظر: "معر".

باب النون

١٣٠- نتش:

و"النتش": النتْف للحم وغيره، والمِنتاش: المنقاش، والنَّتْش: إِخـــراج الـــشوك بالمنتاش، ونَتَشتُ الشيء بالمنتاش أي استخرجته.

أقول: وهذا شيء لا نقف عليه في الفصيحة المعاصرة، ولكنه كثيرٌ في الألـــسن الدارجة.

١٣١- نشش:

و"نَشَّ" الماءَ يَنِشُّ نَشًّا ونشيشًا: صوَّت عند الغليان أو الصَّبّ.

أقول: وهذا من المصادر الدالة على الصوت، ولا نكاد نظفر به إِلاّ في العاميــة الدارجة.

١٣٢- نغف:

و"النَّغَف" بفتحتين: ما يُخرجه الإِنسان من أنفه من مخاط يابس.

أقول: وهذا من المنسي المهجور في العربية المعاصرة، ولكنه معروف في عاميــة أهل القرى في العراق.

١٣٣- نقز:

و"النَّقْز" و"النَّقَزان": هو الوَثْب والقفز.

أقول: وهذا نظير "الطَّفر" الذي ابتعد عنه المعربون في عـــصرنا؛ لـــشيوعه في العامية.

باب الهاء

١٣٤- هوش:

و"هاشت" الإبل: نفرت، والهَوْشة من ذلك.

أقول: وهذا مّما يردّد العامة في نفرة الناس واضطرابهم، ولا نكاد ذرى شيئًا منه في الفصيحة المعاصرة.

باب الواو

١٣٥- وذر:

و"الوَذْرة"، بالتسكين، من اللحم: والقطعة الصغير مثل الفِدرة والبَضْعة.

أقول: و"الوذرة" في كلام العامة بكسر الواو بهذا المعنى، وهي من ألفاظهم التي لا تظفر بها الفصيحة المعاصرة.

١٣٦- وغر:

و"الوَغْرة": شدَّة توقُّد الحَر.

أقول: وهذه كلمة أخرى اختصت بها العامية دون الفصيحة في عصرنا.

خاتمة:

أقول: هذا موجز ما انتهى إليه حفظي واستقرائي وبحثي في لغـــات العـــراقيين العامية، وأنا واثق أن لدى أهل الأمصار الأخرى شيئًا نظير هذا.

* * *

العاميّ الفصيح

شذور من وحي هذا العنوان(*)

للدكتور أمين علي السيد

(عضو المجمع)

من الحقائق التاريخية التي لا يجهلها أحد أن الإسلام دخل إلى مصر قبل فتح عمرو بن العاص لها، وأن تجار العرب المسلمين كانوا دعاة لدينهم قبل أن يكونوا دعاة لتجارهم، وأهم كانوا يعبرون أرض مصر ليذهبوا إلى السودان، وكانوا يتركون الأثر المحمود والقدوة الصالحة في كل مكان ينزلون به، ويغلب على الظن أهم كانوا يعرفون شيئًا من لغة الناس الذين يتعاملون معهم، أو أن هؤلاء الناس كانوا يعرفون شيئًا من اللغة العربية، أو أن الترجمة والمترجمين والوسطاء كانت وسيلة التفاهم بين الفريقين، ومما يستأنس به هنا كتاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المقوقس ورده الكريم عليه.

ومهما يكن من أمر فإن الإسلام قد انتشر في السودان عن طريق التجار المسلمين الذين وفدوا على أهله لترويج تجارهم،فراجت تجارهم، وسبقها إلى الرواج دينهم الذي يتمسكون به ويحافظون على تعاليمه في كل أرض يحلون بها.

لقد كانت هناك وسيلة ما من وسائل الاتصال بين البائع والمشتري، وكانت إقامة بعض التجار ورغبتهم في استمرار الإقامة، وكانت الفطرة التي فطر الله الناس

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة التاسعة من جلسات مؤتمر الدورة السادسة والخمسين، المنعقدة يوم الأربعاء الموافق ٧ من مارس سنة ١٩٩٠م، ونشر بمجلة المجمع بالجزء السادس والستين، ص ١٦٨، **اكتفينا من هذا البحث بنشر المقدمة النظرية فقط**، وقد ورد ضمن هذا البحث تطبيق على حروف،من: (**الهمزة – الثاء**)، وقد نشرت بقية الحروف تباعًا فيما بعد، مرتبةً على حروف المعجم، انظر بجلة المجمع، الأعداد: ٧٠/٢٠٥ :٢٢٩ (**الجيم، والحاء**) - ٧٣/١٠٩ :١٦١ (**الخاء - الراء**) ٧٦/٢٠٥ : ٢٤٦ (**الزاي – الضاد**) ٨٥/ ٩٣ : ١٤٣ (**الطاء – العين**) – ٨٨/١٩١ : ٢٢٠ (**الغين – الفاء**) – ٩٢/١١٣ : ١٥٤ (**القاف، الكاف**) – ٩٩/ ٢٥ : ٤٩ (**اللام – والميم**) ١٠٤/ ١٨٧ : ٢١٥ (**النون – الياء**)، وقد جمعت في معجم، سيصدر عن المجمع، بعنوان: "**العامي الفصيح من المعجم الوسيط**".

عليها، وكانت القربى التي تجمع بين المسلمين والراغبين في الإسلام كل ذلك مهد لانتشار اللغة العربية في مصر والسودان قبل فتح مصر، وإن كان انتشارًا محدودًا في نطاق ضيق، ولكنه إرهاص بما كان بعد الفتح، فقد توافد المسلمون على مصر من شبه الجزيرة بعد أن استتب الأمر ورغبوا في الإقامة بها، وانتشروا في أصقاعها، واستقر في كل صقع جماعة ممن ينتسبون إلى إحدى القبائل العربية يحفظ بعضهم سلسلة النسب إلى يومنا هذا.

ومن المسلم به عند كل من درس تاريخ الإسلام في مصر والسودان أن القادمين من المسلمين لم يُكرهوا أحدًا على أن تكون اللغة العربية لغته، كما أنهم لم يُكرهوا أحدًا على الدخول في الإسلام.

وقد دخل الناس في دين الله أفواجًا فأقبلوا على اللغة العربية يتعلمون من أصحابها أمور هذا الدين ويتفقهون فيه، وقد لمسوا من سلوك المسلمين روح العدل والإنصاف ووجدوا في الكتاب والسنة غذاءَ العقل والروح.

يقول "يوهان فك" في كتابه "العربية" في الصفحة التاسعة منه ما خلاصته: "إن الذين يلتحقون بالجيش العربي من غير العرب لأداءِ بعض الأعمال يخلقون مشكلة لغوية غير هينة، إذ لابد أن تنشأ لغة للتفاهم بين الفريقين، هذه اللغة تستعين بأبسط وسائل التعبير اللغوي وتبسط المحصول الصوتي وصوغ القوالب اللغوية، ونظام تركيب الجملة ومحيط المفردات، وتستغني عن التصرف الإعرابي ومراعاة أحوال الكلمة، وتضحي بالفرق بين الأجناس النحوية وتكتفي ببعض القواعد الثابتة، للبيان عن المقصود.

وكذلك تحدث عن مثل هذا اللغوي المجمعي المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في الصفحة العشرين من كتابه (في اللهجات العربية) فقال:

الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضًا يتكلم أهلها لغة أخرى، فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة، وتكون النتيجة عادة إما القضاء على إحدى اللغتين قضاءً يكاد يكون تامًّا، أو أن ينشأ

من هذا الصراع لغة مشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة وتشتمل على عناصر من هذه وأخرى من تلك.

ولكن الأستاذ لم يضرب أمثلة لما تحدث عنه من نتائج الصراع اللغوي، ولعل من أظهر الأمثلة لذلك حال اللغة العربية في انتصارها بمصر دون إكراه ولا إجبار، و لم يكن لها سند في هذا إلاّ الدين الإسلامي.

وقد بين ابن خلدون في الصفحة (٣٧٩) من مقدمته علاقة الدين باللغة، وكيف كانت تسود اللغة العربية في كل وطن استقر فيه الإسلام وذلك في قوله:

والدين إنما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب؛ لما أن النبي - صلى الله عليه وسلم- عربي، فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الألسن في جميع ممالكها ... لأن الناس تبع للسلطان وعلى دينه، فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الإسلام ... وهجر الأمم لغاتهم وألسنتهم في جميع الأمصار والممالك ... وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم ... وربما بقيت اللغة العربية المصرية بمصر والشام والأندلس والمغرب لبقاء الدين.

وفي الجزء الأول من البيان والتبيين للجاحظ في الصفحة (٣٦٨) يقول:

"واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها".

ولاشك في صدق كلام الجاحظ، ولكن الضيم الذي أصاب كل واحدة من اللغتين في مصر كان مقصورًا على لغة التخاطب التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية، أما اللغة العربية التي أقبل المسلمون الجدد على معرفتها، فقد كانت مصونة ممَّا جعلها طيعة على ألسنة هؤلاء المسلمين، يتلقونها راغبين فيها، ويتناقلونها فيما بينهم ويجلسون إلى العلماء في جامع عمرو بن العاص يأخذون أحكام الشريعة بلسان عربي مبين. و لم تلبث مصر أن أصبحت مركزًا حضاريًا إسلاميًا في أواخر القرن الأول الهجري، فقد بدأ تاريخ النحو في مصر على ما في طبقات أبي بكر الزبيدي مبكرًا، فقد

كان الرجل حريصًا على تدوين هذا، ومما دونه أن ولاّدًا كان يأخذ عن رجل من أهل المدينة، ثم سمع بالخليل فرحل إليه وأخذ عنه وسمع منه ولازمه. وقد ذكر الزبيدي المتوفى (٣٧٩هـ) في طبقاته ثلاثة عشر نحويًا في مصر قسمهم إلى ثلاث طبقات، كانت الطبقة الأولى ثلاثة وفي كل من الثانية والثالثة خمسة.

ولا يستطيع أحد أن يقول: إن لغة التخاطب في مصر بعد الفتح كانت اللغة العربية الفصحى، ولكنها كانت لغة ناتجة من الصراع الذي سبق بيانه.

ومن القضايا المسلمة في التاريخ أن موطن اللغة العربية حيث يستقر الإسلام وحيث ينتشر، ولهذا انتقلت اللغة العربية إلى مصر مع العرب الخُلّص الذين استقروا فيها واستوطنوها.

وقد خالط المسلمون العرب أهل البلاد مخالطة حياة مستقرة ومخالطة معايشة، دائمة، ولم يكن بدٌّ من أن يتبادلوا الحديث في كثير من الأمور، كما لم يكن بدٌّ من أن يتخذوا منهم جلساء ومقربين يثقون فيهم ويستشيرونهم في أمور الدولة التي تعتبر جديدة بالنسبة لهم.

وبهذه المخالطة والامتزاج كان التلاقي بين اللغتين في أثناء تبادل المنافع، واللغة العربية لغة الطرف القوي كانت تتحول على ألسنة هؤلاء الداخلين في الإسلام، أو هؤلاء المعاونين للمسلمين الوافدين إلى لغة أخرى يمكن تسميتها اللغة العامية، وهذه اللغة العامية التي جدت لها سمات منها:

١- يندر فيها الإعراب، فيلجأ المتعرب إلى تسكين أواخر الكلمات، كما قد يلجأ إلى ضبطها بحركات لا توافق قواعد اللغة.

٢- تختل قوانين التصريف بالنسبة لها في كثير من الكلمات، مع مخالفة ما تقتضيه القواعد فتحذف بعض الحروف أو تزاد، وتغير الصيغ، وتختل الأوزان ويكثر القلب المكاني وغيره مما يحتاج إلى دراسة واستقصاء.

٣- تمتاز اللغة الجديدة بحرية النحت والاشتقاق والإبدال والإعلال والتصحيح فيما يجري على ألسنة العامة.

٤- وتجد من حقّها إدماج بعض الكلمات في بعض من غير قاعدة ولا ضابط.

٥- وكثيرًا ما نرى المزج بين اللغتين واستخدام مفردات إحداهما بدلاً من مفردات الأخرى ويظهر هذا في تكوين الجمل وما يتخاطب الناس به وما يكثر دورانه على الألسنة في الحياة اليومية.

٦- وفي هذه اللغة الناشئة يمسخ النطق ببعض الحروف لعدم تعود الألسنة عليها.

٧- وتنعدم فيها قواعد النحو في ترتيب المفردات عند تركيب الجملة.

٨- ولا تهتم اللغة العامية بصحة استخدام الضمائر وأسماء الإشارة وغيرهما.

٩- كما لا تهتم بالمطابقة التي تلزم في كثير من التراكيب.

١٠- ولابد أن يحاول كل من الطرفين القرب من الطرف الآخر لتبادل الآراء وقضاء المصالح، حتى تؤدي اللغة مهمتها التي وجدت من أجلها.

أما اللغة العربية الفصحى فقد تمكنت بالتعليم فكان من المصريين علماءُ في النحو واللغة كما تقدم، وكان منهم حفّاظ للقرآن الكريم وعارفون بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان منهم شعراء وكتاب ومعلمون.

هذا تقديم لابد منه، وعندما وضع المجمع "العاميّ الفصيح" ليكون مجالاً لبحوث هذا العام في المؤتمر قدمت اقتراحًا إلى مجلس المجمع الموقر قلت فيه:

إن الأبحاث التي ستعد فيه من زملائنا خارج جمهورية مصر ستفيد في أن تضيف إلى ما يعده الإخوة المصريون كثيرًا من الألفاظ والأساليب التي توضع تحت هذا العنوان مما يجري على الألسنة في لغة التخاطب في بلادهم ووضع ما يجري على ألسنة العوام من الفصيح في أبحاث مجمعية من شأنه أن يرفع مستوى لغة التخاطب وأن يخلق الثقة في نفس رجل الشارع، وأن يشعره بأن مفردات كثيرة من لغته تنتمي إلى اللغة

العربية الفصحى، أو إلى لهجة من اللهجات العربية التي وفدت إلينا على ألسنة العرب الخلّص الذين نـزحوا من شبه الجزيرة واستقروا في مصر. وهذا الإحساس كفيل بأن يقرب بين العامية والفصحى.

وبعد هذا قدمت اقتراحي بأن توزع حروف الهجاء الثمانية والعشرون على السادة الأعضاء ثم يختار كل منهم معجمًا من المعاجم، ابتداءً من المعجم الوسيط وانتهاءً بلسان العرب لابن منظور، ثم يقرأ المادة التي اختارها في أحد المعاجم ويضع يده على ما أراده من إحصاء العامي والفصيح ودراسته وتأصيله. وتخيلت أننا لو قمنا بهذا العمل أخرجنا معجمًا قريبًا من الكمال للعامي الفصيح يصلح للتداول ويستعان به على تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وقد وجدت أن عدد صفحات المعجم الوسيط (١١١) وافترضت تقسيمها إلى عشرين عضوًا، يكون نصيب الواحد منهم حوالي (٥٠ - ٦٠) ولما لم يتم هذا الذي وضعته بين الزملاء أعضاء المجلس رأيت أن أبدأ بنفسي فأطبق هذا الاقتراح لعلي أستطيع عرض شيء يمكن قبوله، أو يمكن أن يحاكى، أو يدخل عليه ما يرى المؤتمر من تعديلات، وأمنيتي أن يكون هذا الموضوع نفسه هو موضوع المؤتمر في العام القادم حتى يتم هذا الأمر النافع ويخرج للناس صادرًا عن المؤتمر القادم **"معجم العامي الفصيح"**.

وقد جعلت المعجم الوسيط أساسًا للاختيار فقرأت باب الهمزة وباب الباء وباب التاء وباب الثاء، وخرجت منها بالمفردات الآتية التي دونت في المعجم الوسيط وأكثرها يجري على ألسنة العامة صحيحًا فصيحًا وبعضها يصيبه شيء من التغيير بينته في أغلب الألفاظ.

* * *

حول العامي الفصيح(*)

للدكتور عبد الله الطيب

(عضو المجمع)

قال أبو العلاء المعري في إحدى كلماته الجيادِ من ديوانه "سقط الزند":

أُودِّعكم يا أهل بغداد والحـــشى   على زفراتٍ ما ينين من اللَّذْعِ

وما الفصحاءُ الصيد و البدْو دارها   بأفصح يومًا من إمائكم الوكع

الفصاحة: جمال اللغة. وفي الحواضر يكون ذلك في دور العلم، وعند علية القوم، الذين تهيئ لهم طبقتهم العالية سبل التفرغ إلى تحصيل الجمال، وما يظن أنه من درجات الكمال.

وفي البادية يكون ذلك هو الوجه في كل ضروب التكلم و المخاطبة؛ لخلو حياة البادية من كدح حياة الحواضر، وإنما هو المرعى، والحل والترحال، ودرء الغارة، وقرى الضيف، والتمدح بالمآثر.

وقد نص العلماءُ القدماءُ على أن حياة الحواضر، ومخالطة بلاد العجمة كل ذلك مما يُدْخِل على أسْر اللغة اللين و اللحن. وكان أهل حواضر العرب الكبرى في الجاهلية يرسلون بنيهم إلى البادية ليألفوا هواءها وماءها، وتمرت أشداقهم بفصاحتها، ذكــروا ذلك عن قريش وعن ملوك الحيرة، ووصفوا الطائف بلين الأشعار، واستثنوا المدينة، إذ كان أهلها مع أنهم قطّان آطام، أهل قتال وفلاحة، وكأنهم في بادية، وإنما كان يمثـــل جانب الحضارة ما كان بقريتهم من يهود.

وكان أهل حجر وناحيتها بادين، مع كونهم أهل نخل حاضرين.وذكر التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة أن العرب كانوا في بداوتهم حاضرين، لما كان يجمع بينهم من مواســم التجارة والحج والأسواق، وما كانوا يقيمونه في تلك المواسم من لقاءات البلاغة والبيان.

وفي عصرنا هذا الحاضر غلب جانب التحضر: بمعنى سكنى المدن و العكــوف على ضروب نصبها وكدحها، وبمعنى مخالطة العجمة التي طما بحرها واستفحل أمرها.

(*) ألقي البحث في الجلسة التاسعة، من جلسات مؤتمر الدورة السادسة والخمسين، والمنعقدة يوم الأربعاء، الموافق ٧ من مارس سنة ١٩٩٠م، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء السادس والتسعين، ص ١٩٠.

أكثر العامي الذي في المدن الآن ليس بفصيح، وكانت من الفصاحة بقية باقية بين النساء حين كانت حضارة العصر بعيدة عنهن، بحكم ما كن عليه من بداوة حياة الحجاب ومحافظتها، وقلة اختلاف أكثرهن إلى المدارس الحديثة الآن، الحال على خلاف ذلك.

اللغة الفصيحة و العامية في أصلها شيء واحد. وكان يفرق بينهما دوي نطق الكلام. فالناس حين يتكلمون تغلب عليهم أساليب من العجلة، فربما بتروا الكلمات أو أدخلوا بعضها على بعض.

روى ابن جني "في المحتسب" أنه سمع امرأة تلوم بناها؛ إذ رأهن يتحدثن إلى رجل أو رجال غرباءَ، فقالت:"**أفِسَّوَتِنَّتن**" أي أفي السوأة أنتن؟ - سهلت ونقلت وأدخلت كلاماً في كلام.

وفي الحديث: أهم كانوا يسمعون دوي كلام وافد، وفد على رسول الله- صلّى الله عليه وسلم - ولا يتبينون ألفاظه. وبعض العرب يقولون الآن: يدوي ويهدر، يعنون يتكلم، كما يقول بعضهم: يحكي و ينطق، وفي عاميتنا ينضم، أي ينظم. وأرى أن تفسير قول أبي حية:

إذا هنَّ ساقطن الحديث كأنه　　　سقاط جنى المرجان من كفٌ ناظم

يستقيم عليه حقًّا، على طريقة ما يسميه البديعيون بالاستخدام، أي ممن ينظمه فيساقطه في سلك النظام حبة بعد حبة؛ أو من كلام متكلم، كأن كل كلمة جمانة يساقطها من فمه، ومع ذلك إشارة الكف، كما قال امرؤ القيس:

تصدُّ وتبدي عن أسيلٍ وتتَّقي　　　بناظرة من وحشِ وجرّة مُطْفل

وتعطو برخْص غير شثنٍ كأنه　　　أساريع ظبي أو مساويك إسحل

ومِمَّا يجري مجرى "أفسوتنتن" الذى رواه ابن جني: في مألوف عامية الجعليين، من قبائلنا: "**موحجغَل عليك**"، أي: "ما هو حاجًا غلا عليك"، أى أنت أهلُ لهذا و أكثر.

والشبه بين هذا وبين "أفسوتنتن" إدخال الكلام بعضه في بعض: ما هو صارت موحاجاً غلا: التحم أولها، بآخرها من طريق تخفيف مدة الألف.

وقريب من هذا ما هو مألوف في سائر لهجات عاميتنا من قولهم: **"أمانه ما قال"** **"أمانه ما هو كضاب"** أو مو كضاب، أى أما إنه ما قال. أما إنه ما كضاب. وما الثانية عماد، وهي التي يقال لها: الزائدة، كقولهم: شر أهرَّ ذا ناب. وما نُسب إلى تأبط شرًّا من قوله:

خبر ما نابنا مصمئل   جلَّ حتى دقَّ فيل الأجلُّ

وقال تعالى- جلّ من قائل-:﴿جُنْدٌ ما هُنَالكَ مهْزُومٌ مِنَ الأحْزَاب﴾.

وليس المراد بأمانهْ هنا لفظ الأمانة، على أن "أمانة" كثيراً ممّا تقع في مجرى الكلام العامي، بمعنى القسم كقول الأطفال:

أمـانـة عليك   تقـدد عينيـك

هذا يقولونه في لعبة كم في الخط، يخط أحد الصّغار خطًّا، ويكتب فيه رقماً، أو يخفي شيئًا، ويصيح:

- هى لبْلَبْ، أي ياتُيَيْس كم في الخط ؟

ويخمن الولد الآخر كم في الخط، فيقول مثلاً: - عشرة.

ويكون المكتوب اثنين، فيقول الأول: - **كضباً كاضب.**

أي كذباً كاذب، أي أنت كاذب كذباً.

والمفعول المطلق كثير في استعمالنا العامي: مشى مشياً سمح أي سمحًا وجرى جَرْياً شديد، و الآن يقول المتحضرون: جرى جري شديد، وربما لم يقولوا هذا، واكتفوا بيعمل جوقنق، فسبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

وكانت الذال في عاميتنا تصير نوعاً من الضاد، وكان **ممّا يستعمل المصدر النادر فِعّال وتِفِعّل** كأنه معدول به عن **تَفَعُّل**، ومنحو به إلى **تِفِعّال وتدخل الْفِعّال الإمالة**. والْفِعّال في القرآن، قال تعالى:﴿وكَذَّبُوا بِآياتنَا كِذّاباً﴾، وفي عاميتنا نقول: **هو بيكضّب**

كضّيب، الياء رمز الإمالة هنا، بعد الضاد المشددة. وهو **يفرقن فريق أي** يفرِّقهم **فِرَّاقاً**، أي تفريقاً. وتصير ميم الجمع المذكر نوناً، فإذا أرادوا النسوة قالوا: **يفرِّقِنْ**، كسروا ما قبل الآخر.

وما زالت عندنا **نون النسوة** في استعمال اللهجة القديمة الصحيحة: **يَمْشن يمْشِن**، أي يمشين، **يَجَنْ، يجِنْ**، فمن قال: يمْشَن كأنه اَختزله من يَمْشَيْنَ، كقولك: يَسْعَيْن كأن أصله عنده: مَشَى يمشي بالفتح مع أنه إذا لم يسنده إلى ضمير متصل لا يقول إلاّ مشى يمشي بالكسر والياء، وجرَى يجرِي **وهِنْ يَجْرِنْ**.ومن قال: **يَمْشِنْ ويَجِن** جاءَ به على الأصل، وماعدا أن قصَّر الحركة. وما كان أحد عندنا يقول: البنات حضروا، أو قالوا، ولكن جعل هذا الاستعمال يفشو الآن في المدن الكبيرة.

وأوشك المبني للمجهول أن يهمل، وكنا نقول: من فعل كذا **يَضربَ، ويقْتل**: أي يُضْرب ويُقتلَ، **وضِرب وقِتِل**، أى ضُرِب وقُتِل. والآن يقال: **ضربوه وقَتَلوه**.ومِمَّا كان يجري مجرى المفعول المطلق نصب الأسماء وتنوينها لضرب من التوكيد كقولهم: **هو راجلاً طيِّب** - يختلسون كسرة الجيم، حتى تكاد تكون أو تكون سكوناً، وكأن هذا الضرب من الاختلاس السكوني، كان له أصل قديماً، وببعضه أخذ قراء القرآن، وقد عرضت لأشياء منه في كلمة لي منذ زمان في هذا المؤتمر الكريم، مثل: **يخصِّمون** في قراءَة أبي جعفر، ونبَّه ابن رشيق على بيت سيبويه الشاهد:

كأنها بعد كلال الزاجر ومسيحه مر عقاب كاسر

وراجل، كأنها أصل في رجل ؛ يدلك على ذلك قولهم في تصغيرها في الفصيح "رُوَيْجل"، وبعض العرب يقولون: "**رجال**"، وكأنه صيغة المبالغة من "راجل"، ومنه اسم الرجَّال بن عنفوة أخي بني حنيفة. ويقال في عاميتنا: **الرجاجيل**، جمعاً للرجال وأكثر ما تقول ذلك النساء.

وعندي، لعله كان مذهباً للعرب أن ينونوا، لا يبالون أكان ذلك نصباً أم غيره في باب التنبيه والتوكيد، قال الشاعر:

بـــدا لي أني لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائيا

ورُوي عن رؤبة: خيرٍ إن شاءَ الله.

وقال أُمية بن أبي عائذ:

ويـــأْوى إلى نسوة عطـــل وشُعثاً مراضيع مثل السعالي

فيما رووا من وجوه إنشاده.

والبداوة غالبة على أهل قرانا، ومعها الفصاحة، وألفاظ ممَّا يبحث عنه في المعجـــم تدور على ألسنتهم، كقولهم: **جانا سكة عُمي**، أي نصف النهار، يجعلون الصاد سيناً، وهذا من القلب كثير، ونحومنه قلب الهمزة عيناً. و أكثر الجعليين والشايقية، والرباطات وغيرهم كانوا إلى عهد قريب يقولون: **الله يسعك**. **وسعلني سُعال نكير**، ويقولـــون: **كعب**، أي: ذو كأبة، تصير الهمزة عينًا، ويقولون: **ناس فلان أخـــذهم العيمـــة**، أي أخذهم، كأنهم أدغموا ثم حذفوا الهاءَ كإدغام **نبتّ**: في نبذت، **وأختّ**: في أخـــذت، **والعيمة**، أي شهوة اللبن والعطش إليه، كالقوم، أي شهوة اللحم، ويقولون: **قرمان**.

ومن الكلمات الدائرة في أكثر العامية المستعملة الآن في بلاد العـــرب: **جُغْمـــة**، **وجغيمة**، وأحسبها من تحويل الدال جيمًا، كما تحول الجيم دالاً، كقـــولهم: **دحـــش** ودحيشَ في جحش وجحيش، **وحلُوف**، بمعنى الخنزير البري، في أكثر العاميات، وليس في المعجم ما يدل عليها إلاّ أن تكون محرفة من قلوب. وقد تصير الباءُ فـــاء، ولا أدرى أتصير القاف حاء؟ وليس بأبعد من صيرورة الخاء جيمًا، كما صار في بعض لهجـــات المغرب، وكما في اللغة الإسبانية، حيث يقال: خوزي ليوسف، صارت الياءُ جيمـــاً ثم خاء. ويسمى الجزر: **خزو**، في المغرب. ونقول: **دابه جاي**، أي هو بسبيل أن يجـــيء، كما يقال في مصر: **زمانه جاي**، **ودابهْ يجي**، في المغرب، أي سيأتي قريبًا، وفي قراءَة من قرأ (تزرعون سبع سنين دَأْبا) أو دَأَبًا، فسره الطبري بقول امرئ القيس:

كدأبك من أمِّ الحويرث قبلها وجارتها أم الرّباب بما سل

أي على عادتكم فيما مضى.

وفسره الزمخشرى قال: بسكون الهمزة وتحريكها، وهو مصدر دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي دائبين إما على تدأبون دأباً، وإما على إيقاع المصدر حالاً بمعنى ذوي دأب، وهذا الوجه شبيه بـ "دابا" المستعملة الآن في وجه المعنى والله تعالى أعلم.

ومن العامي الفصيح في أكثر لسان العرب الآن إمالة المثنى في قولنا: **كتابين، وولدين** يلزمونه هذه الحال رفعاً ونصباً وجرًّا، ففي الرفع تمال الألف، وفي الحالتين الأخريين، تمال الفتحة، وهذا باب واسع.

ونقول: طخا، أي سحاب متفرق مفرده: طخاة، وفي القاموس طخاءة، ونقول: طخاية، وهذا من باب الإبدال، والتسهيل في عاميتنا كثير، ومن سهل الهمزة، فقد يحذفها بعد التسهيل، ويزيد في مد ما قبلها، وعليه قراءة ورش في نحو: ﴿ثم إذا شاءَ أنشره﴾، أثبت الأولى ومدها مكان الثانية، وقد تحذف حذفاً كما رُوي عن أبي عمرو، وقالون.

ونقول: قَنَّب، أي قعد، ورواه قطرب في كتاب الأزمنة، وقَعد يسوّى بمعنى صار يفعل كذا وكذا، وفي الشواهد النحويَّة: أرهف شفرته، حتى قعدت، كأنها حربة.

وأمثال **حدبه، وقلت، وعِدّ، وثَمد**، كثيرة، يقولون: **تَمد**، ويقول الدناقلة - لنوع من التمر: "**بتّعوده**"، وكنت أحسبها نوبية خالصة ثم بدا لي، وسألت فلم تفسر لي - تفسيراً شافياً. وزعم بعضهم أن هذه التمرة يقال لها: "**بتمودة**"، أي "**بنت الموضة**" وهذا باطلّ، ويقال للتمر بلغة دنقلة: **بَت، وبنَت**، فيما ذكروه، وفي العربية البث: التمر المتفرق، وتصير الثاء تاء، قلباً كثيراً في عاميات كثيرة، وجاءَ منه في العربية وقصة الخليل مع الأصمعي في: **الكثير الخبيت**، معروفة.

فلَمْ أشكَّ أن "بتمودة" أصلها عربي، أي بت ثمودة، أى بت ثمادة، أي ثمودة أو ثمدة أو قل ثمدة كما نقول في عاميتنا العربية. وسألت من بعد فعلمت أن - "بتمودة" تعد أرقى من البركاوي وهوتمر شديد الحلاوة، وهما يتشابهان في الهيئة فيفرق بينهما بأن "بتمودة" ترسب في الماء في لحال.

وهذا الباب، بعد واسع، كما يقول صاحب الكتاب، ووددت لو كان المجال يتسع للذي يقال له أو يظن أنه فصيح، و إنما هو لحن، كقولهم: **مدراء** وهو فاسد وكقولهم: **أثرانا، ويثرينا**، والفعل لازم أثرى، أي صار ذا ثراء، وقال تعالى: ﴿وأَنَّهُ هُــو أَغْنَــى وأَقْنَى﴾ فلا أدري لِمَ يعدل الناس الآن عن هذا المنهج القرآني؟

والحمد لله على ما قضى: ومنا بذلك الرضا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ألفاظ ومعانٍ ليست في الفصحى، ولكنها من الفصيح وألفاظ ومعانٍ يعزّ على الغيارى رؤيتها في المعجمات العربية[*]

للدكتور عدنان الخطيب

(عضو المجمع)

١- مراجعة الماضيات:

إن البحوث التي نتطارحها، ونتداول الرأي فيها قد يرد فيها أو عليها، من نظرات وآراء، وكلها تدور حول "**العامي الفصيح**" إنما غايتها تحقيق ما نصبوا إليه بأكثريتنا من إنماء العربية ورفد معجمها بألفاظ ومعان جديدة من الفصيح، إثباتًا لحيويتها وقدرتها على مواكبة الحضارة المعاصرة.

لقد كانت العربية في عصور خالية لا تحجم عن توليد الألفاظ والمعاني، وعن استحداثها من جذور عربية تارة، وعن تعريبها أو ترجمتها من لغة أعجمية تارة أخرى، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، حتى كانت معاجم المتأخرين من العلماء تعج بالألفاظ والمعاني المولدة والمحدثة والمعربة والدخيلة.

أنا مازلت أذكر وقفة زميلنا الكبير محمد بهجة الأثري، وكان يجلس بالقرب مني[١] ينقد قرار اللجنة المختصة بأن من معاني فعل "صمد" ثبت واستمر، فإذا به ببيانه وذلاقة لسانه يستميل عددًا من المؤتمرين نحو تأييد رفض القرار؛ لأنه يخالف المعنى القرآني للفعل وهو القصد والإخلاص للمعبود[٢]، فاقترح الشيخ الجليل المغفور له محمد محيي الدين عبد

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الثالثة من جلسات مؤتمر الدورة السابعة والخمسين، يوم الثلاثاء الموافق ١٢ من فبراير سنة ١٩٩١م. ونشر بمجلة المجمع، بالجزء السبعين، ص٧٥.

(١) كان ذلك سنة ١٩٧٢ في إحدى جلسات مؤتمر الدورة الثامنة والثلاثين.

(٢) انظر معنى الفعل في معجم ألفاظ القرآن الكريم وهو من مطبوعات المجمع.

الحميد إعادة القرار إلى اللجنة المتخصصة لتمتينه[١] ولكن أحدًا من أعضاء اللجنة لم ينبس ببنت شفة، ويقول بأن المعنى المقترح مثبت في المعجم الوسيط، بحجة قوية على فصاحته، إلى جانب الشائع المشهور عن صمود أطفال الحجارة وعن جهود دول المواجهة والصمود، وتدخلت الحكمة في الإدارة التي طبعت تصرفات الرئيس الجليل الدكتور إبراهيم مدكور، فأخفق الرد، وحاز تأييد قرار اللجنة على أصوات الأغلبية[٢].

أما ما يتصل بإثبات المعجم الوسيط للمعنى الشائع لفعل "فشل" وهو أخفق، بينما معناه القرآني "تراخي وجبن" فكان موفقًا.[٣]

وكان مني في العام الماضي أن اقترحت على مؤتمركم الموقر الموافقة على إثبات المعنى الشائع الفصيح لكلمة "بطانة" تمييزًا له عن المعنى "الحاشية"[٤].

وقد انبرى لإسقاط اقتراحي زميلان من أعز الزملاء عليّ، تساءل الأول قائلاً: البطانة كلمة قرآنية، فما هذا الاقتراح؟ والجواب على تساؤله يجده في قرارات المؤتمر السابقة[٥].

أما الزميل الآخر، فقال ما معناه: البطانة كلمة عثمانية، تغني عنها كلمة "الحاشية" العربية، ولو عرف- حفظه الله- أن الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ أي قبل أن يرى مؤسس الدولة العثمانية النور، هو الذي ميز بين معنى الحاشية ومعنى البطانة - ولست أنا - لعدل عن اعتراضه على ما أظن[٦].

---

(١) انظر محاضر الدورة الثامنة والثلاثين، ص٢٤٢.

(٢) كانت الحكمة من عدم الإشارة إلى إثبات الوسيط للمعنى هو خلوه من الإشارة إلى موافقة المجمع على إثباته ومن الغريب أن الطبعة الثالثة من الوسيط لم تشر أيضاً إلى قرار المجمع المشار إليه.

(٣) أثبت الوسيط في طبعاته الثلاث بعد ذكر المعنى القرآني ما يلي: فشل في عمله – أخفق "مج"، أضافت الطبعة الثالثة: فهو فشل وفشل "ج" أفشال.

(٤)كان ذلك في جلسة المؤتمر الثانية المعنقدة بتاريخ ٢٧ من شباط "فبراير" ١٩٩٠.

(٥) هو الزميل المحترم الدكتور الشيخ محمد نائل أحمد.

(٦) انظر كتاب آداب للثعالبي تحقيق جليل العطية، وقد طبعته دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٩٠ في بيروت، بمعونة من منظمة "اليونسكو".

ولا تفوتني هنا الإشادة باللجنة المشرفة على المعجم الوسيط، فقد كانت جريئة في إثبات الفرق بين المعنيين[١]، دون انتظار موافقة المؤتمر على ذلك[٢].

٢- المعجم الوسيط والألفاظ العامية:

إن أنس لا أنس موقف الزميل المحترم الدكتور يوسف عز الدين، بعد أن حدثنا في جلسة مؤتمر سابق[٣] عن أمنية له أن يرى معجمنا الوسيط وقد خلا من الألفاظ العامية جميعها، فاستقبلت أمنيته هذه، بمهمات مستنكرة لها، ووجوه مستغربة سماعها، وأقوال معترضة عليها، لأن الأخذ بها يهبط بالمعجم عن مجاراة المعاجم الحديثة في أي لغة من اللغات العالمية.

لقد وجم زميلنا المحترم تجاه ما رآه وما سمعه، ولم ينبس ببنت شفة يدافع بها عن أمنيته أو عن بعضها، على الأقل، وكأنه قد عدل عنها.

وجئت اليوم أستميحكم عذرًا عن المبادرة إلى القول بأن المعجم الوسيط قد تضمن في ثناياه عددًا غير قليل من الألفاظ أو المعاني العامية، وأنا مصنفها لكم في الفئات الأربع التالية:

أولاً:

كلمات عامية أو وصفت بالعامية، يجدر حقًا بالمعجم الوسيط أن ينبذها أو يرفع وصفها من بين سطوره، ومثلها:

---

(١) أثبت الوسيط في طبعته الأولى في مادة "ب ط ن" تعريفاً موجزاً ولكنه كاف لكلمة "بطانة" فنص على أن بطانة "الرجل": صفيه يكشف له عن أسراره. وكذلك أثبتها في الطبعة الثالثة.

(٢) أثبت المعجم الوسيط في طبعته الأولى ١٩٦٠ بعد مادة "ح ش و" مادة "ح ص ء" مباشرة، وكأن مادة "ح ش ى" قد سقطت سهواً أو أسقطت(؟) ، غير أنه عاد فأثبتها في طبعته الثالثة ١٩٨٥. وعرف في هذه الطبعة بأنها من كل شيء: جانبه وطرفه، وحاشية "الرجل": الأهل والخاصة. على أن الحاشية في العرفها الإداري أو الحكومي: هم الموظفون والعاملون بجانب الرئيس أو بمعيته.

(٣)كانت الجلسة في الدورة الثالثة والخمسين المنعقدة سنة ١٩٨٧م انظر وقائعها في المحاضر الخاصة بها أو فيما نشرناه عنها في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد ٣٣ الصادر في كانون الأول " ديسمبر" ١٩٨٧.

١- كلمة "**البظرميت**" ذكرها الوسيط في طبعته الأولى، وشرح معناها بقوله: الأحمق، وأردف موضحًا: أثبتها التاج، وقال: "هي عامية"[١].

٢- كلمة "**الدوام**" ذكرها الوسيط في طبعته الأولى وشرح معناها بما يفيد بأنها في عامية أهل العراق، وتعبر عن الذي يجب على المستخدم قضاؤه في الديوان[٢].

ثانيًا:

كلمات عامية لا يمكن الاستغناء عن استعمالها لقوة شيوعها، أو لعدم وجود بديل لها في الفصيح، أو لأن بديلها ثقيل في اللفظ أو على السمع، لهذا لا يعيب أي معجم حديث إثباتها بشرط النص على عاميتها مع الإشارة إلى مقابلها الفصيح. وإذا كان العلماء والأدباء من المتمسكين بالفصحى يستغنون في أحاديثهم وما يكتبون، بالفصيح والصحيح، عن المولد والمستحدث فمرحى لهم، ولكن لا يعيب أحدهم إذا ما اضطر يومًا إلى استعمال إحدى الكلمات الدارجة على ألسنة الناس من هذا الصنف، على أن يضعها بين قوسين إذا كتبها، أو أن يشير إلى عاميتها إذا لفظها، ومثل هذا الصنف الكلمات التالية:

١-**كماشة**[٣].

٢-**برغي**[٤].

---

(١) ذكرها الوسيط في طبعته ١٩٦٠ وحذفها في الطبعة الثالثة ١٩٨٥، وكان حذفها من حسنات هذه الطبعة.

(٢) الكلمة من الفصيح المستعمل لا في العراق فحسب بل في سائر بلاد الشام وفي بلاد عربية أخرى، وتغني عن جملة "مواعيد ساعات العمل" وعدلت الطبعة الثالثة وصفها فقالت "محدثة" وهذا التعديل من حسنات هذه الطبعة أيضاً.

(٣) الكماشة كلمة عامية فصيحها "الكلبتان" ذكرها الوسيط ولكنه خصها بالحداد، وشرحها: بأنها آلة تخلع الأسنان، وهي بهذا المعنى "مولدة" ونحن نقترح إطلاق لفظة "كلابة" عليها. هذا وكان العامة ولدوا لفظة "كماشة" من فعل "كمش"، وهو عندهم بمعنى قبض، ولا يمكن قبول المعنى إلا إذا حمل فعل "كمش" المعنى العامي من قول القاموس: تكمش الجلد: إذا تقبض واجتمع. انظر كتاب رد العامي إلى الفصيح، لأحمد رضا، صيدا ١٩٥٢ ،ومعجم عطية سان ١٩٤٤.

(٤) لفظة من الدخيل التركي وهي شائعة كثيراً في بلاد الشام وغيرها، ويرسمها الأتراك بصورة "بورغو" وأغفلها الوسيط، بينما يطلق العامة في مصر على مدلولها كلمة "قلاووظ" وعربيتها "لولب" انظر معجم عطية المرجع المذكور آنفاً

٣- قلاووظ.(١)

ثالثًا:

كلمات عامية غامرة الشيوع، سواء أكانت دخيلة أم محدثة، ولها بديل فصيح سهل اللفظ لطيف على السمع، ومع ذلك فلا يعيب أي معجم حديث إثباتها، شريطة أن يثبت خلالها تعريفها اللفظ الفصيح المغني عنها، على أن يكون مثبتًا في محله من المعجم.

وجدير بالعلماء والأدباء تجنب استخدامها، ولكن من غير المستغرب أن يستعملها أديب أو روائي إذا استدعى إيرادها تبسيط النص أو الترفيه عن المستمعين. إن المعجم الوسيط مملوء بأمثال هذه الكلمات، منها الكلمات التالية:

١- صندوق الطرود "**السيفون**"(٢)

٢- **الصنبور**، و"الحنفية"(٣).

٣- **الحاكي**، و"**الفونغراف**"(٤).

٤- **الهاتف**، و"**التليفون**"(٥).

---

(١) أثبتها المعجم الوسيط وشرحها بقوله: مسمار ذو سن ملولبة يثبت بالتدوير لا بالدق " د" واشتق "العامة" منه "قلوظ" أي صنعه على الوضع المذكور، كما ورد في طبعة الوسيط الأولى ١٩٦٠ م أما في طبعته الثالثة فجاء التعريف نفسه بعد حذف لفظة " العامة" كما أثبت المعجم كلمة لولب في مادة "ل و ل" شارحاً: أداة من خشب أو معدن تنتهي بشكل حلزوني، ويقال اللولب: للمسمار الذي على هذا الشكل، (ج) لوالب.

(٢) إن لفظة "سيفون" أخف على اللسان والسمع من مقابلها الفصيح إلا اذا أقر تسمية آلة الطرد بكلمة "طراد".

(٣) إن لفظة "الحنفية " المحدثة أخف من كلمة صنبور، وجدير بالمجمع إقرارها لواسع شيوعها.

(٤) من الغريب أن الوسيط لم يثبت لفظة " الحاكي" عندما عرف "فونغراف" و "الحاكي" لفظة شاعت واستعلمت في عديد من الأقطار العربية من يوم ما أنشد أمير الشعراء قصيدته "ياجارة الوادي" وقال:

مثّلت في الذكرى هواك وفي الكرى

والذكريات صدى السنين الحاكي

حتى إن معجما عربيًا ذكرها ونسبها إلى المجمع. انظر المعجم الروسي، دمشق ١٩٨٥.

(٥) يكاد يكون هذا المثل أدق مثل على هذا النوع من الكلمات العامية، لولا أن الوسيط حشر الكلمة في تعريف السماعة دون التقييد بالقاعدة التي أشرنا إليها.

وتلحق بهذا الصنف من الكلمات العامية، كلمات مختزلة من الفصيحة أو منحوتة منها، وتكلم بها العلماء والأدباء، أو كانت طامة الشيوع أو فصيحة مخصصة الدلالة، مثل الكلمات التالية:

١- **أيش**(١).

٢- **كرمالك**(٢).

٣- **بعبع**(٣).

٤- **حرامي**(٤).

رابعًا:

كلمات أو معان عامية، أو أخطاء وقعت في ضبط كلمة صحيحة أو في رسمها، يجب أن تتنزه المعاجم العربية عن إثباتها، وغير مقبول منها الاحتجاج بورودها في المعجم الوسيط، أو بأنها عرضت على مؤتمر المجمع لإقرار فصاحتها، أو لمجرد شيوعها الطامي في قطر من الأقطار العربية، ولعلي موفق في عرض أربع كلمات منها فيما يلي:

١-كلمة "**ازداد**" ومن الشائع الطامي في المغرب العربي، ذكر مصدر هذا الفعل مضافًا إليه لفظة "تاريخ" ويريدون به المولد أو التوليد، وهذا أمر مقبول في المغرب، ولكن ليس من المقبول أن يطلب من المجمع أن يقر إضافة معنى "**ولد**" إلى فعل ازداد في أي معجم عربي!

---

(١) أثبتها الوسيط فقال: أيش: منحوت من " أي شيء " بمعناه وقد تكلمت به العرب. وحسنًا فعل الوسيط.

(٢) أثبت الوسيط لفظ الكرم، وقال: افعل ذلك وكُرْمالك. ويقول أحمد رضا في كتابه " رد العامي إلى الفصيح "، وفي اللسان قال اللحياني: "افعل ذلك كرامة لك، وكُرْمى لك، وكرمة لك، وكرماً لك "وكُرامة عين فلان " فاستعمال العامة صحيح وقد جعلتها كلمة واحدة.

(٣) جاء في الطبعة الأولى من الوسيط: بع بع: الهولة يُفزّع بها الصبي "تقولها العامة في مصر" ومن عجب أنها حذفت في الطبعتين التاليتين، الكلمة شائعة بين العامة والخاصة ولا يقتصر قولها على العامة، ولا في مصر فحسب.

(٤) في الوسيط: الحرامي: فاعل الحرام "مو" وأنا أرى أن يضاف إلى هذا التعريف جملة: وغلب إطلاقها على السارق.

٢-كلمة "**بطح**" ومعني بطحة في المعجم العربي: ألقاه على وجهه، بينما يشيع في مصر بمعنى: ألقاه أرضًا فشجه، وهذا معنى جديد للفعل، وهو غير مقبول، وما على الكاتب أو الروائي المصري الذي يريد إفهام غير المصريين بأن دم المبطوح قد سال، إلا أن يردف قوله بجملة تفيد القارئ أو السامع العربي بحضول الشج كأن يقول فصبغ نجيعه الأرض أو لوثها بدمه.

٢- كلمة "**الصوبة**" وهي دخيلة من التركية، كانت وما زالت شائعة في بعض الأقطار العربية، وسأشرح بإيجاز غير مخل، الأدوار التي مرت فيها الكلمة فيما يلي:

أ-كان الناس في العهد العثماني في كل من مصر والشام وبلاد عربية أخري يطلقون على المدفأة اسمها التركي " الصوبة" بينما المعجم التركي بالعربية يطلقها على المدفأة أو الموقدة.

ب- عندما قام المجمع العلمي العربي بمطاردة الألفاظ التركية[(١)]، لم يجد صعوبة في القضاء على كلمة "صوبة" في جميع ما يكتب أو ينشر غير أن اللفظة بقيت على ألسنة العامة، كما كانت شائعة في مصر وغيرها من الأقطار.

ج- وعندما انتشرت البيوت الزجاجية أو "البلاستيكية" لحماية بعض النباتات من البرد، أطلق الناس في مصر على تلك البيوت كلمة "صوبة" بينما أطلق مجمع اللغة العربية على تلك البيوت اسم "دفيئة"[(٢)].

---

(١) أسس هذا المجمع بدمشق سنة ١٩١٩ م، إثر جلاء الأتراك عن البلاد.

(٢) تبنى هذه الكلمة الأمير مصطفي الشهابي في معجمه" الألفاظ الزراعية" – انظر الطبعة الثانية- مصر ١٩٥٧م، وفيها ذكر الشهابي أن أنستاس الكرملي أطلق على البيوت الزجاجية اسم "مصري" من صرى الشيء، أي: وقاه. ومن غرائب الأمور أن الوسيط لم يذكر ما قرره المجمع إلا في طبعته الثانية الصادرة سنة ١٩٧٢ م إذ أثبت "الدفيئة" وعرفها بأنها : غرفة زجاجية تربى فيها النباتات وتدفأ صناعيًا (مج).

د- عندما أخرج مجمع اللغة العربية معجمه الفذ "الوسيط" عرف جميع معاني الكلمات الواردة في مادة "ص و ب" ومن ضمنها "الصوبة" التي تعني: المتجمع من الطعام والحبوب والتراب ونحوها، وهنا حشر أحد أعضاء لجنة المعجم - غفر الله لهم جميعًا - جملة: والصوبة: مكان يدفأ، ويعد لتربية بعض أنواع النباتات (محدثة) .

هـ- أصدرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معجمًا أسمته "المعجم العربي الأساسي"[١]. فإذا بكلمة "الصوبة" تحتل رأس سطر في مادة "ص و ب" وكأنها عربية النجار[٢].

و- بعدما هز العالم صوت ينذر سكان الأرض بالفناء من جراء ثقب في غلافها الجوي أورثته الحرارة التي يبعث بها البشر للفضاء من معاملهم وآلاتهم وأسلحتهم، إضافة إلى اغتيالهم ما على الأرض من نبات أخضر، قام دعاة السلام على الأرض بالدعوة إلى حماية البيئة على اليابسة من شرور سكانها وغازات نيرانهم المتواصلة[٣].

---

(١) أصدرته المنظمة بالتعاون مع مؤسس " لاروس " الفرنسية في عام ١٩٨٨م وقد تضمن المعجم هنات وأخطاء كثيرة، تفرد لبعض أصنافها زميلنا المحترم الشيخ حمد الجاسر، فنشر قسماً منها تحت عنوان "نظرات في المعجم الأساسي العربي" - انظرمجلة العرب ص ٤٣٣ - ٤٦٧ ج ٧/٨ س ٥ آب/ أيلول "أغسطس/ سبتمبر" سنة ١٩٩٠م.

(٢) ورد تعريف الكلمة الدخيلة كما يلي: صوبة (ج) صوبات: مكان يدفأ ويعد لتربية بعض أنواع النبات.

(٣) يقف علماء الطبيعة اليوم موقفاً يتفاوت الرأي معه في التغيرات المناخية على سطح الكرة الأرضية، وفي ضرورة العمل على إعادة التوازن البيئي لها. ومصادر الاطلاع على مختلف الآراء كثيرة ويمكن الإفادة من المقال المنشور في مجلة القافلة، عدد مارس ١٩٩٠م فهو يشرح ما يسمى بظاهرة التأثير " الصوبي " ويطلق على هذا التعبير بالإنكليزية Greenhous effect أي تأثير البيوت الخضر. وأطلقت الترجمة العربية لمجلة العلوم الأمريكية التي كانت تصدر شهريًا في الكويت على هذا المصطلح: تأثير الجنة، أو تأثير البيوت النباتية.

ومما يتصل بهذا البحث أن الدكتور أنور الخطيب أستاذ علم النبات في جامعة دمشق والمستشار الفني لوزير شئون البيئة يطلق على علم البيئة تعبير " الأيكيات "، بدل المصطلح الغربي " أيكولوجيا - ECOLOGY ، وتعبيره مأخوذ بالنسب إلى الأيكة، وهي الغابة الصغيرة من الأراك أو النخل.

ز- قال علماء البيئة: إن غلاف الأرض الجوي يحفظ حرارتها مثل ما يحفظ البيت الزجاجي الحرارة اللازمة لإنماء ما يزرع فيه من نبات، وقال- المصريون منهم خاصة: مثل ما تفعل "الصوبة" النباتية[١].

ح- قامت منظمة الأمم المتحدة بوضع برنامج لحماية البيئة، واستحدثت من أجل تنفيذه مكاتب في عدد من الدول[٢]، كما قامت في كثير من البلاد هيئات غير حكومية تعمل على الإرشاد والنصح وتنسيق أعمال مكافحة انتشار غاز "ثاني أكسيد الفحم" الذي يسبب رفع درجة حرارة الأرض.

٤-كلمة "العلمانية" بكسر العين فيها، كما وردت في الطبعة الثالثة من المعجم الوسيط، خلافًا لما وردت صحيحة الضبط في طبعته الأولى والثانية، وهو خطأ جسيم، لأن فيه شبهة اتهام للدين الإسلامي بأنه ضد العلم[٣].

وقد سبق لنا أن تقدمنا إلى هذا المؤتمر الموقر ببحث عنونّا له: "قصة دخول العَلمانية" — بفتح العين — في المعجم العربي[٤].

---

(١) إن تعبير "الصوبة النباتية" شائع في مصر بصورة رهيبة، حتى إن صحيفة مرموقة وقد أرادت التهكم بأحد كبار الحكوميين فأطلقت عليه لقب أمين الصوبة، إشارة الى أنه يحمي مالا يعيش في الأجواء الطبيعية.

(٢) كان من أهم مقررات مؤتمر استكهولم سنة ١٩٧٢ م إنشاء مركز لحماية البيئة في نيروبي عاصمة كينيا واختير لرئاسته عالم مصري مرموق، فما كان منه إلا أن أشاع كلمة "صوبة" في منشوراته وكتاباته، لأنه قرأ إجازتها في الوسيط وتابعه في ذلك النشرة التي يصدرها المركز، حتى إن بعضهم جمع الكلمة على لفظ "صوب" انظر ص ١٤ من منتدى البيئة — النشرة العربية (أيكوفورم ECOFOROM) العدد ٣ مايو ١٩٩٠ وما في النشرة المذكورة في العددين السابق واللاحق للعدد المشار إليه.

(٣) كان تسرب الخطأ إلى الوسيط بجهد بذله أحد كبار زملائنا — غفر الله له — وكنا نجل علمه الواسع وجرأته الفائقة في الدفاع عن الحق، وعن القول بكسر عين الكلمة. ويجدر بنا أن نشير إلى أن العلمانيين العرب الذين ينادون بدولة علمانية تبعد الدين عن مسيرها، يدافعون عن علمانيهم وهي مفتوحة العين. انظر بحوث مجلة الوحدة الصادرة عن المجلس القومي للثقافة العربية، ولا سيما عدد "الخطاب الأيديولوجي العربي " رقم ٧٥ كانون الأول " ديسمبر" ١٩٩٠ الرباط.

(٤) ألقي البحث في الدورة الثالثة والخمسين سنة ١٩٨٧ م— انظر محاضر الدورة المذكورة ووقائعها التي نشرناها في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في تلك السنة.

٣- أعمال المجمع بين نقد الزملاء ولمز الغرباء:

بذل مجمعنا الموقر جهودًا كثيرة لتسهيل تعليم القواعد العربية، ولتسهيل الكتابة والإملاء العربيين، إلى جانب محاولته تخريج بعض التعابير المختزلة المقبول جرسها في الأذن العربية، والتي أفرزتها السياسة الدولية، والمؤتمرات العالمية تحت ضغط الترجمة الفورية، والسرعة المتناهية التي يلح عليها الإعلام عن الأخبار المتلاحقة، فلاقت تلك الجهود استحسانًا بالغًا لدى جمهور كبير من العلماء، كما لاقت نقدًا شديدًا من علماء آخرين، فكان لأعمال المجمع في مصر وسائر الأقطار العربية دويًّا، وكان لها صدى بين متشدد في آرائه، ومتساهل في رأيه، أو بين عروبي متزمت، ومستغرب مستهتر.

كما أن جهود المجمعيين في إغناء المعجم العربي بالألفاظ والمعاني السليمة خلال نصف قرن من الزمان، استحداثًا أو توليدًا، أو وضعًا أو ترجمة أو تعريبًا، كان لها أثر طيب لدى الكثيرين، كما كانت موضع غمز ولمز لدى البعض وأشده ما كان من بعض الطامحين في عضوية المجمع.

إن قرارات المؤتمر وتوصياته، وغالبية ما صدر أو يصدر عن المجمع من أعمال، إنما تستهدف كلها خدمة العربية وتسهيل تعلمها وإتقان الأصول فيها، وجميعنا يطمح في أن يكون لنا على ذلك أجران، فإن فاتنا الصواب فأجر واحد على الأقل، على ما بشر به الهادي صلى الله عليه وسلم(١).

لقد سعدت وأنا أقرأ عبارة وردت في خطاب الزميل الكبير المغفور له الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، يوم استقباله عضوًا عاملاً في المجمع(٢).

---

(١) قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب، فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر" رواه البخاري في الاعتصام، ومسلم وأبو داود في الأقضية، والترمذي في الأحكام، والنسائي في القضاء، انظر: جامع الأصول لابن الأثير.

(٢) انظر مجلة المجمع ص ١١٤ عدد ١٦ الصادر سنة ١٩٦٣ وكان استقباله رحمه الله في جلسة افتتاح المؤتمر في دورته الثامنة والعشرين المنعقدة في ١٢ من مارس سنة ١٩٦٢م، ومن المؤسف أن تكون محاضر هذه الدورة غير مطبوعة، والأمل معقود على أمانة المجمع العامة في الأمر بطبعها بعد زوال الأسباب التي عملت على الإحجام عن ذلك.

قال الشيخ رحمه الله:

"لقد كنا معشر المشغوفين باللغة العربية، الهائمين بحبها في كل واد، نتتبع أعمال هذا المجمع باهتمام، ونلقف كل ما يقوله أو يقال عنه، فنبحثه في مجتمعاتنا الخاصة بإنصاف... كنا نعرف منه وننكر، نعرف تلك الآراء القيمة التي يعلنها بعض أعضائه. ونستحسن تلك الأفكار الجريئة في توسيع دائرة النحت والقياس والاشتقاق... وننكر منه هنات لا تحط من قيمته في أنفسنا، ولا تقدح فيما نضمر له من إجلال وإكبار. وننكر عليه البطء والتثاقل في السير، وعدم التعجيل بتقديم ثمراته إلى الأمة في مجلته ونشراته، وتقصيره فيما يجب الإسراع فيه.

ولكننا كنا ولا نستطيع الجهر بما ننكره على المجمع، ولا نشيع قاله السوء عنه... وننتظر به مرور الزمان، واستحكام التجارب ومواتاة الفرص، حتى يصلح من شأنه بنفسه، والزمان يقيم الأمت ويقوم السمت.

سبق لي في دورة ماضية أن عرضت على الزملاء الكرام وشلاً من آراء زملاء، أولعوا بما يطلق عليه "اللسانيات" ارتأوها في معجمنا الوسيط[٢].

واليوم أرى لزامًا على أن أطلعكم على ظاهرة مجمعية غريبة، وهي جديرة باهتمام الأمانة العامة للمجمع، ولعلها تكلف أحد مساعديها برصد أمثال هذه الظاهرة وأشباهها طيلة عامنا المجمعي، ثم تقدم تقريرًا عنها سنويًا إلى المؤتمر، يفرق فيه بين النقد الوجيه الذي تجب إحالته إلى اللجان المختصة لدراسته وبيان الرأي فيه، والنقد الظالم الذي يستحق أن يرد على صاحبه.

لقد ساعدتني الظروف في عام ١٩٩٠م فاطلعت على نقد وملاحظات موجهة إلى أعمال المجمع في أربع مجلات مجمعية هي التالية:

---

(١) كان ذلك في الدورة الرابعة والخمسين في سنة ١٩٨٨. انظر محاضر الجلسات ووقائع المؤتمر التي نشرت لنا في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني. العدد ٣٤ حزيران "يونيو" ١٩٨٨م.

١- مجلة الأكاديمية في المملكة المغربية[١].

٢- مجلة العرب[٢].

٣- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٣].

٤- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني[٤].

جدار الصمت الصحافي:

كان الزميل الكبير الأمير مصطفى الشهابي ثبتًا إذا حدّث، حجة إذا كتب، ثقة إذا نقل، لقد اعتاد في جلسات مؤتمر المجمع أن يسجل كل شاردة أو واردة تستحق أن يعود المرء إليها، إلى جانب تدوينه ما يقرره المؤتمرون أو يوصون به، وعنه أجزل الله ثوابه أخذت

---

(١) انظر المجلة العدد ٦ ديسمبر ١٩٨٩م مقال بقلم عضو الأكاديمية زميلنا المحترم محمد الفاسي، ذيله بكلمة قال فيها: هذا النص يغطي مجموعة مقالات نشرتها بجريدة "الرسالة" "من ١١ ديسمبر ١٩٨٠ م إلى ١٨ يونيو ١٩٨١م" ارتأيت نشره بمجلة الأكاديمية حتى تعمم الفائدة". لقد أبدى الزميل ملاحظات قيمة على الأخطاء والأغلاط التي يتفوه بها الناس أو ترد في الصحف، إلا أنه مالبث أن قال:" ومن المسئولين عن هذه الحالة التي اسميها الإباحية اللغوية بعض المجامع العلمية العربية وبالخصوص مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مع العلم أنني عضو فيه منذ اثنتين وعشرين سنة، وفي كل اجتماع له كنت أدعو لمقاومة هذا التيار الهدام ويعضدني فيه كثير من أعضائه، فأحياناً ننجح في بعض مظاهر هذا الخطأ وأحياناً يتغلب جانب قوة العادة والعدول عن الصواب إلى الخطأ".

(٢) انظر مجلة العرب ج ٨/٧ س ٢٥ أيلول "سبتمبر" ١٩٩٠م وفيها نشر زميلنا المحترم الدكتور إبراهيم السامرائي مقالاً عنوانه "وقفات على المعجم الكبير – الجزء الأول" استهله بقوله: "لعل المعجم الكبير من أفضل ماقدم المجمع الموقر من أياد إلى العربية. وهو من غير شك عمل اضطلع به طائفة من أهل العلم من أعضاء مجمع وغيرهم. وقد كان لي وقفات طويلة مع هذا المعجم، أفيد مما فيه من معارف علمية ما خلا اللغة وكان لي في أثناء صحبتي لهذا الأثر النفيس وقفات على شيء مما ورد فيه رأيت أن أثبتها في هذا الموجز".

(٣) انظر المجلة ج ٣ مج ٦٥ تموز "يوليو"١٩٩٠ وفيها نشر الدكتور مكي الحسيني مقالاً عنوانه: " لغتنا العربية بين مجامع اللغة ووسائل الإعلام " أشار فيه إلى توصيات المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة المكررة المعادة سنويًا، والموجهة إلى الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى في أنحاء الوطن العربي" وختمه متأملاً أن يرى تلك التوصيات مترجمة إلى واقع عملي.

(٤) انظر المجلة ع ٣٩ كانون الأول "ديسمبر" ١٩٩٠م وقد نشرت موجزاً لوقائع الدورة السادسة والخمسين، التي جاء فيها نقد لبحث الزميل المحترم الدكتور حسن علي إبراهيم، عن ابن النفيس، كان ألقاه في المؤتمر، وقد استغنى فيه بالمصادر الإنكليزية دون المصرية والعربية والفرنسية والألمانية حتى الأمريكية!.

عادته، وبه اقتديت، أتابع جلسات المؤتمر من ساعة افتتاحه إلى يوم اختتامه، مسجلاً ما يستحق التسجيل.

وألح عليّ نفر من الأصدقاء بنشر ما أسجل، وهكذا بدأت بمجلة مجمع دمشق بنشر موجز عن وقائع هذا المؤتمر خلال أشهر من انعقاده، ثم تولت بمجلة مجمع عمان نشر ما أسجله.

كان لنشر موجز وقائع مؤتمرات المجمع، صداه المستحب في كثير من الأقطار العربية ولاسيما في مصر نفسها، لأن أخبار المؤتمر وبحوثه وجهود أعضائه محجوبة عن علمائها وأدبائها بجدار من صمت الصحف القاهرية، أقامته بينها وبين المجمع، وخاصة مع تأخر مجموعاته الرسمية وضعف انتشارها وهي مطبوعات حكومية.

لقد بدأ المؤتمرون منا يشعرون منذ سنوات عديدة، ببعد أخبار مؤتمرهم عن الناس والمفكرين منهم بصورة خاصة، وذلك لإحجام الصحف في القاهرة عن نشرها[1]، فلما اختير الأستاذ محمد زكي عبد القادر عضوًا في المجمع كاد النور يتسرب من نافذته نحو المجمع، حتى إذا ما وافى الصديق الغالي الأجل عاد الظلام يلف المجمع ومؤتمره السنوي.

كان أستاذنا الجليل وزميلنا الكبير الدكتور محمد مهدي علام – وقد بلغ المجمعيون مائة عضو – يحار في تصنيفهم بحسب معارفهم لتعددها وتنوع اختصاصات الواحد منهم،فاعتمد على الغالب المشهور، فإذا بعدد الصحفيين فيهم يبلغ ثمانية عشرة[2].

---

(١) أشارت صحف بعض الأقطار العربية إلى موقف الصحافة المصرية، على اختلاف نزعاتها السياسية من أخبار المجمع ومؤتمره السنوي، كما ألمحت إلى ذلك في وقائع مؤتمر الدورة الخامسة والخمسين المنشورة في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد ٣٧ المنوه به آنفاً.

(٢) كان هذا في كتاب "المجمعيون في ثلاثين عاماً" القاهرة ١٩٦٦، فلما صدر كتاب الدكتور علام "المجمعيون في خمسين عاماً" القاهرة ١٩٨٥ كان عدد أعضاء المجمع خمسة وأربعين ومئة عضو، وكان أن ارتفع فيهم عدد المشتغلين بالصحافة العلمية والأدبية ارتفاعاً كبيراً.

وظني أن اعتماد الأستاذ الكبير كان على شهرة الصحف السياسية الكبرى، يوم كان أمثال: محمد توفيق دياب، وفارس نمر، ومحمد كرد علي، ومحمد حسين هيكل من أعضاء المجمع، ولو أنزل المجلات العلمية والأدبية منزلة الصحف السياسية لكان أمثال أحمد حسن الزيات صاحب الرسالة، وأحمد زكي محرر العربي، وأحمد أمين منشئ الثقافة، ومحمد الخضر حسين كبير محرري المجلات الإسلامية، وأنستاس الكرملي صاحب لغة العرب، وحمد الجاسر محرر مجلة العرب، وكلهم من أعضاء المجمع، لارتفعت نسبة الصحفيين فيه إلى ما يقارب النصف.

لقد أسعدني اختياركم الصحفي الكبير "مصطفى أمين" عضوًا في المجمع، وقرأت ما كتبه بعض المنصفين بالثناء على هذا الاختيار الموفق، كما قرأت ما كتبه بعض الغيارى على مكانة المجمع، بشجب هذا الاختيار، وفيما كتب عنه ما يحمل البشرى بانثقاب جدار الصمت الذي يلتف حولنا.

إن الأستاذ مصطفي أمين علم من أعلام الصحافة في الوطن العربي، ورائد مدرسة صحافية تستهدف الكتابة بلغة سهلة سليمة واضحة، تفي بمتطلبات الترجمة الفورية، وتعين على السرعة في نقل الأخبار، وهل يعترض على هذا أحد؟!.

فهنيئًا للمجمع بحسن اختياره، وأهلاً بصاحب الفِكَر "الثاقبات" وخالص التهاني للأستاذ مصطفى أمين بانتخابه عضوًا في المجمع الخالدة أعماله.

﴿وَقُلِ اعْمَلوا فَسَيَرى الله عَمَلَكُم وَرَسُولُه وَالْمُؤْمِنونَ﴾

* * *

من العامي الفصيح(*)

للدكتور كمال محمد بشر
(عضو المجمع)

١- تحبيش:

نسمعهم يقولون: "حَبّش على البضاعة تحبيشًا جيدًا "، و"حبِّش على الدجاج".

ويقصدون بالعبارة الأولى: ضَمّ البضاعة بعضها إلى بعض وربطها ربطًا محكمًا، حتى لا تتفرق، أو يضيع شيء منها في الطريق. والمراد بالعبارة الثانية: اجمع الدجاج بعضه إلى بعض، وألزمه مسكنه، حتى لا ينتشر فيتوه بعضه أو يُفْسد ما حوله.

والكلمة "تحبيش" فصيحة في مبناها، ولها ولتصرفاتها المختلفة معنًى عام، ينتظم في إطاره التوظيف الجاري الآن لهذه الصيغة.

جاء في اللسان: حبّش قومه تحبيشًا، أي: جمعهم. وَحَبَشْتُ له حُبَّاشه: إذا جمعت له شيئًا، والتحبيش مثله.

وفيه أيضًا: وحَبَشْتُ لعيالي، وهَبَشْتُ، أيْ: كسبت وجمعت.وواضح مما ذكره ابن منظور أن المعنى العام للكلمة - وتصرفاتها الأخرى - هو مطلق الجمع والضم، وهذا المعنى نفسه ملحوظ في الاستعمال الجديد، وإن كان هذا الاستعمال قد انصرف في تطبيق الدلالة إلى ميادين مختلفة عن ميادين الاستعمال الأصلي، وفقًا لظروف البيئة والملابسات الحياتية، ومع ذلك تبقى الحقيقة ثابتة، وهي اشتراك قديم التوظيف وجديده في معنى عام واحد، وهو: الجمع والضمّ.

٢- تحويش:

نسمعهم يقولون: "دا مغرم بالتحويش – وضاع مني تحويشة العمر".

(*) قدم للجنة اللهجات في الدورة الثانية والستين، عام ٩٥/١٩٩٦م.

ويقصدون أنه مغرم بجمع المال وادخاره، وفقدت كل ما جمعته وادخرته من مـال طوال عمري.

والكلمتان"تحويش وتحويشة" فصيحتان في المبنى، فهما يعودان إلى الأصل(ح و ش)، ولدلالاتهما الجارية صلة وثيقة بمعانيهما الأصلية، فهذا الأصل، وما تصرف منه لـه عـدة معان، منها - وهو ما يهمنا هنا - جمع الشيء وضمه: جاء في اللسان: حشنا الصيد حوشًا وحياشًا وأحشناه وأحوشناه: أخذناه من حواليه، لنصرفه إلى الحبالة وضممناه.

وفيه أيضا: وحشتُ الإبل: جمعتها وسقتها. الأزهري: حَوَّش: إذا جمع.

وهذا المعنى الذي تفيده المادة في عمومها ملحوظ بوضوح في التوظيـف الجديـد للكلمتين المذكورتين (وغَيرهما) ، حيث يلتقي الجديد بالقديم في معنى الجمع والـضم، وإن كان المضموم والمجموع مختلفًا - نوع اختلاف - في الحالتين، تمشيًا مع البيئـة وظـروف الاستعمال.

وقد ذكر الوسيط الفعل"حوّش"، وفسره بقوله: "حوش المـال ونحـوَه: جمعـه وادّخره، وهو يؤكد ما ذكرناه، ولكن فاته أن ينصّ على أنها محدثة، وكذلك لم يُـشِرْ إلى تصرفات هذا الفعل، من نحو "تحويش وتحويشة".

٣- تشويش:

نسمعهم يقولون: "**بلاش تشويش**" ولهذا التوظيف دلالتان، بحسب الموقف والأداء النطقي لهذه العبارة، بما ينتظمه هذا الأداء من مظاهر صـوتية معيّنـة، كرفـعِ الـصوت وخفضه، ونبرٍ وتنغيم.

فقد تعني هذه العبارة " لا داعي لإثارة الشكوك والافتراء، أو الادّعاء الباطل، حول شخص ما، أو قضية معينة.

وقد تفيد العبارة نفسها - وإن بخواصّ صوتيةٍ مختلفةٍ - معنى (كُفّ أو كُفُّوا عـن رفع الأصوات وخلطها بعضها ببعضٍ) تجنُّبًا للفوضى والإزعاج.

والمعنيان كلاهما متقاربان وينتميان إلى معنى واحد، وهو التخليط والتجاوز بالقول أو بالفعل عن طريق الصواب، والكلمة (تشويش) ترتبط بالأصل (ش و ش) . ولكن هذا البناء على " تفعيل " يبدو أنه مولد.

وقد جاء في اللسان ما يدل على ذلك صراحة:

يقول: (ضمن ما يقول تحت هذه المادة) : وأما التشويش: فقد قال أبو منصور:" إنه لا أصل له في العربية، وإنه من كلام المولدين، وأصله التهويش وهو التخليط".

وأما الجوهري (بناء على ما نقله صاحب اللسان) فقد ذكر هذه الصيغة في مادة (شيش – بالياء) و لم ينص على أنها مولدة، واقتصر على قوله:

"التشويش: التخليط، وقد تشوش عليه الأمرُ، أي: اختلط".

ومهما يكن الأمر فالكلمة "تشويش" بهذا البناء وتينك الدلالتين، كثيرة الشيوع، و لم تخرج في بنائها ودلالتيها عن المقرر من قواعد العربية.

ومن ثم نرى قبولها وحسبانها مولدة، ومن حقنا - كما قرر المجمع – التوليد، بل الإحداث، تكملة للمادة، وفقًا لقرار مجمعي آخر.

٤– هبش – تهبيش:

يقولون في استعمالاتهم الجارية الآن: " **وخدين على الهَبْش** - ودي عملية **تهبيش**" ويقصدون بذلك أنهم اعتادوا جمع المال والثروة وتجميعها من هنا وهناك، بالانقضاض عليهما، وخطف كل ما أمكن منهما، بدون وجه حق، أو بالخداع والتضليل.

والكلمتان فصيحتان في مبناهما، ولدلالتهما الحديثة نسب قريب وصلة وثيقة بمعناهما القديم.

أما بالنسبة لبناهما فقد جاء في اللسانِ: الهبش: الجمع والكسب. يقال: هو يَهْبش ويُهبِّش - بالتشديد - هبشًا "فالهبش، على وزن "الفعل"، موجود بصيغته الأصلية.

وأما "تهبيش" (تفعيل) فهي صياغة حديثة، قياسية من هبَّش - بالتشديدِ - ومضارعه يُهَبِّش، والمعنى العام للكلمتين (على ما جاء في معظم المعجمات) هو: مطلق الجمع والكسب للمال والثروة، وتجميعهما من أنحاء متفرقة، أما التوظيف الحديث فقد أكسب الكلمتين ملمحًا جديدًا، يفيد جمع المال والثروة، ونحوهما، وتجميع كل أولئك بالطرق المشروعة - وغير المشروعة - أو بالانقضاض على كل ما يمكن الحصول عليه بالخداع واستغلال النفوذ. وأصبحت الكلمتان في الاستعمال الحديث (توظَّفان غالبًا) في هذا الملمح الجديد وحده، من باب تخصيص المعنى، أو تضييقه، وهناك في القديم إشارات خاطفة، يمكن أن يستشف منها - على وجه من الوجوه - هذا الملمح المذكور، وإن كانت هذه الإشارات قد جاءت بصيغ مختلفة من المادة ذاتها.

يروى صاحب اللسان عن ابن سيده قوله:

اهتبش، وتهبش: كسب وجمع واحتال، والاحتيال - كما هو معلوم - قد يكون مشروعًا أو غير مشروع، كما قد يكون في جمع المال ونحوه أو غير ذلك.

ويبدو أن "المعجم الوسيط" قد استشعر هذا المعنى أيضًا، فقال (ضمن ما قال) : هو يهبش لعياله: يحتال لهم في الكسب، من ههنا وههنا".

ويقول أيضًا: "تهبيش الشيء: تلمُّس الوسائل للحصول عليه.، وقد تُستعمل الكلمة الأولى "هَبَش" (وما تصرف منها) في مواقف معينة مشحونة بالانفعال والغضبِ، حيث يقولون مثلاً: "هبش الولد هبشة فظيعة، أي: انقضَّ عليه بسرعة فائقة، وجَذَبه نحوه ليسهل عليه ضربه وإيذاؤه.

وهذا التوظيف أيضًا ذو علاقة واضحة بالمعنى الذي قررناه سابقًا من إفادة هذه المادة في عمومها "معنى الخطف، والحصول على الشيء بسرعة، أو الانقضاض عليه.

٥- تهويش:

نسمعهم يقولون: **دا تهويش - بلاش تهويش**، ويقصدون بـ "تهويش" الإتيان بأعمال أو أقوال غير صادقة، مشوبة بخلطِ الأمورِ أو الأقوالِ بعضها ببعضٍ، بغية إظهار البراعة والكفاية في أداء ما ليس مؤهلاً له صاحبه، أو بقصد الإثارة والمغالطة والفساد أحيانًا.

والكلمة (وتصريفاتها) أصل فصيح، ولدلالتها هذه علاقة وثيقة بما سُجل لمادتها من معانٍ في المعجمات، فالتهويش تفعيل من هوّش (بالتشديد) .

وقد جاء في اللسان "هوّش القومُ إذا اختلطوا"، وكذلك كلّ شيء خلطته فقد هَوشته.

وفي حديث عيسى بن عاصم: "كنت أهاوشهم في الجاهلية " أيْ أخالطهم على وجه الإفساد.

وفيه أيضًا الهَوْشة: الفتنة والهَيْج والاضطراب والهرج والاختلاطِ.

وهكذا: نرى أن مادة (هوش) وما تصرف منها، تفيد في عمومها معنى التخليط، والخروج عن السويّ المألوف من الأفعال والأقوالِ بما ينتظمه كل ذلك من فوضى أو اضطراب، وتجاوز للحقيقة والواقع.

وهذا المعنى - بكلّ أبعاده - ملحوظ بصورة واضحة في التوظيف الحديث لكلمة "تهويش" (وما تصرف منها).

* * *

أَلَنا فصحى وعامية؟(*)

للدكتور إبراهيم السامرائي

(عضو المجمع)

والجواب عن هذا أننا لا نملك الفصحى في ممارستنا اللغوية؛ لأن هذه ملك أصحاب اللسن، وهؤلاء قليلون، ولكننا قد نملك الفصيحة، ولا يمكن أن نبعد إرادة التفضيل عن الفصحى.

ثم أقول: ومصطلح العامية قاصر؛ وذلك لأننا نواجه في أي بلد قدرًا كبيرًا من العاميات في الألسن الدارجة. وقد يكون لنا أن نرى في بلد ما جماعة لا تستطيع أن تفهم ما يقال في مكان ما من البلد نفسه.

وعلى هذا فإني أذهب إلى قسم ثالث يكون قسيمًا لما نحن فيه، وهو العربية المعاصرة التي ندرج بها في وسائل الإعلام عامة. وليس لنا أن نقول الآن: إنها لغة جرائد كما كنا نقول في مطلع هذا القرن، وذلك لأن هذه العربية المعاصرة التي انفردت بدلالاتها الخاصة، وابتعدت في أبنيتها عن المتعارف المتعالم في فصيح العربية، وربما تنكرت للمشهور من نحو العربية وصرفها، أقول: إن هذه العربية المعاصرة أصبحت لغة سائرة قد تجد شيئًا منها في خطبة الجمعة.

إلى أصحابي الكرام في مجمع اللغة العربية أبسط ما وقفت عليه من هذه العربية في صحف المغرب، وليست هذه بدعًا بين الصحف في عالمنا العربي، ذلك أنك تجدها في صحف كل بلد، فهل لنا أن ننبز هذه العربية؟

كنا نذهب فيما خرج عن بناء الكلمة وتجاوز حد المألوف من تركيب الجمل إلى القول بالخطأ، وقد كثرت هذه الأقوال التي قصد أصحابها إلى التصحيح،

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة السابعة، من مؤتمر الدورة الخامسة والستين، السبت الموافق ١٣ من مارس سنة ١٩٩٩م، ونشر بمجلة المجمع بالجزء التاسع والثمانين، ص ٢١٩.

ولعلهم تجاوزوا حد الصواب، لقد خيل لهؤلاء أن الكثير من وجوه القول في عصرنا داخل في حيّز الخطأ، ولو أنهم استوفوا شيئًا من الاستقراء في كتبنا ومصادرنا لعدلوا عن هذا.

ثم إنه جدَّ في عصرنا كثير من الكلم الجديد، ومثله في المجازات الجديدة، وقد اضطر القائلون لهذا بسبب أنهم ملزمون به مضطرّون إلى الأخذ به؛ لأنهم ينقلونه مما يكتب في اللغات الأعجمية.

لقد بدأ هذا الجديد يشيع في الصحف والمجلات، ثم تجاوز ذلك إلى الكتب العلمية، ولا سيما في الاختصاصات الاجتماعية، ثم تجاوز ذلك اللغة الأدبية الحديثة.وأنت لا تفي حاجة إن اقتصرت على جعل هذا الجديد الوافد في حيّز الخطأ؛ ذلك لأنه عامّ شائع، وقد وجد سبيله إلى مواطن ما كان لها أن تشقى به، فقد تسمع بعض خطباء المساجد يديرون في خطبهم شيئًا من هذا الجديد الوافد.

لقد كان لي أن سمعت من هذا قول بعض هؤلاء في موعظة دينية قوله: " **كان ذلك الأمر الرقم الفريد في المعادلة الصعبة**". وقول آخر:" **إن القواسم المشتركة بين الآراء في الأمر هي كذا وكذا ...** ".

أقول: ليس لي أن أبعد هذه الصيغ من هذه اللغة الجديدة: فشيوعها ودورانها في مختلف السياقات والظروف يعطيانها القوة ومن هنا ليس لي إلاّ أن أثبت مادة الجديد التي باتت كثيرة، وتكثر كل يوم.

إن البلدان العربية القريبة من البلدان الغربية، بصلاتها، قد عرف أهلها هذا الجديد فصار عربية إقليمية، وهذه تجد سبيلها إلى بلدان أخرى.

وسآتي على شيء **من عربية أهل الشمال الإفريقي**، التي عرفها غيرهم من عرب المشرق.وأبدأ بما كان لي، وهو قليل من كثير، **في القطر المغربي**.

لقد قرأت في صحف هذا البلد عربية خاصة، وخصوصيتها تتأتى من تأثرها الواضح بما هو أعجمي فرنسي، ثم إنها ضعيفة، من حيث إن المحرر للصحف لا يعرف العربية معرفة كافية.

وسأعرض هاتين المسألتين في هذا الموجز، فأقول:

مما قرأت في الصحف التي حفلت بكلم غريب، لعله من فرنسية أسيء أخذها فأعطيت دلالة خاصة، قول "المحرر":

"عودة إلى موضوع"، "ماذا بعد إحصاء إسكان الكريانات "!!

لا ندري ما " **الكريانات**" هذه؟ أهي من الفرنسية Carrière أم شيء آخر؟

ولإيضاح الكلمة أسوق شيئًا في الصحيفة نفسها:

"فإن الترجيحات والتكهنات والآراء المسبقة تبقى هي السائدة. وأهم ما يستأثر باهتمام سكان كرياني الحائط وسوق السلام هو كيفية مواجهتهم لنفقات بناء مساكنهم الخشبية بعد ترحيلهم ".

أقول: يبدو أن "الكريان" هو مجموعة مساكن يقيمها أصحابها من الخشب، وكأنها مؤقتة خاصة بأصحاب الأعمال الصغيرة، كالباعة أو غيرهم، وأنت القارئ غير المغربي لا تعرف فحوى الخبر لجهلك لمعنى "الكريانات".

أما الآراء "**المسبّقة**" فأنت تجدها في لغة الصحافة العربية في كل مكان، ذلك أن الوصف " مسبَّق ومسبّقة" بناء جديد، فلا نعرف في العربيّة صيغة المضاعف في "سبق".

ومن هذه المواد الأعجمية ما قرأته: "فوجىء سكان حي السواني في الأيام الأخيرة بارتفاع مهول في **فاتورات** استهلاك الماء". أقول: "الفاتورات" جمع فاتورة،كلمة أخذت من اللغة الإيطالية، وتفيد:"الأوراق" التي تخصّ أثمان المواد المشتراة، وما يدعى ورقة استحصال أثمان ما ينفق من الماء والكهرباء في البيوت والمحلات العامة

الأخرى، والأوراق التي يثبت فيها مبلغ الضرائب المستحقة على الباعة وأصحاب المصالح، ونحو هذا.

أقول: وكان فينا غنى عن استعمال هذه "الفاتورات" وفي العربية ما يستطيع ذوو الحاجات أن يأخذوه ويستعملوه بديلاً عن هذه الكلمة الأعجمية.

قد يقال: إن "الفاتورات" أو "الفواتير" قد يصادفها القارئ في غير الصحف المغربية، وهذا لا يكون سببًا في إشاعة استعمالها.

ومن هذه المواد الأعجمية ما قرأته في إحدى هذه الصحف:

"إقامة **البراريك** في الحدائق يشوّه هذه الحدائق ".

أقول: إن "**البراريك**"، من غير شك، كلمة مجموعة لمفرد أجنبي فرنسيّ لا أتبيّنه. وليس هذا شيئًا لابد منه لاستعارته في هذه اللغة الصحفية.

ومن هذه المواد ما قرأت، وهو "**كروتا كارت** "..

أقول: ولابد أن يكون هذا يعني ضربًا من "بطاقة" تُبرز لغرض من الأغراض.

ومن هذا ما كان لي أن قرأته، وهو: "وأراض و**فلل** للبيع". وكأن كلمة "**فلل**" مما عرَّب المغاربة وكذلك المصريون، وهي جمع " **فِلاّ** " villa وتعني الدار المحاطة بحديقة صغيرة.

ومن هذا استعمال "**التلفزة**" في ديار المغرب عامّة. ويراد بها "التلفزيون" ولا أدري كيف وصلوا إلى هذا؟ إن صيغة "التلفزة" شبيهة بالمصدر، وقد تؤدي المعنى المصدريّ، وهو البث بهذا الجهاز، أو نقل الخبر أو الصورة عن طريق هذا الجهاز.

ومن هذا استعمالهم "**ورشة**" بمعنى "مشغل" أي مكان عمل أو إصلاح أجهزة أو صنع بعض الحاجات المنزلية أو غيرها، والكلمة إيطالية، ويجمعونها على "**أوراش**" وقد قرأت: "**ورشة** لتعليم اللغة العربية" وكأن هذه الورشة معهد صغير يشتمل على "مختبر لغوي" بأجهزته السمعية البصرية ونحو هذا.

أقول وأتلو قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كلمةً تخرج من أفواههم إنْ يقولون إلا كَذِبًا﴾.

ومن هذا استعمال أسماء الشهور الأعجمية التي عالجوها بشيء من التعريب ليجعلوها مغربية أو جزائرية أو تونسية نحو:

"**يوليوز**" وهو الشهر السابع، وهو في "**تموز**" من أسماء الشهور الشرقية التي استعملها العرب مستعارة من مواد بابلية أو غيرها.

و"**غشت**" وهو الشهر الثامن، وهو "**آب**" من أسماء الشهور الشرقية.

و"**شقنبر**" وهو الشهر التاسع، وهو "**أيلول**".

و" **دجنبر** "وهو الشهر الثاني عشر، وهو " كانون الأول ".

ومثل هذا نجده في الأشهر الأخرى الباقية.

ومن التأثر بالفرنسية نجد اسم المرض المعروف بـ "**نقص المناعة**" وهو "الإيدز" في الصحافة الغربية الإنجليزية والأمريكية، وقد شاع هذا في أكثر لغات العالم هو "السيدا" في الصحف الفرنسية، وهذا إعراب فرنسي. والكلمة في صورتيها آتية من جمع الأحرف الأولى للكلمات المؤلفة لهذا المصطلح العلمي، الذي ترجمناه بـ "نقص المناعة"، غير أن ترتيب هذه الكلمات في الإنجليزية على عكس الأمر في الفرنسية، فكان "الإيدز" وكان "السيدا".

ومثل هذا كثير بين الفرنسية والإنجليزية ومنه حزب "**الناتو**" لدى الأمريكيين والإنجليز وهو "**الإوتان**" لدى الفرنسيين.

هذا مجمل ما وقفت عليه في صحف، قرأتها خلال إقامة قصيرة في مدينة الدار البيضاء.

ثم أتحول إلى شيء آخر يتصف بالخطأ وفساد التركيب، واستعمال كلمات لا تفي بالغرض، وقرأت من هذا قول أحدهم:

"حرت **مبارة**" وهو يريد "مباراة ". قد تقول: وكيف حدث هذا الغلط؟ والجواب أن القائل حسب " مباراة " جمعًا كسائر الجموع، بالألف والتاء، مثل: زهرات، وفاطمات وغيرهما. ولم ينظر إلى التاء المعقودة، ولما كان له هذا التصور أخذ منه فقال: "مبارة"!!.

وقرأت: "ويتقدمّ فلان بأحرّ **التشكّرات** للذين واسوه"..

أقول: و" التشكرات" جمع "تشكّر" وهو مصدر للفعل "تشكّر"، ولكنه غير معروف استعماله في العربية.

إن الأبنية في العربية مرهونة بالسماع. فلم يسمع في "شكر" المزيد على "تفعل". وقد يكون لي أن أقول: هذا من ألفاظ العربية، التي استعارها غير العرب، فوصلوا إلى هذا البناء الذي لم يعرف ولم يستعمل.ثم إن جمع المصدر سماعي، وهذا السماع يكون حين يتحوّل المصدر إلى اسم، ومن هذه: **النزاعات**، **والخصومات**، **والفتوحات**، **والنزالات** وغيرها. قال تعالى ﴿فيهنّ خيرات حسان ﴾.

قرأت أيضًا: "وحدث في **الإبّان** كذا وكذا".

أقول "الإبّان" بتشديد الباء بمعنى الحين أو الوقت، غير أن هذا الظرف لم يسمع معرَّفًا في استعمال المعربين. يقال مثلاً: حدث ذلك إبان قدوم السيد الرئيس.

أقول: وتعريف "إبّان" ليس من الخطأ، ولكنه استعمال مغربي، أو إفريقي خاص.

وقرأت أيضا:"**توقيف** الأشغال بالسدود".

أقول: المصدر "توقيف" ليس من الخطأ، ولكن الذي جرى به الاستعمال هو "إيقاف" وبناء "أفعل" أكثر ورودًا في العربية من المضاعف المزيد، وهو "وقف" واستقراء لغة التنزيل العزيز يثبت هذا الذي ذهبت إليه. ثم إن التوقيف دلالة غير "الإيقاف". ولكن هذا الفعل المزيد بالتضعيف ومصدره قد كثر في العربية المعاصرة، فالتصليح أكثر استعمالاً من " الإصلاح"، وربما اختص ما ورد على "أفعل" بدلالة خاصة غير دلالة ما ورد على "فعَّلَ"، فالإكرام غير التكريم. والإثبات غير التثبيت.

وقد يكون من هذه اللغة الصحفية ما ابتعد عن الدلالة الصحيحة، ومن ذلك قولهم: "تم **قفل** الوكالة البريدية".

أقول: و"القُفل" لا يعني الإقفال، أي الإغلاق، " يقال: قفَلَ راجعًا، قفلاً وقفولاً، ومن هذا لفظ "القافلة"، للجماعة الراجعين ليس غير.

ومن هذه الاستعمالات التي جنحوا بها عن الصواب ما قرأته:

"نجد البلدان السبعة **يحتلّون** المراكز السبعة في العالم". وكان الصواب أن يقال: البلدان السبعة تحتل المراكز السبعة.وليس لي أن أتأوّل، فأقول: أرادوا أهل البلدان السبعة؛ لأن هذا القصد إلى تحرّي الصواب ليس مما ذهبوا إليه. وأين هذا من قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾؟ والمراد أهل القرية. وهذا التأويل في عبارة الصحيفة غير وارد؛ لأن العاملين في الصحف أهل عامية دارجة، يرون أن استعمال "**الحاجيّات**" كلام فصيح، وكأن "الحاجات" من الخطأ.

أقول: وكثير من هذا الذي يثبت في هذه الصحف المغربية قد أبى إلاّ أن يكون أعجميًّا، وإلا كيف لك أن تسيغ قولهم: "إن" الدار البيضاء "أحسن المدن" **الثالث** "**عالمية**"؟!

بخ بخ لك أيها النحرير المحرر، الذي أبيت إلا أن تسير في ركب الأعجميين، حذو الفعل بالفعل، ومن الذهاب خلف الأعجميين، الانجراف في عامية دارجة، كقولهم:

"**تقرير بنك المغرب ها هو.. وتقرير حقوق الإنسان "فين هو"**!! ومن هذه العامية جهلهم بمعرفة ثوابت العربية، كالجمع والتثنية. ومن ذلك يُرجى من " **الزُّبناء الكرام** أن..

أقول "إن "الزبناء" ليسوا كرامًا، ولا "الزبائن" في ديار المشرق، وكيف يكون "**زبون** " في هذا الجمع؟

إن بناء "فعول" من الصفات يجمع "فُعُل"، نحو صبور وصُبُر، وإذا جاء منه اسمًا فقد يُحمل عليه، والسماع فيه هو الجاري، ثم إن "زبون" مما ورد العربية من السريانية في عصرنا، و لم يعرف المعربون في فصيح العربية "الزبون" بهذا المعنى، بل عرف صفة للحرب، فقالوا: حَرب زبون، أي تزبن المشاركين فيها، أي تطعنهم.

وكان يقال للمتردد على مصدر، ما يتزوّد منه حاجته ومتاعه: "حريف" وجمعه حُرفاء. ومن العجيب أن التونسيين من البلاد المغربية يستعملون هذه الكلمة في عصرنا هذا، وهو من الغريب النادر.

ومن التأثر بالعامية الدارجة، عدم معرفة أصحاب هذه اللغة الصحفية بالمثنى وتوابعه، فأنت تقرأ: "زمان كان فريد الأطرش وأمّ كلثوم.. يغنّون"! !.

ومن هذه العامية التي وجدت السبيل إلى لغة هذه الصحف، ما قرأت:

"مطلوب مدرسة "**خصوصي**"! أقول: كأن "خصوصي" مما يستوي فيه المذكر والمؤنث!!

ومثل هذا:" مطلوب سائق **عمومي**" أي للحافلات العامة، ولو كان السائق امرأة لقالوا كذلك.

وتقرأ من هذه الصيغ الغربية، التي لا تحتملها العربية كلمة "**الخوصصة**" في سياق تفهم فيه: نقل الملكية مما بأيدي "القطاع العام" إلى "القطاع الخاص".

وقد أفلح التونسيون، حين استعملوا من هذا "**التونسة**"، فقالوا: تونسة التعليم، أي جعله تونسيًا.

ومن هذه الغرائب العامية توليد الكلم الذي لم يسمع في العربية، ومنه:

"**تسويء الصائفة**": أي جعل الصيف سيِّئًا، والمصدر للفعل "سوَّأ" الفعل الذي لا نعرفه في العربية. ثم إن "الصائفة" لا تعني "الصيف"، وقديمًا استعملت "الصائفة" للغزاة أو الفاتحين في "الصيف".

ومن هذا الجديد الذي لا يُهتدى فيه إلى وجه في العربية قولهم:

"مُسلسل" الفضائح **يطال** حكومة الرئيس "فلان". وقولهم "يطال" أي يتوجّه بالاتهام إلى "الرئيس فلان".

أقول: ومثل هذا قولهم: وهذه التهمة " **طالت** " الرئيس فلان.ولا نعرف في هذا الفعل هذه الدلالة الجديدة، إلا في صحف عصرنا.ومن هذا توليد دلالة خاصة لكلم عاميّ جديد، ومنه:

"**حَراجات** للأثاث المستعمل "، و"**حَراج**" يعني ما يشبه "السوق"، يباع فيه الأثاث المستعمل وغيره، بطريقة "المزاد العلني "، فينادى على الشيء الذي يراد بيعه، فينبري الواقفون بالزيادة على السعر، إلى أن يستقر على قدر معين، فيكون الشيء لمن أظهر هذا السعر الجديد.

أقول: وليس في "حراج" شيء يومئ إلى هذه الدلالة.

وأنت تقرأ من هذه العامية ما لا تستطيع أن تسيغه وتفهمه، ومنه:

"العالم بأسره الذي يسمع التشكيك الإسرائيلي بسلامة نيّات الفلسطينيين، وبصدق "**تكويعهم** " الذي عطّل الذرائع وغيّر المواقف"...

وليس لك أن تفهم ما المراد بـ "التكويع "؟!

ومن هذا أنك تقرأ مثلاً:

أما الرئيس فلان فقد أغناه الاحتفال في دياره عن كل **سجال** وجَدَل حادّ.."

أقول: كأن كلمة "سجال" أريد بها "الجدال" أو "النزاع".

وهذا مما لا نعرفه في العربية، وليس لنا من حيلة إلى قبوله. والذي جاء بهذه الدلالة الغريبة قول الأقدمين: "الحرب" إلا أنها لا تعني الحرب، ولا تعني الخصومة، أو الجدال، هي جمع "سَجْل" بمعنى "دلو".

فيكون من هذا "الحرب سجال" أي أن الحرب تكون طورًا للطـــــرف الأول المشارك فيها، وطورًا آخر للطرف الثاني، والعبارة قائمة على التشبيه بالاستسقـــاء من البئـــر. والسجل مرة للمستقي الواقف على اليمين، وأخرى للمستقي الثاني الواقـــف على الشمال، فأين نحن من هذا؟!

ومن هذا الغريب الجديد استعمال الجمع، الذي لم يشتهر استعماله، ومنه: "المؤسسة العامة" **للأبناك** "! ! و"الأبناك"جمع "بنك".

أقول: والجمع صحيح، وهو نظير "نهر وأنهار" إلاّ أن هـــذا الجمـــع لم يعرفـــه المعربون، فقد ذهبوا إلى" بُنوك"، واشتهرت هذه الصيغة في كثير من البلدان العربية.

ومن هذا أيضًا قولهم في مراكز البريد: "إرسال **الرزمات**".

أقول: و"الرزمات": جمع "رزمة"، وهو جمـــع مؤنث صحيح، ولكن مشاع في الرزمة، أن تجمع على "رِزَم"، ثم إن الجمع - بالألف والتاء - ينصرف في الغالـــب إلى معنى القلة: فأنت تفهم من "السنوات" القلة، أي: دون العشرة، بخلاف "السنين"، التي تدل على العدد الكثير، ومثله "سنبلات" و"سنابل".

و"الرِّزَم" في مراكز البريد: عدد كبير، فلا يحسن استعمال "الرزمات".

ومن هذا ما قرأته في مراكز البريد في "الدار البيضاء":

"شعبة **البعائث** المسجلة" و"البعائث" جمع "بعيثة"، وهو شيء خاص وجدته في المغرب. وهو صحيح، لكن قد نجد نظيره "شعبة الرسائل المسجلة" و"المرسلات المسجلة". وهذا أكثر من "البعائث".

ومنه قولهم:"إدارة "**مفاحم** المغرب".

أقول: كأن "المفاحم" جمع مفحمة" أو"مفحم"، وهي مراكز استخراج الفحم. وهذا جيّد، ولكنه خاص بهذه الديار.

ونقرأ من هذه الغرائب ذات الخصوصية المغربية:

"بعَثَ من أزيَد من (٤٦) طالبًا وأستاذًا درسوا بالمدارس العليا للأساتذة رسالة يلتمسون فيها إثارة مشكل وضعيتهم الإدارية والمالية".

أقول: جاء في الجملة "استعمال" **أزيد**،ولا أقول: إنها خطأ، ولكني أقول: إن كلمة " أكثر" هنا تفي بالحاجة وفاءً لا يؤدى بالكلمة "أزيد". ثم إن "المشكل" يقابل "المشكلة " لدى المشارقة.

قد تقول: لِمَ ذهب المغاربة إلى "المشكل" وهو كلمة مذكرة؟ والجواب أن هذه تقابل "problème" الفرنسية وهي مذكر؛ ولما كان أهل الشمال الإفريقي ينظرون إلى الكلم في الفرنسية، فلا بد أن يصيروا إلى هذا، وليس "المشكل" في العبارة المغربية الحديثة مأخوذًا من استعمال الأقدمين، نحو: "تأويل مشكل القرآن"، و"مشكل الحديث"، ونحو هذا.

ومن هذا قولهم:

"وعدم القدرة على التعبير يظهر في الاستجوابات الإذاعية و**التلفزية** خاصة، وإن كان الصحفيون يرمّمون تصريحات مستجوبيهم على أعمدة الجرائد والمجلات".

أقول:وقولهم:"التلفزية" منسوب إلى "التلفزة"، وهي "التلفاز" أو "جهاز التلفزيون "في استعمال أهل المغرب، وهو استعمال خاص أو قل: "تعريب خاص"، والذي أراه أن "التلفزة" تصلح للمصدر، أي: ما يُبَث بهذا "الجهاز".

ومن هذا استعمالهم:"**الإشهار**" بمعنى الإعلان: أو "الإعلام"، وكأنه من "publicite"، فيقولون، مثلاً: " تنحية اللوحات **الإشهارية** " ويقال: بصورة "**إشهارية**". وليس هذا القول بالخطأ. ولكنه عربية خاصة.

ومن هذه الخصوصيات الصحفية في المغرب، قولهم: "إقلاع نصف عدد المدخنين في أمريكا".

أقول: كأن المحذوف من العبارة معروف، وهو: "عن التدخين".

ومن هذا أيضًا قولهم:"إن المرشحين **للوظيف** الحكومية قدَّموا استدعاءات".

أقول"الوظيف" في استعمال المغاربة، اسم جمع واحده "**وظيفة**" مثل كلمة "فسيل" وواحدها " فسيلة". وهذا هو الاستعمال الشائع الفاشي في البلدان المغربية، ولا يعرفه أهل المشرق، ثم إن "**الاستدعاءات**" جمع استدعاء "بمعنى" تقديم طلبات".

وكأني أرى أن هذا بقية من العربية، التي عرفها الأتراك العثمانيون، واستعملها العرب منهم، وقد كانت معروفة لدى عرب المشرق. وهو مما أخذوه من اللغة الرسمية أيام الحكم العثماني.

ومن هذه الخصوصيات المغربية: استعمال بعض المصادر، التي لم تعرف في العربية على نحو كثير، ومن ذلك قولهم: "أشغال **ترصيف**" بمعنى "أشغال تتصل برصف الطرق وإقامة الأرصفة فيها".

ومثله قولهم:"إعطاء العمّال منحة السفر **وتمتيعهم** بالعطلة السنوية".

أقول:إن "التمتيع" مصدر الفعل، "متَّع" وهو صحيح. ولكنه لم يسمع.

وتقرأ من هذا الذي لم يشتهر سماعه: "حكومة شامير معرّضة **للانفراط**" ويراد بـ"الانفراط": "السقوط"، ومثله قولهم: الدخول ممنوع "**للمنخرطين**". ويراد بـ "المنخرطين" "المسجلون" المشتركون في "ندوةٍ، أو نادٍ " مثلاً.

ومن هذه الخصوصيات، قولهم: "**تدشين معهد التكوين**".

أقول: و"**التكوين**" هنا يشير إلى الكلمة الفرنسية Formation، ويعني تخريج الطلاب المزودين بمعرفة خاصية فنية أو حرفية، في مركز ما أو معهد من المعاهد، ثم إن "**تدشين**" عامية واستعملها المشارقة، وأصلها كلمة سريانية دخيلة.

ومثل هذا قولهم:"مديرية تكوين **"الأطر"**. أقول:ويراد بـــ "الأُطُـــر"، جمـــع "إطار" و"تكوين الأطر": مثلاً "توفير المختصين من عمّال أو فنيين"، وقد يكونون أطباء ومهندسين وبيطريين، ونحو ذلك. وقد تكلمنا على "تكوين"، وأما الأطر: فجمع إطار، وقد يجمع جمعًا مؤنثًا على "إطارات"، وهذه جيء بها لتقابل الكلمة الفرنسية "cadres" وحقيقته في الفرنسية لإطار الصورة أو اللوحة أو الجدول، أو نحـــو ذلـــك، غـــير أن الفرنسيين صرفوه مجازًا إلى ما أشرنا إليه، فجاء العرب، وصرفوا "الإطار" إلى نحو مـــا فعل الفرنسيون.

ومن الخصوصيات المغربية: استعمالهم **"قارّ"** و**"قارّة"**، لكل ما هو "دائم"، فيقولون مثلاً:"من أجل إحداث مخازن قارّة للحبوب" والتعليم القارّ، والضرائب القارّة، وغير ذلك"، ومن هذه الخصوصيات قولهم: "إدانة المتّهم بالسجن عشر سنوات **نافذة**" ويراد بـــ "نافذة "، أن المتهم يقضيها في السجن: أي أنها غير موقوفة.

ومن هذا الذي ينظرون فيه لما يقال في الفرنسية، قولهم:

"نـــزعت الأراضي من مالكيها لاستغلالها من طرف مصالح المياه".

أقول: وقولهم:"من طرف" ينظر فيهـــا إلى العبـــارة الفرنـــسية "de la part"، والفصيح المليح أن يقال:"من لدن"، وقد يقال:"من قِبَل".

ويقال: "توصّلنا برسالة من سكان القرية، يثيرون فيها أنهم مُنعوا مـــن زيـــارة مسجد المجاهدين:" أقول: وقولهم:"توصّلنا"، بمعنى: "تسلمنا، وكأن هـــذا يـــومئ إلى الفرنسية communiquer وFaire communiquer"

ويقال: "أعلن المكتب السياسي لحزب العمل الإسرائيلي تأييده **لفـــرط** عقـــد حكومة الوحدة الوطنية؛ لقد قرر المكتب السياسي، بغالبية ساحقة (٤٠) صوتًا، مقابل صوتين، وامتناع ستة عن التصويت".

أقول: واستعمال "**الفرط**" بمعنى: "الإسقاط" أو "السقوط"، قد سبق الكلام عليه، ثم إن" الغالبية الساحقة "هي ما يقال **la majorité écrasante** والعبارة كلها مما استعير من الأسلوب الفرنسي.

ومن هذه المواد الخاصة: استعمال "**كراء**" بمعنى "استئجار"، فيقال لدى المغاربة: "كراء السيارات" بمعنى "**استئجار السيارات**". ويقولون:"الأسعار **الكرائية** للمساكن".

أقول: وفي **فصيح العربية**: اكترى الدار أي استأجرها، واستكراها وأكرى الدارَ، أي: أجّرها، وهو مُكارٍ، والفعل "كارى"، وأما "الكراء" بكسر الكاف، فهو الأجر يعطى لصاحب الشيء المكترى.

وهذه المادة قد هجرت في الفصيحة المعاصرة، وتحوّلت في بعض بلدان المشرق إلى عامية دارجة.

وتقرأ في صحف المغرب: "ارفعوا **يد الإهمال** عن قرية ..."

وهذا مجاز لا يعسر فهمه، ومعرفة "يد الإهمال".

وقد تجد الكلمة الفصيحة، التي بقيت في لغة خاصة الخاصة مستعملة في العربية المغربية، وهذا شيء ذو قيمة تاريخية، ومن هذا قولهم: "وقد كاد **الظنين** ينفلت من يد العدالة".

إن الظنين هو: المتهم، وهذا نادر في كثير من بلاد العرب.

ومما قرأت في هذه العربية قولهم:"قضية الهوية والوقت الحرّ **لازالت** تشكو في المغرب من قلّة الاهتمام". إن الإخبار بقول المحرر: "لا زالت" جاء عن شيئين، هما "قضية الهوية" و"الوقت الحرّ" فيكف يكون هذا؟، ثم إن الفعل "لا زالت" غير سديد هنا.. والصحيح الفصيح "ما زالا"؛ لأن لا زال بسبق "زال" بـ لا "يفيد الدعاء، قال ذو الرمة:

"ولا زال مُنهلاً بجرعائِكَ القطر"

إن هذه العربية الصحفية في المغرب وغير المغرب، وكذلك في المشرق تشكو الضعف، ذلك أن المحرر يتساهل في المادة اللغوية، فيقول مثلاً:"الحساب بين الصح والخطأ ".

وهو يحسب أن "الصحّ" صفة كالصحيح، وهو يقول:"**المئساة**" "الأمنية".

ويتصور أن رسم الهمزة على هذا النحو صحيح وهو يريد "المأساة".

وأنت في المغرب تقرأ كلمة "**البوابة**" مكتوبة على لوح في "الفندق" الذي تسكنه، ولو كنت من أهل المشرق، ولا تعرف شيئًا من الفرنسية لاستغلق عليك الأمر، ولم تفهم المراد بـ "البوابة"، ولكنك تعرف "البوابة" حين تهتدي إلى أنها تقابل "conciergerie"، وهذه تعني احتراف حرفة " البوّاب"، الذي يكون في الطابق السفلي للمنزل أو "العمارة"، أو نحو ذلك.

إن الوصول إلى " البوابة "جميل. ذلك أن الذي وصل إليها مدرك أنها مصدر للحرَف والصناعات، كالنجارة، والحدادة، وغيرهما.وقديمًا كان "البواب" من يلزم باب الكبير، أميرًا أو خليفة أو غيرهما. وتجد شيئًا يثير فيك التساؤل في أول الشارع أو الطريق، وهو لوح يشير إلى اسم الشارع، وهذا ما رأيته مكتوبًا، وهو:**محجّ** مولاي عبد الله.

خاتمة:

هذا ما كان لي أن أقف عليه - في إقامة قصيرة في"الدار البيضاء" - حاضرة المغرب، وأنا أجيل نظري في صحف المدن.

* * *

نظرات في كتاب "ردّ العاميّ إلى الفصيح" للشيخ أحمد رضا العاملي(*)

للدكتور محمد إحسان النص
(عضو المجمع المراسل)

سيرة المؤلف:

أبو العلاء، بهاء الدين، أحمد بن إبراهيم بن حسين بن يوسف بن محمد رضا العامليّ، من الباحثين المتعمقين في اللغة العربية والأدب العربي والنقد الأدبي ولد سنة (١٢٨٩هـ) الموافقة لعام (١٨٧٢) للميلاد ببلدة النبطية، إحدى قرى جبل عامل في الجنوب اللبناني، في أسرة عرفت بحب العلم والتقوى والبر بالفقراء. وفي النبطية بدأ يتلقى العلم في الكتاتيب، وكان التعليم فيها يقتصر على قراءة القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والحساب. ولمّا بلغ الثامنة من عمره أرسله والده إلى بلدة "أنصار"، من أعمال النبطية، فتلقى في مدرستها علوم اللغة والنحو والصرف. ثم استدعاه والده إلى النبطية فاستمر في تلقي العلم في مدرستها، فتعلّم الحساب والجغرافيا وعلوم العربية وتوفي والده سنة (١٨٨٤م)، وكان في الثانية عشرة من عمره، فاضطر إلى التوقف عن طلب العلم مدة ثلاث سنوات، عاد بعدها إلى متابعة الدراسة، وكان لأستاذه محمد علي إبراهيم الحسيني الفضل الكبير في إغناء زاده الثقافي في جوانب شتى من المعرفة، وكان الفتى طُلعه مشغوفًا بمطالعة الكتب اللغوية والأدبية، ثم نمت ثقافته بانتسابه إلى المدرسة التي أنشأها في النبطية العالم البحّاثة السيد حسن يوسف آل مكي الحسيني.

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين، يوم الأحد الموافق ١٤ من مارس سنة ١٩٩٩م. ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التسعين، ص ٤٧.

ولما آنس بهاء الدين من نفسه المقدرة على العطاء العلمي، بعد أن اكتمل زاده الثقافي، انصرف إلى التدريس، والتف حوله طلاب كثر ينهلون من معين معارفه الثرة، وقد نبغ منهم فيما بعد علماء وأدباء مشهورون، منهم الشيخ أحمد عارف الزين الذي أنشأ دار العرفان بصيدا وأصدر مجلة العرفان.

وإلى ذلك كله كان المؤلف يشارك في الحياة الاجتماعية والحركة العلمية في بلدته، فكان أحد مؤسسي "جمعية المعارف" بالنبطية وأحد المدرسين في مدرستها، وأحد مؤسسي المحفل العلمي العاملي. وكان دائب النشاط، بعيد الهمة، يوالي المجلات الأدبية والعلمية ببحوثه ومقالاته، ويلقي المحاضرات في مختلف الموضوعات وفي عام (١٩٣٠م) اختاره المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية اليوم) عضوًا مراسلاً فيه وكلفه وضع معجم لغوي حديث، وهو المعجم الذي ألّفه الشيخ أحمد رضا وسمّاه "متن اللغة".

ولم يكن المؤلف معزولاً عن الشؤون الوطنية والقومية، فكان من الوطنيين الساعين إلى النهوض بأمتهم ووطنهم، المناهضين للاستبداد، فجر ذلك عليه نقمة المتسلطين الأتراك، ولم ينج من مشنقة السفّاح جمال باشا إلا بأعجوبة، ولما احتل الفرنسيون سورية ولبنان وقف في صف المناهضين لسلطانهم، وظل متشبثًا بمبادئه الوطنية والقومية حتى واراه الثرى عام (١٩٥٣) للميلاد.

آثاره:

كتب أحمد رضا عشرات من المقالات والبحوث والتعليقات في مختلف المجلاّت؛ ومنها مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق. ولم يكتف بذلك فألف طائفة من الكتب اللغوية، والفقهية وغيرها وأهم مؤلفاته معجم "متن اللغة" فقد عهد إليه مجمع دمشق بتأليف معجم لغوي يجمع ما حوته المعجمات، ويضيف إليها ما استُحدث من مصطلحات في المجامع العربية، ويضيف إلى ذلك كله ما ورد في كتب التراث من

ألفاظ لم ترد في المعجمات. وقد أنفق أحمد رضا في تأليف هذا المعجم سنوات طوالاً. ومن المؤسف أنه لم يتح له أن يراه مطبوعًا في حياته، فنشر بعد وفاته واستغرقت طباعة أجزائه الخمسة سنوات ثلاثًا، من (١٩٥٨م حتى ١٩٦١م)، وهذا المعجم من أنفس المعجمات التي وضعت في العصر الحديث.

وقد ألحق المؤلف بمعجمه كتابين اختصر فيهما متن اللغة، تسهيلاً على المراجعين غير المتخصصين، وألف إلى ذلك، كتابًا أسماه "التذكرة في الأسماء المنتخبة للمعاني المستحدثة". ومن مؤلفاته الأخرى:"رسالة الخط" و"هدية المتعلمين" و"الدروس الفقهية" و"ردّ العامي إلى الفصيح" وهو الكتاب الذي نحن بصدده. وله مؤلفات أخرى لا تزال مخطوطة.

كتاب "ردّ العامّيّ إلى الفصيح ":

نشر البحاثة الشيخ أحمد رضا في مجلة المجمع العلمي العربي بحوثًا بعنوان "الغريب الفصيح في العاميّ" بدءًا من الجزء العاشر من المجلد السادس في تشرين الأول (أكتوبر) سنة (١٩٥٦م)، وبدأ أول بحث تحت هذا العنوان، بقوله: "ربما ينكر بعض من درس علم البيان هذا العنوان، إذ يرى الغريب موصوفًا بالفصيح، وقد تعلم أن الفصاحة في المفرد خلوصه من الغرابة، فكيف يكون إذًا الغريب فصيحًا؟ فاستمع لما يتلى عليك من معنى الغريب الفصيح:

الغريب هو في عرفهم البعيد عن الاستعمال، وفسّر علماء البيان الغرابة بكون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال، ويريدون بالاستعمال استعمال الفصحاء، فالغرابة بتفسير علماء البيان هذا أخصّ من البعيد عن الاستعمال، فإذا كانت الكلمة مستعذبة اللفظ، خفيفة على اللسان، غير حوشية ولا مستكرهة، فكيف تكون غير فصيحة لأنها غير مأنوسة؟ وإذا كانت اللغة تقبل بعض الكلمات الأعجمية إذا

صقلت وشُذّبت وجرت مجرى كلمات اللغة العربية، فكيف باللفظ العذب الجميل من كلمات المصقول البعيد عن المألوف فلا يصل إلى درجة الأعجمي المعرّب.

على أن مثل هذا البحث لم يهمله أئمة اللغة، فقد قال ابن دُرستويه وحكاه في المزهر: "ليس كل ما ترك الفصحاء استعماله بخطأ، فقد يتركون استعمال الفصيح لاستغنائهم عنه بفصيح آخر، أو لعلة غير ذلك". وقال أيضًا: "إنما الفصيح ما أفصح عن المعنى واستقام لفظه على القياس لا ما كثر استعماله". وقال السبكي في عروس الأفراح: "ينبغي أن تحمل الغرابة بالنسبة إلى العرب العرباء لا بالنسبة إلى استعمال الناس، وإلاّ لكان جميع ما في كتب الغريب غير فصيح، والقطعُ بخلافه". ثم يقول المؤلف:"وبعدُ، فإن في القرآن والحديث الشريف - وهما ما هما لا يدانيهما في الفصاحة كلام - من الغريب ما جرّد الأئمة الأعلام وفطاحل اللغة أقلامهم لشرحه، كابن قتيبة والزمخشري، وكتبهما في غريب القرآن وغريب الحديث معروفة، فهل كان هذا الغريب غير فصيح، واسمه كما ترى "الغريب"؟".

وبعد أن يطيل المؤلف في الحديث عن الفصيح والفصاحة يعرّف العاميّ بقوله: "العاميّ منسوب إلى العامة، وهم عامّة الناس، ويقابلهم الخاصة". ويقول بعد ذلك: "كانت العامية تبعد عن الفصحى، بتطاول المدّة يوم أديلت دول العرب، وامتد فيهم ملك الأعاجم وكثر اختلاط العجمة بالعروبة، وقضت سياسة ملوك الأقطار العربية من الأعاجم، نزعة ولغة أن لا يأبهوا للعربية. كان ذلك إلى حين، ثم انبعث بصيص النور إلى اللغة، لأن روح الحياة لابد أن تنبض إذا خف عنها كابوس المرض، فأخذت اللغة في الانتعاش في العصر الأخير وظهرت العصبية القومية، وعنيت الأمم بلغاها، فنهض العرب مع الناهضين لإنعاش الفصحى من لغتهم هضة متثاقلة، ولكنها استمرّت فنمت وزهر عصرها في مصر ثم في الشام و العراق، وكان للجرائد والمجلات أثر صالح في

ذلك، فكثرت الخاصة بين العامة وأُولع العامة بالتقرب من الخاصة، فكان من ذلك فاتحة أمل جديد، لو أن للعرب دولة مستقلة لسارت لغتها شوطًا صالحًا".

ثم يتحدث عن الفصيح والعامي من حيث الاستعمال فيقول:"لم تخرج العامية، مع تحريفها وعدم ضبط قواعدها، عن كونها لغة عربية، والتحريف كان معروفًا باختلاف لغات العرب، وإن كان بين الفصيح والعامي أشدَّ، وهو في العاميّ أكثر وبه ألصق".

ثم جعل الباحث للفصحى ضروبًا ثمانية، "فمنها ألفاظ انفرد بها متقدمو العرب وتركها المحدثون، وضرب لذلك مثلاً "**عيسور**" للناقة الشديدة السريعة، فقد استعمل مَن بعدهم مكانها لفظ "**عَلنداة**". ومنها ألفاظ استعملها المتقدمون وخواصّ المحدثين و لم تعرفها العامة كقولهم: "طَخية عمياء ومرة سوداء". ومنها ألفاظ استعملها العرب وعرفتها العامة وقلّ استعمال الخاصّة لها فلم تشع بينها، ومنها ألفاظ للعرب فيها لغتان أو أكثر أخذت العامة ببعضها والخاصة ببعض آخر، **كفزّ** عند العامّة، **وقفز** عند الخاصة، وما فيها دومري (**تومري**) عند الخاصة.

وقد وقف الباحث عند هذين الضربين الأخيرين، فعثر على ألفاظ قل استعمال الخاصة لها، حتى كادت تعدّ غريبة عندهم، ولكنها كثيرة الورود في كلام العامّة، فأراد أن يذكرها تذكرة للباحثين.. ومن هذه الألفاظ:

- **أرَم فلان اللقمة**: إذا قطع رأسها بأسنانه، وهي فصيحة، ففي القاموس المحيط: أرمتُ ألسنةَ القوم، قطعتها، وأرم ما على المائدة: أكله.

- **برطم ومبرطِم**: يقول العامة: برطم فلان إذا تضخمت شفتاه من الغضب، ويقولون للعبد الضخم الشفة: هو مبرطِم، وفي اللغة البرطام: الضخم الشفة؛والبرطمة:الانتفاخ من الغضب.

- **بغو**: يقولون للثمر إذا قطف قبل نضجه: هو بغو، وفي اللغة: البَغْو: الثمرة قبل نضجها.

وتابع الباحث إيراد الألفاظ العاميّة التي لها أصل فصيح، منسوقة على أحرف الهجاء، حتى استوفاها في ثلاثة أعداد متتابعة من مجلة المجمع العلمي العربي.

ثم بدا له بعد سنوات أن يستأنف هذا الموضوع وجعل عنوانه: "العامي الفصيح"، وذلك بدءًا من المجلد التاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي، وتتابعت مقالاته في هذا الموضوع، حتى بلغ عددها عشرًا، نشرت على مدى خمس سنوات (من عام ١٩٤٤م حتى ١٩٤٨). وكان حينئذ قد شرع في تأليف معجم "متن اللغة".

استهل حديثه في هذا الباب بقوله: كنت وأنا أعمل في تأليف كتابي "متن اللغة" يعرض لذهني كلمات عامية، لها معنى الفصيح، الذي أدوّنه فأعلّق الكلمة العاميّة على هامش الصفحة، وربما كان اللفظ العاميّ هو لفظ الفصيح، ولكن الفصيح غريب والعامي مشهور، فأعدّه من الغريب الفصيح في العاميّ، أو يكون في العاميّ تحريف قليل أو كثير من قلب أو إبدال، فأدل عليه، ولم أعن بالتحريف في الحركات؛ لأنها- فيما أرى- أكثر من أن تحصى بين العاميّ والفصيح.

وربما كانت العاميّة- دخيلة أو مولّدة- لم يعرفها الأوّلون، بل عرفت في عصر العباسيين ومَن بعدهم، فأذكر ما وصل إليه بحثي فيها، المقصور على الكتب العربية التي بيدي.

وربما بدا لي في بعض ما نسبه الباحثون في الألفاظ المعرَّبة إلى غير العربية وعدّه دخيلاً فيها أنه عربي، أو يمكن تخريجه على أنه عربي، فأذكر ما تراءى لي فيه، لأنني رأيت أن بعضهم أسرف في إلحاق كثير من الكلمات العربية بالسريانية أو غيرها من

اللغات، مع أن إرجاعها إلى أصل عربي واضح أو ممكن على الأقل، فلا ينبغي والحال هذه جعله دخيلاً ما دام لعروبته وجه.

ولما بلغت النهاية من تأليفي "**متن اللغة**" رأيت أنه قد أصبح في يدي طائفة من هذه الكلمات العاميّة، صالحة لأن يفرد لها مؤلّف خاص، يُتوسع في البحث فيه حسب الوسع والطاقة، فشرعت في كتابي "**العاميّ الفصيح**" وأنجزت حتى الآن أكثر من ثلثيه.

وإنه لغني عن البيان أن أكثر ما ذكرته من العاميّ إنما هو من اللهجة التي أسمعها كل يوم بل كل ساعة، وهي لهجة جبل عامل وساحل دمشق، وما يليه من سفوح لبنان، وهاؤم اقرؤوا كتابيه".

وبعد المقدمة التي وضح فيها الدافع إلى كتابة هذه الفصول في العاميّ الفصيح، والنهج الذي اتبعه، واللهجة التي اعتمدها، شرع في ذكر الألفاظ العاميّة التي لها أصل فصيح، منسوقة على أحرف الهجاء.

وأول لفظ ذكره هو لفظ "**الأرميّة**" فذكر أنها عند العامّة: أصل الشجرة في الأرض، ويغلب أن تكون كالعقد أو كالعقدة المتصلة. وهي إمّا من **الأرومة**، قال في تاج العروس: "والأرومة بالفتح، وتُضم، لغة تميمية: الأصلُ، (ج) أُروم، وإما من (**الأربيّة**) على الاستعارة من أربيَة الفخذ، أبدلت الياء ميمًا. ثم أورد ما ورد في المعجمات من معاني الأربيّة، وهي لا تخرج عن كونها: أصل الفخذ.ثم قال: (وفي اللسان: أربيّة الرجل: أهل بيته وبنو عمّه، ولا تكون الأربيّة من غيرهم).

ثم ذكر الباحث وجهين آخرين فقال: "وإما من أرمولة العرفج" أي أصوله وإما أن تكون هي القِرميّة، بالقاف كما يلفظها أبناء جنوبي لبنان وأعرابهم، فتكون من قِرميَةِ البُرة على التجوّز. قال في القاموس: **والقرميّة**- بالكسر- عقدة أصل البُرة من أنف الناقة، والبرة: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه، **إلا أن العامة تضم القاف**".

ويتضح من تخريجات الباحث هذه، أنه أورد جميع الاحتمالات في مأخذ لفظ الأرميّة من الفصيح، وربما يرجح عندنا أنها محرفة عن الأرومة، بمعنى الأصل. ولكن الباحث اجتهد في البحث عن الألفاظ الفصيحة التي تقارب لفظ (الأرميّة) العامية، وهذا الأمر يدل على ما بذله من جهد في التتبع والتقصي.

وهذا اللفظ مستعمل عندنا في سورية، ويطلق على أصل الشجرة، كما يطلق على أصل نبتة الخسّ، وعلى أشياء أخرى.

وتوالى نشر مقالاته في هذا الموضوع طوال سنوات خمس واستغرقت عشر حلقات انتهى فيها إلى كلمة (**الزوم**)، فذكر أنها عند العامة: **المرق، وماء الغُسالة**، ورجح أنها دخيلة.

ثم بدا له بعد ذلك أن يفرد كتابًا مستقلاً لموضوعه هذا، وجعل عنوانه: "**ردّ العامي إلى الفصيح**". وقد نشر هذا الكتاب قبل وفاته بعام واحد، أي سنة اثنتين وخمسين وتسعمئة وألف للميلاد، وطبع بمطبعة العرفان بصيدا، **واشتمل على ما يناهز ألفًا وأربعمئة كلمة**، ملأت أربعين وأربعمئة صفحة.

والكتاب يبدأ بمقدمة كتبها الشيخ سليمان ظاهر- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق- وضح فيها عمل المؤلف في كتابه ونهجه فيه، ثم عرض للمحاولات التي قام بها في القرن العشرين فريق من الناس- لإحلال العامية محل الفصحى عن سوء نية، وكذلك حاول فريق آخر استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي، وعلّق على هاتين المحاولتين بقوله: "فقيَّض الله لها في الجاهلية من صانها لا في التدوين، وهو يومذاك مناط الثريا، والكتابة تكاد تكون معدومة، بل دونت في شعر الجاهليين وفي خطبهم وملاحمهم وكلماتهم الحكيمة وأمثالهم السائرة، وقيّض لها في ظهور الإسلام الكتاب الحكيم ..."، ثم أثنى على جهد المؤلف فقال: "وكان ردّ العامي إلى الفصيح ثمرة من ثمرات جهوده في كتبه

اللغوية الثلاثة، ونتيجة من نتائج ما كان يعثر عليه من كلم عربية أصيلة، تستعملها العامة بنوع من التحريف والتغيير.

والمؤلف حاضر الذاكرة، سريع الملاحظة، أُوتي مع دقة النظر وذكاء الطبع صبر العلماء وأناة الحكماء ومزية التحقيق ".

وقد مهد المؤلف لكتابه بالتمهيد الذي أوردناه آنفًا، والذي استهل به مقالاته في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق.

وقد رجع المؤلف في تقصي أصول الكلمات العامية في الفصيح إلى أمهات المعجمات وكتب العربية، واعتمد خاصة على تاج العروس للزبيدي، وما استدركه على القاموس المحيط، فبذل في هذا التتبع جهدًا عظيمًا.

وبين المؤلف في مقدمة كتابه أنه ذكر من الألفاظ العامية ما هو شائع في موطنه "جبل عامل"، في جنوبي لبنان.

ولما كان لكل بلد في سورية ولبنان وفي أي قطر آخر لهجته العامية التي تختص به،**فقد اخترت من الألفاظ التي أوردها "أحمد رضا" ما هو شائع في العامية السورية عامة، وفي عامّية أهل دمشق خاصة.** فقد تتقارب اللهجات العامية في البلدان الشامية في ألفاظ وتتباعد في ألفاظ أخرى، وربما أضفت إلى ما ذكره الشيخ رضا بعضًا مما يرد في عامية أهل دمشق، وأحاول ردّها إلى أصلها الفصيح. وسوف أذكر الألفاظ العامية التي اخترتها منسوقة على أحرف الهجاء:

- آدمي ــ أوادم:

تستعمل كلمة (آدمي) مع جمعها (أوادم) عندنا للدلالة على الإنسان الحسن الخلق المستقيم السيرة، وفي لهجة قوم المؤلف: فلان آدميّ في عشيرته وآدميّ في قومه، أي هو عين من أعيانهم، وهم أوادم، أي أشراف بلدهم وأعيانهم، وفي اصطلاح أهل

البادية: أوادم الرجل: خدمه وأعوانه، فمعناه عندهم نقيض معناه في الحاضرة. وقد رجّح المؤلف أن هذا اللفظ مأخوذ من قولهم: فلان أَدَمة قومه وأدمُهم، أي سيّدهم (أساس البلاغة)، وفلان إدام قومه وأَدْم بني أبيه لمن يُصلح أمورهم، وآدَم بين القوم: إذا أصلح بينهم. ولا يبعد عندي أن يكون لفظ (آدمي) منسوبًا إلى سيدنا آدم، للتفريق بين بني آدم وسائر المخلوقات.

- تمالس به وعليه:

في عاميتنا ولهجات أخرى يراد بهذا اللفظ الهزء والسخرية، ويرى المؤلف أنه مأخوذ من لفظ (المألوس) وهو المجنون ... وفي اللغة: أَلِس أَلْسًا فهو مألوس: إذا اختُلط وذهب عقله، والأس: الجنون.

- أمّن الشيء:

يقولون: أمّن المال للعمل الفلاني، وأمّن نفقة الطريق قبل سفره، أي وثق من حصوله على المال، وهو في الفصيح مأخوذ من أمِن البلد إذا اطمأن به أهله، وأمِن الرجل: اطمأنّ قلبه. ويرى المؤلف أنه قد يكون منقولاً من: قَمّن الشيءَ: إذا أشرف عليه ليأخذه، فأبدلت العامة الهمزة بالقاف، وهو شائع في اللهجات العاميّة.

الأمّيم:

الأمّيم عند العامة - بفتح الألف وتشديد الميم -: هو مَوقد النار في الحمّام. وجاء في القاموس المحيط: القَمِين كأمير: أَتون الحمّام، وربما يكون هذا اللفظ مأخوذًا من القِمامة.

- الأوْبة:

في لغتنا: الجماعة، وفصيحها عند المؤلف: الحوبة، وهم ذوو الرحم والجماعة المؤتلفة: ويحتمل عندي أن يكون مصدرها: الأُوبة، بمعنى الرجوع، مصدر آب يؤوب، وأنها نقلت من معنى الرجوع، إلى القوم الراجعين، ثم أطلقت على الجماعة.

- بحش:

في لغة العامة: بحث ونقّب، وفصيحها: بَحَش، ونحن نستعملها على الأصل فنقول: بحش الأرض إذا حفرها ونقّب فيها.

- البحص:

الحصى، وهو في الفصيح: الحصب، أحدثوا في الكلمة قلبًا مكانيًّا، ومثله كثير في لغة العامة.

- بحلق:

بمعنى: وسّع عينيه لينظر، مأخوذ من حملق،على القلب والإبدال.

- البدلة:

أصلها: البِذْلة، وهي ما لا يصان من الثياب. وقد تغيرت دلالتها فأصبحت تدل على اللباس الأنيق.

- برطَمَ:

معناها: أرخى شفتيه وزمّهما غضبًا، وهو من البرطمة، بمعنى تضخم الشفة، وهي لفظة فصيحة.

- بَرَم على الشيء:

في عاميتنا معناه: بحث عنه في مظانه، وأصله من برم الحبل: إذا فتله على طاقين، ومنه أخذ لفظ (**المبرومة**) وهي نوع من الحلوى معروف في بلاد الشام، وكذلك يراد بها: السوار الملتف.

- البطاقة:

هي الرقعة التي يكتب فيها اسم صاحبها، وهي في اللغة: الرقعة الصغيرة، جاء في لسان العرب - في حديث ابن عباس - قال لامرأة سألته مسألة: اكتبيها في بطاقة، أي في رقعة صغيرة.

- بعزق المال:

معناه: بدّده، والعامة تقلب القاف همزة، وهو في الفصيح: تبعثق مأخوذ من تبعثق الماء، إذا خرج من حوض ففاض.

- بلص:

بلص مال فلان: أخذه احتيالاً، وفي اللغة: بلّصه - بتشديد اللام -: أخذ ماله فلم يدع شيئًا عنده.

- تبلكم:

استعصى عليه الكلام، وهو في الفصيح: تبكّم عليه الكلام: استعصى.

- البهدلة:

البهدلة في لغة العامة هي التنقّص والشتم، وإنسان مبهدل: قليل الترتيب سيِّئ الانتظام في ملبسه وأعماله. وقد ذهب المؤلف إلى أنها مأخوذة من البَهْدل، وهو جِرو الضبع، والضبع معروفة بقذارتها ونتن رائحتها. وهو مأخذ بعيد في ظني. وفي اللغة كذلك: بهدل الرجل إذا عظمت ثَندوءته، وهي بمنزلة الثدي للمرأة، فاللفظ بهدل فصيح، ولكن دلالته في اللغة مختلفة عن دلالته في لغة العامة، والأقرب أن يكون لفظ (بهدل) مأخوذًا من تهدّل أي استرخى، والهديل: الرجل الأشعث الشعر.

- تبهور:

في لغة العامة يدلّ على الافتخار والتحدّي، وهو مأخوذ من الابتهار في الفصيح وهو ادّعاء الرجل كذبًا ما ليس فيه.

- باخ اللون:

في لغة العامة:تغّير وبهت، وهو مأخوذ من باخت النار إذا سكنت وفتر حرّها.

- **الجِفص:**

في لغة العامة وصف للرجل الخشن المعاملة والطبع، وفصيحه: الجِبس، وهو الرجل الثقيل الذي لا يجيب إلى خير.

- **جَخ:**

في عاميتنا معناه: لبس لباسًا فخمًا وتأنّق فيه، وعند المؤلف أنه ربما يكون مأخوذًا من جخف بمعنى تكبر وافتخر.

- **جَدع:**

في عاميتنا وعامية أهل مصر، معناه الشاب الجريء النشيط، ومأخذه من الجَذَع، وهو الشاب الحدث السن القوي.

- **جَرَد:**

البضاعة أحصاها ليعرف ما بيع منها وما بقي، وهو في الفصيح مأخوذ من الجَرْد، وهو بقية المال (القاموس) .

- **الجُرْن:**

هو حجر منقور كالحوض الصغير، يستعمل لصنع الكبّة، وفي الفصيح: الجرن حجر منقور، يصب فيه الماء ليتُوضّأ به.

- **الجُنفيص:**

هو عندنا نسيج من غليظ الكتان أو من ليف الشجر،وفي اللغة: الشِّنفاص، ويحتمل أنه من الدخيل.

- **الجُورة:**

الحفرة المستديرة في الأرض، وهي في الفصيح: الجُفرة.

- الحَدّوتة، والحتوتة:

الحكاية، وهي في الفصيح: الأحدوثة.

- الحردبّة:

في العاميـــة: النتوء في الظهر، وهي مأخوذة من الحَدَبة، والرجل: أحدب.

- دلوقت:

في عامية مصر، بمعنى الآن، وهو مأخـــوذ مـــن: ذا الوقت، وفي عاميتنا: هَلاّ، مأخوذ من: هذا الآن.

- حاسِب:

في عاميتنا وعامية مصر، معناه:قف، وهو مأخوذ من حاسب الرجل:إذا قتّر على جواده في المشي.

- حَوّش الشجرة:

قطف ما عليها من الثمر، وهو في الفصيح: حاشه يحوشه، أي جمعه.

- خُشّ:

في عامية مصر، معناه: ادخل، وهو لفظ فصيح ابتذل في الاستعمال.

- خَلص:

في لغتنا ولغة أهل مصر معناه: نفد وانتهى، وهو في الفصيح: تخلّص منه: نجـــا وسلم، أو من خاص إليه، أي انتهى إليه.

- خَمّ:

الطعامُ واللحم تغيّرت رائحته وفسد، وهي كذلك في الفصيح.

- دحشه:

في العامية معناه: أدخله وفصيحه: دحش الثوب: أدخله في الوعاء.

- دشَّر:

في العامية: ترك، وهو مأخوذ من جَشَرَ الشيء: إذا تركه وتباعد عنه.

- دَغْمر:

فلانًا: أخفى عنه ما يريد؛ ليوقعه في شرك وورّطه، وفي اللغة: دَغْمر عليه الخبر: خلطه، ومثله: دخمر.

- المُدَمَّس:

في لهجات أهل الشام ومصر: الفول المدفون في الرماد لينضج، وهو فصيح من دَمَّس الشيء: دفنه وغطّاه.

- دندل:

في العامية: أنـــزله من علٍ، وهو مأخوذ من تدلدل الشيء:تهدّل وتحرّك.

- الزلغوطة:

في العامية: صياح النساء في الأفراح، وهي في اللغة مأخوذة من: زَغْرد وزغرودة البعير: هدير للإبل تردده في حلوقها.

- المسطول:

يطلق على من ذهب المخدّر بوعيه، وهو عند المؤلف مأخوذ من سنطل الرجل: إذا مشى مطئطئًا، والمُسَنْطِل: المتمايل لا يملك نفسه.

- السَّطل:

في العامية الوعاء المعروف، وهو هو في الفصيح.

- شَلَّحه:

معناه في العامية: سلبه ماله وثيابه، وهو لغة سوادية قديمة في الاستعمال.

- **المُشْوار:**

في العامية مأخوذ في الفصيح من شار الدابة: ركبها عند عرضها على المـــشتري فذهب وعاد، وفي اللسان: التشوير: أن تشوّر الدابة؛ لينظر كيف مشوارها؛ أي سيرها.

- **المَصْطَبة:**

بفتح الميم هي الدكة المرتفعة يجلس عليها، فصيحها:المُصْطَبة بضم الميم.

- **الساطور:**

للسكين الضخمة التي يستعملها الجزار، هو في الفصيح:الصاقور، وهو الفـــأس العظيمة تكسر بها الحجارة.

- **اصطفِل:**

أي اعمل ما تريد، فصيحه: افتصِل على القلب، ومثله: فلان لا يـــسترجي أن يعمل كذا، أي لا يجرؤ، فصيحه: لا يستجرئ.

- **كسر الصُّفرة:**

في لهجتنا معناه: تناول طعام الإفطار، وهو لفظ فصيح، فالصَّفْرة هي الجوع، - أي كسر جوعه.

- **طبّه على وجهه:**

فصيحه: كبّه على وجهه.

- **العتّال:**

الشيّال بلغة أهل مصر، لفظ فصيح، مأخوذ من عتله، أي حمله.

- **العُطلة:**

بمعنى البقاء بلا عمل، فصيحة، مأخـــوذ من تعطل الرجل: إذا بقي بلا عمل.

- **عيّط له:**

في لغة العامة، معناه: ناداه، وهو مأخوذ من التعيّط، وهو الجلبة والصياح.

- العائلة:

بمعنى الأسرة، فصيحها: العيال، وهم من يعولهم الرجل.

- الفتّوش:

في لهجتنا: خبز يُفَتّ ويخلط به الزيت والحمض، وفصيحه: الفَتُوت.

- فَلّس:

الرجل، إذا نفد ماله، فصيحه: أفلس.

- قَبّ:

قبّ شعر رأسه: إذا انتصب فزعًا، فصيحه: قَفّ شعرُه.

- لا تقارشني:

بلغة العامة: لا تتدخل في أموري (بإبدال القاف همزة) ، مأخوذ من المقارشة، وهي في اللغة: التداخل.

- القَرَف:

يدل في العامية على الاشمئزاز، وهو مأخوذ من القرف، بمعنى مداناة المرض.

- قَزّت نفسي:

عن الشيء (بإبدال القاف همزة) : أبته وعافته، وهو فصيح، ففي اللسان: قَزّت نفسي عن الشيء: أبته وعافته.

- القشاط:

بمعنى السَير من الجلد يشد به وسط الرجل، مأخوذ من: كشط الجلد وقشطه، أي قشره.

- القُضامة:

للحمص المعالج بالقلي أو الشي، مأخوذة من قضم الطعام، إذا أكله بأطراف - أسنانه.

قَمّر الخبز:

حمّصه (والعامة عندنا تبدل القاف همزة)، وهو مأخوذ من: جَمّر اللحـــم: إذا وضعه على الجمر.

- القماش:

بمعنى النسيج، مأخوذ من قُماش البيت، وهو متاعه.

- كبتل الشيء:

جمع أطرافه وضمّ بعضه إلى بعض، فصيحه: كَتله، أي جعله كُتلاً.

- كربشه:

بمعنى قيّده، ومثلها: كلبشه، والكَلَبشـــة في لغتنا: القيد، وفي اللغة: كربش، أي: أخـــذ الشيء وربطه.

- كُرمالك:

عبارة تستعمل بمعنى (إكرامًا لك) ، وهي فصيحة: كُرمى لك.

- كمان:

في العامية معناه: طلب تكرار العمل والزيادة، وأصله عند المؤلف: كما كان.

- كُوَيِّس:

في اللهجة المصرية، مأخوذ من الكَيِّس، وهو الظريف الخفيف.

- لتّ في كلامه، ولتلت:

أي جاء بكلام فارغ لا معنى له، وهو مأخوذ من لثلث، بالمعنى نفسه.

- لزق:

الطعام في القدر فصيح، ومثله: لصق.

- لطشه:

ضربه بجمع يده وبكفه، هو عينه في الفصيح، ومثله: لطسه.

- لهط الطعام:

أكله بشره ونَهم، مأخوذ من لهد ما في الإناء: لحسه وأكله، أو من رهطه،والرهط عِظم اللقم وشدة الأكل.

- ليكو:

في لهجتنا معناه: هاهو، وهو تحريف عن: إليكه.

- مَرَق من هنا:

أي مرّ، (مع إبدال القاف همزة) ، وفي الفصيح: مرق: خرج بسرعة، ومرق من الدين: خرج عنه، فهو مارق.

- المريول:

عند العامة: كساء بدون كُمّين تشدّه المرأة على وسطها عند الطهي، ويشدّ على صدر الصبي ليقي ثيابه. وفي اللغة: رال الصبيّ على ثوبه، إذا سال لعابه عليه، فالمريول بصيغة المفعول، فهو مريول عليه، فهو عربي فصيح.

- المَندل:

ما يعمله المشعوذ للاطلاع على المخفيّ، فهو يضع الماء في إناء، ثم يقرأ عليه العزائم والرقى، وهو عند المؤلف: اسم آلة من ندل، أي: اختلس.

- المعلقة:

(بإبدال القاف همزة) هي في الفصيح: ملعقة، على الإبدال والقلب.

- الميجانا:

ضرب من الغناء شائع في بلاد الشام، ويرى المؤلف أن أصله من المَيحنة، وهي مدقّة القصّار، فكأن القصارين هم الذين أوجدوا هذا النوع من الغناء، فقد كانوا يرددونه عند دقهم بالميجنة.

- نطّ:

بمعنى قفز من أعلى إلى أسفل، في اللغة: النطّاط: الوثّاب القفاز.

- هرَّ:

الحبّ من العنقود، بمعنى تساقط، مأخوذ من الهرهرة، وهي صوت جريان الماء وانصبابه، والهرهُور: ما تناثر من حبّ العنب، فاللفظ فصيح.

- اهترى الثوب:

واهرى، مأخوذ من هَرّأ اللحم: إذا سقط عن العظم.

- ودّر:

ودّر فلان ماله: إذا بدده، وودّر الهر: إذا أبعده عن داره، وفي اللغة: ودّر فلان ماله توديرًا: بدّده، فالعامية فصيحة.

- وشوش:

وشوش فلان فلانًا، أي ألقى في أذنه الكلام همسًا، وفي اللغة: الوشوشة: كلام فيه اختلاط لا يكاد يفهم، ومثله: وسوس، وتوشوشوا: همس بعضهم إلى بعض.

هذه نماذج مما أورده العلاّمة الشيخ "أحمد رضا العاملي" في كتابه: **"ردّ العاميّ إلى الفصيح"**، وقد اقتصرت من هذه النماذج على ماله صلة باللغة الفصيحة، فلم أثبت ما أُخذ عن اللغات الأخرى كالتركية والفارسية، وكذلك لم أذكر ما كان لفظه في الفصيح يخالف مخالفة تامة لفظه العاميّ، فهذا الباب واسع يحوج الباحث إلى التماس اللفظ الفصيح في كتب اللغة والتراث لكل لفظ عاميّ، ويحتاج إلى بذل جهد كبير

لمعرفة مأخذ اللفظ العاميّ، مثال ذلك: **السِنّارة**، التي يصاد بها في المـــاء، فـــصيحها: الشِصّ، **وعود الكبريت**، هو في الفصيح: النُبخة، واستعمل له المحدثون، لفظ: **عُـــود الثقاب**، ولفظ كبريت مستعمل منذ القديم، **والبيرة**، للشراب المعـــروف، فـــصيحها: الجِعة، ونحو هذا.

وقد بذل المؤلف في ردّ الألفاظ العامية إلى الفصيح جهدًا عظيمًـــا، ولقـــي في تقضي كتب اللغة عناءً كبيرًا، لا يقوى عليه إلا أولو العزم والجلد.

وعمل الباحث يفيد في **تقريب العامية من الفصحى**، وفي إغراء العامة باستعمال الفصيح، على أنني قد لا أوافق المؤلف في بعض ما ارتآه من مآخذ الكلمات العاميـــة وردّها إلى الفصيح، ولكنه اجتهد في ذلك، ولكل مجتهد أجر.

* * *

من "العربية المعاصرة"(*)

للدكتور إبراهيم السامرائي
(عضو المجمع)

قول: هي عربيةٌ جديدةٌ، نقرؤُها في الصُّحُف والمجلات، ونسمعُها في أحاديثِ المعربين في وسائل الإعلام، وهي تكادُ تكونُ واحدةً إذا كانت لغةً صحفيةً، أو كانت لغةً أدبيةً أو علميةً، إلا ما يفرقُ فيها من خُصوصيَّاتٍ أو اصطلاحاتٍ نجعلُها من هذه ليس من الأخرى.

لست هنا أذكرُها لأنسبَها إلى الخطأ، وإنَّ الصحيح فيها أن يقال: كذا وكذا، فقد قيل في هذا الكثير، فقد ثبتت هذه القوالبُ اللَّفظيةُ، ودَرَج عليها المعربون، حتى كادت أنْ تكون عربية سائدة، يقولُها الصَّحَفِيُّ والاقتصادي والاجتماعي، والأديبُ الناقدُ والشاعرُ، وقد تَلْقى شيئًا منها في خطبةِ الجمعة. فكيف نقولُ فيها، كما كنا نقولُ: إنها "لغة جرائد"؟

لقد ذهب هذا كُلُّه، وفَرض علينا واقعُ الأمر أنْ نُسجِّلَها على أنها مرحلةٌ تاريخيةٌ آلت إليها لغتُنا، من حقنا أن ندعوَها " عربيةً معاصرةً ".

قد تقول! وهل خلت هذه " العربيةُ" من التجاوز أو الخطأ؟

والجواب عن هذا لابدَّ أن يكونَ خاضعًا للسيرورة الواسعة، فتقول: هو أسلوبٌ حديثٌ على تنكُّر العربية لكثير من عناصره.

إن هذه "العربية المعاصرة" محكومةٌ بشيء وصل إليها من لغة أعجمية، هي إنجليزية في الأغلب الأعمِّ، وفرنسية في بعض من بلدان العرب، كما في بلدان الشمال الأفريقيِّ. ويكون لك أن تلمَح في هذه العربيَّة "الجديدة" المصادر الصناعية التي آلت إلى

(*) ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة، من مؤتمر المجمع في الدورة السادسة والستين، في ٥ من أبريل سنة ٢٠٠٠م ونشر بمجلة المجمع، بالعدد الحادي والتسعين، ص ٨٧.

ضرب من مصطلح جديد. وربما ولّد المعربون من أهل الصُّحُف هذا الجديد، وسعوا إلى ذلك دون أن يجدوا نظيرَه في الإنجليزية أو الفرنسية. وربما كان هذا دَأْبَهُمْ في أنهم تصرَّفوا فيما يمكن أن يكونَ في العربيَّة، مما يُقابلُ به نظائرَه في هاتين اللغتين.

وهاأنذا أثبتُ هذا الجديد الذي فَشَا استعمالُه في الحِقْبَة التي نحياها، التي لا تتجاوزُ كثيرًا النصف الثاني في هذا القرن.

١- قال أحدُهم في صحيفة من صحفنا، وقد يقول ذلك غيره:

"... علينا إجراء مراجعة عميقة و"**مسؤولة**" "**للخلفية**" التي حدَّدت مسارَنا...".

أقول: لنا أن نقفَ على الوصف "مسؤولة" فنجد أنها ابتعدتْ عن اسم المفعول وذلك أن "المسؤول" هو الذي يُسألُ، و"المراجعة" في هذه العبارة ليست مما يُسأل، بل يرادُ فيها أن تكونَ مما يصحبُها سؤال نتقدّم به إلى أنفسِنا[1]. وهذا من غير شكٍّ من الجديد الذي تلقّاه في الصُّحُف الأجنبية.

وأما "**الخلفية**" فمصدرٌ صناعيٌّ يومئُ إلى ما هو أساسٌ أو قاعدةٌ قام عليها سلوكٌ خاصٌّ، وعملٌ ذو خصوصية. وهذه ربما كانت في Back Ground أو نظير هذا في الفرنسية.

٢- وأجد "**أرضية الواقع**" وهي نظيرُ: "على الساحة"، في قولهم مثلاً: "الأفكارُ المطروحةُ على السَّاحة".

وأنت تجدُ "أرضية الواقع"، ولا يذهبُ ذهنك إلى "الأرض"، بل ينصرفُ إلى "حيّز الواقع". ثم إن "الواقع" بعيدٌ عما في شأنه أن يقعَ، بل إنه الذي تراه بعينيك ماثلاً أو تدركه بعقلك يكادُ يكونُ ماثلاً أيضًا، و"الأرضية" من هذا الجديد الذي أقيم على طريقة المصدر الصِّناعي.

---

(١) ومن هذا "الدوائر المسؤولة" ويراد فيها الجماعات التي تسأل من أهل الاختصاص . و"الدوائر" مما جيء بها لتقابل نظائر مثلها في اللغتين الإنجليزية والفرنسية وغيرها. ولي أن أشير إلى أن المصريين يرسمون همزة هذه الكلمة على الياء فيكتبون: المسئول، والمسئولية، وهم في هذا كدأبهم في " شئون " وغيرها .

أقول: إن المصدرَ الصِّناعيَّ ليس جديدًا في العربية، بل إننا نجدُ منــه في فــصيح العربية: **الجاهلية، والأَلِيَّة، والحُرِّيَّة** وغيرها. ثم احتيجَ إلى هذا في المصطلح فكان منـــه "الكميَّة". التي ولِّدت من "كم" الاستفهامية و"**الإِنيَّة**"، وقد ولِّدت من "إنّ"، ومثل هذا في البشرية والإنسانية والنوعيَّة. ثم وُلِّدت "**الهُوِيَّة**"، **والنوعيَّة، والشخصيَّة، والغيريَّــة، والقَبْليَّة، والبعديَّة** وغير هذا كثير.

ثم اضطررنا إلى أن نتوسع في هذا المصدر فكان منه: **المِثاليَّة، والمادِّيَّة، والواقعيَّة، والوجوديَّة** وغيرها، ثم كان من ذلك المعرَّب في الأصل:**كالديمقراطية، والأرستقراطية، والإمبريالية**، وكان منه أيضًا: **الرأسمالية والدكتاتورية، والفاشيّة، والنازية** وغير هـــذا كثير.

وقد يجدُّ من هذا ما تدفعُ إليه الحاجةُ "**كالأصوليَّة**"، ويُرادُ فيها: اتباع الأصول الإسلامية والتشدُّد بالتزامها. وينعت بها الأصوليون في أيامنا، وهذا المصطلحُ في المصدر والنعتُ يُشار بهما إلى نبذ من يوصفُ به من الناس من لدن أصحاب الصحف، ومعهم الحاكمون وأولو الأمر في بلادنا العربية والإسلامية.وكأن القائل بـــ"الأصولية" قد نظر إلى ما هو: Fundamantalism: أقول:وهذا نظير مــصطلح "**الخــوارج**" في التــاريخ الإسلامي الذي روَّجه أولو الأمر، في حين أنكره من قيل فيهم "الخوارج"، قال عيسى بن فاتك الخطيّ، أحد بني تيم الله بن ثعلبة في كلمة له:

فلما أصبحوا صَلُّوا وصامـــوا
إلى الجُرْدِ العِتاق مُسَوَّمـــينا
فلما استجمعوا حَمَلوا عليهم
فظلَّ ذوو الجَعَائلِ يُقتَلـــونا
بقيَّـــة يومهـــم حتى أتاهم
سوادُ اللّيل فيـــه يُراوغونا

يقـــولُ بصيرُهم لمّا أتـــاهم

بـــأن القـــومَ وَلّوْا هاربـــينـــا

أألْفا مـــؤمنٍ فيمـــا زعمتم

ويقتلهم بِـــآسِـــكَ أربعـــونا

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم

ولكـــن " الخوارج " مؤمنونا

هم الفئةُ القليلة غيـــرَ شكٍّ

على الفئةِ الكثيرةِ يُنصَـــرونا[١]

وممّا يندرج في هذا "**النصوصيَّة**" Textuality. وقد وُلِّدْ من كلمة Text أي "نـــص". وقد ذهب أهلُ عصرنا إلى أن النصَّ مادَّةٌ أو مسألةٌ يكتبونها، وهم من أجل ذلك جمعوه على: "نصوص"، فقالوا: النصوصُ الأدبيةُ، والنصوصُ التاريخية.

إن حقيقة "النص" هي مصدرُ الفعل "نَصَّ"، ونصَّ الشيء أي رَفَعـــه. ونَـــصَّ الحديث. نَصًّا: رَفَعَه. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديثِ من الزُّهريِّ أي: أرفعَ له وأسنَدَ.

والمِنَصَّة: ما تظهَرُ عليه العروسُ لتُرى. وفي المَثَل: "وُضِعَ على المِنَصَّة"، أي: على غايَة الفضيحة.

قلتُ: لقد جهل المعاصرون دلالةَ النَّصِّ، فذهبوا به إلى الخبر أو القطعة الأدبية أو التاريخية، وقد ابتدعوا "النصوصيةُ" مصطلحًا يـــشيرُ إلى الاقتـــصار علـــى الـــنَّصِّ في الدرس، وعلى هذا لم يكن من حق الدَّارس أن يعرض لشيءٍ آخر، كالبنيـــة، وســـيرة صاحب "النصِّ" ونحو ذلك.

---

(١) انظر هذا وغيره في مصادر "الخوارج" الأدبية والتاريخية "وانظر" معجم البلدان (آسك).

وقد ابتدع النُّقّادُ في عصرنا "**التناص**": لما يكونُ من تشابهٍ بين نصَّين، من غير سَرِقَةٍ أو نحو ذلك. وهم في هذا التَّوليد قد ابتدعوا الفعلَ "ناصَّ" على فاعَلَ، وليس في فصيح العربية هذا الفعل الرباعي.

و"النصوصيَّةُ" تصرفُنا إلى "**البنيويَّة**[1]"، التي تعني درسَ البِنَى" وحدها، بعيدًا عن صاحب النصِّ، كما يستبعدُ فيها النظرُ في البيئة التي تصاحبُ النَّصَّ.

ولنا أن نضيف "**الفاعليَّةَ**"، التي يرادُ فيها قوةَ الفعل والأثر، فيقالُ مثلاً: إن فاعلية هذا العمل تَتَّضِحُ في النتائج.

ولنا أن نضيفَ إلى هذا أيضًا: "**الألمعيَّة، والأريحية، والأسبقيَّة، والرجعيَّة**، وهذا كثير. وقد يكونُ المصدرُ الصناعيُّ مادةً مفيدةً لتوفيرِ المصطلح الجديد، نحو: **النظرية، والفرضية، والنسبية**.

وقد يغيبُ هذا المصدر الصناعي عن القائلين، ومن هذا مثلاً "**الحيوية**"، التي أغفل المعاصرون حقيقَتَها، وذلك حين عادوا إلى النسب إلى "الحياة" فقالوا: "**الحياتي**" و لم يفطنوا إلى أن "**الحيويَّة**"، وهي المصدرُ الصناعيُّ، كانت في الأصلِ النسبةَ إلى "الحياة"، وعلى هذا كانوا على غير دراية واضحة من "الحيوية"، ومِمَّ وُلِّدت، ومن هذه "**الشرعية**" التي ترد في قولهم: "**الشرعية الدولية**". و"الشرعية" تعني الحقَّ الشرعيَّ. وأما "**الدَّولية**" فهي النسب إلى "دولة"، وكان حقها أن تكون: "**الدُّوَلية**"، بالنسب إلى "دُوَل" جمع "دَوْلة"؛ لأن "الشرعية" الحق الشرعي للدولة بين الدُّولَ".

إن النسب إلى الجمع هو المرادُ المطلوبُ، وقد درج على هذا المعربون في العصور المتأخرة، فنسبوا إلى الجمع في الدلالة على الحِرَف، فكان من ذلك: **الجُلودي، والخُيوطي، والمساميري، والطَّوابيقي، والقراطيسي، والإِبَري، والزَّنانيري** وغير ذلك.

---

(١) أقول: والصواب في هذه النسبة "البنوية"، كالنسب إلى "لحية" هو لِحَوِيّ.

ولكن المعربين في عصرنا أخذوا بقاعدة صرفية، نبّههم إليها أهـلُ العربيـة، تقـضي بوجوب النسب إلى المفرد، فذهبوا على هذا، فكان من ذلك: القانون الدَّولي، والملعب الدوليّ وغير ذلك.

وأعود إلى "**الشرعية**" التي وجدناها "**الاشتراعية**" في أدب صحيفة الحياة، فقد ورد "السلطة الاشتراعية" و"الانتخابات الاشتراعية". وقد ظننتُ أوَّلَ الأمر أنها من خطأ المطبعة، ثم رأيتُ ثانيةً أن "الاشتراعية" وصفًا للانتخابات، قد وردت بعد قول محـرِّر الخبر: "السلطة التنفيذية"، فعلمتُ أن "الاشتراعية" قد قُصِدَ بها "الشرعية".

إن "الشرعية" نظيرُ ما قدَّمنا من هذه المصادر الصناعية قائمة على كلماتٍ عربيةِ الأصولِ، وعلى أخرى معرَّبةٍ، نحـو: **الكولونياليـة، والفدراليـة، والكلاسـيكية، والرومانسية**، وغيرها.

ومن هذه المصادر الصناعية التي قامت على أسماءِ تفضيلٍ: **كالأولوية، والأهمية، والأسبقية.**

ونبقى مع المصدر، فنجدُ المعاصرة بمعناها وظلالها الاصطلاحية، وهي من غـير شكٍّ تومئ إلى ما هو Modernismc.

وأعود إلى المصدر الصناعي فأجدُ أهلَ العلم أصحابَ جرأةٍ، يجترئون بها علـى العربية ونظامها، فقالوا: "**الأتاريخية اللاعلمية**" وأرادوا: ما يفتقرُ إلى العلم التّاريخي.

أقـول: وليس في أذهـانهم أن الهمزة الأولى في" الأتاريخية" تفيدُ السَّلب، ما أبْعَدَهُمْ عن هذه الدقائق اللغوية، وقالوا: "**القبتاريخية**"، أي ما قبل التاريخ، إن هذا النحت ممـا اجترؤوا فيه فأثبتوا ما أرادوا.

وكأنَّ " التاريخية " قد بعدتْ عنهم، فقالوا: "**تاريخانية**" وقد توهَّموا ما ليس مـصدرًا مصدرًا، ومن هذا "**السِّجال**" في الأدب الصَّحفي؛ فقد قـرأتُ في جريـدة "الـشرق الأوسط" - قبل سنوات: "ويحتدم السِّجال، ويحتدُّ حول ردود الفعل الفلـسطينية. .."

أقول: و"السِّحال" جمع "سَجْل"، أي الدَّلو في فصيح العربية، هي بعيدةٌ عن هذا في قول المحرر، وكأنها الخصومة والجَدَل، لقد استوحى المحررُ هذا الفهم "للسِّحال" من القول المشهور: "الحربُ سجالٌ"، ولم يفطن إلى أن "السِّحال" في هذا القول، يعني أن الحربَ تارةً تكونُ لطرفٍ من المتحاربين، وأخرى للطرف الآخر، فهما يتبادلان الفوزَ بنتيجتها، كما يتبادلُ المستقيان على البئر الدَّلْوَ التي يستقونَ بها، فأين صاحبُنا المحررُ من هذا الأدب القديم؟

ومن المصادر ما هو جديدٌ، صنع على طريقة المصدر الصناعي، والأصلُ فيه مصادر عربية فصيحة، فلِمَ هذا التوليدُ الجديدُ؟

ومن هذه "**الظلاميَّة**" و"**الضبابية**" ومعناهما غيرُ خافٍ، وهذه وغيرُها مما هو مقروءٌ في الصُّحُف، استوحاه المحررونَ بعد تأثُرِهم بما هو واقع في صحافة الغرب.

ثم إنك تجدُ في هذا الجديد الصَّحفي، ما يبتعدُ عن فصيح العربية، نحوًا وصَرْفًا وأبنيةً، ومن ذلك قولهم: "**الدَّوْلتان الأعظم**".

كان هذا حين كان العالَمُ بين فَلَكَي أمريكا والاتحاد السوفيتي دائرًا ممتحنًا. والتجاوز في العبارة كائنٌ في وجوب مطابقة اسم التفضيل المُحَلّي بالألف واللام للموصوف، فكان ينبغي أن يقال: "الدولتان **العُظْمَيَان**".

ومن التجاوز: استعمالُهم أفعالاً لا نجدُ لها وجهًا في العربية، ومن هذا الفعل "**تطال**" كقولهم:

"محاكمات عناصر "النهضة" تطال، دور الصحافة" والمرادُ بـ "تطال"، أي: تتهِمُ، وكأن الفعلَ أُخِذَ من "طائلة"، وهو مولَّدٌ صحفيٌّ لا نعرفُهُ في العربية، ولا نجدُ له وجهًا، وكنتُ قد أشرت إلى هذا في مكان آخر.

ومن هذا الجديد، قولهم: "**تسليك** الأفكار الجديدة".

والمرادُ بــ "تسليك": جعلُ الشيء ينسلك"، أي: ينتظمُ في خَطٍّ مُعَــيَّنٍ مــن "السلوك"، أقول: لا نعرفُ الفعل "**سلَّك**" المضاعف، ولا الفعل الآخر "**ينسلك**"

وأنت تجدُ ما هو شائعٌ في الصُّحف الغربية من نحو "**غَداء عَمَل**" أو "**عــشاء عَمَل**" والمرادُ بهما: ما يكونُ من عملٍ، يجري فيه نقاشٌ أثناءَ الغَداء أو العَــشاء، وقــد ذكرت هذا في "الأفعال"، التي عرضتُ لها في القسم الأول من درسي هذا.

وكثير من الكَلِمِ الأعجمي الذي تأباهُ العربيَّة، في لغة صحفنا العربية، كقولهم: "**وُرَش عَمَل**"، و"الوُرَش" جمع "ورشة"، وهي كلمة إيطالية، تعني مصنعًا صــغيرًا قــد يقومُ على أمرِه صانعٌ أو بضعةُ صنَّاعٍ.

كلمة أخيرة:

هذه وقفات قصيرةٌ، قد يطولُ خطبُها، لو أني قصدتُ إلى شيء من الاستيفاء، أوعيتُها هذا الموجزَ تذكرةً للدَّارسين في العلم التاريخي اللُّغوي، وقد أشرتُ إلى "معجمي" الذي صنعتُه لهذه "العربية المعاصرة".

أخطأٌ أم عربية معاصرة؟

ذهب المعنيون بالعربية منذ أن عرف الدرس اللغوي إلى ضبط الفصيح الصحيح، وإلى ما هو بعيد عن هذا، مما وُسم بالخطأ، وصنفوا في هذا تصانيف كثيرة. وأنت لا تعدم هذا أن تجده في الكتب الأولى من العربية، تجد كثيرًا من هذا العلم الذي دُعي بــ "التصحيح" في كتاب العين للخليل بن أحمد، وفي "الكتاب" لسيبويه، وقد تجد شذرات من "التصحيح" في "الكامل" للمبرد، و"الأصول" لابن السراج.

على أن جماعة أخرى ممن عاصر "المبرد"، و"ابن السراج" أو خلفهم انصرفوا لهذا الأمر، فأنت تجد كتاب "الفصيح" لثعلب، و"إصلاح المنطق" لابن السكيت، و"أدب الكاتب" لابن قتيبة. ثم اتسع هذا العلم، فكان منه "تصحيح الفصيح" لابن درستويه، وغير هذا

مما وصل إلينا، وأشارت إليه كتب الرجال، وأصحاب المطولات الكبيرة وآخرها "كشف الظنون" لحاجي خليفة.

ثم جاء عصرنا، فنهض غير واحد من علماء القرن الماضي، ورجال هذا القرن، فصنَّفوا في هذه المسائل كتبًا يعرفها أهل هذه العناية. وما زال نفر منا في أيامنا يتلقف ما صنعه فلان وفلان، وراح يقمش "معجمًا" له في هذه المسألة.

أقول: ما زالت الإشارة واردة في الخطأ والتنبيه عليه، وكأن آخرين - ومنهم نفر من أعضاء المجامع - قد ذهبوا إلى النظر فيما قيل: إنه خطأ أو تجاوز، وراح يتشبث إلى أن يجد في تراث العربية ما يؤيد هذا، الذي قيل: إنه خطأ، فأنت تجد لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية في القاهرة دأبت في هذا السبيل، فكان مما وصلت إليه مادة كثيرة في رد فصاحة الكلم والأساليب التي قيل: إنها خطأ.

وإني لأجد الكثير مما هو خطأ لا يشك فيه أي عارف بالعربية، كما استبعده من الصحة هذا النفر الذي سعى إلى السعة، ووجد سبيلاً إلى إدخال ما عُدَّ خطًا في حيز الفصيح. غير أن هذا الخطأ قد درج عليه المعربون، ولم يأخذوا بأقوال الداعين إلى تصحيحه، وصار الصحيح مجهولاً لا يعرفه إلا خاصَّة الخاصة.

إن هذا الخطأ صار من ملاك هذه العربية المعاصرة، وهذا قد أدَّى بنا أو يوشك أن يؤدِّي إلى أن عصرًا جد في تاريخ العربية.

وهاأنذا أعرض لطائفة من هذه المواد التي درج عليها المعربون، وهي خطأ إذا ما نظر إليها على وفق ما تقتضيه العربية.

إن هذا الخطأ يشتمل على ما هو خاص بالدلالة التي ذهب فيها المعربون إلى شيء آخر يبتعد عن الأصل، كما يشتمل على توليد شيء ليس له موضع في المعجم القديم، على أن الكثير يتصل بخطأ الأبنية.

ولا أدرج فيما شغلت به الألفاظ التي وُلّدت لمعانٍ اقتضاها العصر، كما لا أدخل الجديد الذي نقلناه من اللغات الأعجمية، وهو كثير حفلت به لغة الصحف ووسائل الإعلام الأخرى.

وقد يتساءل المرء: لِمَ استشرى هذا الخطأ حتى صار لغة؟(*)

والجواب عن هذا أن الجهل بالعربية يرجع إلى أننا نتعلّمها تعلُّمًا، ولكننا لا نأخذها في المعلم المالك لأدواته. إنه يجهل الكثير من مواد هذه اللغة التي كان ينبغي له أن يعرفها.

ومن هنا شاع الخطأ، وعم المعدول عن أصله من هذه اللغة، حتى غدا الفصيح البعيد عن هذا الذي يدرج به المعربون غريبًا وصاحبه من أهل التفاصح، وكأنه يعيش في غير دنيا الناس.

ولابد لي من أن أشير إلى أن العربية المعاصرة قد جاء فيها العامي الدارج فشاع استعماله، على أنها في الوقت نفسه قد استبعد فيها الكثير من الفصيح، الذي تحوّل في عصرنا إلى الألسن الدارجة.(١)

(*) من خصائص "العربية المعاصرة" شيوع المولّد الجديد فيها. وهذا الجديد مما اقتضاه العصر من ألفاظ ذات طابع "اصطلاحي" أو ما يقرب من هذا. ومن هذا عامة المصطلح في العلوم الاجتماعية من اقتصاد واجتماع وسياسة وزراعة وغير هذا، وما هو شيء من لوازم الصحافة والإعلام، وما هو من مادة التربية وعلم النفس، على أن القدر الأعظم من الجديد هو مصطلحات العلوم الجديدة التي لا حصر لها، والتي تزداد يومًا بعد يوم.

إن هذا الجديد بكثرته وتنوعه مما لا يسع أولو التعريب أن يلاحقوه، وأن يكون للعربية من أعمالهم ما يفي به. لقد دخل هذا الجديد وعليه صحة أو طابع مما هو له في الأصل الإنجليزي أو الأمريكي أو الألماني أو الفرنسي. ومن هنا توزّع الدارسون، فكان للمصري اختياره في هذا الجديد أضفى عليه طابعه المصري، واختلف هذا عن المغربي، وعن السوري والعراقي وغيرهم. وكان من مشكلات الدارس العربي التردُّد في هذا الجديد، وكيف يأخذ به في حاجته العلمية.

(١) كان لي درس في الفصيح الذي تحوّل عاميًا دارجًا في "العربية المعاصرة"، وقد نشر في غير موضع، ولكني أحيل القارئ إلى كتابي "التطور اللغوي التاريخي".

وهاأنذا أبسط في هذا الموجز طائفة من الكلم، مما كان لي فيها شيء من نظر، **فأبدأ بالأفعال والمصادر، ثم الأسماء،** منسوق كله على حروف المعجم:

١- ابتزاز:

لابد أن أعرض للمصدر الثلاثي وهو "بَزَّ"، والفعل: بَزَّ يبُزُّ، يقال: بَزَّه ثيابه، أي: سلبه إياها. ومثل هذا "ابتَزَّ" الفعل المزيد، يقال: ابتَزَّ الرجل الجارية، أي سَلَبها ثيابَها وجَرَّدها.

أقول: والأصل في الفعل الثلاثي ومصدره هو الاسم، وهو " البَزُّ " بمعنى الثياب، فكأن المصدر "البَزّ"، قد وُلِّد من الاسم، وكأن "البزَّاز" في أصل دلالته هو بائع الثياب، ثم اتُّسِع فيه، فدلَّ على بائع النسيج من صوف وقطن وكتان وغيرها، غير أن "الابتزاز" في العربية المعاصرة شيء آخر بعيد عن الثياب، وسلب الثياب، وليس فيه ما يوحي إلى هذا البعيد. يقال: إن منع الفلسطينيين من دخول ما يسمَّى "إسرائيل" للعمل في المصانع، ضرب منَ "الابتزاز"، يريدون أن اليهود اتخذوا هذا المنع وسيلة في مصلحتهم، لضرب انتفاضة الشبان والنيل منها.

ويكثر استعمال "الابتزاز" فيما هو قريب من هذا، فهل حوفظ على دلالة هذا المصدر كما هي في أصول العربية؟

إن مثل هذا المولَّد الجديد الذي حفلت به " العربية المعاصرة " هو شيء كثير جعل من هذه العربية لغة جديدة أخرى.

٢- اجتَرَح:

الفعل "جَرَح" في بعض دلالاته، يعني "الكَسْب"، و"جَرَح الشيءَ، واجتَرَحَه": كسَبَه. وفي التنزيل: ﴿وهو الذي يتوفَّاكم بالليل ويعلم ما جرحتُم بالنهار﴾ وفلان يجرَح لعياله ويجترح، أي يكسب ومثله "يقرِش ويقترش"، وفي التنزيل: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾، أي اكتسبوها.

أقول: وقد يرد الفعل "احتَرَح" بمعنى سبَّب شكًّا أو ظنًّا في "العربيــة المعاصرة"، وهو بعيد عمًّا لنا في عربيتنا، التي وردت في لغة التنــزيل وغيرها.

إن هذا قد يتأتّى من تصوُّر خاطئ للدلالة الصحيحة، وأن المُعرب سواء أكان متعلمًا أم غير متعلم، لا يجد بل قل لم يشعر، بضرورة الرجوع إلى كتب اللغة والمعجمات، و لم يُشعره معلّمه بهذه الضرورة. إنه يتلقّى الكلمة مما يسمعه ويقرؤه فينشأ لديه توهُّم خاطئ، ويشيع هذا الخطأ، حتى يكون من ملاك هذه العربية المعاصرة.

أقول: هذا التوهم الخاطئ هو في اللغة الإنجليزية " verbalism "، وليس لنا أن نجد لها مقابلاً في العربية، فندعوها " ظاهرة اللفظية " (١).

وقد يكون قريبًا من هذا أن يذهب المعربون في كلمة إلى خصوصية فيها وإبعادها عن العموم. ومن هذا قولهم: هذا الشيء ممتاز، أي جيد.

إن الذي أكسب "الممتاز" صفة الجودة هو المُعرب، الذي اكتفى من "الممتاز" أي الذي فيه امتياز وميزة، بالجانب الحَسَن، في حين أن "الممتاز" قد يكون ممتازًا بماله في صفة سلبية، وهي غير الحسن والجودة.

٣- حَرَّش وتَحَرَّش:

قلت: إن "العربية المعاصرة" قد جاء فيها شيء من الألسن الدارجة حتى خُيِّل لكثير من المعربين أنه من فصيح العربية. ومن هذا قولهم: إن فلانًا يتحرَّش بصاحبه، أي أنه يعمل شيئًا من شأنه أن يلحق الضرر بصاحبه.

أقول: إن استعمال الفعل "يتحرَّش" على هذا النحو من العامية الدارجة، والفصيح من هذا شيء آخر لا يعرفه الكثير من المعاصرين إن "التحريش" يعني إغراءك الإنسان والأسد ليقع بقِرْنه. و"حرَّشَ" بينهم: أفسد، وأغرى بعضهم ببعض.

---

(١) "ظاهرة اللفظية" "verbalism" بحث نشره أحمد محمد المعتوق، في مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الخامس، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

جاء في "صحاح" الجوهري: التحرش، بمعنى الإغراء بين القوم، وكذلك بين الكلاب، وكذلك "المحارشة". ومثل "المحارشة" "المهارشة" بالهاء، وهي بين الكلاب ونحوها. و"الهراش والاهتراش": تقاتل الكلاب.

أقول: ويعرض "البدل" بين الحاء والهاء، وذلك لقرب الصوتين الحلقيَّين بعضهما من بعض.

٤- تربُّص:

"التربُّص" مصدر الفعل "تَرَبَّص". وهذا المصدر يرد في عربية الشمال الإفريقي، بمعنى أن يتابع الطالب أو الدارس دروسًا نظرية أو تطبيقية، خلال مدَّة معيَّنة، يجتاز بعدها الامتحان، فيحصل على شهادة قد تكون ما يسمَّى بـ "دبلوم" إن هذا من غير شك قد أريد به أن يكون المصدر العربي " تربُّص " مقابلاً لما هو " tage " في الفرنسية.

أقول: إن هذا مولَّد جديد في هذه العربية الإقليمية، ذلك أن "التربُّص" في فصيح العربية شيء آخر، فالتربُّص هو الانتظار. جاء في كتاب العين: "إن التربُّص بالشيء أن تنتظر به يومًا ما"، وجاء في لغة التنـزيل: ﴿هل تَرَبَّصون بنا إلاَّ إحدى الحُسنَيَين﴾ وفي الحديث: "إنما يريد أن يتربَّص بكم الدوائر". ففي التربُّص مُكث وانتظار.

أقول: كأن إخواننا المغاربة أفادوا هذا المعنى، فخصُّوه بالدارس في أَجَلٍ معين يتربَّص الفوز بين جماعة يتسابقون في هذا المضمار.

٥- مشاحَّة:

أقول: هي "مفاعَلة"، مصدر الفعل "شاحَّ"، بتشديد الحاء، وهو "فاعَلَ"، والمصدر كذلك بتشديد الحاء، وأصله من المضاعف الثلاثي: "شَحَّ".

لقد ورد هذا المصدر في العربية المعاصرة، فقيل مثلاً: لا مشاحة في هذا الأمر، ويراد به، لا جدل ولا خلاف فيه.

أقول: وقريب من هذا في فصيح العربية، قولهم: هما يتشاحّان على الشيء، إذا تنازعاه، لا يريد كل واحد منهما أن يفوته، و"تشاحَّ" الخصمان في الجدل، غير أن المعاصرين جعلوا هذا المصدر بتخفيف الحاء، بعيدًا عن أصله المضاعف الذي جهلوه وفاتهم، فتحوَّل هذا المصدر إلى بناء "مفَعلَة"، وكأنَّ الأصل "شاحَ يشيح"، وهو في الحقيقة بعيد عن هذا. هذه هي العربية المعاصرة التي جهل فيها المعربون أصول الكلم.

٦- مُشادَّة:

أقول: وهذا مصدر آخر نظير "المُشاحَّة" التي مرَّت وبناؤها "المفاعَلة" و"المشادَّة" في فصيح العربية هي "المغالبة"، والفعل "شادَّ" على "فاعَلَ"، جاء في الحديث: "من يُشادَّ هذا الدِّين يغلِبْه "، أي مَن يقاومه ويكلِّف نفسه من العبادة فوق طاقته.

أقول: غير أن "المشادة" خُصَّت بالخُصومة، إما في الرأي، وإما في العراك الجسدي، يقال: حَدَثت مشادَّة بين الرجلين أو بين الأولاد.

ثم إن المعاصرين ذهبوا في "المشادة" إلى تخفيف الدال، فكأنهم حوَّلوها إلى "مفعَلة"، وعلى هذا صارت كأنها مأخوذة من "شادَ يشيد"، وهذا بعيد عن الصواب.[١]

٧- تشطيب:

أقول: ظهر " التشطيب " في استعمال إخواننا المصريين، فقالوا: تشطيب الدار أو " الشَّقَّة " بمعنى أن تصل الدار إلى مرحلة الانتهاء من عمارتها، إذ يقوم العمَّال فيها على وضع النقاط الكهربائية، وإنجاز الطلاء، وضبط مفاتيح الأبواب، ونحو هذا.

إن هذا كله من المولَّد الجديد الذي جيء به من العامية المصرية في لغة أهل العمارة والبناء، وضمَّ إلى العربية المعاصرة في مصر وفي غيرها أحيانًا.

---

(١) أقول: وكأن التشديد قد ثقل على المعربين، فقالوا: "فعالية" لما هو activity، ولم يدركوا أن المصدر الصناعي قد بُني على "فعَّال" من أبنية المبالغة.

إن الأصل في هذا في فصيح العربية، قولهم: شَطَبَ الأدمَ والسنام يشطبهما شطبًا بمعنى قطعهما. ..

٨- تضامُن:

أقول: هـذا مصدر جديد عُرف في العربية المعاصرة، بمعنى "الاتحاد"، فكأنه "الانضمام"، وهذا يعني أن الأصل هو المضاعف "ضمَّ"، فكيف جاء "التضامُن"؟

إن ظاهرة "التضامن" من الفعل "ضَمِنَ". غير أن الفعل "ضمِن" معناه" كَفَل"، و"الضمين" هو الكفيل. وعلى هدا يكون "التضامن" بمعنى "التكافل"، فكيف تحوَّل إلى معنى "الاتحاد"؟

أقول: هو "التضامُّ" بتشديد الميم بناء "تفاعُل" مصدر "تَفَاعَلَ"، أي أن الواحد ينضمّ إلى الآخر. وكأنَّ المعربين ثقل عليهم التشديد في الميم، فخففوها، كما فعلوا في "مشاحَّة" و"مشادَّة"، فظهرت النون بعد التخفيف، ورسمت نونًا، "تضامُن"، بعد أن كانت نون تنوين، لا تكتب بل تُلفظ في "تضامٌّ".

٩- طَرَح:

أقول: الأصل في هذا الفعل أن يقال: طرح الشيء بمعنى رَمَى به وألقاه والطِّرْح: الشيء المطروح لا حاجة لأحد فيه.

وجاء: طَرَح عليه مسألة، أي ألقاها، وهو مثل ما تقدَّم، قال ابن سيده: وأراه مولَّدًا وأعود إلى هذا فأجد المعاصرين يقولون: "السؤال يطرح نفسه".

أقول: إنه جديد وصل إليه المعاصرون، حين نقلوا الفعل من الفرنسية وهو فيها: " la question sc pose "، أي "أن السؤال طَرَح نفسه" قد يسأل الدارس: من أين جاءت "نفسه" مع هذا الفعل؟

والجواب أن الحرفين "se" قبل الفعل يحوِّلان الفعل من كونه واقعًا متعدِّيًا، إلى لازم قاصر مكتفٍ بنفسه، وكأن "se" هذه مثل النون في "انكَسَر" التي جلبت معنى "المطاوعة".

وقد اجتهد الدكتور "مصطفى جواد" في: "المباحث اللغوية في العراق"، فعدَّ النون في المطاوع يشير إلى النفس أي أن الشيء ينكسر من نفسه، لا أثر في ذلك إلى مَن يفعل الكَسْر. وقد شاع قول المعاصرين هذا، دون أن يكون له ما يؤيِّده.

١٠- يطال:

قال المعاصرون في صحفهم: "إن الجريمة تطال الجماعة الفلانية"، أي أن الجماعة الفلانية هي التي ارتكبت الجريمة، وكذلك قولهم: إن التهمة تطال فلانًا، وما يقرب من هذا.

أقول: لم نَرَ شيئًا من هذا في فصيح العربية، ولا ما يومئ إليه. إن دلالة الفعل "طال" لا تعني غير ما هو متصل بالطول نقيض القصر، وهو في الناس أو الزمن أو غير هذا وذاك ثم إن الفعل هذا في استعمال المعاصرين جاء على بناء المجهول، وليس هو فيما يقولون بالمجهول ولا أدري كيف صير إلى هذا الجديد المولَّد؟

١١- فَشِلَ:

أقول: إن "الفشل" في العربية المعاصرة نقيض النجاح، وقد انتهى هذا الفعل إلى هذه الدلالة، فذهب ما كان من معناه في فصيح العربية، والفعل "فَشِلَ"، ومصدره "الفَشَل" معناه: كَسِلَ وضعف وتراخى وجَبُن، والوصف "فَشِل". وفي هذه الدلالة جاء قوله تعالى: ﴿إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ وقولـــه تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكُم﴾. قال الزجاج: أي تجبنوا، ومثل هذا قول أمير المؤمنين للمؤمنين في إحدى خطبه، حين بلغه أن خيلاً لمعاوية، وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له: يا عجبًا كلَّ العجب عجبًا يميتُ القلبَ، ويَشغَل الفهم، ويكثر الأحزان من تضافر هؤلاء على باطلهم، وفشلكم عن حقِّكم. .. ".

١٢- تقنية:

أقول: و"التقنية" مصدر مولّد جديد في العربية المعاصرة، وليس للمعاصرين في استعمالهم فعل هذا المصدر، ذلك أن الفعل في "تجربة" و"تقدمة" و"تزكية" هو "جرَّبَ" و"قدَّمَ" و"زكّى". وعلى هذا كان ينبغي أن يكون لهم "قنّى"، ولكنهم تركوه وجهلوه. إنهم أرادوا بـ "التقنية" المصطلح المعروف: " technologia. وذهب بعضهم إلى التعريب فقال: "**التكنولوجيا**" بالألف واللام، وفي الوصف قالوا: الابتكار التكنولوجي.

١٣- إملاء:

"الإملاء" مصدر الفعل "أملَى يُملي" يقال: أملَى المعلّم على طلاّبه مادة الدرس، بمعنى: تلا مادة الدرس عليهم ليدوّنوها في دفاترهم.

أقول: ومن هنا خُصَّ هذا المصدر بدرس خاص في المدارس الابتدائية يعلّم فيه المعلم تلامذته الكتابة الصحيحة، وفيها رسم الهمزة ومواضعها، ومعرفة ما يكتب بالضاد وما يكتب بالظاء، ومعرفة ما يرسم ألفًا قائمة، وما يرسم ألفًا بصورة الياء في المقصور، ونحو هذا من خصائص تتصل بحسن الخط.

أقول: إن قصر "الإملاء" على هذه الخصوصية أذهب عنه ما كان له في فصيح العربية، وهو ما أشرنا إليه. ومن ذلك كتب "الأمالي" التي أملاها الأوائل على طلابهم نحو "أمالي" أبي علي، و"أمالي" الزجاجي، و"أمالي" الشريف الرضي وغيرها.

وقد جعل المتقدمون "**الأمالي**" جمعًا لـ "إملاء" على التوهّم؛ ذلك أن المفرد في كثير من الجموع على "أفاعل" هو "أُفْعلية"، مثل أُمنية، وجمعها أمانٍ، وأغنية، وجمعها أغانٍ، بالتخفيف والتشديد.

١٤- مواصفات:

أقول: هو جمع "مُواصفة"وهذا المفرد في العربية المعاصرة مولّد جديد احتيج إليه ليقابلوا به المصطلح الأعجمي، في مسألة ما سموه **"ضبط الجودة"** في الموادِّ المصنوعة و"المصنَّعة". وللمواصفات مؤسسات إقليمية ودولية تنشر ما تتوصل إليه في ضبطها، ولهم في هذا معجمات كبيرة نجد فيها الخصائص مما يتبعون فيه" التقييس".(١)

وأتحوَّل بعد هذا إلى أبنية أخرى هي: **نعوت، وصفات، وجموع** وغيرها، أدرجها على حروف المعجم، أكمل بها هذا الموجز، ودونكها:

١- مُباع:

أقول: "المباع" قد يغلب "المبيع" في لغة المعربين، فيما يقولون ويكتبون، فأنت تجده في "الإعلانات" كما تجده فيما تنشره الصحف.

إنه خطأ لغوي سببه جهل المعربين بمسائل الصرف، فكأن المعرب يشعر أن "المباع" هو اسم المفعول، وهو لا يشعر حقيقة هذه الصيغة في "المبيع"(٢).

إن "المبيع" مثل "المدين" بناء بعيد عن تصوُّر كثير من المعربين لحقيقته؛ ومن هنا ذهبوا إلى ما هو "مفعول" فقالوا: "مُباع" كما قالوا: "مديون".

---

(١) ولي أن أستدرك الأفعال فى موجزي هذا، فأثبت الفعل "اهترأ"، الذي فاق استعماله معناه، وهو "بلي"، قال: اهترأ الثوب، بمعنى بلى ورثّ وتمزّق. وذهبوا به إلى غير المحسوسات فقالوا: فكرة مهترئة، ورأي مهترئ.

أقول: ليس لنا من مادة "هرأ" بناء "افتَعَل"، وهو "اهترأ " في فصيح العربية، فقد جاء: هَرَأ في منطقيتها هَرْءًا، بمعنى أكثر من الخطأ والخنا والقبيح. والهُراء: المنطق الفاسد. وفيه دلالات أخرى، وكله بعيد عن "البلى"، الذي لا نعرف غيره في العربية المعاصرة.

أقول: وهذا الفعل المولّد جيء به في الألسن الدارجة، ففيها تَهَرَّى الثوب، بمعنى رثّ وتمزّق.

(٢) أقول: ذهب الصرفيون إلى أن "مبيع" أصله "مبيوع"، وساروا في صنعتهم من أجل الوصول إلى "مبيع " وما حدث فيه من نقل ضمة الياء، والتقاء الساكنين، وحذف لواو، وشيء آخر في هذه الصنعة.

وكأني أقول: إن "مبيوع" هي صيغة على التمام، وهي مثل " مَصوون " التي قيل: إنها نادرة، وهي لغة تميمية. وسآتي إلى "مديون" ولي فيه كلام.

لم يفطن المعرب البعيد عن الوعي اللغوي أن "المباع" فعله "أباع"، و"أباعَ" غير "باعَ"؛ لأنه يريد "البيع"، ولم يُرد " أباعَ " التي تعني " عرض الشيء للبيع " وهذا الفعل المزيد، وهو " أباعَ " لا نعرفه في العربية المعاصرة.

٢- ثقاة:

أقول: رسمت تاء الكلمة تاء معقــودة، لأشيــر إلى الخطأ فــي فهم المعرب لهذا الجمع. لقد عدَّ المعربون، وهم كثيرون، "الثقاة" مثــل "الدُّعاة" و"القُضاة" وكأن "الثقاة" جمع تكسير، وهم لا يفكرون في مفرد هذا الجمع. ولكننا نأتي إلى هذا التوهم الخاطئ فنقول: إذا كان "الدعاة" و"القضاة" جمعي "داعٍ" و"قاضٍ"، يكون "الثقاة" جمع "ثاقٍ"، وهذا المفرد لا نعرفه في العربية وعلى هذا فالمعربون مخطئون في هذا الجمع؛ لأن الصواب "ثقات" بالتاء الطويلة، وهو جمع بالألف والتاء، مثل "فئة" وجمعها "فئات"، وواحده "ثقة"، وأهل الصرف يضمون الدال والقاف في "دُعاة" و"قُضاة"؛ لأنه بناء تكسير، وهو "فُعَلة"[(١)].

٣- مجرِّب:

أقول: شاع "المجرِّب" بزنة اسم الفاعل في العربية المعاصرة، ويريدون به صاحب التجربة، أي كأنه موطن ثقة.

٤- حداثوي:

أقول: استعمل النسب على هذا النحو لدى المعاصرين المعنيِّين بـــ "الحداثة" فقالوا مثلاً: "الرؤية الحداثوية". إن ذهابهم إلى هذا، والإتيان بالواو التي لا وجوب لها في هذه الكلمة الصحيحة في الأصل، وهي "الحداثة"، ليشير إلى أنهم يسعون إلى مخالفة المتَّفق عليه، مما جرت به العربية، وليقولوا: هذا شيء من ملاك "الحداثة"، التي هي،

---

(١) قالوا: إن وزن: "دعاة"، و"قُضاة": فُعَلة. وذهبوا إلى صيغتهم، فقالوا: أصلهما "دُعَوة"، و"قُضَية"، والأمر مبسوط في كتب الصرف.

كما قال رجالها من الغربيين، انقطاع معرفي. إن هذا "الانقطاع" يفهم منه، كما أرادوا، انقطاع عن الموروث، وأضيف هنا مثل هذا: "**بنيوي**"[(١)] و"**لسانوي**" و"**علموي**" و"**نهضوي**". وهذا كله مخالف للمشهور المعروف في النسب إلى "لسان" و"علم" و"نهضة".

٥- حياتي وحياتية:

أقول: وهذا شيء آخر في النسب على الخطأ، فالأصل هو "حياة" وقد جرى المعربون في هذا العصر - والعصور التي سلفت - على ما جرت به العربية. إن الكلمة ذات ألف تليها علامة التأنيث، وهي ثلاثية، والألف- وهي ثالثة- تُرَدُّ إلى أصلها وهو الواو عند النسب، ثم تأتي ياء النسبة المشدَّدة فيقال: حَيَوِيّ وحَيَوِيَّة، غير أن المعاصرين يجهلون هذا، وكثير منهم يذهب إلى هذا الخطأ، وإن نُبِّه عليه، فيقول: الضرورات الحياتية، وكنا نقول حتى زمان قريب: الضرورات الحيوية [(٢)].

٦- مُدان:

أقول: يقول كثيرون "المُدان" ويريدون "المَدين" مثل المبيع، وهم لا يعلمون أن "المُدان" من الفعل "أدان" وليس من الثلاثي "دانَ" الذي يفيد "الدَّيْن" والفعل "أدانَ" في استعمال المعاصرين، غير الذي هو في فصيح العربية، يقول المعاصرون: أدان القانون جميع الذين خرجوا عليه، بمعنى أخذهم ونَسب إليهم الخروج عليه.

والذي في فصيح العربية هو قولهم: أدان الرجلُ، إذا صار له دَيْن على الناس. وقال ابن سيده: أدان فلان الناس، بمعنى أعطاهم الدين وأقرضهم.

---

(١) أقول: النسبة إلى "بِنْيَة" بِنَوِيّ ، والياء فيها تقلب واوًا، كالنسبة إلى "لِحية" لِحَوِي، وهي غير "اللحياني" فتلك نسبة سماعية.

(٢) أقول: كأنَّ المعاصرين لم يشعروا أن "الحيويّ" هو المنسوب إلى "الحياة"، ولذلك نراهم يستعملون "الحيويّ"، بمعنى ما هو ضروري ذو قيمة، ويقولون: " الضرورات الحياتية " أي الحاجات التي تتطلّبها الحياة، إن هذا يعني أن المعاصرين لم يكن لهم في تعلمهم اللغة القدر الكافي للإعراب الجيد والكتابة الجيدة.

وقد يقولون: مُدين، بضم الميم، ويريدون به من تحمَّل الدين، وهو "المدين". إنهم يرتكبون الخطأ، ولا يستعملون الصحيح الذي يبعدهم عنه، وهو "مديون" زنة مفعول، ويظنُّون أن "المديون" عاميّ دارج، مع أنه لغة تميمية غير أنهم ولَّدوا المصدر الصناعي من "مديون"، فقالوا مثلاً:"المديونية" للحكومة الروسية تُقدَّر بعدة مليارات من الدولارات.

٧- رؤوم:

أقول: لابد أن نعرف أن "الرَّأْم" هو الولد، وهو البَوُّ[١]. ورئمت الناقة ولدها ترأمه رَأْمًا ورَأمانًا، أي عطفت عليه ولزمته، والناقة رؤوم ورائمة.

أقول: وذهب هذا كله وبقيت "الرَّؤوم" في ترسُّل المتأدِّبين من المعاصرين نعتًا للأمّ الحنون، وليس للناقة، ولما كانت "الرؤوم" خاصة بالناقة، كانت كسائر النعوت الخاصة بالمؤنث من الإنسان والحيوان، عارية من علامة التأنيث، ومن هنا نجد: **الحامل، والطالق، والعانس، والثيِّب، والعوان**، بغير هاء للتأنيث، وكذلك:**الصاهل، والسابق**، نعتًا للمذكر والمؤنث في الخيل، **والشاحج**، نعت للبغل، **والعامل**، لكل دابة تعمل في الأرض.

٨- مُسْبَق، مُسَبَّق:

قلت غير مرَّة: إن المعاصرين يتصدون للكتابة والكلام ببضاعة مزجاة من الفهم اللغوي، إنهم يقولون مثلاً: استعدَّ الرجل مُسْبَقًا أو مسبَّقًا بالنصب على الظرفية، ولا يهمهم ألا يوجد في فصيح العربية الفعل "أسبَقَ" أو "سبَّق".

٩- مُشاد:

لعل المتفاصحين يقولون، مثلاً: هيكل البناء المُشاد، وهم في هذا التفاصح قد تجاوزوا الصواب، ذلك أن الفعل "أشاد"، الذي كان منه اسم المفعول "المشاد"، لا يعني

(١) البَوّ: الحُوار، وقيل: جلده يُحشَى تبنًا أو ثُمامًا أو حشيشًا لتعطف عليه الناقة إذا مات ولـدها، ثم يقـرَّب إلى أمّ الفصيل لترأمه فتدرّ عليه.

البناء أو إقامة البناء؛ لأن الثلاثي "شاد" هو الصحيح. وكأنهم ظنوا أن " المشيَّد " غير فصيح.

١٠- مَشين:

أقول: و "المَشين" هو اسم المفعول للفعل "شانَ يشين" مثل "مَبيع". وقد قلت: إن الكثير من المعربين قد فقدوا الكثير من العربية، فذهبوا إلى الخطأ؛ ومن أجل ذلك نراهم يقولون: "مُشين" بضم الميم، فجعلوا اسم المفعول، وهو الصواب، اسم فاعل.

١١- المُصان:

وقولهم مثلاً: "الدرُّ المصان"، وقول أحدهم في كتاب له "الكنـــز المصان"، من الكلم المعدول عن جهته؛ لأن "المصان" اسم مفعول، فعله "أصانَ" وليس في العربية هذا الفعل، والصواب: "المصون" وهو اسم مفعول، فعله "صانَ" الثلاثي، مثل: "مَقول" وهذا مثل " المُشاد " الذي تقدَّم الكلام عليه.

وعجيب أن يبلغ التوهُّم الخاطئ بالمعربين في استعمال "المصون"؛ إذ يقولون: "السيدة المصون"، وكأنهم جعلوا "المصون" من النعوت، على وزن "فَعول" كالرؤوم، والبتول وغيرهما.

١٢- العجوز:

قالوا في فصيح العربية: العَجوز، والعجوزة من النساء: الشيخة الهرمة، والأخيرة، أي: العجوزة (قليلة)، والجمع: عُجُز وعُجْز وعجائز.

أقول: وقد جعل المعاصرون "العجوز" صفة للرجل المسنِّ العاجز أيضًا، وقد صرفوا "العجوزة" للشيخة الهرمة، وهذا مولَّد جديد لا نعرفه في فصيح العربية، ثم إن المعاصرين يجهلون أن جموع "العجوز" التي ذكرناها هي أبنية لما هو مؤنث، فكيف نقول للشيوخ: "عجائز" (١)؟

---

(١) أقول: ومثل هذا قالوا في جمع " زبون ": زبائن ، وهذا في الأغلب الأعم صيغة جمع مؤنث مثل عرائس.

١٣- العروس:

أقول: و "العروس" في فصيح العربية: نعت يستوي فيه الرجل والمرأة. وفي "صحاح" الجوهري: إن العروس المرأة والرجل، ماداما في إعراسهما، ويقال: رجل عروس ورجال أعراس وعُرُس، وامرأة عروس، في نسوة عرائس، وفي المثل: كاد العروس يكون أميرًا.

أقول: وقد خصَّ المعاصرون "العروس" بالمرأة، وربما قالوا: "العروسة" للإشعار بالتـأنيث. ومن أجل هذا قالوا للرجل المعرس: عَرِيس[1]. وهذا كله مولَّد جديد عُرف في العربية المعاصرة.

١٤- عشوائي:

يقال: ترتيب عشوائي، وخطة عشوائية، وربما جعلوا "العشوائية" مصدرًا صناعيًّا نحو، المحسوبية، والنسبية وغيرهما.

أقول: درج المعاصرون على استعمال العشوائي، والعشوائية، يريدون بهما وصفًا لعمل يكون أو يُنجَز كيفما اتُّفق له على غير نظام، و لم يسبقه نظر وإعداد، وهذا الوصف من أصل "العشواء"، وهي صفة للناقة التي لا تبصر بوضوح خلال الليل والنهار. وليست العشواء خاصة بالناقة، ولكن المعاصرين قد أتتهم من بيت زهير في مطوَّلته؛ إذ قال:

رأيتُ المنايا خَبْطَ عشواء من تُصِبْ

تُمِتْه ومن تُخطئْ يُعَمَّر فيَهرَم

إن "العَشْواء" مؤنث الأعشى. والمصدر هو "العَشَا"، والفعل عَشَا يعشو، وعَشِيَ يعشى. وهذا يكون في الناس والدواب والإبل والطير.

---

(١) وقال العراقيون، وغيرهم: عِرِّيس، وزان سِكِّير.

لقد خفي كل هذا عن المعاصرين، وولّدوا هذه الدلالة من "العشواء"، وهي صفة الناقة التي أشير إليها في قول الشاعر زهير بن أبي سلمى.

وقد توسع المعاصرون بهذا التوليد، فكان لهم "الغوغائية" مأخوذة من "الغَوغاء". والأصل في "الغوغاء" الجراد، حين يخف للطيران، ثم استعير للسِّفلة من الناس، والمتسرعين إلى الشر، وقالوا: ويجوز أن يكون من "الغوغاء"، وهي الصوت والجلبة.

أقول: والذهاب إلى دلالة الصوت والجلبة من النظر الصائب، ألا ترى أن "الوغى" بمعنى الحرب كان حكاية للأصوات، التي تكون في الحرب؟ وهي قعقعة السلاح ونحوها.

١٥- مَعيب:

أقول: "**المَعيب**" مثل: **المَبيع، والمَشيد، والمَشين**، اسم مفعول من "عابَ". غير أن قلة بضاعة المعربين اللغوية وفطنتهم إلى الأبنية أدَّت إلى أن يصبح اسم المفعول هذا اسمَ فاعل، بضمّ الميم، "**مُعيب**". ومن أجل ذلك يرد في كلام المعاصرين: "الصفات المُعيبة" وهي "المَعيبة".

١٦- المُعاش:

نسمع من يقول: "**الواقع المُعاش**" وفي ظنه أن "المعاش" اسم مفعول؛ لأنه لا يعرف الصيغة الصائبة وهي "المَعيش" بفتح الميم.

ثم إن هذا المتكلم أو الكاتب لا يعرف أن "المُعاش" فعله "أعاش" وهو يريد العيش، وليس في العربية هذا الفعل المزيد، وأن الفعل "عاش" لازم لا يأتي منه اسم المفعول[1] والسبب في هذا التحاوز أن المعربين أحيانًا ينظرون إلى ما يقرؤونه في اللغات الغربية فوجدوا شيئًا من هذا في الفرنسية في الفعل" vivre " الذي يتعدّى في هذه اللغة.

---

(١) أقول: لا يصار إلى اسم المفعول من الفعل اللازم، إلا إذا كان تاليه ظرفًا أو جارًّا ومجرورًا أو مصدرًا متصرِّفًا مختصًا.

١٧- فَخور:

أقول: هو "فَعول" من الفخر، ومعناه معروف، ويجمع على "فُخُر" ذلك أن ما ورد على هذا الوزن، لا يجمع بالواو والنون. غير أن هذا مما جهله المعاصرون، فهم يقولون مثلاً: "نحن فخورون بما حقَّقنا" وأنت تجد هذا في لغة التنــزيل، وشاهدنا "الرُّسُل" التي مرت في آيات كثيرة، ولم يــرد جمع للرسول، بالواو والنون، والياء والنون، ومثل هذا "الزُّبُر": جمع زبُور، قال تعالى: ﴿وكل شيء فعلوه في بالزُّبُر﴾ وجمع "فَعيل" كذلك "فُعُل"، قال تعالى: ﴿كذَّبت ثَمودُ بالنُّذُر﴾ وقد يأتي ما كان على فعيل، مجموعًا على غير هذا الوزن، نحو: كريم كُرَماء وكرام، وقال تعالى: ﴿ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكُبَراءنا فأضلُّونا السبيلا ﴾ فلم يأت جمع "كريم" و "كبير" بالواو والنون.

أقول: هذه دقائق جهلها المعربون في العربية المعاصرة.

١٨- الفارط:

هذا وصف نجده في عربية أهل إفريقية، فأنت تجد في الصحيفة التونسية أو المغربية قول صاحب الصحيفة: كان الأمر ميسورًا في الشهر الفارط أو العام الفارط، يراد بذلك الشهر المنصرم أو العام المنصرم.

أقول: ليس في هذا تجاوز، وهو صحيح، إلا أنه غريب في عربية، كثر فيها التجاوز والخطأ، ولا سيما في بلدان إفريقية الشمالية.

أقول أيضًا: ومثل هذا قول المعربين في كثير من البلاد: "على الرُّغم من المخاوف استطعنا إنجاز العمل". بضمِّ الراء من "رُغم". لقد جدَّ هذا منذ سنوات، والذي اندفع إلى هذا، ربَّما وجده في نصٍّ مكتوب، ولكنه لم يتعود الرجوع إلى المعجم القديم، وليس للمتعلمين من العرب هذه العادة؛ لأنهم عرفوا لغتهم في كتبهم وصحفهم، فكان من ذلك ما كان.

لو أن هذا المعرب رجع إلى المعجم لوجد أن "الرغم" من المثلّث في العربية، فهو بفتح الراء وكسرها وضمّها، وكلها جيد[١].

١٩- مهيب:

أقول ورد هذا الوصف في لغة المعاصرين، في قولهم مثلاً: "حدث هذا في احتفالٍ مُهيب" بضمّ الميم من "مهيب"، وهو "مَهيب" بفتح الميم؛ لأنه بمعنى "مهيُوب" من "الهيبة".

والمعربون لا يعرفون "المهيب" بضم الميم، فعله "أهاب"، وهذا الفعل لا يتصل بالهيبة في المعنى، يقال: أهاب الرجل بأصحابه، أي: دعاهم إلى أمر يحزبهم.

وقد تسمع من يقول: أن الرجل مُهاب، وهو يريــد الهيبة، وفي هـــذا هو الجهل الذي بسطنا حقيقة الأمر فيه.

٢٠- مهين:

يقول المعاصرون: هذا الشيء مُهين، ولا يريدون أن في الأمر إهانة، بل إنهم يرمون إلى الهوان والمهانة، وشتّان ما بينهما وعلى هذا فالصواب هو "مَهين" بفتح الميم، وفي الحديث: ليس بالجافي ولا المَهين، وقال تعالى: ﴿ولا تُطع كلّ حلاّفٍ مَهين﴾.

٢١- المواطن:

أقول:"المواطن" من المولّد الجديد، والذي أشار إليه أولو العلم:أن "الأب أنستاس ماري الكرملي" هو الذي كان ممتَحنًا بأن يكون في العربية من الكلم المفيد، الذي يقابل

---

(١) أقول: استعمال المعاصرين " على الرغم " كما أثبتنا بعيد عن استعماله في فصيح العربية، ذلك أن "الرغم" والرُّغام هو التراب، وكأن قولهم: "على رغم من رَغَم " على قسره وإذلاله. وفي الحديث: "وإن رغم أنفه". أن "الرغم" مع الأنف يشير إلى الإذلال، فكأن الذي يُرغم أنفه هو من يُقسَر، فيسجد على الأرض، فيمس أنفه الرغام أي التراب، وفي هذا إيماءة لإذلاله ، فهل في قول المعاصرين شيء من هذا ؟ الجواب: لا، ذلك أنهم صاروا إلى استعمالهم مستأنسين بما في الإنجليزية أو الفرنسية.

نظيره في لغات الغرب. لقد وقف الكرملي على ما في الفرنسية من "patriote" و compatriote، فرأى أن الضرورة تقتضي أن يكـــون لنا مقابل للكلمة الثانية فاجتهد في العربية، وهو ينظر إلى الأصـــــل الفرنسيpatrie، وتعني "وَطَن" فذهب به احتهاده إلى "المواطن"، ومن ثم شاع وتَهَيَّأت له سيرورة واسعة.

إضافة أخيرة:

وقد أختم هذا الموجز ببعض ألفاظ ذهب فيها المعربون إلى غير ما هو لها من دلالة ومعنى، وخصُّوها بخصوصية أصبحت شائعة، وبهذا نسي ما كان لها، ومن هذه: **البسيط**: وأصله المبسوط، أي ما بُسط. **والبسيطة**: الأرض العريضة الواسعة. ولكن المعاصرين ذهبوا بهذا الوصف إلى: ما هو أمر هيِّن، غير معقَّد ولا صعب. وهم في هذا جروا على استعارة "السَّهْل"، وأصله للأرض، لما هو غير صعب.

ومن هذا "**الرهيب**"، وهو في إعراب المعاصرين: "المخيف" الذي يخشى للرعب الذي فيه.

أقول: إنه مما ولَّده المعاصرون على "فعيل"، وكتبت له السيرورة، فشاع وصار من العامي الدارج.

ومن هذا "**الرائع**" الذي يروعك، أي: يفزعك من الرَّوع، وفي هذا سعة من الدلالة، ومن هذا فَرَس رائع، وامرأة رائعة، والوصف متصل بعتق الفرس، وجمال المرأة وفي هذا الأصل معان أخرى، غير ما أثبتناه، مما يتصل بالفزع والحسن، غير أن المعاصرين قد خصُّوا "الرائع" بالحسن والجمال.

ومن هذا وصفهم الشيء بـــ "**فظيع**" أي أنه لا يطاق، كالبرد والحر، وقد يقال: هو فظيع في سلوكه، كنجله وحرصه ولؤمه وغير هذا. والرجل فظيع، إذا كان قاسيًا ظالمًا.

أقول: قد نجد لهذا مسوغًا، ذلك أن "الفظيع" هو الذي يفظُع، أي: يشتد ويشنُع ويتجاوز المقدار.

ومن هذا وصفهم الشيء بـ "**هائل**" بعيدًا عن "الهَوْل" الذي هو الرُّعب والفَزَع والاضطراب، فقد تسمع من يقول: الأسعار هائلة، يريد بها أنها عالية، وقد يعكسون الأمر، فيريدون أنها انخفضت كثيرًا، وقد يقال للشيء يتجاوز المقدار في صفته وجودته ورداءته: إنه هائل.

أقول: هذا وغيره يشير إلى أننا لم نُعنَ بالمسألة اللغوية فنتعلّمها، ونحسن التعلم، فيكون لنا منها زاد مفيد، إنك لتجد المعربين أحيانًا يستعيرون اللفظ الدارج ويحسبونه فصيحًا، فأنت تجد في مجلات مصر، مثلاً، من يقول: كان الأولاد "**شِلّة**" بالشين، وأصلها بالثاء "**ثُلّة**".

وقد يحسبون: **المصايد، والمصاير، والكِفاية** (أي القدرة) خطًأ، فيقولون: **المصائد، والمصائر، والكفاءة**، ولم يدركوا الصحيح، وما قيل في هذه الياء التي أبدلوا بها همزة، وهذه الكلمات بالياء لا الهمزة.

ولم يفيدوا من قراءتهم من قوله تعالى: ﴿ولقد مكنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش﴾.

وأنت تجد أنهم يجمعون الكلمة، كما يبدو لهم، من غير اكتراث بما هو مسموع في العربية، فأهل الاقتصاد يقولون: "**الأكلاف**"، جمعًا لما هو "كُلفة أو تكلفة".

أقول: لم أرد وأنا أكتب هذا الموجز، أن أستوفي ما يكون من هذا، مما يتصل بالتجاوز الذي عرض للعربية المعاصرة، وقد يكون في هذا الذي بسطته تنبيه وفائدة.

* * *

الأمثال العَاميَّة(*)

للأستاذ عباس العزاوي

(عضو المجمع المراسل)

اللغة العامية منتشرة في المدن والقرى، كما أن لهجات العشائر ذائعة في عشائر البادية وفي عشائر الأرياف. ومن مصادر اللهجات (الأمثال) وأول مدوناتها في المدن والقرى. وهذه أقرب إلينا، وإننا نتناول الأخذ بها دوماً، ثم يليها ما يتعلق بالأرياف. وبعد ذلك وبدرجة ثالثة تلحظ أمثال البدو ومن هذه تتكون مجموعات مهمة:

الأمثال العامية في العراق:

هذه خليط ومزيج من لهجات عديدة تمخضت عنها اللهجة الشائعة في المدن والقرى ومنها ما شاهدناه مدونًا في بعض كتب الأمثال. و لم نشاهد كثيراً أمثال الأرياف وأمثال البادية؛ إذ لم تصل إليها أيدي الباحثين و لم يستشهد بها في الغالب. ومن المدونات في الأمثال:

١- أمثال عامية من عراقية ومصرية وسورية:

جمعها نرسيسيان الأرمني، المتوفي سنة (١٩١٤م)، و لم يراع في ترتيب هذه الأمثال السياق الهجائي أو الموضوعات.

٢- أمثال العوام في مدينة السلام:

للمرحوم الأستاذ السيد محمود شكري الألوسي، المتوفي سنة (١٩٢٤م)، جمع فيها الأمثال السائرة على ألسنة أهل بغداد، ورتبها على حروف الهجاء، منها نسخة في خزانة المستنصرية، و نقل الأستاذ "السيد ظافر الألوسي" منها نسخة بخطه، وقدمها هدية لي في ٧ مارس سنة (١٩٥٨م).

٣ ـ أمثال بغداد و الموصل العامية النصرانية، مع حكايات عامية أيضاً:

جمعها الأستاذ الأب "أنستاس ماري الكرملي" المتوفى سنة (١٩٤٧م). وقد رتب الأمثال على حروف الهجاء وهي تنتهي في الصفحة(١٣٧) حيث تليها الحكايات.

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الحادي والعشرين، ص ٣١.

وهذه الأمثال لم تطبع، ومخطوطتها المستنصرية ببغداد[1]، وهي من كتب الأستاذ الكرملي.

٤- مجموعة أمثال الموصل:

منسقة حسب حروف الهجاء بقلم القس "ألفونس جميل شوريز"، طبعت في المطبعة العربية ــ بغداد، خالية من تاريخ الطبع، والملحوظ أنها في سنة (١٩٣٨م). وهي ٨٨ صفحة بالقطع الصغير، خالية من الشرح و الضبط.

٥- أمثال وأقوال بغدادية:

عني بجمعها وتبويبها الأستاذ "السيد ظافر الألوسي". طبعت في مطبعة الأعظمي ببغداد سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م). رتبها على أحرف الهجاء في (٥٦) صفحة. وهو الجزء الأول وهذه الأمثال غير مشروحة إلا أنه ثبّت صفحة من الأمثال.

٦- معجم أمثال الموصل العامية:

شرح وتحليل الأستاذ "عبد الخالق خليل الدباغ". طبع الأول والثاني منه في مطبعة الهدف بالموصل سنة (١٩٥٦م) وهذا الكتاب مصدر بمقدمتين الأولى للدكتور "داود الحلبي" المتوفى بالموصل في (٢٩) مارس سنة (١٩٦٠م). والثانية بقلم الأستاذ الأديب "محمود الملاح". والكتاب يمثل لهجة الموصل.

٧- الأمثال البغدادية:

للأستاذ الشيخ "جلال الحنفي" رتبها على حروف الهجاء، وضبطها وشرحها وطبعها في مطبعة أسعد ببغداد، وأتم منها سبع ملازم حتى الآن. ويقع في مجلدين مجموع الأمثال فيهما، نحو ثلاثة آلاف مثل.

هذا، وقد جمعت كثيراً من أمثال البادية و الأرياف ومن أمثال بغداد وسائر المدن العراقية، ورتبتها على حروف الهجاء، ثم زادت كثيراً، وعسى أن تسنح الفرصة لنشرها.

---

(١) مجلة سومر ج ١٤ صـ١٣٠ من مقال للأستاذ "كوركيس عواد".

ومن المدونات في البلاد العربية:

١-كتاب "**أمثال المتكلمين من عوام المصريين**"، للأستاذ "محمود بن أحمد عمر الباجوري". قدمه في المؤتمر العلمي الثامن ببلاد السويد والنرويج سنة (١٨٨٩م). وطبع بالمطبعة الشرقية سنة (١٣١١هـ). قال في مقدمته: إن الأمثال تكشف عن العادات لقطر أو بلد و تفصح عنها و عن أخلاقها وسائر أحوالها، و أنه خص عمله في البلاد المصرية فأوضح عن نتائج اختلاطه بالشعب، فجمع جملة من الأمثال العامة الدائرة على الألسن، وقدرها بنحو ثلاثة آلاف مثل، مرتبة على حروف الهجاء فشرحها، وذكر ما يقابلها أو يوافقها من أمثال عربية، وآيات كريمة، وأحاديث شريفة، أو حكم و أبيات شعرية ... و أتبعه بجملة من المواليا (المعروف عندنا بـ (الموال) ... فكان عمله نافعاً جدًّا. ولا شك أنه أمثلة لما شاع، ولكنه لم يعين لهجة بخصوصها لكل ناحية، ولا أبدى الفروق بين لهجة وأخرى.

ومهمة البحث تستدعي التحقيق في هذه الأمثال عن لهجاتها. وهل فيها ما يوافق اللهجات العربية في الأقطار الأخرى ؟ وكنت أود لو كتب الأمثال والموالات كما ينطق بها العوام لنعرف اللهجة أكثر وليكون عمله موفقاً.

٢- "**أمثال العوام في مصر والسودان والشام**" للأستاذ "نعوم شقير"، أخذه من كتابه (مرآة الأيام في مصر والسودان والشام). طبع بمطبعة المعارف. كتبه في (١٠) أكتوبر سنة (١٨٩٤م -١٣١٢هـ). وجعل أمثال بر الشام بحثاً مرتباً على حروف الهجاء وعددها ١٤٣٥ مثلاً. ثم تناول ما في بر مصر فكانت (١٥٢٦) مثلاً. وهكذا ذكر أمثال السودان فبلغت (٥٣٣) مثلاً. و ألحق به تفسير بعض الألفاظ الواردة فيها، وهذا الكتاب كثير الفائدة ومهم جدًّا. لا سيما وأنه فصل أمثال كل قطر ويا ليته استعمل عين ما ينطق به العوام، فلم يبدل الحروف.

٣-الأمثال العامية:

بقلم العلامة المحقق المغفور له "أحمد تيمور باشا" صاحب التصانيف العديدة _ والمكتبة النفيسة، التي أهداها إلى دار الكتب المصرية. ولد بالقاهرة في (٢٢) شعبان سنة (١٢٨٨هـ - ١٨٧١م)، وتوفي بها في (٢٣) شوال سنة١٣٤٨هـ- ١٩٣٠م. طبع الكتاب في مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة (١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م). جمع فيه (٢٦٩٦) مثلاً، رتبها على حروف الهجاء، وشرحها شرحاً دقيقاً، قابل فيها بين آية أو حديث أو مثل فصيح وما ورد في شعر العرب.

والملحوظ: أن المرحوم الأستاذ قد ذكر الأمثال بصورة مجموعة في حين أنه يجب أن يعين فروق اللهجات فيما بينها، ولكنه لم يراع ذلك، واعتبرها وحدة كاملة.

٤- حدائق الأمثال العامية:

جمع وترتيب السيدة الفاضلة (فائقة حسين راغب، حرم: رفيق فتحي بك). طبع سنة (١٣٥٨هـ- ١٩٣٩م) في مجلد ضخم، وهو الأول، وطبع المجلد الثاني منه سنة (١٣٦٢هـ- ١٩٤٣م). دونت فيها الأمثال الجارية على ألسنة مختلف الناس في مواطن عديدة من مصر.دونتها كما سمعتها ورتبتها على حروف الهجاء، شرحتها بما أمكنها، وقارنت بينها وبين آية أو مثل أو حديث، أو حكمة عربية، أو شعر، وذكرت بعض الأمثال المرادفة لها من شرقية أو شامية أو مغربية وغيرها، وأوردت بعض الأمثال العربية الأصل، مما جرى على ألسنة العوام، أو ما شابه، و أشارت إلى أن بعض الأمثال يناقض البعض الآخر أو يضاده. وهكذا قالت: أبرأ من بعض ما كان قد حوى تعريضاً، أو تلميحاً بأية طائفة، أو جنس فلم أثبته إلا لرغبة علمية محضة. وبينت أنها رمزت إلى بعض الألفاظ النابية.. وقالت: لم أغفل أن أجمع بعض المصطلحات التي جرت على بعض الألسنة من عامة وخاصة. وهكذا راعت تلفظ العوام.

وهذا العمل مهم ونافع في تثبيت اللهجة العامية الدارجة في مصر. وأشارت في الهامش إلى ما يوضح بعض الألفاظ الدخيلة أو الشائعة. وأرى أن بعض الشرح غير

صحيح. فإنها فسرت "الغز" بالترك، والصواب أنهم "تركمان". وكلهم من "أولاد أوغوز" الذي خففه العرب بلفظ (غُز). وفي(ديوان لغات الترك) ذكر أولاد أوغوز فصاروا أجداد قبائل كبيرة، والكتاب يستحق كل تقدير، وتشكر السيدة على ما بذلت من جهود، إلا أنها اعتبرت اللهجات كلها لهجة واحدة وهذا نقص. فالأصل أن تثبت لكل صقع لهجته.

٥- الأمثال العامية اللبنانية من رأس المتن:

جمعها ونشرها وترجمها إلى الإنكليزية الدكتور "أنيس فريحة" في جزأين من نشريات الجامعة الأميركية في بيروت. طبع في مطابع المرسلين اللبنانيين جونية — لبنان سنة (١٩٥٣م) في مجلدين جمع فيها (٤٢٤٨) مثلاً مرتبة على حروف الهجاء والحاصل أن هذه مجموعة مهمة من الأمثال، تعد من مصادر اللهجات الشائعة فإذا أضيفت إليها(لهجات الأرياف) و (لهجات البدو) مضبوطة الألفاظ كما ينطقون بها، وكما ينطق العوام في مختلف الأصقاع، لعلمنا الشيء الكثير من تقريب بعضها من البعض الآخر وتيسرت- المقابلات للباحثين في اللهجات وأصولها، بالوجه الذي تناولته في (مباحث اللهجات).

* * *

المثل بين الفصحى والعامية(*)

للأستاذ محمد قنديل البقلي

المثل فيما نعرف هو خلاصة تجربة من التجارب يعبر به الإنسان عن تلك التجربة وما أفاد منها، وما قر في نفسه من حكم عليها.

والتجارب تعرض للناس كافة، يستوي في ذلك عالمهم وجاهلهم، ونتيجة لتلك المشاركة الواسعة في التجارب تختلف الأحكام أو تختلف الكلمات المعبرة عن تلك التجارب، فالحكم على التجربة لاشك متأثرًا تأثرًا خاصًّا بالحاكم عليها، فما تثيره التجربة في نفس إنسان يختلف شيئًا عما تثيره في نفس إنسان آخر، ثم إن صاحب التجربة الذي هو بصدد الحكم عليها يختلف قدرة وأداء وشعورًا وإحساسًا.

وما من شك في أن أحكامًا كثيرة صدرت عن أناس كثيرين كانت لهم تجارب كثيرة، ولكن هذه الأحكام منها ما يبلغ أن يؤثر، ومنها مالا يبلغ أن يؤثر، فكان ثمة أحكام مأثورة لها قوتها في الدلالة ولها قوتها في الشمول، ولها عمقها، ولها أثرها في النفوس. وهذه الأحكام التي توفرت لها هذه الصفات وغيرها أقبل الناس عليها حفظًا، وأقبلوا عليها تمثلاً بها، وهي التي أصبحنا نسميها الأمثال، وجمعناها وشرحنا ملابساتها نيعيش عليها الناس يتمثلونها فيما يعن لهم من تجارب مشابهة.

أما تلك الأحكام التي لم ترزق قوة تعبير ولاسعة شمول ولا عمق تفكير فأهملت، ولم تجد من يعنى بها حفظًا، ولا من يعنى بها تدوينًا.

فالإنسان ما يفرغ حياته يجرب، وما يفرغ حياته كلها يحكم على تجاربه، ولكن من هذه الأحكام ما يبلغ أن يروى؛ كما قدمنا، ومنها ما لا يبلغ أن يروى، وهذا القسم الذي حظي بأن يروى هو ما نأثره عن السلف نحتذيه ونمعن النظر فيه. أما ذلك القسم الآخر فهو على الرغم من وجوده زمنًا ما إلا أنه سرعان ما فني وذهب، ولم يعد من مرويات الناس.

(*) نشر بمجلة المجمع، بالجزء الثامن والعشرين، ص ٢٢١. (سبق لكاتبة "بحث" في كتاب "اللهجات العربية"، ص ٤٢٣، بعنوان: "مناخنا من أمثالنا العامية").

وها أنت ترى أن المثل في مقدور صاحب التجربة ما دام يملك قدرة التعبير، وما دام يملك نفسًا متأثرة بالتجربة، تأثرًا يخرجها من الصمت إلى الكلام. وحين كانت اللغة العربية تسود الناس سيادة كاملة أو شبه كاملة، أعني في عصرها الأول، كانت الأمثال كلها تكاد تنبع من معين واحد هو الفصحى، أما حين أخذت اللغة الفصحى تتقلص سيادتها شيئًا، ونشأت إلى جانب اللغة الفصحى لهجات عامية، أخذ معين الأمثال يختلف شيئًا، فكان ثمة أمثال تؤدى فصيحة، وأمثال تؤدى عامية. والعامية - كما نعرف- تختلف في بيئة عنها في بيئة أخرى؛ من أجل ذلك، كان ذلك الاختلاف في لفظ ذلك المثل الواحد الذي يرد في العامية.

ونحن بين تراث من الأمثال الفصيحة، يكاد يرتد إلى عصور بذاتها لا يعدوها إلى تلك العصور التي انتهى عندها المثل الفصيح، و لم نعد نظفر بأمثلة أخرى لغير تلك العصور، وما نظن أن العلة في ذلك أن تجارب الناس انتهت عند تلك العصور، أو أن الناس فقدوا الحكم على ما يعن لهم من تجارب، أو أنهم فقدوا القدرة على التعبير عما يحسون، وأرجح الظن في تعليل ذلك أن وسائل الرواية التي تهيأت للأقدمين لم تعد مهيأة لمن جاء بعدهم. وقد كان من الممكن أن تقوم الكتابة مكان الرواية، ولكن الذي نظنه أن الناس لم تعد لهم العناية بالمثل قولاً وحفظًا، كما كانت تلك العناية للأقدمين.

والغريب أن هذا الركن الذي فقدناه في الفصحى لم نفقده في العامية. ونحن لم نفقد العناية بالمثل وحده في الفصحى، بل فقدنا العناية بالخطبة أيضًا، وغيرها من أساليب القول النثرية، كالأوامر والتوقيعات، وما إلى ذلك مما جرى هذا المجرى، فلم تعد لنا عناية بتدوين هذا أو روايته إلا في القليل، مع أن الأزمان المختلفة لم تحرم مثل هذا، وما نشك أن ثمة أفرادًا جاءوا على توالي الأزمان، وكانت لهم في تلك الميادين من القول جولات.

وهكذا نرى أنفسنا - في ميدان الأمثلة التي في الفصحى - بين يدي جملة خاصة بقرون سلفت ووقفت عندها. أما عن الأمثال التي جاءت في العامية فما نظنها وقفت

عند عصر بعينه، بل سايرت الأزمان المختلفة، ونكاد نخالها على لسان كل عصر، بل منها ما يكاد يولد إلى اليوم.

والعلة في تجدد المثل العامي وبقائه حيًّا دون المثل الفصيح هي - فيما نظن - أن المثل العامي لاسيما في تلك العصور التي انـزوت فيها الفصحى وأصبحت فيها اللغة الرسمية له وجوده على ألسنة الكثرة، فهو أدبهم الذي لا أدب لهم غيره، فما هم بـرواة شعر ولا برواة نثر، ولكنهم على الأمثال يحيون أولاً، إذ فيها نوادرهم وطرائفهم، وهذه النوادر والطرائف بعيد أن تجمد، وبعيد على أذهان العامة أن تخمد هي الأخرى، من أجل ذلك كان المثل حيًّا متجددًا على ألسنة العامة، على حين انقطع على ألسنة الخاصة أو قل لم يجد من ينقله من لسان الخواص، على حين وجد من ينقله من لسان العوام.

والمتتبع للأمثلة العربية في العصور المختلفة للغة العربية يجد أن ثمة ظواهر ثلاث:

١- ظاهرة تشير إلى سيادة المثل الفصيح سيادة كاملة، وذلك إبان كانت الفصحى هي اللغة التي لا تزاحمها لهجات عامية.

٢- ظاهرة شاركت العامية فيها الفصحى، وذلك خلال تلك العصور التي لم تكن للفصحى السيادة الكاملة.

٣- ظاهرة اختفى فيها المثل الفصيح وانتعش فيها المثل العامي، وذلك في العصور التي تخلفت فيها اللغة الفصحى.

أما عن **الظاهرة الأولى وهي تلك التي ساد فيها المثل العربي أيام سيادة الفصحى** فحسبنا تلك الجهود التي بدأت فيما نظن مع منتصف القرن الثاني الهجري تقريبًا، وكان أول من وضع فيها كتابًا، هو الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، المتوفى سنة (١٦٨هـ)، ثم تلاه فيما نعلم: يونس النحوي، المتوفى سنة (١٨٢هـ)،ثم تتالت الجهود من بعد يونس تباعًا، فرأينا مثل ذلك الجهد لأبي عبيدة، معمر بن المثنى، المتوفى سنة(٢١٠هـ)، ثم لأبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة(٢٢٤هـ)ثم لابن الأعرابي، محمد بن زياد، المتوفى سنة (٢٣١هـ)، ثم لابن حبيب، أبي محمد، جعفر بن محمد،

المتوفى سنة (٢٤٥هـ)، ثم لثعلب، أبي العباس أحمد بن يحيى، المتوفى سنة(٢٩١هـ)، ثم لابن الأنباري، أبي بكر محمد بن القاسم، المتوفى سنة (٣٢٨هـ)، ثم للخالع الحسين بن محمد المتوفى سنة ٣٨٠ هـ، ثم للعسكري، أبي هلال الحسن بن عبد الله، المتوفى سنة (٣٩٥ هـ).

وكان ثمة نفر غير هؤلاء كانت لهم أيضًا جهود في الأمثال، منهم: الأصمعي، وأبي زيد، وأبي عمرو، وأبي فيد، وحمزة بن حسن، إلى كثير غيرهم بلغت مؤلفاتهم الخمسين، وظلت هذه الجهود الكثيرة مفرقة، تترقب من يتصدى لها جمعًا وتبويبًا، إلى أن أتيح لها "الميداني" أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، المتوفى سنة (٥١٨هـ) فجمع فيها كتابًا تربي أمثاله على ستة آلاف، وكان ذلك فيما يقول الميداني في مقدمته: بتكليف من ضياء الدولة صفي الملوك، أبي علي محمد بن أرسلان.

وهذا الجمع الواسع الذي كان منهج الميداني حمله على ألا يفرق بين الغث والثمين، ولكنه على كل حال، جاء كتابًا مجزءًا في بابه، لم يفت الميداني فيه الرجوع إلى جميع المؤلفات التي سبقته، وقد عقب على الأمثال بشروح كثيرة وقصص طويل، نقله عمن سبقوه في ذلك الميدان، من الذين ألفوا في الأمثال، أو من الذين كانت لهم تواليف في القصص والأمثال، من أمثال عبيد بن شريه، وعطاء بن مصعب، والشرقي بن القطامي.

وقد أفادنا الميداني في كتابه فائدة، فهو قد يكون المؤرخ الأول لظهور المثل المولد، فقد أعقب كل باب من أبواب الأمثال الصحيحة: بباب يجمع أمثال المولدين. والميداني كما يعلم من تاريخ وفاته كان يعاصر تلك الحقبة الزمنية التي كانت اللغة قد تخلفت فيها شيئًا، وظهرت اللغة المولدة، وبالتالي المثل المولد.

ومن بعد الميداني جاء "الزمخشري" أبو القاسم محمود بن عمر، المتوفى سنة (٥٣٨هـ)، فألف كتابه المستقصي في الأمثال، ولم يكن قد وقع له كتاب مجمع الأمثال للميداني قبل شروعه في مؤلفه هذا، ويقال: إنه بعد أن أطال النظر في كتاب الأمثال ندم على تأليفه كتابه المستقصي؛ لأنه جاء دون جهد سابقه.

هذا عن الظاهرة الأولى، ظاهرة شيوع المثل الفصيح لشيوع العربية الفصحى، وقد رأينا أن الأمثال كانت عربية فصيحة، حين كانت اللغة العربية لم يعتورها وهن، ثم لم يكن بد من أن تكون تلك الأمثال فصيحة؛ إذ هي كانت تحكي جاهلية: الناطق فيها عربي قحٌّ، ثم تحكي حقبة إسلامية، لم تتخلف فيها العربية، فكان من المستبعد أو من المستحيل أن تكون ثمة أمثال بغير العربية.

ولقد ترجم العرب لاشك عن الفارسية وعن غيرها من اليونانية، وهم لاشك أيضًا قد ترجموا بعض الحكم، التي هي تجري مجرى الأمثال من الآداب الفارسية، ومن الآداب اليونانية، وعصر الترجمة هذا، كما نعلم، يكاد يكون ساير عصور ازدهار اللغة وقوتها، من أجل ذلك كان التعبير المترجم لتلك الحكم المنقولة عن الفارسية واليونانية هو الآخر عربيًا فصيحًا، وكان من مجموع ما دون من أمثال العرب جاهلية وإسلامًا، ومن ذلك الذي ترجم عن الفارسية واليونانية ما يمثل تلك الظاهرة الأولى، وهي ظاهرة شيوع المثل الفصيح، لشيوع العربية الفصحى، وتمكنها على الألسنة.

أما عن **الظاهرة الثانية**: وهي تلك الظاهرة **التي يساير فيها المثل العربي مثل عامي**، فتلك ظاهرة تعليلها يسير، وقد يكون الأمر في ذلك مرده إلى أمور منها:

(١) تناول المثل العربي بشيء من التعبير العامي يختلف باختلاف المتحدث، وهذا المتحدث يختلف أيضًا باختلاف البيئات، وهذا النوع من التحريف الذي دخل على المثل العربي، ونتج عنه تلك الأمثلة التي تبدو عربية في مبناها، وفي الكثير من مظاهرها كتب لأمثاله البقاء إلى جانب تلك الأمثال العربية المناظرة، فإذا ما روي المثل العربي في بيئة من البيئات العربية، روي إلى جانبه ذلك المثل الذي دخله شيء من التحوير. والشيء الملاحظ أن هذا التحوير لم يتكرر، واكتفت تلك البيئات الشعبية بالتحوير الأول، وعدته من موروثها الذي لا تبديل فيه تمامًا، كما عد المثل العربي المناظر له، **وأصبح لذلك المثل العامي المحور قدسية ذلك المثل العربي الأصلي**. وكما يرد المخطئ في هذا كذلك يرد في ذاك، وعلى الرغم من أنه ليس ثمة كثرة كثيرة من تلك

الأمثال العربية المحورة، وأعني الأمثال ذات المظهر العامي والدلالة العربية، فما نشك في أن تلك الأمثال العربية كلها يسرت وسهلت، وتناولها العامة بألسنتهم، فحرفوا فيها وبدلوا، اللهم إلا ما كان منها سهلاً، فلم يجد العامة فيه مدخلاً يدخلون منه إليه تبديل أو تحوير.

ومن أمثلة تلك الطائفة:

١- يقول المثل العربي: **إن للحيطان آذانًا.**

ويقول المثل العامي المصري: **الحيطان لها ودان.**(١)

ويقول المثل العامي الموصلي: **الحائط لو آذان.**

٢- يقول المثل العربي: **أحب أهل الكلب إليه خانقه.**(٢)

ويقول المثل العامي المصري: **القط ما يحب إلا خناقه.**

ويقول المثل العامي الجزائري: **الكلب ما يحب إلا خانقه.**

٣- يقول المثل العربي: **الشعير يؤكل ويذم.**

ويقول المثل العامي: **عيش الشعير يتاكل وينـــزم**(٣).

والمثل في نجد: **الشعير المأكول المذموم.**

٤- يقول المثل العربي: **الشبعان يفت للجوعان فتًا بطيئًا.**

ويقول المثل العامي المصري: **الشبعان يفت للجيعان فت بطيء**(٤).

ويقول أهل الموصل: **الشبعان ما يعرف يدرد الجوعان.**

(ب) ثم إن بعض الأمثال تجيء في العامية بمثابة الشرح للمثل العربي، فإذا هـــذا المثل العامي هو هو في العربية، غير أنه في العامية يكاد يكون شرحًا لنظيره في العربيـــة، ومن أمثلة تلك الطائفة:

١- يقول المثل العربي: **إذا ضربت فأوجع، فإن الملامة واحدة.**

---

(١) كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، ص ١٤٨- الأنجلو ١٩٦٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧١.

(٣) كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، ص ٥٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٣٦.

ويقول المثل العامي في مصر: **إن طمعت اشبع، وإن ضربت اوجع**[١].

وهذا المثل في الجزائر: **إذا ضربت أوجع، وإذا أطعمت شبّع.**

وفي الموصل: **إذا أطعمت أشبع وإذا ضربت أوجع.**

٢- يقول المثل العربي: **شبر في ألية، خير من ذراع في رية.**

ويقول المثل العامي المصري: **قيراط في اللّية ولاقَدّان في الكروش**[٢].

والمثل العامي في نجد: **شبر من ذنب الخروف، ولا بوع من ذنب البقره.**

٣- يقول المثل العربي: **شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه.**

ويقول المثل العامي المصري: **الشهر اللي ما هو لك ما تعد ايّامه**[٣].

ويقول المثل العامي الشامي: **الشهر اللي ما بيجيك منه ماهيه ما تعد أيامه.**

ويقول المثل العامي السوداني: **شهر مالك فيه نفقه ما تعد أيامه.**

ويقول المثل العامي في الجزائر والمغرب: **الشهر إلى ما يدخلك كراه ما تحسبه شيء.**

٤- يقول المثل العربي: **صاحت عصافير بطنه.**

ويقول المثل العامي: **عصافير بطنه زقزقت.**

٥- يقول المثل العربي: **إن الحديد بالحديد يفلح.**

ويقول المثل العامي: **زي الحديد يقطع بعضه.**[٤]

٦- يقول المثل العربي: **ابنك ابن بوحك.**

ويقول المثل العامي: **ابنك اللي من صلبك.**

(ج) ونحن لا ننسى أن الفكر الذي يملكه الرجل الفصيح، قد لا يبعد كثيرًا عن الفكر الذي يملكه الرجل العامي، وأن ذلك الحدث الذي أملى ذلك المثل العربي على

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٩

(٢) المصدر السابق، ص ٢٤١

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٩

(٤) كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، ص ٢٦٧

عربي فصيح من الممكن أن يوجد مثله فيملي مثلاً على لسان رجل عامي، **وإذا حقيقة المثلين واحدة، وإذا أداؤهما يكاد يكون واحدًا، لا يختلفان إلا في أن أولهما يؤدى بعبارة عربية فصيحة، وثانيهما مؤدىً بعبارة عامية شعبية**، وهذا أمر تقع أشباهه لنا في حياتنا عامة، فقد يجتمع اثنان على منظر واحد ويكون تأثرهما واحدًا، كما يكون تعبيرهما عن ذلك التأثر واحدًا أيضًا في مبناه لا يختلف إلا في الأداء، فما من شك أن من الأمثال العامية التي سايرت الأمثال العربية طائفة لم تنشأ عن تحريف وتبديل، وإنما نشأت عن اتحاد في الحديث والتفكير والتأثر.

ومن أمثلة هذا:

١- يقول المثل العربي: **إذا ذكرت الذئب، فأعد له العصا.**

ويقول المثل العامي المصري: **أذكر الديب، وهيّي له القضيب**[١]

ويقول المثل العامي الموصلي: تذكر الكلب، فحضر العصا.

ويقول المثل العامي في نجد : **إلى أطريت الكلب، فولم العصا.**

٢- يقول المثل العربي: **أبرد من عضرس** (عضرس: الماءُ الجامد).

ويقول المثل العامي المصري: **أبرد من ميّة طوبة**[١].

ويقول المثل العامي في العراق: **أبرد من هوا عنتر.**

ويقول المثل العامي الجزائري: **أبرد من الثلج.**

ويقول المثل العامي المغربي: **أبرد من سيكوك في الليالي** (وسيكوك هو طعام الكسكسي، حينما يضاف إليه المخيض - الحامض من اللبن -وهو من أطعمة فصل الصيف، لبرودته، ولا يؤكل في الشتاء).

٣- يقول المثل العربي: **تغذ بالجدي، قبل أن يتعشى بك.**

ويقول المثل العامي المصري: **اتغدى بالديب قبل ما يتعشى بك**[٢].

---

(١) كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية، ص ١٠٣

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٣.

ويقول المثل العامي الموصلي: **تغدى بينو، قبل ما يتعشى بيك.**(*)

٤- يقول المثل العربي: **الدينار القصير يسوى دراهم كثيرة.**

ويقول المثل العامي المصري: **القرش الأبيض ينفع في اليوم الأسود**(٣).

ويقول المثل العامي في الموصل: **اغفع القرش الأبيض لليوم الأسود.**

ويقول المثل العامي الشامي: **القرش الأبيض لليوم الأسود.**

ويقول المثل العامي في بغداد: **قرش الأبيض ينفع بيوم الأسود،**

وأيضًا المثل: **احفظ الفلس يحفظك الدينار.**

٥ - يقول المثل العربي: **السلف تلف.**

ويقول المثل العامي المصري: **السلف تلف والرد خسارة**(٤).

ويقول المثل العامي في نجد، وفي جزيرة العرب: **السلف تلف.**

ويقول المثل العامي في الجزائر وفي المغرب: **السلف يربي العداوة.**

٦- يقول المثل العربي: **بيتي أستر لعوراتي.**

ويقول المثل العامي المصري: **يا داري يا ستر عاري**(١).

ويقول المثل العامي في الموصل: بيتي يستر عيبي.

هذه طائفة من أمثال تلك الظاهرة الثانية وهي كما ترى تنحصر تحت أسباب ثلاثة، هي كما قلنا:

(ا) إما تحريف المثل العربي على ألوان من التحريف يختلف باختلاف المتحدث وباختلاف البيئة.

(ب) وإما مجيء المثل العامي شرحًا للمثل العربي وهذا أيضًا يختلف باختلاف الشارح وباختلاف البيئة.

(*) [وهذا يوافق المثل العامي المصري: اتغدى بيه قبل ما يتعشّى بيك. (المعد)]

(١) المصدر السابق ص ١٠٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٠

(٣) كتابنا: وحدة الأمثال العامية في البلاد العربية ص ٢٢٦

(٤) المصدر السابق ص ١٩٤

(ج) **وإما أمثلة مبتدعة في العامية كما ابتدعت في العربية أملتها الظروف والأحداث متفقة في الحالين.** والملاحظ أن الكثير من الأمثلة التي اتفقت عربية وعامية كثرتها من الضربين الأولين، أعني من الضرب الذي جاء محرفًا، ومن الضرب الذي جاء شارحًا وقلتها من الضرب الذي جاء ابتداعًا، وليس معنى هذا أن العوام لم يقولوا ابتداعًا كما قال الفصحاء، بل إن مرجع تلك القلة - فيما يبدو - إلى أن القلة في الأمثلة العامية المبتدعة لم تقف للأمثلة العربية التي من بابها، وكانت الغلبة للمثل العربي، من أجل ذلك لم يعش منها إلا القليل، على حين عاشت من الأمثلة المحرفة والشارحة كثرة كثيرة؛ لأنها هي في الواقع ترديد للمثل العربي على صورة غير عربية.

أما عن الظاهرة الثالثة، وهي تلك الأمثال العامية التي وردت على غير غرار لها في العربية، أعني تلك الأمثال التي جاءت مباعدة للأمثال العربية، وهذا التباعد:

١- إما تباعد في اللفظ مع اتفاق في المعنى.

٢- وإما تباعد لفظًا ومعنى.

وهذه الظاهرة بشقيها تكاد تتصل بالضرب الثالث من الظاهرة الثانية،أعني ذلك الضرب الذي جاء نتيجة اتفاق الفكرة، غير أن الأمر هناك مقصور على تلك الأمثال العامية التي جاءت موائمة للأمثال العربية في مساقها، والفرق بين الأمرين هنا وهناك أنها هناك سايرت المثل العربي، أو قاربت أن تسايره، حتى أنك لتكاد تحس أن المثل العامي صورة من المثل العربي، تكاد تحمل على التحريف أو الشرح، أعني الضربين الأول والثاني من تلك الظاهرة الثانية، لولا أن ثمة ملامح من الفكر المستقل، تشير إلى أن المثل العامي وإن بدا قريبًا من المثل العربي- إلا أنه يحمل طابع الإبداع في الفكرة.

والأمر هنا في تلك الظاهرة الثالثة، وإن كان متصلاً بما سبق لسبب ما، غير أنه قوي الانفصال، فالمثل العامي هنا بضربيه في هذه الظاهرة مستقل تمامًا، يشعرنا بأنه جاء إبداعًا لا إتباعا، وهذا ما يؤكد ما قلنا من قبل أن الفكر الموحي بالمثل ليس مقصورًا على الرجل الفصيح وحده، بل يشاركه الرجل العامي، وأنه ما دامت هناك عامية فثمة

أمثال عامية، منها تلك التي جاءت تحريفًا أو شرحًا للأمثلة العربية، ومنها التي جاءت إبداعًا، وقد قلنا إن هذه التي جاءت إبداعًا في العامية لاسيما حين تنتعش العربية وتنقشع العامية، فالمثل العامي لا يقف للمثل العربي إلا في ظروف محددة وبيئات بعينها، تكون العربية قد أصيبت هنا وهناك بالوهن، وهذا ما كان من تلك الأمثال العامية التي ضربنا بها المثل عند الحديث عن الضرب الثالث من الظاهرة الثانية.

ولكن تلك الأمثال العامية التي تجيء ابتداعًا أيضًا، ولا تساير المثل العربي، ولا تكون صورة منه لفظًا، أو تلك التي تغاير المثل العربي معنى ولفظًا، وهما هذان الشقان من تلك الظاهرة، فهذه الأمثال العامية لا شك قويت على أن تصمد، تختلف درجة صمودها بانتعاش العربية وهمودها، ولكنها لا شك باقية بقاء ثابتًا غير بقاء أمثلة الضرب الثالث من الظاهرة الثانية، إذ هي فيها إبداع وفيها فكرة مستقلة إلى جانب ذلك الإبداع، ولكنها على ذلك تختلف، فما كان منها متفقًا مع المثل العربي في معناه دون لفظه كان موضع موازنة، فإن كان أداؤه أيسر وأسلس وألصق بالنفوس كان أقوى على مغالبة ومقارعة المثل العربي يؤخذ بهذا حيناً ويؤخذ بذلك حينًا وقد يؤخذ بهما معًا.

أما تلك الأمثال العامية التي جاءت ولا وجود لها في العربية لفظًا ولا معنى فهي لاشك أخلد وأبقى من أمثلة الضرب الأول من الظاهرة.

وما من شك أن انكماش العربية في عصورها وانحصارها في بيئات محدودة ضيقة كان له أثران:

الأثر الأول: فقداننا ذلك الرجل الناطق بالفصحى الذي يعطينا المثل ويعطينا الحكمة، فلم نعد نظفر بنظراء هؤلاء السلف الذين تركوا لنا تلك الأمثلة العربية الفصيحة، يستملونها من الأحداث والوقائع.

الأثر الثاني: نهوض رجال من الشعب لغتهم العامية مقام هؤلاء الرجال الذين فقدناهم، يستلهمون الأحداث والوقائع، يعطوننا أمثلة تعوضنا عن تلك الأمثلة العربية

وتكاد تكون في قوتها فكرة وإيجازًا ورمزًا وإشارة ودلالة على حوادث مفصلة تنطوي تحت أجنحتها.

وأمثلة هذه الظاهرة بشقيها من القوة بمكان؛ لأنها ليست اتباعًا بل هي إبداعًا تحوي الفكرة الأصيلة، وتحوي الاستقراء العميق، وتدل على مكانة مبدعيها.

وإليك أمثلة من **الشق الأول**، أعني من **تلك التي اتفقت معنى ولم تتفق لفظًا**، وستحس معي فيها جوانب القوة والعمق اللذين ضمنا لهما البقاء على الرغم من أنه ليس ثمة تدوين يحفظ لها بقاءها، **وهي على الرغم من فقدانها ذلك التدوين فهي تعيش على الألسنة، يتناقلها جيل بعد جيل**، ولكنها لاشك بعد أن يكتب للفصحى أن تسود سيكتب لها ما كتب للأمثلة العربية من تحول على ألسنة العوام، **وما نستبعد أن تصبح تلك الأمثلة العامية أمثلة فصحى بعد أن تتناولها ألسنة الفصحاء بالصقل والإعراب.**

وما سيحدث لهذا الضرب الأول سيحدث للضرب الثاني أيضًا من تلك الظاهرة، أعني تلك الأمثلة العامية التي لا وجود لها في العربية لفظًا ومعنى. وها هي ذي أمثلة ذلك الشق الأول:

المثل العامي	**المثل العربي**
- الغني غَنُّوا له والفقير إيه يعملوا له	- إن الحبيب إلى الإخوان ذو المال
- ابعد عن الشر وغني له	- إذا ترابك الشر فاقعد به
- القوالب نامت والانْصَاصْ قَامتْ	- إن البغاث بأرضنا يستنسر
- قالوا يا حما ما كنتيش كنّه قالت كنت ونْسيتْ	- إن الحماة أولعت بالكنة
- إذا وقع القدر عمى البصر	- إذا جاء الحين حارت العين
- مَحَدّش يقطع مناخيره من وشُّه	- أنفك منك وإن كان أذن
- أنا واخُويا على ابن عَمّي وانا وابن عمي على	- آكل لحمي ولا أدعه لآكل الغريب
- قابلوهم بالصوت ليغلبُوكُم	- ابدأهم بالصراخ يفروا

- لاجل الورد ينسقى العُلّيق	- بعلة الزرع يسقي القرع
- مال الكُنــزى للنــزهى	- بشر مال الشحيح بحادث أو وارث
- ضَرَب وبكى وسَبَّق واشتكى	- تلدغ العقرب وتصيء
- اللي في الدِّسْت تطلّعه المغرفه	- تخرج المقدحة ما في قعر البرمة
- إن كان لك صاحب لا تعامله	- تعاشروا كالإخوان وتعـاملوا ولاَ تناسبُه كالأجانب
- خد من دقن القرد شعره	- دمعة من عوراء غنيمة
- أبو جعران في بيتُه سلطان	- الذيخ في خلوته مثل الأسد
- اللي أوله شرط آخره نور	- الشرط أملك عليك أم لك
- صام صام وفطر على بصله	- صام حولاً ثم شرب بولاً
- لسانك حصانك إن صنته صان	- عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان
- الإيدْ البطالة نجسة	- غبار العمل خير من زعفران العطلة

وبعد أمثلة هذا الشق الأول نسوق **إليك جملة من أمثلة الــشق الثـاني الـتي انفردت بها العامية لفظًا ومعنى، ولم نجد لها مع طول الاستقصاء نظائر في العربيـــة، فيما نعلم:**

أمثلة عامية:

- ابن اسم الله أخده الله، وابن الكُبَّه طلع القُبَّة.

- اجا للعميان ولد، قلعوا عينه من التحسيس.

- اصرف ما في الجيب، يأتيك ما في الغيب.

- الطحان ياخد حِفَان بحفان، وربنا ياخد حصان بحصان.

- تجري يا ابن آدم جري الوحوش، وغير رزقك ما تحوش.

- يرزق الهاجع والنّاجع، واللي نايم على سناخ ودنه.

- ابن آدم يتربط من لسانه، والبهيم من وِدَانه.
- اقطع ودن الكلب ودلّيها، واللي فيه خصله ما يخليها.
- اللي يعمل ضهره قنطرة، يستحمل الدُّوس.
- حيلة العاجز دموعه.
- زي الإبره تكسي الناس وهي عريانه.
- زي القراد ما يركب إلا الجته الضعيفه.
- الضحك ع الشفاتير، والقلب يسبغ مناديل.
- العاقل من غمزه والجاهل من رَفْصه.
- عيِّبت القدره ع المغرفه، قالت لها ياسوده ومحرَّفه.
- الفشر والنشر، والعشا خبيزه.
- في الوش مرايه، وفي القفا سلاّيه.
- كُبُر البصل وادور، ونسى حاله الأول.
- كتر من الفضايح اللا انا رايح.
- كل راس مطاطية، تحتها ألف بليّه.
- الكلب ما يعضش في ودن أخوه.
- كلوا الهديه، وكسروا الزِّبْدِّيه.
- لولاك يالساني ما انسكّيت ياقفايه.
- لوبص الجمل لصنمه لقطمه.
- ما تِقِر بخيري الا لما تشوف غيري.
- واحد شايل دقنه، والتاني تعبان ليه.
- جُرْح السلاح يبرا، وجرح اللسان ما يبرا.

هذه كلمة موجزة عن **الصلة بين الأمثلة العربية والأمثلة العامية**، وما نعلم أن المثل العامي انطلقت الألسنة بالتعبير به إلا حين فقدت التعبير عنه بالفصحى، وكمـــا

وجد المثل العامي على أنقاض المثل العربي، فسوف يعود الأمر إلى المثل العربي، ليعيش على أنقاض المثل العامي، وهذا رهن بانتعاش الفصحى وسيادتها، فما أحرص كل متكلم بالفصحى على أن يجري لسانه بالفصيح، وعهدنا بالناس حين تفصح ألسنتهم أن يتجنبوا أن ترد على ألسنتهم أمثلة عامية، وذلك أملنا في أن تتطور تلك الأمثلة العامية إلى أخرى فصيحة، وأن نجد بيننا من الفصحاء من يصلوا إبداع الأمثال فلا ينقطع هذا الخلق حتى يستمر حبل الأمثال موصولاً، ولا تنفرد العامية به دون العربية.

* * *

أمثال عاميّة..

بين القرنين: التاسع والرابع عشر الهجريين(*)

للأستاذ محمد قنديل البقلي

الإنسان ما عاش صاحب تجربة يمليها مرة عملاً، ويمليها مرة كلمة، ولن يبلغ هذا العمل، كما لن تبلغ تلك الكلمة حكمًا لا يتزعزع ولا يجرح، وإلا فقد هذا الحكم أثره. وهذا الحكم لا يبلغ أن يكون حكمًا إلا بعد أن تسبقه قضايا تحمل المقدمات نفسها، والملابسات نفسها، والنتائج نفسها، لا يختل من ذلك شيء وإلا اختلّ الحكم. واتحاد كل من المقدمات والملابسات والنتائج لا يعني أن يكون على صورة واحدة، أو على مرتبة واحدة، بل قد تختلف صورها كما قد تختلف مراتبها. من أجل هذا كان الاستقصاء الذي يبلغ بالمستقصي إلى الحكم يعوزه جهد كثير وتحرٍّ شامل، كما يعوزه رأي ثاقب وبصيرة نافذة وخبرة واسعة، ثم بعد هذا كله محتاج إلى الصائغ الحكيم الذي يجمع الكثير في قليل، ويختار من الكلمات أدلها ومن الألفاظ أنفذها ومن العبارات أجزلها ليجعل من حكمه آية مبنى ومعنى.

وبعيد أن يكتب لحكم البقاء ما لم تتوفر فيه الخبرة والوعي والصدق وحسن الأداء، لكي يجري على الألسنة ويعيه الناس جيلاً بعد جيل، يقضون به في أمورهم المشاكلة، وكأنهم في ذلك قضاة، ولكن دون أن يعنوا أنفسهم بدراسة، ودون أن يعنوا أنفسهم بوعي، ودون أن يعنوا أنفسهم بصدق الحس، ودون أن يعنوا أنفسهم بحسن الأداء، بل حسبهم أن يقيسوا حاضرًا بغائب، وما أيسر ما يكون هذا القياس عليهم، ثم بعدها يحكمون بهذه الأحكام التي حفظوها، وحفظ المرء لهذه الأحكام لن يكون إلا عن إيمان بها وبمدلولها ومضمونها، وهذا الإيمان بهذه الأحكام لن يتم للمرء، إلا إذا حذر ما تحذره الأحكام، ورغب فيما ترغب فيه هذه الأحكام على لسانه أنفذ وأقوى؛ لأنه

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء التاسع والعشرين، ص ١٩٩.

سوف يضفي عليها من وحيه وعقيدته، فيزيد الناس استمساكًا بما يستمسك به هو وبعدًا عما يبتعد عنه.

وهذه الأحكام كما لم تبلغ مبلغها عبثًا كذلك لم تؤثر عبثًا، فهي تجربة الماضين للاحقين وأدب من سبقوا يؤدبون به من خلفوا.

ومن المعروف أن الأمثال التي يتداولها الشعب هي حكم نتيجة لتجارب هذا الشعب، وتسجيل قولي لبعض ما مر من أحداث، استخلص منها مآثر ومواعظ، وأبي أن يملها أو ينساها، فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية، جيلاً بعد جيل وعصرًا بعد عصر، مما جعل الأمثال تأخذ طابعًا خاصًا من ألوان فن القول، وأصبحت الأمثال مرآة للشعوب، نستخلص منها اتجاه الشعب وخصائصه الاجتماعية، مما لا نجده مسجلاً في أي لون من ألوان الأدب أو المعرفة. فالمؤرخون لا يذكرون دقائق الحياة الاجتماعية على نحو ما تصوره الأمثال. والشعر لا يصف إلا نواحي خاصة من نواحي الحياة الاجتماعية، هي التي يراها الشاعر بنظره هو، دون أن يراها المجتمع نفسه. ولكن الأمثال هي التي أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل والمتعلم والفقير والغني. هي التي تجري على ألسنة طبقات المجتمع، فهي المعبر إذن عن اتجاهات ونواحي هذا المجتمع دون غيرها.

فمصر عرفت منذ أقدم عصورها بفن القول، ولها طابعها الخاص في النواحي الأدبية التي تمتاز بها عن غيرها من البلدان، ولها حياتها الاجتماعية الخاصة التي هي نتيجة لتلك البيئة المصرية، وكثرت فيها الأمثال التي عبر عنها المصريون عن تجاربهم الطويلة العديدة، وعن نواحي حياتهم المتأثرة بما كان في المجتمع المصري من سخط ورضى، وجد وهزل، نطق المصريون بهذه الأمثال وتداولوها منذ أقدم عصورهم، ولو قُدّر للمصريين أن يحفظوا أمثالهم القديمة في عصورهم المختلفة، ودوّنوا هذه الأمثال، لاستطعنا أن نرجع عددًا كبيرًا من الأمثال، التي ننطقها اليوم إلى عصورها التاريخية.

فمما لا شك فيه أن كثيرًا من الأمثال المصرية الحالية، عرفها المصريون منذ قرون عديدة وخاصة هذه الأمثال التي تتحدث عن تقلبات الجو، أو التي تتحدث في الشئون الزراعية، فمثل هذه الأمثال قديمة، ولكن لا ندري على وجه التحديد متى ظهرت لأول مرة بين الشعب المصري، وكذلك نقول عن كثير من الأمثال التي تمس حياتنا الاجتماعية، فمن حسن الحظ أننا نجد في كتاب مصري، ينسب إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وهو كتاب: "**المستطرف في كل فن مستظرف**" للإبشيهي بابًا خاصًا بالأمثال المصرية، جمع فيه مؤلف الكتاب عدة أمثال تبلغ نحوًا من ثلاثمائة وخمسين مثلاً، إذا قرأناها سنجد أنها تتفق في كثير من ألفاظها مع ما ينطق به رجل الشارع اليوم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذه الأمثال كانت موجودة قبل القرن التاسع للهجرة، وأنها بقيت على حالتها يرويها الشعب جيلاً بعد جيل، ويأخذها الصغير عن الكبير، بدون تغيير يذكر، لا لشيء إلا لأنها ما زالت الحياة المصرية، بالرغم مما أصاب حياتنا من تغيير وتطور، وهذا يدل من ناحية أُخرى على أن مصر تتمتع بميزة المحافظة وبحب الجديد في الوقت نفسه.

ومن يدرس الأدب المصري في عصوره المختلفة، تتضح له هذه الحقيقة ماثلة، وتظهر ظهورًا لافتًا في مختلف حياتنا. فمصر كما لاحظها مؤرخو الأدب المصري تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها، فهي محافظة على هذا النحو، ولكنها من ناحية أُخري تحب أن تعرف كل شيءٍ جديد، على أن تخضع هذا الجديد لمزاجها وتقاليدها.

وهكذا استطاعت مصر أن تحافظ على أمثالها بنفس الصيغ التي وردت عند المصريين في القرن التاسع الهجري، كما أضافت إلي هذا التراث القديم أمثالاً جديدة، هي نتيجة لما طرأ على مصر من تطورات جديدة.

فإذا نظرنا إلى هذه الأمثال التي دونت في القرن التاسع، نستطيع في سهولة ويسر أن نقسمها إلى عدة أقسام، نستطيع أن نلمس في بعضها أنها لا تزال مستعملة إلي اليوم. وهذا القسم من الأمثال هو أكثر ما جاءَ في هذا الباب من الكتاب فمثل قوله:

- إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله.
- المستعجل والبطي عند المعدية يلتقي.
- إذا غاب عنه أصله كانت دلايله فعله.
- إيش أنت في الحاره يا منخل بلا طاره.
- والله العدو ما يبقى حبيب حتى يصير الحمار طبيب.
- تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها.
- جارك مرآك إن لم ينظر وجهك نظر قفاك.
- جوِّزوها له مالها إلا له.
- جوِّزوا مشكاح لريمه ما على الاتنين قيمه.
- حاجه ماهمك وصي عليها زوج أمك.
- حب وداري واكره وداري.
- زي ما هي ومانه إلا قلوب ملانه.
- ركّبتك ورايه حطّيت يدك في الخُرج.
- رزق الكلاب على المجانين.
- راحت على جمل وجات على قُطّه مال دي الشّيلة إلادي الحطة
- سل مجرب ولا تِنسي الطبيب.
- شيء مايجي على القلب عنايته صعب.
- شري العبد ولا تربيّته.
- صباح الخير يا جاري إنت في دارك وأنا في داري.
- ضرب الحبيب كأَكل الزبيب.
- طبق وجارية على صحن بساريه.
- طعامك ما جاني ودخانك أعماني.
- طار طيرك وأخد غيرك.

- **طوّل الغيبة وجه بالخيبة.**
- **كُلْ وبَخْلقْ عنيك عزومة الحَسَبتْ عليك.**
- **قالوا للجمل: زمّر قال: لا شفف ملمومة ولا أيادي مفرودة.**
- **قالوا للدّبة طرّزي قالت خفّية أيادي.**
- **كُشكال داير ولا علامة مقطوعة.**
- **لولاك يا كُمّي ما أكلت يا فُمّي.**
- **لولاك يالساني ما انسكّيت يا قفايه.**
- **لو كان فيها خير ما رماها الطير.**
- **ما شلتك يا دمعتي إلا لشّدتِي.**
- **من عاشر الحداد احترق بناره.**
- **نوايه تِسنْد جرّه قال والزّير الكبير.**
- **لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من ييجي.**
- **الكلام لك يا جاره إنت حماره.**
- **إش تعمل الماشطة في الوِش المِشَوّم.**
- **أرملة عدس ومزوجة عدس.**
- **جارية وَزِبْدِيَّة على باذنجانة مقلِيَّة.**
- **خطبوها تُعززِت.**
- **زمّر بالزمّيرة تبان لك العاقْلة من المجنونة.**

إلى غير ذلك من هذه الأمثال العديدة التي ما نزال نرددها إلى اليوم، بنفس الألفاظ التي كان يتحدث بها المصريون منذ خمسمائة عام. ولا شك أن هذه الأمثال كانت أقدم من هذا القرن الذي دوِّنت فيه، ومن يدري لعلها ترجع إلى ذلك العصر الذي بدأ فيه ظهور الآداب الشعبية المصرية ظهورًا لافتًا، وهو العصر المملوكي الأول،

أي النصف الثاني من القرن السادس للهجرة، وما بعده، فإن فيما بقي لنـــا مـــن أدب شعبي لهذا العصر ألفاظ لا نـــزال ننطق بها إلى الآن، وتعبيرات هي نفس التعبيرات التي نستعملها في بعض القرى المصرية وبعض الأحياء الشعبية، فلعل هذه الأمثال ظهـــرت بهذا الصورة في تلك العصور، ولكننا لا نستطيع أن نجـــزم بـــذلك. ولعـــل أســـاتذة الفيلولوجي وأساتذة الأدب المصري في العصور الوسطى يستطيعون أن يحـــدثونا عـــن ذلك كله.

وأذكر هنا بعضًا من المؤلفات جاءت بعد كتاب المستطرف للإبشيهي، أو التي في عصرنا، ونقلت إلينا الكثير من هذه الأمثال كما رواها الإبشيهي، ومنها:

١- الشيخ محمد شكري: **مجمع الأمثال العامية المصرية**، مخطوط بالتيمورية رقم ٥١٩ تيمور.

٢- محمود عمر الباجوري: **أمثال المتكلمين من عوام المصريين** - مصر ١٣١١هـ

٣- كرلو لندبرج الأسوجي: **الأمثال السائرة والأقوال الدائرة عند أولاد العرب** - لندن ١٨٨٣م.

٤- شرف الدين بن أسعد: جمع، **الأمثال المصرية العامية** - نشر هابور كهارت، لندن ١٨٣٠م.

James Richard Jewett: Arabic-o proverbes and proverbial phrases, New Haven 1890.

٦- أحمد تيمور: **الأمثال العامية المصرية**، القاهرة ١٩٤٩م

٧- شفيقة شبير: جمعت: **الأمثال الاجتماعية والفكاهية**.

٨- فائقة حسين راغب: **حدائق الأمثال العامية**، القاهرة ١٣٥٧ هـ.

٩- نعوم شقير: **أمثال العوام في مصر والسودان والشام**، مصر ١٨٩٤م.

١٠- Mrs. A.P Singir : جمعت: **أمثال العوام من مصر والسودان والشام** - نشرها إنو ليتمان، مصر ١٩١٣م.

١١- محمد قنديل البقلي: **وحدة الأَمثال العامية في البلاد العربية**، القاهرة ١٩٦٨م.

وأما القسم الثاني من هذه الأمثال التي دونت في القرن التاسع، فهي أمثال لا نسمعها اليوم في مصر لا لشيءٍ إلا لأن التطور الذي تطورته مصر في مدى هذه القرون أبعدت الحياة المصرية بعض الشيء عما كانت عليه، فأصبحت هذه الأمثال لا تنطبق على حياتنا الحديثة مثال ذلك:

- بدوي مقروح لقي التمر أينْ يِخْلي ويروح.

فهذا المثل حل محله، قولهم: **"رزقه في رجليه"** واختفى المثل القديم، ومن يدري فلعله لا يزال عند بعض الريفيين.

مثل آخر قولهم:

- ذكروا مصر والقاهرة، قامت باب اللوق بحشايشها.

هذا مثل كان يضرب عندما كانت منطقة باب اللوق المعروفة بالقاهرة مملوءة بالحشائش، وكان يخشى الناس من ارتياد هذه المنطقة، فلا شك أن من ينظر الآن إلى باب اللوق، وهي من أعمر أماكن القاهرة، لا يستطيع أن يضرب بها المثل بما كان فيها من خراب وحشائش. ثم قوله: ذكروا مصر والقاهرة، والمقصود بكلمة مصر في العصور الوسطى "الفسطاط" وكانت الفسطاط من أجمل مدن القطر المصري، وكانت تنافس القاهرة في الذكر، لدرجة أن المؤَرخين عندما كانوا يؤلفون كتبهم التاريخية يذكرون مصر والقاهرة معًا، فمثلاً كتاب "لأبي المحاسن بن تغري بردي" بعنوان "النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة" والسيوطي له كتاب بعنوان "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة". وعلى هذا النحو ورد هذا المثل، وجعل مصر أي الفسطاط معطوفة على القاهرة، لما كان بين البلدين من التنافس والرقي في التحضر. أما الآن

فالفسطاط لا وجود لها، بل حل محلها مصر القديمة حتى نستطيع أن نتحدث عنها في الأمثال في جيلنا الحديث،ولذلك اختفى هذا المثل من أمثالنا الحديثة.

ومثال قوله أيضًا:

- رأوا سكران يقرأ قالوا: غِنْ تشاكل روحك.

فالمعروف في ذلك العصر، أي في القرن التاسع الهجري أن كلمة قراءَة كان المقصود بها قراءَة القرآن الكريم وتجويده، كما أن المعروف في كل البيئات أن السكير الذي يقرأ ويغن في قراءَته كأنه يتشاجر مع نفسه، فلا شك أن ظروف التعليم والقراءة في عصرنا هذا تختلف عما كانت عليه في العصور الوسطى، والقراءة الآن أصبحت ليست وقفًا على تلاوة القرآن الكريم، ومن ثم أصبح هذا المثل لا ينطبق على حالتنا الحاضرة، ولذلك اختفى.

ومثل آخر ورد في هذه المجموعة، هو قولهم:

- هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل.

فهذا المثل يدل على أن المجتمع المصري في هذه العصور الوسطى كان لا يزال يحتفظ إلى حد ما بالنسبة القبلية، وخاصة هذه الطبقة من المجتمع التي سماها المؤَرخون طبقة الأعراب، وكان في هذه الطبقة الأغنياءُ، والرفيع، والذليل، فهذا المثل يدلنا على أن بني وائل في مصر كانوا من الطبقات الذليلة حتى ضرب بذلتهم هذا المثل، ومن حسن الحظ أننا نعيش الآن في جو اجتماعي اشتراكي تعاوني لا نلمس فيه أثر العنجهية القبلية، ولا ينتسب أحد إلى طبقة دون أخرى، فالكل سواء، ولذلك لا نرى هذا المثل بين أمثالنا الحديثة، وكذلك قولهم في الأمثال القديمة:

- بقي للكلب سرج وغاشية وغلمان وحاشية.

ذلك عندما كان الأغنياءُ يركبون المطايا ذات السروج والغواشي، ولهم عبيد وحاشية، أما الآن فالأغنياءُ يركبون السيارات الكاديلاك، بدلاً من الخيل أو البغال، وليس لهم عبيد وإن كان لهم خدم؛ ولذلك لا ينطبق هذا المثل على عصرنا الحالي.

وقولهم:

- خلّت زوجها مكروب، وراحت تشوف المصلوب.

فهذا المثل لا ينطبق على عصرنا الحديث؛ لأن الصلب لا يكون في الميادين، كما كان الأمر في العصور الوسطى.

أما القسم الثالث من هذه الأمثال التي ذكرها الإبشيهي، فهي هذه الأمثال التي تتعلق ببعض النواحي الجنسية، التي لا نستطيع أن نذكر عنها شيئًا في هذا العرض. ومن الغريب أن هذا القسم من الأمثال يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذي نسمعه الآن، وعما يشبه، بالرغم من أن الألفاظ تكاد تكون واحدة، ولكن مدلول المثل مختلف جدًّا.

ونلاحظ في هذا القسم كثرة ما يقال عن النقاب الذي كانت تضعه المرأة المصرية على وجهها، وما كان يجر النقاب من ويلات،وما شنّع به على كل متنقبة مما يجعلنا نحمد الله الآن على أن تنبهنا إلى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ونبذ النقاب إلى غير رجعة،حتى لا ينطبق علينا الآن ما كان يقال عن المرأة صاحبة النقاب في العصور الوسطى.

وهكذا أمثالنا تدل علينا قديمًا وحديثًا، ولعلنا نعمل على دراسة أدبنا القومي دراسة صحيحة شاملة، ولعل الذين يهتمون بأمر الفولكلور المصري وما فيه من آداب شعبية يعملون على إيجاد هذه العلاقة بين حاضرنا وماضينا، عسانا ننتفع بالماضي للمستقبل، ثم لإحياءِ ما يفيد في نهضتنا الحالية.

* * *

الأمثال

العامية المصرية والهوساوية

دراسة إحصائية تحليلية تقابلية(*)

للدكتور مصطفي حجازي السيد حجازي(**)

الهدف من هذه الدراسة هو عقد مقارنة بين الأمثال العامية المصرية والأمثال الهوساوية، وقد بدأنها بإيضاح مدى صعوبة فهم الأمثال الهوساوية إذا لم يكن القارئ أو السامع على علم بخلفية المثل، ولم يكن من أبناء اللغة ولا يستطيع إدراك ما يحذف من لواصق وكلمات في المثل.

كما بدأت كل موضوع من موضوعات هذه الدراسة بالاستشهاد بالأمثال العامية المصرية، ويليها الأمثال الهوساوية، التي يستشهد بها في نفس الموضوع، وزيادة في الفائدة ذكرت المعنى الإجمالي للمثل الهوساوي في المتن. وفي نهاية البحث جعلت هامشاً لشرح مفردات كل مثل.

واعتمدت في الأمثال العامية المصرية على ماورد في كتاب "الأمثال العامية" لأحمد تيمور باشا، وعددها (٣١٨٨) مثلاً، وما جمعت من أمثال هوساوية من أفواه المتكلمين خلال إقامتي في مدينة "كانو" سنة (١٩٧٤م)، وبطون الكتب الأدبية وعددها (٣٥٧٦) مثلاً.

المثل العامي هو الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية، المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأى الشعبي، ولا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التراكيب(١).

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالعدد السادس والثمانين، ص ١١١.

(**) أستاذ لغة الهوسا، بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية.

(١) فنون الأدب الشعبي، ج ٢٢ ص ٦، رشدي صالح.

والمثل العامي على كل لسان في "لغة الهوسا"، فأغلب عناوين الكتب عبارة عن أمثال، ولا تخلو من كتاب أدبي، دون أن تحتوي على أكثر من مثل، لذلك فهي تمثل صعوبة لقارئ اللغة، إذا لم يكن على علم بها، ومازالت الأمثال في لغة الهوسا تحتاج إلى دراسة مستفيضة.

وأهم المجالات التي تدور حولها هذه الأمثال هي:

الإنسان: فقد ورد الأمير في ٥٣ مثلاً، واللص في ٤٥ مثلاً، والأعمى والعمياء في ٤٥ مثلاً، والعلم في ٢٣ مثلاً، والزوج في ٢٢ مثلاً، والعروس والعروسة في ٢١ مثلاً، والمجزوم في ٢١ مثلاً، والمجنون في ١٧ مثلاً، والضرة في ١٣ مثلاً، والطبال في تسعة أمثال.

المأكولات: ورد الثريد في ٤٨ مثلاً، واللحم في ٢٩ مثلاً، والفرا ـــ وهو طعام خليط من اللبن والدقيق وعسل النحل يطهى ويشرب في ١٦ مثلاً، وعسل النحل في ١٦ مثلاً، والدخن في ١٤ مثلاً، واللبن في ١٣ مثلاً، والحبوب في ١١ مثلاً، وثمار الكولا في ١١ مثلاً، والبصل في ٨ أمثال، والفول السوداني في ٧أمثال.

وورد المخزن في ١٨ مثلاً، والفأس في ١٥ مثلاً، والإناء في ١٣مثلاً، والحصيرة الأدوات المترلية والأبره والهون، والزير، كل منها في١١ مثلاً، والطبلة والحذاء، كل منهما في ٨ أمثال والبراد في ٧ أمثال.

الحيوانات الأليفة: ورد الكلب في ١٣٥ مثلاً، والحصان في ٦٥ مثلاً، والحمار في ٣٥ مثلاً، والعترة في ٣٤ مثلاً، والجمل في ١٩مثلاً، والبقرة في ١٩ مثلاً، والقط في ١٣ مثلاً، والثور في٥ أمثال، والفرسة في ٥ أمثال.

الطيور الأليفة: وردت الدجاجة في ٦١ مثلاً، والأرنب في ٢٧ مثلاً، والديك في ١٤مثلاً، والحمامة في ١٣ مثلاً، والبطة في ٥ أمثال.

الحيوانات غير الأليفة: ورد الذئب في ١١٤ مثلاً، والقرد في ٣٨ مثلاً، والفيل في ٢٦ مثلاً، الفأر في ٢٤مثلاً، والنمر في ٩أمثالٍ، والغزال في ٦ أمثالٍ، والقنفذ في ٥ أمثالٍ، والثعلب في ٣ أمثالٍ.

الزواحف: ورد الثعبان في ١٥ مثلاً، والضب في ١٠أمثالٍ، والسلحفاة في ١٣٥ مثلاً، والتمساح في مثلين.

وإذا قارنا بين بعض الأسماء التي في الأمثال المصرية والهوساوية نلاحظ عدة ملاحظات:

أولى هذه الملاحظات وجود أسماء وردت في اللغتين، وإن كان يختلف عدد مرات ورودها من لغة إلى أخرى، كما هو موضح في الجدول التالي:

الاســـم		عدد مرات وروده	
		الهوسا	العربية
أبو قردان	Balbela	١٩	٩
البقرة	Saniya	١٩	٧
التمساح	Kada	٢	٢
الثعبان	Maeiji	١٧	٥
الجمل	Rakumi	١٩	٢٧
الحمار	Jaki	٣٥	٤٥
الحصان	Doki	٦٨	٤
الذئب	Kura	١١٤	٥
الأسد	Zaki	١٢	٦

العنـــزة Akuya	٣٤	٧
الفأر Bera	١٩	٩
القطة Kyanwa	١٣	-
القرد Biri	٣٨	١٦

والملاحظة الثانية: هي ورود بعض الأسماء في الأمثال العاميـــة المـــصرية، دون الهوساوية، وقد يكون ذلك لعدم شيوعها في حياة الهوسا، مثل الخنزير، والبغل، والغول والجاموسة، والأوز، في حين نجد كثيراً من الأسماء تـــرد في الأمثـــال الهوســـاوية دون المصرية، وذلك لاختلاف البيئة، فنجد ألوان الأطعمة: الثريد tuwo تـــرد ٤٨ مـــرة، والبوظة Kunu ترد ٧ مرات، وKoKo - نوع من الطعام يـــرد ٤ مـــرات، وثمـــار الكولا goro يرد ١١ مرة،الفرا Fura يرد ١٦ مرة، وهي كلها أطعمة شائعة في بـــلاد الهوسا، أكثر من البلاد العربية.

وبعض الحيوانات والزواحف والطيور، مثل: الضب Damo ورد ١٠ مـــرات، والسلحفاة Kunkuru وردت ١٣ مرة، والفيل Giwa ورد ٢٦ مرة، والنمر Damisa ورد ٩ مرات، وkadangare وهو نوع من السحالي ورد ٦ مرات، والنـــسر Ungulu ورد ١٨ مرة.

وبعض الأشجار، مثل: شجر التبلدي Kuka ورد ٦ مرات، وبعـــض الغـــلال مثل.Dawa . Kade.Kunya ,Kadanya

ومن الأدوات المترلية: الهاون Turmi ورد ١١ مرة، وهذا أمر طبعي لاختلاف البيئة المصرية عن الهوساوية.

ومما يزيد صعوبة فهم بعض الأمثال الهوساوية، ما يحدث فيها من حذف يؤدي إلى غموض المعنى على السامع أو القارئ - كما سبق القول - إلى جانب عدم اتباعها لنظام تركيب الجملة، ويحدث هذا الحذف على المستوى الصرفي والدلالي:

المستوى الصرفي:

والمقصود هنا هو حذف السابقة الدالة على الزمن. وقد تم وضع نقط مكـــان الجزء المحذوف في الأمثال التي أستشهد بها على هذه الظاهرة.

حذف السابقة الدالة على الزمن التكراري، وهو يتكون من السابقة يليها كلمة Kan بمعنى عادة ثم اسم الحدث. كما هو موضح في الأمثلة التالية:

Masanin mashigi shi Ko da ..... Kan Kama(١)

العالم بالمدخل هو الذي يقود عادة، وأصل الفعل هو ya Kan Kama: يمسك عـــادة، فحذفت اللاصقة ya قبل كلمة Kan وأبقى على اسم الحدث وهو Kama.

Kiwon yarda Kadan ... Kan tashi.Allah .... Kan Kawo Ki Gida.(2)

الرعي الموفق أن تخرج فترة قصيرة.. ويعود الله بك إلى المنـــزل.

وأصل الفعل: Ka Kan tashi تخرج عادة، ya Kan Kawo يعود عادة.

Ashe rai .... Kan ga rai. Dankoli ya ga Furar gero (3)

قال بائع الخردوات عندما رأى الفرا: النفس ترى النفس، أى القلوب عند بعضها كما يقال في مصر. وأصل الفعل: ya an ga يرى عادة.

Takarkari .... Kan hara wa jaki ya saba da Kaya (4)

الثور يدرب عادة على الحمل، والحمار تعود عليه،

وأصل الفعل a kan hara: يعود عادة .

A bakin tsoho ne goro .... Kan tsofa(5)

في فم الشيخ تشيخ عادة ثمار الكولا، أى أنه يغيب في مضغها، وأصل الفعـــل ya kan tsofa: يشيخ عادة.

Kishiya mai ban haushi. ana ganinki .... Kan zagi miji (6)

الضرة المؤذية يراها الناس فيتركونها عادة ـــ خشية لسانها ـــ ويسبون زوجها، وأصـــل الفعل su kan zagi: يسبون عادة،

حذف السابقة الدالة على الزمن الحاضر فيقال:

Marayan zaki .... Fada da masu iyaye. (7)

الأسد اليتيم يتقاتل مع ذوي الآباء - كناية عن الشجاعة - وأصل الفعل yana facta:

يتقاتل، فحذفت اللاصقة yana وهي لاصقة الحاضر المسند إلى الغائب وأبقي على اسم الحدث وهو facta.

Arziki kahi .... Haihuwar da namiji.(8)

الرزق عظمة تلد مولوداً ذكراً.

وأصل الفعلihuwa yana ha :

يلد و r لربط اسم الحدث بالمفعول به وهوda: ابن، وقد حذفت السابقة yana وأبقي على اسم الحدث وهوhaihuwa: الولادة.

Ana ta sa taka , pa katsi (9)

يقال ضع رماداً كثيراً، ويقول ضع كاتسى - وهو مثل يضرب لما ينشب من خلاف بين اثنين.

وأصل الفعل yana sa: يضع، فحذفت السابقة yana، وأبقي على اسم الحدث sa: الوضع.

Ana wahala ..... neman aure ba kudi(10)

يتعب الناس عندما يطلبون الزواج بلا مال.

وأصل الفعل Suna nema:و n لربط اسم الحدث بالمفعول به وهو aure: الزواج.

حذف اللاصقة الدالة على الزمن الماضي، يقولون:

An yi mana kyautar ...... kama ban daki ka yi kuka. (11)

قُدمت لنا الهدية وعدت إلى الحمام وبكيت، أى أنه ندم بعد تقديم الهدية.

وأصل الفعل ya Kama : عاد، فحذفت السابقة ya الدالة على الماضي المسند إلى الغائب، وأبقى على اسم الحدث وهو Kama: العودة.

وكثير ما تحذف السابقة الدالة على المخاطب فيقال:

Bar ganya daura tufa. (12)

دع الورق والبس الثوب، وأصل الفعل ka bar: دع، و ka daura: البس، فحذفت اللاصقة ka الدالة على المخاطب وأبقى على اسم الحدث bar: المترك، و daura الارتداء.

وأحياناً يحذف المصدر وتبقى السابقة فيقال:

Ana ....ruwa ya ci makadi ,kana ... gangarsa ta jika. (13)

يقال: أغرق الماء الطبال، وتقول: طبلته ابتلت. أى أن الناس يهتمون بالطبال الذي أغرق الماء وهو يهتم بالطبلة التي ابتلت. وهو يضرب لمن يهتم بالتافه من الأمور ويترك عظائمها.

وأصل الفعل ana cewa يقال، ,ana cewa: تقول فحذف اسم الحدث في الفعلين وهو cewa وأبقى على السابقةana الدالة على بناء الحاضر للمبني للمجهول و kana الدالة على الحاضر المسند إلى المخاطب.

Ana ... ta kai ‘ wa yake ... ta kaya(14)

من يدافع عن النفس لا يهتم بالدفاع عن المتاع.

وأصل الفعل ana kula: يهم yake kvla: يهتم، فحذف اسم الحدث في الفعلين وهو kula:الاهتمام وأبقى على اللاصقتين الدالتين على الحاضر. وهما ama: في حالة البناء للمجهول و yake في حالة إسناد الفعل للغائب.

المستوى الدلالي:

والمقصود بالحذف الدلالي هو حذف بعض الكلمات التي لابد من وجودها ليتضح المعنى الكامل للمثل، وخاصة إذا لم يكن لدى السامع أو القارئ الخلفية الاجتماعية التي تساعده على فهم المقصود من المثل، وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح هذه الظاهرة، مع ذكر الخلفية التي توضح معنى كل مثل.

لغة الهوسا من اللغات البسيطة غير المعقدة، يستطيع الإنسان أن يتعلمها ويجيدها بسهولة، فهي ليست ألغازاً ولا طلاسم، وهم يعبرون عن ذلك في أمثالهم فيقولون:

Hausa ba daba ba ne. (15)

الهوسا ليست سحرًا.

وإذا أرادوا أن يصفوا إنساناً بأنه يجيد التحدث بلغة الهوسا، وصفوه بأنه يعرف الهوسا كحمار مدينة كانو. فهي لم تستعص حتى على الحمار.

يقولون في المثل:

Hausa kamar jakin kano. (16)

يعرف الهوسا كحمار كانو.

ويخرج المتسولون إلى الشوارع للتسول جماعات، ويحمل كل منهم جوالاً معلقاً في عنقه يجمع فيه ما يقدم إليه من طعام، ويمسك طبقاً في يده يجمع فيه ما يقدم إليه من مـــال، فإما أن تعطيه، وإما أن تقول له: "الله يهبك الصبر".

"Allah ya baka hakuri" وقولك هذه العبارة لا تملأ الجوال الذي يعلقه في عنقـــه، لذلك يقولون في المثل:

" Allah ya ba ka hakuri " ba ta cika jaka (17)

قولك للسائل: "الله يهبك الصبر" لا تملأ حقيبته بالمال.

والسحر من الأمور الشائعة في قارة أفريقيا بصفة عامة، ويبدو أن بعض السحرة يستعين بالخفاش في عمل السحر للنساء، ويحث المثل الرجـــال علـــى تـــرك الـــسحر والاستعانة بما لذ وطاب من الطعام والشراب لجذب قلوب النساء،يقولون في المثل:

ku bar kisan jemage magamin mace nadi. (18)

اتركوا قتل الخفاش – من أجل السحر – فعلاج النساء الملذات.

وقد تستعين الساحرة ببعض أعضاء من جثة المتوفى لمزاولة سحرها لذلك تشعر بالسعادة عند ما يوكل إليها حراسة جثة المتوفى فيقولون:

" Abu ya yi dadi " an bai wa mayya jiran gawa "(19)

قالت الساحرة عندما كُلّفت بحراسة الجثة:" صار الأمر جميلاً "

والساحر ظالم بطبعه؛ لأنه يضر الناس بسحره، لذلك عندما يراد وصف الرفيق الذي تولى السلطة فطغى على رفاقه. يقولون:

"Maye a eiki "na gida ya yi sarauta. (20)

عندما تولى رفيق البيت السلطة قالوا: "الظلم لن يفارقه" أي بداخله.

ولا شك أن السحر يحتاج إلى أدوات تشترى بالمال، لذلك على المسحور له أن يدفع المال للساحر حتى يقوم بسحره، فإذا توافر المال نال الإنسان ما يشاء من الساحر، حتى الكلب إذا كان لديه مالاً فالساحــر لا يؤخر عن سحره، وقد يكون هذا السحر عبارة عن تعاويذ يكتبها الساحر في إناء يصب فيه الماء ويشربه المسحور لــه؛ لــذلك يقول المثل:

"Kara da kudinsa sai ya sha lahaula. (21)

الكلب بماله يشرب السحر، والمقصود بــ "lahaula". هي عبارة لا حــول ولا قــوة إلابالله " ويبدو أنها تدخل في التعاويذ السحرية. وفي نفس المعنى يقول مثل آخر:

" kare da kudinsa sai ya sha rubuta "(22)

الكلب بماله يشرب الكتابة أي التعاويذ المذابة في الماء.

ولا ينبغي في عرفهم الاجتماعي أن تمتدح الزوجة الأخ الأصغر للــزوج أو أن تصفه بأنه أجمل من زوجها، وفي ذلك يقول المثل:

" Ba haka aka so ba' kanen miji ya fi miji kyau "(23)

لا ينبغي أن يكون الأخ الأصغر للزوج أجمل من الزوج في نظر الزوجة.

وإذا أرادوا ضرب المثل للأمر الذي لا يناله الإنسان إلا إذا ذهب إلى بيت المال نهاراً في شدة الحر في هذه البلاد الحارة يقولون:

" kudi na gwamna masu gida rana "(24)

مال الحكومة في بيت لا يذهب إليه الطالب إلا في الشمس الحارقة، أي أنه لا ينال بسهولة.

والمال الذي يناله الهوساوي من الأوربي لابد أن يصرف ولا يكتنز. وفي ذلك يقولون:

Ba su scn a samu a kullc. (25)

لم يكن المال ليكتنز.

وإذا عز المال وكثر الغلاء وتعذر على الإنسان شراء السلعة، وأرادوا أن يصوروا حالة الكساد التجاري قالوا: تعذر على التاجر الغني، ويبدو أن أغنى هؤلاء التجار رجل يسمى "كنديلا" لذلك أخذوا يضربون به المثل فيقولون:

Ta gagari kandila. (26)

تعذر على كنديلا

ومن عمال الحكومة في المحاكم ساع يحصل رسوماً بخمسة عشر قرشاً- مثلاً من المتخاصمين لدى القاضي، لذلك سمي هذا الساعى بابن الخمسة عشر dan sha biyar. وهذا الساعي مهما كان متعجلاً فلابد أن ينتظر حتى يأمره القاضي، وفي ذلك يقول المثل:

kome gagggawra dan sha biyar , ya bari dai sai alkali ya aike shi (27)

مهما كان تعجل الساعي فلابد أن ينتظر حتى يرسله القاضي.

ويحكى أن امرأة تسمى: تيتى Titi " اشتعلت النار في بيتها وأصابتها بأضرار بالغة، فأخذ الناس يجمعون لها المال من كل مكان حتى فاق ما جُمع لها ما أكلته النيران، وفي مثل هذا الأمر صار يضرب بها المثل فيقولون:

حريق تيتى Gobarar Titi (28)

وإذا كان ما أصاب تيتى سبب في ثرائها فإن ما كان يملكه Baidu صار سبباً في

فقره، فيحكى أنه كان يمسك فأراً في يده، وأراد أن يصيد فأراً آخر، فرمى الفأر الطليق الذي يريد صيده بالفأر الذي يملكه في يده فصار يضرب بغبائه المثل فيقولون:

كرمى فأر بيدو Jifar gafiyar Baidu (29)

ويروون أن الصبر على الفقر والفاقة نوع من الثراء وفي ذلك يقول المثل:

الصابر ثري Mahukurci mawadaei (30)

ومن بلغ القمة في مال أو جاه أو قوة لا ينبغي أن يطغى أو يتجبر على غيره، ويعبرون عن ذلك بقولهم:

من بلغ القمة لا يقاتل أو يعادي غيره. Wanda ya isa ba ya fada (31)

ومن أضمر النية الطيبة تعود عليه بالخير، وفي هذا يقولون: التمني الحسن يعود على صاحبه.

fata nagari lamiri (32)

ومن عادقم أن يجتمعوا في المساء يأكلون مع بعضهم من إناء واحد وإذا كان لابد للآكل أن ينتظر حتى يبرد الطعام ليستطيع تناوله، إلا أن الشخص الشَّره لا ينتظر حتى يجف اللحم،ويعبرون عن ذلك بقولهم:

الشره لا ينتظر حتى يجف اللحم Makanwaei ba ya kafe (33)

وإظهارًا للعطف أو الشفقة يقولون:"Allah sarki" بمعنى الله أكبر، وإذا كان الإنسان يحزن لرؤية المتوفى فيقولون: " الله أكبر " إلا أن رؤية الذئب لا تستحق هذه التكبيرة؛ لأنه حيوان مفترس وفي هذا يقول المثل:

Mushen kura ya wuee Allah sarki. (34)

جثة الذئب تجاوزت نظرة العطف، أي لا يستحقها.

وهكذا نجد أن حذف بعض السوابق الدالة على زمن الفعل أو بعض الكلمات أو عدم معرفة الخلفية الاجتماعية للمثل تجعله غامضًا على السامع أو القارئ.

وإذا كانت الأمثال العامية ظاهرة عامة تشترك فيها جميع الشعوب، فإنها تتفق مع بعضها في نواحٍ وتختلف في نواحٍ أخرى، فإذا اتخذنا الأمثال العامية المصرية والهوساوية كنموذج لدراسة الاتفاق والاختلاف، نلاحظ أن من أوجه الاتفاق:

١- الإيجاز:

الإيجاز سمة عامة في الأمثال الشعبية، وأبسط مثل في العامية المصرية يتكون من:

أ - **جار ومجرور**، نحو قولهم: **"في المشمش"**

ب- **مضاف ومضاف إليه**، نحو قولهم: **"نفخة إصطبل"**

جـ- **مبتدأ وخبر**، نحو قولهم:

- **الوحدة عبادة.**
- **الناس مقامات**
- **الكبر عبر**
- **الفأر محنة**
- **القلب يحن**

د- **معطوف ومعطوف عليه**، نحو قولهم: **أكلة والوداع.**

وقولهم: **يجرح ويداوي.**

وعلى نفس هذه الدرجة من الإيجاز نجد الأمثال الهوساوية، فهي تتكون من:

أ- **اسم + اسم**، أي: **مضاف ومضاف إليه**، يقولون:

حريق تيتي. Gobarar Titi: (35)

الجسم ينم عما فيه. Jiki magayi: (36)

ب- **اسم + اسم + اسم**، أي: **مبتدأ وخبره جملة اسمية**، يقولون:

الكلب كثمار الكولا للذئب

kare goron kira: (37)

العناء في عرض الهاون للبيع

Jihadi tallan turmi: (38)
Daya matar yaro: (39)

زوجة الخادم واحدة، أي لا يستطيع أن يتزوج أكثر من واحدة.

الليل مهجع العبد Dare mahautar bawa: (40)

جـ - اسم + اسم + فعل، أي: مبتدأ وخبر جملة فعلية. يقولون:

عبث يطارد عبثاً. Banza ta kori wofi: (41)

الحيلة فاقت القوة. Dabara ta fi farfi: (42)

المشتول أفضل من المزروع Dasasshe ya fi shukakke: (43)

الرؤية خير من السماع. Gani ya kori wofi: (44)

٢- البتر:

ومن أوجه الاتفاق بين الأمثال في اللغتين: البتر، والمقصود بالبتر هو: **ذكر المثل كاملاً مرة، ومبتورًا مرة أخرى.** وقد يكون البتر في الجزء الأول من المثل، وقد يكون في الجزء الثاني.

ومن أمثلة البتر في الجزء الأول في الأمثال العامية المصرية، قولهم:

"كداب اللى يقول الدهر دام لى، هي دامت لمين يا هبيل"

ويروى مبتورًا فيقال: "... [(١)] **هي دامت لمين يا هبيل"**

ويقولون:**"إن خس المليح يساوي الناس، وإن دبلت الوردة روايحها فيها"**

ويروى مبتورًا، فيقال:"... **إن دبل الورد ريحته فيه"** مع الاختلاف في التذكير والتأنيث.

ويقولون: **"ما كل من لف العمامة يزينها، ولا كل من ركب الحصان خيال"**

---

(١) النقط تحدد الجزء المحذوف.

وقد يكون البتر في الجزء الثاني، فيقولون:"**ابنك على ما تربيه، وحمارك على ما تعوده**"

ويروى مبتورًا فيقال:"**ابنك على ما تربيه...**"

ويقولون:"**ديل الكلب عمره ما ينعدل ولو علقت فيه قالب**"

ويروى مبتورًا فيقال:"**ديل الكلب عمره ما ينعدل ...**"

ويقولون:"**عريان التينه وفي حزامه سكينه ويقول طريق الخمارة فين؟**"

ويقولون: " **عشمتنى بالحلق تقبت أنا وداني، لا الحلق جانى ولا كلام الناس كفاني**"

ويروى مبتورًا فيقال:" **عشمتنى بالحلق تقبت أنا ودانى ...**"

ويقولون: " **كلام الليل مدهون بزبده، يطلع عليه النهار يسيح** "

ويروى مبتورًا فيقال:" **كلام الليل مدهون بزبده ...**"

ويقولون:" **من قدم شيء بيداه التقاه هنيالك يا فاعل الخير**"

ويروى مبتورًا فيقال:" **من قدم شيء بيداه التقاه ...**"

الظاهرة نفسها نجدها في الأمثال الهوساوية، إلا أنها محدودة، وخاصة في الجزء الأول، كما أنه قد يحذف حذفاً بسيطاً في بعض الأمثال، ومن أمثلة البتر في الجزء الأول قولهم:

Gaba ta kai ni ‘ gaharar Titi: (45)

حريق تيتى دفعنى إلى الأمام، أي جعلنى أكثر غنى.

ويروى مبتورًا فيقال:

… Gobarar Titi: (46)

حريق تيتى.

ومن أمثلة البتر في الجزء الأخير قولهم:

“Akuya adaure in ta sami saki babu zama “(47)

العنزة المربوطة إذا وجدت الفرصة للانطلاق لا تبقى "

ويروى مبتورًا فتحذف أداة الشرط وجوابه ولاصقة الحال فيقال:

Akuya daure ta samu saki “ (48)

العترة المربوطة نالت الحرية.

" Ana zama karya Bamaguje ya zo gari ya iske ba masussuke " (49)

ليس من المعقول أن يأتي الفلاح إلى المدينة يبحث عن الجرن"

ويروى مبتورًا فيقال بعد إضافة كلمة ألـــ in أي قال:

"Ana zaman karya in Ji Bamaguje ... (50)

قال الوثني.. غير معقول – عندما جاء إلى المدينة ليبحث عن الجـــرن فلـــم يجـــده –

ويقولون:

Bari neman Jini ga babe don Allah bai nufe shi da shi " (51)

لا تنشد الدم في الجراد؛ لأن الله لم يخصه بذلك. أي لا تنشد الشيء حيث ينعدم.

ويروى مبتورًا فيقال:

Bari neman Jini wurin babe ...." (52)

لا تنشد الدم في الجراد ..."

ويقولون:

" A zo gare mu " daki ya fada wa gurguwa tare da dam masu gida ta ceaim ba ku zo damina. ba kwa 30 domin danku.(53)

قالت العرجاء عندما سقطت عليها الحجرة، وهي مع ابن أصحاب المترل، النجدة إن لم يكن من أجلي فمن أجل ابنكم"

ويروى مبتورًا فيقال:

"A 30 gare mu " daki ya fada wa gurguwa (54)

عندما سقطت الحجرة على العرجاء قالت: " تعالوا إلينا "

ويقولون:

" farin shigar ungozuma Wasai ana ga cibiya a yanke gindi. (55)

أول عمل قامت به الداية في واسيْ قطع ذكر المولود بدلاً من سرته.

ويروى مبتورًا فيقال:

.farin shiga ungozumar Wasai ....." (56)

أول دخول الداية بلده واسىْ ...)

٣- الإسهاب:

ومن أوجه الاتفاق بين الأمثال العامية المصرية والهوساوية، الإسهاب في المثـــل، **فيأتي على هيئة جملة وشرحها**، ويتضح هذا من الأمثال التالية:

يقول المثل العامي المصري: "**زى أكل الحمير في النجيل، لا الحمار يشبع ولا النجيل يفرغ**".

ويقولون: "**زي اللي رقص على السلالم: لا اللي فوق شافوه ولا اللي تحت شـــافوه**"

"ويقولون: **زي البغل الشموس: اللي يمشي قدامه يعضه، واللي يمشي وراه يعضه**"

ففي الأمثال السابقة، كان يمكن الاكتفاء بقولهم: "**زي أكل الحمير في النجيل**" و" **زي اللي رقص على السلالم** " و" **زي البغل الشموس** " ويكـــون بـــاقي المثـــل مفهوماً، ولكن زيادة في الإيضاح ذكر باقي المثل.

وهذه الظاهرة نجدها في الأمثال الهوساوية فيقولون:

" Bari neman farin jini ga fara.Allah bai nufe shi da shi ba. (57)

لا تطلب المحبة لدى الجراد فإن الله لم يخصه بها.

" Duniya zaman karufi.kowa inda ya sa gabansa. (58)

الحياة الدنيا كالسوق، كل مشغول بما أمامه أي بمستقبله.

" Fatsa bawan masunta, Allah na ba ka. kana bai baya " (59)

السنارة عبد صاحبها، الله يعطيها وهي تعطي صاحبها.

. Abin da mutum ya shuka shi yake girbi ,in airan hairan ' in sharran sharran. (60)

ما زرع الإنسان يحصده، إن خيراً خيراً، وإن شرًّا شرًّا.

Garaje ba karfi ba nc kalmar baki kowa ya Iya. (61)

السرعة ليست القدرة على الكلام فالجميع يقدر عليه.

٤- التكرار:

المقصود بالتكرار هنا، هو **تكرار نصف المثل في مثل آخر**، وهذه الظـاهرة لا توجد في الأمثال العامية المصرية كثيراً، وكل ما يوجد فيها هو تكرار الكلمة الأولى في الأمثال، أو الكلمة وحرف الجر والمجرور، كما هو الحال في الأمثال التالية:

بعض الأمثال تبدأ بقولهم:"اللي عنده ..."

يقولون: **"اللي عنده أمه ما ينحملش همه"**

"اللي عنده حنه يحنّي ديل حماره "

وبعض الأمثال تبدأ بقولهم: "اللي في إيدك ..."

يقولون:**"اللي في إيدك أقرب من اللي في جيبك"**

"اللي في يده قلم ما يكتبش نفسه شقي"

بعض الأمثال تبدأ بقولهم "اللي له ..."

يقولون: **"اللي له أول له آخر"**

"اللي له قيراط في الفرس يركب"

بعض الأمثال تبدأ بقولهم: "اللي ما هو ..."

يقولون: **"اللي ما هو ع القلب همه صعب"**

"اللي ما هو لك يهون عليك"

وبعض الأمثال تبدأ بقولهم: "إن طاب لك ..."

يقولون: **"إن طاب لك. طاب لك. وإن ما طاب لك حولك طبلك"**

"إن طاب لك عيشك كلُه كلُه"

ولكن الحال يختلف عن ذلك في الأمثال الهوساوية، فالتكرار يشمل، إلى جانب الظاهرة السابقة، جزءاً كبيراً من المثل، بل قد يكون التكرار في كل المثل - ما عدا كلمة أو كلمتين أو أكثر - كما ترى فيما، وضع تحته خط.

a- Allah ya tsari gatari da moma. (62)

الله يحفظ الفأس من الفلاحة.

b-Allah ya tsari gatari da saran shuka. (63)

الله يحفظ الفأس من قطع الزرع

a-Ashe rai kan ga rai " Dankoli ya ga furar gero (64)

قال بائع الخردوات عندما رأى الفرا "النفس ترى النفس" أي القلوب عند بعضها كما يقال في مصر.

b-Ashe rai kan ga rai " Dan Banufe ya ga Toko (65)

عجباً النفس ترى النفس حتى النوفي يلتقى بتوكو.

a-Ba don dalili ba me zai sa a kama zomo a cikin fatsa (66)

لولا وجود العلة، ما الذي يجعل الأرنب يُصطاد بالسنارة

b-Ba don dalili ba. Me zai sa a kama tarwada a toka (67)

لولا وجود العلة، ما الذي يجعل الحوت في الرماد.

a- " Ban sa a ka ba " in Ji barawon tagiya. (68)

قال لص الطاقية عندما قبض عليه: "لم أضعها على رأسي"

b- " Ban sa a ka ba " kare da gudar gara. (69)

دعي الكلب ليزغرد في صباحية العروس فقال: " لا يهمني "

a- Ciwon ciki sai hakuri. (70)

ليس للمغص إلا الصبر.

b- Ciwon ido sai hakuri. (71)

ليس لمرض العين إلا الصبر.

a- Duniya zaman karufi kowa da inda ya sa gabansa (72)

.الحياة الدنيا كالسوق كل مشغول بما أمامه

b- Duniya zaman marina ce kowa da inda ya sa gabansa. (73)

الحياة الدنيا كالجلوس أمام المصبغة، كل وما أمامه.

a- Sarautar Allah <u>kare</u> a bakin <u>zomo</u>. (74)

من قدرة اللـــه أن تـــرى الكلب في فم الأرنب.

b- Sarautar Allah <u>Kura</u> a bakin <u>Kwikwiyo</u>(75)

من قدرة الله أن ترى الذئب في فم الجرو.

a- Samun kai ya fi samu <u>aski</u>. (76)

وجود الرأس بالشعر خـــير مـــن قص الشعر مع الألم.

b-samun kai ya fi samun <u>fula</u>. samun <u>rijiya</u> ya fi samun <u>guga</u>. (77)

وجود الرأس بالشعر أفضل من وجود القلنسوة، ووجود البئر أفضل من وجود الدلو.

a- Wanda ya isa <u>ba ya fada</u>. (78)

من بلغ القمة لا يخاصم غيره.

b-wanda ya isa <u>shi yake yanka doki</u>. (79)

من بلغ القدرة هو الذي يستطيع أن يذبح الحصان أي لا ينقل الأمر إلا القادر عليه.

٥- الاستفهام:

من خلال العينة التي بين يدي من الأمثال الهوساوية، وعددها (٣٥٧٦) مثلاً، والأمثال العامية المصرية التي وردت في كتاب " **الأمثال العامية** " لأحمـــد تيمـــور، وعـــددها (٣١٨٨) مثلاً، **استطعت إحصاء الأمثال التي جاءت على هيئة سؤال في كـــل مـــن اللغتين، فكان عددها في الأمثال الهوساوية ٦٢ مثلاً، وفي العامية المصرية ٦٤ مثلاً.**

وبدراستها لوحظ ما يلي:

أداة الاستفهام:

تستعمل الأمثال العامية المصرية أدوات استفهام، محرفة عن الأدوات المستعملة في اللغة العربية الفصحى:

١- **للسؤال عن الأشياء**، يقال: "**إيه**"، و"**إيش**" بدلاً من "**ماذا**"، يقولون:

إيه رماك ع المر؟ قال: أمر منه.

ويقولون: إيش تعمل الماشطة في الوش العكر؟

٢- للسؤال عن الزمان، يقولون: "إمتى" بدلاً من "متى" يقولون:

قالوا: يا جحا إمتى تقوم القيامة؟ قال: لما أموت أنا.

٣- وللسؤال عن المكان، يقولون "فين"، بدلاً من: "أين" و"منين"، بدلاً من: "من أين" يقولون:

قالوا: يا جحا فين بلدك؟ قال: اللي فيها مراتى.

ويقولون: احترت يا بخره أبوسك منين؟

٤- وللسؤال عن السبب، يقولون: "ليه" و"مال" بدلاً من "لماذا" يقولون: لما أنت عامل جمل بعبعت ليه أمال؟

ويقولون: مال لحمتك مشفته؟ قال: من جزار معرفة.

٥- وللسؤال عن الفاعل، يقولون: "مين" بدلاً من "مَن"

يقولون: "مين يشهد للعروسة غير أمها؟

٦- وللسؤال عن العدد، يقولون "كام " بدلاً من "كم"

يقولون: قالوا للجعان: الواحد في واحد بكام؟ قال: برغيف.

٧- وقد يأتي السؤال خالياً من أداة الاستفهام، فيقولون: قالوا للأعور العمى صعب؟ قال نص الخبر عندي.

أما أدوات الاستفهام المستعملة في الأمثال الهوساوية، فهي محدودة بالمقارنة بما يستعمل في العامية المصرية، كما سنلاحظ في الأمثال التالية:

١- للسؤال عن الشيء يستعملون "me" أو "kaka" أو "yaya" يقولون:

Me allura zata yi da ruwan kogi ? (80)

ماذا تعمل الإبرة في ماء البحر؟ أى لا تؤثر فيه.

kaka aka fara kaza take gudun `ya`yanta ? (81)

ماذا حدث حتى تهرب الدجاجة من أفراخها؟

yaya aka yi mai gari da kiran salla? (82)

ماذا حدث حتى يؤذن الحاكم للصلاة؟ كناية عن الأمر غير المألوف.

٢-وتستعمل "ina" بمعنى "ما" يقولون:

Ina amfanin badi ba rai ? (83)

ما فائدة العام القادم بلا حياة؟

٣-وللسؤال عن الزمن تستعمل كلمة " yaushc " يقولون:

yaushe a gari kare ya Ji kugin kura ? (84)

قال الكلب عندما سمع عواء الذئب: "متى وصل إلى المدينة؟ "

٤- وقد لا تستعمل أداة الاستفهام فيقال:

kome gudun barewa ta bar daji ? (85)

مهما كانت سرعة الغزال هل يتجاوز الغابة؟

موضع الأداة:

بالنسبة لموضع أداة الاستفهام في الأمثال العامية المصرية، نجدها تأتي في ثلاثة مواضع، كما سنلاحظ في الأمثال التالية.

١- **تأتي الأداة في صدر المثل**، كما هو الحال في اللغة العربية الفصحى، فيقولون:

- **إيه** يحرر النسا؟ قال: بعد الرجال عنهم.

- **فين** عزمك يا فشّار؟ آدى السيف وآدى صاحب التار.

٢- **وقد تأتي الأداة في وسط المثل**، فيقولون:

قالوا: تعرف الهايف **بإيه**؟ قال: بكلامه،

قال: وتعرف السقيل **بإيه**؟ قال: بسؤاله.

- لما أنا أمير وأنت أمير **مين** يسوق الحمير؟

- لما أنا ست وأنت ست **مين** يكب الطشت؟

٣- وقد تأتي أداة الاستفهام في نهاية المثل، فيقولون:

- إحنا اثنين والتالت **فين؟**

- قبل ما خطب عبّ الحطب، وقال: أبني الكوانين **فين؟**

- احترت يا بخره أبوسك **منين؟**

- يا حامل هم الناس خليت همك **لمين؟**

وإذا كانت أداة الاستفهام في الأمثال العامية المصرية تـــأتي في صـــدر المثـــل، ووسطه، ونهايته، **فإنها في الأمثال الهوساوية تأتي في صدر المثل فقط.**

الاستفهام الحقيقي:

والاستفهام في الأمثال العامية المصرية استفهام حقيقي، إلا أن بعضها يحتاج إلى إجابة، والآخر يتضمن الإجابة كما هو الحال في الأمثال التالية:

أ-أمثال تحتاج إلى جواب، نحو قولهم:

- إيش تعمل الماشطة في الوش العكر؟

- إيش عرّف الحمير بأكل الزنجبيل؟

- فين عزمك يا فشّار؟ آدى السيف وآدى صاحب التار.

ب- أمثال تتضمن الإجابة، نحو قولهم:

- إيش غرض الأعمى؟ قال: قفة عيون.

- إيه يحرر النسا؟ قال: بعد الرجال عنهم.

- قال: يابا إيه أحلى م العسل؟ قال: الخل إن كان بلاش.

- قالوا: للغراب ليه بتسرق الصابون؟ قال: الأذيه طبع.

جـــ- وقد يأتي المثل على هيئة حوار، فيقولون:

قالوا: يا جحا فين مراتك؟

قال: بتطحن بالكرا.

وطحينك؟

قال: كريت عليه.

قالوا: كنت خلّي مراتك تطحنه.

الاستفهام الإنكاري:

الظاهرة التي لم أجد لها مثيلاً فيما ذكر في كتاب **" الأمثال العامية " وتوجد في الأمثال الهوساوية**، هي ظاهرة الاستفهام الإنكاري، فكثير من الأمثال الهوساوية لا تتضمن أداة الاستفهام، ولا يمكن أن يُفهم مضمونها إذا أخذت على أنها مثل إخباري أو استفهام حقيقي، وإليك بعضاً من هذه الأمثال.

A girma a ei kasa ? (86)

أيكبر الإنسان ويأكل التراب؟ ويضرب هذا المثل للكبير الذي يفعل فعل الصغير، وهو استفهام إنكاري، ولا يمكن أن يكون حقيقيًّا.

A ki marada a zauna da wa ? (87)

إذا رُفض النّمام مع من يكون الجلوس - للنميمة.

A ncmi jini ga fara ? (88)

أيطلب الدم في جسم الجراد؟ ومن المعروف أن الدم الأحمر لا يوجد في جسم الجراد.

A nuna wa na rigingine farin wata ? (89)

أيدل المستلقي على ظهره على ضوء القمر؟ أي أنه في وضع يجعله يرى ضوء القمر دون دليل. A tambayi Kaza hanyar rafi a tambayi agwagwa a sha labari ? (90)

أتسأل الدجاجة عن طريق القناة، وتُسأل البطة عن الخبر؟ والمفروض عكس ذلك حيث تكون البطة أعلم بطريق القناة لحبها للسباحة، وتكون الدجاجة أعلم بالأخبار لبقائها في المترل بين أهله وسماعها الأخبار.

A tambayi mai kundumi labarin kitso ? (91)

أتسأل ذات الشعر الخفيف عن آلام التصفيف؟

تعد عملية تصفيف الشعر الكثيف في نيجريا – والدول الأفريقية - عامة - عملية متعبة، لأن جدله يأخذ وقتاً طويلاً؛ لكثرة ما يصنع من جدائل، ولا يشعر بهذه المشكلة إلا ذات الشعر الكثيف.

Ana layya da doki me ? (92)

أيضحى بالحصان؟

Don damo a yi kambu ? (93)

أمن أجل الضب جعلت التمائم؟

والمعروف أن سكان هذه البلاد يحملون الكثير من التمائم لتحميهم – في اعتقادهم – من الأضرار والحراب والسهام، وليس من الضب؛ لأنه من الزواحف غير المؤذية.

Sakamakon alheri mugunta ne ? (94)

حل جزاء الخير الشر؟

Wanzami ba ya son jarfa ? (95)

حلاّق لا يحب الوشم؟

والمعروف أن عمل الوشم عادة منتشرة بين كثير من القبائل في هذه البلاد، ويقوم بعمله الحلاق وتعتبر مصدر لرزقه.

وهكذا نلاحظ الفرق بين الاستفهام في الأمثال العامية المصرية والهوساوية، فقد رأينا أن أداة الاستفهام في العامية المصرية تأتي في صدر المثل أو في وسطه أو في نهايته، ولكن في الأمثال الهوساوية تأتي في أوله فقط، كما أن أدوات الاستفهام في الأمثال المصرية محرفة عن العربية الفصحى. وأن الأدوات في الهوسا واحدة، وأن السؤال في الأمثال العامية المصرية يتضمن الإجابة في أكثر الأحوال، ولا يحدث ذلك في الهوسا.

وأن الأمثال العامية المصرية تهدف إلى الاستفهام الحقيقي وليس التقرير أو الإنكار. بينما نجد الاستفهام في الهوسا محدودًا – (٥٩ مثلاً) - والغالب فيها أن يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى الاستفهام الإنكاري.

٦- المقولة:

المقصود بالمقولة في هذا المجال هو: **ما يلي كلمة "قال" في المثل العامي المصري أو الهوساوي.** وقد وردت كلمة "قال" في الأمثال العامية المصرية كثيراً، ويختلف موقعها من مثل لآخر، كما تختلف المقولة من مثل لآخر.

موقع "قال":

لاحظت في الأمثال العامية المصرية أن الفعل "قال" قلما يأتي، مرة واحدة، في وسط المثل، فيقولون:

- إيه رماك ع المر؟ قال: أمر منه.

- داخل بيت عدوك ليه؟ قال: فيه حبيبي.

- نام لما أدبحك. قال: دا شيء يطير النوم.

حماتي مناقره، قال: طلق بنتها.

وكثيراً ما يأتي الفعل " في صدر المثل ووسطه، فيقولون:

- قالوا للجعان: الواحد في واحد بكام؟ قال: برغيف.

- قالوا للصياد: اصطدت إيه؟ قال: اللي في الشبكة راح.

- قالوا: صباح الخير يا جحا، قال: دنا لسه سارح.

- أقول له: طور، يقول: احلبه.

ولا يأتي الفعل "قال" في الصدر إلا إذا جاء في الوسط.

الحوار:

وقد يأتي الفعل "قال" أكثر من مرة في المثل الواحد، فيكون على هيئة حوار يقولون:

دبور زن على مسن.

قال: عايز إيه؟

قال: ألحسك.

قال: أنا ألحس الحديد.

ويقولون:

قالوا: تعرف الهايف بإيه؟

قال: بكلامه.

وقالوا: تعرف السقيل بإيه؟

قال: بسؤاله.

ويقولون:

قالوا للديب: ح يسرحوك في الغنم، قام عيط.

قالوا: دا شيء تحبه.

قال: خايف يكون الخبر كدب.

ويقولون:

قالوا للعبد: سيدك راح يبيعك.

قال: يعرف خلاصه.

قالوا: هربش

قال: أعرف خلاصي.

ويقولون:

قالوا للقاضي: يـــا سيدنا الحيطة شخ عليها كلب.

قال: تنهدم سبع وتتبنى سبع.

قالوا: دى اللي بينا وبينك.

قال: أقل من الماء يطهرها.

ويقولون:

قالوا: يا جحا فين مراتك؟

قال: بتطحن بالكرا.

وطحينك.

قال: كريت عليه.

قالوا: كنت خلي مراتك تطحنه.

وإذا كان الفعل "قال" جاء في الأمثال العامية المصرية (٢٨٦) مرة قبل المقولة، فإننا نجد المقولة ترد في الأمثال الهوساوية (٧٨) مرة. ورد فيها الفعل "قال" (١٩) مرة، مرتان في صدر المثل ووسطه، و(١٥) مرة في وسط المثل فقط، ومقدراً في باقي الأمثال.

الفعل "قال" في وسط المثل الهوساوى، يقولون:

" A yi maza a nade " in Ji barawon tabarma (96)

قال لص الحصيرة: "بسرعة لفوها "

أي قبل أن يراها صاحبها.

" Allah sarkin dadi " in ji barawon takand (97)

قال لص قصب السكر: "الله ملك اللذة "

" Allah ubana " in ji shegiya.(98)

قالت ابنة الزنا "الله أبي" أي أنها لا تعرف لها آبا.

" Ba samun abinei ke da wuya ba wurin da zaka ci " in ji dan tsako.(99)

قال الفرخ الصغير "لا يصعب وجود الطعام ولكن المكان الذي يؤكل فيه" أي أنه مهدد من الطيور الجارحة.

" Ban sa a ka ba " in jibarawon tagiya. (100)

قال لص الطاقية عندما قبض عليه: "لم أضعها على رأسي"

الفعل " قال في صدر ووسط المثل الهوساوي.

إذا كان الفعل "قال" جاء في الأمثال العامية المصرية في صدر المثل ووسطه ٦٠ مرة، فإنه لم يرد في الأمثال الهوساويـــة إلا في مثلين اثنين فقط يقولون:

An ce da akuya " sarkin fawa ya mutu " ta ce " oho ya mutu da wukar yanka ne ?" (101)

قيل للعنزة: كبير القصابين مات " قالت " لا أبالي، هل مات والسكين معه؟ "

An ee da Kare " tuwo ya yi yawa a gidan biki " ya ee " mu gani a kas" (102)

قيل للكلب: "الثريد كثر في منزل العرس" قال – منكراً-:"هل يبدو هذا على الأرض.

والجدول التالي يوضح عدد مرات ورود الفعل "قال" وموضـــعه في العاميـــة المـــصرية والهوساوية:

في الصدر فقط		في الوسط فقط		في الصدر والوسط	
المصرية	الهوسا	المصريه	الهوسا	المصرية	الهوسا
٥٩	٢	١٧٠	١٥	٥٧	٢

أما الحوار بالصورة التي نجدها في الأمثال العامية المصرية، فإنهـــا لا توجـــد في الأمثال الهوساوية. وإذا كان الفعل "قال" يرد في الأمثال المصرية ظاهراً، فإنه يـــأتي في أكثر الأمثال الهوساوية مقدراً، أي لا يذكر في المثل – فقدر ورد مقدراً في (٦٣) مثلاً، من (٨٧) مثلاً، وردت فيها المقولات، وإليك بعضاً منها.

'Arufe da buzu " matar malami ta yi shige. (103)

عندما ولدت زوجة العالم سفاحًا قالت " غطوه بالفروة "

"A bari ya huee " shi ya kawo rabon wani. (104)

قولك: " اترك الطعام ليبرد " هو الذي جعله من نصيب الغير.

"Allah ya ba ka hakuri " ba ta cika Jaka. (105)

قولك للسائل: "الله يصبرك" لا يملأحقيبته بالمال

"Banda tuna baya " gyartai ya cisarauta. (106)

قال مصلح القرعات عندما تولى السلطة: "لا تذكروني بالماضي"

" Can ga su gada " zomo ya Ji kidan farauta. (107)

عندما سمع الأرنب صوت طبول الصيد قال: "هاهي الغزلان" أي أنه يحول نظرهم عنه إلى الغزلان.

"Da kyau " kare ya ga gawar kura.(108)

قال الكلب عندما رأى جثة الذئب: " حسنًا "

"Duba mini hanya " makaho ya so tseegumi. (109)

قال الأعمى عندما أراد الاغتياب: " راقب لي الطريق "

"Allah ya sa a dada " wawa ya ei tuwon mutuwa. (110)

قال الأبله عندما أكل ثريد المتوفى: "الله يزيد موتاكم"

وهكذا نلاحظ أنه لفهم الأمثال السابقة لابد من تقدير كلمة "قال" أو "قولك" أو "قال" ... "عندما".

مضمون المقولة:

يختلف مضمون المقولة في الأمثال العامية المصرية، من مثل إلى آخر، **فقد يكون المضمون ردًا على سؤال، كقولهم:**

- أبوك خلف إيه؟ قال: جدي ومات.

ـ إيش حايشك عن الرقص؟ قال: قصر الأكمام.

- إيه رماك ع المر؟ قال: أمر منه.

- ماله الدست بيغلي؟ قال: من كتر ناره.

- مين يشهد لك يا أبو الحسين؟ قال: نوارة ديلي.

وقد يكون المضمون ردًّا على تحية. كقولهم:

– ليلتك سعيده ياضيف. قال: عليك وعلى ولادك.

– قال: صباح الخير يا عوره. قال: دا باب شر.

– قالوا: صباح الخير يا جحا. قال: دنا لسه سارح.

– صباح الخير يا جاري. قال: انت في دارك وأنا في داري.

–صباح الخير يا أعور. قال: دا شر بايت.

وقد يكون المضمون ردًّا على فعل أمر، كقولهم:

– حبني وخدلك زعبوط. قال: هي المحبة بالنبوت؟

– نام لما ادبحك. قال: دا شيء يطير النوم.

– يا ابو الحسين اقرا الكتاب. قال: مين يقرأ ومين يسمع؟

– قالوا للحرامي: احلف. قال: جالك الفرج.

– قالوا للمشنوق: غطي رجليك. قال: إن رجعت عتبوني.

وقد يكون المضمون ردًّا على خبر، كقولهم:

– اقرع بياكل حلاوه. قال: بفلوسه.

– اللي يعيش يشوف كتير. قال واللي يمشي يشوف أكتر.

– جملك بارك من عياه. قال: حملوه يقوم.

– حماتي منافره. قال: طلق بنتها.

– كلب ابيض وكلب اسود. قال: كلهم ولاد كلاب.

– قالوا: يا اللي أبوك مات م الجوع. قال: هو شاف شيء ولا كلش.

وقد يكون المضمون ردًّا على دعاء، كقولهم:

– قال: جاتك داهيه يا مَره. قالت: على راسك يا راجل.

- قال: الله يلعن اللي يسب الناس، قال: الله يلعن اللي يحوج الناس لسبه.

وقد يكون الرد على الدعاء بسؤال، كقولهم:

- إن شاء الله اللي خدها يندبح بيها. قال: إيش عرفك إنها سكينة؟

- قال: يارب دخلنا بيت الظالمين وطلعنا سالمين، قال: وإيش دخلك، وإيش طلعك؟

وإذا كانت المقولة كما رأينا ردًا على سؤال أو تحية أو فعل أمر نجد ظاهرة أخرى غير موجودة في الأمثال المصرية العامية، وهي أن المقولة، تقال في ظرف معين يستدعي قولها على النحو التالي:

يقولون:

"Abin yana da yawa " mutuwa ta shiga kasuwa .(111)

قال الموت عندما دخل السوق: "الموتى كثيرون"

أي وقع في حيرة من يقبض ومن يترك.

"Allah sitiri bukwi " `ya ta ga doron uwarta .(112)

قالت البنت عندما رأت أتب أمها: "الله يستر من النتوء"

"Allah ya ba mu lafiya " baba ya ga tsirara.(113)

قال ذو العنة عندما رأى المرأة العريانة: "اللهم هبنا العافية"

"Ban ga ta zama ba " an saei dan barawo .(114)

عندما سُرِق ابن اللص قال: "لا إقامة لي هنا"

"Daga nan muka faffara Kutura ya ga mai kyasfi. (115)

قال المجزوم عندما رأى البثرات البيضاء على الوجه: " من هنا بدأنا " أي هذه بداية مرض الجزام.

"Duba mini hanya " makaho ya so tsegumi. (116)

قال الأعمى عندما أراد الاغتياب: "راقب لي الطريق".

أسلوب المقولة:

وقد يكون أسلوب المقولة أسلوباً خبريًّا، كقولهم:

- يا فرعون مين فرعنك؟ قال: ملقتش حد يردني.

- قالوا للديك: صيح. قال: "كل شيء في أوانه مليح.

- إيش غرض الأعمى؟ قال: قفة عيون.

- إيش قلتم في جدع لاعشق ولا اتعشق؟ قالوا: يعيش حمار ويموت حمار.

-البقرة بتولد والطور بيحزق ليه؟ قالوا: أهو تحميل جمايل.

وقد يكون مضمون المقولة أسلوباً إنشائيًّا:

ومن الأساليب الإنشائية أسلوب الاستفهام، كقولهم:

- حبني وخدلك زعبوط. قال: هي المحبة بالنبوت؟

- غسِّله واعمل له عِمه. قال: أنا مُغسِّل وضامن جنَّة؟

- يا ابو الحسين اقرا الجواب. قال: مين يقرا ومين يسمع؟

- غوله وعملت فرح. قال: يكفيها ولا يكفي ولادها؟

- إن شاء الله اللي خدها يندبح بها، قال: إيش عرفلك إنها سكينة؟

- يا رب دخلنا بيت الظالمين وطلعنا سالمين. قال: وإيش دخلك وإيش طلعك؟

ومن أساليب الأمر، قولهم:

- ببا علمني التبات. قال تَعَ في الهايفه واصّدر.

- قالوا لحرامي الدقيق: احلف. قال: يا مَره انخلي.

- أقول: له طور. يقول: احلبه.

- حماتي مناقره. قال طلق بنتها.

- واحد شال معزة وظرط. قال: هات بنتها.

ومن أساليب الدعاء قولهم:

– خزانه من غير باب. ويقولوا: يا الله اكفينا شر الحساد.

– قال: الله يلعن اللي يسب الناس. قال: الله يلعن اللي يحوج الناس لسبه.

أسلوب المقولة في الأمثال الهوساوية:

لا يختلف أسلوب المقولة في الأمثال الهوساوية عنه في الأمثال العامية المـــصرية.

فنجد منه الخبري كقولهم:

"Ban sa a ka " in Ji barawon tagiya.(117)

قال لص الطاقية عندما قُبض عليه: "لم أضعها على رأسي"

"Daga nam muka Faffara " kuturu ya ga mai Kyasfi. (118)

قال المجزوم عندما رأى البثرات البيضاء على الوجه: "من هنا بدأنا"

"Duniya ta yi dadi " an kashe mutuwa. (119)

قال الناس عندما قُتل الموت: "صارت الدنيا سعيدة"

"Gandoki mu Je biki " ta ce " zanena ya yi. " gaba " (120)

قيل للمتسرعة: "هيا نذهب إلى الحفل"

قالت: "ثوبي قديم"

"Gida ya fi dadi " mahaukaei ya Je bauta. (121)

عندما صار المجنون خادمًا قال: "بيتنا أجمل"

ومن الأساليب الإنشائية، أسلوب الاستفهام كقولهم:

An ce da akuya " sarkin fawa ya mutu " ta ce " oho ya mutu da wuka ne ? " (122)

قيل للعنزة: رئيس القصابين مات " قالت ": لا أبالي هل مات والسكين معه؟"

Bawan yarda ya fi " nawa aka saya?" (123)

العبد الذي يقدم نفسه لك راضياً أفضل من قولك: "بكم يشترى؟"

Gaza gami cewa " Wane me kake kuka ? " (124)

قولك: "ماذا تبكي يا فلان" عجز عن الرؤية.

ومن أساليب الأمر قولهم:

"A rufe da buzu " matar malami ta yi shige. (125)

عندما ولدت زوجة العالم سفاحًا. قالت:"غطوه بالفروة"

" A bari ya huce " shi ya kawo rabon wani. (126)

قولك: "اترك الطعام ليبرد" هو الذي يبقيه حتى يأكل منه صاحب النصيب.

"Allah ya ce " tashi in taimake ka "(127)

قال الله: " قم لأساعدك "

"Cire min kaya na fi ka gudu " ba yau aka fara ba. (128)

قولك: "انزع لي الشوكة لأسبقك في الجري" لم يبدأ اليوم أي أنه أمر معروف، يضرب لمن تساعده فيتفوق عليك.

"Duba mini hanya " makaho ya so tsegumi. (129)

ومن أساليب الدعاء قولهم:

"a sha da lafiya " tallan koko a Habuja. (130)

يقول بائع الثريد في مدينة أبوجا: "تشرب بالعافية"

"Allah sitiri bukwi "`ya ta ga doron uwarta (131)

قالت البنت عندما رأت أتب أمها: "الله يستر من النتوء"

"Allah ya ba mu lafiya " baba ya ga tsirara. (132)

قال ذو العنة عند ما رأى العورة: "اللهم هبنا العافية"

"Allah ya sa a dada " wawa ya ci tuwon mutuwa (133)

.قال الأبله عندما أكل ثريد المتوفى: "الله يزيد موتاكم"

"Da alheri " kishiya ta hau kura .(134)

عندما ركبت الضرة الذئب – قالت الزوجة – :" مع السلامة "

ومن أسلوب الرجاء قولهم:

"Bari mu taba mu Ji " mayya ta je barkar haihuwa. (135)

قالت الساحرة عندما ذهبت للتهنئة في يوم الولادة: "دعوني ألمسه وأشعر به" أي أنها تريد تجربة سحرها فيه.

"Bari dai. In zauna " mai kwaclayi ya ga ana soya nama. (136)

قال الطماع عندما رأى اللحم يشوى: "دعني أجلس".

ومن أساليب التمني قولهم:

"Da haka ake a ce ba'a so " am ba matsiyaei dambun nama (137)

قال الفقير عندما أعطى اللحم المفروم: "لو هكذا يُفعل ما قال أحد: لا أريد"

"Da haka ake yi a ce ba'a so on so wa majinyaci zuma a magani (138)

عندما وضع للمريض العسل في الدواء قال: " لو هكذا يُفعل ما كره الدواء ".

ومن أساليب النهي قولهم:

"Banda tuna baya "gyartai ya ci sarauta (139)

قال مصلح القرعات عندما تولى السلطة: "لا تذكروني بالماضي".

الهوامش

1- masani: عالم، و n: للإضافة،

mashigi: مدخل، shi: هو، ko da: منذ القدم، kan:عادة، kama: القبض على الشيء أو الإمساك به.

2- kiwo:الرعى، n للإضافة،yarda: المناسب، kadan: قليل، kan:عادة، tashi: الخروج أو القيام،kawo: العودة، ki:ضمير المخاطبة.gida: منزل.

3- ashe: عجباً، rai: النفس، kan ga: ترى عادة، dankoli:بائع الخردوات، ya ga: رأى، fura: طعام يصنع من الدقيق واللبن و r: للإضافة، gero: الدخن.

4- takar kari: الثور، kan:عادة،

hora: التعود أو التدرب، Jaki: الحمار، ya saba: تعود، da: .بمعنى على، kaya: المتاع.

5- a: في، baki فم و n: للإضافة، tsoho: العجوز، ne: .بمعنى يكون، goro: ثمار الكولا، kan: عادة، tsufa: تسبيح.

6- kishiya: الضرة، mai ban haushi: مثيرة للغضب، ana ganinki يرونك، Kan Zagi: يسبون عادة. miji: الزوج.

7- marayan: يتيم، n لربط الصفة بالموصوف، zaki: الأسد، falà: القتال، da:مع، masu ذوى، iyayc: الآباء.

8- arziki: الرزق، kashi: عظمة، haihuwa: ولادة r: للإضافة، da: ابن، namiji: ذكر.

9- ana: .بمعنى يقال، ta تفيد الكثرة، sa: الوضع، taka: الرماد، katsi: طين يستخرج من الحفرة المستخدمة في الصباغة، يحرق حتى يصير جاف. فيستعمل كالأسمنت.

10- ana wahala: يتعب، nema: طلب و n: للإضـــافة، aure: الـــزواج، ba: بدون، kudi: مال.

11- an yi: عُمل بمعنى قدَّم، mana: لنا، kyauta: الهدية، koma: العودة ban daki: الحمَّام، ka yi kuka بكى.

12- bar:دع، ganye: الورق، daura: البس، tufa: القماش أو الثياب.

13- ana:بمعنى يقال، ruwa: الماء، ya ci: أغرق، makadi: الطبال. kana: بمعـــنى تتكلم عن أو تهتم بـــ، gangarsa: طبلته، ta Jika: ابتلت.

14- ana: لاصقة الفعل المضارع في حالة المبني للمجهول وهنا بمعنى يـــدافعون، ta: تفيد الملكية، kai: النفس ، wa : مَنْ، yake: لاحقة الفعل المضارع في حالة الغائب وهنا بمعنى يدافع عن، kaya: المتاع.

15- Hausa: لغة الهوسا، ba ... ba: أداة نفي، dabo:السِّحر، ne : بمعنى يكون.

16- kamar: مثل، Jaki:حمار، n للإضافة، kano: مدينة في شمال نيجيريا.

17- ya ba ka: أن يهبك، hakuri: الصبر، ba: لا النافية، ta cika: تمـــلأ، Jaka: حقيبة.

18- ku bar: دعوا، kisan : قتـــل و n: للإضـــافة،Jemage: الخفـــاش، magani: علاج،mace: المرأة، madi: الشراب والطعام.

19- abu: الأمر، ya yi dadi: صار جميلاً، an bai: أُعطـــى، wa: حـــرف جـــر، mayya:الساحرة، Jira: حراسة، n:للإضافة، gawa: الجثة.

20- maye: الساحر، a:في، ciki: البطن أو الداخل، na gida: رفيق المترل، ya yi: تولى، sarauta السلطة.

21- kare: الكلب، da: باء حرف جر، kudinsa: مالـــه، sai حينئـــذ، ya sha شرب، lahaula: لا حول، وهي عبارة عربية يكتبها المشعوذ على ورق ليشربها المريد.

22- انظر المثل السابق، rubuta: الكتابة.

23- ba ... ba: ليس، haka: هكذا، aka so:أريـــد، kanen: الأخ الأصـــغر، n: للإضافة، miji: الزوج، ya fi: فاق، kyau: جمال.

24- kudi: مال، n:للإضافة،gwamna: الحكومة، masu: أصحاب gida: المنـــــزل، rana: الشمس.

25- ba su son: لا يريدون، a samu:أن يوجد، a kullc: أن يربط.

26- ta gagari: تعذر على، kandila: اسم رجل ثري.

27- kome: مهما كان، gaggawa، تعجل، r:للإضافة، da: ابن، n: للإضافة، sha biyar: خمسة عشر، والمقصود هنا هو الساعي الذي يحصِّل رسوما تقدر بخمسة عشر قرشاً من المتخاصمين، لدى القاضي. ya bari: يترك أي ينتظر، sai: حـــتى، alkali: القاضي، ya aike shi: يرسله.

28- gobara:حريق، r: للإضافة، Titi : اسم امرأة.

29- jifa: رمى، r: للإضافة، gafiyar: فأر هندي كبير، Baidu: اسم شخص.

30- mahakurei: الصابر، mawadaei: الثري.

31- wanda: الذي، ya isa : بلغ، والمقصود القمة أو الغاية، ba: لا النافية، ya fada : يقاتل أو يخاصم.

32- fata:التمني، nagari: الحسن، lamiri: ضمير.

33- makanwaei: الشره، ba: لا النافية، ya kafe: يجف اللحم.

34- mushe: جيفة، n: للإضافة، kura: الذئب، ya wuec: تجاوز، sarki: أمير أو رئيس.

35- انظر المثل رقم 28.

36- Jiki:جسم، magayi: متحدث، أي ينم عما فيه.

37- kare: الكلب، goro: ثمار الكولا، n: للإضافة، kura: الذئب.

38- Jihadi :جهاد أو عناء، talla: العرض للبيع، n: للإضافة، turmi: الهاون.

39- daya: واحدة، mata: زوجة، r: للإضافة، yaro:الخادم أو الصبي.

40- dare:الليل، mahauta:استراحة، r للإضافة، bawa: الخادم.

41- banza:عبث، ta kori:طاردت، wofi: عبث.

42- dabara: حيلة، ta fi: فاقت، karfi: القوة.

43- dasasshe:المشتول، ya fi:فاق، shukakke: المزروع.

44- gani: الرؤية، ya kori: طرد بمعنى فاق، Ji: السماع.

45- gaba:الأمام، ta kai ni: دفعتني، gabara: حريق، r: للإضافة Titi: اسم امرأة.

46- انظر المثل السابق.

47- akuya:العترة، a daure:المربوطـــة، in:إذا أداة شـــرط، ta sami: وجـــدت أو نالت، saki:الحرية أو الانطلاق، babu: لا يوجد، zama: بقاء.

48- انظر المثل السابق.

49- zama ana:يُصار، karya: كذب أو أمر غير معقول، Bamaguje: فرد من قبيلة وثنية. ya Z0:جاء، gari: المدينة، ya iske:وجد ba: لا يوجد، masussuke: فرن.

50- انظر المثل السابق، in Ji: قال.

51- bari:دع، nema:طلب، Jini: الدم، ga: لدى، babe: نوع كبير من الجراد، don: لأن، bai nufe shi ba: لم يخصه.

52- انظر المثل السابق، wurin: حيث.

53- a zo: تعالوا، gare mu: إلينا، daki:الحجرة، ya fada: سقط، wa: لام حرف جر، gurguwa: العرجاء، tare da: مـــع، dan: ابـــن: masu: أصـــحاب، gida:

المنـــزل، ta ce:قالت، im: إنْ، أداة شرط ... ba.ba : أداة نفي، ku zo: تعـــالوا، domina: من أجلي،30 kwa: تعالوا، danku ابنكم.

54- انظر المثل السابق.

55- farin: أول، shiga: دخول، n و r: للإضافة، ungozoma: الداية، wasai: اسم بلد، ana ga: يُرى، cibiya: السرة a yanke: يُقطع : gindi: أسفل والمقصود ذكر المولود.

56- انظر المثل السابق.

57- bari: دع، nema: طلب، n: للإضافة، farin Jini: الحب أو خفة الـــدم، ga: لدى، fara: الجراد، bai nufe ta ba: لم يخصها، da shi: به.

58- duniya: الحياة الدنيا، zama: حياة أو بقاء، n: للإضـــافة، karuf: الـــسوق، kowa:كل واحد، da: بمعنى موجود، inda:حيث، ya sa:وضع، gabansa: أمامه.

59- fatsa:السنارة، bawa:عبد، n للإضافة، masunta: صـــيادها، na ba ka: يعطيك، kama bai: تعطى، baya: وراء.

60- abin da: ما اسم موصول، mutum: الإنسان، ya shuka: زرع، shi: هـــو، yake girbi: يحصد

61- garajc:السرعة، ba ... ba:ليست، karfi:قوة، ne: بمعنى تكون، kalma: كلمة، baki: الفم، kowa:كل واحد، ya iya: يستطيع.

62- ya tsari: يحفظ، gatari: الفأس، da بمعنى من، noma: الزراعة.

63- انظر المثل السابق، sara: قطع، n: للإضافة، shuka: الفرس.

64- ashe: عجباً، rai: النفس أو الروح، kam ga: ترى عـــادة، Dankoli: بـــائع الخردوات، fura: نوع من الطعام يصنع من الثريد واللبن، r: للإضافة gero: الدخن.

65- انظر المثل السابق، Dan Banufe: النوفي، فرد من قبيلـــة Nufe، toko: اســـم شخص.

66- ba ... ba dan: لولا، daili: العلة أو سبب، me مـــاذا، zai sa: ســـيجعل، akama أن يمسك، zomo: الأرنب، a:في، cikin:داخل، fatsa: السنارة.

67- انظر المثل السابق، tarwada: الحوت، toka: الرماد.

68- sa ban.. ba : لم أضع، a: على، ka: الرأس، Ji in:قـــال، barawo: لـــص، n: للإضافة، tagiya : القلنسوة.

69- انظر المثل السابق، kare: الكلب، da:واو المعية، guda: زغرودة، r: للإضـــافة، gara: هدية الوالدين للعروسة في الصباحية.

70- ciwo: مرض، n: للإضافة، ciki: البطن، sai: إلا أي ليس لـــه إلا، hakuri: الصبر.

71- انظر المثل السابق، ido: عين.

72- duniya: الحياة الدنيا، zama: حياة أو بقاء، n: للإضافة karufi: السوق، kowa: كل واحد، da: بمعنى يوجد، inda: حيـــث، ya sa: وضـــع، gabansa: أمامـــه وأصلها gaba: أمام، n للإضافة.

73- انظر المثل السابق. marina: مصبغه، ce: بمعنى تكون.

74- sarauta: سُلطة أو قدرة، r : للإضافة،kare: كلـــب، a: في، baki: فـــم، n: للإضافة، zomo: الأرنب.

75- انظر المثل السابق، kura: الذئب، kwikwiyo: الجرو.

76- samu: وجود، n: للإضافة، kai: الرأس والمقصود هنا شعر االرأس،ya fi:فاق أو خير من، aski: قص الشعر.

77- انظر المثل السابق، fula:القلنسوة، rijiya: البئر، guga: الدلو.

78- wanda: الذي، ya isa: بلغ القمة أو العظمة أو القدرة، ba: أداة لنفي الفعل المضارع، ya fada:

يقاتل أو يخاصم.

79- انظر المثل السابق، shi: هو، yake yanka:يذبح، doki: الحصان.

80- me: ماذا، allura:الإبرة، zata yi: ستفعل، da: مع، ruwa : الماء، n: للإضافة، kogi:النهر.

81- kaka: ماذا، aka fara: عَمل وأصلها حدث، kaza: الدجاجة، take gudu: هَرب، n : رابطة لربط الفعل المضارع بالمفعول به، ya`yanta`: أفراخها.

82- yaya: بمعنى ماذا، aka yi: عُمل، mai gari: حاكم المدينة، da: واو المعية، kira: الآذان،n:للإضافة، salla: الصلاة.

83- ina: ما، amfani: فائدة، n:

للإضافة، badi: العام القادم، ba : بدون، rai : حياة.

84- yaushe:متى، a:في، gari: المدينة، kare: الكلب yaji ، سمع. kugi عواء، n: للإضافة، kura: الذئب.

85- kome.مهما كانت،gudu: سرعة. n: للإضافة، barewa: الغزال ta bar: تترك، daji: الغابة.

86- a girma: كُبر، a ci: يؤكل، kasa: التراب.

87- a ki:يُرفض، marada:النَّمام a zauna: يُجلس، da:مع، wa: مَنْ،

88- anemi: يُطلب، jini: الدم، ga : لدى، kara: الجراد.

89- a nuna:يُدل، wa:لام حرف جر، na rigingine: المستلقي على ظهره، fari: ضوء، n: للإضافة، wata: القمر.

90- a tambayi: تُسأل، kaza: الدجاجة، hanya:طريق، r: للإضافة rafi: النـــهر، agwagwa: البطة، a sha تُعرف وأصلها تشرب، labari:الخبر.

91- a tambayi: تُسأل، mai: ذات، kundumi: الشعر الخفيف، labari خـــبر، n: للإضافة، kitso: تصفيف الشعر.

92- ana layya: يضحى، da: باء حرف جر، daki: حصان، ne: بمعـــنى يكـــون don:من أجل، damo: الضّب، a yi صُنعت، kambu: تميمة تربط على الزراع.

94- sakamako:جزاء، n: للإضافة، alhcri: الخير، mugunta: الشر.

95- wanzami:حلاق، ba ya son: لا يحب، n:رابطة تربط الفعل المضارع بالمفعول به، Jarfa: عمل الوشم.

96- a yi maza: أسرعوا، a nadc: تُلَف، in Ji: تحـــال، barawo: لـــص، n: للإضافة، tabarma: الحصيرة.

97- sarki: ملك، n: للإضافة، dadi: اللذة أو السعادة، inji: قال barawo: لص، n: للإضافة، takanda: قصب السكر.

98- ubana: أبي، in ji: قالت، shegiya: ابنة الزنا.

99- ba ... ba: ليس، samu:وجود، n: للإضـــافة، abinci: الطعـــام، kc da wuya: يصعب، wuri:مكان،n: للإضافة، da: اسم موصول، azka ci: ســـتأكل، in Ji: قال، dan: صغير و n:لربط الصفة بالموصوف، tsako: فرخ صغير أو كتكوت.

100- ban sa ba: لم أضع، a: على، ka:الرأس in Ji:قـــال، barawo: لـــص، n: للإضافة، tagiya: القلنسوة.

101- an ce: قيل، da:لام حرف جر، akuya:العنزة، sarki: أمـــير أو رئـــيس، n: للإضافة، pawa:الجزارة، ya mutu: مات، ta cc: قالت، oho:لا أبالي، da:باء حرف جر، wuka:السكين، r: للإضافة، yanka: الذبح، ne: بمعنى يكون.

102- an ce: قيل،da:لام حرف جر، kare: القلب، tuwo: الثريد، ya yi yawa: كثُر، a:في، gida: منزل، n: للإضافة، biki العرس أو حفل، ya ce: قــال، mu gani: لنر، a: على، kas: الأرض.

103- a rufe:يُغطى، da: باء حرف جر، buzu:الفروة، mata: الزوجة، r: للإضافة، malami: العالم، ta yi: عملت بمعنى حملت أو ولدت shige: سفاح.

104- a bari:يُترك، ya huee:ليبرد، shi: هو، ya kawo: أحضر وهنا بمعنى سبَّب، rabo: نصيب، n: للإضافة، wani: شخص ما.

105- ya ba ka: أعطاك، hakuri: الصبر، ba:أداة لنفي الفعل المــضارع. ta eika: تملأ، Jaka: الحقيبة.

106- ban da: ما عدا، tuna:التذكر، baya: الوراء وهنا بمعنى الماضــي، gyartai: مصلح القرعات أو القدور، ya ci: تال، sarauta: السلطة.

107- can: هناك،ga: ها اسم شارة، gada:الغزال،zomo:الأرنــب، ya Ji: سمــع، kida: تطبيل، farauta: الصيد.

108- da kyau:جميل أو حــسن، kare: الكلــب، ya ga:رأى، gawa: جثــة، r: للإضافة، kura: الذئب.

109- duba: راقب، mini: لي،

hanya:الطريق، makaho:الأعمى، ya so: أراد، tsegumi: الاغتياب.

110- ya sa: جعل، a dada: يزيد، wawa:الأبله، ya ci:أكل، tuwo: ثريــد، n:للإضافة، mutuwa:الموت.

111- abin: الشيء والمقصود هنا الناس، yana da yawa: كثيرون mutuwa:الموت، ta shiga: دخلت، kasuwa: السوق.

112- sitiri: بمعنى يستر، bukwi: النتوء، ya` البنت، ta ga: رأت، doro: أتب، n:للإضافة، uwarta: أمها.

113- ya ba mu:أن يعطينا، lafiya: الصحة أو العافيـــة، baba: ذو العفـــةyaga : رأى، tsirara: العُرى أو العورة.

114- ban ga ba: لم أر، ta تعود على المكان الذي يعيش فيه، zama: بقاء أو إقامة، an saee: سُرق، dan: ابن، n: للإضافة، barawo: اللص.

115- daga: من حرف جر، ban: هنا، muka faffara: بدأنا، kuturu: المحـــزوم، ya ga: رأى، mai: ذو، kyasfi: بثرات تظهر على الوجه.

116- انظر المثل رقم 109.

117- انظر المثل رقم 100.

118- انظر المثل رقم 115.

119- duniya: الحياة الدنيا، ta yi: صارت، dadi:حلاوة أو ســعادة، an kashe: قتل، mutuwa: الموت.

120- gandoki:المتسرع أو متهور، mu Je:لنذهب إلى، biki:حفل عـــرس ta ce: قالت، zanena: ثيابي، ta yi gaba : بليت.

121- gida:منزل، ya fi:فاق، dadi: سعادة أو راحة، mahaukaei: المجنون، ya Je: ذهب، bauta: الخدمة أو العبودية.

122- انظر المثل رقم 101.

123- bawa: خادم أوعبد، n:للإضافة، yarda: الموافقة، ya fi: فاق أو أفضل مـــن، nawa: كم، aka saya: اشتُرى.

124- gaza: عجزعن، gani: الرؤية، cewa: القول، wane: فـــلان، me: مـــاذا، kake kuka: تبكى.

125- انظر المثل رقم 103.

126- انظر المثل رقم 104.

127- ya ce: قال، tashi: قم، in tuimake ka: لأساعدك.

128- cire: انزع، mini:لي، kaya: الـشوكة، na fi ka:فقتــك، gudu: جَــرْى، ba ... ba: أداة نفي، yau: اليوم، aka fara: برئ.

129- انظر المثل رقم 109.

130- a sha: يُشرب،da:باء حرف جر، lafiya:العافية، talla بــائع وn: للإضــافة، koko: الثريد، Habuja: اسم مدينة في شمال نيجيريا.

131- انظر المثل رقم 112.

132- انظر المثل رقم 113.

133- انظر المثل رقم 110.

134- dA: باء حرف جر، alheri: الخير، kishiya: الضرة، ta hau: ركبت، kura: الذئب.

135- bari:دع. mu taba: لنلمس، mu: لنحس: mayya: الساحرة.ta je: ذهبت، barka: تهنئة، r: للإضافة، haihuwa: الولادة.

136- bari: دع أو هيــا، dai: كلمــة حــشو، in zauma: لأجلــس، mai: ذو، kwadayi: الشراهة، ya ga: رأى، ana soya: يشوي nama: اللحم.

137- da:لو، haka:هكذا، ake: .بمعنى يكون،a ce:يقــال، bauso لايــراد، am ba: أُعطى، matsiyaei: الفقير، dambu: طعام خليط من الدقيق والبصل واللحم المفروم، n: للإضافة، nama: اللحم.

138- da: لو، haka هكذا، akc yi: يُعمل،a ce: يقال، ba a so لا يراد، an sa: وضع، wa: لام حرف جر، majinayei: المريض. zima:العسل، a: في، magani: الدواء.

139- انظر المثل رقم 105.

لغة المجتمع(*)

للأستاذ محمود تيمور
(عضو المجمع)

لا يزال مجتمعنا الحاضر – مجتمع الناطقين باللغة العربية – يعاني من مشكلة اللغة خلافا على بعض الأصول والآساس. وأكبر ما يعانيه المجتمع من ذلك الخلاف ما يتعلق بالقياس والسماع.

منا من يقف بالقياس عند الحدود التي رسمها أئمة اللغة وفقهاؤها في العصور الأولى، كما يقف بالسماع عند ذلك العهد الغابر الذي أخذ فيه العرب الخلّص يختلطون بغيرهم من الأمم، فسرى اللحن على الألسن، واندست العجمة إلى الفصحى، وإذن فلا قياس إلا ما قاسه من قبل أولئك الأئمة والفقهاء، ولا سماع إلا ما أثر عن العرب قبل أن تفقد سلائقهم ما لها من خلوص وصفاء.

ذلك هو محور النزاع الذي ترتد إليه ألوان المجادلات والمساجلات الدائرة بين طوائف من اللغويين وجماعات من الكتاب والباحثين حول الألفاظ والعبارات.

ولو أردنا لهذا الرأي أن يسود، وتركنا لمعقباته أن تكون، فحجرنا من القياس ما حجر الأولون، وحصرنا السماع عند ذلك العهد السحيق، لشقيت بنا اللغة شقوة الأبد؛ فإن في ذلك حكما عليها بالضيق الذي ينتهي بها إلى اختناق، والجمود الذي يسلمها إلى موت محتوم.

اللغة ظاهرة من ظواهر الحياة، وقانون من قوانين المجتمع. وظواهر الحياة تتبدل وتتشكل طوعا لتصاريف الزمن، وقوانين المجتمع تتجدد وتتطور وفقا لما تقضي به ضرورات الاجتماع.

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة السابعة من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثامنة عشرة في يوم الاثنين ٢١ من يناير سنة ١٩٥٢ وقرر المؤتمر إحالته إلى لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة، ونشر بمجلة المجمع، بالجزء التاسع، ص ١٩.

وليست أقيسة اللغة إلا استنباطا مما يجري فيها من ألفاظ وصيغ. فاللغة هي الأصل، والقياس منها يتفرع؛ فهو ظلها الناشئ عنها، يمتد إذا امتدت، ويميل معها حيث تميل.

والصواب في اللغة مناطه الشيوع، فمتى ساغت الكلمة في الأفواه، فقد ظفرت بحجتها في الاعتداد بها، وأصبح لها في الحياة حق معلوم.

إن الوضع الطبيعي في كل لغة أن ينشأ اللفظ الموافق مؤديا غرضا من أغراض التعبير فيصقله الاستعمال حتى يبلغ منزلة الألفة، وعلى مر الأيام يتسع مدلوله في الأفهام أو يتقلص ويتوهج في مجال التعبير أو يعلوه الصدأ، وربما انتقل إلى مقام غير مقامه، وحل غيره محله وربما طال عليه الأمد وهو سائغ مستعذب عليه رونق الحياة، وربما قضت عليه الأقدار بأن يصير إلى إغفال وإهمال، كذلك شأن اللغات في ألفاظها وعباراتها منذ كانت: تنازع موصول بين النباهة والخمول، وتسابق دائر بين النماء والفناء.

الناس يتخذون ألفاظهم رعيا لملابسات العيش، وسدًّا لمقتضيات التعبير، واستيفاء لما يجدون في أنفسهم من ألوان المشاعر، وهيهات للفظ أن يأخذ حظه من السيرورة على الألسن إلا إذا صادف هوى في النفوس، ولاءمته استجابة عامة بين الناس في مقامات الكلام. فغلبة اللفظ في الاستعمال أسطع برهان على صلاحيته، وأقوم دليل على صدق الحاجة إليه. بل إن غلبة استعمال اللفظ وثيقة تثبت أنه خلية حية في بنية اللغة، خليقة بالتقدير والاعتبار.

لا ريب في أنه إذا كان لقوم عرف وعادة، فذلك العرف والعادة جزء من قانونهم الطبيعي ونظامهم العام وإن خلا منه القانون المسطور.

والقوانين الصحيحة في كل أمه هي القوانين التي تقتبس روحها من عرف الأمة السائد، وتستمد كيانها من عاداتها المحكمة... وكذلك شأن القانون الصحيح للغة، لا مصدر له إلا ما تزخر به اللغة المسوّدة من ألفاظ وأوضاع.

لنتدبر المثل القائل:"خطأ مشهور خير من صواب مهجور".

ما أصدق انطباقه على اللغة، لولا أنه يسمى المشهور خطأ، ويسمى المهجور صوابا.فهذه التسمية لا تصح إلا من باب التجوز والتسمح، فليت شعري: أي خطأ في لفظ شهر؟

وليت شعري: أي صواب في لفظ هجر؟ إن الكاتب بقلمه والناطق بلسانه كلاهما ينقل ما يجول بفكره إلى فكر غيره، فإن أداه إليه بلفظ يفهمه فقد نهض بمهمته مصيبا كل الصواب، وإن صاغ فكره في كلمة لا يجوز معناها إلى الأفكار، فذلك هو الخطأ الذي لا شبهة فيه لصواب.

سواء على القارئ أو السامع أن نروعه بلفظ عربي نافر لا يجد له في نفسه مدلوله الذي تبغيه منه، وأن نفجأه بلفظ أجنبي مغلق ليس بعربي الأصل؛ فاللفظان معا عند ذلك القارئ أو السامع حروف مصفوفة أو أصوات متوالية لا يمتاز بها معنى، ولا تنـزل من الأفهام مترلة الإفهام.

وسواء على القارئ أو السامع إذا فهم المعنى المقصود من لفظ مقروء أو مسموع أن يكون اللفظ في حساب اللغوي المتفقه خطأ أو غير خطأ، فحسبه من اللفظ أنه اضطلع بمهمته التي تخلق من أجلها الألفاظ، مهمة إبلاغ المعاني إلى الأذهان، وتأدية الأفكار بين الناس.

ربما كان لرجال الدين أن يقصروا حجة الإجماع في الأحكام الشرعية على زمن بخصوصه وعصر بعينه، ولكن رجال اللغة يجب أن يجعلوا حجة الإجماع في الألفاظ والعبارات شاملة لكل عصر، قائمة في كل زمان، فلسنا ندين للغة بتقديس سماوي نستوحي منه الرهبة من الكفر والمروق، وإنما اللغة من خلق أنفسنا، ومن صنع ألسنتنا، وهي جانب من حياتنا، يتجدد بنا ويتطور معنا، ويسايرنا فيما نعالج من ضرورات وملابسات.

لا تفرض اللغة على الناس في تحكم، ولا يرادون عليها بإلزام، ولكن نتبع ألفاظ اللغة من حاجات العصر، ومن واقع الشئون الاجتماعية في حياة الناس. فإذا بلغت الألفاظ عندهم مبلغ العرف الدارج، والرأي المزكي، كانت هي قانون اللغة، عليها تبنى الأصول، ومنها تتخذ القواعد، وبها تقوم الأحكام.

فلتؤمن بأن السماع حجة للغة قائمة، حتى لا نقف باللغة موقف الجمود الذي يجافي طبع الحياة، وليكن باب القياس مفتوحا على مصراعيه، حتى لا يمنع مانع من استنباط أقيسة جديدة فوق ما ورثنا من أقيسة صاغها الأقدمون.

بيد أن مجتمعنا – مجتمع الناطقين باللغة العربية – فريقان: جمهور أمي عام يستقل بلغته العامية التي تتسع الهوة بينها وبين فصيح الكلام، وجمهور مثقف خاص، وهو مستمتع - أو على الأصح: مرزوء - بلغتين اثنتين تتنازعانه فيما يلفظ من قول وما يرسل من تعبير، أعني الفصحى والعامية، أو لغة الكتابة والخطابة ولغة المشافهة والخطاب.

فإذا نحن أردنا لحجة الإجماع والسماع أن تظل قائمة لتوثيق الجديد من الألفاظ، ولباب القياس أن يظل مفتوحا لاستقبال الجديد من الصيغ، فلسنا بمستطيعين أن نعول في ذلك على جمهورنا الأمي العام، خشية أن تذوب الفصحى في محيط اللهجات العامية التي لا ضابط لها ولا نظام. ولكننا نستطيع أن نعول كل التعويل على الجمهور المثقف الخاص، ذلك الجمهور الذي تستوعب طوائفة وفئاته ضروب العلوم والفنون والآداب، والذي تعلّم الفصحى وأشرب ذوقها، وأصبح قمينا أن تكون له ملكة الانتخاب والاختيار فيما يأخذ وما يدع من الألفاظ والعبارات.

هذا الجمهور الخاص المثقف، الضارب في كل علم وفن، هو مرآة اللغة المجلوة وهو قوامها الركين، في شرايينه يجري دمها الحي، وبه تتفاوت درجاتها من النماء والازدهار. فلو أغفلنا لغة الجمهور المثقف، ووقفنا حيالها موقف التزمت والتحفظ لما رددنا تيارها الدافق، ولما أفدنا من شيء. فلهذه اللغة الغلبة والتسلط ولها الأمر آخر

الأمر. فخير لنا أن نقف منها موقف عون وملاينة وتوجيه حتى ننفي عنها – في رفق – ظواهر الجموح والانحراف، ونردها جهد المستطاع إلى ما ننشد لها من فصاحة ونقاء.

والويل للغة كل الويل إن بقيت وقفا على علماء اللغة وفقهائها، أولئك الدارسين لها في أصولها الأولى، وأوضاعها الأصيلة. لا يبيحون لها سيرا مع الزمن، وانطلاقا في ركب التطور، وتجددا مع الأيام، يحسبون بذلك أنهم يصونونها من الفساد ويحفظونها من الضعف، وليس فساد اللغة ولا ضعفها إلا أن تنحجر في مكانها، فلا تملك أن تبين عما تجيش به الحياة العقلية والاجتماعية على مد الزمن من أفكار وأحداث.

على أن ذلك الجمهور المثقف الخاص يتجلّى في هذه الفترة من حياة مجتمعنا الحاضر، معتزا بالعربية، جانحا إلى الإفصاح، عارفا عن العامي والدخيل فيما يتناقل من ألفاظ المعاني وأسماء الأشياء. وبين ظهرانينا مثل كثيرة واضحة الدلالة على أن هنالك وعيا لغويا قويا يجري تياره بين المثقفين جمعيا، ويبدو أثره في المرافق الاجتماعية على وجه عام.

وحسبي أن أشير إلى ما يقرؤه الناس في الطرقات من هذا التحذير في شأن سياقة السيارات:"**لا تستعمل آلة التنبيه**"، فالهيئة التي أرادت أن تشيع هذا التحذير لم يرقها أن تستعمل الكلمة الأجنبية المعروفة، وهي الكلاكسون **Klaxon** وكأنما تلافت هذه الهيئة أن تصدم الأعين بكلمة دخيلة، ورأت أن تستبدل بها كلمتين عربيتين تؤديان المعنى. ولعل هذه الهيئة لم تقبل كلمة "النفير" لئلا تنصرف الأذهان إلى تلك الآلة القديمة التي تبعث الصوت، وما تزال مستعملة إلى اليوم في بعض الشئون، فاختيرت "آلة التنبيه" اصطلاحا جديدا "للكلاكسون".

وأذكر في هذه المناسبة أن إدارة من إدارات التشريع أسندت إليها صياغة بعض المواد الخاصة بأحكام الطيران، صادفتها كلمة "الطاقم" للدلالة على مجموع الذين

يضطلعون بالعمل في الطائرة، فلم تقع الكلمة موقع الارتياح من رجال القانون الذين يقومون بمهمة الصياغة، فاستنصروا بعض رجال المجمع اللغوي، ليسعفوهم بكلمة عربية تقوم مقام تلك الكلمة الدخيلة؛ فظفروا منهم بكلمة ارتضوها، وأحلوها من القانون محلها، وهي كلمة " الزملة ".

ونظرة في الصحف ترينا بوادر ذلك الوعي اللغوي، ومخايل ذلك التطلع إلى التزام الفصاحة، فبينا نقرأ في صحيفة من صحفنا اليومية هذا العنوان القديم: "بورصة العقود" إذا بنا نجد صحيفة أخرى قد عافت أن تستعمل كلمة "البورصة" وأبت إلا أن تستعمل كلمة "سوق"، وربما وردت الكلمتان في صحيفة واحدة، بل لقد وردتا يوما في صفحة واحدة. وذلك برهان الصراع الفكري بين التغاضي عن الدخيل وإيثار الفصيح عليه.

ومما شهدته من أمثلة ذلك التقاتل والتراع أن فندقين متقاربين في شارع واحد من شوارع "القاهرة" يتخذ أحدهما لنفسه اسم "فندق" وأما الآخر فيتخذ لنفسه اسم "لوكاندة"، وأطرف من هذا أن إحدى الصيدليات في حي من أحياء "القاهرة" اتخذت على جبينها لوحين كبيرين، كتب على أحدهما :"أجزخانة" وكتب على الآخر "صيدلية". وليس فوق هذا دلالة على فورة التنازع بين إجراء اللفظ الدخيل الشائع، واستخدام الفصيح وإن كان لم يبلغ من الشيوع ما بلغ الدخيل.

ومنذ قليل نشرت إحدى صحفنا إعلانا لبيع نوع من أشجار الكمثرى محصن ضد "الاسكارس" ولم يرض المعلن أن يذكر هذا اللفظ الأجنبي في إعلانه، فاختار له كلمة "الدودة الثعبانية" ولست أدري أدله عليها دال من الباحثين المشتغلين بترجمة المصطلحات العلمية، أم كان ذلك منه محض اجتهاد؟ ولكنه على أية حال مظهر من الرغبة العامة في أن تحل الكلمات العربية الصريحة محل الكلمات الأجنبية.

وقد طاب لي أن أبسط هذه الأمثلة، لأنها شاملة تتصل بالجمهور العام في حياته اليومية. فأما دليل الوعي اللغوي والتروع إلى الإفصاح بين ذلك

الجمهور الخاص من طوائف المثقفين في شتى العلوم والفنون والصناعات، فما أحسبني مفتقرا إلى الإشارة إليه. وأولئك هم المؤلفون والباحثون لا يألون جهدا في ترجمة المصطلحات العلمية والفنية، ملتمسين العون بكل سبيل، إرادة السلامة من العجمة، والخلوص من الابتذال، والتعبير عن مواضعات العلوم والفنون تعبيرا عربيا لا شائبة فيه.

وأهل صناعة الكتابة هم الذين يحملون القسط الأوفر من أعباء التخالف بين لغة الجمهور العام ولغة الجمهور الخاص، ومن أثقال التنازع بين الأصيل والدخيل من الكلام. فالعالم والباحث في منحي علمه وبحثه لا يجد من الحرج في استعمال الكلمات الدارجة أو الأجنبية قدر ما يجد الكاتب في آفاق موضوعاته. فالكتابة هي فن الأدب، والأدب هو أرفع مقامات التعبير في اللغة، وهو المعرض الجميل لنقاء الألفاظ وجودة الأسلوب. والكاتب هو الخليق بأن يحرض على الترف والسمو فيما يعبر به عن الخوالج والأفكار، وما يصف به المشاهد والأحداث. فإذا عرضت له المسميات التي لا يجد لها فصيحا شائعا من الأسماء استشعر الضيق والحرج، وتعذر على قلمه أن يجري الكلمات العامية أو الدخيلة في تضاعيف بيانه؛ حتى لا تكون أشبه شيء بالنغمة الناشزة في اللحن المتساوق، فالكتاب هم أكثر الناس طموحا إلى أن يواتيهم الفصيح بما تعرض له حاجاتهم في مواقف الكتابة والتعبير. ولعلهم يضطرون إلى التعميم في مواقف التخصيص، إلى مجانبة التمييز والتعيين حين تستبد بهم الحيرة بين إجراء القلم بلفظ عامي أو أجنبي، واتخاذ لفظ فصيح ليس بمألوف أو ليس بمستساغ.

روي لي الراوي عن الأديب البليغ "الشيخ عبد العزيز البشري" - رحمة الله عليه - أنه زار "بنك مصر"، فكتب متأنقا يصف المبنى وما إليه، واجتهد أن يعبر عن أرجائه وأجزائه بألفاظ من فصح العربية، ولم يأذن لكلمة عامية أو دخيلة أن تشوب مقاله، إلا كلمة "بنك" التي أفلتت منه في عنوان المقال. فلما زار مصانع الغزل والنسج رغب إليه عشاق أدبه في أن يكتب في صفة هذه المصانع، فوعد ولم ينجز

وتمنى أن يستجيب، ولكنه لم يفعل، خشية ألا تواتيه الكلمات الفصيحة بوصف الآلات والعدد.

إن الكثرة الغالبة من ألفاظ الشئون العامة ما برحت أجنبية أو عامية. ومصداق ذلك أن نطوف بنظرنا في حجرة استقبال أو أنحاء مطهي أو في غير ذلك مما يتجلى على مسرح الأعين، فيستبين لنا أن الكاتب إذا تشهي وصف ما يرى لم يستطع أن يقع على تسميات عربية دقيقة، فإن راج له الاسم العربي الدقيق منعه من استعماله أنه نافر مهجور.

لكن الكاتب على أية حال مضطر أن يصف ما في البيت وما في السوق، وأن يتناول ما يدور من أسباب العيش، وما يستعمله الناس من الأدوات، وما يتاولونه في حياقم اليومية من شئون. ولذلك يبذل الكاتب جهده، ويعالج أمره، فيتحيل ويتوسل، ويتصاعب ويتساهل – حينا يصطنع الكلمة الفصيحة على حذر، وآنا يقبل من الكلمات العامية ما ليس منه بد، وساعة يتخذ له اصطلاحا جديدا يرشحه للاستعمال. وهو في قرارة نفسه مضطرب حيران، يحاذر ألا يدرك مأربه من الإبانة، ويخشى أن ينتقص حظه من الإفصاح.

وفي هذه المناسبة تحضرني كلمة " البيجاما " اسما لذلك الطراز المعروف من ثياب المترل. فهذه الكلمة يسوغ لفظها على ألسنة الخلق، ولكننا لا نكتبها إذا كتبناها إلا كرها، لقد ضاق بها الأستاذ "إبراهيم عبد القادر المازني" رضوان الله عليه، وذلك على الرغم من انتصاره للعامية، واستخدامه لجملة من تعبيراقما في كياسة وتلطف؛ فكان إذا أراد التعبير عن "البيجاما" في معرض بيانه، استعمل كلمة "المنامة"، ولقيت الكلمة نصيبا من القبول بين القراء، فتناقلها الكتاب.

ما أكثر أمثال هذا اللفظ الأجنبي أو العامي في لغة الناس، وما أشد ما يعانيه الكاتب من مضاضة وتردد إزاء ذلك الركام الذي يزداد على الأيام؟!

لقد زاول مجمعنا اللغوي هذه الناحية، وعالج في مطلع جهوده أن يشق هذا الطريق، وأن يقدم أسماء عربية لمسميات تتعلق بالشئون العامة، فلم يكن إلا قليلا غناؤها. على أن بعضا من هذه الأسماء كتبت له الحياة، ولكن في أفواه الساخرين، وعلى أقلام المستهزئين. إذ وهم الناس أن المجمع الرسمي يريد أن ينتزع من الجماهير العامة لغتها الجارية على الألسن، وأن يفرض عليها لغة جديدة ليس لها بها عهد. فثارت ألسنة الجماهير لما تألف، وأبت ما هو غريب غير مألوف.

ولكن مهمة المجمع تقتضيه ألا يبالي هذه الصيحات اللاهية التي تتبع كل إصلاح، وتلاحق كل تجديد، وحسب المجمع حاديا له على المضي في سبيله أنه يستجيب لتلك الروح التي تسفر عنها نزعات الجمهور المثقف إلى إيثار الكلمات الفصيحة، وإمداده بما يحتاج إليه في مجال التعبير؛ تنقية للغة من شوائب العجمة والابتذال، وتطويعا لها في سبيل الترجمة عن مظاهر الحضارة ومطالب الحياة. فليمض المجمع في دراسة ما يراه حقيقا بالاستعمال من ألفاظ وأسماء في مناحي الشئون العامة، وليعضد بجهده الجماعي المؤزر أشتات الجهود الفردية التي يقوم بها الكتاب فيما يعرض لهم من ضرورات التعبير.

ولا خلاف على أن الرأي العام المثقف هو الحكم الأول والأخير في شأن هذه الألفاظ والأسماء، فما يرتضيه منها يكتب له الشيوع والبقاء، وما لا يستيسغه منها يسحب عليه ذيل العفاء.

وإني أجمل في هذه العجالة طائفة من المسميات عرضت لي الحاجة إلى وصفها فيما أكتب، فاتخذت لها ألفاظًا بعضها قديم أردت بتسجيله أن أشيعه، وبعضها مستحدث في اشتقاقه أو في تخصيصه وتمييزه. وأقصد بعرض هذه الأسماء ومسمياتها أن تكون موضع مراجعة وتحقيق، عسى أن يخلص منها قدر صالح، وأن يكون لها من ذلك سبيل إلى مزيد من الشيوع والتسجيل.

١- فيما يتعلق بالمسرح والمذاهب الفنية الأدبيـــة والملاعـــب والرياضـــيات ونحوها، أعرض الكلمات الآتية مشفوعة بمرادفها الجديد:

(١) البنورا	Baignoire	المصورة الأولى، وجمعها المقاصير الأولى.
(٢) اللوج	Loge	المقصورة الثانية أو الثالثة، وجمعها المقاصير الثواني أو الثوالث.
(٣) فوتيل	Fauteuil	مقعد مخصوص أو أمامي.
(٤) ستال	stallc	مقعد خلفي.
(٥) سترابونتان	strapontin	مقعد جانبي، أو إضافي.
(٦) بلكون	Balcon	مقعد شرفة
(٧) أعلى التياترو	Galerie	مقعد علوي
(٨) كوميديا	Comédie	المسلاة
(٩) تراجيديا	Tragédic	المأساة
(١٠) فودفيل	Vaude ville	المهزَلة
(١١) درام	Drame	الفاجعة
(١٢) أوبرا	Opera	الملحَّنة، وجمعها الملحَّنات.
(١٣) أوبريت	Opérette	الغنائية، وجمعها الغنائيات.
(١٤) رواية تمثيلية	Piéce	تمثيلية أو مسرحية
(١٥) ريالست	Réaliste	واقعي
(١٦) كلاسيك	Classique	اتباعي
(١٧) رومانتيك	Romantique	وجدانيّ، عاطفي، رومانسي.
(١٨) سوريالي	Surréaliste	فوق الواقعي، أو ما وراء الواقع.

(١٩) الرقص الريتميك (التوقيعي) Danse rythmique الرقص الإيقاعي.

(٢٠) حلقة الرقص (بست) Piste de danse بُهْرة الرقص

(٢١) الماكياج Maquillage التخفي

(٢٢) الكرنفال Carnaval التنكر

(٢٣) الكبارية Cabaret المَسْهَر

(٢٤) بلياتشو = كلاون Clown المهرج أو الضحْكة

(٢٥) الشقلباظ = البهلوان Actobate الأُلعبان

(٢٦) الأرجوز (تركي: قرة كوز) البَهلول

(٢٧) مسرح الجينيول أو الماريونيت للأطفال **Guignol** مسرح البهاليل

(٢٨) سكي Ski الزلاَجة

(٢٩) مركبة ثلجية Traineau مزْلجة

(٣٠) باتنوار Patinoire مَزْلَج

(٣١) تلفريك Téléphérique مركبة هوائية

(٣٢) حلبة السباق Hippodrome المضمار

٢- وفيما يتصل **بالكلمات الريفية** أعرض الأنواع الآتية:

(أ) العامي الفصيح

(٣٣) الدوّار

(٣٤) المصطبة

(٣٥) الجون[١]

(٣٦) القُفّة

(٣٧) المَقطف

(٣٨) الزّكيبة } [٢]

(٣٩) النّبوت

---

(١) وجرى الكتاب على استعمال كلمة "البيدر".

(٢) نص "التاج" في مستدركه على أن هذه الكلمات مصرية.

(٤٠) جبن قَرِيش

(ب) العامي المحرف

(٤١) خبز مرحرح	خبز رحراح
(٤٢) المدود	المِذود

(ج) العامي وبديله الفصيح

(٤٣) اللبن الخض	الخُثارة
(٤٤) اللبن الزبادي	الرَّوب أو الرائب
(٤٥) مترد اللبن	القَعْب
(٤٦) البلاص أو الزلعة[1]	الجرَّة

٣- وفيما يتعلق **بالأمكنة** وما إليها أعرض الكلمات التالية:

(٤٧) ناطحات السحب	Grattc - Ciel	الشواهق (جمع شاهقة)
(٤٨) الفيللا	Villa	المغْنَى[2]
(٤٩) الأوتيل - اللوكاندة[3]	Hôtel	النُزُل
(٥٠) البالاس[4]	Palace	الفُندق
(٥١) الأوبرج[5]	Auberge	الخان
(٥٢) الصالونات الخالصة	Salon	المجالس أو الندَوات
(٥٣) البلكون	Balcon	الشُّرفة

---

(١) وعاء من الفخار يحل فيه الماء أو يحفظ فيه العسل أو السمن أو يعتق الجبن، وهو أنواع.

(٢) المغنى في اللغة: المنزل غني به أهله، ففيه لمح إلى معنى الاكتفاء والاستقلال.

(٣) ذات الدرجة العالية والوسطى.

(٤) الكبير ذو الدرجة الرفيعة.

(٥) فندق ساذج ليست له وسائل التحضر والترف.

(٥٤) التراس	Terrace	المستشرَف[١]
(٥٥) الكشك	Kiosque	الظُلة[٢]
(٥٦) تلتوار الطريق		الطَّوار
(٥٧) تلتوار القطار		الرصيف[٣]
(٥٨) المقعد الحجري أو المبنى[٤]		الصُفّة

٤- وفيما يتعلق بالملابس أعرض الكلمات الآتية:

(٥٩) البدلة		الحُلة أو البذله[٥]
(٦٠) الجاكتة	Jaquette	السترة[٦]
(٦١) البنطلون	Pantalon	السّربال
(٦٢) الصديري		الصِّدار
(٦٣) الكلسون	Caleçon	السروال
(٦٤) البيجاما	Pyjama	المنامة
(٦٥) القفطان		القباء
(٦٦) الجبة الواسعة[٧]		الطيلسان
(٦٧) الفراجية[٨]		الفروجية أو الفَرَجية[٩]

---

(١) اسم مكان من الاستشراف، وهو التطلع أو طلب الإشراف.

(٢)مكان بيع الصحف في الطرقات أو مرقبة الجندي أو استراحة المستحمين في الشواطئ ونحو ذلك.

(٣) رصف الحجارة: ضم بعضها إلى بعض، والرصيف: المحكم.

(٤) كما في الحدائق والمتنــزهات وبعض الشواطئ وبعض المحطات للاستراحة أو الانتظار.

(٥) شاعت الحلة على أقلام الكتاب.

(٦) كالمستعمل في الكلام الدارج.

(٧) مما يلبسه رجال الأديان وغيرهم.

(٨) مما يلبسه علماء الأزهر ونحوهم.

(٩) الفروج في اللغة: قباء، ولا مانع من التجوز. والفرجية وردت في معجم "بيلــو" والفرائــد الدريــة، وتخريجهــا للاستعمال الفصيح لا يتعذر.

(٦٨) ثياب الزهاد الخشنة		المسح، والجمع: مسوح
(٦٩) الشال (للرجل)		المُطْرَف أو الشال[١]
(٧٠) الكوفية		الملفعة أو الدفاع
(٧١) الحرملة		الشملة
(٧٢) ملابس الصيف النسوية		الشُفوف أو العلائل
(٧٣) الطرحة		الخمار أو الطَّرحة[٢]
(٧٤) البيشة		النّقاب أو اللثام
(٧٥) نوع من غطاء الوجه[٣]		البرقع[٤]
(٧٦) الروبابيكيا		الأسقاط

٥- **وفيما هو من أثاث البيت وما إليه، أعرض ما يأتي:**

(٧٧) سرير الطفل	Berceau	المِهَز
(٧٨) شيزلونج	Chaise-longue	الأرِيكة
(٧٩) الكنبة		المتكأ
(٨٠) دولاب الملابس		الصُّوان
(٨١) دولاب الكتب أو النقود أو الطعام		الخزانة
(٨٢) ترابيزة		النضد أو المنضدة[٥]
(٨٣) ترابيزة السفرة		المائدة أو السفرة[٦]

(١) الشال: كلمة فارسية ولا بأس بتعريبها.

(٢) الطرحة في اللغة: الطيلسان. واستعمالها في معنى الخمار عامي، ولا مانع من التحوز.

(٣)غطاء للوجه أو أكثره أسود أو أبيض ذو قصبة مذهبة أو بدونها أو ذو ودعات وخرزات تلبسه بعض النساء من البلديات والريفيات والاعرابيات وغيرهن.

(٤) كالمستعمل في الكلام الدارج.

(٥) المنضدة يحسن أن تكون بفتح الميم اسما للموضع الذي من شأنه أن تنضد فيه الأشياء.

(٦) كالمستعمل في الكلام الدارج.

(٨٤) ترابيزة التزين — التسريحة		خوان الزينة[١]
(٨٥) الكرسى الرئيس في المحافل والمجالس		التكرِمة
(٨٦) باكتة	Paquet	اللفيفة أو الرزمة
(٨٧) بريزة	Pvise	المَقْبَس
(٨٨) كوبس	Coupe-circuit	القابس
(٨٩) فاز	Vase	الزَّهرية[٢]
(٩٠) قصرية الزرع		الأصِيص
(٩١) حوض استنبات الزهور		المَزْهرة
(٩٢) المرتبة		الحشيَّة
(٩٣) المخدة		الوسادة أو المخدَّة[٣]
(٩٤) الشلتة		النُمرقة أو التُكأة
(٩٥) غطاء صوف		البطانية[٤]
(٩٦) غطاء محشو بالقطن		اللحاف[٥]
(٩٧) كوفرته	Couverture	الدِّثار

٦- وفيما يتصل **بالتزين**، أعرض الكلمات الآتية:

(٩٨) معجون الأسنان		السَّنون
(٩٩) أدوات المانيكور	Manicure	أدوات التطريف
(١٠٠) الدبوس		النَّصل أو الدبوس[٦]
(١٠١) الشعر البوكيله	Bouelé	المزرفَن[٧]

---

(١) هو في الأصل ما يوضع عليه الطعام ونحوه، ولا مانع من التجوز.

(٢) كالمستعمل في الكلام الدارج.

(٣) و (٤) و (٥) كالمستعمل في الكلام الدارج.

(٦) الدبوس في اللغة:المقمعة أو المرزبة من حديد، ولا مانع من التجوّز.

(٧) المجعول كالزرفين، وهو الحلقة.

(١٠٢) الشعر غير المضفور		الخَصيلة والخصلة، والجمع: الخصائل والخُصل
(١٠٣) الشعر المضفور		الضَفيرة، والجمع: الضفائر
(١٠٤) الشعر المجموع على الخلف		العقيصة، والجمع العقائص

٧- وفيما يتصل **بالطعام والشراب** أعرض ما يأتي:

(١٠٥) مكان الطبخ		المطهي[١]
(١٠٦) المتردوتل	Maitre d'hôtel	القهرمان[٢]
(١٠٧) الخشاف		النقيع
(١٠٨) الأشربة الساخنة	Tisane	المغْلَيات
(١٠٩) الأشربة الغازية	Gazeuse	الفوَّارات

٨- **وثمة كلمات متفرقة في نواحي شتى من المرافق والشئون**، وإني عارضها فيما يأتي:

(١١٠) لون غامق		أدكن أو قاتم
(١١١) لون فاتح أو صارخ		فاقع
(١١٢) لون غير لامع		طافئ
(١١٣) السكس أبيل	Sex-appeal	الجاذبية الشخصية
(١١٤) الأرستقراط	Aristocrate	السَّراة
(١١٥) ريبورتاج	Reportage	الاستطلاع
(١١٦) أنسكلوبيديا	Encyclopédie	الموسوعة أو دائرة المعارف، أو المَعْلَمَة[٣]

* * *

(١) الطهو: اسم جامع للانضاج، وأما الطبخ فخاص بما فيه خلط ومزج وعام في المطاعم وغيرها. وقد أوثرت كلمة الطاهي في الاستعمال العصري الحديث.

(٢) هو في الأصل أمين الدخل والخرج، ولا مانع من التجوز.

(٣) المعلمة مما أشاعه " أحمد تيمور باشا ".

لغة القصص(*)

للأستاذ محمود تيمور

(عضو المجمع)

القصة مرآة عصرها، لفظا ومعنى، شكلاً وموضوعًا، أو شكلاً ومضمونًا. كذلك كانت، كذلك تكون.

فإن لم تكن كذلك، فهي تزوير على الأدب عامة، وعلى الفن خاصة، بل هي كذلك تزوير على المجتمع الذي تتناوله، إن سلمت من أن تكون تزويرا على الإنسان بإطلاق.

والقصة العربية ينطبق عليها هذا الحكم العام، ومن ثم كانت على اختلاف أوضاعها، وتعاقب عهودها، على مدى الأزمنة، ناصعة الدلالة على المجتمع العربي، صادقة التصوير لمعالمه وسماته، في مختلف أنماطه، ومتعاقب حقبه، عصرا بعد عصر منذ زمن الجاهلية البعيد، إلى زمننا المشهود.

تطالعنا قصص "أيام العرب" وقصص "الأمثال" في أقدم نماذجها بما تتمثل فيه حياة الأمة العربية: لون معايشها وخصائص نفسياتها، وحظوظها من مظاهر البداوة والحضارة، وظواهر السلوك الاجتماعي..

وبقول مجمل: نعرف منها كيف كان أولئك العرب الأسلاف يحيون، وكيف كانوا يتعاملون، حتى لنكاد نشم من حديثهم ريح القيصوم في منابت العشب، ونسمع في وقع كلامهم خفق مناسم الإبل في رحاب البيداء.

والقصة من حيث هي عمل أدبي لون من التعبير عن الحياة والمجتمع، يحقق للذهن وللنفس وللذوق ذلك المتاع الذي يحققه الفن في متعدد ألوانه.. ولما كانت القصة تتناول مناحي الحياة ومظاهرها، وجب أن يكون لكل منحى ومظهر فيها أسلوبه الذي يلائمه، فلغة القاص وأسلوبه التعبيري يتلونان بلون موضوعه، تراه حينا روحانيا

(*) نشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الخامس والعشرين، ص٣٠.

متصوفا، أو مباسطا فكها، وتجده طورا جادّا متعمقا أو عاطفيا هيمان، فهو يلبس كل موقف لبوسه من اللفظ الموحى، والتعبير المشعر؛ تهيئة للجو الذي يريد، وطوعا للحكمة البلاغية السائرة: "لكل مقام مقال".

ولعل كاتب القصة أحوج الكتاب إلى أن يكون مجال اللغة عنده ذا سعة، ذلك بأنه لا يتحدث عن نفسه، ولا حرية له في اختيار ما يصف، ولكنه خاضع في حديثه وفي وصفه لما تملي عليه أوضاع قصته، وهو باعتباره في قصصه على قطاع وحده من قطاعات الحياة، ولا على صنف معين من أصناف الناس، مضطر أن يتهيأ لهذا العموم والشمول بإداة التعبير.. إنه يريد أن يقدم لك المشاهد والشخصيات على نحو ما هي في الكون والمجتمع، فالمشاهد تقتضيه أن يعرضها بحيث تدل على نفسها عندك دلالة دقيقة، والشخصيات تفرض عليه أن ينقل إليك سماتها وملامحها وأزياءها حتى كأنك تراها رأى العين، ثم هو بعد ذلك لا يقف عند حدود الصور المادية، ولكنه مع ذلك أمين على أن يؤدى إليك الأفكار والمعاني التي هي محتوى القصة ومضمونها، وأن يحلل لك التصورات والتطورات تحليلا نفسيا يلائم الأزمنة والأمكنة والأبطال.. وهذا كله يتطلب تعبيرا دقيقا بلغة مؤدية موحية، حتى تخرج القصة شريحة حية من شرائح الحياة، وصورة صادقة من صور المجتمع، تكتمل لها الألوان والأضواء والظلال.

والكاتب القصصي لذلك تجتمع فيه خصائص الأديب العاطفي، والكاتب الاجتماعي، والباحث النفسي، وأكاد أقول العالم والفيلسوف. وأداته اللغوية لذلك يجب أن تكون قادرة على أن تستحضر من الأسماء والمصطلحات والعبارات الخاصة بكل مشهد وموقف وحال ما يستعين به على تدبيج قصته ورسم أبطاله وتحليل نفسياتهم، ومعالجة ما تنطوي عليه من عقد وصراعات.. فلا غرو أن يرتاد كاتب القصة مناحي المعرفة على تشعبها، وأن يلم بكل ما تحوى الحياة من أشياء، حتى إذا خطرت له الفكرة، وتجسم في مخيلته موضوعها، تسنى له أن يتبين كل جزئياته بما يكشف عنها من تعبير ناصع مشع.. وكيف يتسنى لوصاف الصور والمعاني في المشاهد

والشخصيات أن ينقلها إلى فكرك، كأنه يريك إياها عيانا، إذا لم تسعفه اللغة بـالتعبير الواضح واللفظ الدال؟.

وما أحسبني بحاجة إلى الاستدراك على ذلك بأني لا أعني بسعة لغة القاص أن يكون محصوله اللغوي غزيرا، وأن تكون قدرته البيانية فائقة، بحيث يتحلى في قصته السمو في اللفظ والتأنق في التعبير؛ فإن ذلك مما تتخالف فيه الآراء، وتتباين الأذواق. وللبلاغة مفاهيم شتى بين عهد وعهد، وبين عصر وعصر، بل بين كاتب وكاتب.. وأنماط التأثير البلاغي متعددة، ورب كاتب يروعك بفصاحة لفظ، وجودة صوغ، وثان يستهويك بسلاسة وحيوية وانطلاق، وثالث يجتذبك بشفافية عبارة وطلاوة أسلوب، ورابع يستثير إعجابك بما في بيانه من المرح والفكاهة، أو الدعابة والسخرية... ولكن هؤلاء وغيرهم من حملة الأقلام على تنوع بلاغاتهم لا غنية لهم عن سعة لغوية، ينفقون منها في تكوين القصة، حين يصفون المشاهد، ويرسمون الشخصيات، وحين يوضحون ما تتضمن من أفكار ونفسيات.

ولا تثريب على الكاتب أن يحرص على مستوى رفيع من الأداء على اختلاف المستويات في موضوعات القصص، فإن هدف اللغة هو الإبانة، ولكل كاتب وجهته فيما يؤمن للإبانة عما يريد: فالمعاني لا تفرض اللغة إلى تؤدى بها، ولكن اللغة هي التي تعالج تأدية المعاني، وقد يؤدي المعنى الفلسفي العميق بتعبير عامي محض، كما يؤدى المعنى العامي المحض بأفصح عبارة وأجود أسلوب... وكل ما يطلب إلى كاتب القصة أن تكون عبارته كاشفة عن المعنى في الموقف الذي يعالجه، فإذا أراد أن يعبر عن خاطرة رجل من العامة، جاز له أن يعبر عنها باللغة التي يشاؤها، مادامت تجسم الخاطرة في ذهن القارئ على نحو ما هي في ذهن الرجل العامي، ونحن نترجم عن القصص الغربي أفكار شخصياته المختلفة عربية، لا تظهر فيها الفروق المحلية في تعبيرات تلك الشخصيات بلغتهم الأصلية، ومع ذلك فإن المعاني تتأدى إلينا كما هي في اللغة الأصلية لذلك القصص الغربي!.

والقصة في وطننا العربي الأكبر من الناحية اللغوية تعاني مشكلة من لون خاص فهناك السؤال التقليدي:

بأية لغة تكتب؟

ذلك بأن لنا في الحق لغتين:

لغة مشافهة وخطاب. ولغة كتابة وتدوين.

الأولى: لسان الحياة العامة، والأخرى أداة الإفصاح عن الثقافة والفكر.

ولقد استقر الرأي أو كاد على أن القصة المقروءة. لابد أن تكتب بالفصحى، تلك اللغة التي ترادفت عليها حقب طوال وأطوار مختلفة، حتى انتهت إلينا راسخة الأصول، رفيعة البناءِ، غنية بالألفاظ والتراكيب، فهي بهذا لغة البقاءِ والاستقرار في التعبير الأدبي لا محالة.

ولكن هناك خلافا أو شبه خلاف حول لغة الحوار في القصة المكتوبة، أعني المقروءة!

منا من يرى أن يكون الحوار بلغة العامة، أعني بلغة أبطال القصة، كما هي في حياهم الخاصة، حين تدعو إلى ذلك الضرورة، وذلك لأن القدر المحدود من الحوار في القصة لا يؤثر في هيكلها ولا في مدلولها تأثيرا يتعذر احتماله عند من ينقمون على العامية، وكذلك هو لا يقف عقبة أمام من لا يعرفون تلك اللغة العامية، أو يفقهون دلالات ألفاظها وعباراتها فقها دقيقا يكشف عن مغازيها الخفية ومراميها البعيدة... فهؤلاء يسعهم أن يتجاوزوا الكلمة أو الجملة العامية غير المفهومة في الحوار، دون أن يفقدوا من فهمهم للقصة ومساقها ما يقطع صلتهم بها في كيانها العام...

وقد ناقشتُ في بعض ما كتبت منذ سنوات خلت حجة الذين ينادون بكتابة الحوار بالعامية في القصة المكتوبة، واطمأننتُ إلى دحض حجتهم في صراحة وجلاءِ، فقلت يومئذ:"يحتج القائلون بالعدول إلى العامية في كتابة الحوار القصصي بأن ذلك يضفى على القصة صفة الواقعية".

وهذا قصور في تصور مفهوم الواقعية بمعناها الحديث!

فإن "الواقع" عند الكاتب الفني ليس مجرد نقل أصم لما هو في الخارج من مسموع ومشهود كما تسمعه الآذان وتراه العيون. بل هو في الحق الشعور بالواقع وتمثله، والتعبير عنه بمخيلة المؤلف.

وعلى ذلك فإن كاتب الحوار بالفصيح يستطيع أن يعبر عن الواقع بمفهومه الجديد تعبيرا صحيحا، وإن كان هذا التعبير في مظهره وصيغته بلغة غير اللغة الدائرة في الخارج.

إن صحة التعبير وقوته هنا آتية من نقل الجو، واستشعار الروح، واستشفاف الخصائص التي تتجلى بها حقائق المشاهد، وطبيعة الأحداث، ومعالم الشخوص.

ومن المحتجين بالتزام العامية في الحوار القصصي من ينادي بأن ذلك متبع في القصص الأجنبية.

وفي هذا القول إسراف شديد، ففي اللغات الأجنبية لا تتفاوت اللغتان: لغة الكتابة والتدوين، ولغة المشافهة والخطاب، إلا فيما قل أو ندر... أما في حياتنا العربية فالتفاوت بين اللغتين واضح ملحوظ. .. والكاتب الأجنبي على أية حال لا يعدل إلى الألفاظ الدارجة إلا حين تقتضيه ضرورة تعبيرية فنية، في حدود ضيقة، والجانب الأعظم من عمله هو من لغة الكتابة لا من لغة الحديث، وإن كانت اللغتان عند ذلك الكاتب الأجنبي متقاربتين أشد التقارب، فلا يعاني من اختلافهما ما يعاني الكاتب العربي.

وفيما يدعيه المدعون لتسويغ العامية في الحوار أن ذلك هو السبيل إلى توضيح ملامح الشخصيات؛ إذ تتكلم كل شخصية بلسانها المعبر عن حالتها.

ويكفي في رد هذه الدعوى ما أسلفنا الإشارة إليه في غير هذه النبذة من أن ما يترجم إلى العربية من الأعمال القصصية على اختلاف درجاتها يجرى حواره بالفصحى، وفي هذه الأعمال تتوالى شخصيات من فئات شتى تعبر عن خصائصها وأحوالها، وتكشف عن بواطنها، وكلها تنطق بالعربية نقلا عن لغتها الأصلية، وما يكشف عن

اختلاف هذه الشخصيات، ويصور مشاعرها وعقلياتها وأذواقها، هو أُسلوب التفكير الذي يجلوه الحوار، كيفما كانت لغته.

ليست اللغة إذن هي التي تعطينا الواقعية الصميمة، ولو كانت كذلك لما استطعنا أن نطيق مشاهدة الملحنات والغنائيات، أعني "الأبرا"، و"الأُوبريت"، ففي كل من هذين اللونين يجرى الحوار تغنيا وترنيما، وما ذلك من الواقع ولا من المألوف في الحياة، ولكننا على الرغم من ذلك نستغيسه ونستمتع به، فهو إيهام لنا بالواقع، وإن لم يكن منه في شيء.

ومما لا مرية فيه أن كاتب القصة إذا تنقل بين العامي والفصيح في عمل واحد سواءٌ في السرد أو في الحوار، فسح المجال لثغرات وفجوات فنية، يشعر بها هو والقارئ. كأنها مساقط الهواءِ التي يتعرض لها ركاب الطائرات في نواحي الجو، أو ركاب السيارات في الطرق غير المعبدة، إذ يفقد العمل مظهر التناسق والتوافق والأُلفة في التعبير، كما تفقد القطعة الموسيقية ما يطلق على هذه المعاني فيها اسم "الهارموني".

أما القصة المشهودة، أعني المسرحية، فهي في هذا الجانب عقدة العقد. إن كتب الكاتب مسرحيته بالفصحى فاتته أشياء ليس فوتها عليه باليسير، فهو يريد أبطاله على أن يتعروا من لهجاتهم ومواضعاتهم في التعبير، وأن يتواصفوا ما يتمرسون به من ألوان حديثهم بغير ما ألفوا من الألفاظ، والتراكيب. .. وحين يعرض لهم ذكر أدوات معيشتهم ومرافقهم يذكرونها، بغير مصطلحاتها الدارجة وفي هذا كله ما يفقد المسرحية عناصر ذات بال في مقومات الأداء، وفي دقة التصوير، وفي بواعث التأثير. . بل إن في هذا ما عسى أن يحيل الأبطال دمى جامدة هامدة، ولا شخوصا حية تدل على نفسها في حرارة وانطلاق.

ولا ريب في أن الذي يشاهد المسرحية ويتراءى له أبطالها، تتهيأُ نفسه لكي يتلقاهم في أزيائهم وأوضاعهم، كما هم في البيئة التي يبغي القاص أن يخلقهم فيها خلقا أتم خلق، وأن يعرفنا بهم تعريفا أصدق تعريف. .. وكما تفقد المسرحية أثرها إذا بدا

فلاحوها أو صناعها في غير أزيائهم ومناظرهم المتعارفة، تفقد المسرحية كذلك كثيرا من آثارها إذا تكلم هؤلاء أو هؤلاء بغير ما عهد النظارة فيهم من لغة أو لهجة.

ولو أن كاتبا عرض لنا حياة البدو في العصر الجاهلي مثلاً، فأخرج لنا لمة من الأعراب في أزياء أهل لبنان متحدثين بلهجتهم مثلا، لأحسسنا على الفور نفرة وغضاضة فيما نرى ونسمع... فكذلك الحال فيما يعرض الكاتب من شخصيات المجتمع التي تتحدث بالعامية أصالة، وليس من شأنها أن تتحدث بغيرها، إذا ألقمها الكاتب من ضروب التعبير ما ليس في لهجتها، ومن أسماءِ الأدوات والأشياء مالا يجري على لسانها.

وفيما وصفت به من قبل موقف الكاتب المسرحي، أني قلت:"أنه يخطر بباله أول وهلة أن روايته للتمثيل على المسرح، وأنه سيخاطب الجمهور على تباين طبقاته، فحتم عليه أن يطرق الآذان بما ألفت من لغة، ويجلو للعيون ما عرفت من مشاهد، حتى يأخذ عمله الفني سبيله إلى أعماق القلوب، لا ترده وحشة، ولا تعوقه غرابة، فإن تخللت روايته كلمات يتعذر فهمها على النظارة في الجملة، كانت الصلة بينهم وبين الممثلين غير مأمونة الانقطاع، ومتى انقطعت الصلة ذهب التأثير، وضاعت الفائدة المرجوة من الأدب المسرحي.

وإن دور التمثيل لهي في الحق مجالات للمتعة الذهنية، واللهو البريء، وإن كانت مع هذا تحمل رسالة تهذيبية في مغزاها، ومن حسن الكياسة ألا يكدر الكاتب المسرحي صفاءَ تلك المتعة، ورقة ذلك اللهو، بأن يقدم للجمهور شيئا يستغلق عليهم فهمه، وتخفى معانيه، فلمثل هذا صفحات الكتاب الماثلة لعين القارئ، يعيد من جملها ما يستعصي ويفكر في مدلولها ما شاءَ، وللمسرح منحاه في التعبير الواضح الجلي، يؤثر في رواده على اختلاف المشارب والثقافات. يضاف إلى هذا أن المسرحية عرض لحادثة مستخلصة من لب الحياة، إما عاطفية، وإما نفسية، وإما اجتماعية، ولكي يصل الكاتب إلى الإقناع والتأثير، يجب عليه أن يحرص في عرض موضوعه على السرعة في التصوير،

ولن يتم له ذلك إلا بأن ينطق الأشخاص بلغتهم التي تمثل مالهم من سمات وخصائص، فهو جدير بأن يجعل الصدارة للمعنى، حتى يصل توا إلى الأفهام؛ فعليه أن يعبر عنه من أقرب الطرق وأضمنها، أي باللغة التي تكون أكثر سدادا في بلوغ الهدف المقصود.

ورب سائل يقول: وهل تعجز القصة عن التعبير الناصع في الموضوع الذي يتناوله كاتب المسرحية؟.

والجواب أنها لا تعجز أبدا، ولكنها لغة الكتابة لا لغة الحديث، فهي بهذه الصفة لا تستطيع أن تبلغ رسالة المسرحية الشعبية المحلية إلى أشتات الطبقات التي تشهد دور التمثيل...".

بقي أمام الكاتب المسرحي أن يكتب، مسرحيته بلغة أبطاله على نحو ما ينطقون فإن عرض شخصية سوقية لبعض أهل الصناعات والحرف أنطقها بما يكشف عن شخصيتها، وألزمها ما يجري على لسان مثلها في مثل موقفها، وهنا ينفسح المجال لإبراز تلك الشخصية واضحة جلية، معبرة عن نفسيتها أصدق تعبير، وكذلك يتسع المدى لإيراد الجمل والعبارات المتعارفة التي تحمل في طواياها النوادر والنكات، وهي بطبيعتها تفقد مدلولها وكنهها إذا تغيرت لغتها ولهجتها.

إن الكاتب متى كتب المسرحية على هذا النحو، فأرضى فنه، وأرضى نفسه، ضمن للمسرحية أن تستوفي حظها من الإبانة والإفهام، ومن الإيحاءِ والتأثير، وبذلك تؤدي مهمتها أحسن أداء.

ولكن المسرحية – بعد ذلك – تفقد أمورا لها خطرها:

الأمر الأول: أن المسرحية لا تعد من أدبنا الكتابي؛ فليست هي بلغة الأدب، ولا خلاف على أن لغة الأدب هي الفصحى وحدها دون شريك، إذا أريد للأدب أن يتسم بوصف العروبة، وأن يأخذ مكانه في مجرى تاريخ الأدب العربي السابق واللاحق.

الأمر الثاني: أنها ستكون مرجوحة في ميزان النشر، أو إن شئت: في ميدان القراءَة، فإن القارئ قد ألف أن يقرأ بالعربية، وإقباله على قراءَة العامي ضعيف، بل إن

العامية لهذا ليست لها عادات أو تقاليد كتابية ورسوم إملائية، والكاتب حين يضطر إلى الكتابة بها لا يكاد يجد طريقه وهو يملي على القلم التعبيرات العامية بأوضاعها الخاصة.

وإن تجارب خمسين عاما مضت - فيما أشهد - لتدل على أن الأدب المكتوب بالعامية أقل من القليل، وأن القارئ به على مثل هذا القدر من القلة.

الأمر الثالث: أن الكاتب بالعامية لا يكتب إلا لمن حوله ممن يشاركونه في المعرفة بهذه العامية، ومعنى ذلك أنه لا يتجاوز وطنه المحدود، ولو أراد أن يشرك في أدبه هذا أوطانه الفكرية الأخرى في البلاد العربية لما استطاع، وأوشك أن أقول: لطلب المستحيل...

ولو فهم عنه النزر اليسير مما يكتب لذهب الكثير من أسرار تعبيراته. ومدلولاتها وإشاراتها، لا يتأدى إلى القارئ في تلك الأوطان على نحو ما يتأدى لقرائه في وطنه المحدود... ولقد أُتيح لي أن أستمع إلى بعض الإذاعات العربية وأن يقع في يدي بعض المكتوب باللهجات العامية، لأُدباء عرب في مختلف بلاد العروبة، ففاتني أن أتعرف من الألفاظ أو أتذوق من المعاني ما يعين على متابعة السياق وفهم المراد... فما ظنك بمن يقرأ المكتوب باللهجات العامية ممن تعلموا العربية وهم غير عرب، أولئك الذين يقرءُون لنا المكتوب بالفصحى، ويشاركوننا في التذوق والفهم والاستمتاع بل يترجمون عنا ما يطيب لهم أن يترجموه إلى لغاتهم الأجنبية، فإن استعصى عليهم فهم لفظ أو مدلول صيغة رجعوا – حيثما يكن مقامهم – إلى المعجم العربي الموحد، فسلس لهم ما استعصى و لم يتعاظمهم مطلوب.

الأمر الرابع: أن كاتب العامية أو على الأصح كتاب العاميات لا يقتصرون على أن يكتب كل واحد منهم لوطنه المحدود، بل هم كذلك يكتبون لعصرهم المشهود.. وذلك لأن اللغة العامية بطبيعتها سائبة منطلقة، سريعة الحركة، لا ضابط لها ولا نظام، فليس لها أستقرار العربية أو تطورها المنظم، شأن كل لغة مكتوبة. ولئن كانت العامية أو العاميات في عصورها الخوالي عرضة للتحول والتبدل، فإنها في هذا

العصر أشد تعرضا لمثل هذا التحول والتبدل إلى الدرجة القصوى... وذلك لأن العربية تغزو مناطقها وتطغى عليها بوسائل التعليم والنشر والإذاعة...

ونتيجة ذلك أن الكاتب بالعامية اليوم لا يأمن أن يفهم عنه ما يكتبه أولئك الذين يريدون أن يقرءوا له في المستقبل القريب أو البعيد!

وأحب أن أُشير إلى أننا في زمننا هذا لا نملك أن نفهم أو نتذوق الكثير مما خلفته العامية من تراثها الأدبي. .. ومثل ذلك ما كتبه الطبيب الأديب الفنان "ابن دانيال" صاحب "طيف الخيال" من مسرحيات بالخليط من العامية والفصحى في القرن السابع الهجري - أعني منذ سبعة قرون فقط - وفي مسرحياته تلك أدب وفن، ولكن حجبها عنا تباعد الزمن، وتطور اللغة العامية، واندثار ما فيها من دلالات موقوته للألفاظ، ومفاهيم خاصة للعبارات، بما تضمنته من نكات وإشارات. . بل حسبي أن أصرح بأن ما كتب في القرن الماضي - لا أبعد - بالعامية، من نحو ما تركه "يعقوب صنوع" و"عثمان جلال" "وعبد الله نديم" لا يتيسر علينا أن نجتلي معانيه وأن نتأثر بها كما اجتلاها وتأثر بها من شهدوا ذلك القرن، وتحدثوا بلهجته العامية، فاستمتعوا، بتلك الألوان الأدبية... و لم يباعد بيننا وبين ذلك كله موضوعات هذه الألوان ومحتواها الذهني والاجتماعي بقدر ما باعد بيننا وبينها أنها مكتوبة باللهجة العامية التي كانت لغة ذلك الزمان.

ومن عجب أننا نقرأُ الآن بالفصحى قصص "الأمثال" من العصر الجاهلي والأموي، وما في "بخلاء" الجاحظ من قصص العصر العباسي، وما في "ألف ليلة وليلة" من حكايات فصيحة اللغة، وعلى الرغم مما بيننا وبين موضوعات هذه القصص والحكايات من أبعاد شاسعة، ومن اختلاف حياتنا وعقليتنا ومجتمعنا عما تصوره أحيانا من الأوضاع والأفكار، فإننا نقبل عليها، ونأنس بها، ويتأدى إلى أذواقنا ومشاعرنا مضمونها، بفضل تلك الوساطة اللغوية الموحدة، وساطة الفصحى مع فوارق التطور

اللغوي بين الغابر والحاضر، وهذا على حين أن ما كتب بالعامية من الألوان الأدبية المماثلة أقرب إلينا زمنا، وأشبه بنا موضوعا!

وقصارى ما أقوله اليوم في لغة القصص قول جهرت به بالأمس، ذلك أنه يجب أن يوضع في الاعتبار أن القصة إذا كانت بضاعة للتسويق الوقتي العجول، فلتكتب باللغة التي تأنس بها الأهواء والأذواق على أوسع نطاق، ولكن متى أُريد لها أن تدخل الأدب المعترف به من أوسع أبوابه، وأن تأخذ مكانها بين ألوان الإنتاج الفني الباقي، فلابد أن تستكمل عنصرا جوهريا له المقام الأول بين عناصر الثقافة، ذلك هو التعبير بالفصحى فإن اللغة العربية هي لسان الثقافة القومية في كل بلد عربي وبخاصة الفنون الأدبية.

وتلك حقيقة تعمل على تأكيدها وشد أواصرها كل الأحوال والملابسات، والمستقبل المرموق يدعو إلى التفاؤل ببقاء هذه الحقيقة وازدهارها على الأيام.

بل إن النظرة إلى الماضي الطويل الذي عاشت فيه العاميات إلى جانب الفصحى في مواطن عربية شتى، تشهد في صدق وفي عمق - بحق - أنه ما من عمل أدبي كتب بالعامية على امتداد القرون الخالية، أتيح له أن يسمو إلى مرتبة الأدب الرفيع أو يظفر بمعنى من معاني الخلود!

ومع إيماني بما أُقرره في هذا الشأن، لا يفوتني أننا نستخلص أحكامنا وآراءنا من تجاربنا التي نزاولها، ومن تصفحنا لما جرى بالأمس، وملاحظتنا لما يجري اليوم. أما ما عسى أن يكون في الغد، فقد كان قولي فيه من قديم أن المستقبل كفيل بإملاءِ إرادته على العصر الجديد، وكل ما يقال في تقدير هذه الإرادة رجم بالغيب، ونشر للظنون!

* * *

لغة المسرح(*)

للأستاذ محمد توفيق دياب

(عضو المجمع)

سيداتي و سادتي:

حينما شرفني "المجمع فأسند إليّ الكلام في هذا الموضوع، عجبت من أمره وأمري، فإنه اختارني من بين أعضائه لهذا الموقف، وكان غيري أولى به. على أني لم أملك إلا الاستجابة للدعوة، ورأيت الاستعانة بزملائي من أعضاء المجمع وغيرهم، على تفهمي الموضوع والإلمام بجوانبه، فتكلمت مع الأستاذ "توفيق الحكيم"، واستمعت إلى الدكتور "محمد مندور"، وتحدثت إلى الأستاذ "عباس محمود العقاد" ثم بدأت أكتب، واسترسلت في الكتابة، جاريًا على مقتضياتها، من تمهيد المقدمات، لكي تسلم إلى نتائجها. بيد أني ألفيت ما كتبته كاد يبلغ كتابًا، فرأيت أن أطوي أوراقي، وأن أخاطبكم بحديث عادي مألوف، لا تكلف فيه.

خطر لي أن آدم لّما خلقه الله علمه الأسماء كلها، أعني علمه علم الكلام، ثم سألت نفسي أيهما أسبق، الكلام أو العمل؟ وألقي في روعي أن الفكر خلجات النفس، فلابد أن يسبق ذلك خلجة من غضب، أو لمحة من تفكير على نحو ما، لأن لكل حركة هزة من هزات الشعور، حتى إن علماء الحشرات أصبحوا يتسمعون إلى لغاتها، وأهازيجها، ويستنتجون من طنين الذباب - مثلاً - نتائج تدل على معان مختلفة. وهكذا يتحقق ما قصه القرآن من قصة النمل مع سليمان.

وننتقل إلى نقطة أخرى، هي أن الإنسان حيوان ناطق، ولكنه عند "أرسطو" حيوان مقلد أيضًا، وهو يقول: إن المحاكاة هي أصل التمثيل، وبذلك يسند التمثيل إلى مجرد الحكاية، التي تبدأ عند الأطفال، بعد أن يفطنوا إلى أشياء في حياتهم، فيحاولوا

(*) ألقيت هذه المحاضرة في الجلسة العلنية للمؤتمر، بدار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، في ٦ من يناير سنة ١٩٥٦م، ونشرت بمجلة المجمع، بالجزء الثاني عشر، ص ١٤١.

تقليدها، وكلما تقدموا مرحلة في النمو، اتخذوا من القدرة أمثلة يحتذونها، ومن ثم كانت المحاكاة أصلاً من أصول التربية، إلا أن الإغريق لما ابتدوا التمثيل، لم يقتصروا على التقليد، فاتخذوا آلهة، ورسموا لأنفسهم مُثُلاً عليا، والممثل إذا اعتلى منصة المسرح، حاول أن يعلي من قامته بأحذية ترفعه عن مستوى الناس، وبأقنعة تخفي وجهه، وملأ جسمه بحشايا تضخم من شخصه، حتى يكون على غير أمثلة البشر. ولما جاءت المسيحية في القرون الوسطى، حاول الممثلون تمثيل القديسين، فميزوهم بأشياء ترفعهم عن المستوى المألوف. فكانوا مثلاً يزينون القديس"بطرس" بأن يموهوا لحيته بماء الذهب.

إذن في الطبيعة البشرية، وفي الطوايا الإنسانية، شعاعة تسمو إلى هدف وإلى نوع من التطور، هو الذي يحث البشر إلى الأمام.والذى نراه الآن من تقدم في سبيل الحرية، ومن تحرير البلدان العربية، ومن استنارة في القارة المظلمة، ليس إلا مظهرًا من الغريزة الأصيلة، التي هي المحاكاة، ومن هذه الشعاعة التي تقود الناس إلى الأمام.

فالمؤلف المسرحي، لا يقلد ولا يحاكي، بل يحلل ويتعمق ويستبطن، وليس هو مرآة لتصوير الواقع كما هو، ولكنه مجهر يرينا مالا تريه العين المجردة من ظواهر الأشياء، وأزيد أن المجهر لا يستطيع رسم الدخائل والبواطن. فالذي يستطيع ذلك هو مجهر علوي روحي، هو البصيرة التي تمكن المؤلف المسرحي والقصصي من التحليل، ومن الوصول إلى الأعماق والأهداف.

والمؤلف المسرحي أقوى رجال الفن وأوثقهم اتصالاً بالبشرية. فمثلاً يقص علينا التاريخ أقاصيص الناس، فإذا دخل هذا التاريخ القصص باب الأدب اكتسب صيغة التشويق، وإذا اتصل بالمسرح، كان قلبًا بشريًا يلهم قلبًا بشريًا آخر ملهاة أو مأساة. فالفن المسرحي أوثق عرى، وأكمل اتصالاً بالإنسان، وهو الفن الوحيد الذي تجتمع فيه فنون كثيرة. و"شكسبير" كان العبقرية الجامعة لمختلف الفنون؛ إذ كان يؤلف ويضع المناظر ويمثل أيضًا فكما أن "أرسطو" هو العقل الأول، فكذلك كان "شكسبير" الفنان الأول.

والمأساة من شأنها أن تطهر نفوس الذين يشاهدونها؛ لأن الجريمة من شأنها أن تنهى النظارة عن مقارفتها، إذا مثلت على المسرح تمثيلاً يظهر بشاعتها. وهذه الفكرة القديمة ما هي إلا التحليل للنفس البشرية، تحليلاً يشفيها من طغيان الغرائز وعنف الشهوات.

ونحن في نظرة عابرة نستطيع أن نقول: إن الكلاسيكية ليست إلا تحليلاً للشخصية البشرية، وغرائزها وشهواتها، وقد انحدرت إلينا من الإغريق، حتى وصلت إلى الرومانتيكية، التي هي تحليل أفراد الناس في حياتهم الواقعية أي الذاتية. ثم تطور المسرح بعد ذلك، فشمل المجتمع والطوائف، كما شمل السياسة والاقتصاد، واهتم بالشعب في مجموعه، بعد أن كان مقصورًا على الأمراء والملوك، وكذلك تناول الفلسفة وما وراء الطبيعة، كما يرى ذلك عند "أبسن" و"برناردشو"، اللذين أخرجا المسرح إلى معالجة الحياة ومناقشتها، في شيء من التروح، حتى أصبح المسرح أشبه شيء بمدرسة.

هذه كلمة خاطفة عن المسرح، ننتقل منها إلى موضوعنا وهو "لغة المسرح"، لاشك أن العامية هي السائدة بيننا الآن، ولكن المسرح المصري في العهود الماضية، كان عربي اللغة مسجوعًا في أغلب الأحيان. وقد شهدنا الشيخ "سلامة حجازي" وشهدنا بعده "جورج أبيض" وغيرهما يمثلون المأساة بالفصحى، وكان الناس يستمتعون ويتفهمون. ثم زال هذه العهد وجاء العهد العصري، عهد "يوسف وهبي" وغيره، فكانوا في كثير من الأوقات يلتزمون العربية إلى درجة ما. وتبع ذلك عهدنا الحاضر، حيث طغى"الفلم"، وفشت العامية فيه، وانطوى المسرح إلا قليلاً.

وعلة طغيان العامية في " الفلم " أنها سهلة، لا تتطلب نحوًا ولا صرفًا ولا بيانًا، ولا صورًا شاعرية، ولا ألوانًا من بلاغة المجاز والتشبيه، وما إليه، وكثر "القلم" طوعًا لكثرة الطلب،لأن الرواد يطلبون اللهو والتسلية من أيسر طريق. وهناك سبب آخر لتكاثر "الفلم"، وذلك لأنه رخيص وغال، فهو رخيص للجمهور يرتادونه بأقل كلفة، وهو غال عند الممثلين؛ لأنه يوفر لهم ربحًا جزيلاً.

أما المسرح فقد تعطل أو كاد، لأنه أكثر كلفة وأوفر جهدًا، وهو عند الجمهور أغلى وأقل يسرًا.

والمؤسف في "الفلم" أنه لا فن فيه، وهو يقوم على وسائل التشويق المفتعلة، والتدني إلى الأساليب الرخيصة، وطغيان العامية فيه يمنعه من أن يكون فنًّا شاملاً للبلاد العربية. وقد علمت أن الأستاذ "زكي طليمات"، لما هاجر إلى تونس لمزاولة التمثيل، كان يدرس اللهجة التونسية، لكي يفهم هو ويفهم غيره. ولو رحل سواه إلى غير تونس من البلدان العربية، لاضطر إلى أن يسلك هذا المسلك، وفي ذلك تمزيق لأوصال العربية وتنمية اللهجات على حساب الفصحى.

فماذا ينقذنا من هذه المشكلة؟ لا علاج لها إلا تعبئة روحية، نستنهض بها هممنا وهمم الذين يؤلفون للمسرح. فيجب أن تتحول أنظار الجميع، وقلوب الجميع، إلى إحياء الفصحى وتعميمها. وإذا كان من حق العلماء أن يستأثروا بمصطلحاتهم، فإن من حق الأدباء أن ينهضوا بلغتهم الأدبية. والوسائل لذلك كثيرة، فعندنا مئات الألوف من التلاميذ في التعليم الابتدائي والثانوي، وعندنا عشرات الألوف من طلاب الجامعات وخريجيها، وعندنا الإذاعة اللاسلكية وعندنا الصحف والكتب، وهذه جميعًا تمثل نهضة كبرى في البلاد العربية، ويجب أن تجعل جامعتها الكبرى هي "اللغة العربية".

وفي "مصر" لهجات مختلفة، في الصعيد، وفي شتى الأقاليم، وإني متفائل بأنه لن تمضي ثلاثون سنة أو أربعون، حتى تطغى فيها العربية على العامية، وتصبح العامية أثرًا بعد عين.

وعلى هذا فنحن نستطيع جميعًا أن نحاول كل في دائرته، على قدر استطاعته، أن **نجعل العربية لغتنا القومية الشاملة، لغة الثقافة ولغة المسرح،على شرط أن تكون سهلة ميسورة**، تهبط أو ترتفع على قدر جدية الموضوع وعراقته، بحيث تلائم مقتضيات الكلام.

وأحب أن أشير إلى المسرحيات الشعرية، التي يرى الدكتور "طه حسين" أنها غير مستساغة الآن. وأنا أخالفه في هذا الرأي، ما دام الناس يقبلون على المسرحيات

الشعرية ويستسيغونها. وقد كان "جوته" و"شيلي" و"شكسبير" شـعراء، والهتافـات الشعرية ما برحت تتطلبها الوجدانات.

ولنفرض أن المسرحية الشعرية إحاصة من النثر أو تفاحة غالية نستبدلها بالبرتقال أحيانًا، وما الشعر إلا نور روحي وصورة من الحياة تطلب لذاتها، وهو جمال في التعبير والتصوير، وحسبنا منه مجرد التلذذ. وقد استمتع الناس بما كتبه "شوقي" و"عزيز أباظة" من شعر مسرحي أحيا هذا الفن.

وأخيرًا فإني أنادي بأن اللغة الفصحى يجب أن تكون لغة الحياة مع الزمان، حتى لا تمزقنا فرقة اللهجات، ومثل من يكتب بالعامية، كمثل من يصب نفائسه في إناء من الورق مصيره إلى البلى؛ لأن العامية إلى الفناء، والفصحى للبقاء.

* * *

لغة المسرح
بين العامية والفصحى(*)

للدكتور شوقي ضيف
(عضو المجمع)

كثيرون يظنون أنه لم يكن لمصر عهد بالمسرح وتمثيلياته، قبل محاكاتها للمسرح الأوربي، في النصف الثاني من القرن الماضي، وهو ظن مخطئ، إذ كان لديها من قديم مسرح خيال الظل، وهو مسرح دمًى مُتَحرِّكة متكلمة. وعرف العرب هذا المسرح في مطالع القرن الثالث الهجري، إذ نجد فنَّانًا خَيَاليًّا يتوعد الشاعر الهَجَّاء دعبلاً، إن هو هجا أباه أن يتخذ أمه في الخيال سخرية يُضْحك عليها الناس.

وشاع الخيال في العالم العربي، وعنيت به مصر زمن الدولة الفاطمية، إذ كانت تكثر من الاحتفالات في الأعياد الإسلامية، والمسيحية والمصرية القديمة، ويقول المقريزي: "كان الناس يطوفون في تلك الأعياد بالخيال والتماثيل والسماجات". والتماثيل، هي دُمَى خيال الظل وأشباحه، والسماجات: شخوص كانوا يتراءون في صور منكرة مضحكة. ويقال: إن صلاح الدين الأيوبي، الذي كان في شُغُل دائمًا بحرب الصليبين، اختلس من أيامه التي كان يقضيها في القاهرة بعض الوقت ليشاهد مسرح خيال الظل، وأعجب بما رآه عليه من تمثيل ودُمًى متحاورة. ويَرْقى "ابن دانيال" أكبرُ الخياليين في عصر المماليك بتمثيليات خيال الظل رقيًّا بعيدًا؛ إذ أَلَّف له - كما ذكرنا في كتابنا : "الفكاهة في مصر" - ثلاث تمثيليات بديعة، أولاها وأهمها تمثيلية "**طيف الخيال**" وهي ملهاة هزلية تصور جوانب من الحياة الاجتماعية في عهد الظاهر بيبرس، ونرى طيف الخيال في فواتحها يعْرِضُ أمر بيبرس، المشهور بتحريم الغوايات، وتشديده في أعقاب أصحاب الحانات، ويتصور أن إبليس مات، وانتهت غواياته،

(*) أُلقي البحث بالجلسة الخامسة من مؤتمر الدورة السادسة والأربعين، يوم السبت ٢٢ من مارس سنة ١٩٨٠م، ونشر البحث بمجلة المجمع، بالجزء الخامس والأربعين، ص ٥١.

ويرثيه رثاءً هزليًا مضحكًا، واصفًا كيف كُسِّرَتْ أواني الخمر ودنانه، والخمَّارون يتباكون بدموع غزيرة. وتبدأ مشاهد الملهاة، وهي تدور حول مشكلة الخاطبة في العصور الماضية، وما كان يحدث عن طريقها من أغلاط في حقائق العروسين، فالعريس يدَّعي أنه أمير من أمراء الموصل، وحقيقته: أنه بائس فقير، والعروس شمطاء قبيحة منتهى القبح، وتحدث في أثناء الزفاف مفارقات مضحكة كثيرة، يتخلَّلها إنشادُ الشعر والغناءُ والرقص. وشخوص الملهاة في غاية الوضوح، ويطرد فيها تسلسل منطقي محكم، وبيئتها المصرية مصورة تصويرًا دقيقًا، سواء في أحداثها السياسية، أو في علاقات الرجال بالنساء والشعب بحكامه.

وتمثيليةُ "ابن دانيال" الثانية بعنوان **"عجيب وغريب"** وهي تصور سوقاً مصرية، يدخلها واحد بعد واحد، وكل منهم يتحدث فنضحك، إذ يمثل في حديثه، وعلى لسانه حرفته التي يحترفها، أو حاليته التي ينتسب إليها، والتي هبطت القاهرة حديثًا.ونراهم وقد جمدت ألسنتهم عند صور معينة من الكلام.

والتمثيلية الثالثة بعنوان :**"المتيم"**، وهي خاصة بالحب وحيل المحبين، وفيها مشاهد مضحكة من عراك الديكة ونطاح الكباش والثيران.

ومن يقرأ هذه التمثيليات يلاحظ توًّا أن "ابن دانيال" مع محافظته على السجع فيها والشعر، اقترب قربًا شديدًا من لغة زمنه اليومية، **فأحيانًا يسكّنُ أواخر الكلمات غير ملتزم لعلامات الإعراب فيها**، وأحيانًا **يستخدم كلمات عامية**. وكأنه أحسَّ بقوة أنه ينبغي أن يعرض على أفراد الشعب تمثيلياته بلغة قريبة من لغة التخاطب اليومية، التي تجرى على ألسنتهم، والتي تعودها آذانهم وأسماعهم، وظاهرة ثانية تلاحظُ على مسرح خيال الظل، هي ما يصحب الحوار فيه أحيانًا من إنشاد الشعر والموسيقى والغناء، وكأن ابن دانيال تنبَّه - وتبعه الخياليون ينبهون - إلى أن الشعب المصري يَسْتهويه الطرب والغناء، ففسحوا لهما في تمثيلياتهم، حتى يشبعوا هذا الجانب عنده.

وبجانب هذا المسرح الكبير: مسرح خيال الظل عرفت مصر مسرحًا صغير للدمى، كان إلى زمن قريب يتَنَقَّل بين أحياء القاهرة الشعبية، هو **"مسرح الأراجوز"**،

ويقال: إنه جاء من تركيا، وهو فيها يسمى "**قراقوز**": أى العين السوداء؛ لأن كثرة من كانوا يعرضون على الجماهير هناك كانوا من الغجر الجوالين. وأكبر ظني أن كلمة "**أراجوز**" إنما هى تحريف، مع تطور الزمن لاسم "**قراقوش**" الذى فوَّض له صلاح الدين بناء قلعة الجبل، وكان فيه غفلة وحمق، فعرضه "ابن مَّاتي" في كتابه: "**الفاشوش في حكم قراقوش**" بل عكسه في مرايا محدبة تصور كثيرًا من فكاهاته ونوادره، واستغله أصحاب خيال الظل في مسرحهم الصغير للدمى، وظل حيًّا في مصر، حتى نقله السلطان سليم مع خيال الظل إلى تركيا. وحُرِّف اسم قراقوش، إلى قراقوز، وعاد إلينا باسم أراجوز.

وكانت تُستْخَدم العاميةُ دائمًا في كل ما يمثّل عليه، وابن مماتي هو الذي أعده من قديم لذلك، فإن نوادره القراقوشية التي صاغها في كتابه "الفاشوش" مكتوبة باللغة العامية لزمنه.

وتمضي مصر بهذا التراث التمثيلي الذي تسوده - أو تشيع فيه - العامية حتى النصف الثاني من القرن الماضي، ويُدْخل إليها "يعقوب صنُّوع" لعهد الخديوي إسماعيل المسرح الغربيِّ، متخذًا قاعة الأزبكية مكاناً لفرقته المسرحية، ويأنس المصريون إلى فرقته وما مثلت من مسرحياته الهزلية الاجتماعية، وكانت بالعامية، وكان يضمنها أغاني شعبية، وكأنه أراد أن تكون نقلة طبيعية للجمهور المصري، من مسرح خيال الظل إلى المسرح الغربي الحديث. ويؤكد هذه الرغبة وتلك الصلة عنده أنه قدَّم على مسرحه أحيانًا عروضًا لخيال الظل، بأغانيه ولغته العامية.

وكأن تراث مصر التمثيلي لخيال الظل والأراجوز، أعدَّها لقبول المسرح الغربي. ويدل على ذلك أوضح الدلالة أن بعض اللبنانيين والسوريين، ممن عرفوا المسرح الأوربي وتمثيلياته، حين رأوا أن يحتذوا على مثاله مسارح عربية في وطنيهما: لبنان وسوريا، مُنوا بإخفاق ذريع.

وكان "مارون نقاش" اللبناني أول من نهض بهذه المحاولة في منتصف القرن الماضي، فألف ثلاث مسرحيات استلهم فيها موليير، واتخذ لتمثيلها مسرحًا ملاصقًا لبيئته في بيروت، ولكن مواطنيه أعرضوا عنه، فأخفقت محاولته. ويحاول في سوريا نفس

المحاولة "أبو خليل القباني"، فيتخذ في دمشق مسرحًا يؤلف له طائفة من المسرحيات الغنائية، وتنشب ضد مسرحه معارضة شديدة، فيضطر إلى إغلاقه، ويهاجر إلى مصر في سنة (١٨٨٤م)، ويقيم له مسرحًا بها، أخذ يقدم عليه مسرحيات غنائية، وجميعها تطبع بطوابع الركاكة والعامية. وراج هذا المسرح الغنائي عند المصريين وواكبوا عليه عند مؤسسة القباني، ثم عند خليفته "إسكندر فرح"، ومن خلاله ظفرت مصر برائد فن الأوبرا والأوبريت فيها: الشيخ "سلامة حجازي". وشغف المصريون به، وبفرقته التي ظلت ناشطة حتى سنة (١٩١٤م)،وخلفه منذ سنة (١٩١٧م) على هذا المسرح الغنائي الشيخ سيد درويش.

ويعود "جورج أبيض" من بعثة مسرحية في مطلع العقد الثاني من القرن الحاضر، ويؤلف فرقة مسرحية، ويقدم لها ترجمات دقيقة لمآس يونانية وغربية حديثة، غير أن الجمهور أعرض عنها وعن مسرحه الحاد، إذ كان مولعًا حينئذ بمسرح الشيخ "سلامة حجازي" الغنائي. ونلتقي في سنة (١٩١٣م) بفرح أنطون، ومسرحيته الاجتماعية : "**مصر الجديدة ومصر القديمة**" وسنخصها بكلمة عما قليل.

ويدور العام فينشر مسرحيته التاريخية :" **السلطان صلاح الدين** " المكتوبة بفصحى مبسطة. ولايلبث "إبراهيم رمزي" أن ينشر في سنة (١٩١٥م) مسرحيته التاريخية "**أبطال المنصورة**" المكتوبة بفصحى رصينة، ويكتب في نفس العام مسرحيته الاجتماعية الشعبية: "**دخول الحمام مش زي خروجه** ". وسرعان ما نلتقي بمحمد تيمور ومسرحياته الاجتماعية المكتوبة بالعامية. وتغرق المسارح في العقد الثالث من هذا القرن في ملاه ومهازل فكاهية، على نحو ما هو معروف عن مسرحي "نجيب الريحاني"، و"علي الكسار"، كما تغرق في الميلودراما وكوارثها المفجعة الصارخة، **وتعم في ذلك كله العامية.** وما نكاد نمضي في سنة (١٩٢٧م) حتى ينشر شوقي مسرحيته الشعرية "**مصرع كليوباترا**" وتلاها بمسرحيتين شعريتين وطنيتين مثلها،هما:"**على بك الكبير**"، و"**قمبيز**" وبمسرحيتين شعريتين عربيتين، هما: "**مجنون ليلى**"، و"**عنترة**" وأضاف إلى تلك المآسي الخمس ملهاة شعرية هي:"الست هدى".

وبذلك وضع أساس المسرح الشعري الفصيح، وأقام أركانه وعمده، ورفع بناءه سامقًا.

وكان ذلك عملاً باهرًا، لا من حيث إن شوقي صاغ هذا الفن المسرحي الشعري في الفصحى لأول مرة فحسب، بل أيضًا لأنه قاوم به تيار العامية الذي كان قد طغى على المسرح المصري وفتن به الشباب، فجاهد ضده بقوة، واستطاع أن يصرفهم عنه إلى حين، إذ راعتهم مآسيه حين مثلت، وكذلك ملهاته روعة بالغة. ومع ذلك انعقد غبار نقدي كثيف حول مآسيه، وعُقدت له محاكمات شتى على أساس مخالفاته لصيغة المسرح الكلاسيكي الفرنسي في قواعد المأساة، إذ أدخل على مآسيه عناصر فكاهية. وأكبر الظن أن الذي جعله يندفع إلى ذاك نجاح مسرحي الريحاني والكسار حينئذ، وإكباب الجمهور المصري على هزلياتهما الفكاهية، فرأى أن يدخل على مآسيه شيئًا من الفكاهة، حتى يرضي ميول هذا الجمهور، ويجذبه إلى مسرحه. وأيضًا فإنه خالف صيغة المسرح الكلاسيكي الفرنسي في قواعد المأساة، إذ أدخل على مآسيه تيارًا من القطع والأشعار الغنائية الملحنة، وإنما دفعه إلى ذلك ما رآه في الجمهور المصري من شغف شديد بالمسرح الغنائي، وانصرافه عن المسارح الحادة مثل مسرح جورج أبيض كما أسلفنا، فرأى أن يدخل هذا التيار على مآسيه استرضاءً واجتذابًا للجمهور. وفعلاً ظفرت مآسيه حين مثلت بنجاح منقطع النظير كما ذكرنا. وكل ذلك وما يماثله قصد إليه شوقي عامداً في مسرحه، حتى يحدث للمسرح المصري العربي صيغة جديدة في المآسي، صيغة تميزه. وبدلاً من الإشادة بمقصده وبالصيغة الجديدة التي أقترحها للمأساة في المسرح المصري العربي، أخذ النقد العنيف يُكال له كيلاً. ومما يدل على نجاح مسرحه ومآسيه متابعة الأستاذ "عزيز أباظة" له في التوفر على المسرح الشعري الفصيح، وإخراجه كثيرًا من المآسي التي مثلت، وأعجب بها الجمهور، مثل **"قيس ولبنى"** و**"الناصر"** **"وشهريار"** وتلاه الأستاذ علي أحمد باكثير يخرج مسرحيات شعرية **تاريخية وإسلامية** متنوعة.

ويلبي شوقي نداء ربه سنة (١٩٣٢م) ويلمع في النثر المسرحي الفصيح اسم الأستاذ "توفيق الحكيم"، وكان قد وعى المسرح الفرنسي الغربي وعيًا عميقًا، فحاول صنع مسرحيات نثرية فصيحة على غرار مسرحياته، مع بث الروح الشرقية فيما ينشئ من مسرحيات. ولم يلبث أن أنشأ في سنة (١٩٣٤م) أولى مسرحياته: "**أهل الكهف**" مقيمًا الصراع فيها بين الإنسان والزمان، وتلاها بمسرحية "**شهرزاد**" مقيمًا الصراع فيها بين الإنسان والمكان. وتتوالى له مسرحيات يستوحيها من موضوعات دينية، ومن أساطير إغريقية وغير إغريقية.

ويذهب كثير من النقاد إلى أن مسرحه تجريدي، مما يجعل مسرحياته صالحة للقراءة أكثر من صلاحيتها للتمثيل. وجعله هذا النقد يضيف إلى مسرحياته الذهنية مسرحيات وطنية، ومضى يتوسع في المسرحيات الاجتماعية، وأخذ هذا الاتجاه يعمق عنده بعد الثورة. ومن أهم ما يميزه أنه غزير الإنتاج المسرحي، وأنه لا يكاد يترك في المسرح الحديث باب إلا ويفتحه على مصاريعه، من ذلك فتحه لباب مسرح العبث أو اللامعقول، وتأليفه فيه مسرحيته: "**ياطالع الشجرة** ". وله في مسرحياته أسلوب عربي مبين غاية الإبانة، شفاف غاية الشفافية، أسلوب سلس متدفق عذب.

ويعني الأستاذ "محمود تيمور" بالإنتاج المسرحي، وينشر فيه مسرحيات قصيرة وأخرى طويلة يستمدها من التاريخ القومي العربي، مستخدمًا فيها الفصحى، وله مسرحية اجتماعية، هي :"**المخبأ رقم ١٣**" وقد كتبها في نسختين، إحداهما بالفصحى والثانية بالعامية. ومرجع ذلك عنده، ما صرح به في كتابه " دراسات في القصة والمسرحية " من أن الفصحى إنما ينبغي أن تكون لغة المسرحية المترجمة والتاريخية. أما المسرحية الاجتماعية فينبغي أن تكتب بالعامية؛ لأنها لغة الكلام اليومية، المهيمنة التي تستعذبها الآذان، والتي تستقر في أعماق النفوس والأفئدة.

وتحدث نهضة مسرحية كبيرة بعد الثورة، بما أنشئ من أكاديمية للفنون ومعهد عال للفنون المسرحية، وبما أقيم من مسارح متعددة، وكوِّن من فرق مسرحية متنوعة.

وسرعان ما ظهر أفذاذ في المسرح الشعري الفصيح وفي المسرح النثـري. ونلتقـي في المسرح الأول بالأستاذ "عبد الرحمن الشرقاوي" ومسرحياته الشعرية من مثل:"**مأسـاة جميلة المناضلة الجزائرية**"، و"**الفتى مهران**"، و"**الحسين شهيدًا**"، واختـار لمسرحياته الشعر الحر حتى يتيح لها - في رأيه - شعرًا دراميًّا متكاملاً. وتـلاه في نفـس الاتجـاه المسرحي والشعر الدرامي الحر الأستاذ "صلاح عبد الصبور" في مسرحياته، من مثـل: "**مأساة الحلاج**"، و"**مسافر ليل**"، و"**ليلى والمجنون**"، و"**الأميرة تنتظر**".

ونلتقي بكثيرين من كتاب المسرح النثري، وقليل منهم من يؤثر الفـصحى في كتابة مسرحياته، مثل الأستاذ "فتحي رضوان"، في مسرحيته "**دموع إبلـيس**" الـتي نشرها سنة (١٩٥٦م)، وله وراءها مسرحيات مختلفة. ويلقانا الأستاذ "ألفريد فـرج" ويعني بفصحى مبسطة في كتابة مسرحياته التاريخية مثل "**سليمان الحلبي**".

وتكثر العامية في المسرحيات الاجتماعية الواقعية، وكأنما تـصرُّ الكثـرة مـن أصحاب هذا الاتجاه على أن تكون العامية أداة التعبير وحدها في مسرحياتهم، ونـذكر منهم الأستاذ "نعمان عاشور"، وهو غزير الإنتاج، وله مـسرحيات كـثيرة، منـها "**المغماطيس**" و"**الناس اللي تحت**" و"**الناس اللي فوق**" و"**سـيما أونطـة**" و"**عيلـة الدوغري**" ونلتقي بالدكتور "يوسف إدريس" ومحاولته إيجاد مسرح مصري أصـيل: مسرح له صيغته، وطبيعته المستقلة عن طبيعة المسرح الغربي، وعرض نموذجاً لما يقـدِّم من مسرحيات في هذا المسرح هو "**مسرحية الفرافير**"، استمدها من التمثيل الريفـي الشعبي ملغيًا فيها الحائط الوهمي بين منصة المسرح ومقاعد الصالة، أو بعبارة أخرى بين الممثلين والمتفرجين.

ويلقانا الأستاذ "لطفي الخولي" ومسرحياته، من مثل: "**قهوة الملوك**" والقضية، ويريد بها قضية التغير الاجتماعي الاشتراكي، وللدكتور رشاد رشدي إنتاج مـسرحي كثير، وهو متعدد الاتجاهات المسرحية، وقد استغل الفن الشعبي القديم: فن خيال الظل في مسرحيته "**اتفرج يا سلام**"، وهي تحكي قصة تاجر وما لقيه من ظلم وهوان على يد حاكم ورجاله.

وللأستاذ "سعد الدين وهبة" كـثير مـن المـسرحيات، مثـل "**السبنـسة**" و"**المحروسة**" و"**سكة السلامة**" و"**المسامير**" و"**كوبري الناموس**" وللأستاذ ميخائيـل رومان مسرحيات متعددة مثل "**الدخان**" و"**العرضحالجى**" و"**الوافد**".

ولن نستطيع أن نمضي في استقصاء كتابنا المسرحيين الناهين الـذين يـؤثرون العامية في كتابة مسرحياقم؛ لأهم أكثر من أن نستقصيهم في برهة زمنية قصيرة، وإنما أردنا بمن ذكرنا منهم أن ندل على هذا المدِّ، أو السيل العـامي في المـسرح المـصري المعاصر.

ولعل فيما أسلفت ما يصور في إجمال تاريخيٍّ **قضية استخدام العامية والفصحى في لغة المسرح منذ نشأته إلى اليوم**، وكيف أنه بدأ عاميًّا أو يكاد، وظل على ذلـك عشرات السنين، سواء فيما وُضع له من مسرحيات غنائية، أو فيما تُرْجم له أو عُرِّب أو مُصِّر، حتى إذا كنا في القرن الحاضر عُني بعض الكتاب الناهين بكتابة مـسرحيات نثرية جيدة، تتخذ الفصحى أداة لها في التعبير على نحو ما ذكرنا عـن فـرح أنطـون وإبراهيم رمزي في مسرحيتهما: "**السلطان صلاح الدين**"، و"**أبطال المنصورة**". وعُني كل منهما بتأليف مسرحية اجتماعية وفكَّرا في لغتها هل تكون فصيحة أو عامية ؟ أما "إبراهيم رمزي"، فاختار لمسرحيته :"**دخول الحمام مش زي خروجه**" اللغة العاميـة الشعبية، وأما "فرح أنطون" ففكَّر طويلاً في لغة مسرحيته: "**مصر الجديـدة ومـصر القديمة**" وانتهى إلى أن يجمع فيها بين الفصحى والعامية، فجعل الفصحى لـشخوص الطبقة العليا والعامية لشخوص الطبقة الدنيا. **واقترح لغة ثالثة للسيدات في المسرحية، سماها فصحى مخففة**، وكتب في صدر المسرحية بياناً، أوضح فيه موقفه من هذه القضية اللغوية في المسرحية، والحل الذي خلص إليه يقول: " إنما مجلس التمثيل (المسرح) مجلس أناس يقلدون غيرهم، فإذا كانت الروايات معربة صح جعل اللغة العربية الفصحى لغة لها، بحسبان أن الرواية حكاية حال قوم لغتهم أعجمية، ولنا حق اختيار اللغة التي نجعلها قالبًا لتلك الحكاية، ولكن إذا كانت الرواية تأليفًا وإنشاء وموضوعها شئون من لغتهم

العامية، وجعلنا لغة هذه الروايات اللغة العربية الفصحى صرفًا، خرجنا عن الطبيعة التي ما أنشئت الروايات التمثيلية إلا لتقليدها، وخالفنا الواقع في شكله وصورته، وفي هذا هدم لأصل من أصول التمثيل الأساسية، وكيف يستطاع مثلاً جعل "خريستو" في (مسرحية) **"مصر الجديدة"** ينطق باللغة الفصحى، وهو أعجمي؟ وما يكون رأى مشاهدي هذه الرواية، إذا سمعوا فيها نساء قهوة الرقص، وباعة الصحف، والخادمين، والبرابرة، والسكارى المترنِّحين، بل والسيدات في خدورهنَّ ينطقون باللغة الفصحى؟ ثم نرى من وجه آخر أننا إذا جعلنا تأليف الروايات التمثيلية الاجتماعية باللغة العامية، حرصًا على تقليد الطبيعة كل التقليد، كما هي وظيفة مجالس التمثيل (المسارح) وقعنا فيما هو أشد وأنكى، وقعنا في إحياء العامية وإضعاف الفصحى، وهذا أمر يأباه كل من ذاق لذة هذه اللغة الجميلة التي جرى حبها منا مجرى الدم في المفاصل، وما كنت لأرضى بأن يكون الشروع في أمر كهذا الأمر على يدي. هذا هو المشكل الذي وقعت فيه في تأليف (مسرحية) مصر الجديدة، وسيقع فيه بعدي كل من يتصدى لتأليف الروايات التمثيلية الاجتماعية باللغة العربية.

ثم يذكر "فرح أنطون" الحلَّ الذي ارتضاه لهذا المشكل، وهو أن يجعل شخوص الطبقة العليا في المسرحية، كما قلنا، يتكلمون العامية، وجعل للسيدات في المسرحية لغة ثالثة بين الفصحى والعامية سماها الفصحى المخففة. وبذلك أحال "فرح أنطون" مسرحيته إلى رقع لغوية: رقعة فصحى ورقعة عامية، ورقعة بين بين تتوسطهما. وذكر آنفًا أنه إنما أدخل العامية واللغة الثالثة على لسان الشخوص، ليمثل الطبيعة في المجتمع والواقع. وفاته ما قاله عن إيثار الفصحى للمسرحيات المترجمة، وأن الغرض من التمثيل حكاية حال قوم، وأن من الخير أن تؤدَّى الحكاية في تلك المسرحيات المترجمة باللغة الفصحى المحبوبة كما يقول.

وهذا نفسه ينطبق على المسرحيات الاجتماعية ما دام الغرض من التمثيل دائمًا حكاية حال الناس في المجتمع لا حكاية لسانهم، ومن المؤكد أن الطبقة العليا في أيامه كانت مثل الطبقة الدنيا تتكلم العامية، فكان ينبغي أن يعمم، إما أن يختار ما قاله في

المسرحيات المترجمة أنها تمثيل حال لا تمثيل لسان، ويطبّق ذلك على الطبقة الدنيا كما طبّقه على الطبقة العليا، فيجعلها تتحاور مثلها بالفصحى، وإما أن يختار ما قاله عن المسرحيات الاجتماعية، من أنها تمثيل للطبيعة والواقع، ويطبق ذلك على الطبقة العليا كما طبقه على الطبقة الدنيا، فيجعلها تتحاور بالعامية. وكان ينبغي أن لا يفرد للسيدات حينئذ لغة ثالثة خاصة، لأنهن كن يتحدثن العامية مثل الطبقتين الأخريين. وكل ذلك معناه أن تجربة "فرح أنطون" اللغوية في مسرحيته: "مصر الجديدة ومصر القديمة" لم تكن تجربة سوية. ومع أنها مُثِّلت على المسرح، لم تلق النجاح المنشود، ومن أجل ذلك لم يحاول فرح أنطون نفسه - فضلاً عمن كانوا حوله أو جاءوا وراءه - تقليدها، لأنها تحمل عدة صور من الأداء اللغوي، وكان ينبغي أن يختار لمسرحيته إحدى اثنتين: إما أن يجعل مسرحيته فصيحة الأداء، كمسرحية السلطان صلاح الدين، وإما أن يجعلها عامية الأداء، كمسرحية زميله رمزي الاجتماعية، المارِّ ذكرها. ومثل مسرحيات معاصره محمد تيمور: **"الهاوية وغير الهاوية"**. ومن هنا كنا نرى أن فرح أنطون ترك المشكل اللغوي في مسرحيته "مصر الجديدة" والمسرحيات الاجتماعية المماثلة لها، دون وضع حل سديدٍ له.

ومضى الكتاب المسرحيون بعده يقدمون أعمالهم للمسرح باللغة العامية نحّاها شوقي عنه في مسرحياته الشعرية، ذكرنا، وبالمثل نحاها الأستاذ توفيق الحكيم عن مسرحياته النثرية، ومُثِّلت له مسرحيته **"أهل الكهف"** سنة (١٩٣٥م)، ولكنها لم تلق النجاح المظنون لتمثيل الشخوص فيها لأفكار مجردة، وكأنهم لا يزالون في العالم الخيالي لأسطورتهم بعيدين عن عالم الواقع. وتوالت مسرحياته المستمدة من الأساطير غير أنها لم تحظ بالتمثيل على منصة المسرح، لما تردد بين النقاد من أن تلك المسرحيات إنما تصلح للقراءة فقط ولا تصلح للتمثيل، لأنها ذهنية تجريدية. ويسلّم لهم توفيق الحكيم بوجهة نظرهم، إذ يقول في مقدمة مسرحيته "بيجماليون" التي نشرها سنة (١٩٤٢م): "إني أقيم اليوم مسرحي داخل الذهن، وأجعل الممثلين أفكارًا تتحرك في المطلق من

المعاني مرتدية أثواب الرموز ... لهذا اتسعت الهوة بيني وبين خشبة المسرح، ولم أجد قنطرة تنقل هذه الأعمال إلى الناس غير المطبعة. لقد تساءل البعض: أولا يمكن لهذه الأعمال أن تظهر على المسرح الحقيقي؟ أما أنا فأعترف بأني لم أفكر في ذلك عند كتابة روايات مثل "**أهل الكهف**" و"**شهرزاد**" و"**بيجماليون**". ولقد نشرتها جميعًا ولم أرض حتى عن أن أسميها مسرحيات".

على أن الأستاذ الحكيم كان قد أخذ يتدارك الموقف بتأليفه - مع مسرحيات ذهنية أخرى - مسرحيات اجتماعية كثيرة، نشرها مفردة أو في مجموعات، غير أن النقاد ظلوا يقولون: إن طوابع مسرحه الذهني لاتزال تسيطر على مسرحه الاجتماعي.

فهو فيه لا يزال يبدأ من فكرة يحاول تطبيقها في المجتمع. حتى إذا قامت الثورة تطور الفن المسرحي الاجتماعي عند الأستاذ الحكيم متخلصًا من آثار مسرحه الذهني ممعنًا في تصوير واقع المجتمع، متأثرًا بفلسفة الثورة الاشتراكية، على نحو ما يتضح في مسرحيته "**الصفقة**"، التي صور فيها الفلاحين في قرية مصرية يناضلون نضالاً مستميتًا في سبيل الحصول على قطعة زراعية من أرضهم الطيبة أيام استشراء الإقطاع وتفاقمه.

والأستاذ الحكيم في هذه المسرحية لم يتحول فقط من مسرحه الذهني إلى المسرح الاجتماعي الواقعي بالمعنى الدقيق، بل أيضًا تحول من لغته الفصيحة التي تخلو من أي أثر للعامية في مسرحياته السالفة إلى لغة وسطى بين العامية والفصحى، سماها "**لغة ثالثة**" متخذًا من مسرحية "الصفقة" حقل تجربة لإيجاد حل للغة المسرح التي تخاطب أفراد الجمهور، وينبغي أن يفهموها بمجرد سماعها. وكان الكلام قد كثر - منذ فرح أنطون - عن العامية والفصحى على المسرح، وكان أنصار العامية يتمسكون دائمًا بأن التمثيل فن شعبي، وينبغي أن يكون بلغة الشعب العامية المتداولة بين الناس. ورأى الأستاذ الحكيم تحت بصره مسرحيته: "**الأيدي الناعمة**" تنقل من زيها الفصيح الذي وضعها فيه إلى زي عامي مُثِّلت به في سنة (١٩٥٤م)؛ لذلك استقر في نفسه أن يستحدث للمسرح هذه اللغة الثالثة الجديدة التي كتب بها مسرحية "الصفقة"، المنشورة في سنة

(١٩٥٦م)، وقد ألحق بها بيانًا أوضح فيه الحاجة إلى تلك اللغة، وفيه يقول: "استخدام الفصحى يجعل المسرحية مقبولة في القراءة، ولكنها عند التمثيل تستلزم الترجمة إلى اللغة التي يمكن أن ينطقها الأشخاص. فالفصحى إذن ليست لغة نهائية في كل الأحوال، كما أن استخدام العامية يقوم عليه اعتراض وجيه، هو أن هذه اللغة ليست مفهومة في كل زمن ولا في كل قطر بل ولا في كل إقليم، فالعامية إذن ليست هي الأخرى لغة نهائية في كل مكان أو زمان. كان لا بُدَّ لي من تجربة ثالثة لإيجاد لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى، وهي في نفس الوقت مما يمكن أن ينطقه الأشخاص، ولا ينافي طبائعهم ولا جَوَّ حياتهم، لغة سليمة يفهمها كل جيل وكل قطر وكل إقليم. ويمكن أن تجري على الألسنة في محيطها، تلك هي لغة هذه المسرحية. قد تبدو لأول وهلة لقارئها أنها مكتوبة بالعامية، ولكنه إذا أعاد قراءتها طبقًا لقواعد الفصحى، فإنه يجدها منطقية على قدر الإمكان. بل إن القارئ يستطيع أن يقرأها قراءتين: قراءة بحسب نطق الريفي، فيقلب القاف إلى جيم أو إلى همزة تبعًا للهجة إقليمه، فيجد الكلام طبيعيًّا مما يمكن أن يصدر عن ريفي، ثم قراءة أخرى بحسب النطق العربي الصحيح، فيجد العبارات مستقيمة مع الأوضاع اللغوية السليمة. إذا نجحت في هذه التجربة يؤدى ذلك إلى نتيجتين:

أولاً: هما السير نحو لغة مسرحية موحدة في أدبنا، تقترب بنا من اللغة المسرحية الموحدة في الآداب الأوربية، وثانيهما وهي الأهم: التقريب بين طبقات الشعب الواحد، وبين شعوب اللغة العربية بتوحيد أداة التفاهم على قدر الإمكان، دون المساس بضرورات الفن".

وكل من يقرأ هذا البيان يمتلئ إعجابًا بهذه التجربة اللغوية الجديدة التي ترفع فوق منصات المسارح الأسوار بين الفصحى والعامية، وكأنها لم تكن كلها أسوار بالمعنى الدقيق لكلمة أسوار، بل كان كثير منها أقواسًا وهمية. وينبغي أن نعود إلى مسرحية الصفقة نفسها لنرى حقيقة رفع هذه الأسوار. وبمجرد أن نتصفحها نلاحظ فيها عملين كبيرين: عملاً نتفق فيه مع الأستاذ الحكيم كل الاتفاق، وعملاً نختلف معه

فيه كل الاختلاف، فأما العمل الذى نتفق معه فيه، **فإدخاله في مسرحيته كثيرًا من العبارات، والأمثال العامية. وهي فصيحة تامة الفصاحة، مع أنها كثيرة الجريان على الألسنة في اللغة اليومية الدارجة**، ونضرب لذلك **بعض الأمثلة من الفصل الأول في** المسرحية:

"لكن المسألة بالأصول - هي لا يهمها فلان ولا علان - همس من فضلكم اسكتوا دقيقة واحدة - عدَّها له ربنا - لا له في الثور ولا في الطَّحين - ذنبكم على جنبكم - انهضوا هُمُّوا - ماله ؟ الله لا يكسبك - أنت على راسنا من فوق -لونها يقرف الكلب - تعمل الطاسة مسَقى للكتاكيت - سرقني جرُّدني - كل ما عندي مرصود للكفن والخرْجة - حلفت بالله في علاه وسماه ونبيِّه الزّيْن - ما عندي لك غير كلمة واحدة - فال الله ولا فالك - ياكل مال النبي - ساعة القضا يَعْمَى البصر - صلاة النبي أحسنْ - ما باليد حيلة - احزموا أمركم - ما يقدر على القدرة إلا الله - عملتها فيَّ - ربُّنا أمر بالستَّرْ - خَلّصْ لهم الموضوع بالتي هي أحسن - فكرة معتبرة - على شرط لا نكلمه هناك كلمة ولا نفتح له سيرة ".

وجميع هذه التعبيرات تدور على ألسنة العامة في لغة التخاطب اليومية، وهي فصيحة كاملة الفصاحة. وهو معنى ما قلناه من أن الأسوار بين الفصحى والعامية بدت في جوانب من المسرحية، وكأنها كانت أقواسًا وهمية. ومسرحية **"الصفقة"** - بهذا الأداء اللغوي الجديد - تُعَدُّ إرهاصًا قويًا لتحول خصب في لغة المسرح الفصحى، إذ تلتحم بها العامية، التحامًا من شأنه أن يمحو جانبًا من الأسوار والحواجز التي كان يظن أنها تفصل بين عبارات العامية وعبارات الفصحى، فإذا هما يتعانقان على منصة المسرح، ويتحدان هذا الاتحاد الواضح، وهذا العمل الأول في مسرحية الصفقة جدير بكل ثناء.

أما العمل الثاني الذي قلنا إننا نختلف فيه مع الأستاذ الحكيم، فهو: النطق بحروف بعض الكلمات في المسرحية، كما تُنْطَقُ في العامية، ومعروف أن **عاميتنا أبدلت الذال دالاً** في بعض الكلمات الفصيحة، مثل: **ذاب**، تنطقها **داب**، **وأبدلت**

الثاء تاء في مثل: **ثلج**، تنطقها **تلجًا**، **وأبدلت الظاء ضاد** في مثل: **ظُلْمة**، أو **ظَلْمة**، بفتح الظاء تنطقها **ضلمة**، **فهل** تُكْتَبُ مثل هذه الكلمات في المسرحيات، وتنطق على المسرح بصورتها العامية، أو تُرَدّ إلى صورتها الفصيحة؟ أما الأستاذ توفيق الحكيم، فيرى أن نبقي لها صورتها العامية بدليل ما نقرؤه في الفصل الأول من مسرحية الصفقة، من مثل العبارات التالية:

"**ندبح الدبيحة**" بدلاً من: نذبح الذبيحة - "**قاعد يَحْلِق دقنه**"، بدلاً من: قاعد يحلق ذقنه - **تصح منك الكلمة دى**؟ بدلاً من: تصح منك الكلمة هـذه ؟ - "**أنت راجل حاجّ ثلاث حجات**"، بدلاً من : أنت رجل حاج ثلاث حجات - "**سبق قلت لنا بعضمة لسانك**" - بدلاً من : سبق قلت لنا بعظمة لسانك.

وفي رأيي أنه كان ينبغي للأستاذ الحكيم أن لا يدفع تجربته الجديدة في لغة المسرح إلى هذا المأزق، لأنه بذلك يهبط بفصحى المسرح إلى العامية، دون حاجة أو ضرورة واضحة. وكان المأمول أن يرتفع بالكلمات السابقة إلى الفصحى ويردها إلى صورتها الصحيحة، على نحو ما رد كلمات عامية أخرى في نفس هذا الفصل الأول من المسرحية، فقد رد كلمة "**التور**" في العامية إلى كلمة "**الثور**" الفصيحة، في المثل الآنف ذكره " لا له في الثور ولا في الطَّحين ".

وكلمة "**لاله**" في صدر هذا المثل هي في العامية "**لا لـو**" فردها إلى نطقها الفصيح. وبالمثل رد كلمة "**التلت**" العامية إلى كلمة "**الثلث**" الفصيحة على لسان بعض الشخوص. ورد مرارًا كلمة "مالو" العامية إلى كلمة "**ماله**" الفصيحة، وعلى هذه الشاكلة كان يحسن أن يرد الكلمة العامية المذكورة منذ قليل إلى النطق العربي الفصيح.

ونمضي مع الأستاذ توفيق الحكيم إلى سنة (١٩٦٦م) وفيها ينشر مسرحيته: "**الورطة**" ويلحقها ببيان يتحدث فيه عن ظاهرة استبدال العامية لبعض الحروف العربية مسوغًا للكاتب المسرحي الإبقاء عليها في حوار الشخوص، أو على الأقل الإبقاء على طائفة منها، يقول :" الدال والذال والضاد والظاء يحل أحدها في النطق محل الآخر في بعض البيئات والقبائل.. وعلى ذلك لا جناح في نطقنا **بالظبط** بدلاً من **بالضبط**،

ونطقنا **دا، ودي**، وده بدلاً من ذا، **وذى، وذه**، وكذلك ماسير على نهجها مثل **"كذا"** التي ننطقها: **كدا** أو **كده** ".

وكل هذه الإبدالات موجودة في المسرحية، وموجود معها إبدال الثاء تـــاء في بعض الكلمات في مثل: **"يعني التالتة تابتة"** بدلا من**"يعني الثالثة ثابتة"**. ومما يدل على أن ذلك يفتح بابًا كبيرا لاستبقاء الكلمات العامية المحرَّفة في الحوار المسرحي **أن الذال لا** تبدل في عاميتنا دالاً أحياناً فحسب، بل **قد تبدل زايًا** في مثل كلمـــتي: **الـــذخيرة، والذمة، وأن الضاد** لا تبدل في عاميتنا أحيانًا ظاء فحسب، بل **قد تبـــدل "دالاً "** في مثل: **مدغ** الطعام بدلاً من **"مضغ"** الطعام، **وأيضًا الثاء** لا تبدل تاء فحـــسب، فقـــد **تبدل سينًا** في مثل: **الثروة، والثمن**. ولو أن الكاتب المسرحي كتب في مسرحيته هذه الكلمات جميعًا بنطقها العامي مافهمها القارئ، ولا الممثل للمسرحية، وهل يستطيعان مثلاً معرفة أن الزخيرة بالزاي، هي الذخيرة بالذال، وأن السروة بالسين، هي الثـــروة بالثاء ؟ إن مثل ذلك يؤدى إلى مشكلة لعلها أكثر تعقيدًا من مشكلة النطق بـــالحروف المبدلة في بعض كلمات العامية. ولا ريب في أنه أولى لفصحى المـــسرح المقترحـــة أن تعدل **هي** في نطق الحروف المبدلة في الكلمات العامية، وتردها إلى نطقها الصحيح.

وبذلك يرتفع الكتاب المسرحيون بلغتنا العامية، إذ يشيعون النطـــق الـــصحيح للكلمات العامية المبدلة بعض حروفها بترداد الممثلين في حوارهم لهذا النطق، ومحاكـــاة الجماهير لهم في ترداده.

وكلنا نعرف أن من الظواهر في عاميتنا استخدام طائفة من الاختـــزالات في الكلمات، وقد سوغ الأستاذ توفيق الحكيم مجموعة منها اســـتخدمها علـــى لـــسان الشخوص في مسرحيته **"الورطة"**، مثل: **"أيوه"**، اختزال "إي والله" و**"إيه"**، اختزال "أي شيء" و**"ليه"**، اختزال "لماذا"، و**"اللي"** اختزال "الذي" يقول: "مثل هـــذه الـــرخص والاختزالات في التخاطب يمكن قبولها، إذ من الشطط أن نطالـــب النـــاس بـــالطفرة ونلزمهم في مجالسهم العادية استعمال كلمة **"لماذا"** بدلاً من **"ليه"** ... إذا أردنا أن نطاع

فلنأمر بما يستطاع"، وفي رأيي أن استخدام الكتاب المسرحيين لصور اختزال الكلمات في العامية على ألسنة الشخوص في مسرحياتهم، مثل استخدامهم لكلمات الفصحى المبدلة حروفها، كل ذلك من شأنه أن يهبط بالفصحى إلى دوائر العامية، بدلاً من أن يرتفع بالعامية إلى دوائر الفصحى، وأيضًا فإنه يضيع علينا، وعلى الأستاذ توفيق الحكيم النتيجة الثانية التي ذكر في بيانه الملحق بمسرحية "الصفقة" أنها النتيجة المهمة في رأيه -كما أشرنا إلى ذلك آنفًا - وهي التقريب بين شعوب اللغة العربية بتوحيد أداة التفاهم، إذ نعود ثانية إلى عاميتنا مبقين منها - في لغة المسرح - أسوارًا تحول بينها وبين ما نريد من فصحى مسرحية توحد بين الشعوب العربية.

وأنا - مع كل ما قدمت أقول إن التاريخ الأدبي العربي المعاصر - وخاصة المسرحي منه - سيظل **يذكر للأستاذ توفيق الحكيم أنه رفع صرح المسرح النثري الفصيح على أسس وطيدة، وأيضًا سيظل هذا التاريخ يذكر له محاولته إيجاد لغة ثالثة مسرحية وسطى بين الفصحى والعامية، وأنه وضع لها قاعدة مهمة: هي استخلاص العبارات والتراكيب التي يظن أنها عامية، بينما هي فصيحة، واستخدامها على ألسنة الشخوص في المسرحيات** على نحو ما استخدمها في مسرحيتيه: **"الصفقة" و"الورطة"، وأضاف الأستاذ الحكيم إلى هذه القاعدة قاعدة ثانية** في بيانه الملحق بمسرحية "الورطة"، **هي استخدام كتَّاب المسرح لكلمات تشيع في استعمالنا الدارج ونحسبها عامية، وهى - في حقيقتها- فصيحة**، وذكر أن الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى رحمه الله - كان يستخدم في كتاباته كثيراً من هذه الكلمات، ومثل لها بقولنا في العامية: **"أشوفك بكرة"، و"اخرج بره"، و"خش في الموضوع"، و"زبي زيك" و"بس"** - وقد تجرد غير باحث لتأصيل الكلمات العربية في العامية، وألفت في ذلك مصنفات مختلفة، من أحدثها **"معجم الألفاظ العامية المصرية ذات الأصول العربية "** للدكتور "عبد المنعم عبد العال"، ولا تزال تبذل الجهود في هذا الاتجاه، وللأستاذ الدكتور "محمد التنير" جهد فيه، تفضل بإطلاعي عليه. وحبذا لو عنيت لجنة اللهجات

في مجمعنا الموقر بوضع "معجم الكلمات العامية استعمالاً العربية أصلاً ونسبًا"، حتى يجدها كتابنا المسرحيون مَدَّ أيديهم وأبصارهم.

سيداتي، سادتي:

بالقاعدتين السابقتين اللتين وضعهما الأستاذ توفيق الحكيم للغة المسرح الثالثة، بل بهذين الرافدين: **رافد الكلمات العامية العربية، ورافد العبارات العامية** ستظل الفروق بين فصحى المسرح والعامية تضيق تدريجيًّا يومًا بعد يوم، حتى تتكون لنا فصحى مسرحية تعايش الجماهير في محيطها اللغوي اليومي، ويفهمها العرب في مختلف بلدانهم من الخليج إلى المحيط. وإني لواثق أن أعلام كتابنا المسرحيين سينفذون إلى تحقيق هذا الأمل المنشود للأمة العربية، فيستحدثون لها هذه الفصحى المسرحية المبسطة، ويظلون ينمونها دون تحيف أو تنقص لمقومات العربية. وبذلك ينهضون في فصحى المسرح بنفس الدور اللغوي العظيم الذي نهض به أعلام كتابنا الصحفيين، منذ القرن الماضي إلى اليوم نافذين إلى **فصحى صحفية مبسطة**، فهمتها -وتفهمها- الجماهير الشعبية العربية في يسر. وبالمثل ستتحقق للمسرح كما تحقق للصحافة . فصحى مبسطة في الغد مهما طال الزمن.

اللهجات العربية الجزء الأول

رقم الإيداع	٢٠٠٦/٩٤٣٦

طبع بمطابع

روز اليوسف